

المؤرية العسريب

بحكة ففلية تاريخية ككتمة تعنى بشؤوة اللتماري والتاريخ العزني والعالحالي



تَصِيرُونَ الْمُؤْمِانِهُ اللِعَامِةِ اللِحَاوِ الْمُؤْرِمِينِ الْعِرِبِ _ بغدلا

العكدد ٢٥ - السكنة الوابعكة عشرة 19٨٨ - ١٤٠٩م



.

.



الموردة العدرية

بحكة ففيلية تاريخية كاكمة تعنى بشؤوق الانتلاك ولالتاريخ الاعزلي ولالعالى



تفريري الفرانه العكامة الاتحاد المؤرمين العرب بغماد

العكدد ٢٥ - السّنة الرابعكة عشرة ١٩٨٨ - ١٩٨٨م

ترسل البحوث باسم مدير التحرير ص. ب: (٤٠٨٥) بغداد _ الجمهورية العراقية مجلة المؤرخ العربي _ اتحاد المؤرخين العرب ت:(٤٤٤٨٠٠٦)

الاشتراكات السنوية في مجلة المؤرخ العربي والمنشورات التاريخية

١ ـ الدوائر الرسمية وشبه الرسمية في داخل العراق (٥٠) دينار ، وفي خارج العراق (١٥٠) دولاراً أمريكياً .

٢ ـ للمؤرخين في داخل العراق (٢٠) دينارا ، وفي خارج العراق (٦٠) دولارا أمريكيا .

٣ ـ لطلبة التاريخ في داخل العراق (١٠) دنانير ، وفي خارج العراق (٣٠) دولارا أمريكيا .

شروط نشر البحوث في المجلة

١ ـ أن يعتمد البحث الأسس العلمية في إعداد وكتابة البحوث.

٧ ـ أن يكون منسجها مع أهداف اتحاد المؤرخين العرب

٣- ألا يزيد عدد صفحاته عن (٥٠) صفحة .

٤ ـ ألا يكون قد سبق نشره أو قبل للنشر في مجلة أخرى ، على أن يقدم كاتب البحث تعهدا يؤكد ذلك مرفقا برسالة مع البحث موجهة الى مدير التحرير .

٥ - تقبل البحوث في جميع فروع المعرفة التاريخية ، وباللفتين العربية والانجليزية .

٦- يطبع عنوان ألبحث على ورقة مستقلة ، ويفضل أن يكون مختصرا ، ويثبت اسم الباحث أو أسهاء الساحثين الكاملة والعنوان لكل منهم .

٧ ـ يطبع البحث على وجه واحد من الورقة ، وتأخذ كل ورقة رقمها الخاص ، ويقدم ينسختين .

٨ ـ بالنسبة للبحوث المقدمة الى المؤتمرات أو الندوات وان كان مستلا من رسالة يؤشر بذلك في حاشية البحث .

 ٩- لأمور فنية خاصة بالطباعة يجب أن توحد الهوامش الخاصة بالبحث من أول هامش في البحث الى آخر هامش فيه ، وتعطى تسلسلا واحدا .

١٠ يجال البحث المقدم للنشر الى خير مختص ، ويعاد الى كاتبه لإجراء التعديلات المقترحة إن وجدت ، على أن يعاد الى مدير التحرير في غضون خسة أيام .

١١ - رتبت البحوث لاعتبارات فنية وهي تعبر عن آراء أصحابها مع التأكيد على أن مجلة المؤرخ العربي منبر تاريخي قومي تنطق باسم القضية العربية الكبرى، والبحوث التي ترد للمجلة لا تعاد الى أصحابها في حالة عدم نشرها.

١٢ ـ يرجى تدوين اسم الباحث وعنوانه ، وعنوان بحثه باللغة الانكليزية .



* .

هيئة التحرير

١ _ الاستاذ الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار

الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني

٣ ـ الدكتور حسين محمد القهواتي

٤ ـ الدكتور زكى مجيد حسن

٥ _ السيد أسامة ناصر النقشبندي

٦ ـ الدكتور نزار عبداللطيف الحديثي

رنيس جمعية المؤرخين والأثريين في العراق

٧ _ الدكتور عبدالمنعم رشاد

رئيس جمعية المؤرخين والأثريين فرع الموصل

٨ ـ الدكتور جهاد صالح العمر

رئيس جمعية المؤرخين والأثريين فرع البصرة

٩ _ السيد رجاء عبدالرزاق

١٠ _ السيد عبدالجبار حمد شرارة

رئيسأ للتحرير

نائباً لرئيس التحرير مديراً للتحرير

محرراً للقسم الأجنبي

سكرتيرأ للتحرير

عضوا

عضوا

عضوا

مشرفاً فنيا مشرفاً لغوياً



. .

.

1

•

.

الهيئة الاستشارية لمجلة المؤرخ العربي

المملكة الأردنية الهاشمية دولة الإمارات العربية المتحدة دولة البحرين دولة البحرين الجمهورية التونسية الجمهورية الجوائرية الديمقراطية الشعبية

جمهورية جيبوتي المملكة العربية السعودية

والطنة عدان ال

جهورية السودان الديمقراطية الجمهورية العربية السورية العراقية الجمهورية العراقية فلسطيقن دولة قطر دولة الكويت دولة الكويت الجمهورية اللبنانية الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية جمهورية مصر العربية جمهورية موريتانيا الإسلامية المملكة المغربية الجمهورية العربية البسلامية المملكة المغربية البسلامية المملكة المغربية اليمنية

جمهورية اليمن الديمقراطية

١ - الدكتور يوسف غواغه ٢ ـ الدكتورة عائشة السيار ٣ _ الدكتور عبداللطيف الرميحي ٤ ــ الدكتور محمد الباجي بن مامي ٥ ـ السيد محمد طويلي ٦ - السيد محمد عبدالله ريرراش ٧ ـ الدكتور عبدالله العثيمين ٨ ـ الأستاذ عامر محمد سامي ألحجري ٩ ـ الدكتور يوسف فضل حسن ١٠ ـ الدكتورة ليلي الصباغ ١١ ـ الدكتور فاروق عمر فوزى ١٢ ـ الدكتورة خيرية قاسمية ١٣ ـ الدكتور مصطفى عقيل ١٤ _ الدكتورة نجاة عبدالقادر القناعي ١٥ _ الدكتور ابراهيم بيضون ١٦ _ الدكتورة نجاح القابسي ١٧ ـ الدكتور فاروق عثمان أباظه ١٨ _ الاستاذ ولد آل الشيخ سيدي محمد ١٩ ـ السيد عبدالوهاب ابن منصور

٢٠ ـ الدكتور حسين عبدالله العمري

٢١ ـ الدكتور صالح ياسره



.

-

*:

المقسدمة

يسرنا أن نصدر هذا العدد الجديد من مجلة المؤرخ العربي الذي يضم مجموعة مختارة من البحوث بأقلام نخبة من المؤرخين، وهي تعاليع جوانب شتى من تاريخنا العربي الزاهر وآثارنا الخالدة، على مر العصور، اضافة الى أبواب المجلة الثابتة. ونود ان نشير هنا الى أن الهيئة العربية لاعادة كتابة تاريخ الأمة التي تضطلع بمهمة قومية كبيرة تتمثل في وضع أسس منهجية جديدة نابعة من صميم التاريخ العربي وواقعه وتسعى لإيجاد مدرسة فلسفية عربية في تفسير التاريخ، تختلف تماما عن منهجية المدارس الفلسفية الغربية والشرقية التي انطلقت في تفسيراتها من بينات غريبة تختلف تماما عن البيئة العربية وحقيقة تاريخها، فالتاريخ العربي لايمكن أن يفهم حركته الذاتية الا العرب أنفسهم ولا يمكن لأي فلسفة أجنبية أن تفهم العمق الحقيقي والجوهر العقلي للتاريخ العربي مها بلغت من درجات الرقي والتقدم الفكري، لأنها منطلقة من معتقدات وأفكار لاقت بصلة للواقع العربي ولا للبيئة العربية التي هي مسرح الحدث التاريخي، ولا يمكنها أن تفهم العوامل التاريخية الداخلية التي تحرك الأحداث، وهذا يعلل لنا سبب ظهور الكثير من المؤلفات التاريخية التي تعالج التاريخية التاريخية التاريخية التاريخية التاريخية التاريخية التاريخية التاريخية التاريخية المربية الإسلامية، وإذا ما علمنا أن أغلب المدارس الفلسفية الأجنبية كانت مدارس ذات أهداف تخدم أغراضا معينة، لذا فان المواطن العربي أصبح ينظر الى تاريخه وهو متأثر بتلك الفلسفات نظرة سلبية تسيرها أهداف الدراسات الاستشراقية تلك .

وانطلاقا من هذا الفهم السلبي الذي يحس به المؤرخ العربي ويراه ، بادرت الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب الى معالجة هذا المفهوم الخاطيء ، حيث اعتبرت من أولى أهدافها إيجاد مدرسة فلسفية عربية واعية منطلقة من القيم والمباديء ذاتها التي صنعت ذلك التاريخ ، ولذلك شهدت الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين ولادة هيئة عربية لاعادة كتابة التاريخ العربي هي « الحيئة العربية العليا لاعادة كتابة تاريخ الأمة » وواصلت الهيئة أعمالها ونشاطها بكمة عالية وبمثابرة وبيرة ودقيقة ، وتمخضت تلكس الجهود عن عقد لقاء عربي كبير في بغداد في نهاية عام ١٩٨٧ وتحت شعار « نحو مدرسة عربية لفهم التاريخ وكتابته » حيث تم وضع الاسس والضوابط الكفيلة لاعادة كتابة تاريخ الأمة العربية كتابة أصيلة بأيدي المخلصين من أبناء الأمة ، منبعثة ومنطلقة من قيم الأمة ومبادئها وتفنيد كافة الآراء والنظريات الفلسفية التي أفرزتها مختلف المدارس التاريخية الفلسفية في العالم ، ووضع الأسس لمنهج فلسفي عربي في علم التاريخ ، تقوم بتفسير أحداثه ووقائعه بمنظار عربي إسلامي أصيل يستند على القيم والمباديء التي خلفت ذلك التاريخ وكتابته ، وكما توجد في العالم مدارس ومكانتها بين مدارس التاريخ في العالم ، وبما أننا أبناء أمة عظيمة في التاريخ البشري فيجدر بنا أن نضع أسساً قوعة لبناء مدرسة فلسفية ومكانتها بين مدارس التاريخ في العالم ، وبما أننا أبناء أمة عظيمة في التاريخ البشري فيجدر بنا أن نضع أسساً قوعة لبناء مدرسة فلسفية للتاريخ .

ولابد لنا أن نشير الى أن الندوة تدارست جوانب التاريخ العربي كافةً وغطت بحوثها مختلف المراحل التاريخية وتوزعت على المحاور الآتية :

١ ـ منهج كتابة التاريخ العربي .

٢ ـ استجلاء الظواهر الايجابية في التاريخ القومي .

٣ دراسات متخصصة حول إعادة كتابة تاريخ الأمة العربية .

٤ .. الآفاق المستقبلية للدراسات التاريخية .

وقد شارك في اللقاء النخبة البارزة والمتميزة من مؤرخي الأقطار العربية بلا استثناء ، بالاضافة الى أكثر من منة عالم أثري من الوطن العربي الكبير .

واخيرا تسعى الأمانة العامة للاتحاد الى إصدار كتاب شامل في القريب العاجل يضم كافة البحوث والقرارات والتوصيات التي أقرت في الندوة ، تلك الندوة التي تميزت من بين الندوات التي عقدها الاتحاد تميزاً واضحا ومؤثرا ، سواء على مستوى الاعداد والتنظيم أو على صعيد المشاركة والنتائج .

نسأل المولى جلت قدرته أن يرشدنا الى مافيه خير هذه الأمة العظيمة والله الموفق .

 أ. د. مصطفى عبدالقادر النجار الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب رئيس تحرير المجلة



محتويات العدد

● بحوث التاريخ الحديث والمعاصر

١ ـ سياسة الكويت الخارجية خلال القرن
 الثامن عشر

٢ ـ الجيش العربي وتأسيس امارة شرق الأردن

٣ - في الدولة الليبرالية

بأ .. يهود مصر

د . ميمونة خليفة العذبي الصباح كلية الآداب/ جامعة الكويت د . سعد أبو دية كلية الاداب/ جامعة اليرموك كلية الاداب/ جامعة اليرموك د . علي عبدالرزاق الزبيدي معهد الدراسات القومية والاشتراكية الجامعة للستنصرية

مركز الدراسات الفلسطينية/ جامعة بغداد

● بحوث التأريخ العربي والاسلامي

ه ـ نظام الإدارة في المغرب والأندلس
 أيام المرابطين

٦ - الوجود العربي في كانم في السودان
 الأوسط حتى القرن السابع هـ/ ١٣ م
 ٧ - أسلوب المؤرخ الأكاديمي

٨ - الصحه العامة في صدر الاسلام
 ١ دراسة لواقع السنة النبوية المطهرة ١
 ٩ - البريد العسكري في العصر العباسي

١٠ العلاقات السياسية بين الأيوبيين
 والموحدين في المغرب الأقصى

د . صالح محمد فياض أبو دياك كلية الآداب/ جامعة اليرموك د . صباح ابراهيم الشيخلي كلية الآداب/ جامعة بغداد د . حسين علي الداقوقي كلية التربية/ جامعة بغداد غانم عبدالله خلف كلية الآداب/ جامعة الموصل كلية الآداب/ جامعة الموصل كلية الآداب/ جامعة بغداد د . خالد جاسم الجنابي كلية الآداب/ جامعة بغداد د . رشيد عبدالله الجميل

كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

د . محمد كريم ابراهيم مركز دراسات الخليج العربي

جامعة كارديف/ المملكة المتحدة

خلال القرنين الخامس والسادس الهجرى ١٢ ـ الجوانب الدبنية والأدبية في فاضل خليل ابراهيم اهتمامات العالم العربي

🗢 بحوث التأريخ القديم والآثار

١١ ـ الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن

دراسة تأريخية

(خالد بن يزيد)

١٣ ـ الجذور الحضارية للكويت في التأريخ القديم

١٤ ـ التجارة الخارجية في العهد البابلي

د . هيمونة خليفة الدنبي الصباح كلية الآداب/ جامعة الكوبت د . تقى عبد سالم وصلاح نعمان عيسى

كلية الادارة والاقتصاد/ الجامعة

المستنصرية

ا بحوث تأريخيه مترجمة

١٥ ـ مدرسة ابن الجوزي في التدوين التأريخي

١٦ ـ معركة المدائن فصل من كتاب « الكريت : مرت جيش »

ى سيرة مؤرخ

الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت

• ندوة العدد

الندوة الفكرية بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنصرية

اعداد : لجنة الدفاع عن القرار ٣٣٧٩ بالتعاون مع مركز الدراسات الفلسطينية في دمشق :

● الوثائق والمخطوطات

الدليل العام للتوثيق والدراسات الجمالية

أعداد : دائرة الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة والإعلام/ بفداد

المستشرق المجرى

ترجمة : د . جزيل عبدالجبار الجومرد

كلية التربية/ جامعة الموصل

الكاتب الإنجليزي: رولاند ميللر

ترجمة : فريد ضياء شكاره

• عروض الكتب والرسائل الجامعية

تأريخ المنازعات والجروب بين العراق وإيران

تأليف: شاكر صابر الضابط

١٧ - الأمير عبدالقادر رائد الكفاح الجزائري

تألیف: الدکتور یحبی بو عزیز

١٨ - لباس الحرب عند المقاتل العربي حتى نهاية العصر العباسي (رسالة ماجستير)

تأليف: ابراهيم سرحان الشمري

١٩ . مخطوطات التأريخ والتراجم والسير

تأليف: أسامة ناصر النقشبندي

وظمياء محمد عباس

• من نشاطات وتشكيلات الاتحاد العلمية

● بحوث باللغة الانكليزية

١ ـ الشرق الأوسط العربي في القرن العشرين ـ نظرات تأريخية هلموت مايجز ـ جامعة هامبورغ ـ المانيا الغربية

٢ ـ الدراسات الغرب أسيوية في اليابان ياسوماسا كورودا ـ جامعة هاواي ـ الولايات المتحدة

عرض: معتز صبحي عبدالحميد

عرض: رفاه جاسم السامرائي

عرض: نافع منجل الراجحي



•

•

•

.

بحوْثالتاً من المحديث والمعسّاصر

إن المعاصرة لا تعني الانقطاع عن الماضي المجيد، كما أن العودة إلى الماضي العربي لا تعني التشكيك بحاضر الأمة وحوافزها الخلاقة التي تستطيع تجاوز المحن والأزمات مهما عظمت ..

سياسة الكويت الخارجية خلال القرن الثامن عشر

د . ميمونة خليفة العذبي الصباح
 كلية الاداب جامعة الكويت

مقدمة

ظهر الاهتمام بتاريخ الكويت منذ زمن قريب ، وقد قام عدد من الباحثين الكويتيين والعرب والاجانب ، في السنوات الماضية ، بدراسات متعددة تناولت عدة مجالات من تاريخ الكويت ، الا ان هذه الدراسات كانت تتسم بالجهود الفردية ، وتتعرض لجوانب من تاريخ الكريت في فترات معينة ، وبخاصة المراحل المعاصرة منه .

اما المراحل السابقة ، اي الفترة من مطلع القرن الثامن عشر الى منتصف القرن التاسع عشر ، فلا زال يكتنفها الغموض و أي يرود في هذا الغموض عدم توفر المصادر التي يمكن ان تلقي الضوء على المسيرة التاريخية للكريت .

هذه الدراسة ضمن محاولاتي لاعادة كتابة تاريخ الكويت بطريقة علمية موضوعية ، وبصورة شاملة ومتكاملة ، من خلال المصادر الاساسية ، ومنها الوثائق العثمانية والبريطانية ، الى جانب الاستعانة بالدراسات السابقة التي تناولت جوانب معينة من تاريخ الكويت ، سواء الاجنبية منها ، أو العربية ، ثم المصادر والمراجع المعتمدة ، والموثوق بها .

واتضرع الى الله العزيز الحكيم ان يوفقني الى تحقيق هذه الغاية والهدف النبيل الذي اسعى اليه لكتابة تباريخ الكويت بصورة متكاملة.

سياسة الكويت الخارجية

كان من أهم ما اتسات به سياسة الكويت الخارجية منذ استقرار العتوب (*) فيها وتأسيس حكمهم على ارضيا ، نو السلم الذي تشتق منه وجودها واستقرارها ونموها ، وبالتالي فانها حرصت على الالتزام به والمحافظة عليه ، في ذات الوقت الذي تمسكت فيه بالحياد وتعدم التورط في العداء مع القوى والدول المجاورة أو الانحياز ، الى واحدة من تلك القوى المتصارعة في المنطقة لكي لا يجرها هذا الميل واحدة من تلك القوى المتصارعة في المنطقة لكي لا يجرها هذا الميل واحدة من تلك القوى المتصارعة في المنطقة لكي الا يجرها هذا الميل الدخول في حرب لا تريدها . ولم تدخل الكويت حرب الا دفاعا عن نقسها

ولا شك أن تقيد الكويت بهذه السياسة منذ تلك الفترة المبكرة من عمرها يعرد الى ادراك حكام الكويت منذ البداية ، ان الحياد هو الضمان الافضل لاستعرار بقاء ووجود دولة صغيرة ، ومن هذا المنطلق ، وعبر تاريخها ، باستثناء فترة الحماية البريطانية عليها انتهجت الكويت سياستها الخارجية على اساس نهج حيادي في الصراع مع القوى المحيطة بها .. عرفت الكويت أن حيادها يضمن الصراع مع القوى المحيطة بها .. عرفت الكويت أن حيادها يضمن استقلالها السياسي بالمفهوم السائد في حينه ، كما يحافظ هذا الحياد على كيانها الاقليمي بصورة دائمة ، وبالرغم من أن الكويت سمت في البداية للحفاظ على التوازن في علاقتها مع الدول الكبرى والمحيطة بها دون ان تحصل من تلك الدول على نص مكتوب تتقيد فيه هذه الدول الاكبر بضمان استقلال الكويت السياسي والمحافظة

^(\$) العتوب : هم مجموعة من العشائر ينتمون الى قبيلة عنزة العربية ، وقد هاجروا من موطنهم الاصلي في منطقة الهدار في نجد ضمن هجرة عنزة الكبرى في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وبعد ان طافوا بكثير من البلدان في الجزيرة العربية استقروا في الكويت مع مطلع القرن الثامن عشر .

على كيانها الاقليمي (١) الا أن هذه السياسة التي اتبعها حكام الكويت نجعت بالفعل في تأكيد استقلال الكويت .

اما بالنسبة للاستقلال الذي حرصت عليه الكويت منذ عهدها المبكر فلابد من التطرق الى اشارات بكنجهام (Buckingham) (۲) حول استقلال الكويت، وذلك على الرغم من أن هذه الاشارات جاءت في فترة لاحقة لتأسيس حكم آل الصباح، فقد زار الرحالة الانكليزي المذكور المنطقة في مطلع القرن التاسع عشر (عام ١٨١٦م) ولفت نظره أن تكون الكويت حتى في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المدينة « قد احتفظت باستقلالها دوما، حتى في الوقت الذي خضعت فيه هرمز ومسقط والبحرين والاحساء لحكم أجنبي، والقطيف والبصرة اللتان كانتا تخضعان للاتراك، خضعتا لحكم البرتغال من قبل ». وأهل الكويت معروفون بأنهم أكثر أهل الخليج حبا للحرية والاقدام (۳).

ولا شك أن تلك شهادة مشرفة للكويت وأهلها من رحالة أوروبي ينتمي الى دولة مستعمرة لها من الاطماع الشيء الكثير في الكويت والمنطقة بأسرها.

ويؤكد تمتع الكويت بالاستقلال على الدوام ايضًا الكابس بلي (Pelly) المقيم السياسي الانكليزي في الخليج الذي كان من حسن حظ الكويت أن يزورها عام ١٨٦٣م ويدون عنها ملاحظات هامة جدا ومفيدة لاعطاء صورة تاريخية واضحة عنها في تلك الفترة التي عزت فيها المصادر التاريخية المهتمة بالكويت لا سيها الوثائقية منها وكانت ملاحظات «بلي» دقيقة جدا تنطق عن درايته التامة بالمنطقة (٤) وهو يشير إلى استقلال الكويت من خلال عرض له في صدر تقريره لأنواع الحكومات في منطقة الخليج وأي منها تتبع شاه فارس ، وأي منها تتبع السلطان العثماني ، ثم وضع جدولا باساء امارات أخرى سماها بالامارات التي تخضع فعليا لشيوخها دون أي

خضوع من هؤلاء الحكام لشاه أو سلطان ، وأكد أنها خاضعة لزعهاء عرب مستقلين ، وكان من بين تلك الامارات الاخيرة امارة الكويت . (٥) .

ومن ناحية أخرى ، فالى جانب حرص الكويت على استقلالها ، وما الصفت به سياستها الخارجية من حرص على السلام والحياد فقد كان من اولويات سياستها في تلك الفترة المبكرة اقامة علاقات ودية مع مختلف القوى التي تجاورها ، غير أنها أكدت من خلال معالجتها للاحداث ومن خلال علاقتها الوثيقة بجيرانها أن هذه الصداقة يجب أن لا تعني بحال من الاحوال الخضوع لحكم أجنبي . وتأكيدا لما ذهبنا اليه بهذا الشأن نجد الكويت وسط ذلك التيار المتصارع من القوى في المنطقة تمارس نوعا من الاستقلال الذاتي على الرغم من محافظتها على ولائها لبني خالد وللدولة العثمانية المتمثلة بولاية البصرة .

وبذلك نجد أن سياسة الكويت اتسمت بالحكمة والتعقبل في المتعامل مع كافة القوى في المنطقة وفي الحفاظ على استقلالها وحريتها وحيادها وصداقتها للجميع فعرفت كيف تبني علاقتها الطيبة مع جيرانها في الوقت الذي لا تسمح فيه لأي من هذه القوى بالاعتداء عليها.

ولا شك أن سياسة الكويت الحالية التي تغوم على العلاقات الطيبة مع الجميع مع الاحتفاظ بالحياد والسلام وحفظ التوازن والتي حافظت بواسطتها على استقلالها تعود الى تلك الفترة المبكرة مع الاختلاف في تقبل تلك المفاهيم والعمل بها تبعا لاختلاف الزمن والظروف المتغيرة.

وقد أشاد «بلي» بتلك السياسة التي انتهجتها الكويت منذ البداية فيقول «..وسياسة الكويت الجارية هي الحفاظ على الأمن والسلام داخل المدينة وخارجها أي مع جيرانها، وهي لا تدفع زكاة

⁽١) د. حسن الابراهيم (الكويت) دراسة سياسية ، ص ٤٠ ـ ١٤ .

 ⁽۲) بكنجهام : رحالة انكليزي يتحدث بغزارة عن الخليج العربي وهو مصدر مفيد لا سيها فيها يتعلق برحمة بن جابر الجلاهمة ، كها أنه يورد تفاصيل هامة عن الكويت في صفحات ٣٧٠٠ و ٤٦٣ و ٤٦٣ عن أبو حاكمة ، تاريخ الكويت الحديث ، ص ١٩٨ .

Buckingham: Travels in Assyria etc. p. 370. (*)

Lewis Pelly-Recent four around the nothern portion of (\mathfrak{t})

Pelly Remarks: 70-74((4)

للامير فيصل (الوهابي) لكنها تحتفظ بعلاقات صداقة معه »(١). ويثني «بلي » على الشيخ صباح بن جابر لحسن ادراكه لمفاهيم السياسة المحلية في الخليج ، كها كان يدركها والده الشيخ جابر وذلك من خلال قصة سردها الشيخ صباح على الكولونيل «بلى» الذي سجلها بالانكليزية وترجمتها «عندما بلغ والدي المائة والعشرين من عمره ، ناداني اليه ، فقال : يا ولدي انك تعلم انني سأفارق الحياة . انني اموت فقيرا دون أن أترك لك ثروة أو نقودا ، غير انني كونت في حياتي صداقات حقيقية خالصة مع اناس عديدين ، عليك أن تعتمد على هؤلاء . انظر الى القوى المختلفة من حولك في منطقة الخليج تجد أنها قد تساقطت بسبب الظلم وسوء الادارة ولكن امارتي كانت دائها تقوى وتتسع . تمسك بسياستي ، ومع أنك محاط بقبائل كانت ذات يوم معادية، وي ما زائت حتى يـومنا هـذا مستقرة أو متحضرة ، فلسوف تنقدم مشيختك وتزدهر » .

وكان مما لفت نظر « بلي » ايضا وشد اعجابه في شخص الشيخ صباح بن جابر بن عبدالله الصباح سعة افقه واطلاعه على أمو كانت تجرى بعيدا عن دار حكمه . ذلك أن الشيخ وقومه كانوا على صلة عا يجري من أحداث أوروبا نتيجة لاطلاعهم على صحيفة عربية كانت تصدر في باريس ولعل هذا الاطلاع على الاخبار الاجنبية والمحلية وهو الامر الذي أدهش بلي (٢). وهو أمر مدهش فعلا .

هذا وكان لابد أن يسترعي النمو السريع الذي شهدته الكويت في اللك الحقبة انتباه القوى الاخرى في الخليج العربي لا سيما وأن الكويت قد اعتمدت اعتمادا كليا على سياستها الخارجية في تنمية اقتصادها وذلك نتيجة لقلة مواردها الطبيعية خاصة المياه مما جعل ميادين الكسب المادي تنحصر في التجارة وحركة النقل البحري والبري مع الجهات الخارجية بصورة رئيسية. وتبعا لذلك فقد اضطرت الى الاحتكاك بالقوى المحيطة بها سلبا وايجابا، فوقفت بعض القرى المجاورة منها موقف المعاداة بعد أن عجزت عن منافسة موانيها التي أثر ازدهارها على موانيء تلك الدول تأثيرا عكسيا،

لذلك اتجهت الى الانتقام منها ومهاجتها كلها سنحت لهم الفرص لتنفيذ خصومتهم (۱۲) بينها وقف البعض الآخر من القوى المحيطة بالكويت موقف اللامبالاة فلم يكن لها تأثيرا يذكر على نمو الكويت السياسي والاقتصادي ، بل لعل الكويت استفادت مما أصاب تلك القوى واستغلت نقاط ضعفها لصالحها فكانت مصائب قوم عند قوم فوائد ، ولابد لنا من معالجة طريقة تعامل الكويت وعلاقاتها مع هذه القوى كل على حدة لكي نتين كيف تمكنت الكويت من الصعود أمام جميع المخاطر والتحديات وكيف واصلت اطراد نموها وازدهارها وسط ذلك الزخم المتصارع من القوى الاكبر المحيطة بها الذي يتمثل ببلاد فارس والدولة العثمانية والشركات الانكليزية والمولندية والفرنسية وبني خالد بعد أن بزغ نجم الحركة الوهابية والمولية العربية .

قبيلة بني خالد:

هي أنبيلة كبيرة ومن أقوى القبائل العربية التي كانت تقطن السواحل الشمالية من الخليج العربي في ذلك الوقت وكان سلطانها يعد من شبه جزيرة قطر جنوبا حتى البصرة شمالا بمحاذاة ساحل الخليج من ناحية ووسط الجزيرة العربية من ناحية أخرى ولقد بقيت هذه القبيلة التي فرضت سيطرتها منذ أوائل القرن السادس عشر (1) وغت على شكل شبه تنظيم سياسي حين اصبح شيوخها بشكل رسمي هم حكام شرقي جزيرة العرب منذ القرن السابع عشر حين انتزعوا الحكم من الولاة العثمانيين حتى قرب نهاية القرن الشامن عشر حين استولى الوهابيون على ديار بني خالد.

ويرجع بنو خالد في اصولهم الى عرب الشمال والعدنانيين الذين تنزل قبائلهم في ديار نجد وساحل العدان الممتد الى اطراف الكويت الشمالية . ونظرا لنشأة الكويت في ظل حماية بني خالد ولكونهم هم أصلا أصحاب تلك البقعمة من الارض التي قامت عليها الكويت

Pelly: Remarks-74 (\)

⁽٢) د. أبو حاكمة ، تقس المصدر ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠١ .

⁽٣) رنده المصرى قطيئة ، في مجلة الوثيقة التاريخية البحرينية العدد الأول ، ص ١٨٩ .

⁽٤) د. جمال زكريا قاسم موقف الكويت من التوسع السعودي في نجد وسواحل الاحساء (مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) . المجلد ١٧ سنة ١٩٧٠ .

الحديثة حين منحوها للعتوب وسمحوا لهم بالاستقرار فيها واقامة حكمهم وامارتهم فيها ، لذلك رأينا أن نبدأ الحديث عن علاقات الكويت الخارجية بالتبطرق لعلاقتها بحماتها بني خالد في ديار حكمهم في منطقة الحسا وشرقي الجزيرة العربية حيث كان بمقدورهم أن يتحدوا تحرشات جميع القوى الخارجية الخطرة مما أتاح الفرصة للكويت في ظل هذا الامن الخالدي أن تنشأ وتترعرع بدون خوف . (1)

أما عن نوع العلاقة التي قامت بين العتوب وبني خالد فعلى الرغم من نظرة المؤرخين المعاصرين على أن الكويت قد خضعت خضوعا مباشرا لحكم بني خالد اعتمادا على روايات بعض الرحالة المذين زاروا المنطقة في ذلك الوقت مثل « نيبور » Carsten Niebuhr الذي لم يزر الكويت وانما سجل ملاحظاته اعتمادا على ما سمعه عنها حيث يقول نيبور (غرين) محكومة من شيخ معين ــ تابع لشيخ الاحساء لكنه يطمح بالاستقلال . وفي مثل هذه الحالات وحين يتقدم شيخ الاحساء بمتاتليه يتراجع سكان غرين بممتلكاتهم الى جزيرة فيلكا الصغيرة » (٣) .

غير اننا نشك في تبعية الكويت المباشرة لبني خالد في أي وقت من الاوقات ، وذلك أن اعتداد المؤرخين فيها ذهبوا اليه بهذا الخصوص على الرحالة الاوروبيين يجعل الامر موضع شك فنظرة الرحالة لم تكن سحيحة فيها يتعلق بالتبعية المباشرة أو غير المباشر لعدم تفهمهم الكامل لطبيعة الحكم القبلي التي تختلف اختلافا كليا عن نظم الحكم الاوروبية للبلاد التي جاءوا منها . كها أن فترة بقائهم في المنطقة دائها تكون قصيرة جدا ولا تتعدى المرور وقد يبنون أحكامهم على السمع دون أن يزوروا البلاد التي يتكلمون عنها مشل حالة الرحالة نيور والرحالة بكنجهام وغيرهما ونظرا لعدم الاهتسام بدراسة تاريخ المنطقة في تلك الفترة وعدم وجود المؤلفات الاوروبية بلغاتهم التي تعينهم على دراسة أحوال المنطقة ونظمها فغالبا ما تكون بلغاتهم التي تعينهم على دراسة أحوال المنطقة ونظمها فغالبا ما تكون

احكامهم قاصرة وغير مسلم بها لا سيها اذا صدر الحكم على أمور غريبة عنهم في بلاد لم يقوموا بزيارتها أصلا .

فبالنسبة لما ذكره نيبور عن حكم بني خالد المباشر للكويت فلم نجد في الاحداث المحلية ما يثبت هذا الحكم المباشر بصورة فعلية . كما لم يسجل لنا التاريخ هجمات لبني خالد على الكويت وحروب قاموا بها اثناء محاولاتهم لاستعادة سلطتهم على الكويت أو لمجابهة محاولات شيوخ الكويت للاستقلال ، والتي يذكر نيبور أنه في حالة وقوعها يتراجع سكان الكويت (غرين) الى جزيرة فيلكا . وبالتالي لا يمكن الاعتماد على ما ذكره الرحالة الاوروبيون بهذا الخصوص في الوقت الذي يمكن الاعتماد على ما سجلوه عن أحوال المدينة بصفة الوقت الذي يمكن الاعتماد على ما سجلوه عن أحوال المدينة بصفة عامة من خلال مشاهداتهم الشخصية وعلى ما تعرضت اليه المدينة من أحداث وقعت أثناء تواجدهم سواء كانت هذه الاحداث داخلية أم من أحداث وقعت أثناء تواجدهم سواء كانت هذه الاحداث داخلية أم خارجية . كما أن نيبور نفسه عاد وأكد تمسك الكويتين باستقلالهم فرين شيخ الاحساء واشار الى الحكماء الكويت كان يمارس استقلاله بالرغم من تبعيته لشيخ الحكماء الم

والى جانب ذلك فان « نيبور » عندما أشار الى تبعية شيخ الكويت لحكام الاحساء لم يبين نوع التبعية التى يقصدها فقد يكون القصد من اشارات « نيبور » نوع من التبعية الأسمية وأن شبوخ بني خالد يحاولون تأكيدها وتحويلها الى تبعية فعلية في أوقات قوتهم وهذا أمر لا نختلف معه عليه . فقد كانت الكويت تعترف بنوع من التبعية الاسمية لبني خالد . وتستظل بحمايتهم التي كانت في حاجة ماسة لها في بداية نشأتها ، تماما كها هو الحال بالنسبة للدولة العثمانية .

ونستطيع أن نؤكد أن حماية بني خالد للكويت كانت شكلية وأن الكويت كانت تحكم منذ البداية بواسطة حكامها من آل الصباح وذلك من خلال اتفاقية الصداقة وحسن الجوار التي عقدها حكام بني

١١ د. أبو حاكمة ، نفس المصدر ، ص ١٩ ـ ٢١ .

⁽٢) غرين أو القرين : ــ الاسم الذي كان الاوربيون يطلقونه على الكويت .

Carsten Niebuhr, Travel through Arabia and of the countries in the East, franslated by Robert Heron, Vol. 2 (Edinburgh and London, 1972) p. 127.

Neibuhr, Op. cit., vol. II, p. 103 ft. (\$)

خالد مع الشيخ عبدالله بن صباح الأول نيابة عن والده وحددوا بواسطتها نوعية العلاقة التي تربطهم بالكويت وبآل صباح في الفترة الأولى لاستقرار العتوب في الكويت. فلو كان الأمر كها تصور البعض وكانت الكويت تابعة مباشرة لبني خالد وتحكم من قبل الحكام في تلك الاسرة لما احتاج الامر الى عقد اتفاقية مهها كان نوعها مع شيخ الكويت، ولما كانت لمذلك الشيخ أصلا صفة تخوله عقد معاهدات والدخول في اتفاقيات كشيخ أو حاكم للكويت.

كها أن تبعية الكويت المباشرة لبني خالد تتعارض مع ما ذكرته الرواية المحلية من ذهاب الشيخ صباح الاول على رأس وقد من العتوب عند استقرارهم الى الولاة العثمانيين في العراق لتقديم الولاء والتأكيد على أنهم سيحافظون على الأمن والسلام في المنطقة ولن يسلكوا أى مسلك يخالف ذلك.

هذا وقد كانت علاقة العتوب ببني خالد ودية حتى قبل أن بستقروا بالكويت حيث اشترك العتوب مع بنى خالد في فتح القطيف عام ١٦٧١م، (الموافق ١٠٨٢هـ)، مما جعل الامير براك بن عربعر ينعم عليهم بنخيل (بستان من النخيل) في القطيف مكافأة لهم (١٠). الى جانب أنهم سمحوا لهم بالاستقرار في قطر الخاضعة لهم وفي ظل حكامها من آل مسلم ثم استجابوا لطلبهم وأذنوا لهم بالاقامة في الكويت مع منحهم حمايتهم في مواجهة المخاطر التي تحيط بهم في تلك الفترة.

وهكذا كانت العلاقات الاولية بين بنى خالد والعتوب ودية للغاية فقد اعتمد العتوب في نمو مستقرهم الجديد السريع بشكل كبير على حماية بني خالد وتشجيعهم للتجارة وهذا ما أكده وكلاء شركة الهند الشرقية في تقاريرهم المرسلة من الخليج الى بومباي ولندن حين أشاروا الى حرص أمراء بني خالد على استتباب الأمن والسلام في ديارهم حتى تكون الطرق التجارية متمتعة بالطمأنينة والأمان (٢).

وفي الوقت الذي تركزت فيه السلطة السياسية في ساحل جزيرة

العرب الشرقي بيد بني خالد في النصف الاول من القرن الشامن عشر، كانت بلاد نجد منقسمة على نفسها، اذ أن الوحدة منعدمة بين سائر مدنها ، فكل أمير كان مستقلا استقلالا تاما يتصرف في شئون مدينته كها يشاء ، حتى حين ظهرت قوة الـدرعية عـلى حيز السياسة العامة في نجد عام ١٧٤٥ ، بعد لجبوء (محمد بن عبدالوهاب) اليها وتحالفه مع محمد بن سعود على نشر دعوت. ، وأقامة دولة الموحدين في نجد ، فان تلك القوة الجديدة التي اخذت في الامتداد بحماس لم تستطع الوقوف من بني خالد موقف المهاجم ، بل وقفت منها موقف المدافع وعلى مدى عشرين سنة (٢٣) ..وقد أبدى شيوخ بني خالد في مناسبات كثيرة عداءهم للحركة الوهابية منذ أن قامت وكانوا على جانب كبير من القوة بحيث كان بمقدورهم أن ينقلوا المعركة دائما الى قلب نجد واستمر وضعهم على ذلك من القوة والتحدى حتى بدأ مركزهم يتعرض للانهيار السريع، نتيجة اللصراعات الاسرية التي انهكت قواهم ، والتي قد يكون للسعوديين دخل كِبير إني اثارتها ، في الوقت الذي اشتدت فيه هجمات الوهابيين على أرض الاحساء ، ابتداء من عام ١٧٦٥ وزاد سعيرها بنوع خاص عام ١٧٩٣م (١٢١٨هـ) حتى تم لهم القضاء النهائي على نفوذ بني خالد في الاحساء وَشرقي الجزيرة العربية عام ١٧٩٥م (١٧١٠هـ) ، حين وصلت اسرة بني خالد الى درجة من الاعياء الداخلي ، فضلا عن أنها اصبحت غير قادرة على التصدي للتحركات السعودية المتتالية ، والتي أتصفت بطابع شديد من العنف والقوة (٤) .

وكان بنو خالد قبل سقوطهم وفي الفترة الاولى لاستقرار العتوب قد سعوا الى ربط الكويت بعجلتهم فاتصلوا بشيخها (صباح بن جابر) وعقدوا مع ولده عبدالله اتفاق صداقة وحسن جوار حصل بمقتضاه (آل صباح) على اعتراف من حكام الاحساء لهم بحكم الكويت واتفقوا معمعلى أن يصادقوا اصدقاءهم ويعادوا خصومهم وحدوا تبعية العشائر القائمة على الحدود بين الجانبين وفق رغبة (الخوالد). ويبدو أن الشيخ صباح قبل بهذا الاتفاق رغم ما تضمنه

⁽١) الشيخ عبد الله ابن خالد أل خليفة تعليق على مقالات البحرين قديماً وحديثاً لسيف مرزوق الشملان ـ مجلة الوثيقة العدد الثالث ـ السنة الثانية .

⁽٢) جاكين بيرين ، كنشاف جزيرة العرب ، ص ١٦٥ .

⁽٣) د. أبو حاكمة ، نفس المصدر ، ص ٤٦ .

⁽١) د. جمال زكريا ، المصدر السابق ، ص ٩٤.

من قيود ، على أن تتاح له الفرصة مستقبلا للتخلص منه وقد تحقق ذلك بالفعل عندما نجح السعوديون الموحدون في الاطاحة بحكم بني خالد فتخلصت الكويت من شروط الاتفاق المذكور (١١) ولكن كان لايد أن تتأثر الكويت من هجمات الوهابيين المتشددة على بنى خالد وكان تدهور أوضاع الاخيرين لابد أن يؤدي الى تعرض العتوب في الزبارة والكويت الى خطر محقق يتأتى عن هجوم الوهابيين المنتظر.

وما لا شك فيه أن بني خالد كانوا الحاجز الكبير الذي حفظ الكويت من الخطر الوهابي حتى نهاية القرن الثامن عشر. غير أنه بسقوط بني خالد صار اخضاع السعوديين للكويت بعد عام ١٧٩٣م أمراً كثير الاحتمال. وبالفعل شهدت السنوات التالية لسقوط الاسرة (الخالدية) هجمات سعودية متكررة على الكويت اشتدت في عنفها وتصلبها طوال فترة اقامة الوكالة الانكليزية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية بالكويت (١٧٩٣ ـ ١٧٩٥م).

وكان من الطبيعي ان يطالب السعوديون بتسلطهم على المناطئ المخاضعة لنفوذ بني خالد والتي ترتبط بهم بأي شكل من الأشكال المساحل الشمالي للخليج العربي . ولكن امارة الكويت استيميت الساحل الشمالي للخليج العربي . ولكن امارة الكويت استيميت استيميت من قبل السعوديين اصحاب القوة المتسلطة على سواحل الخليج من قبل السعوديين اصحاب القوة المتسلطة على سواحل الخليج العربي . فلم يؤد سقوط اسرة بني خالد والقضاء على نفوذهم الى اخضاع الكويت وتقويض استقلالها بل يمكن أن نذهب الى أكثر من ذلك فنقرر باطمئنان ان سقوط بني خالد كان عونا كبيرا في انطلاق الكويت نحو مرحلة جديدة من مراحل استقلالها وتدعيمه وتأكيده فعلى الرغم من أن آل صباح تمكنوا من محارسة نفوذهم المستقل في مستقرهم الجديد الا أنهم في المراحل الاولى من بدء استقرارهم في وطنهم الجديد الذي اتخذوه بنوع من التبعية لحكم بني خالد ولو كانت تلك التبعية اسمية ، ولذلك كان من المتوقع حينها داهت بني خالد

الغزوات السعودية في الفترة من ١٧٨٥ الى ١٧٩٥ أن يبادر التابع لنجدة متبوعة ، لكن الشيخ عبدالله بن صباح كان مترددا بين أمرين :

الأول: تقديم العون لبني خالد والانضمام لهم في حربهم مع السعوديين ومعتى ذلك أن يستمر على ولاته لهم.

الثاني : مساعدة السعوديين في إسقاط أسرة بني خالد .

وقد يكون الشيخ مقدرا أن الأمر الثاني سيترتب عليه انطلاق الكويت في احدى المراحل الهامة لتأكيد استقلالها وتخلصها من أي نوع من التبعية لبني خالد، إلا أنه مما لا شك فيه أن الشيخ عبدالله كان يدرك في ذات الوقت قوة الضغط السعودي لا سيها في تلك المرحلة التي اندفع فيها الموحدون بشكل تعصبي بالغ بهدف نشر الدعوة الوهابية في سواحل الخليج العربي وما سيترتب على ذلك بالضرورة من تعرض امارته لخطر مجاورتها لنفوذ السعوديين في الأحساء، خاصة وأن الشيخ بدأ يحس بالآلام التي يتعرض لها شعبه نتيجة تعرض الكويت بشكل واضع وجدي لمناوشات السعوديين لتياسية خصوصا بعد قدوم القائد السعودي ابراهيم بن عفيصان بجماعة من قبائل الخرج والعارض والسدير الى الكويت وقيامه بعجماعة من قبائل الخرج والعارض والسدير الى الكويت وقيامه الشيخ عبدالله أن يبدو في مسلكه وقوفه على الحياد في الصراع الدائر ولكن من المؤكد أنه كان يتعاطف مع القوتين المتحالفتين وها العثمانيين وبنى خالد في صراعهها ضد السعوديين (3)

وكان تقدير شيخ الكويت أن امارته تتمتع باستقلال ذاتي في ظل العثمانيين وبني خالد ولكنه لا يضمن أن تستمر مشيخته متمتعة بذلك الاستقلال في ظل السيطرة السعودية ، على أنه من ناحية أخرى كان حريصا على ألا يظهر من خلال تقديم الكويت عونها للعثمانيين وبني خالد تأكيدا لتبعيتها لهاتين القوتين ، لذا قرر أن

⁽١) د. بدر الدين الخصوصي الأهمية الاستراتيجية للكويت في العصر الحديث دراسة منشورة في مجلة كلية الآداب جامعة الكويت العدد السادس ديسمبر ١٩٨٤ . ص ٨وما مردها

⁽٢) د. جمال زكريا ، تقس المصدر ، ص ٩٦ .

⁽٣) لا. عثمان بن سند، سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد، ص ٨.

⁽٤) للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع آلى مقال الأب انستاس الكرملي عن الكويت في مجلة المشرق ، العدد العاشر لسنة ١٩٥٢ ، ص ٤٥.

يكتفى بتقديم المساعدات لشيخ المنتفق الذي كلف من قبل والي بغداد باعداد قوة كبيرة بالتحالف مع شيوخ بني خالد لمقاتلة السعوديين وتم ذلك بالفعل حين جع الشيخ عبدالله جميع امكانيات الكويت البحرية في خدمة العمليات الحربية، واستخدمت السفن الكويتية لنقل قسم كبير من قوات الشيخ ثويني الى الاحساء ، إلا أن النتيجة لم تكن طيبة ومشجعة على أيـة حال(١١)، إذ تفرقت تلك القوات وقتل ثويني في احدى المعارك الطاحنة التي نشبت بينه وبين السعوديين(٢)، وعقب ذلـك نجح السعـوديون في الاستيــلاء على الاحساء وتأكيد نفوذهم في المقاطعات الشرقية للجزيرة العربية. مما ترتب عليه أن أصبحت الكويت ملامسة للقوة السعودية التي راحت تتاخمها من الجنوب. وعلى السرغم من أن الكويت استفادت من سقوط أسرة بني خالد على المدى الطويل في تأكيد استقلالها والتخلص من الارتباط الذي كان قائها بينها وبين هذه الاسرة في عهد الشيخ صباح الأول ـ والذي أشرنـا اليه سـابقا ـ إلا أن شيــوخ الكويت اعتبارا من ذلك التاريخ أخذوا يتعرضون لهجمات سعوديد مباشرة وعنيفة^(٣).

ولما كانت مدن العتوب ودويلاتهم الصغيرة قد نشات وتأسست في ظل حماية بني خالد وأن هذه المدن عندما نحت وازدادت أهميتها وتوسعت وضمت إليها أراضي جديدة بفتح البحرين بعد الزبارة ولما لم يرد ما يفيد تغيير مسلك شيوخ بني خالد تجاه زعاء العتوب في كل من الكويت والزبارة والبحرين. لذا فقد استمرت العلاقات الودية قائمة بين بني خالد والعتوب بل ان الأخيرين قدموا مساعدتهم لبني خالد في اللحظات الأخيرة من تاريخ حكم بني خالد. وما الاقامة المؤقتة لزيد بن عربعر في الكويت عام حكم بني خالد. وما الاقامة المؤقتة لزيد بن عربعر في الكويت عام الاصاء في منطقة الاحساء إلا مثالا على تقديم الكويت المساعدة أراضيه في منطقة الاحساء إلا مثالا على تقديم الكويت المساعدة

للخوالد وكذلك براك بن عبدالمحسن عام ١٧٩٥، عندما هرب من الاحساء لنفس السبب ولا شك أن الكثيرين من سكان الاحساء الذين هربوا اتقاء لخطر الوهابيين قد لجأوا الى مدينة الزبارة الحصينة كما أنه من المؤكد أن قبائل بني خالد البدوية كانت تتجه صوب أراضي الكويت شمالا كلها هزمها الوهابيون، أما الحضر من بني خالد فكانوا يتجهون بمراكبهم الى الزبارة والأماكن الساحلية خالد فكانوا يتجهون بمراكبهم الى الزبارة والأماكن الساحلية المشابهة لها، وكان العتوب يتصرفون في تلك الأحوال وفقا للقواعد العربية القاضية بحماية المستجير في ذات الوقت الذي كانوا يزيدون فيه من قواتهم المقاتلة واستعداداتهم الحربية نتيجة لادراكهم أن دورهم لا شك قادم لا سيها بعد قبوهم لأولئك اللاجئين نما جعل السعوديين يعملون بوضوح في سبيل اخضاع الدويلات العتبية لسلطانهم.

العلاقات بشركة الهند الهولندية:

قامت علاقات ودية وثيقة بين شركة الهند الشرقية الهولندية التي أقامت لها مستعمرة في جزيرة خرج الايرانية وبين الكويت . فقد قامت صداقة بين رئيس الوكالة التجارية الهولندية البارون ينفهاورن (Kniphausen) والشيخ عبدالله بن صباح شيخ الكويت (وقد بلغت هذه الصداقة الى حد التأثير على علاقة الكويت بالشركة (التي قويت وأدت الى قيام تعامل وترابط كبير بين الطرفين الى درجة دعت بعض الرحالة الاوروبيين الذين زاروا بين الطرفين الى درجة دعت بعض الرحالة الاوروبيين الذين زاروا بين المنطقة مثل الدكتور ايفز (Ives) الى الاعتقاد بأن شيخ الكويت يدين للبارون بالشيء الكثير أو أنه واقع تحت نفوذه متخذين من طريقة تصرف البارون مع الشيخ حين قام بالتفاوض معه لتسهيل مرور الدكتور ايفز ورفاقه عبر الكويت الى حلب دليل خضوع مرور الدكتور ايفز ورفاقه عبر الكويت الى حلب دليل خضوع الشيخ لنفوذ البارون كها زعم لورغر (Lorimer) وربا وقع الأخير

⁽١) د. جال ، نفس المصدر ، ص ٩٦ ـ ٩٧ .

⁽٢) حسين بن غنام ، روضة الأفكار والاقهام ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ وما بعدها .

⁽٣) لوريمر ، دليل الخليج ، جـ٣ ، ص ١٥٠٨ .

⁽٤) خالد المسعود الزيد، المصدر السابق، جد١، ص ٢٣.

⁽٥) خالد المسعود الزيد، نفس المصدر، جـ ١، ص ٣٧ ـ ٤٠.

المقصود بالتأثير هنا هر أن الصداقة القائمة بين البارون وشيخ الكويت قد انعكست على توطيد العلاقات الودية بين الكويت والشركة وليس كها قد يتبادر للذهن من أن البارون كان له بعض التأثير على الكويت من خلال صداقته للشيخ .

في الخطأ بعد أن قرأ حرفية الكلمات التي أوردها ايفز من أن الشيخ لم يكن واقعا تحت تأثير البارون »، ففي الحقيقة أن الشيخ لم يكن تابعا للبارون بحال من الأحوال وأن ما قام بينها من علاقات كانت قائمة على قدم المساواة ، وبهدف المنفعة والمصالح المشتركة ، فالبارون والشيخ كانا يستفيدان من نقل التجارة عبر الصحراء على الجمال بطرق تتجنب المرور بالبصرة . وكان الغرض من تجنب البصرة أن لا يستفيد متسلمها من المكوس الجمركية التي كان يفرضها على البضائع المارة بمدينته لا سيها وأن البارون يكن للمتسلم شيئا من الكراهية نتيجة خروجه من البصرة قبل سنوات قليلة مطرودا على أثر الخلاف الذي نشب بينه وبين ذلك المتسلم . وهذا ما جعل المبارون فائدة قصوى من جراء خسران المتسلم لتلك المكوس كبرى من ذلك الخلاف ويعمل على تصعيده نظرا لتحول الكثير من البضائع فيها بدلا من البصرة ، وكانت هذه البضائع تصدر الى الشاخ البضائع فيها بدلا من البصرة ، وكانت هذه البضائع تصدر الى الشاخ وأد , و با(۱).

ومن حادثة الدكتور الأبغز» وغيرها يتضح لنا قيام علاقات كبيرة بين شركة الهند الشرقية الهولندية وبين الكويت وأنّ هنده العلاقات قائمة على التعاون في المجال التجاري وقيام صفقات تجارية متعددة بين الجانبين . إلا أننا لا نستطيع تحديد حجم هذا التعاون التجاري على وجه الدقة بالرغم من تأكدنا من وجوده . والى جانب الممارسات التجارية التي قامت بين الطرفين فان هناك نشاطا كبيرا تعاون خلاله الجانبان في نقل التجارة عبر الصحراء وبواسطة البحر من الكويت الى حلب وأوروبا . فقد أصبحت الكويت في وشرقي الجزيرة العربية . فكانت القوافل المارة بالكويت تحمل معها وشرقي الجزيرة العربية . فكانت القوافل المارة بالكويت تحمل معها بضائع الهند التي كانت تصل الكويت على السفن الكويتية التي كانت تحمل معها الى جمانب البضائيع الركباب المسافرين الى حلب ممن يكونون قد وصلوا شمال الخليج قادمين من الهند أو جنوب الخليج "ك

ولا شك أن هذه التجارة عبر الخليج الى الهند وذلك النشاط في حركة البضائع والأفراد التي تحملها سفن التجار الكويتية ثم القوافل الى الكويت تشكل مصدر الدخل الأكبر بالنسبة للكويت.

وبصفة عامة فقد استفادت الكويت فائدة كبيرة من المساهمة في النشاط التجاري الملحوظ لشركة الهند الشرقية الهولندية في ذات الوقت الذي استفادت به فائدة أكبر من التعامل من شركة الهند الشرقية الانكليزية التي بدأ نجمها في الارتفاع ابتداء من ذلك الوقت حتى تمت لها السيطرة الكاملة على النشاط التجاري والاقتصادي في الخليج في القرن التاسع عشر بعد أن تمكنت من القضاء على منافسة القوى الاوروبية الأخرى لها ثم أخذت تمارس فسرض نشاطها السياسي في المنطقة في الفترة اللاحقة .

ومن الجانب الآخر فقد استفادت شركة الهند الشرقية المولندية من البعلاقات الطيبة التي نشأت بينها وبين الكويت بصورة كبيرة في اقامة تعامل تجاري معها فعقدت معها صفقات كبيرة بهذا الصدد في محاولة للاستعانة بالكويت كمركز لتصريف بضائعها واتخذت من تجار الكويت واسطة لهذا الغرض كها اتخذت من الكويت محطة لقوافلها المارة عبر الصحراء الى الشام وحلب ثم الى أوروبا . كها لم تقل أهمية ميناء الكويت البحري عن طريقها الصحراوي فارتادته سفنها وحملت السفن الكويتية بضائع الشركة من الهند الى الأسواق الأخرى في الجزيرة العربية والعراق والشام وأوروبا .

لذلك كله كانت للكويت أهية خاصة في نظر الشركة ومسئوليتها وتجلى هذا الاهتمام بوضوح في تقارير أولئك المسئولين الحاقلة عن الكويت والتي لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وعنيت بها مما ترك لنا مادة علمية مهمة جدا عن تاريخ الكويت في تلك الحقبة من الزمن التي لم نجد فيها من يهتم بالكويت ودراسة تاريخها إلا قلة من الرحالة الاوروبيين الذين طافوا في المنطقة . وهذا ما صعد فسائدة تقارير مسئولي شركة الهند الشرقية الهولندية ومن هذه التقارير تقرير

⁽١) د. أبو حاكمة ، المصدر السابق ، ص ٣٠.

Dr. Ives, Voyages 201-216. (Y)

« نيفهاوزن » مدير الشركة ومساعده السالف الذكر عن المسطقة الساحلية للخليج والذي اهتم بالكويت جشكل خاص $^{(1)}$.

ولا شك أن ذلك الاهتمام من أولتك المسئولين راجع الى تقديرهم لأهية الكويت بالنسبة لتجارة شركتهم وذلك نظراً لموقعها الاستراتيجي الممتاز على خط مواصلات الشركة البحرية والبرية ولمهارة تجار الكويت ونشاطهم في مجال النقل للأفراد والبضائع.

ولم ينحصر اهتمام شركة الهند الشرقية المولندية بالكويت على النواحي التجارية ونشاط النقل البري والبحري بل شمل هذا الاهتمام مجالات أخرى كثيرة فقد قام «فان نيفاوسن» (المقيم السياسي المولندي في البصرة) بتخطيط لتعدين الكبريت في الكويت وذلك عام ١٧٥٤(٢).

وبهذا نجد أنه كانت لشركة الهند الشرقية الهولندية اهتمامات كبيرة شملت مجالات كثيرة ومتعددة مما دفع الشركة الى اقامة علاقات ودية وثيقة مع الكويت.

ومهها كانت لشركة الهند الشرقية الهولندية من آمال باقامة مشاريع في الكويت إلا أن بريطانيا تمكنت من تبديد هذه الآمال تدريجيا حين استطاعت السيطرة على تجارة الخليج والتحكم بحركة النقل فيه وعبر أراضيه الصحراوية والقضاء على المنافسة الاوروبية لها في هذه المجالات وفق خطوات عملية ومدروسة باتقان حتى تمكنت في النهاية من القضاء على منافسة كافة الأطراف، وأولها حليفه الأمس هولندا وحكمت حلقات نفوذها ومصالحها في الخليج الذي غدا أشبه بالبحيرة الانكليزية وذلك بعد أن عقدت الاتفاقيات المانعة مع دوله وعن طريق تلك الاتفاقيات غير المتكافئة حصلت على استكارات كاملة لكافة المصالح الحيوية في دول الخليج العربي وكانت اتفاقيتها المانعة (الحماية) مع الكويت عام ١٨٩٩٩ م.

علاقة الكويت بالدولة العثمانية:

تعتبر الكويت أقرب امارات الخليج العربي للدولة العثمانية في العراق إلا أنه لم يثبت وجود سيطرة عثمانية فعلية عليها. وقد اقتصر الأمر على مجرد نبوع من التبعية الاسمية، وذلك أن المستوطنين الأول في الكويت من العتوب بزعامة آل الصباح لم يجدوا مناصا من تأمين مركزهم بالاعتراف بشيء من الولاء للوالي العثماني في العراق (٣). وذلك في بداية مرحلة استقرار العتوب في الكويت (١٤ وبذلك أقرت الكويت للدولة العثمانية نوع من السيادة الاسمية دون أهمية تذكر لتلك السيادة ولا تدخل من جانب الدولة العثمانية في الشتون المحلية (٥).

وكان التحرر من التبعية العثمانية عامل سائد ومؤكد في سياسة شيوخ الكويت في غضون القرن الثامن عشر^(٦)، وحتى بعد منتصف القرن التاسع عشر (١٩٦٩م) وحتى حين يتعرضون للخطر الخارجي فاتهم لا يلجنون الى الدولة العثمانية وإنما يعتمدون على أنفسهم في ود ذلك الخطر، وهذا ما حدث حين تعرضت الكويت للهجمات الوعابية في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

ولتأكيد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية فاننا نجد أن هناك حتى من المسئولين العثمانيين أنفسهم من يعترف بهذا الاستقلال فمثلا نجد مدحت باشا (والي بغداد منذ ١٨٦٩م) اعترف باستقلال الكويت وذلك بالرغم من أنه كان يعمل منذ توليه ولاية بغداد على تنظيم علاقة العراق العثماني بالخليج العربي بحيث يضمن سيادة الدولة العثمانية على الكويت وبقية امارات الخليج العربي والجزيرة العربية . وقد جاء اعتراف مدحت باشا في مذكراته (ترجمة حالة) (٧) حين ذكر في معرض وصفه لأحوال الكويت « ومع أن جميع حالة) (٧) عين ذكر في معرض وصفه لأحوال الكويت « ومع أن جميع أهلها مسلمون إلا أنها لم تكن مرتبطة بأية جهة ، وبالرغم من

⁽١) ترجمة التقرير عن الهولندية والمنشور في مجلة الوثيقة التاريخية البحرينية ــ العدد الثالث ــ ص ١٥.

⁽٢) مجلة الوثيقة التاريخية البحرينية ، (مؤتمر البحرين عبر التاريخ)، جــ ٣ ، ص ٦٧ .

⁽٣) د. جمال زكريا قاسم - الخليج العربي (دراسة لتاريخ الامارات العربية) ، ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ـ ص ٢٥٥ ـ القاهرة ١٩٦٦ .

⁽٤) د. مصطغى النجار ـ التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي ـ ص ٣٨ (منشورات مركز دراسات الخليج) ـ البصرة ـ عام ١٩٧٥ .

 ⁽٥) سيد نوفل ـ الأوضاع السياسية لامارات الخثيج العربي ـ ص ١٥٢ ـ ١٩٥٣.
 F. O. /78/5113 India Office to Foreign Office, 24 March 1987.

٧١) مذكرات مدحت باشا (ترجمة حالة) من وثائق وزارة الخارجية الكويتية .

محاولات نامق باشا الواني السابق لالحاقها بالبصرة وتشبثه بادارتها عن طريق تكليف أهلها بقبول ذلك ، إلا أنها لتمتعها بادارة مستقلة مستثناه مجردة من جميع التكاليف ، وخشية من تحميلهم الضرائب ورسوم الجمارك لم يسوافقوا على تغيير حالهم وفضلوا البقاء على وضعهم ... وبالنظر لمساعدة موقعهم الجغرافي فانهم يؤلفون مملكة أشبه ما تكون بالجمهورية حيث يحكمون أنفسهم بأنفسهم منذ القدم .. وكانت سفنهم تبحر للتجارة غالبا تحت الراية الخاصة بمملكتهم (۱) إلا أنهم يضطرون في بعض الأحيان الى رفع العلم الفلمنكي (الهولندي) تارة والانكليزي تارة أخرى لتأمين سلامتهم ».

وقد أكد مدحت باشا جميع ماذهبنا اليه من استقلال الكويت عن كافة الأطراف حتى عن الدولة العثمانية نفسها ودعا الى ايجاد التنظيمات التي تجعل الكويت ولاية مستقلة ذاتيا من ولايات الدولة العثمانية مع اعفاءها من الضرائب والمكوس وذلك في رسالة منه الى الصدر الأعظم (٢). فرفع الصدر الأعظم ما جاء في رسالة مدحت باشا الى السلطان (٣) الذي استحسنها وأصدر الموامرة بتنفيذها (٤) ونظرا لوقوع هذه الأمور في وقت لاحق لفتزة دراستنا لذا فلن نتناوها بالتفصيل. وبالاضافة الى هذا الاعتراف من أحد كبار المسئولين العثمانيين (مدحت باشا والي بغداد) فائنا نجد عدم وجود دلائل للتبعية العثمانية في الكويت مثل الدفع الضريبي أو الجزية من الكويت للدولة العثمانية. وعدم وجود حاميات عسكرية أو مراكز عسكرية عثمانية (٢). عدم وجود أي موظف رسمي عثماني في الكويت بل أن الشيخ مبارك رفض في وقت لاحق

محاولة الدولة العثمانية لتعيين مديرا عثمانيا لميناء الكويت ($^{(V)}$). كما أن شيوخ الكويت ألجأوا الثائرين على السلطات العثمانية ($^{(A)}$) سنرى وهذا دليل واضح لاستقلالها عن الدولة العثمانية ، وظل أمراء يوجد أي اتصال فعلي بين الكويت والدولة العثمانية ، وظل أمراء الكويت بمنأى عن السيطرة العثمانية يشكلون وحدة مستقلة حرصت على حربتها وازدهار تجارتها ($^{(P)}$).

إن هذا الاستقلال لم يمنع وجود تعاطف ومودة من شيوخ الكويت للدولة العثمانية على أساس تقارب روحى انطلاقا من كونها دولة الخلافة . ومن كون السلطان يمثل رأس العقيدة الاسلامية . وهذا ما نلمسه من خلال تتبعنا للأحداث ومن ذلك ما نجده من تعاطف الكويت مع البصرة أثناء الحصار العثماني لها (١٧٧٥ ـ ١٧٧٦م) فعملي الرغم من اضطرارها للوقموف موقف حيمادي درءاً للخطر الفارسي عن الكويت بل وتقديمها بعض المساعدات للفرس على مُضِّض كتلك التي قدمتها لمساعدة صادق خان (قموة قوامهما مائتي رجل) فأن ذلك لم يكن عن طيب خاطر بل أن تعاطفها كان مع الدولة العثمانية وكثيرا ما استقبلت مراكبها للاصلاح في ميناء الكويت (١٠٠). عيما نجد ذلك التعاطف من خلال تقرب شيوخها للدولة العتمانية ورفعهم الراية العثمانية عام ١٨٣٦م على قصرهم وذلك نتيجة لمحاولات بذلها الانجليز لمد نفوذهم الى امارتهم (١١١) ومع ذلك فان رفع الكويت للراية العثمانية لم يعن اعترافها بالسيادة العثمانية بـل انها وبقية امـارات الخليـج (كما يـذكـر كمبـول) "Col." "Kemball المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي ، كان من الصعب على سفنها أن تبحر تحت أعلامها الخاصة نظراً لعدم وجود

⁽١) قد يقصد بالراية الخاصة ، الراية العثمانية مع وضع كلمة « كويت » على أحد جانبيها تمبيزاً لها أو هي الراية الخاصة بالفعل أي الراية الحمراء تتوسطها كلمة « كويت » . (٢) رسالة من والى بغداد الى الصدر الأعظم (ص ١ ، م ١) من دفتر المهمة العثماني بتاريخ ٨ ذي القعدة ٢٨٦هـ / يناير ٢٨٦٩م .

٣١) كتاب من الصدر الأعظم الى السلطان العثماني بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٦هـــ ١٨٦٩م .

⁽٤) كتاب من رئيس كتاب الى الصدر الأعظم رداً على كتابة السَّلطان وذلك في ٢٦ ذي الحجة ١٢٨٦هـــ ١٨٦٩م.

F. O. 78/5113 Viceroy to Foreign Office, telegraphic 12 Feb. 1899. (6)

F. O. 78/5114 From Sir O'Connor to the Marquis Salisbury, No. 449 9 Sept. 1899, Secret. (3)

F. O. 78/5114 Foreign Office to Viceroy No. 6 Secret, 9 Sept. 1899. (Y)

⁽٨) د. جال زكريا قاسم ـ المصدر السابق ـ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

٩١) البيان الثالث لحكومة الكويت (عِناسبة مطالبة عبد الكريم قاسم بضم الكويت) الصادر بتاريخ ١٩٦١/٧/١٥ .

⁽١٠١) د. مصطفى أبو حاكمة - المصدر السابق - ص ٧٧ - ٧٨ .

⁽١١) حافظ وهبة - جزيرة العرب في القرن العشرين - ص ٨٣ .

اعتراف دولي بهذه الأعلام. كما أن علم الدولة العثمانية لم بكن يقترن في الأذهان بالدولة العثمانية بل انه يمثل الراية الاسلامية وهي مظهر روحي لاحترام دولة الخلافة الاسلامية(١).

وأكد كمبول استقلال الكويت عن الدولة العثمانية حيث استدل من واقع الأمور أن سكان الكويت قاومــوا بنجاح جميــع المحاولات التي بذلت لجعلهم تحت السيادة العثمانيــة وتحت نفوذ القضاء العثماني وأنهم حافظوا على استقلالهم. وأشار كمبول الى أنه حقيقة أن سكان الكويت يعترفون بالسيادة العثمانية إلا أن ذلك لا يتعدى كونه اعترافا اسميا (٢). هذا وكانت علاقات الكويت بالدولة العثمانية ودية على الدوام لا يكدرها إلا قيام شيوخ الكويت ببعض الأعمال من واقع استقىلالهم مثل قبىول الـلاجئين وحين ذاك يصطدمون بالدولة العثمانية وهذا ما حدث حين الجأت الكويت مصطفى أغا متسلم البصرة حين أجبرته قوات باشا بغداد هو وأتباعه على الالتجاء الى الكويت على أثر محاولته الرامية لحكم البصرة حكما مستقلا عن بغداد وأيده في ذلك الشيخ ثويني بن عبدالله أمير المتتفك وقد دارت مراسلات عديدة بين بغداد والكويت لتسليم اللاجئين وكان لصموئيل مانستي Menesty (رئيسَ اليَّوْكَالَة البريطانية في البصرة) دورا رئيسيا للتوسط بين الجانبين فكتبَ الى الشيخ عبدالله الصباح كتاباً بهذا الصدد ذكر فيه « لقد قمت مؤخرا بزيارة باشا بغداد في معسكره ... فأشار إلى أن علاقة قديمة ربطت ومازالت تربط أهل الكويت بالبصرة . ولكنه عبر عن دهشته وغضبه العظيمين تجاه سلوككم في منح الحماية لأناس كانوا ثائرين عليه ، وفروا ليتجنبوا العقاب الذي يجتمه ذنبهم . وحذر من أنه ما لم تسلمهم اليه أو تأمرهم بمغادرة الكويت فانه سيعتبركم عدوا له. ويرسل اليكم حملة عسكرية مدعمة بقوات طلبها من بومباي يقودها بنفسه الى القرين".

فأجاب الشيخ على رسالة مانستي برسالة بين فيها « أن الكويت ملك للباشا وأن سكانها مستعدون لخدمته . ولكنكم تعرفون حق المعرفة أن عاداتنا تلزمنا بحماية أي مستجير بنا ومن العار التخلي عنه أو تسليمه الى أعدائه ... واني أعتمد على صداقتكم في ايضاح الأمر على حقيقته للباشا » (وبالفعل أقنع مانستي الباشا بالعدول عن ارسال الحملة التي كان يزمع القيام بها وساعد مانستي في مهمته ترك اللاجئين الكويت الى نجد (ه).

وإذا كنا استندنا الى بعض الاشارات لالتجاء الفارين من الدولة العثمانية العثمانية الى الكويت لتأكيد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية فلابد من التركيز بهذا الشأن على انتقال الوكالة البريسطانية (أو المركز البريطاني التجاري) نفسها الى الكويت في ٣٠ أبريل عام ١٧٩٣م وظلت فيها حتى أغسطس عام ١٧٩٩م نتيجة لخلافات بينهم فربون الموظفين العثمانييين (١) واختيار الكويت يشير الى دلالتين الأولى: أن موظفي الوكالة ارتاحوا للتعامل مع الكويت أثناء انتقال بعض نشاطهم اليها خلال حصار الفرس للبصرة أثناء انتقال بعض نشاطهم اليها خلال حصار الفرس للبصرة ملطة عثمانية (١٧٧٥م - ١٧٧٩م) والثانية : والأهم - عدم خضوع الكويت لأية سلطة عثمانية (١٧٧٥م - ١٨٧٤م)

وبالرغم من كل دلائل الاستقلال القاطعة فان حكمة شيوخ الكويت تدعوهم الى بناء علاقات ودية مع الجارة القوية الدولية العثمانية وكثيرا ما كانت تساهم في حملات الدولة العثمانية البرية والبحرية مثل حملة ثويني باشا شيخ المتنفك عام ١٧٩٧م حين أرسله والي بغداد لمهاجمة الوهابيين في الاحساء فتوقف في الجهرة الكوينية لجميع مستلزمات الحرب. وقد ساهت الكويت في هذه الحملة ولكن لا يعرف بالتحديد ماهية مساهمتها ولابد أنها أسلحة وبعض المراكب لأن الحملة كانت بحرية وكان دافع الكويت للمساهمة في هذه الحملة

Whigham: The Persian Problem, P. 101-103. (1)

Frazer: India under Curzon and after, PP. 97-98. (*)

القرين : هو الاسم الذي كان يطلقه الأوروبيون على الكويت التي عرفت به عند مجيئهم الى الخليج وذلك نسبة الى الساحل الذي تقوم عليه والذي ينحى في اتجاه دائرة مكونا ما يشبه القرن .

⁽٤) د. مصطفى النجار _ المصدر السابق ، ص ٣٨ _ ٣٩ .

Factory Record, Persia and Persian Gulf, Vol. 18 serial No. 1532 Letter dated 17th April 1989. (0)

Ibid, letter dated 30th April 1789. (*\)

Factory records, Persia and Persian Gulf, Vol. 19. letter No. 1652, dated 18th July 1795. (N)

والحملات الأخرى هو ما قاسوه من هجمات الوهابيين على بلادهم. وبعد فشل هذه الحملة نتيجة اغتيال قائدها أبحرت حملة عثمانية أخرى في أواخر السئة التالية (٢ ديسمبر ١٧٩٨م) بقيادة متسلم البصرة الكيخا على باش^(١). وقد سلكت الحملة طريقا بريا وبحريا في تقدمها نحو الاحساء فسارت نحو الجهرة حيث قدم لها شيخ الكويت عبدالله الصباح معونات بحرية ساعدتها كثيرا (١٠).

ولابد من الاشارة الى أن من الأسباب الرئيسية التي عملت على تمتع الكويت باستقلالها عن الدولة العثمانية واحتفاظها على الدوام بهذا الاستقلال دون محاولات تذكر من الدولة العثمانية لتحويل سيادتها الاسمية الى سيادة فعلية لا سيها خلال القرن الشامن عشر (٣) هو الأوضاع السياسية المهلهلة السائدة في العراق العثماني مما مكن الكويت أن تحتل مكانا مرموقا في عالم الخليج دون خوف من الجارة الكبرى . فقد شهدت البصرة منذ أواخر القرن السابع عشر ومستهل القرن الثامن عشر فترة اضطرابات وفتن استمرت حتى نهاية النصف الأول من القرن الشامن عشر. وقد صاحب هذه الاضطرابات انتشار وباء الطاعون الذي أفني البصرة ولخربها خرابا أدى الى هجرة بعض أهاليها ، وبهذا لم تكن أوضاع العراق العِثماني بأحسن حال من جيرانهم الفرس. لذا فلم يكن بمقدَّورهم بالتَّاليّ أَنْ يلعبوا دورا ذا بال في هذه الحقبة من الزمن ، بالاضافة الى أن قوتهم لم تكن قادرة على تحدي قوة بني خالد على السواحل الشرقية للجزيرة العربية. ويكفي أن نذكر أن البصرة خلت من السكان بسبب - الطاعون والمجاعة واضطهاد حكامها العثمانيين وتسلطهم ...

ومن ناحية أخرى لا يفوتنا أن نذكر التأثير الكبير لاحتلال الفرس للبصرة (١٨٧٦م _ ١٧٧٩م) على أوضاع العراق العثماني وما ترتب على ذلك من اضعاف النفوذ العثماني في الخليج والجزيرة العربية

ودحر أي محاولة لهم لمد نفوذهم هناك. فقد كان لاحتلال البصرة نتائج عكسية واضحة بالنسبة للنفوذ العثماني في المنطقة بينها كانت له في المقابل نتبائج ايجابية كبيرة بالنسبة لنمو الكويت وازدهارها السياسي والاقتصادي. ذلك أن احتلال البصرة دفع بكثير من أهلها للهجرة الى الكويت ـ لا سيها أولئك الذين كانوا من أصول نجدية وعربية ـ فزادت تلك الهجرة من سكان الكويت بشكل ملحوظ ، مما زاد من مسئولياتها السياسية تجاه القادمين الجدد وترتيب أمور استقرارهم ، واتخاذ ترتيبات أمنية لمواجهة أي محاولة فارسية للامتداد الى الكويت ، هذا بينها أدى ذلك الاحتلال الى تلاشي أي محاولة من سلطات البصرة الى تحويل تبعية الكويت للاسمية لها الى تبعية فعلية أو محاولة ضمها(٥).

ومن ناحية أخرى فان احتلال الفرس للبصرة حول الأنظار الى الكويت عما دعم مركزها السياسي لدى القوى المحلية (العربية) والقوى الأجنبية المتمثلة بالشركات التجارية مثل شركة الهند الشرقية الهولندية وهكذا سنحت الشرقية المكويت للظهور والبروز في المنطقة ، كها أن الكويت لم تتأثر سلبيا نتيجة الاحتلال ، لأن حكامها عرفوا كيف يتصرفون أثناء الحصار فاتبعوا سياسة ذات حدين في ارضاء طرفي النزاع الناع.

ومن جميع ما تقدم يمكن أن نصف السيادة العثمانية على الكوبت بأنها سيادة اسمية لا تظللها أي سلطة فعلية ولا يتبعها أي مظهر من مظاهر النفوذ فلا خراج ولا ضرائب، ولا وجود لقوة عسكرية ولا موظف مدني عثماني بل تصرفت الكويت في ظل السيادة الاسمية للدولة العثمانية تصرف الدولة المستقلة كاملة السيادة فاستقبلت ممشلي الدول الأجنبية وأقامت علاقات مع الأطراف الخارجية وعقدت معهم المعاهدات والاتفاقيات مثل اتفاقية الصداقة مع بني

⁽١) د. مصطفى النجار ـ امصدر السابق ـ ص ٤١ .

Lorimer, Gazette letter of the Persian Gulf, IV, Table 9 p. 1004. (*)

⁽٣) ظهرت بعض المحاولات العثمانية لتحويل سيادتها الاسمية على الكويت الى فعلية عندما حاول نامق باشا ذلك عام ١٨٦٦م ثم مدحت باشا عام ١٨٦٩م ولكن نظرا لكون هذه المحاولة خارجة عن فترة دراستنا كها أنها لم تسفر عن شيء يذكر لذا فلن نتناولها في دراستنا هذه .

⁽٤) د. أبو حاكمة + المصدر السابق ـ ص ٤١ .

[.] (٥) مقال للباحثة بعنوان (نشأة الكويت وتطورها في القرن الثامن عشر) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ العدد السادس والأربعون ـ رجب ٢٠٦١هـ الموافق ايريل ١٩٨٦م .

⁽٦) رنده المصري = مقالة بعنوان « الكويت » (دراسة تحليلية) مجلة الوثيقة التاريخية ـ العدد الأول ، السنة الأولى ، رمضان ١٤٠٢هـ ـ الموافق يوليو ١٩٨٢م .

خالد ثم معاهدة الأمن والسلام مع بريطانيا عام ١٨٤١م _ الى غير ذلك من أركان السيادة التي تمتعت بها الكويت بصورة كاملة وغير منقوصة .

وانحصرت مظاهر السيادة العثمانية بتلقي ولاء الكويت الديني وتقديم المساعدات في المناسبات اللازمة واصدار فرمان باسم وارث العرش الذي يختاره آل الصباح دون أن يكون لها يد في اختياره ثم رفع الكويت للعلم التركي مع اضافة كلمة كويت على أحد جانبيه . بداية الاتصالات البريطانية بالكويت :

يكن اعتبار عام ١٧٧٥ هو بداية الاتصال البريطاني المباشر بالكويت وذلك لأنه أسبق تاريخ مدون لهذا الاتصال كما أنه مثبت بواقعة مادية هي احتلال الفرس لمدينة البصرة في ذلك العام. فبدأ ارسال البريد الصحراوي الانجليزي عبر الخليج الى حلب يتوجه عن طريق الكويت بدلا من الزبير، وذلك على الرغم من أن الفرس لم يحتلوا الزبير إلا بعد ذلك بأكثر من عامين وبالتحديد عام ١٧٧٨م كما أن النظرة البريطانية الى الكويت في ذلك الوقت على أنها تابعة للبصرة (١).

ولم يقتصر اهتمام الانكليز بالكويت على كونها محطة لارسال بريدهم بل واهتمت بها شركة الهند الشرقية الانكليزية لأغراض تجارية فقد حلت المشكلة التي واجهتها الشركة في تصريف بضائع الهند وسورات في بلدان الشرق الأوسط بعد احتلال البصرة . وهذا ما تكشفه لنا رسالة القنصل البريطاني في حلب الى المستر لاتوش الوكيل البريطاني في البصرة بتاريخ ١١ يونيه ١٧٧٦ . فقد ذكر فيها « أنه اذا كان بالامكان بقاء القرين محايدة فانه يمكن للقوافل أن تسافر اليها ، وأن تحمل البضائع منها الى حلب ، وانها ذات موقع جيد

يمكنها من أن تكون خلفا للزبير غير أن هذا لن يتأتى من دون بقانها مستقلة »^(۲).

وقد أيد المستر لاتوش رأي القنصل البريطاني في حلب مبينا وجهة نظره الخاصة : « بأنه يدرك تماما أن بدء اتصال برّي مع حلب وبغداد عن طريق القرين لهو حدث يتطلعون اليه بكل شوق لأنه سيمدهم بمخرج لبضائع البرتغال وسورات المكدسة في بومباي والتي تنتظر تجار البصرة لا سيها وأن القرين لازالت بعيدة عن عبث الفرس »(٣).

وعلى أية حال فقد استفادت الكويت من هذا الوضع الجدى فائدة تجارية كبرى فأصبحت مركزا تجاريا عظيها كها توقع لها القنصل البريطاني في حلب . وذلك إلى جانب ما ثبت من أن الكويت استفادت من إستعمالها كمحطة يسلم منها البريد الصحراوي فقد جرت العادة على أن تؤجر الشركة موظفي بريد الصحراء السريع من الزبير ولكن حين خلفت الكويت الزبير أصبح هؤلاء الموظفين يختارون منها^(١). إلا أن البريد لم ينتظم في البداية لعدم وجود ممثلين للشركة فيها . فكلف المُستُو الاتوش اللغتناننت تريس Twiss قبطان السفينة (تـربيل Terrible للقيام بهذه المهمة . وبذلك استفادت الكويت من احتلال الفرس للبصرة مثلها استفادت في السابق من مرض الطاعون الذي حل بالأخيرة عام ١٧٧٣ ـ ١٧٧٤ فانتقل اليها عدد من التجار ومعهم المال اللازم للتجارة لتمويل صناعة السفن (٥). وفي عام ١٧٧٨ رفض الشيخ عبدالله تسليم الضابط الفرنسي المسيودي بورج الذي التجأ اليه لرجال الوكالة البريطانية في البصرة (٦) مراعيا بذلك قواعد الضيافة العربية ، إلا أنه عاد ووافق على القبض عليه بعد أن تبين له أنه محتال ، وحرصا منه على علاقته الطيبة بالانكليز التي تعرضت

⁽١) لويريمر دليل الخليج النسخة المترجمة ، جـ ٣ . ص ١٥٠٤_ ١٥٠٥.

⁽٢) خطاب من القنصل البريطاني في حلب الى المسآر لاتوش في البصرة بتاريخ 11 يونيه ١٧٧٦م .

⁽٣) خطاب من لاتوش الى مجلس المديرين في لندن بتاريخ ٢٤ يوليو ١٧٧٦ . والخطابين مأخوذين عن د. أبو حاكمة . تاريخ الكويت ، ص ١٧٣ ــ ١٧٤ .

⁽٤) رسالة الباحثة للدكتورة بعنوان العلاقات البريطانية الكويتية في الفترة ١٩٢٢ ــ ١٩٦١ (غير متشورة ص٢).

Marlowe, The Persian Gulf in the Twentieth century. P. 24. (8)

Capper, Observation, P. P. 99-101. (\)

للتصدع نتيجة لهذا الحادث^(۱). وفي ٢٤ أبريل ١٧٩٣ انتقل المخزن التجاري البريطاني (الوكالة التجارية) الى الكويت نتيجة للعقبات التي وضعها في وجهه السلطات التركية وبقي في الكويت حتى ٢٦ أغسطس ١٧٩٥(٢). فكان لهذا الانتقال أشر كبير في ازدياد نمو الكويت وتطور اقتصادها. ويقول المستر بريدجز Brydges أحد موظفي شركة الهند الذي التجأ الى الكويت ١٧٩٤، أن الشيخ قدم للمخزن كل التسهيلات وان المخزن كان مزودا بحرس من الهنود لحراسته خصوصا من اعتداءات السعوديين (الوهابيين)^(۱).

وتطورت علاقة الانكليز بالكويت الى الأحسن حين كانوا يعترضون سبيل المراسلات الفرنسية بعد أن زاد نشاطهم في الهند والمحيط الهندي وكانت الحرب قد أعلنت بين انجلترا وفرنسا . وقد استفادت انجلترا من صداقة المستر مانيستي (Menesty رئيس المخزن) والشيخ عبدالله الصباح بهذا الصدد في القضاء على المخططات الفرنسية الرامية الى استخدام السفن الكويتية في حل مبعوثيها ورسائلهم ، وفي القضاء على محاولة الفرنسيين في أن يجعلوا من الخليج العربي طربقا غير صالح لاستخدام الانكليز .

وعلى الرغم من توثق العلاقات البريطانية الكويتية بشكل أكبر في فترة لاحقة والتي أدت في نهاية القرن التاسع عشر الى توقيع اتفاقية الحماية إلا أننا لابد أن نقف في سياستنا عند هذه الفترة التي تنتهي عندها الفترة المحددة للبحث والواقعة في القرن الثامن عشر(1).

علاقة الكويت ببلاد فارس:

ان الأوضاع السياسية التي كانت تسود بلاد فارس في مطلع القرن الثامن عشر قد عملت على أن تحتل الكويت مكانا مرموقا في عالم الخليج بعد حين ، فقد مهدت أحوال فارس المضطربة وغير المستقرة خلال الربع الأول من ذلك القرن (٤) سبل النمو والاستقرار

والازدهار للكويت بحرية ودون أدني خوف من تلك الدولة المتسلطة والتي كانت في زمن قوتها تتحين الفرص لتفرض سيطرتها على الجانب الغربي من الخَليج العربي . إلا أنها في تلك الفترة كانت مشغولة في محاولة لملمة شمل أجزائها المهلهلة ومعالجة أوضاعها المتردية نتيجة تعرضها للغزو الأفغاني ثم العثماني ثم الروسي على التوالي . لذا فقد كان من الطبيعي أن يتحرر الخليج العربي من أية سيطرة فارسية . فبالاضافة الى الغزو الخارجي الذي تعرضت له بلاد فارس كانت أوضاعها الداخلية أكثر سوءا. فقد دب الهرم الى جسم الدولة الفارسية نتيجة للفوضى والفتور والاضطراب في سياستها الداخلية وتفشى الفساد في الدولة الصفوية مما أغرى الشعوب الواقعة تحت نيرها أن تطالب بالاستقلال وتسعى لنيله وأن تقوم بحركات عسكرية للتخلص من سيطرة الفرس (٥) مما زاد من ضعف الدولة وقت في عضدها وجعلها تنصرف عن محاولة فسرض سيطرتها على للدول المجاورة نتيجة لانشغالها بأمورها الخاصة وذلك الى جانب عدم الحكام مواصلاتها . كل هذه العوامل وغيرها فسحت المجال والمعا أمام العتوب في الكويت لانشاء دولتهم والعمل على نموهـا وتقدمها والمحافظة على استقلالها عن كافة الأطراف بل ان العتوب طموا الى ما هو أكبر من ذلك وهو عملهم على تحرير البحرين من الحكم الفارسي (٢٦) بعد أن اطمأنوا الى ضعف فارس من جهمة والعراق في ظل حكم الأتراك من جهة أخرى ، وهما البلدان الوحيدان اللذان كان بمقدورهما بما لهما من قوة عسكرية أن يلعبا دورا هاما في سياسة الخليج العربي في هذه الحقبة من الزمن غير أن لا الأتراك ولا الفرس كانوا في وضع يمكنهم من أن يلعبوا مثل ذلك الدور الهـام والحيوي في تاريخ المنطقة وهكذا خلا ميدان الخليج العربي السيابلي في تلك الفترة من أية قوة كبرى تفرض هيمنة كلية عليه ومن هنا صار في مقدور المدن الناشئة كالكويت أن تتطور وتقوى دون أن تتعرض لخطر حكام فارس أو الأثراك (^(٧)

Brydges, Wahauby, P. P. 175-176. (\)

⁽٢) السير ارتولد ويلسون الخليج العربي (النسخة المترجمة) (ترجمة عبد القادر يوسف) ، ص ٢٠٠ .

Brydes, An account of His Majesty's to the court of Parsian pp. 12-16. (*)

L. Lockhart, Nadir Shah, A Critical Study, pp. 1-17. (5)

 ⁽٥) محمد حجازي _ تاريخ ايران _ ١٣٤٦هـ (باللغة الفارسية) . ص ١٧٩ .

⁽١) د. علي أبا حسين ـ دراسة في تاريخ العنوب ـ مجلة الوثيقة التاريخية ـ العدد الأول ، ص ١٠٠٠.

⁽٧) د. أبو حاكمة ـ المصدر السابق ـ ص ٤٢ .

ان الخليج العربي لم يأخذ دورا مرموقا في الاهتمامات الفارسية إلا بعد عام ١٧٢٦م عندما سيطر نادر شاه على فارس جميعها ، وبعدا يتطلع بأنظاره الى مدن الخليج العربي ، وتبنى حينة ذاك (سياسته البحرية) في الشمال والجنوب ، أي باتجاه بحر قزوين والخليج العربي ، وحتى هذه السياسة فشلت بسرعة لعدم توفر البحارة الفرس اللازمين لمواكبة ذلك الطموح والأطماع السياسية . ذلك أن قوام أسطوله كان يقوم على البحاره الهنود والبرتغاليين المرتزقة (١٠). أما الميناء الذي كان يتجمع فيه ذلك الأسطول فهو ميناء بوشهر الذي أطلق عليه نادر شاه عام ١٧٣٤م اسم بندر نادريه نسبة إليه .

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر كان الحكم في ايران قد آل إلى كريم خان الذي كان يمثل أقوى ادارة قامت في الخليج ، فكانت قاعدته الأساسية شيراز ثم بسط نفوذه على البلاد جميعا فيها عدا بعض المناطق البعيدة المتطرفة ومن الجهات القليلة التي لا تخضع له خضوعا كاملا تلك المتاخمة للخليج مثل عربستان وبالرغم مما وصل اليه كريم خان من قوة ونفوذ إلا أن مركزه في الداخل كال دقيقا وحرجا بحيث لا يسمح له بالتأثير في الأحداث الخارجية ، إذ كان مشغولا مدة حكمه القصير بقمع حركات التمرد في الداخل وكائت الكويت قد بدأت في البروز(٢). بعد أن استقرت أمورها في الداخل ونظمت شئونها فسعت بكل جهدها الى الظهور في عالم الخليج فتحقق ونظمت شئونها فسعت بكل جهدها الى الظهور في عالم الخليج فتحقق العوامل الخارجية المحيطة بها والتي منحتها الأمن والمسلام في تلك الحقبة من الزمن التي كانت فيها بأشد الحاجة لمثل هذان العاملان الحقية من الزمن التي كانت فيها بأشد الحاجة لمثل هذان العاملان الحلمان لاطراد نموها وتقدمها .

أما الخطر الحقيقي الذي كان يهدد الكويت في هذه المرحلة من تاريخها نقد جاء من الجانب الفارسي من الخليج العربي ولكنه لم يأت من الفرس بل من العرب مثل عرب بني كعب الذين كانت مدينتهم المدورق مركز سلطتهم وقوتهم وكانوا ينزلون الى الشرق والجنوب

الشرقي من البصرة وكانوا لا يداومون على ولاء لأحد، فهم طورا مع الفرس وطورا آخر مع الأتراك وأحبانا مع الطرفين في آن واحد^(٣). والخطر الآخر تمثل في عرب بندرريق ثم بوشهر وكانت هذه القبائل العربية الثلاث التي تحكم المدن الشلاث هي التي ترسم الخريطة السياسية للجزء الجنوبي من بلاد الفرس في العقد السابع من القرن الثامن عشر.

ويمكن القول أن العلاقات كانت قائمة باستمرار بين ساحل فارس الجنوبي على الجانب الفارسي من الخليج العربي وشرقي الجزيرة العربية ، نظرا لأن ذلك الساحل كان مأهولا بالعرب الذين كانوا على اتصال دائم بعرب شرقي الجزيرة الذين كانوا هناك . ولما أراد نادر شاه أن يوطد أقدامه على ساحل الخليج الشرقي ، اعتمد على مشاته الفرس ، ثم لما أراد أن يبسط نفوذه خارج حدود فارس عبر الخليج الغربي ، اعتمد على ضباط من القرى لقيادة سفنه التي كان يسيرها العربي ، اعتمد على ضائل ملاحون من العرب وهو متعمد بذلك على أبعاد العنصر العربي من جيشله اللري ، وأسند اليه أعمالا ثانوية في بحريته ، فكان مآل تلك السياسة الى الفشل ، إذ أنه لم يتمكن من أن يفرض تفوقه في مياه الخياج حيث فتك الجنود العرب برؤسائهم الفرس وسلموا الأسطول الى اخوانهم العرب .

وعند تسلم كريم خان الحكم عام ١٧٥٧م عمل على تركيز السلطة في يده بشكل كامل ووطد علاقاته مع العرب النازلين بقارس فطلب منهم العون في كفاحه لتوطيد نفوذه في منطقة الخليج العربي إلا أن العرب لم يتعاونوا مع كريم خان بمحض ارادتهم بل انهم تسببوا له يكثير من المشاكل(٤).

وهكذا ساهت أوضاع بلاد فارس بصورة عامة في تسهيل مهمة العتوب في الكويت وفي تمكينهم من تأسيس مدينتهم وتوطيد حكمهم والعمل على اعلاء شأن بلدهم فكان ضعف الفرس وانعدام

Sykes, A History of Persia. 271. (\)

⁽٢) لوير - دليل الخليج - القسم التاريخي ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

Niebuhr, Voyage en Arabie, II, 178-188. (*)

⁽٤) د. أبو حاكمة _ نفس المصدر _ ص ٢٦ _ ٧٧ .

نفوذهم الى جانب انعدام نفوذ القوى الكبرى الأخرى وهي الدولة العثمانية في العراق مما أتاح الفرصة أمام المدن الصغيرة النامية مثل الكويت والزبارة أن تتطور دون خوف من خطر قوة أكبر منها قد تتدخل في شئونها وتفرض عليها سلطانها ، فتحد من حريتها واستقلالها ونشاطها وغوها واطراد تقدمها .

وقد انحصر جهد العتوب الجاد والمضني في العمل على مواجهة تحديات القوى العربية الثلاث وهم بنو كعب وعرب بندر ريق وبوشهر الذين تمكن العتوب في النهاية من النجاح في مقاومتهم والقضاء على خطرهم والحفاظ على استمرار استقلال بلدانهم في الكويت والزبارة وتخليص البحرين منهم وضمها للمدن العتبية كقوة جديدة ناشئة.

وبالاضافة الى تلك القوى القبلية الثلاث الكبيسرة كان هناك جماعة أخرى هم عرب الهولة النازلون على الجزء الجنوبي من الخليج والمنتشرون في جزر قشم وقيس وهرمز وغيرها من الجزر الصغيرة الواقعة في جنوب الخليج العربي وبما أنهم لم يلعبوا دورا يذكر في فترة دراستنا الممتدة عبر القرن الثامن عشر والتاسع عشر لذا لن نتظرق بالحديث عنهم في هذا البحث.

بنو كعب:

هم قبيلة شهيرة من سبيع ترجع في أصلها الى نجد ومنها هاجر الكعبيون الى أقصى بقعة في شمال الخليج العربي، حيث نزلوا الافشار في العراق^(۱) وبلغوا درجة كبيرة من القوة وارتفاع الشأن في منتصف القرن الثامن عشر وكان شيخهم آنذاك سليمان الذي بلغت شهرته أوروبا نتيجة لصراعه مع الانكليز واستيلائه على بعض سفنهم واستمر الشيخ سليمان يحكم بني كعب حتى عام ١٧٦٦م . ثم انتقلت هذه القبيلة الى شط العرب واستوطنت مدينة (قبان) ثم لم تلبث أن تمكنت أثناء حكم الشيخ سليمان من الاستيلاء على مدينة تلبث أن تمكنت أثناء حكم الشيخ سليمان من الاستيلاء على مدينة

الدورق في أعقاب مقتل نادر شاه عام ١٧٤٧م بعد أن أبدلت تسميتها إلى (الفلاحية) وقد نجع الكعبيون في اقامة إمارة لهم تذبذبت في ولاتها السياسي بين العثمانيين والفرس^(٢). فقد كان على حكام بني كعب أن يراوغوا الطرفين للاحتفاظ باستقلالهم، ونجع الشيخ سليمان في الحفاظ على استقلال بلاده دون أن يدفع خراج لأي من الدولتين . بل أن الدولتين تسابقتا في محاولة كسب ود الشيخ سليمان هذا . كما نجع الكعبيون في تكوين أسطول بحري الشيخ سليمان هذا . كما نجع الكعبيون في تكوين أسطول بحري كبير ساعدهم في مد نفوذهم على المناطق المجاورة (٢). ويقبال أن انتقالهم من العراق على أثر نشوب خلاف بينهم وبين الدولة العثمانية التي طردتهم من أراضيها فتوجهوا الى الأراضي الايرانية بعد ذلك (٤).

وقد انقسم الكعبيون الى قسمين: قسم منهم أقام في المحمره وعابدان وقد تألف من عشائر (المحسن) و (الدريس) في النصار) وغيرها. والآخر أقام في الفلاحية (الدورق) وتألف من عشائر (مقدم) و (العساكرة) وغيرها (ه) وهؤلاء الأخيرين هم النين خشات بينهم وبين الكويت معركة الرقة.

وقد تعرضت مشيخة الكويت الناشئة وفي وقت مبكر من تاريخها الحديث لخطر الغزو من قبل الكعبيين الذين كانوا يزاولون نوعا من النفوذ على بعض المدن والقبائل النازلة على شواطىء الخليج العربي من كانت تصلهم السفن الكعبية.

وقد تزايد خطر بني كعب وتعدى تهديدهم للقبائل الى تهديد نفوذ متسلم البصرة وتجارة شركة الهند الشرقية الانكليزية لذا اتحد متسلم البصرة مع مسئولي الشركة في محاولة لاخضاعهم إلا أن كريم خان حاكم فارس تدخل لحمايتهم محتجا بأنهم من أتباعه المتمتعين بحمايته كها هي الحال بالنسبة لشيخ بوشهر الشيخ نصر آل مذكور الذي تمتع بحماية كريم خان كذلك (١٠). وكان هدف كريم خان من منح

Niebuhr, Voyage en Arabie, II, 178-188. (\)

⁽٣) د. بدر الدين الخصوصي .. المصدر السابق .. ص ١٠٥ .

⁽٣) مصطفى عبد القادر النجار ـ التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ١٨٩٧ ـ ١٩٢٥ ـ ص ٤١ ـ ٤٤ .

⁽٤) سيف مرزوق الشملان_من تاريخ الكويت_ص ١١٩.

⁽٥) حسين الشيخ خزعل _ تاريخ الكويت السياسي - جـ ١ ، ص ١٠٨٢ .

Parsons, Abraham: Travels in Asia and Africa (LOndon 1808) pp. 196-198. (\)

هذه الحماية لبني كعب وآل مذكور هو الاعتماد على أسطولها البحرى اعتمادا كليا لأنه لم يكن كريم خان يملك أسطولا بحريا ولما تزايد خطربنو كعب وحلفائهم وآل مذكور شيوخ بوشهرعلي العتوب وضمن محاولات الأخيرين الجادة لدرء هذا الخطر فقد عملوا على كسب صداقة رجال شركة الهند الشرقية الانكليزية ومتسلم البصرة العثماني في ذات الوقت الذي أبقوا فيه على صداقة بني خالد حماتهم الأولين وذلك في محاولة للتمتع بحماية هذه القوى الكبرى الثلاث في المنطقة في ذلك الحين نظرا لأن قوة العتوب البحرية الذاتية لم تكتمل بعد ، غير أن قوة بني خالد في ذلك الوقت قد بدأت في الاضمحلال بحيث لم تكن قادرة على حماية العتوب، وذلك ما تأكد حين لم تحل تلك القوة لبني خالد دون هجوم بني كعب على ميناء القطيف الخالدي وتدميره ونهبه . فعاد بنو كعب الى عاصمتهم الدورق محملين بغنائم القطيف الوفيرة(١). وذلك على الرغم من قيام بنو كعب بهذا الهجوم منفردين ودون مساعدة حليفهم شيخ بوشهر والذي كانوا يعملون معه في تحالف خاضع لكريم خان يحسركهم كأداة كيفها شاء ضد العثمانيين وغيرهم من القوى المتنافسة في منطقة الخليج العربل وهذا ما اتضع بوضوح أثناء حصار الفرس للبصرة عام ٧٩٧٩م ﴿

وعلى الرغم من أن شيخ الكويت عبدالله بن صباح تصرف بحكمة أثناء حصار الفرس للبصرة وحاول ارضاء الطرفين . ولم يعمد الى إثارة غضب أي منها بل لعله استجاب لكثير من طلبات الفرس على مضض في محاولة لدرء خطرهم وخطر حلفائهم عن الكويت الناشئة . فغي الوقت الذي كان الشيخ يحتفظ فيه بعلاقات صداقة طيبة مع متسلم البصرة الذي يكن له كل مودة ومحبة فانه أراد فيه أن يخطب ود الجانب الآخر في الصراع فاستجاب لطلب شيخ بني كعب في تسليمه السفينتين الحربيتين التابعتين لباشا بغداد واللتان وصلتا الى الكويت محملتان بجمع من الأتراك والعرب يقدر تعدادهم بنحو مائتين وثلاثين رجلا - كما يستدل من رسالة بعث بها وكلاء الهند

الشرقية الانكليزية بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن ـ وتشير نفس الرسالة الى أن الشيخ عبدالله قد أرسل جماعة قوامها مسائت ارجل لمساعدة صادق خان . وتؤكد الرسالة أن هذه المساعدة لم تكن عن طيب خياطر الشيخ ، إلا أن تلك المحاولات من جيانب الشيخ لم تؤد الى ما كان يرمي اليه الشيخ منها ، فلم تثمر في درء خطر الفرس وحلفائهم عن الكويت الذين استمروا في مهاجمة سفن العتبوب التجارية والتعرض لها وسلب ما يستطيعون سلبه ، مما دفع العتوب واضطرهم الى اتخاذ موقف عدائي من أنصار النرس والعودة للعداوة التقليدية بينهم وبين بني كعب بل تطور الموقف الى أكثر من ذلك حين خلقت عداوة مستجدة بينهم وبين شيخ بوشهر على ما سنرى (٢).

وبالرغم من أن أسباب ذلك الصراع الذي نشأ بين العتوب وعرب بني كعب غير واضحة (٣) تماما إلا أنها على أية حال كانت بسبب الغيرة من ازدهار العتوب ومنافستهم القوية لموانىء بني كعب.

معركة الرقة:

هي أول معركة في تاريخ الكويت ـ بغض النظر عن معركة فتح البحرين التي لم تقع في الكويت ـ ويعتقد أن وقوع معركة الرقة كان عام ١٧٨٣م أما أسباب هذه الموقعة الحربية فهي طمع بني كعب في الكويت ورغبتهم الأكيدة باخضاعها وإباء أهل الكويت الخضوع وقسكهم باستقلالهم وتحديهم لمظالم بنو كعب . فقد استرعى انتباه بنو كعب ازدهار الكويت وتطورها السريع وبعد أن عجز (بنو كعب) عن مجاراتها ، ومنافسة موانيها التي ازدهرت وتفوقت على سواها من الموانىء المجاورة ، واستحوذت على معظم التجارات القادمة من مختلف الأقطاع . وذلك نتيجة للسياسة الحكيمة التي اتبعها شيخها الشيخ عبدالله بن صباح في البقاء على حياد الكويت وإقامة علاقات طيبة مع كافية القوى التجارية الاوروبية ، مثل شركة الهند

A Letter from Mr. Latouche, Moore & Abraham (The Basra Residency) to the Court of Directors, London dated 13th of May 1774, from (\) the factory records Persia and the Persian Gulf Vol. 17, despatch No. 1074.

⁽Y) c. أبو حاكمة _ نفس المصدر _ ص ٧٩ - ٨٠ .

⁽٣) خالد سعود الزيد ـ نفس المصدر ـ ص ٥٤ .

⁽٤) خالد سعود الزيد ـ المصدر السابق ـ ص ٤٤ الهامش ـ جـ ٣، ص ٧٤٢ .

⁽٥) الشيخ يوسف القناعي ـ صفحات من تاريخ الكويت ـ ص ١١ ـ ١٢.

⁽٦) رنده المصري ــ الكويَّت (دراسة تحليلية) منشورة في مجلة الوثيقة التاريخية البحرينية (العدد الأول ، ص ١٧٨ ـ ١٩٥) .

⁽٧) عبد العزيز الرشيد - المصدر السابق - ص ٨٨.

الشرقية الانجليزية مع حرص الشيخ على تبني سياسة تجارية ناجعة على الله أداد في اطراد غمر الكويت وتطورها التجاري وازدهارها الاقتصادي ويضاعف هذا الازدهار التجاري والاقتصادي حين انتقلت للكويت نشاطات وكالة شركة الهند الشرقية الانجليزية من البصرة نتيجة لحصار الفرس للمدينة المشهورة فأثار هذا الازدهار والتفوق التجاري والاقتصادي حسد بنو كعب وتطلعهم لاخضاع الكويت بقصد التمتع بخيراتها والقضاء على منافستها القوية لموانيها ومواني حلفائهم، وفي محاولة للاقدام على هذه الخطوة قبل أن تبلغ الكويت أشدها وتضاعف قوتها فتتمكن من مقاومة عدائهم وصده (١١)

وفي محاولة بنسو كعب اختلال الكسويت تذرعسوا لذلسك بحيلة لتغطية مطامعهم وغايتهم فتقدموا يخطبون (مريم) ابنة الشيخ عبدالله لأحد أبنائهم وهم يعلمون أن طلبهم لم يجاب . وحين استشار الشيخ عبدالله أعيان الكويت أظهروا له أشد الاباء والامتناع وحذروه من الانصياع لبني كعب والخضوع لما يريدون لادراكهم أن الأخيرين يعولون على هذه المصاهرة في ربط الكويت ببلادهم وأخذ الكويتيون للحرب أهبتها ، وأودعوا نسائهم وأموالهم في سفن حتى إذا ما هزموا يهرب الآخرون بالنساء والسفن ويتركون البلاء فاوية ي وساروا هم بسفن أخرى لملاقاة عدوهم وبعد مسيرهم خاف الشيخ عبدالله عليهم من تغلب عدوهم وندم على ما فرط ندما عظيها ، دفعه الى أن يبعث من يعيدهم قبل أن يشتبكوا واياهم في قتال لا سيها وأن جماعة (آل خليفة) _ كما تشير بعض المصادر _ كان من رأيها إتمام تلك المصاهرة ارضاء للكعبيين اعتقادا منهم بعدم مقدرة العتوب على مواجهة الخصوم على أن رأي آل خليفة لم يمنع الكويت من مواجهة تحدي الكعبيين (٢). كما لم يمنعهم عن ذلك خوف الشيخ عبدالله على أبناء شعبه فبدلا من أن يطلب رسول الشيخ من القوة الكويتية

العودة ويثنيهم عن عزمهم في مواجهة العدو، حثهم على ذلك قائلا:
إن الشيخ عبدالله يقول لكم «سود الله وجوهكم إلى الآن أنتم لم تناجزوا العدو أتظنون أن المرء يموت قبل يومه » فأثار هذا الكلام حاس الكويتيين وشد من عزيمتهم وحفز شجاعتهم وإقدامهم فجرت معركة حامية الوطيس بين الغريقين في الرقة وهي منطقة من البحر يقل فيها الماء وقت الجزر بحيث لا تستطيع السفن المتوسطة الحجم المرور منها(٣) وهذا ما أوجد صعوبة لدى سفن بني كعب كبيرة الحجم لا سبيا وأن المعركة جرت في وقت توقفت فيه الرياح مما أفقد السفن الكعبية حرية الحركة وأتاح الفرصة للسفن الكويتية لكي تحيط بسفن الخصوم وتشعل فيها النيران فانهزم الكعبيون على ذلك النحو، وقكن الكويتيون من الاستيلاء على بعض سفن الأعداء وأسلحتهم على الكويتيون من الاستيلاء على بعض سفن الأعداء وأسلحتهم الى الكويت ومن بينها بعض المدافع التي حملوها معهم الى الكويت حيث نصبوها على ساحل مدينتهم كذكرى عزيزة غالية لذلك الانتصار الكبير (٥)

ويقال أن أهم الأسباب في انتصار الكويتيين خطتهم الحكيمة في الهجوم حين هاجموا سفن القادة أولا فنجحوا في ذلك مما أدى الى تداعي قوة الجند نتيجة لقتل قادتهم فركنوا الى الفرار خوف من ملاقاة نفس المصير . كما أن دراية أهل الكويت بطبيعة جزر الماء في ذلك الموقع من وطنهم وطريقة تسيير السفن بواسطة المجاديف إذا ما سكن الهواء كل ذلك مكنهم من النصر على أعدائهم الذين يجهلون تلك الأمور . وبذلك فشل الهجوم الكعبي على الكويت التي نجحت في رد المعتدين والانتصار عليهم ومن أهم ما يمكن المروج به من ملاحظات تحليلية لمعركة الرقة ونتائجها المشرفة على قلة ما جاء عنها في المصادر المعاصرة لها بل والمعاصرة لنا بحيث لا تورد إلا اشارات

⁽١) سيف مرزوق الشملان ـ المصدر السابق ـ ص ١١٩.

Hopwood: The Arabian Peninsula p. 32. (Y)

⁽٣) عبد العزيز الرشيد - المصدر السابق - ص ٨٩.

⁽٤) الشيخ يوسف القناعي .. نفس المصدر .. ص ١٢ .

⁽٥)د. بدر الدين الخصوصي (الأهمية الاستراتيجية للكويت في العصر الحديث) دراسة منشورة في مجلة كلية الآداب جامعة الكويت العدد السادس ــ ديسمبر ١٩٧٤) ، ص. ٨

قليلة وقصيرة عن هذه المعركة إلا أننا يمكن أن نتبين خطوطا رئيسية وواضحة لا تغيب عن الباحث المدقق في تتبعه لهذه المعركة الاولى في تاريخ الكويت الحديث وهي :

 اباء الكويتيين وشجاعتهم واصرارهم على الحفاظ على استقلال بلدهم ورد الأعداء عنها مهما كلفهم ذلك من تضعية بالأرواح والأموال.

٢) بالرغم من حكمه الشيخ عبدالله بن صباح المشهود له بها وحسن تصرفه تجاه الأحداث الجسام إلا أنه كان يصر دائمها على استشارة أهل الرأى من شعبه حتى في شئون الحرب.

٣) أن الكويت كانت تمتلك في ذلك الوقت المبكر من تاريخها أسطولا كبيرا ومجهزا تجهيزا طيبا فقد تضافرت عدة عوامل على ظهور قوة الكويت البحرية أهمها كون العتوب تجارا فكانوا يزيدون من سفنهم التجارية كلما نمت تجارتهم والتي نمت بشكل واضح وكبير بعد حصار الفرس للبصرة ولا شك أن تلك الزيادة في عدم السفن التجارية صحبها زيادة في عدد السفن الحربية وتجهيزا حربيا ليعض السفن التجارية ذاتها وذلك لحماية أسطول الكويت التجاري لآ سيها وأن هذه الحماية أصبحت أمرا لازما لا مفر مندكوا بجهد جلات النهب والسلب المذي كان يتعرض لها الاسطول أثناء رحلاتمه التجارية والتي تفاقمت بعد مــوت كريم خــان حاكم ايــران (عام ١٧٧٩م) الذي كان يتمتع بهيبة في المنطقة جعلت أولشك الذين يمارسون هذه الأعمال يتوقفون عن القيام بأعمال السلب والنهب في الخليج خصوصا تلك القبائل العربية التي كان لكريم خان بعض النفوذ والسلطة عليهم لذا فقد اشتد الصراع بينها بعد وفاة كريم خان وزادت أعمال القرصنــة والسلب على السفن العــربية التي تنقــل التجارة في الخليج(١) مما دفع الدول البحرية على شاطىء الحليج الى الاستعداد لمواجهة تلك الأعمال وحماية تجارتها منها كانت الكويت من أبرز تلك المدن.

ل على الرغم من أن عهد الشيخ عبدالله بن صباح كان عهد كله سلم ورخاء فلم تبدأ الكويت خلاله أحدا بالعداء. وكانت سياستها

تقوم على السلم والأمن والابتعاد قدر الامكان عن الحروب اتقاء لشرورها ودفعا لبلاويها إلا أنها استعدت لحماية نفسها ورد الأعداء عنها عند مواجهتها بالعداء من قبل القوى الأخرى وهذا ما كان من ردها للمعتدين من البحر أمثال بني كعب والذي تولاه أسطول الكويت بقدرة واتقان بينها كان الشيخ عبدالله بنفسه ومعه أبنائه يقودون العتوب في صد الأعداء من البر (كيا سنرى) هذا ولم تنته العداوة التقليدية التي نشأت بـين بني كعب والكويت والتي كــان أوضح أسبابها الطمع والحسد من ازدهار الكويت ونموها السياسي والاقتصادي والرغبة في امتلاكها والتمتع بخيراتها والقضاء على منافستها لموانيهم ثم ان تأسيس العتوب للزبارة التي زادت من رخانهم وثراؤهم مما زاد من طمع بنو كعب بهم ورغبتهم في احتلال مدنهم لا سيها الكويت القريبة منهم والأكثر ازدهارا وتطورا. لذا هدد بنو كعب الكويت وتجارتها لأنهم لم يخشوا بأس أسطولها الذي كانوا قادرين على مواجهته بل انهم كانوا قادرين على الوقوف في وجه أساطيل الشركة الانكليزية وحاربوا كريم خان زند شاه فارس قِيلُ وَلِهَاتِه عندما ضم قوته الى قوة الشركة وحاول عام ١٧٥٩ دون طائل إخضاع الشيخ سليمان شيخ بني كعب (٢) كما فشلت حملة وكية الكاليزية مشتركة في القضاء على بني كعب والاستيلاء على مدينتهم الدورق عام ١٧٦٥ وحتى الوهابيين لم يكونوا قد بلغوا من الوضع ما يمكنهم من التحرك نحمو شرقي الجمزيرة في همذه الفترة الواقعة ما بين عامي ١٧٦٠ ـ ١٧٧٥م .

لذا استمر تهدید بنو کعب للعتوب و تجارتهم فأدت المناوشات التي وقعت بین تحالف بني کعب مع شیوخ أبو شهر وشیخ بندر ریق من ناحیة وبین العتوب من ناحیة أخرى الى جانب الصراع بین القواسم وعرب مسقط وشیخ هرمز وشیخ جزیرة خرج بالاضافة الى اضطراب الأحوال في العراق العثماني وبلاد فارس مما أدى الى تحرك العتوب نحو البحرین واحتلالها و تقلیص نفوذ شیخ بوشهر علیها وهذا ما أدى بدوره الى إشعال العداوة التقلیدیة بین العتوب من جهة و بنى کعب بدوره الى إشعال العداوة التقلیدیة بین العتوب من جهة و بنى کعب و آل مذکور من جهة أخرى .

⁽١) د. ابو حاكمة ـ نفس المصدر ـ ص ٩١ .

Wilson, The Persian Gulf, 184. (Y)

العلاقات مع شيخ بوشهر:

تخضع بوشهر لحكم آل مذكور وهم من عرب المطاريش العمانيين وكان شيخهم آنذاك هو الشيخ نصر آل مذكور ويشير نيبور الى أصل عرب بوشهر ما ترجمته « أن العرب الزبارنازلين في منطقة بوشهر ليسوا من الحولة ولقد امتازت بينهم ثلاث أسر اثنتان منها كانتا تنزلان في بوشهر منذ أمد بعيد جدا ، أما الشالثة والمسماة بالمطاريش فقد جاءت مؤخرا من عمان حيث كانت تعمل في صيد السمك وسرعان ما تضافرت الأسر الثلاث واستطاعت أن تستولي على زمام الأمور في بوشهر كها هو الأمر القائم حاليا وهذا لا شك قد تم قبل عام ١٧٦٥م بكثير » .

ولم يكن الشيخ نصر يحكم تلك المدينة وجزء البحرين فحسب بل انه كان يمتلك ممتلكات وأسعة (خرم شهر) التي كان يحكمها باسم كريم خان ، والذي لم يكن ليطمئن للشيخ نصر إلا بعد أن ترك أولاده رهينة لديه وقد استفادت شيراز من محالفة الشيخ نصر لها نتيجة لوجود ممتلكاته في (خرم شهر).

هذا وقد فاقت الأسباب التي دعت حكام بوشهر لمعادات العتوب تلك الأسباب التي تجمعت لدى حلفائهم من بني كعب وكالم أن بوشهر كانت أكثر تأثرا منذ البداية بالنجاح التجاري الذي أحرزته مدينة البصرة بعد انتقال نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية اليها في العقد السابع من القرن الثامن عشر وكان هذا التأثر من أهم الأسباب التي أدت الى توتر العلاقات وتأزمها بين الباشا العثماني وحاكم بوشهر وذلك إلى جانب تأثرها الكبير الناتج عن ازدهار تجارة العتوب في الكويت ومنافستهم لتجارتها بحيث كان انهيار تجارة بوشهر أمرا محتوما(۱۱). لذلك أخذت تنظر الى الكويت بعين الحقد والحسد وتتحين الفرص لتنفيذ عداوتها بالهجوم عليها وهذا ما دفعها فالخدس وبنو كعب ضد الكويت ومناصرة الأخيرين في هجومهم على الكويت أثناء معركة الرقة وذلك بالرغم من أن الشيخ نصر كان قد لجأ في وقت سابق الى العتوب في الكويت واستنجدهم في الكويت واستنجده في الكويت واستنجدهم في الكويت واستنجده في الكويت واستنجده في الكويت واستنجده في الكويت واستنجد والكويت واستنجد والتها والمين والكويت والميد والته والكويت والته والته والكويت والته والت

فتح البحرين الذي تم عام ١٧٥٣م ولا شك أن في ذلك دليل واضح على أن الشيخ نصر كان مدركا لقوة العتوب في الكويت ومقدرا لها وأنه في حاجة الى مساعدتهم بعد أن بلغوا ذلك القدر من القوة والنفوذ في الخليج العربي نتيجة لازدهار تجارتهم وتطور سفنهم حجها واستعدادا الى جانب نمو مدينتهم وتقدمها لذلك استنجد بهم الشيخ نصر المذكور طالبا مساعدتهم في فتح البحرين على أن يعفيهم في مقابل ذلك من دفع أية ضريبة على ممارسة الغوص في مغاصات البحرين وكان العتوب يتقنون عملية الغوص .

ولا ندري ما اذا كانت الكويت قد استجابت لهذا الاستنجاد أم لا وذلك لأن رد الكويت لم يرد في التقرير الهولندي لمدير شركة الهند الشرقية الهولندية نيفهاوزن (Kniphausen) ومساعده (جان فان هولست) عام ١٩٧٠هـ ــ ١٧٥٦م والذي رفعاه الى الحاكم العام للشركة (چيكوب وسبل) ووصفا فيه أحوال المنطقة الساحلية للخليج وسكانها والذي أشار الى استنجاد الشيخ نصر بالكويت لفتح البحرين كها أن رد الكويت على هذا الاستنجاد لم يرد في أي مصدار آلحر لنعرف ما إذا كانت الكويت استجابت له أم لا ولنقرر بالتالي ما إذا كان موقف بوشهر العدائي للكويت كان أحد أسباب بالتالي ما إذا كان موقف بوشهر العدائي للكويت كان أحد أسباب الى الأسباب النها آنفا .

ومها يكن الرد على هذا الاستنجاد فقد انضمت بوشهر الى القوى الأخرى في الجانب الشرقي من الخليج العربي وهم بنو كعب وعرب بندر ريق في عدائهم للكويت وتطلعهم لاخضاعها والسيطرة عليها في محاولة للقضاء على منافستها لتجارتهم وتفوقها عليها . وبالرغم أن بوشهر لم تقم بهجوم مسلح مباشر على الكويت إلا أنها بلا شك قد ساعدت حلفائها بنو كعب في هجماتها المسلحة على السفن الكويتية التي تجوب الخليج تنقل التجارة والأفراد _ ونهب وسلب ممتلكاتها ثم ساعدت بنو كعب كذلك في هجمهم على الكويت في معركة الرقة .

هذا ويشير مستر لاتوش الى طلب الشيخ نصر شيخ بوشهـر

⁽١) د. ابو حاكمة _ المصدر السابق _ ص ٧٧ _ ٧٧ .

A Letter from Mr. Latouch (The Basra Residency) to the Court Directors, London dated 4th Nov. 1782, Vol. 17, despatch No. 1230. (Y)

الصلح مع شيخ القرين (الكويت) وذلك قبل فتح العتوب للبحرين بقليل غير أن شيخ الكويت رفض اجابة طلبه إلا إذا دفع نصف دخله من البحرين وقدرا كبيرا من الجزية سنويا عن بوشهر(١).

ولا شك أن المطلب للصلح الذي تقدم به الشيخ النصر للشيخ عبدالله بن صباح يؤكد مدى القوة التي تمتعت بها الكويت في تلك الفترة والتي دفعت حاكها قويا مثل الشيخ نصر علك أسطولا ضخها وقويا أن يطلب الصلح معها ومكنها من رفض هذا الطلب للصلح وتقديم شروطا صعبة ولا يخشون بذلك تهديد القوة التي راح الشيخ نصر يعدها للهجوم عليها ردا على رفضهم الصلح معه فلا شك أن عتوب الكويت كانوا على ثقة بقدرتهم على رد هذا الهجوم المنتظر كها استطاعوا أن يتحدوا بني كعب ويردوا هجومهم على بلدهم في معركة الرقة وينتصرون عليهم.

كل ذلك جعل الصراع يشتد على النفوذ والسلطة في المنطقة والدي أدى الى تمكن العتوب من الاستيلاء على البحرين عام ١٧٨٢م والقضاء على سلطة ونفوذ الشيخ نصر فيها.

بندر ریق:

الى الشمال من بوشهر قامت مشيخة بندر ريق التي كان شيخها يتمتع بنفوذ يمتد الى أبعد من حدود مدينته بندر ريق والمدن المجاورة لها ويصل حتى أماكن أخرى في (خرم شهر) .

وكان شيخ بندر ريق حليفا لشيوخ بني كعب وشيوخ بوشهر لذا نقد عاون الأخير عام ١٧٥٣م في احتلال البحرين وربحا كان من أسباب هذا التعاون إلى جانب كونها حلفاء أنها يشتركان في الانتهاء ألى قبائل عربية عمانية فشيخ بندر ريق ينتمي إلى قبيلة بني صعب بينها ينتمي شيخ بوشهر إلى قبيلة المطاريش وقد كان حاكم بندر ريق في العقد السابع من القرن الثامن عشر مير مهنا نجل مير ناصر وكانت هذه الاسرة تنتمي إلى المذهب السني إلا أن مير مهنا نظرا لعلاقاته الوثيقة مع شاه ايران رأى أن من مصلحته ومصلحة بلده أن يتحول إلى المذهب الشيعي وأن يتزوج من إيرانية شيعية فكان من

نتيجة ذلك أن أصبح العرب ينظرون الى أسرة مير مهنا عـلى أنها فقدت عراقتها .

وقد لعب مير ناصر وولده مير مهنا دورا بارزا في أحداث الخليج العربي لا سيها في الفترة ما بين عام ١٧٥٣ وعام ١٧٦٩ وذلك أن مير ناصر قد سمح في عام ١٧٥٣م للهولنديين باتخاذ جزيرة خرج التابعة له مقرأ لوكالتها التجارية (وكالة الهند الشرقية الهولندية) ثم قام البطل العربي مير مهنا بدور وطني كبير حتم عليه أن يحارب ضد الهولنديين والفرس والانكليز على التوالي وذلك أثة بعد مدة قصيرة من اقامة الهولنديين في جزيرة خرج وقع خلاف بين رئيسها البارون نيفهاوزن (Kniphausen) ومير ناصر بعد أن رفض الأول أن يزيد الايجار الذي نصت عليه اتفاقية تأجير الجزيرة للوكالة الهولندية(١٠). مما أوجد عداوة بين الجانبين استمرت قائمة حتى حينها تولى مير مهنا مشيخة بندر ريق بعد أن قتل والده عام ١٥٧٨م وفي الوقت ذاته كانت علاقة مير مهنا مع الفرس لا تقل سوءا عن ما هي عليه مع الهولنديين عير أنه احتفظ بعلاقات ودية وثيقية مع باشا بغيداد العثماني ومع متسلم البصرة كها ساءت علاقة مير مهنا بشركة الهند الشرقية الانكليزية مما جعله في وضع محرج لكن لا يهمنا من كل هذه الامور سوى علاقة مير مهنا بـالفرس والتي اضـطرته للجـوء الى الكويت عام ١٧٦٩م وذلك أن مير مهنا بعد أن تخلص من الهولنديين بطردهم من جزيرة خرج اشتد النزاع بينه وبين كريم خان الذي أحكم الحصار عليه مما أجبره على الهرب والالتجاء الى الكويت متسترا بظلام الليل حاملا معه بعض المقربين اليه وشيئا من كنوزه مبحرا في سفينة سريعة الى الكويت التي وصلها في الليلة التالية في طريقه الى البصرة(٢).

ولعل لجوءه الى الكويت جاء بعد تحسن علاقته معها وبعد أن انفرط ذلك التحالف العدائي للكويت والذي كان طرفا فيه مع بنو كعب وآل مذكور وقد يكون تحسن العلاقات مع الكويت ناتج عن أن الأخيرة قد أقامت علاقات حسنة مع شركة الهند الشرقية الهولندية في جزيرة خرج فلها طرد مير مهنا الهولنديين من تلك الجزيرة

⁽١) د. أبو حاكمة ـ تفس المصدر ـ ص ٧١.

⁽٢) لورير ــ دليل الخليج القسم التاريخي ــ العدد ٣، ص ٥٥ ـ

رغب في الاحتفاظ بتلك العلاقات الطيبة لا سيها وأن علاقته من حليفاه السابقان (بني كعب في الفلاحية وآل مذكور في بوشهر) لابد أن تكون قد تأثرت نتيجة لسوء علاقته مع كريم خان .

ومهيا يكن الأمر فقد رحبت الكويت به كلاجي، وكانت على استعداد أن تحميه رغم ما بدر منه من عداوة سابقة إلا أن مير مهنا رغب في مواصلة سفره الى البصرة حيث ظن أنه سيكون هناك بأمن من كل خطر لا سيها وأنه كان لا يزال محافظا على المعاهدة القائمة بينه وبين والي بغداد الخاصة بعدم التعرض لأية سفينة متجهة الى البصرة أو عائدة منها هذا وقد أحسن المتسلم استقباله وأكرم وفادته باعتباره صديقا لسيدة بأشا بغداد (١) تبعا لرواية الرحالة الانكليزي المعاصر بارسونز (Abraham Parsons) إلا أن لورير بختلف مع الأخير حين يؤكد أن المتسلم التركي قد غدر بالمير مهنا وأعدمه شنقا في منتصف ليلة ٢١ مارس ١٧٦٩ (٢). ولا نريد أن نتتبع قصة مير مهنا الى الكويت صحيحة فإن أكثر ما بسنا في موضوعنا هو لجوء مير مهنا الى الكويت .

العلاقات الكويتية البحرينية :

ترتبط الشقيقتان الكويت والبحرين بروابط أخوية متينة وثيقة العرى ثابتة البنيان لا يمكن تفكيكها أو تفتيتها مها كانت الظروف التي تمربها أو الأحداث التي تتأثر بها . فهناك روابط القربى الكبيرة التي تشد الأسرتين الحاكمتين في كلا البلدين لبعضها البعض ، فان لها أصلا واحدا ونسبا واحدا ، حيث تنتميان الى نفس القبيلة وهي قبيلة عنزه العربية الكبرى . يقول الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة « اننا آل خليفة وآل صباح كلنا عنزه من قبيلة العمارات أبناء تغلب بن وائل » (٢٠) . ونستطيع أن نذهب أكثر من ذلك فنقول أن للأسرتين رباط قربى أكبر من انحدارهم من قبيلة واحدة فها تنتميان الى نفس الفخذ (جيلة) بل والى نفس الفرع (شملان)(٤) ولا نستبعد أن

يريطها جد واحد حيث كانت عروتهم وشهرتهم حين هجرتهم من موطنهم الأصلي كها يقول الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة واحدة هي (الادسالم) أي أولاد سالم وبقيت حتى بعد انتصار آل الصباح في معركة الرقة (يذكر الشيخ عبدالله أنها وقعت عام ١٧٨٢) وفتح آل خليفة للبحرين عام ١٧٨٣م .

والى جانب روابط القربي القبوية بين الأسرتين الحاكمتين والعتوب عموما من سكان البلدين فان تاريخ الكويت والبحرين واحد لا يتجزأ منذ القدم حيث شملت مملكة دلمون الكويت (فيلكا) وكثيرا من أجزاء الخليج العربي ثم في التاريخ الوسيط حين كان حاكم البحرين بشمل بنفوذه أجزاء كبيرة من منطقة الخليج العربي منها الكويت ثم كانت الكويت والبحرين أكثرا اتحادا والتصاقا ببعض في التاريخ الحديث بحيث لا يستطيع دارس تاريخ الكويت الا أن يبدي بهجرة العتوب بزعامة آل صباح وآل خليفة وآل جلاهمة من موطنهم الأبراني (الهدار) في نجـد متحدين تحت اسم واحـد هو (جمـاعة العتوب) ومرورهم بعدة أماكن متفرقة حتى وصلوا الى الكويت وأسسوا مدينة الكويت فيها وتقاسموا الأمور فيها من سياسية وتجارية وشئوني البحر فاختصت كل أسرة من هذه الأسر بشأن من الشئون . وعملوا على نمو الكويت وتقدمها وازدهارها فلها تم لهم ذلك وسعموا نفوذهم وممدوا سلطانهم الى كل من النزيمارة والبحرين مشتركين ومتحدين في كل هذه الأحداث الهامة في تاريخ الكويت والبحرين لذا فلا يمكن فصل تاريخ أيا من البلدين عن الأخر مهما حاول الباحث واجتهد في ذلك نتيجة لاختصاصه بدراسة واحدة من البلدين، ودارس تاريخ البحرين الحديث سيصادف نفس الوضع الذي قابله عند دراسة تاريخ الكويت الحديث.

أما أسباب هجرة آل خليفة من الكويت والتي حدثت حوالي عام (٦) العباح وآل العباح وآل (٦) فقد اختلف حولها المؤرخين حتى من أسرتا آل الصباح وآل

Parsons, Abraham : Op. Cit. 196-198. (\)

⁽٢) لوريّر _ المصدر السابق _ المجلد الثاني _ ص ٢٦٥٥ .

⁽٣) رسالة جوابية من الشيخ محمد بن عيسى آل خليقة الى سيف مرزوق الشملان بتاريخ ٤ ذو الهجة ١٣٧٤هـ منشورة في (من تاريخ الكويت) ، ص ١٠٤ .

⁽٤) نورية الصالح علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦ ـ ١٩٠٢ ، ص ١٥ .

⁽٥) المقالة السابقة للشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة الوثيقة العدد الثالث ، رمضان ١٤٠٣هـ الموافق يوليه ١٩٨٣م .

⁽٣) د. علي أبا حسين في رسالة جوابية بتاريخ ٧ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ الموافق ٣ ديسمبر ١٩٨٤م ، رقم ط ١٩١/١/

خليفة فبينها يجمعون على أنها جاءت بسبب بن كعب فانهم يختلفون في تفاصيل هذا السبب بحيث بصفه كل جانب بشكل مغاير عن الجانب الآخر ففي حين يذكر الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة أنه سمع من كبار عشيرته آل خليفة ان سبب الهجرة كان محددا ، وذلك أن احدى سفن الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة وفيها أحد أبنائــه (لا يعلم هل هو خليفة أو أحمد أو مقرن) كانت راسية في الدورق وكانت تحمل تمرا فهاجمها قطاع الطرق ليلا بهدف نهبها ونشبت بين المهاجمين وأصحاب السفينة معركة انتهت بقتل أحد الهاجمين وهم من بني كعب . وغادرت السفينة مرساها بسرعة وعادت للكويت فطلب بنو كعب بتسليم ابن الشيخ محمد لأخذ الثأر منه لقتيلهم فسرفض الشبخ محمد تسليم ابنه واقترح عليه الشيخ عبدالله بن صباح أن يأخذوا الابن في مسيرة ويذهبوا الى بني كعب ويطلبوا منهم الصفح على أن يدفعوا لهم دية القتيل فلم يوافق الشيخ محمد على ذلك الرأي وقال انه مستعد لدفع الدية مهها بلغت لكنه لن يسلم ابنه خاصة وأن بنو كعب هم الذين بدأوا العدوان. فاشتد الخلاف بين بني كعب والشيخ عبدالله نتيجة لذلك الرفض مما دعا الأخير الى الالحاح على الشيخ محمد بتسليم ابنه على أساس أنه ليس في مقدورهم محاربة بنو كعب فأدى ذلك إلى مغادرة الشيخ محمد آل خليفة مع من وَأَفِقِهِ مِنْ العتوب وتوجه الى أقاربه وأصهاره العتبوب من آل بنعلي البذين هاجروا من الكويت في وقت سابق وسكنوا الفريحد في قطر فسكن عندهم وأسس مدينة الزبارة في وقت لاحق واستقل بها عن قطر(١٠).

وفيها يورد المؤرخ الكويتي الشيخ يوسف القناعي (صفحات من تاريخ الكويت) تأييد لبعض ما ذهب اليه الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة هو خليفة اذ يشير الى أن أصح الأقوال في سبب هجرة آل خليفة هو ماحصل من التعدي على أهل الكويت من بني كعب ابن عامر فلم يطق الشيخ محمد بن خليفة هذه الاهائة فهاجر الى الزبارة (٢).

هذا وتعزو الرواية المحلية الأخرى تلك الهجرة الى أن الخلاف تطور بين بني كعب وشيخ الكويت الى مرحلة حدت بالأولين الى فرض شروط على الشيخ رآها آل صباح مقبولة وشايعهم بعض العتوب في ذلك ورآها آخرون ومن جملتهم آل خليفة غير مقبولة مما حدا بالاخيرين الى الهجرة . حيث قال شاعرهم : هب الهبوب وطير الشر وانجال (٣) . واللي يبقى حاشا الردى (٤) والذلة ، فأجابه شاعر الله صباح ومن أقام معهم :

هب الحبوب وطير الشير وانجال (١٠)

والسلي بقى حساسي السردى (٤) والسذلسة فاجاب شاعر آل الصباح ومن اقام معهم به هب السدبسور وطسير الستسين وانسجسال

ولا بقى الا مصحح (٥) الحب كله(١)

ويؤكد رواية الشيخ عبدالله آل خليفة النبهاني فيقول « ان الشيخ محمد بن خليفة كان قد حصل له جور وتعديات من أمراء المحمره من بني كعب الذين كان لهم نفوذ ومطامع في تلك الجهات ، مما زهده في منكني الكويت وحبب اليه الرحيل ، فهاجر بقومه ونزل بهم في الزبارة من يرقط (٧).

أما الكولونيل ديكسون (Dickson) فيورد رواية مغايرة نقلا عن الشيخ عبدالله السالم الصباح (الحاكم الأسبق للكويت) أن جاعة آل خليفة كان من رأيها اجابة طلب الكعبيين للمصاهرة مع حاكم الكويت الذي تقدموا به قبل معركة الرقة اعتقادا منهم بعدم قدرة العتوب على مواجهة بني كعب في حالة رفض طلبهم (١٨). وأن هذا الخلاف في الرأي بين آل الصباح وآل خليفة كان دافعا للجماعة الأخيرة على الهجرة من الكويت عام ١٧٦٦م كما يدكر هوب ود (Hopwood)

⁽١) الشيخ عبد الله بن خالد المقالة السابقة مجلة الوثيقة نفس العدد ، ص ٢٠ ـ ٢١ .

⁽٢) الشيخ يوسف القناعي صفحات من تاريخ الكويت .

⁽٣) انجال ـ مقلوب انجلي أي انكشف .

⁽٤) حاشا الردى ـ تال الردى .

⁽٥) مصحصح _ خالص .

⁽٦) عبد العزيز الرشيد نفس المصدر ، ص ٨٩ ــ ٩٠ .

⁽٧) النبهاني تاريخ البحرين ، ص ١١٩.

Dickson: Kuwait and her Neighbours, p. 27. (A)

Hopwood, op. cit. p. 40. (4)

وفي رواية أخرى لجماعة من آل خليفة مختلفة حتى عن رواية الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة السابقة حيث يعزون تلك الهجرة الأسباب سياسية خاصة بالحكم فيذكرون: انه سبق لفيصل جد خليفة حكم المنطقة التي أقام فيها العتوب قبل نزوهم الى الكويت وقد قام فيصل هذا بتزويج احدى كرياته لجابر، (والد الشيخ صباح ابن جابر) عقب اختيار صباح كأول حاكم للعتوب في الكويت على أمل أن يصبخ الحاكم الذي سيخلفه من أسرة (فيصل). فلما اختير (عبدالله) أصفر أبناء (صباح) للحكم رحل آل خليفة من الكويت الكويت الكويت الكويت أليا اختير

هذا ويمكن الأخذ بأي من الروايات السابقة لتقاربها واجماعها على كون السبب المباشــر للخلاف والهجـرة هو اعتــداءات بني كعب، وردود فعل كلا من الأسرتين عليها ومهها اختلفت تلك الروايات في نفسير ردود الفعل تلك حسب ميلها لآل الصباح أو لآل خليفة الا أننا لا يمكن أن نقبل الرواية الأخيرة بأي حـال من الأحوال لأنها تجانب المنطق وتخرج عن سير الأحداث التاريخيـــة التي مرت بهـــا الأسرتين كها أنها لم ترد في رواية أو مصدر آخـر. فاذا حلَّف ففه الرواية نجد أنها غير صحيحة ابتداء من كون أي من الأس العتبية لم تحكم أي منطقة من المناطق التي مروا بها قبل وصولهم الى الكويت وتأسيس حكمهم فيها وكان استقرارهم في كل البلاد التي مروا بها تحت ظل حكامها سواء طال هذا الاستقرار أو قصر . كيا أن المصادر نشير الى وفاة جابر والد الشبخ صباح الأول في الزبارة (في قطر) قبل وصول العتوب الى الكويت وهذا ما يؤكده المنطق والأحداث فلو كان جابر حيا حين استقر العتوب في الكويت وبسن يسمح له بالزواج لولي هو حاكم على الكويت بدلا من ابنه ، ثم لو افترضنا أن الشيخ صباح تولى الحكم ووالده على قيد الحياة وأن فيصل اراد المصاهرة بقصد أن يؤول الحكم الى أسرته فلماذا لم يزوجها الشيخ صباح نفسه . ثم حتى لو آل الحكم الى أحد أبناء ابنه فيصل فان هذا الابن هو من سلالة آل صباح وليس من سلالة آل خليفة لأن الابن

ينسب الى أبيه وليس الى أمه . وأخيرا فانه من المعروف لدى الجميع أن أول مصاهرة بين آل الصباح وآل خليفة كانت حين تزوج خليفة بن محمد بن خليفة من (مريم) ابنة الشيخ صباح بن جأبر ، وذلك أن والد خليفة هذا وهو الشيخ محمد بن خليفة قد توفي في الكويت في العقد الثالث من القرن الثاني عشر الهجري الموافق للعقد الثاني من القرن الثامن عشر . ولما كان الشيخ خليفة صغيرا في السن عند وفاة والده الشيخ محمد لذا فقد رعاه عمه الشيخ صباح وزوجه ابنته (٢)

وأقرب رواية الى الواقع ومسايرة الأحداث تلك التي وردت في ملاحظات (فرانسيس واردن) عن العتوب . فقد أشار الى أن الكويت عندما بلغت مستوى عاليا من التطور والازدهار أبان الخمسين عاما الأولى من نشأتها ، رغب الفرع التجاري في التحلل من التحالف القديم لكي ينفرد أصحابه بالتمتع بالغنى والحصول على الثروة (٢٠) . لذلك اضطر هذا الفرع التجاري أن يسلك طريق المواربة لتحقيق مبتغاه . وذلك عند ما صور الشيخ (خليفة بن محمد) للجماعتين الأخريين مخابل الثراء التي تتراءى لعينيه من الانتقال الى حواحل ذلك الجزء من الخليج حيث يكثر اللؤلؤ ، وانهم اذا أنشأوا مستوطئا في بقعة مجاورة استطاعوا أن يباشروا استخراج اللؤلؤ بأتفسهم ، فاذن شيخ الكويت للشيخ خليفة بمغادرة الكويت مع قسم من جماعته حيث نزلوا في الزبارة . وحصلوا على قسم هام من مصايد الليولؤ ، حيث تمكن الشيخ خليفة من استدعاء بقية جماعته الى هذا المستوطن الجديد ، ومع مرور الزمن انفصلت جماعة (آل خليفة) المستوطن الجديد ، ومع مرور الزمن انفصلت جماعة (آل خليفة)

هذا ومهما اختلفت المصادر في تفاصيل أسباب هجرة آل خليفة عن الكويت والتي أوردناها جميعا ورجحنا ما رأيناه أكثر واقعية الا أننا يمكننا أن نقول بعد ذلك وباطمئنان أنه لم ينتج عن هجرة آل خليفة أي خلاف بينهم وبين آل الصباح أو ضرر لبلديهما والما نتج عن هذه الهجرة زيادة في تعاون الأسرتين باطار من المحبة والمودة والوفاق

⁽١) د. أبو حاكمة ، تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، ص ٩٣ .

 ⁽٢) المقالة السابقة للشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة ـ نقس المصدر ، ص ١٨ .

Mr. Warden: The rise and progress of the Arab Tribes of the Persian Gulf, Vol. No. 4 pp. 362-363. (*)

Extract, op. cit. No. 5 pp. 362 f. (£)

في العمل لكل ما فيه مصلحة بلايها وتقدمها ورخاءها فقد مد جاعة العتوب نفوذهم الى مناطق أخرى ووسعت من سلطتها في هذه المناطق الجديدة مما عاد عليها بالغنى الكبير نتيجة لامتلاك تلك المستوطنات الجديدة (الزبارة) ثم البحرين فيها بعد وصلاحية موانيها ذات الموقع الاستراتيجي الممتاز مما ساهم في ازدهار تجارتهم وتطور نشاطهم في النقل البحري.

ومها يكن من أمر هجرة آل خليفة فالثابت ان هذه الجماعة عند ما تركت الكويت في الفترة بين ١٧٦٢^(١) و١٧٦٧ وكان على رأس هذه الجماعة الشيخ (خليفة بن محمد)، قد سلكت طريق البحر نحو جزر البحرين للاقامة هناك^(٣)، الا أن حكامها من (آل مذكور) حالوا بينهم وبين ذلك^(٤). فاتجهوا الى شبه جزيرة قطر ، وأقاموا في الزبارة^(٥)، على مقربة من جزر البحرين حيث أخذوا يتطلعون منها الى تلك الجزيرة لاخضاعها لنفوذهم .

الاستعداد لفتح البحرين :

وبنزول آل خليفة منطقة المزبارة بقطر على ذلك النحور أصبحوا على مقربة من الجيران في البر والبحر على حد سوالم كمن ناحية البركان (الخوالد) يتركزون في الاحساء ، وهؤلاء لا خوف منهم فقد سبق للعتبوب التحالف معهم ، وهناك (آل مسلم) أصحاب النفوذ والسلطان الفعلي في قطر ، وبما أنهم قد سبق لهم الاصطدام بالعتوب قبل رحيلهم الى الكويت خلال هجرتهم من موطنهم الأصلي (الهدار) لذا فلم يكن مستبعدا أن ينشب نزاع بينهم وبين آل خليفة لا سيها وأن الأخيرين رفضوا دفع الزكاة لهم (١).

وأعدوا عدتهم للاستقلال بالزبارة . كما أن العشائر القطرية الأخرى كانت على استعداد لمناوئة العتوب الذين شاركوهم خيرات بلادهم بل فاقوهم نشاطا وخبرة مما أكسبهم المزيد من الغنى والثراء .

ولذا وازاء تلك الأخطار التي أحاطت بعتوب الزبارة كان عليهم الاستعداد والاعتماد على النفس في الدفاع عن مركزهم الجديد فأقاموا العديد من الحصون والأسوار (٧) لحماية مدينتهم ، ولم يعولوا كثيراً على تحالفهم مع (الخوالد) لانشغال الاخيرين في نـزاعهم الأسرى من ناحية وصراعهم مع الوهابيين من ناحية أخرى واهتم آل خليفة الى جانب ذلك بتنمية مواردهم الاقتصادية وذلك لمواجهة التحديات التي تعترضهم وقد وجدوا أن ذلك لا يتحقق الا بالاكثار من سفنهم العاملة في صيد اللؤلؤ وتخفيض الرسوم الجمركية وبعد فترة عجزت الزبارة عن تلبية احتياجات مجتمع (العتوب) الجديد اللهي تزايد أفراده بشكل كبير بانضمام جماعات أخرى اليه في أعقاب احتلال الفرس للبصرة (١٧٧٦ ـ ١٧٧٩) واضطرار أعداد كبيرة من مواطنيها الى الهجرة نحو موانيء الخليج المختلفة وبصفة خاصة تلك المتابعة للعتوب في الكويت والزبارة نظرا للتسهيلات الكبيرة التي كانت توليها هذه الجماعة للتجارة . وذلك الى جانب قدوم جماعات من شبه الجزيرة العربية لضغط الموحدين واستقرارهـا في الكويت والزبارة كذلك (٨).

فكان من الطبيعي ازاء تزايد عدد سكان « الزبارة » على ذلك النحو أن يتجه العتوب بانظارهم نحو البحرين والتي تمثل لهم مركز الشروة والرخاء في منطقة الخليج العربي لشهرتها بمغاصات اللؤلؤ

⁽١) د. على أبا حسين في رسالته الجوابية السابقة لي .

Albaharna, The Arabian Gulf States, p. 3. (٢)

⁽٣) د. أبو حاكمة محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ، ص ١٢٨_ ١٣١ ـ

⁽٤) د. أبو حاكمة ، نفس المصدر ، جد ١ ، ق ١ ، ص ١٧٩ ـ محاضرات ص ٧٩.

⁽٥) بذكر الشيخ عبد انه بن خالد أل خليقة أنه سمع من المرحوم الشيخ محمد بن عيسى رواية عن المرحوم راشد بن فاضل آل بنعلي أن بنعلي أثناء هجرتهم من الكويت التي سبقت هجرة آل خليفة حاولوا المرور بالبحرين ومنعهم آل بومهير من ذلك أي أن الذين حاولوا المرور بالبحرين والاستقرار فيها هم آل بنعلي وليس آل خليفة بن (٨) عثمان بن سند المصدر السابق ، ص ١٢.

٦١) أمل الزياني البحرين من ١٧٨٣ ـ ١٩٧٣ ، ص ٤٣ .

⁽٧) تمكن آل خليفة خلال عامين من نزولهم (الزيارة) من يناء سور المدينة وقلعة مرير .

٨١) د. بدر الدين الخصوصي دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٠٨_ ١١٠ .

ووفرة الزرع والنخيل بها ، لذا فكروا بالتوسع نحوها ومد سلطتهم اليها ولم يتطلعوا في ذلك الى التوسع الداخلي في شبه جزيرة قطر نتيجة لتبعية أجزاء منها لبني خالد الذين تربطهم بهم علاقات طيبة ، فلم يكونوا راغبين بالاساءة الى تلك العلاقات ، أما الأجزاء الأخرى التابعة للعشائر القطرية فقد كان العتوب مدركين لمدى الجهد الذي يتوجب عليهم بذله لاخضاعهم ، كما كانوا مدركين أن نجاحهم في ذلك الى جانب صعوبته فانه وقتى لأن التحرك الوهابي نحو شرقى شبه الجزيرة العربية كان قد اشتد وأحاط الزبارة بخطره . لذا فلم يكن أمام عتوب الزبارة من سبيل يطرقونه سوى البحرين التي سيحققون الكثير من المكاسب المادية باخضاعهم ، كما أنها كانت في مأمن بعض الشيء من الموحدين السعوديين لوجود الحاجز المائي ، ثم أن الطريق اليها أكثر بسرا من التحرك الى الداخيل فهم عتلكون السفن القادرة على اخضاعها ، وهم بوجودهم في (الزبارة) أقرب اليها من آل مذكور حكام بوشهر الذين كانـوا يزاولـون السلطة والنفوذ على تلك الجزر ، والذين كانوا يتحينون الفرص المناسبة لشن هجماتهم على عتوب الزبارة(١) . خلال الفترة الواقعة بين عام ١٧٧٧ و١٧٨٢ بعد أن زادت قوتهم وازدهارهم الاقتصادي ومنافستهم لهم بتحول القسم الأكبر من تجارة البحرين اليها. مُمَا خُدَا بِأَلَ مِذْكِورِ بالوقوف منهم ذلك الموقف العدائي (٢). وقد شجع ذلكَ المُوقف منّ آل مذكور (عتوب) الزبارة على بذل المحاولات الجادة من جانبهم لاخضاع البحرين منتهزين فرصة النزاع القائم بينهم وبين حكام البحرين من آل مذكور معتمدين على ما أسسوه من قوة بحرية بحكم الممارسة والواقع الذي وجدوا أنفسهم فيه بعد رحيلهم عن الكويت.

وفي الوقت الذي وقف فيه شيوخ (بني كعب) و (بندريق) و (هرمز) و (القواسم) الى جانب (آل مذكور) انضمت العشائر

القطرية الى جانب عتوب الزبارة كها كان من السطبيعي أن ينضم اليهم بقية العتوب من آل صباح والجلاهمة (٣).

معركة الزبارة:

وفي معركة الزبارة اتخذت قوات العتوب موقف الدفاع في بداية المعارك التي نشبت بشأن البحرين ، ولكنهم نجحوا في الاستيلاء على احدى سفن الخصوم (٤) ، مما أجبر الأخيرين على الخروج لمهاجمة الزبارة ومحاصرتها ، الا أنهم فشلوا في ذلك وأخذت سفنهم تتردد ما بين الزبارة والبحرين وهنا حاول (راشد بن مطر) شيخ القواسم في بين الزبارة والبحرين وهنا حاول (راشد بن مطر) شيخ القواسم في وساطته مثلها فشلت (جلفار) التوسط بين الجانبين غير أنه فشل في وساطته مثلها فشلت وساطة (شيخ بندرريق) التي سبقتها . لذلك تحركت قوات بوشهر نحو الزبارة للاستيلاء على قلعتها (٥) ، ولكنها ووجهت بمقاومة باسلة من العتوب مما اضطر الأعداء الى القرار على أثر هزيمتهم (١) ، وقتل بعض قادتهم في معركة الزبارة عام ١٧٨٢م هكذا وقعت معركة الزبارة .

فتح البحرين:

يشير د . أبو حاكمه إلى أن العتوب ظلوا بعيدين عن تلك المعركة (الأولى) وذلك نتيجة لكونهم ينتظرون أن ينزل بهم هجوم بوشهر قبل الزبارة نظرا لقرب مدينتهم من ديار بني كعب وبوشهر . كما يبدو أن أنباء الهجوم على الزبارة قد وصلتهم متأخرة وبعد أن القوا القبض على مركب تابع لبوشهر يحمل أنباء هزيمة جيوش الأخيرة في الزبارة وأوامر إلى ابن الشيخ نصر المتصرف بشئون البحرين بأن يبذل كل ما في وسعه للدفاع عن المدينة حتى يتيسر لوالده أن يمده بالعون وبذلك تسنى لعتوب الكويت معرفة ما يجري في الزبارة والبحرين ()

⁽١) د. أبو حاكمة تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ، محاضرات ، ص ١٠٥ ـ ١٠٠ .

IOR: Brief history of Bahrain Islands. (Y)

Hopwood : op. cit. p. 40. (*)

Extracts, op. cit. No. II, p. 364. (1)

⁽٥) د. بدر الدبن الخصوصي دراسات في تاريخ الخليج العربي ، جـ ١ ، ص ١١٠ .

Belgrave: The pirate, p. 124. (%)

⁽٧) د. أبو حاكمة ، تاريخ الكويت الحديث ، ص ٩٣ ـ ٩٣ .

لذلك أبحر أسطول الكويت المكون من مراكب كبيرة وبعض المراكب الصغيرة الى الزبارة لنجدتها(١١) متخذين بذلك اجراء سريعا وحاسها لمساعدة آل خليفة فتوجهموا الى البحرين واستمولوا عملي قلاعها الرئيسية وقطعوا خط الرجعة على أسطول الشيخ نصر المهزوم .

ويذكر المستر لاتوش (Latouch) (مقيمية البصرة) في رسالة منه الى ديوان الادارة بلندن (مؤرخة ٤ نوفمبر سنــة ١٧٨٢) ما ترجمته « هاجم أهالي القرين والزبارة مؤخرا البحرين ونهبوا ، مثلها استولوا على عدة سفن تابعة لبوشهر وبنـدر ريق في مدخـل النهر (شط العرب) ورد الشيخ نصر على ذلك بجمع قوة بحرية وأخرى برية من بوشهر وبندر ريق وموانيء فارسية اخرى . وتظاهر (الشيخ نصر) بأنه ينوي الثأر لهذه الاعتداءات بشن هجوم على الزبارة . وكتب الى علي ميرزا علي خان في أصفهان لكي يمده بالمال . ورغبا عن مظاهر الحماس ، يقال بأنه (الشيخ نصر) أرسـل مؤخرا الى القرين في طلب الصلح ولكن (شيخ القرين) رفض الموافقة على هذا الطلب ما لم يدفع له الشيخ نصر نصف دخل البحرين ؛ وأيضا اتاوة سنوية كبيرة عن بوشهر « وبمضي لاتوش في سرد الأحداث قَاتَلاً عَالَمُ تمض سنوات كثيرة على الوقت الذي كانت فيه القرين مجبرة على دفع اتاوة كبيرة لبني كعب ، أما الزبارة فكان اسمها قل أن يعرف ، ولكن عندما هاجم الفرس البصرة تحول أحد شيوخ القرين (خليفة ابن محمد آل خليفة) الى الزبارة مع كثيرين من كبار القوم ، وتحول أيضا عدد من تجار البصرة الى هناك، وبهذه الطريقة دخل جزء كبير من تجارة اللؤلؤ وتجارة الهند الى هناك (الـزبارة) والى القـرين خلال الزمن الذي استولى فيه الفرس على البصرة . ولقد زادت قوة هذه الأماكن (هذين المكانين) زيادة عظيمة وأصبحوا قوة كان من شأنها أن تحديا بني كعب زمنا ما ، وتفوقا عليه (أي الشيخ نصر) بزايا عظيمة وأصبحوا لا يخشون من القوة التي يهددهم بجمعها ضدهم »^(۲)،

وعلى الرغم من عدم معرفتنـا الى أي معركـة من المعارك التي دارت يخصوص البحرين يشير كل من لوريمر ومستر لاتوش إلى أن اشتراك الكويت بهذه المعركة يؤكد لنا مدى مساهمة الكويت الفعالة في فتح البحرين . وهذا ماتؤكده أيضا كافة المصادر الأجنبية الرسمية المعاصرة ومنها ماجاء في مختارات حكومة بومباي : ٣٦٥ أن لوريمر 839,1,1 في وصفه لهذا الفتح يقول ان الحملة الكويتية أسرعت الى المنامة عاصمة البحرين ، واستولت على المدينة وأشعلت فيها النيران وعزلت (الحامية الفارسية)(٣) من القلعة .

ولا نعرف على وجه الدقة هل شارك عتوب الـزبارة اخـوانهم عتوب الكويت في هجوم الأخيرين الأول على المنامة في البحرين اذ لم نجد في التقارير الأجنبية (مسئولي شركة الهند الشرقية وحكومة يومباي) ما يشير الى مشاركتهم . وذلك عي الرغم من أن الرواية المجلية لآل خليفة تعزو فنح البحرين الى أحمد بن محمد بن خليفة والقبائل العربية النازلة برقطر وعتوب الجلاهمة وهي تنفي أن يكون لعترب الكويت أي دور في الفتح الا أننا باعتمادنا على ما أشرنا اليه من تقارير رسميةٍ نؤكد باطمئنان كامل أن الدور الأساسي في هذا الفتح كان لعتوب الكويت حيث ندعم تأكيدنا هذا على ماسبق الاشارة أليه من تقارير رسمية الى جانب التقارير الأقدم عن الفتح وهي تلك التي كتبها المستر فرنسيس واردن (Warden) والكابتن تلور (Taylor) والتي تشير بوضوح الى أن دور الكويت كان هاما وحاسيا (٤) ،

وبهذا الفتح مد العتوب نفوذهم وسلطانهم الى منطقة أخرى هامة (البحرين) فأصابوا بذلك نجاحا سياسيا كبيرا الى جانب ما حققوه بهذا الفتح من مكسب وازدهار اقتصادي ناتج عن غني البحرين الكبير بأصداف اللؤلؤ بالاضافة الى أن هذا الفتح دعم نجاحهم وتطورهم التجاري ونشاطهم في مجال النقل البحرى وهو ما حققوه خلال النصف الأول من القرن الثامن .

Lorimer, op. cit, 1, 1, p. 839. (\)

Mr. Latouche (The Basra Residency) to the Court of Directors. London, 4th Nov. (*)

⁽٢) الحامية الفارسية التي يشير اليها لوريمر في تقريره هي حامية الشيخ نصر وهي من العرب في الغالب لا الفرس .

⁽٤) انظر تقريرهما في منتخبات حكومة بومباي (٢٤) : ١٨_ ٢٩.

ولكن مما لاشك قيمه أن ذلك النجاح السياسي والازدهار الاقتصادي قد جلب معه مناقسات شديدة ومنازعات جديدة لم يكن لما وجود قبل عام ١٧٨٢. وذلك أنه بالاضافة الى أعداء العتوب الثلاثة التقليديين وهم (بنو كعب) و(عرب بوشهر) و(عرب بندر ريق) فقد ضم الفتح الى قائمة أعداء الكويت بالذات الشيخ راشد شيخ رأس الحيمة وابنه. والشيخ عبدالله شيخ هرمز الذين صاروا أعداء للقوة العتبية النامية ، كها أن خطرا أعظم من ذلك تعرض له عتوب البحرين تمثل في سلطان مسقط الذي كان قد ادعى في وقت عبوب البحرين تمثل في سلطان مسقط الذي كان قد ادعى في وقت سابق السيادة على البحرين. ولكن هذا الخطر الأخير لم يتضع بصورة كاملة الا في نهاية القرن الثامن عشر (١١). وفي محاولة من الكويت لحماية البحرين ضد اعتداءات سلطان مسقط أخذت سفنها تتردد على موانيء البحرين عل وجودها هناك القواسم الى تحويل نشاطهم ضد السفن البحرينية الى سفن ايران على الجانب الآخر من الخليج.

العلاقات الكويتية الوهابية

تعريف الوهابية:

الوهابية هي حركة دينية اصلاحية إسلامية سنية دعا اليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وكان لها آثار عميقة إنعكست على الأوضاع السياسية في شرقي الجزيرة العربية باكملها، بل وتعدى هذا الاثر شرقي الجزيرة العربية الى بقية امارات الخليج العربي. وكان ذلك خلال الفترة ما بين ١٧٦٥ و١٨٠٠ ميلادية.

وتقوم هذه الدعوة الدينية على الوحدانية ، وعدم الشرك بالله بأية صورة كانت وبما ان الشيخ محمد بن عبدالوهاب حين دعا الى دعوته تلك لم يبتدع اي شيء جديد ، لذا فهي خالية من أي تعاليم جديدة غير موجودة في الاسلام (٢١) ولابد من اعتبارها دعسوة للعسودة الى

تعاليم الدين الصحيحة كها نزلت في القرآن الكريم كتاب الله (سبحانه وتعالى) وفي سنة رسوله محمد (ﷺ $(^{"})$ فقد هدف الشيخ محمد بن عبدالوهاب من هذه الحركة الاصلاحية ان يخلص المسلمين من الآثام التي وقعوا فيها عندما تركوا الالتزام بالشريعة الاسلامية المنزلة بـالقرآن الكـريم وتحللوا من التقيد من كثـير من واجباتهم الدينية . لذلك توجه الشيخ محمد بن عبدالوهاب الى مواطنيه والى كافة المسلمين بدعوة للعود الى تفهم اصول الدين الصحيحة والتقيد بجوهر تعاليمه المستمدة من كلام الله (٤) (سبحانه وتعالى) في قرآنه ِالمجيد ومن أقوال الرسول والصحابة (الخلفاء الراشـدون) وقد أصبحت هذه الحركة تعرف بأسم الوهابية على الرغم من أن هذا اللقب اطلقه عليها خصومها واستعمله البحاثة الاوروبيين نقلا عنهم عندما تناولوا هذه الحركة في أبحاثهم _ أما أصحاب الحركة فيطلقون على انفسهم الموحدين ، وهم سنيين من اتباع ابن حنبل (كها شرحه ابن تيمية (٥) الذي هاجم عباده الأولياء وماتبعها من زيارة قبورهم والتبرك بها وتقديم النذور اليها _ إلى غير ذلك من الخرافات الطارئة على الاسلام . وذلك في كثير من كتاباته لاسيها الرسائل (١٦).

وقد ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العينية بنجد. أما تعليمه الديني المبكر فقد تلقاه عن والده الشيخ عبدالوهاب بن محمد قاضي العينية وعن علماء اخرين ، ومن خلال اسفاره الكثيرة في العالم الاسلامي توصل الى ان الاسلام في طريقه الى الاضمحلال اذا لم يعد المسلمين الى مبادىء دينهم الحقيقية وتعاليمه الاساسية .

وحين عاد محمد بن عبدالوهاب الى بلدته العينية وبدأ ينشر دعوته فيها طرده الشيخ سلمان بن محمد آل حميد امير بن خالد . فانتقل الى الدرعية حيث اقام فيها نهائيا . ولم تكسب دعوة محمد بن عبدالوهاب قوتها الاحين احتضنه محمد بن سعود امير الدرعية والذي اصبح بدوره المؤسس السياسى للحركة . فقد تضافيرت القوة الروحية

⁽١) د. أبو حاكمة ، نفس المصدر ، ص ٩٣ ـ ٩٤ .

⁽٢) د. أبو حاكمة ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ ــ ١٠٤ .

 ⁽٣) لم يتفهم كثير من الباحثين الأوربيين المعاصرون للشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته وأصولها لذا حفلت كتاباتهم عنها بالكثير من الأخطاء والتي دعت بعض الكتاب الأوربيون الآخرون من الذين كتبوا بعدهم ومنهم : Burchardt : Notes on the bedouins and Wahabys, p. 277.

⁽٤) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، ص ٢٦٣_ ٢٧٧ .

⁽٥) د. حسن الابراهيم المصدر السابق ، ص ٣٦ ـ ٢٧.

⁽٦) أحمد بن صالح بن تيمية _ مجموعة الرسائل الكبرى _ القاهرة .

لمحمد بن عبدالوهاب مع قوة سيف ابن سعود لتضيف قعالية كبرى للحركة وتبعث فيها الحيوية والاندفياع الى تحقيق اهدافهما ونشر تعاليمها واتسمت بطابع العنف والقوة . ففي الوقت الذي احتفظت فيه بمظاهرها الدينية فانها اصبحت في حقيقتها حركة سياسية قومية متطرفة ، تستهدف الوحدة ، واقامة امبراطورية عربية وطرد النفوذ الأجنبي الفارسي والتركي من المنطقة(١). وفي سبيل تنفيذ ذلـك اصطدم الوهمابيون بمعطم جيرانهم فكل من لم يكن وهابيها اتهم بـالشرك والضــلال . وكان لابــد ان تكــون بــدايــة تلك الحــروب والنزاعات مع جيرانهم القريبين بني خالد اصحاب السلطان والنفوذ الواسع في كثيرا من الأجزاء الشرقية من جزيرة العرب ، فارادوا ان يقضوا على ذلك النفوذ ويخضعون تلك الممتلكات الواسعة لحركتهم فيتمكنون بذلك من الامتداد الى ابعد من تلك الممتلكات في الخطوة التالية . لاسيها وانهم يحملون لشيوخ بني خالد عداء سابق نتيجة لطردهم للشيخ محمد بن عبدالوهاب من العينية . ومادام بنو خالب يملكون القوة التي تمكنهم من تحدي قوة الوهابيين فان الكويت يقيت بعيدة عن متناول الوهابيين. وقد لجأ كثير من بني خالد في فتسرة لاحقة وبسبب تولي الهزائم عليهم من قبل الوهابيين الى مجميتهم السابقة الكويت حيث وجدوا الملجأ البعيد عن ديار الوهابيين وغير ان كرم ضيافة الكويتيين لبني خالد جرت عليهم عداء الوهابيين، وجعلتهم يتعرضون لمواجهتهم الحربية . لاسيها في الفترة بين ١٧٩٢ ـ ١٧٩٥ حين استطاع الوهابيون ان يقضوا عـلى مقاومــة بني خالــد ويقـوضوا حكمهم في الاحساء ويركـزوا اهتمامهم عـلى العـراق والأجزاء الأخرى من الخليج العربي بما في ذلك الكويت والزيارة (٢). حينذاك دخلت الكويت في صراع طويــل مع قــوات الوهــابيين. وبالرغم من أن قوة الكويت لا يمكن مقارنتها بقوة الوهـابيين من حيث الامكانيات البشرية والمادية الا ان الكويت استطاعت ان تقاوم بشجاعة ورباطة جأش الغزوات العديدة للوهابيين وان تحافظ على استقلالها.

وهما سبق نتبين أن الحركة الوهابية نشأت أصلا في نجد أي في وسط شبه الجزيرة غير أنها اخذت تؤثر على أوضاع الخليج منذ أن امتد نفوذها ألى الاحساء عام ١٧٨٧م وقد استغرقت عملية توحيد نجد أربعين عاما من ١٧٤٧ ـ ١٧٨٦ ـ لذا فقد مضى مؤسس الدولة (محمد بن سعود) سني حكمه دون أن يتمكن من تحقيق الوحدة وما أن تمكن خلفه عبدالعزيز بن محمد بن سعود من القضاء على جميع عناصر المقاومة في نجد حتى تطلع ألى الاحساء والى غيرها من اقطار الخليج .

ولابد أن نحكم على الحركة الوهابية بمقياس عصرها فتقرر أنها اسدت خير ألى أقليم نجد فانقذته من حالة الفوضى والتفكك التي كانت تسوده . بل ويمكن القول أن تلك الحركة غدت تعبيرا عن شعور وطنى نجدى غامض .

أما في اقطار الخليج فقد اختلف تقديرها باختلاف البيئات، ففي المدن والامارات التجارية مثل الكويت والبزبارة والبحرين ساد روح الاستياء من هذه الدولة العسكرية التي تفرض سلطتها بالقوة وترهق السكان بالضرائب والمكوس المختلفة باسم الجهاد مما يؤثر على ازدهار النجارة وحريتها (٣).

الهجمات الوهابية على الكويت :

يكن اعتبار سقوط حكومة بني خالد كبداية للعلاقات المباشرة بين الكويت والسعوديين . ولا يمكن اعتباره بأية حال بداية خضوع الامارة للنفوذ السعودي (ئ) فقد ترتب على نجاح السعوديون في الاستيلاء على الاحساء وتأكيد نفوذهم في المقاطعات الشرقية للجزيرة العربية وترتب على ذلك ان اصبحت الكويت ملامسة للقوة السعودية التي اخذت تتاخها من الجنوب (٥) . وقد تكون الكويت استفادت من سقوط بني خالد في التخلص من الارتباط القائم بينها

⁽١) د. حسن الابراهيم ، نفس المصدر ، ص ٣٧.

⁽٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية نفس المصدر.

⁽٣) د. صلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي . ص ٥٧ ـ ٥٩ .

⁽٤) د. جمال زكريا قاسم ـ موقف الكويت من التوسع السعودي في نجد وسواحل الاحساء / مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ المجلد السابع عشر سنة

⁽٥) حسين بن غنام روضة الأفكار والافهام في مرتاد حال الامام ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ .

وبين هذه الأسرة في أول انشائها الا أن الكويت اخذت تتعرض لمجمات الوهابيين العنيفة (١٠).

هذا ولم يكن لجوء الفارين من بني خالد من بطش السعوديين الى الكويت هو السبب الوحيد في تعرض الأخيرة للهجمات الوهابية . فالوهابيون في تعاليمهم الاساسية ذكروا أنهم سيوجهون حروبهم الى أية بقعة فيها شرك وبدع. فكانت الكويت شأنها شأن غيرها من المسلمين من غير الوهابيين تعتبر من بقع الشرك حسب معتقدات الوهابيين وذلك الى جانب الغنى الوفير في المدن العتبية والذي لفت انظار الوهابيين ودعاهم الى محاولة الاستيلاء على أموال العتوب الذين لم يكونوا بحال من الأحوال وهابيين او ممن التزموا وتقبلوا المباديء الوهابية (٢) وقد شن الوهابيون اول غاراتهم المتعددة على على الكويت عام ١٧٩٣ م وكثرت هجمات عليها خلال الفترة من ١٧٩٣ _ ١٧٩٥ في الوقت الذي انتقلت فيه الوكالة البريطانية مؤقِتا من البصرة الى الكويت . لكنهم لم يحققوا اي نجاح يذكر (١) الا انها اثارت حالة من الرعب هناك . ويعتقد بعض المؤرخين انه كان لوجود الوكالة التجارية البريطانية في الكويت في الفترة من ١٧٩٣ ـ ١٧٩٠ اثر كبير في حماية الكويت من السقوط في قبضة السعوديين، فقد رأى المستر مانستي (Manisty) (القائم بأعمال الوكالة انذاك] ال يبقى طرادا صغيرا في ميناء الكويت لحساية الوكالة من الخطر السعودي ، كيا وضعت فرقة من الحرس الهنود يقودها ضابط هندي على الشاطىء . وذلك على الرغم من أن الوثائق الرسمية البريطانية قد حرصت على ان تنفي نفيا قاطعا قيام الوكالة البريطانية العامة _ التي كانت تقرر عدم التدخيل في الصراعات الداخلية في الخليج العربي ـ باي تدخل وان الوكالة كانت حريصة على ان تقف موقف الحياد في الصراع بين الوهابيين والكويت خوفا على بريدها الصحراوي من التعرض لانتقام السعوديين .. وهذا ما اكده المستر بريدجز Brydges المسئول الثاني بالوكالة في الكويت في كتابه عن

الوهابيين Wahauby اذ بين ان الكويت دافع عنها أهلها فحسب، وان الذي حماها هو شجاعتهم وثقتهم الكاملة في شيخهم عبدالله بن صباح، الشيخ الوقور، المهيب الطلعة الذي كانوا ينظرون اليه نظرتهم الى والد لا حاكم. وقد نجح هذا الشيخ الجليل بعدله وسماحته من ان يجنب امارته الخضوع للسعوديين (12). الا ان بعض المؤرخين ممن يؤكدون دور الوكالة الفعال في رد الهجمات السعودية يستندون الى ما ذكره احد الموظفين في الوكالة البريطانية ويدعى المستر رينود Reinaud من ان المستر مانستي اصدر أوامره خلال عمليات الغزو السعودي للكويت عام ١٧٩٥ بانزال مدفعين من الطراد الانكليزي، وطلب من الجنود الهنود الاشتراك مع الهالي الكويت في صد السعوديين عن الامارة، فكان رد الفعل المنتظر الكويت في صد السعوديين غين الامارة، فكان رد الفعل المنتظر الى ارسال رينود الى الدرعية وتكليفه بمقابلة الامير السعودي في عاصمة. فكان رينود بذلك أول أوروبي يزور عاصمة الوهابيين المعوديين الأولى.

وقد نتفق مع الاخيرين في الاخذ برواية رينود لأن الوكالة كانت بطبيعة الحال تخشى على أموالها المودعة بالكويت فيها لو حدث غزو وهابي والتي كانت ستصبح غنيمة مشروعة في عرف الوهابيين باعتبارها (أموال الكفار) فضلا عن وجبوب الالتزام الأدبي من الوكالة ان تشترك بالدفاع عن المدينة اعترافا بجميل الشيخ الذي افسح لها مكانا في بلاده (٥). ولكننا مع ذلك لابد أن نؤكد أن الدور الرئيسي في الدفاع عن الكويت قام به الكويتيون انفسهم بتشجيع وقيادة شيخهم الحكيم الذي حرص على السلم في نفس الوقت الذي وقيادة شيخهم الحكيم الذي حرص على السلم في نفس الوقت الذي بأي شكل من الأشكال عن استقلال بلاده ويبدو أن عتوب البحرين بأي شكل من الأشكال عن استقلال بلاده ويبدو أن عتوب البحرين بين الكويت والبحرين من جهة والأخيرة والزبارة من جهة اخرى بين الكويت والبحرين من جهة والأخيرة والزبارة من جهة اخرى

⁽١) لوريمر دليل الحليج ، جـ ٣ ، ص ١٥٠٨ .

⁽٢) د. أبو حاكمة نفس المصدر .

Kelly, Britain and the Persian Gulf, LOndon 1928, of Chapter 1. (*)

Brydges, Sir Harford Jones: An account of His Majesty's mission to the court of Persia 1809-1808 to which is appended a brief history of (t) the Wahauby Vol. 2, p. 12.

⁽٥) د. جال زكريا نفس المصدر ، ص ٨٨ .Burckhardt : op. cit. pp. 211/332 من ١٠١ . ١١١ . وابن غنام ، جـ ٢ ، ص ١٩١ ـ ٢٧٣ .

خلفت صعوبة في ارسال قوات للنجدة برا وبحرا. بالاضافة الى ان طبيعة القتال الوهابي كانت تعتمد على الغارات السريعة ، ونظام الكر والفر في الحرب فاعتمد الوهابيون على قدرتهم في تجميع قواتهم وتفريقها في سرعة فائقة (۱) . ويشير المؤرخان الوهابيان ابن بشر وبن غنام ان اول غارة وهابية ضد الكويت وقعت سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م وكان يقودها ابراهيم بن عفيصان الذي انتصر منذ امد غير بعيد على بني خالد في عدة معارك . وكان قوام جيش ابن عفيصان عرب من نجد من الخرج والعارض وسدير (۲) اما الغارة الثانية فقد حدثت سنة بانب الوهابيين . ويذكر المؤرخين الوهابيين ان اهل الكويت خرجوا جانب الوهابيين خارج اسوار مدينتهم ، وكان من بين الغنائم اسلحة شمينة عاد بها ابن عفيصان ورجاله الى بلدانهم بعد ان قتلوا ثلاثين من اهل الكويت (۳) من اهل الكويت (هل الكويت) من اهل الكويت (۱۸ الكويت) .

أما الغارة الموهابية الثانية على الكويت فقد وقعت عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م كيا ذكرنا الا انه يمكن القول بصفة عامة ان الغارات الوهابية لم تنقطع منذ عام ١٧٩٣ وكيا اختلف مسئولي الوكالة البريطانية اللذان كتبا عن الغارات الوهابية على الكويت فانها (بريدجز ورينود) حول دور الوكالة في الدفاع عن الكويت فانها عادا للاختلاف عند وصفها للمعارك الدائرة بين الجانبين . ففي حين يذكر بريدجز ان الهجوم الأول الذي قام به الوهابيون على الكويت كان قوامه خسمائة رجل ، انهزموا على اثر طلقة واحدة من مدفع قديم كان الشيخ قد انزله من احدى سفنه الى البر⁽²⁾ . يدعى المستر رينود ان قوام الجيش الوهابي ٢٠٠٠ جمل يحمل كل منها رجلين ، أولها مسلح ببندقية والشاني بحربه يحمي زميله حين يحشو بندقيته والشاني .

وبالرغم من أن السعوديين وأصلوا عملياتهم الحربية ضد الكويت الا أن تلك المناوشات لم تؤد إلى نتيجة ايجابية . بل أن الكويت تمكنت

من احراز انتصارات اقتصادية هامة ضد السعوديين خلال السنوات التالية . وذلك حينها ادت المشاكل والحروب المستمرة بين الوهابيين والقبائل التي اخضعوها لسلطانهم في الاحساء الى تحول طريق تجارة الهند الى أواسط شبه الجزيرة العربية عن مجراه الطبيعي .

ونحن لا نريد أن نتناول موقف كافة الأطراف من الدعوة السعودية ونجاحها الديني والسياسي في نشر تعاليمها ومد سلطانها ونفوذها الى أبعد من مكان انبعاثها في أواسط الجزيرة العربية الا بقدر ما يتعلق ذلك الموقف لأي جهة بالكويت وأثره عليها. وأول ما يهمنا في هذا المجال موقف الدولة العثمانية من التقدم الوهابي وذلك لم المذا الموقف من نتائج وانعكاسات على الكويت في مواجهتها للوهابيين فقد كان العثمانيين يحكمون الاحساء قبل بني خالد، وكانت تربطهم بجزيرة العرب مصالح دينية ، ولها شيئاً من النفوذ السياسي على مناطق شرقي الجزيرة العربية وامارات الخليج العربي ، لا سيها الكويت الجارة القريبة جداً ، ذات الموقع الاستراتيجي على الخليج العربي . وعلى وجه العموم فقد أساء الدولة العتمانية امتداد النفوذ الوهابي حتى حدود البصرة وأطراف الشام بحديث لم يصبح أمامها مفر من الاشتباك معهم ، ومواجهتهم بجدية وحرث لم يصبح أمامها مفر من الاشتباك معهم ، ومواجهتهم بجدية الوطن العربي (٢).

وقد تقدم الوهابيون للاستيلاء على شبه جزيرة قطر بعد أن ثبتوا أقدامهم في الاحساء . غير أن ذلك لم يكن في غفلة من العثمانيين في العراق الذين تنبهوا لخطر تزايد النفوذ الوهابي فحركوا حملة لمواجهة الوهابيين بقيادة ثويني باشا (شيخ المنتفك) عام ١٧٨٧ . وبعد فشل هذه الحملة واصل الوهابيون حملاتهم واعتدائهم على أطراف العراق فأرسل العثمانيون ثويني مرة أخرى بحملة عام ١٧٩٦ حيث لقي مصرعه . فقام الوهابيون بغزوة قادها سعود مغيراً بحماعت على الشمال فهاجوا حتى العراق . فلها رأى سليمان باشا (والي بغداد) الخطر الوهابين يدق بابه لم يجد بداً من اعداد حملة ضد الوهابيين . عهد

Buckhart : Op. Cit. pp. 211-232. (\)

⁽٢) ابن بشر المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٢ ـ ١١١ .

⁽٣) ابن غنام المرجع السابق . ص ١٩١ .

⁽٤) انظر . The Wahauby p. 12

⁽۵) انظر كذلك .234-235 Montaliche correspondentz pp. 234-235

⁽٦) د. جمال زكريا ـ نفس المصدر ـ ص ٩٩.

بقيادتها الى علي باشا. وقد تقدم فرسان الحملة عن طريق البر قاصدين الاحساء، أما المشاة والمدفعية والذخائر فقد حملتها السفن الى البحرين ثم الى موانيء الاحساء ، حيث استقبلت بكل ترحيب .. ولا نريد الدخول في تفاصيل الحملة وسنعالجها بقدر ما تلقيه من ضوء على تاريخ الكويت ويذكر صاحب لمع الشهاب بان الحملة استأجرت مائتي مركب من الكويت لاستخدامها في عملية نقل شحناتها من المؤن والأسلحة والأغذية . ولا شك أن في استخدام مواني، العتوب وسفنهم دلالة وأضحة على انحيازهم الى جانب العثمانيين (١١) وقد ورد في مختارات بومباي أن العتوب كانوا ينوون المشاركة في الحملة بالاضافة الى عرب المنتفق وقبائل البصرة . غير أنه لا توجد تفاصيل عن ماهية تلك المشاركة في حملة على باشا عام ١٧٩٨م. ويبدو أن العون الذي قدمه العتوب كان عوناً بحرياً . ولم يكن هذا العون أمراً مستغرباً من العتوب لكونه يأتي في اطار محاولاتهم الرامية للقضاء على الخطر الوهابي الذي كان يتهسدد ديارهم. وهـذا ما يفســر لنا مساعدة الشيخ جابر لابراهيم باشا القائد المصري اثناء حصاره للدرعية التي أشرنا اليها فيها مضى والتي وقعت في وقت لاحق لحملة علي باشا وبالتحديد كانت عام ١٨١٨ .

أما سر بقاء الكويت محتفظة باستقلالها وبقائها خارج متطقة النفوذ الوهابي بعد اخضاع الوهابيين للزبارة. فلا شك أنه يعود الى كون الوهابيين منهمكين بعد سنة ١٧٩٦م في رد الهجمات التي يشنها عليهم شرفاء مكة من ناحية وثويني شيخ المنتفق من ناحية أخرى. بالاضافة لعدم احتفاظ العتوب بجيش يتخوف منه الوهابيون على نفوذهم القائم في شرق الجزيرة العربية. فكان بمقدور الأخيربن ارسال قوات الى ميدان المعركة في أي وقت يشاؤون لا قبل للمتوب على ملاقاتها ولكن لم يكن معنى ذلك أن العتوب في الكويت كانوا على ذلك القدر من الضعف الذي توقعه الوهابيين. يل رأينا الكويت تواجه الوهابيين في المعارك السابقة بشجاعة ورباطة جأش. وهو أمر شهد لهم فيه حتى المؤرخين الوهابيين أنفسهم الى جانب المؤرخين

الآخرين ممن عاصروا تلك الأحداث من عرب وأوربيين.

وأذا قيل أنه قد يكون لعلاقة القربي التي تربط شيوخ الكويت بآل سعود أثر في احتفاظ الكويت باستقلالها فاننا نرى أن ذلك غير صحيح بدليل أن علاقات القربي لم تمنع غزوات الوهابيين المتكررة على الكويت. كما أن القوى الأخرى التي كان لها أثر خلال الربع من القرن الثامن عشر في حفظ استقلال الكويت مثل بني خالد ، واقامة الوكالة البريطانية في الكويت ، قد تلاشت واختفت مع مطلع القرن التاسع عشر فقد انقصمت شوكة بني خالد نهائياً ، إلى جانب كون المصالح البريطانية في الكويت قد انتفت بعودة الوكالة الى البصرة ، وبالتالي لم يعد ما يلزمها بالمساهمة بالدفاع عن الكويت. وهو أمر مشكوك فيه في حينه . كما لم يقد الكويت مجاورتها للبصرة في الاحتياء بسلطان والي البصرة أو شيخ المنتفك فلم يكن بمقدور لا هذا ولا ذاك الصمود أمام هجمات الوهابيين المتلاحقة ، لذا لا بدأن يكون الفضل كل الفضل في بقاء الكويت مستقلة عن سلطان الوهابيين يعود للكريت لااتها ، ودون معاونة أي طرف خارجي ، فقد كانت الكويت لا يرال قوية في مطلع القرن التاسع عشر بحيث كان بمقدورها أن ترد أى خطر بحرى عليها . في حين لم يكن للوهابيين قوة بحرية سوى قوة حَلْفًانُهَا القواسمُ وحتى تلك القوة لم يكن بمقدورها أن تدحر أسطول الكويت . وكذلك لم يكن بامكان الوهابيين أن يحتلوها عنوة بـرأ لنفس الأسباب $^{(T)}$ ، اذ لا ريب أن الكويت كانت تملك وسائل دفاعية تستطيع بواسطتها رد أي اعتداء خارجي عليها ، اذ كان بمقدورها ان تجند للدفاع عن النفس ما بين ٥٠٠٠ و ٧٠٠٠ مقاتل (١٤). هذا من الامكانيات العسكرية برأ وبحراً ، ولكن يجب أن لا تنسيف تلك الامكانيات ما كان يتمتع به الشيخ عبد الله بن صباح من حكمة وسداد رأى وقدرة سياسية وحسن تدبير وادارة وهو أمر شهد له **ج**يع معاصريه .

وبالرغم من استمرار هجمات الوهابيين على الكويت في مطلع القرن التاسع عشر الا أن تناولها يخرجنا عن فترة دراستنا.

Lorimer, Gazetter, I, i 1006.

Milles, Colonel S. B., The Countries and Tribes of the Persian Gulf, II, p. 297.

⁽١) د. أبو حاكمة نفس المصدر، ص ١٢٨ - ١٣٩.

Brydgestoc (Mr. Jacob Bosanguet) the court of directors, London Vol. 21 dated 1st Dec. 1798. (Y)

٣١) د. أبو حاكمة ، تفس المصدر ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

Milles, Colonel S. B., The countries and tribes of the Persian Gulf, H, p. 297. (5)

الخاتمية

لعل أهم ما يمكن التوصل اليه من خلال هذه الدراسة هو أن الكويت استطاعت الحفاظ على استقلالها وتأكيده بكيانها المحدد بأرضها وشعبها كما استطاعت مواجهة كافة التحديات والمخاطر بكفاءة واقتدار يفوق حجمها وامكاناتهما الماديمة وذلك بفضل السياسة الخارجية الحكيمة المتزنة التي اتبعها حكامها من آل الصباح منذ تأسيسها. والتي كانت أوضح معالمها الاعتماد على السلم والحياد والابتعاد عن الدخول في منازعات أو الانحياز الى أي جهة ضد جهة أخرى . بالاضافة الى بناء علاقات ودية متينة مع الجميع ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، على أن لا يكون في هذه العلاقات اي معنى للخضوع والتنازل عن السيادة . فملكت الكويت ناصية أمرها ونجحت في اختيار طريقها الصواب وسط ذلك الموج المتعاظم من الصراع والتنافس والتلاحم . فتمكنت الكويت من مِعَايِشَةٌ كُلُّ مَا يحيط بها من مخاطر وتحديات بعزيمة وقوة . واستطاعت الكويُّت أن تمسك زمام شنمونها الخارجيــة والداخليــة . ولم يكن حفاظهــا على استقلالها ليجعلها تعيش في عزلـة عها حـولها بـل انها وازنت بين حرصها عـلى هذا الاستقـلال وبين نشـاطها في المجـال الخارجي وعلاقتها مع القوى المحيطة وذلك أن قلة مواردها الطبيعية والزراعية فرضت عليها الاعتماد بشكل كبير على سيساستها الخارجية لتعويض نقص مواردها بتوجهها الى المجال الخارجي بنشاطات اقتصادية مختلفة عن طريق البحر لتنهل من خيراته ما حرمتها الصحراء القاحلة منه. وسعت بمسيرة جادة نحو النمو والازدهار فحققت في فترة قصيـرة ما لم يحققــه غيرهــا في فترات طويلة.

وقد أمضى العتوب القرن الثامن عشر وهم يبذلون الجهود الصادقة الحثيثة لتنمية بلادهم وتركيز أنقسهم وتأسيس حكمهم وتدعيم نفوذهم والدفاع عن بلادهم فكان من نتيجة هذه الجهود أن احتلت الكويت مكانة مرموقة بين مشيخات الخليج والجزيرة العربية

آنذاك. وقد اعتمدت الكويت في تقدمها على التجارة والملاحة والنقل البحري والغوص الى غير ذلك من النشاطات البحرية.

ولفت تبطور الكويت السريع ونموها وازدهارها السياسي والاقتصادي أنظار المعيطين بها وأثار حسد وحقد بعض القوى القريبة فوقفت من الكويت موقفاً عدائياً وأخذت تتحين الفرص للقضاء عليها وعلى منافستها لموانيهم وتقويض مكانتها والاستيلاء على ما فازت به من مكاسب اقتصادية كبيرة. وذلك بعد أن عجزوا على منافستها والفوز بها فازت به في مجال التجارة والغوص والنقل عن منافستها والفوز بها فازت به في مجال التجارة والغوص والنقل البحري فاتجهوا الى الانتقام منها بدون أي ذنب تكون قد اقترفته بحقهم.

وكانت أنظان الحكام شاخصة الى الكويت وآمالهم معلقة بالاستيلاء عليها وقد حاولوا ذلك بطرق شي ولكنهم لم ينالوا منها شيئاً ولم يفوزوا بما يبتغون وكان أول من فتع عينيهم عليها هم شيوخ بني كعب والنصار الا أنهم فشلوا في تحقيق محاولاتهم الرامية للقضاء على استقلال الكويت والاستيلاء على كيانها النامي وحققت الكويت كل نجاح في التصدي ومواجهة الطامعين والمعتدين بالرغم من قلة أمكاناتها الحربية والمادية.

وقد ساعدت أوضاع العراق العثماني المهلهلة على أن تحتل الكويت مكاناً مرموقاً في عالم الخليج العربي دون أن تخشى محاولات الدولة العثمانية لفرض أي نفوذ أو سيادة عليها أو تحويل سيادتها الاسمية الى سيادة فعلية وذلك نتيجة لانشغال الولاة العثمانيين بالفتن والاضطرابات التي سادت البصرة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر بالاضافة الى وباء الطاعون. ثم احتلال الفرس للبصرة (المنامن عشر بالاضافة الى وباء الطاعون. ثم احتلال الفرس للبصرة على المراد النمو والتطور في كافة المجالات واحتفظت باستقلاف ورخائها.

ومن الظروف التي ساعدت الكويت على النمو والازدهار وسط ظروف آمنة مستقرة ضعف بلاد فبارس فقد دب الهرم بالبدولة الصفوية في مطلع القرن الثامن عشر فلم تتعرض الكويت لجشع حكام فارس واعتداءاتهم دون أن تقع تحت سيطرتهم .

ومن ذلك يتبين أن الكويت تمكنت بفضل سياستها الخارجية الحكيمة والمتزنة من مواجهة كافة المخاطر والتحديبات والتغلب

عليها بارادتها القوية وكفاح شعبها وصبره وعمل حكامها الدائب والمستمر لما فيه مصلحة بلدهم وازدهارها . وكانت تلك السياسة هي حجر الأساس الذي قامت عليه الكويت الحديثة وما سياسة الكويت الخارجية في الوقت الحاضر التي رفعت أسمها عالياً الا امتداد لتلك السياسة التي اختطتها لنفسها منذ تأسيسها وحرصت على تطبيقها بدقة خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

تم بحمد الله وعلى الله التوفيق



مراجع ومصادر البحث وثائق غير منشورة

أولًا _ الوثائق العربية :

 ا ـ تقرير سري اعداد وزارة الخارجية الكويتية عن وضع الكويت بالنسبة للدولة العثمانية معتمد على مذكرات مدحت باشا نفسه .

ثانياً _ وثائق مترجمة الى العربية من الوثائق العثمانية :

- ٢) مذكرات مدحت باشا ترجمة حاله (من وثائق وزارة الخارجية الكويتية) .
- ٣) كتاب من مدحت باشا الى الصدر الأعظم بتاريخ ٨ ذي
 القعدة سنة ١٢٨٦هـ الموافق ٢٨ كانون ثاني (يناير) سنة ١٨٦٩م
 (مقترحات مدحت باشا بشأن الكويت) .
- ٤) كتاب الصدر الأعظم الى السلطان بتاريخ ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٨٦هـ الموافق سنة ١٨٦٩م.
- ۵) كتاب من رئيس كتاب السلطان الى الصدر الأعظم (ردأ على كتابه) ٢٦ ذو الحجة ١٢٨٦ هـ/ ١٨٦٩م.

ثالثاً _ وثائق انكليزية :

أ- وثائق الوكالة التابعة لشركة الهند الشرقية (فرع البصرة):

1. Factory record: Persia and Persian Gulf, Vol. 17.

despatch No. 1074 (1774-1788) (The Basra Residency).

- 2. Factory Record: Persia and Persian Gulf, Serial No. 1532.
- 3. Ibid. Vol. 19 Letter No. 1652.

وثيقة منشورة : ألبيان الثالث لحكومة الكويت (بمناسبة مطالبة عبد الكريم قايسم بضم الكويت) الصادر في ١٩٦١/٧/١٥ .

ب ـ وثائق حكومة الهند:

ا تقرير شامل عن أحوال الكويت في الفترة بين ١٨٧١م ـ
 ١٩٠١م . وثيقة رقم (٢٣) مجموعة م ف ٢ من وثائق حكومة الهند الموجودة في المكتبة المركزية في منطقة المباركية التجارية ـ شارع عبد العزيز آل سعود تاريخ ١٩٠١/١٠/٨م .

ب المجارعة م ف ٢ تاريخ ١٨٩٧/٩/٨من المجارعة م ف ٢ تاريخ ١٨٩٧/٩/٨من المجارعة م ف ٢ تاريخ Letter from Col. Mead to India Office.

٣) وثيقة رقم (٣) من المجموعة م ف ٧ ـ الموجودة في المكتبة المركزية ١٨٩٧/٢/٢٤م.

٤) وثيقة رقم (٢) من المجموعة م ف ٢ تاريخ ١٨٩٧/٢/٢٢م.

٥) وثيقة رقم (٦) من المجموعة م ف ٢ - ١٨٩٧/٧/٣م.

٩) وثيقة رقم (١٢) من المجموعة م ف ٢ ـ مذكرة عن الكويت
 اعداد ج. س. وايت Whyte تاريخ ١٩٠٠/١٢/٣٠م.

ام (۱۹۰۱/۱۰/۱۱) وثيقة رقم (۲۶) من المجموعة م ف ۲ تاريخ (۲۶) الله Saldanha, J. A. Selection from State papers, Bombay regarding the East India Company connection with the Persian Gulf, (Calcutta 1908).

جـ وثائق من سجلات وزارة الخارجية البريطانية : Great Britain Public Record.

الملفات التالية:

F. O. 195/1944.

F. O. 602/2.

F. O. 78/5113,

F. O. 78/5114.

رابعاً : _ وثيقة منشورة : _ البيان الثالث لحكومة الكويت (بمناسبة مطالبة عبد الكريم قاسم بضم الكويت) الصادر في ١٩٦١/٧/١٥ .

خامساً : - المراجع والمصادر العربية

١) ابن بشر (عثمان): عنوان المجد في تاريخ نجرد .. في مجلاين
 القاهرة ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م .

٢) ابن سند (عثمان بن سند البصري) رجعت للمجلد (٢):
 سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد (بومباي ١٣١٥هـ ١٨٩٧م) وهناك نسخة خطية بالمتحف البريطاني.

٣) ابن غنام (حسين بن غنام الاحسائي) : روضة الأفكار والأفهام
 لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات الاسلام نسخة مصورة .

لع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب (مجهول المؤلف)
 بيروت ١٩٦٧م دار الكتب ، القاهرة .

٥) أبو حاكمة (د. أحمد مصطفى) (١) تاريخ الكويت الحديث
 (١١٦٣ _ ١٣٨٥هـ _ ١٧٥٠ _ ١٩٦٥م) الطبعة الأولى _ الكويت _ منشورات دار ذات السلاسل (١٩٨٤م) .

٢) محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ـ
 القاهرة ١٩٦٩م .

٦) الابراهيم (د . حسن علي) : الكويت ـ دراسة سياسية ـ دار
 البيان للنشر ـ الكويت ـ دار النهضة للنشر ـ بيروت ١٩٧٤م .

الخصوصي (د . بدر عباس) (۱) دراسات في تاريخ الخليج
 العربي الحديث والمعاصر جـ ۱ الطبعة الثانية ـ الكويت ـ ١٩٨٤م
 مطبوعات دار السلاسل .

(٢) الأهية الاستراتيجية للكويت في العصر الحديث دراسة منشورة في مجلة كلية الآداب ـ جامعة الكويت ـ العدد السادس ـ ديسمبر سنة ١٩٨٤ ، ص ٨ وما بعدها .

٨) خزعل (حسين) تاريخ الكويت السياسي ـ جد ١، بيروت
 ١٩٦٢م .

. ٩) الخترش (فتوح عبد المحسن) تاريخ العلاقات السياسية البريطانية ١٨٩٠ ـ ١٩٢١م ـ الكويت ـ منشورات دار السلاسل ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م .

١٠) البداود (محمدود عملي) الخليج العمري والعملاقمات الدولية ١٩٩٠م - ١٩٩٠م - القاهرة ١٩٦١م .

١٩٩١) التباغ (يُصطفى) قطر ماضيها وحاضرها ـ بيروت ١٩٦١ .

١٢) الرشيد (عبد العزيز) تاريخ الكويت ـ بيروت ١٩٧١ .

١٣) الزياني (أمل) البحرين ١٧٨٣ ــ ١٩٧٣م .

١٤) الزيد (خالد سعود) الكويت في دليل الخليج (جي. ح.
 لورير) الطبعة الأولى ـ الكويت ١٩٨١م .

10) الشملان (سيف مرزوق) من تــاريخ الكــوبتــ القاهـرة . 1909 .

١٦) الشيباني (محمود شريف) امارة قطر العربية _ بيروت ١٩٦٢ .

١٧) الصالح (نورية) علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ـ الكويت دار السلاسل ١٩٧٧م .

١٨) العقاد (د. صلاح) التيارات السياسية في الخليج العربي القاهرة ١٩٦٥م.

١٩) الفرحان (راشد) مختصر تاريخ الكويت وعلاقته بالحكومة البريطانية والدول العربية ـ القاهرة ١٩٦٠م .

٢٠) قاسم (د. جمال زكريا) (١) الخليج العربي (دراسة لتاريخ الامارات العربية) ١٩٦٦ ـ ١٩١٤ ـ القاهرة ١٩٦٦م .

(٢) دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا (١٧٤ ـ ١٨٦٦) القاهرة ١٩٦٧ .

٢١) قدورة (زاهية) تــاريخ الخليــج العربي الحــديثـــ بيــروت
 ١٩٧١م .

٢٢) القناعي (الشيخ يـوسف) صفحات من تـاريخ الكـويت ـ الطبعة الثانية ـ دمشق ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م .

٢٣) النبهاني (محمد خليفة) التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية في اثنى عشر جزءاً :

(١) تاريخ البحرين (القاهرة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م).

(۲) الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة (۱۸۹٦هـ / ۱۹۵۱م) كا القاهرة عام ۱۹۷۱م .

۲٤) النجار (د. مصطفى عبد القادر النجار) (١) التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي - منشورات مركز دراسات الخليج بجامعة البصرة (١٩٧٥م).

(۲) التاريخ السياسي (امارة عربستان العربية _ القاهرة _(۲)) .

٢٥) المنصور (د. عبد العزيز) التطور السياسي لقطر في الفترة بين ١٨٦٨ - ١٩٦٦م - الكويت - دار السلاسل - الطبعة الأولى - ١٩٧٥م .

۲۲) نوار (د. عبد العزيز سليمان) تاريخ العراق الحديث من نهاية
 حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا (القاهرة - ١٩٦٨م).

٢٧) نوفل (د. سيد) الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي
 وجنوب الجزيرة العربية ـ بيروت ـ ١٩٦٩م .

٢٨) نخلة (محمد عرابي) تاريخ الاحساء .. رسالة ماجستير .. غير منشورة .

۲۹) وهبه (حافظ) جزيرة العرب في القرن العشــرين ــ القاهــرة 1970م .

سادساً: المصادر الأجنبية المترجمة الى العربية:

 ١) بيرين (جاكلين) اكتشاف جزيرة العرب : خمسة قرون من قرون المغامرة والعلم ـ ترجمة قدري ملعجي ـ بيروت ١٩٦٣م .

٢) لوريلرج ج. - دليل الخليج - القسم التاريخي جـ ٣ - ترجمة ديوان
 حاكم قطر - الدوحة - ١٩٦٧م .

٣) ولسن (أرنولد) الخليج العربي ـ ترجمة د. عبد القادر اليوسف ـ الكويت ـ منشورات مكتبة الأمل الكويت ١٩١٩ (الاصل لندن ١٩٥٩ م).

ثامناً : _ المقالات المنشورة في الدوريات العلمية ؛

الت ريخية البحرينية - العدد الأول - رمضان ١٤٠٢هـ يـوليـو التساريخية البحرينية - العدد الأول - رمضان ١٤٠٢هـ يـوليـو

٢) آل خليفة (الشيخ عبد الله بن خالد) تعليق على مقالات البحرين قدياً وحديثاً لسيف مرزوق الشملان - مجلة الوثيقة - العدد الثالث - السنة الثانية - رمضان ١٤٠٣هـ يوليو ١٩٨٣م.

٣) الخصوصي (د. بدر الدين الخصوصي) الأهبية الاستراتيجية للكويت في العصر الحديث ـ دراسة منشورة في مجلة كلية الآداب جامعة الكويت ـ العدد السادس ـ ديسمبر ١٩٨٤ ، ص ٨ وسا بعدها .

غ) قاسم (د. جمال زكريا) (١) موقف الكويت من التوسع السعودي
 في نجد وسواحل الاحساء ـ مستخرج من مجلة الجمعية المصرية
 للدراسات التاريخية ـ المجلد ١٧ سنة ١٩٧٠م .

٢) رحمة بن جابس كلية الآداب _ جامعة عين شمس _ المجلد
 العاشر _ ١٩٦٤م .

 ٥) قطينة (رنده المصري) الكويت (دراسة تحليلية) منشورة في مجلة الوثيقة التماريخية ما العدد الأول ما رمضان ١٤٠٢هـ بموليو
 ١٩٨٢م . ص ١٧٨ ـ ١٩٥ .

- 8. Fraser (Lovat): India under Curzon and after.
 London 1901.
- 9. Lockhart, L.: Nadir Shah a critical study based mainly upon contemporary sources (London 1938).
- 10. Lorimer, J. J.: Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, (reprinted from original in the India Office library) Vol. 2, Holland 1970.
- 11. Low-History of the India Office Navey.
- 12. Lutsky: Modern History of the Arab.
- 13. Milles Colonel S. B., The Countries and Tribes of the Persina Gulf. Vol. I (London 1919).
- 14. Niebuhr, Casten: Travels in Arabia and other countries in the East, translated in to english by Robert Hersan (Two. Vols. Edinburgh, 1797).
- 15. Hopwood D.: The Arabian Peninsula (London 1972).
- Parsons. Abraham, Travels in Asia and Africa (London 1808).
- 17. Pelly. Lewis: (Record tour around the northern portion of the Persian Gulf), Transactions of Bombay Geographical society. No. 35, (1863-1864).
- 18. Sykes P. M.: A History of Persia, Vol. 2 (3rd Edition) London 1969.
- 19. Whigham. H. J.: The Persina Problem, New York: Charles Scribner & Sons, 1903.
- 20. Wilson, Arnold T.: THe Persian Gulf: An Historical sketch from the earliest times to the beginning of Twenthieth century, (Oxford: The Clarendon Press).

٦) الكرملي (الأب انستاس ماري) مقالة (الكويت) في مجلة المشرق البيروت.

٧) الصباح (د. ميمونة) مقال بعنوان (نشأة الكويت وتطورها في القرن الثامن عشر ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . العدد السادس والأربعون ، الصادر في ابريل ١٩٨٦م / رجب ١٤٠٦هـ .
 تاسعاً : الدوريات العربية :

١) جريدة الاصلاح ـ بيروت ـ العدد ٦٨ بتاريخ مايـو ١٩١٣م ـ مقالة بعنوان ـ انجلترا والكويت .

۲) جریدة صدی بابل (العراقیة) عددها الصادر بتاریخ ٥ رجب ۱۳۲۹هـ ۲ تموز / یولیة ۱۹۱۱م .

عاشراً: المراجع الأجنبية:

- 1. Al-Baharna H. The Legal States of Arabian Gulf States London 1968.
- 2. Brydges (Sir Harford Jones): An account of His Majesty's mission of the Court of Persia. 1807-1881. "To which is appended a brief history of the Wahauby" 2 Vols. London 1834.
- 3. Brydges to (Mr. Jacob Bosanguet): The Court of Directors, London, Vol. 21 dated 1st December, 1881.
- 4. Belegrave C.: The Pirate Coast. London 1966.
- 5. Burchart M.: Notes on the Bedouins and Wahaubys.
- 6. Bukingham James Silk. Travel in Assyria etc (London 1930).
- 7. Ives, Edward from England to India, in the year 1753 (London 1773).

في الدولة الليبرالية

د . على عبد الرزاق الزبيدي معهد الدراسات القومية والاشتراكية _ الجامعة المستنصرية

المقدمة

قد تكون الصفحات التالية في غير محلها مالم يتم مئذ البداية تحديد السؤال الذي قاد اليها بأقصى قدر ممكن من الوضوح، ما الذي نعنيه بالدولة الليبرالية ؟ أهي الدولة التي تترك الفرد وشأبه له الحرية المطلقة فيها يختار لحياته الخاصة وحريته ضامنة أمنه درخلها وخارجها فقط ؟

هل نجحت الدولة الليبرالية في تقديم ما يطمع اليه الفرد مكتفية بدورها السلبي فقط ؟ أم أوجبت الضرورة تدخلها لننظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية بعد أن عجز الأفراد عن تنظيمها وخاصة الاقتصادية منها ؟

ما هو موقف المفكرين الليبراليين في عصرنا الحساضر تجساه الليبرائية الجديدة ، ثم ما الذي عيسرها عن المفساهيم الأخرى وأعني الموقف الماركسي من الدولة ؟

بالتأكيد أن ما وصلت إليه المجتمعات الليبرالية من تقدم وتميزها عن كافة المجتمعات والدول الأخرى في العالم بما لها من قوة وتأثير يقودنا إلى دراسة مفهوم الدولة الليبرالية.

الليبرالية التقليدية:

أولا) نشأة الدولة وتطورها :

لا يوجد منا من شاهد الدولة ، إلا أنه في نفس الوقت لا يوجد منا من شاهد الدولة ، إلا أنه في نفس الوقت لا يوجد من يتكر أنها حقيقية ، خاصة إذا لاحظنا الدور والمكانة المتزايدة التي تأخذها في حياتنا اليومية ، كها أن تاريخ الدولة ما هو إلا ملخص لتاريخنا ووجودنا الحاضر ، ماهو إلا مستقبلنا سواء أكان في الجانب السيء منه أم الحسن فنحن لانستطيع الانفصال عنها بأي شكل من الأشكال . (1)

إن دراسة نشأة الدولة يؤدي بنا إلى الذهاب بعيدا والتصور الذي يخلقه في تلك المجتمعات البشرية السحيقة في القدم (٢) وبداية السلطة فيها والتي لا نستطيع تسميتها بالسلطة السياسية لل فمنذ آلاف السنين عاش الانسان على الأرض في تجمعات ثم ما لبثت هذه التجمعات أن التقت كرها أو عن إرادة منها في وحدات أكبر أي غلبة النظام على تلك التجمعات . (٣)

إلا أن نشوء هذا الشكل البسيط للدولة يعتبر من أهم التطورات التي عاشتها البشرية ، وأن كانت هناك العديد من الآراء والتفسيرات في نشأة الدولة إلا أن الفموض ما زال يكتنفها ومع ذلك من الممكن القول إن نشأة الدولة لم يكن نتيجة عبقرية شعب

BURDEAU Georges: "L'Etat" Le seuil, Paris, 1970, P. 13. (\)

⁽٢) انظر روبرت م. ماكيفر : « تكوين الدولة » دار العلم للملايين بهروت ، ١٩٦٦ ، مترجم عن الانكليزية .

Fehrre L.: "De L'Etat historique a L'Etat vivant" Introduction, Tomex de L'Encyclopedie Fransaise: L'Etat. (٣) كذلك طعيمة الجرف « نظرية الدولة » دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٣ رما بعدها .

معين وليس بالصدفة بل كانت نتيجة عملية تاريخية طويلة الأمد. وتحديدا يمكن القول أن العصور القديمة شهدت ما يشهه الدولة في الوقت الحاضر كها هو الحال في وأدي الرافدين ووادي النيال قبل خمسة آلاف سنة.

كما شهدت العصور الوسطى وبعد سقوط الامبراطورية الرومانية تحت ضربات البربر وعدم سيطرتها عيلي أوربا أدى إلى إنهاء السلطات وامتصاصها بقيام الملكيات العقارية الكبيرة ضمن القانون الاقطاعي بجانب سلطات الكنيسة.

كها ظهرت صورة الدولة القومية بعد حرب القرن من ١٣٣٧ وحتى ١٤٥٣ في أوربا بين بريطانيا وفرنسا لتجعل من فرنسا بلدا واحدا في ظل لويس الحادي عشر في ١٤٧٧ والذي يؤشر بداية الروح القومية . (4)

ويعتبر القرن السادس عشر ببداية التنظيم البشر وليس صدفة أن ينضع في هذا القرن مفهوم الدولة ، حيث ظهير مفهوم الحدود في الفترة التي ظهر فيها مفهوم الدولة وإذا كانت الدولة تسبق ما يسمى بتأسيس السلطة فإن هذه العملية لم تأكن في الأخرى صدفة فقد كانت نتيجة لمجموعة من الظروف الجنمية في فترة معينة وقد كانت عكنة وضرورية أيضا .

في هذه الطروف كما قلنا تشكل أو تكون الشروط الموضوعة لفكرة الدولة ولكنها غير كافية لظهور الدولة بدون وجود الأرض والشعب والسلطة التي تقوده وكل هذه المعطيات تكون عناصرها إضافة إلى الوحدة النفسية والجسدية التي تعيشها المجموعة فبجانب الأرض نرى في كل البلدان القدية أن الأمة هي التي خلقت الدولة فقد شكلت الأمة وبشكل بطيء الروح والمؤسسات الموحدة عن طريق الشعور القومي ، كل ذلك يسهل العملية الفكرية لتأسيس السلطة . (٥) ونجد الآن أن هذه النبذة السريعة جدا لا تكفي أن تعطينا ولادة كافية للدولة فمن الضروري أن يرافقها رد فعل على السلطة بفسها . فالدولة فكرة ولذلك فإنها تثير في الفكر العديد من ردود الفعل ومن خلال الفترة الطويلة التي حكم فيها الانسان منذ

القدم نرى أن المحكومين يرون في شخص مختار عهدت إليه السلطة أي الشخص الذي يحكم ويقود ما يميزه عن سائر الآخرين فليس هناك من يستطيع مناقضته وتكون القوة التي يملكها هي المبرر الكاني للخضوع إليه . (١٩)

لمذلك نمري أن الدولمة بحاجة إلى تلك القوة وكمها يقول THERIHNG إن غياب القوة المادية هو الخطيئة القاتلة للدولة ، الخطيئة التي لا يمكن غفرانها ولا يمكن تحملها فالدولة بدون قوة مادية للإكراء هي في تناقيض مع نفسها .

وقد قامت العديد من النظريات التي تناولت نشأة الدولة ، ولعل أشهر تلك النظريات هي نظرية العقد الاجتماعي . وتذهب هذه النظرية إلى أن الدولة قد قامت نتيجة اتفاق مقصود واختياري من جانب الناس البدائيين الذين خرجوا من حالة الطبيعة وهي تفترض أنه كان هناك عهد في التاريخ البشري لا وجود فيه للدولة مطلقا ولا وجود لقانون سياسي ومن هؤلاء هويس وجون لموك وجان جماك

روسو

لهوبس يرى أن أساس الدولة هو القبول ومن خلال العقد الاجتماعي والذي يحدد رضاء الناس على إنشاء الدولة ويمنحونها سلطة إصدار الأوامر والملاحظ أنه في اللحظة التي تم فيها اختيار الحاكم الأعلى (صاحب السيادة) أصبح افراد المجتمع رعية لهذا الحاكم يؤتمرون بأوامر ليس لها عصيان او مقاومة إلا في حالات استثنائية محدودة كها أن تنفيذ التعاقد بين الأفراد وكما يقول هوبس (إنه أكثر من الرضي أو الاتفاق فهو وحده حقيقة لهم جميعا في شخص واحد بعينه ، أقيم بتعاقد كل انسان مع الآخر على نحو ما كان كل انسان يقول للآخر إني أخولك السلطة وأتنازل عن حقي في حكم نفسي لهذا الانسان شرط أن تتنازل عن حقيل له وتخيول السلطة لكل أعماله على غط مشابه وحين تم هذا أطلق على جهور الناس الذين اتحدوا في شخص واحد اسم الدولة أو المجتمع المدني) .

فالدولة إذن تقوم حين يتنازل الناس جميعا لصاحب السيادة عن سلطتهم فتتركز في يده سلطة عظيمة يخافونها ويشكل بهما

PEUCH Jacques: "Politique" (Lere annee de liceence en Droit 1978-1979) Universite de Nice. P. 98 et 99. (\$)

⁽٥) قد يحدث العكس أي أن تكون الدولة هي التي تشكل الأمة كها هو إلجال في بعض دول أفريقيا ، جيث سبق مفهوم الدولة مفهوم الأمة .. .

HAURIOU Andce et Gicquel "Droit constitutionhel et institutions politiques" Montchrestien, Paris, P. 100. (\)

إرادتهم جميعا لصيانة السلام في الداخل وتحقيق التعاون المشترك ضد أعدائهم في الخارج. (^(٧)

أما جان لوك فيرى أن المجتمع قد قام على التعاقد الاختياري والذي ينبع من الاحساس بالحاجة إلى الحماية المتبادلة لحياتهم وأملاكهم وبذلك يتنازل كل عضو عن حقوقه الطبيعية ليضعها في يد الجماعة فتتولى هي القيام بذلك .

وبذلك تقوم الحكومة بعملها لتقديم الخير العام للشعب. أما روسو فيرى أن الدولة تنبثق من قبول الأفراد لها باعتبارها شاملة السلطة وأن كل إرادة من إرادة الأفراد تشكل جزءا من إرادة الدولة أثناء ممارستها لساطتها ورأى الشعب يكون هو المصدر الأول والأخير لها. وهو الذي يراقب عمل الحكومة واستمرارها في أداء وأجبها الذي وكله ها . (^{A)}

وكها يقول روسو « بدل أن تنفد جهودنــا وقوتنــا في مقاتلة بعضنا البعض علينا أن نوحدها ونجمعها وندافع عن كافة أعضاء الجماعة ونقف في وجه العدو المشترك ونعمل على إيجاد نــواح من الانسجام والتآلف فيها بيننا .

ثانيا) الدولة شر ضروري :

أن الليبرالية هي نظرية الحرية ، كما أنها في نفس الوقت نظرية سياسية من خلال نقطة انطلاقها حيث كانت نتيجة جهود الطبقة الوسطى الفكرية للتخلص من قفص المجتمع التقليدي المستبد المقيد لحريتها.

ومن الصعب تحديد تاريخ معين لنشأة الليبرالية فجذورها تمتد عميقة في التاريخ ومع انتصار الثورات الديقراطية وإعلان السيادة الشعبية استلهمت هذه الثورات روح المذهب الفردي واتخذت منه أساسا فلسفيا لنظم الحكم التي قامت في كل من امريكا واوريا (٩). فقد قامت وبشكل تدريجي حكومات مسؤولة أمام برلمان منتخب وإن كان حق الانتخاب مقيدا في بداية الأمر إلا أنه ما لبث أن توسع

ثم كان هناك فصل للسلطات ثم انتهاء دور الكنيسة بانتفاء دين الدولة حين فصلت الكنيسة عن الدولة فصلا تاما ، وإن كان لاسكي يرى أن للدين بعد انتهاء س ة الكنيسة في القرون الوسطى جذورا روحية لليبرالية ولم تتوقف الطبقة البرجوازية عن الدعوة إلى إطلاق يدها من العمل خاصة وأن القرن الثامن عشر قد شهد تسطورا في الاختراعات أعطى دعها لهذه الطبقة.

أما مصادر هذا الفكر فهي كل من مدرسة القانون الطبيعي التي تدعو إلى الاهتمام بالغرد وضرورة قيام الدولة بتونسير كافسة الشروط للعمل والابداع إضافة إلى دعوتها الى الاعتراف بالملكية باعتبارها حقا مقدسا.

والمدرسة الحرة للاقتصاد ، وهي تبدأ بما انتهت اليه المدرسة الأولى وتدعو إلى تقرير حقوق اقتصادية للأفراد باعتبارها حقىوقا مستمدة من الطبيعة وكل ذلك يقودنا إلى دراسة النظرية الفردية وبالتالي إلى ذكر الانتقادات التي وجهت إليها .

تستند النظرية الفردية على ثلاث أسس هي :

(١٤) الأساس الأخلاقي :

ترى الليبرالية أنه من الخير للانسان أن يترك حرا لكي يتمكن من استعمال جميع قواه الطبيعية ، لأن المجتمع الذي يجعل المنافسة حرة بين الأفراد يحقق للانسان غرضه الأخلاقي في الحياة وإن تدخل الدولة يقتل الثقة في الأفراد ويجعلهم غير قادرين على الاعتماد على أنفسهم .

وبما أن الدولة شر لابد منه فيجب ألا يكثر دور أو تدخـل الدولة عن القدر اللازم لتمكين الانسان من تنمية قواه .

(٢) الأساس الاقتصادي:

إن كل فرد يسعى إلى تحقيق مصالحه الشخصية ويستثمر رأس ماله بالطريقة التي يراها أنفع له أو يختار العمل الذي ينال منه

⁽٧) د. محمد عبد المعز نصر « في النظريات والنظم السياسية » دار النهضة العربية / بيروت سنة ١٩٧٣ ، ص ٧٢.

BE LACHARRIERE Rene: "Etudes sur la theorie democratique, Payot, Paris, 1963, P. 45-61. (h)

FLAMANT MAURICE: "Le liberalisme" P. U. F., Paris 1979, P. 3et sui.

⁽١٠) د. أنور أحمد رسلان و الديمقراطية بين الفكر الفردي والفكر الأشتراكي » دار النهضة العربية ، القاهرة ، سينة ١٩٧١ ، ص ١٣٠ ــ ١٥١ .

أكبر أجر، إذ أن العرض والطلب سيعملان عندئذ في توجيه رأس المال والعمل فيحققان أكبر الأرباح وأعلى الأجور، ويجب كذلك ألا تتدخل الدولة في تحديد الأسعار لأن العرض والطلب هما اللذان يحددان السعر وأن تترك التجارة الخارجية حرة.

وكذلك إن أي تدخل للدولة سيعيق التقدم لعدم الكفاءة والشكليات غير الضرورية التي تتبعهها.

(٣) الأساس العلمي:

تؤكد النظرية الفردية على أن البقاء دائبا يكون للأصلع لذا يجب أن يطبق على حياة المجتمع البشري ونتيجة لذلك يجب القضاء على الضعفاء وبذلك يكون السبيل الطبيعي للتقدم !!

لاشك أن النظرية الفردية قد ساهت في التقدم الذي حصل في القرن الماضي حيث لم يسبق أن حدثت وفرة في الإنتاج مثلها حدثت في هذه الفترة فقد تطورت المواصلات وتحررت التجارة المحليسة والدولية كل ذلك أدى إلى الإنتاج الكبير، كها ساهبت في تدوير السلع بأسعار جيدة وتعني بذلك انخفاض الأثمان إلى الأمر الذي أدى إلى سلسلة من التفيرات إلى ساهبت مساهبة كبيرة في الزفياهية ورفعت مستوى بعض الأمم المعاشي بشكل كبير.

ومن الجديد بالذكر توضيع الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية حيث لم تصمد تجاهها ولعل من أبرزها هو :

(١) أن الحاجة وتعقد مقتضيات الحياة هي التي تقتضي تدخل الدولة فهي قد نشأت تلبية لحاجات الغرد لذا فإن اعتبارها شرا طروريا ليس بالشيء الصحيح ولذلك فإن تدخل الدولة بشكل لا يقتل المهادرة والإبداع هو الشيء الضروري .

(٢) أن تعريف الحرية هو قدرة الفرد على فعل ما يريده أو ما
 يقوله أما قولتير فيقول : « عندما أقدر على ما أريد فهذه حريق » .

فعدم تدخل الدولة لتحد من بعض الحريات هيو نوع من الفوضى الاباحية فلابد من تدخلها لتنظيم حريات الأفراد .

(٣) إن أساس النظرية يستند على فكرة المنافسة الحرة وهذه إن كانت صالحة للأقوياء فهي ليست صالحة للجميع ، فالمشاريع الصغيرة لا تستطيع التنافس مع المشاريع الكبيرة لذلك فإن استمرار المنافسة بهذا الشكل يؤدي إلى دمارها وبالتالي إلى تشريد العمال وأرباب العمل معا .

(1) إن القاعدة التي تقول البقاء للأصلح ليست انسانية فلا هكن تطبيق هذه القاعدة على الكائنات البشرية فذلك يؤدي إلى تجيد الرحشية .

إضافة إلى صواب الانتقادات التي وجهت إلى النظرية الفردية فإن تعرض التقدم الاقتصادي إلى الهزات أي الدورات التجارية التي أدت ألى انتشار الاضطرابات في اقتصاد هذه البلدان الأمر الذي أدى إلى هزات سياسية.

ونتيجة للعقدم الصناعي والتجاري ظهرت الطبقة العاملة أقوى بكثير من السابق الأمر الذي جعلها عنصر ضغط إضافة لما للماركسنية من دور في هدم الرأسمائية ، فكان لابد من التمدخل لتحسين أرضاع العمال .

كُل دَلك أدى إلى ظهور فكرة تدخل الدولة لتصحيح بعض الأخطاء والتدخل الذي لا يقتل حرية الفرد ومبادرته والذي يضمن بنفس الوقت عدم تعرض المجتمع إلى هزات خطرة أو إلى عدم ضياع الفرد أو المشروع الصغير وضمان التقدم للمجتمع وهذا ما يطمع إليه المذهب الليبرالي الجديد.

الليبرالية الجديدة:

يرى الليبراليون عدا المتطرفين منهم أنه نتيجة لعدم مسايرة الليبرالية التقليدية للتطور الذي شهده العالم كان السبب في ولادة ليبرالية جديدة تلاءم وظروف المجتمع الجديد وهي ليبرالية ما بعد الحرب العالمية الغانية.

إن دور الدولة في ظل النظرة الجديدة و لليبرالية كان كبيرا وجب عليها أن تلعبه فلها تعود مهمة أساسية هي تحديد الإطار

⁽١١) انظر: ه. محمد عبد المعز نصر: المصدر السابق ص ٢٧٥ رما بعده وكذلك ه. بطرس بطرس غالي و د. محمود طيري عيسى « المدخل الى علم السياسة » مكتبة الانجلر المصرية / القاهرة / سينة ١٩٧٦ الطبعة الخاصية ص ١٧٣ وما بعدها .

القانوني للمؤسسات التي يدور فيها النشاط الاقتصادي والذي أدى إلى تدخل الدولة المستمر إلا أن الدولة في سياستها الاقتصادية تنتشر بشكل كبير إذن ماهو هذا الموقف الليبرالي الجديد من ذلك ؟

يرى مفكرو الليبرالية أن هناك خوفا من تركيز السلطة حيث ان الإدارة للمؤسسات الكبيرة تصبح لها سلطة فإن كانت خاصة فإن المنافسة والخصام يبقى عليها كها هي إلا أن تأميمها هو الذي يخشى منه لذا فإنهم يحددون دور الدولة بالشكل التالي:

- (١) عبل البدولية أن تعميل كيل جهيدها ضيد التضخم والانكماش .
- (۲) على الدولة أن تحد وبشكل معتدل من سلطة الاحتكار
 وبشكل تتابعي .
- (٣) على الدولة أن تؤمم فقط الاحتكارات التي لا يمكن تركها
 للقطاع الخاص .
- (٤) من المفروض أن تتحمل الدولة بنفسها كافة الخدمات العامة .
- (٥) يتموجب عبلى البدولية أن تعملي الفرص وَالمُسِوَارَدِ
 بالتساوي .
- (٦) من الواجب على الدولة أن تطبق التخطيط التأشيري من أجل التقليل من المخاطر التي قد تحدث .
- (٧) من المفضل على الدولة أن تبطبق التخطيط المركزي
 عندما يقتضى أن يكون هناك عمل تغيير بنائي .
- (A) على الدولة أن تتدخل عندما يكون هناك خلل في ميكانيكية السوق (۱۲).

من ذلك نلاحظ ما تجده الليبرالية من خلال وضع الفرد في المقدمة وتمجده حتى يصبح هو الحقيقة ، وحسب ما تراه فإن الأفراد هم الذين يصنعون المجتمع وإن سعادة الفرد هي التي تقوم عليها رفاهية المجتمع .

وهكذا نرى أن دور الدولة هو أن تقف بعيدا أي تحمي الفرد من خلال ضمان أمنه وراحته وحريته (١٣) .

وإذا كان هناك تطور في هذا الموقف أي تدخل الدولة في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية إلا أنه يبقى ضمن الإطار الذي لا يؤثر على الفرد بالصورة التي تقيده لا اجتماعيا ولا اقتصاديا ولا سياسيا.

كها لاحظنا أن فشل الليبرالية التقليدية في طرح الصيغ العالمية لتنظيم المجتمع ومن خلال إبقائها على اعتبار الدولة شرا ضروريا وإعطائها دورا سلبيا أدى بالنتيجة إلى انتهاء مصداقية النظرية الغردية الأمر الذي أدى الى طرح الليبرالية الجديدة (الديقراطية التعددية).

وسيتم تناول الموضوع من خلال بعض وجهات نظر المفكرين الليبراليين فجورج بيردو يحدد ماذا نعني بالدولة .

ثم جيسكار ديستان من خلال دوره كرئيس لدولة ليبرالية إضافة إلى كونه مفكرا وقد طرح دورا جديدا للدولة مؤكدا صواب النهج الجديد من خلال الأمثلة الملموسة .

وَأَحْسِرا فَإِنْ رَعْوِنَ ارُونَ طَرِحِ المقارِنَةُ بِينِ المَارِكُسِيةُ واللهِ اللهِ الجديدة من خلال دور الدولة (الدولة الطبقة والدولة الأداة) ومن خلال الطبقة العليا الحاكمة في كلا المجتمعين .

أُولًا) ماذا نعني بالدولة :

يحدد المفكر الفرنسي جورج بيردو الدولة بأنها :

(١) الدولة هي فكرة تجمع كل المفاهيم الحديثة للسلطة فالانسان قد اخترع الدولة لكي لا يخضع إلى انسان آخر ولذلك نرى أن الدولة قد انبثقت من ضرورة تخليص علاقة السلطة من العلاقات الشخصية للسيطرة وبالتالي فان الدولة تكون مستقلة بخصائصها وصفاتها وكذلك بعيدة عن أخطاء اللين بمارسون السلطة.

Flamant. M : op. cit, P. 102. (\\)

⁽١٣) لمزيد من الايضاح انظر د. نعيم عطية : « في النظرية العامة للحريات الفردية ». الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

وبهذا يؤكد بيردو على عدم شخصانية السلطة ويعتبرها من أهم صفات الدولة الليبرالية (^{۱۲)}.

(٢) الدولة هي مؤسسة ، وهذه المؤسسة هي مشروع في خدمة الفكرة بحيث تكون منظمة بشكل تكون فيه الفكرة مجسدة في المشروع وهذا يقتضي قوة (أداة إكراه) وكذلك فترة زمنية هي أعلى من الفترة الزمنية للأفراد الذين تهتم بهم .

ومن هنا تتأتى ضرورة الاستمرار وتقوية الانسجام للجماعة ، فالسياسة تقسم البشر بالتأكيد ولكن الدولة هنا وجدت من أجل تحديد اطار وحدود المواجهات التي تقسم البشر فرجال الدولة يتكلمون أو بالأحرى ينطقون بالمنزع باسم هذه المؤسسات ودورهم هنا منفذون بواسطة الدولة أي هناك عدم وجود الشخصانية في علاقات السلطة (١٥).

(٣) الدولة هي حكم ، يذهب بيردو الى أنه من خلال القول بأن الدولة هي تأسيس لفكرة فإن هناك خطر فقدان الدولة باسم هذه الفكرة . ومن أجل حماية الدولة من نظرة خاطئة أو فردية للحياة والمجتمع فالدولة تقوم برفض هذه الفكرة .

ففي المجتمع هناك العديد من المتناقضات والتي تُؤدي بَسُكُلُ حتمي الى بعض الانشداد والتوتر الداخلي ، وهنا تظهر الحاجة الماسة للدولة للقيام بدور القوة الوحيدة القادرة لاستمرار النظام ، والقوة الوحيدة القادرة على أخذ دور الحكم في المتافسات على السلطة (٢٦) .

وهنا ينكر البعض هذا الدور للدولة ، فالدولة حسب وجهة نظره نكون منحازة بالطبيعة ، والليبرالية هي أداة البرجوازية حسب رأيهم إلا أن معطيات الواقع الحالي تؤكد انتقال السلطة سلمياً وقيام الدولة بدور المحكم في التنازع ففي فرنسا مشلاً بعد فوز اتحاد اليسار المكون من الحزب الشيوعي والاشتراكي والراديكالي في انتخابات مارس ١٩٨١ لعبت الدولة الليبرائية الفرنسية هذا الدور

حيث استلم السلطة اليسار بعد ربع قرن من سيادة وهيمنة اليمين.

(٤) الدولة هي الديمقراطية التمثيلية، تعتبر الديمقراطية التعددية (الأنظمة الحالية في أوربا الغربية وبالذات فرنسا وإيطاليا حيث وجود الأحزاب المعارضة والمناقضة) على العكس من الليبرالية التقليدية والماركسية لا تذهب إلى إحداث تمزيق أو خرق للمجتمع بل هي في الحقيقة تعبير عن إرادة الأمة ويذهب هذا الرأي في جذوره إلى العقد الذي بدأه هوبس ولوك وروسو.

فالدولة هي دولة الأحزاب أو الحزبيين أو متعددة الأحزاب وهي أيضاً من اهم الصفات التي تميزها عن الدولة الماركسية دولة الحرب الواحد (١٧٠)

فالمنافسة موجودة بين القوى تحمي وتبعث الروح في الحياة السياسية من خلال وجود معارضة تحمل إمكانية تغيير الموضع القائم مما يجعل الفرص متكافئة بين الأحزاب للوصول الى السلطة عندما يختار الشعب وبشكل ديمقراطي الاتجاه السياسي(١٨٠).

ثانياً) الديمقراطبة التعددية والدولة :

يرى ديميتان أن أي مذهب ما هو إلا محاولة لتحليل الواقع وتوجيه العمل. وأن كلا المذهبين الماركسي والليبرالي قد فشلا في ذلك ولو بنسب متفاوتة.

فالنظامان ومنذ أكثر من قرن في صراع ، لم يحاول كل منها الخروج من القوالب التي ارتضاعا غطاء فكرياً . وفي الوقت نفسه نرى أن هناك تعديلاً في العديد من النظريات في مجال العلوم وفي ذلك يقول ديستان : « ان الليبرالية التقليدية والماركسية تفلتان بسهولة من قبضة البحث العلمي وأن التحييز يغلب عليهسها إلى البوم وبالاضافة الى ذلك أنها لم يعودا يمثلان الوقائع المحسوسة في مجتمعنا إلا تمثيلاً ضعيفاً لكونها يتكيفان بصعوبة لإيجاد حلول لمشاكلتا الوقتية (١٩).

Burdeau Georges op. cit. P. 14. (\%)

Idem, P. 15-30. (\0)

Idem, P. 104-114. (\\\)

Idem, P. 130 et sui. (\Y)

HAURIOU: op. cit, P. 101. (\\)

⁽١٩) فالبري جسكار ديستان (الديمقراطية الفرنسية) ، منشورات عويدات بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٣٦ .

فاللببرالية وإن كانت قد نجحت في تحقيق العدالة والمساواة في الحقوق السياسية إلا أن الحقوق الفعلية لم تكن كذلك وتخطيء الماركسية من جانبها أيضاً في أن تاريخ الشعوب في الصراع الطبقي وعندما تمنح طبقة واحدة دوراً.

لذلك يرى ديستان أن عجز الماركسية ورفض الليبرالية لعدم تلبيتها لحاجات الانسان جزئياً ، يغوض البحث عن البديل ومن ذلك يرى ديستان أن المجتمع يجب أن يكون انطلاقاً من الانسان من خلال تلاثة اتجاهات :

(۱) ينبغي للمجتمع أن يعمل لتحقيق وحدته بفضل العدالة بدل أن يقبل بتجزئته إلى أقسام أو مجموعات يسيطر بعضها على البعض الآخر.

(٢) أن يكون مجتمع مواطنين أحراراً ومسؤولين .

(٣) أن يكون مجتمع اتصال ومشاركة^(٢٠).

من الملاحظ أن الاهتمام بتكامل شخصية الانسان ودوره من منظور ديستان يكون من خلال توفير احتياجاته كفرد وبشعوره منبعة وامتلاكمه للحرية بشكل مطلق بجانب توفير الحاجات الأساسية للجماعة.

كيا أن الضمانات التي تم توفيرها للفرد واسعة سواء من خلال لضمان الاجتماعي أو التأمين الصحى أو كافة أشكال العجز.

كما ويركز ديستان على مسؤولية الفرد وحقه في اتخاذ المبادرة حيث أن الطبيعة البشرية ومن خلال تكوينها تظهر الحاجة إلى إثبات الشخصية والتفوق على الذات وهي أساس تقدم الشعوب ومنجزاتها وينتقد ديستان الليبرالية التقليدية بكونها لا تعرف السلطة إلا بكونها سلطة سياسية فقط. في الوقت الذي تكون هناك سلطات عامة والأساسية منها سلطة الدولة ، سلطة الاقتصاد سلطة المنظمات الجماهيرية ، سلطة الإعلام (٢١).

لذا يرى ضرورة احترام هذه التعددية وأن يكون هناك فصل

بينها وبين المجتمع الديمقراطي ويكون ذلك من خلال :

(١) البناء التعددي للسلطة السياسية ، ومعنى ذلك تعدد الأحزاب والغصل الحقيقي بين السلطات أي استقلال السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية كل عن الأخرى ويكون ذلك بضمان الدستور.

(۲) يغترض البناء التعددي سلطة محلية حقيقية تبدأ في حدود القوى وبالتالي إزالة المركزية والعمل بكل حزم وشجاعة بأسلوب اللامركزية.

(٣) يفترض البناء التعددي التعددية في وسائل الاعلام،
 أي التنوع في الصحف، كذلك التعددية في أجهزة الإذاعة
 والتلفزيون وقيام أجهزة إذاعة وتليفزيون مستقلة استقلالاً كاملاً.

(٤) رفض مبدأ التأميم للمشاريع الاقتصادية خاصة العشوائية إلا أنه في نفس الوقت لا تسمح الدولة بمحاولة الالتفاف على مبدأ المنافسة الذي ينتج أفضل الأنواع وأرخصها من جانب يعض الاحتكارات، وقد قدمت فعلاً إلى القضاء بعض المؤسسات نتيجية لوفضها عضواً أساسياً في المفهوم الديمقراطي للحياة الاحتادة

(0) وجود النقابات وتعددها واستقلاليتها عن الدولة يؤمن توازناً فعالاً وضرورياً . فبالاضافة للنقابات المدافعة عن العمال هناك النقابات المدافعة عن فئات عديدة في المجتمع مثل المستهلكين والمؤجرين ... الخ .

لذا فإننا نجد أن هناك ما يشبه الرقابة الشعبية يمارسها الشعب في ظل نظام الديمقراطية التعددية (١).

وأخيراً يبقى من الضروري معرفة ما توصلت إليه الدولة الليبرائية الجديدة (الديمقراطية التعددية) يؤكد ديستان من خلال كونه رئيساً لدولة ليبرائية (فرنسا) إضافة إلى دوره كمفكر ليبرائي إلى أنه لا وجود للحرية والنظام إلا بوجود مؤسسات سياسية منظمة وذات صفة تمثيلية .

⁽٢٠) المصدر السابق ، ص ٤٧.

⁽٢١) المصدر السابق ، ص ٩٠ .

⁽٢٢) المصدر السابق ، ص ١٣٨.

وبذلك قإن ما يطرحه الفكر الماركسي على أن وجود الدولة ليس ضرورياً في مجتمع خال تماماً من الإجحاف والحرمان والتبعية . وقد تضمحل الدولة فيجد المجتمع أمنه ونظامه في ذاته ويصبح في غنى عن سلطة سياسية للحفاظ عليه ما هو سوى الخيال .

إلا أنه في الحقيقة وباسم إقامة مجتمع بدون دولة نجد وفي أوسع بقعة في الكون سلطة هي أكثر أشكال السلطة مركزية عرفتها الانسانية فهل يمكن أن يكون الانسان وديعاً تحت ظل نظام بهذه الصورة ٢.

الملاحظ أن الدولة في المجتمعات التعددية لا تزول وإنما يتم حصرها وأن السلطة العامة هي وحدها القادرة على حماية البشر من تجاوزات السلطة المنفردة، وهنا يلتقي الفكر الماركسي بالليبرالي يكون الدولة ليست سوى أداة أو آلة وإن كانت الدولة الليبرالية هي في خدمة الأمة وفي الفكر الماركسي هي في خدمة طبقة معينة وأداة قهر لطبقات أخرى.

والملاحظ أن هذا الجهاز قد تناقل بين أيدي من الممكن القول عنها أنها ليست من طبقة واحدة . أما دور ووظيفة الدولة فيرى ديستان أنه من المستحيل رسم حدود للدولة ليست لها ألجل في تجاوزها أي أن ترسم رسها نهائياً لأن وظائف الدولة لا يمكن تحديدها مسبقاً .

ويرى ويستان أن للاولة الليبرالية ميزات محددة فهي ليست المنبدادية كون أنها ليست دولة طبقية والوصول إليها يكون الصبغة دديات أو الانتخابات.

م عبر الشولة في المفهوم الليبرالي أنها دولة القانون كما يذهب الميستان وبعود ذلك الى التجارب التي عاشتها أوربا(٢٣).

فعبر التاريخ وفرنسا بالذات فبالرغم من أن الدولة قد قامت بأعمال وإنجازات كبيرة وعظيمة إلا أنها في نفس الوقت قد تركت ذكريات مثبلة وخاصة في فترة الملكية التي عاشتها فرنسا عندما قال لريس السادس عشر (الدولة هي أنا) فقد كانت الدولة غارقة

بالامتيازات ومتقلبة ودموية في نهاية الشورة الفرنسية والعهد الامبراطوري أو المستخفة الظالمة ثم أخيراً وكها يرى جيسكار ديستان شكل الدولة بين الحربين العالميتين والتي شهدت الاشتراكية الفرنسية فترة حكمها بالمهملة المتراخية (٢٤).

ولذلك فإن الدولة الليبرالية لا بد أن تكون دولة القانون ، فلا يحد السلطة إلا السلطة لذلك فإن فصل السلطات يتيح للقضاء أن يأخذ دوره في الفصل في شرعية المقررات القانونية التي تصدرها السلطة التنفيذية وللمجلس الدستوري الحق في الاعتراض والرفض أي أن مبدأ تقييد الدولة بالقانون يجبر ماسكي السلطة بعدم التجاوز حيث أن هناك حدوداً لا يمكن لهم تجاوزها أي أن الدولة الليبرالية محترمة من خلال التزامها بالواجهات التي تؤمن عليها ومن خلال مارستها للسلطة ويتأتى هذا الاحترام عن طريق عدالة القرارات والتصرفات االتي تصدر منهم ، وهذا عنصر مهم في عملية بقاء الدولة الليبرائية محايدة .

كُذُلك إن ما يميز الدولة الليبرالية أيضاً أنها ليست دولة طبقة فقي الدولة الماركسية تجد أن الدولة هي دولة العمال والفلاحين نقط من في الوقت الذي يتكون الشعب من شرائح وفئات عدة إضافة الى هذه الطبقة.

وأخيراً اذا كانت الثورة (الطريق الدموي) هو السكوك أو الطريق الوحيد للسيطرة أو للوصول الى السلطة في المجتمعات غير الليبرالية فان ميكانيكية الانتخابات والسلوك الهادي، في تناوب الحكام ينهي دور العنف والوحشية فليس هناك صراع بين الخير والشر على حد تعبير ديستان بل منافسة أفراد وجماعات يعملون معاً لما فيه خير المجموع (مهر).

ثالثاً) آرون ومقارنة بين الدولة الليبرالية والماركسية :

لعل من خلال طرح آرون موضوع المجتمع الصناعي وما يرد فيه من أهمية من خلال المقارنة بين النظام الليبرالي والماركسي ما

⁽٣٠) ته يف دولة القانون بكونها « نظام قانوني بموجبه تخضع السلطات العامة بشكُّل فعلي الى (مراقبة قضائية) على ضوء مبدأ العدالة أو المساواة .

⁽١٠) غائيري جيسكاردبستان ، المصدر السابق .

⁽١٥) المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

يستحق التناول فيحدد آرون النظام الرأسمالي من خلال المؤشرات التالية :

- * أن تكون وسائل الانتاج موضوع ملكية خاصة .
- * تنظيم الاقتصاد فيه ينطلق من التوازن بين الانتاج والاستهلاك أي غير مركز.
 - * انفصال العمال عن أرباب العمل انفصالاً تأماً.
 - * أن يكون الباعث الأساسي نشدان الربح.
 - * توزيع الدخل ليس بشكل تخطيطي (٢٦).

وينطلق آرون في طرح وجهة نظره للدولة الليبرالية الحديثة مقارناً فيقول :

(١) دور الدولة:

ينحصر دور الدولة في تدخلها في الاقتصاد لتغيير التوزيخ الاختياري للمداخيل ولتحافظ على التشغيل الكامل في نفس الوقت أي أن تدخل الدولة هو تدخل تصحيحي وإحدى ميزات التطور وهي ليست ميزة المجتمع الرأسمالي للقرن الماضي.

كها أن هذا التدخل يزداد أكثر فأكثر في الحياة الاقتصادية وهي تعيد توزيع المداخيل بحسب الاعتبارات الاجتماعية ، كما تقوم بتأميم بعض الصناعات إلا أن هذا الذي يجري داخل النطاق الغربي لا يؤدي الى تخطيط شامل ولا إلى ظواهر مماثلة لما يجري من النظام السوفيتي .

وفي ذلك يؤكد آرون الى أن من غير المنطقي اعتبار النظام

السوفيق « هو مستقبل الاقتصاديات في الغرب »(٢٧).

(٢) الدولة الطبقة أو الدولة الأداة :

يرى آرون أن هناك نقطة جوهرية بالنسبة للفلسفة الماركسية ، فلسفة الطبقات ، هي الدمج ما بين الدولة وسيطرة طبقة ، إن النقطة الرئيسية في الفكر الماركسي هي التأكيد على وجود طبقة مسيطرة في المجتمع بينها الدولة ليست سوى آلة بواسطتها قارس الطبقة سلطتها .

(٣) الطبقة العليا:

يناقش آرون الغوارق بين المجتمع الليبرالي والماركسي فيها يخص الطبقة العليا فيقول:

تسمى هذه الطبقة في البلدان الرأسمائية بالبرجوازية، وفي المجتمع السوفيتي يسميها بعضهم طوعاً بالبيروقراطية ويندد التروتسكيون بالشدة نفسها بالبرجوازيين والبيروقراطيين وأيا كأنت العبارة المستعملة فهناك كها يقول آرون مسألة واقع، ففي كلّ من النمطين توجد أقلية من الرجال في قمة السلم الاجتماعي ويحدد مكانها والمقام الذي تنعم به أو المداخيل التي تتقاضاها أو السلطة التي تقارسها، إلا أن الأقلية في المجتمع الرأسمالي تمتلك الشروة الفردية ولا تمتلك بشكل دائم السلطة بينها في المجتمع السوفيتي فإن البيروقراطية هي تعبير عن الدولة نفسها(٢٨).

وأخيراً ، فإن آرون يردد ما يقوله ماركس بوصف الدولة بكونها ذلك الجسم الغريب الطفيلي الرهيب الذي يغطي ويكسسو جسم المجتمع على غرار غشاء ويسد جميع مساماته .

⁽٢٦) ديمون أرون : ﴿ المنجتمع الصناعي ﴾ منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٠ ترجمة عن الفرنسية ، ص ٨٦.

⁽٢٧) ريمون أرون : « صراع الطبقات ُه منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٦٥ مترجم عن الفرنسية ، ص ١٩.

⁽٢٨) المصدر السابق ، ص ١٣٠.

الخاتمية

لقد استطاع الفكر الليبرالي أن يتكيف مع التطورات التي حصلت في القرن الحالي، ولم يقتصر دور الدولة على ضمان حريسة الفرد، ولم تعد ذلك الشر الضروري فالدولة الليبرالية:

(۱) استطاعت أن تحل الصراع الموجود بين القوى الاجتماعية والسياسية بطريق هادي، بدون عنف وعن طريق ميكانيكية الانتخاب أي تناوب القوى عند أخيار الشعب وكها يقول ايفور يمنك (أن الكلاب التي تعوي في البرلمان قد تتمكن من أن تنهش الآخرين اذا لم يكن ثمة برلمان).

(۲) تشهد الأحزاب الشيوعية في أوربا الغربية وبالرغم من تخليها عن أهم مباديء الماركسية « دكتاتورية البروليتارلا » وايانها بالصراع الديقراطي انحساراً كبيراً وعلى سبيل المثال فان ٢٨٪ من الشعب الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية يصوت إلى خانب الحزب الشيوعي بينها الانتخابات البلدية الأخيرة لم يصل إلا إلى ٢٠٪ فقط أما الانتخابات التشريعية التي جرت في الشهر الماضي فقد وصل الى نفس مستوى اليميني المتطرف ٢٠٪.

(٣) استطاعت الدولة الليبرالية الحفاظ على عنصر المهادرة والابداع لدى الغرد بالرغم من تدخلها الواسع وقيامها بتأمين بعض الاحتكارات التي لا يستطيع القطاع الحاص القيام بها.

(٤) استطاعت الدولة الليبرائية أن تلغي مفهوم أو وجود الطبقة المسحوقة من خلال الضمانات الاجتماعية التي توفرها للفرد والعائلة من ذوي الدخل المحدود .

(٥) الحفاظ على عنصر المنافسة في محاولة لتقديم أفضيل السلع وأرخص الأسعار وقدمت إلى القضاء عددا من الشركات التي قلمت بالتحايل على هذا المبدأ.

(٣) وأخيراً بنفس الوقت الذي استطاعت الدولة الليبرالية أن تقدم للفرد ما عجزت بعض الأنظمة أن تقدمه فانها فشلت في دور مهم كان عليها القيام به وحاجة أساسية للفرد بل حق للفرد وهو ضمان عمل، فالبطالة التي تعم الدول الغربية ونتائجها السلبية تشكل أخطر الأمراض التي تنهش في جسدها ففي فرنسا على سبيل المثال هناك ما يقارب الثلاثة ملايين عاطل عن العمل.

المصادر

الدار القومية القاهرة ، ١٩٦٥ .

(٩) د. محمد عبد المعنز نصر: « من النظريات والنظم السياسية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ .

المصادر الفرنسية:

13/4 BURDEAU GEORGES: "L Etat," Seuil. Paris, 1970.

- 2. DU LACHARRIERE RENE : "Etudes sue La theorie democratique" Payat, Paris. 1963.
- 3. DE VABRES D. Jacques: "L Etat", P.U.F, Paris, 1980.
- 4. FEBRRE L. "DE L'Etat historique a L'Eat yivan" Introduction, Tome X de L'Encyclo pedie Fransaise: L'Etat.
- 5. FIAMANT Maurice: "Le Liberalisme" P. u.F, Paris, 1979.
- 6. HAURIOU Andre et GICQUEL Jean: "Droit constituennel et institions politiques, Montchrestien, Paris. 1980.
- 7. PEUCH Jaeques : "Politipue" (Iere annee de Licence en Droit 1978-1979) Universite de Nice.

المصادر العربية:

(١) د. أنور أحمد رسلان: الديمقراطية بين الفكر الفردي
 والفكر الاشتراكي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧١.

(٢) د. بطرس بطرس غالي و د. محمود خيري عبس:
 « المدخل في علم السياسة » مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،
 ١٩٧٦ .

(٣) غاليري جيسكار ديستان: « الديمقراطية الفرنسيسة » منشورات عويدات بيروت ، ١٩٧٧ ، مترجم عن الفرنسية .

(٤) روبسرت م. ماكيفسر: «تكوين الدول » دار العلم
 للملابين ، بيروت ١٩٦٦ ، مترجم عن الانجليزية .

(٥) طعيمة الجرف: « نظرية الدولة » دار التهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨ .

(٦) ريمسون آرون: « المجتمع الصنساعي » منشبورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٠ مترجم عن الفرنسية .

(۷) ريمون آرون : « صراع الطبقات » منشورات عويدات ،
 بيروت ، ١٩٦٥ مترجم عن الفرنسية .

(A) نعيم عطية : « من النظرية العامة للحريات الفردية »





يهود مصر

عادل حامد الجادر مركز الدراسات الفلسطينية _ جامعة بغداد

مقدمــة:

على الرغم من أن القلة العددية لليهود المصريين فقد كانوا دوما جزءا متمها لسكانها ، امتزجوا في حياة البلاد العامة باللغة والتقاليد والعادات وظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وهذا عكس ما أثبتته الوقائع التاريخية الأكيدة في علاقة اليهود في المجتمعات الأخرى وخاصة الأوربية اذ عاش اليهود في أحياء خاصة نسمى « الجيتو » نتيجة اضطهاد هذه المجتمعات الأوربية لليهود . لقد عاش المصريون واليهود جنبا إلى جنب بصداقة وتفاهم منذ أقدم الأزمنة بينها تعرض اليهود الى مجازر متعددة في أوربا الشرقية والغربية في العصور الوسطى والحديثة . وكانت دائها الديار العربية ملجأ لهم ليعيشوا فيه بأمان وسلام .

ومنذ ظهور الحركة الصهيونية وعقد المؤتمرات الصهيونية بدأت الحركة الصهيونية بتوجيه الاهتمام بالطوائف اليهودية المنتشرة في العالم لكسبها وضمها إلى جانب الحركة الصهيونية عن طريق تنظيمات صهيونية محلية وربط هذه التنظيمات بالمنظمة الصهيونية الأم.

ومنذ قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ اتجه والمنظمة الصهيونية العالمية نحو يهود الأقطار العربية ومنهم يهود مصر، بشن حملات ترغيبية وترهيبية نحوهم لزعزعة وجودهم في المجتمع العربي لحملهم للهجرة الى فلسطين المحتلة. ان استقرار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية لليهود المصريين يساعد على تقويم أبعاد العمل الصهيوني بين يهود البلاد العربية ويضع أمامنا المؤشرات الضرورية لمواجهة الصهيونية على كافة المستويات.

يهود مصر قبل ظهور الحركة الصهيونية ١٨٩٧

من المعروف أن علاقة اليهود القدماء مع مصر علاقة قديمة ، تعود للعهد الفرعوني ، وقد اختلفت هذه العلاقة تبعا لاختلاف وضع فلسطين بالنسبة إلى مصر من ناحية ، والصلات التي قامت بين كل من مصر وفلسطين وشعوب الشرق الأدنى المجاورة من ناحية أخرى(١).

وتشير الأدلة التاريخية إلى أن اليهود كلما ضاق بهم الأمر ، كانوا ينشدول مصر أو كانوا بهاجرون إليها للاقامة في بعض أنحائها . وعندما دهمهم آشور كانت مصر أضعف من أن تنصرهم بل أضعف من أن ترد عين نفسها بابل آشور ، ووفد نبوخذ نصر على رأس جيوش ملك بابل وأنزل الحزيمة بالملك نخاو الثاني ملك مصر (٦٠٩ ـ ٥٦٣ ق.م وأجلاه عن فلسطين ، وفي موقعة قرقميش عام ٢٠٥ ق.م وأجلاه عن فلسطين ، آل ملكها الى بابل ، وفي ٥٨٦ ق.م اجتاحت الجيوش البابلية فلسطين ودمرت « يهوذا » وهيكلها تدميرا تاما وشاملا وكانت يهودا تأمل أن يسارع ملك مصر « ايريس » وهو خفرع في التوراه ، إلى نجدتها .

وقد فتح ايريس صدره لليهود الذين نجوا من اجتياح الجيوش البابلية. فقد كان الحكام المصريون يشجعون الأجانب على المجيء إلى مصر للاشتغال بالتجارة وعلى أي حال فان المصادر القديمة تحدثنا بأن اليهود انتشروا في أرجاء منفيس والفيوم ودهشور والبهن والاشمونيين وإخميم وطيبة وابيدوس وادفو والفنتين وأسوان.

وقد جاءت جماعة إلى مصر بعد أن انتــزع الاسكندر ســوريا وفلسطين من الفرس عام ٣٢٢ ق.م .

⁽١) راجع بهذا الصدد د. مصطفى كمال عبد الحليم « اليهود في مصر في عصري البطلمة والرومان » ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٤ .

لا وفي العهد الروماني شجع يطليموس الأول اليهود على الاستقرار في الاسكندرية كما أكّد لهم يوليوس قيصر حقوقهم السياسية وامتيازاتهم عام ٤٨ ق.م، وبعد سقوط القدس على يد تيتوس ٢٦ م. أرسل اليهود أسرى بالآلاف إلى مصر للأعمال الشاقة، وتعرضوا بعد ذلك إلى تقلبات متعددة حتى كان الفتح العربي لمصر، حيث تحسنت أوضاعهم ولاقوا ازدهارا لم يعرفوه منذ أمد، وانتقلت جماعة منهم إلى الفسطاط بعد أن أصبحت عاصمة لمصر(٢).

وني مطلع العصر الحديث لم يتأثر وضع اليهود بالفتح العثماني لمصر عام ١٥١٧ ، بل على العكس قتع كثير منهم بنظام الامتيازات وفضلوا حماية دولة أوربية على الجنسية العثمانية البعيدة السلطة ، وني وقت لاحق شجع التسامح الديني الذي اشتهر به ، محمد علي باشا (١٨٠٥ ـ ١٨٤٨) واهتمامه ببناء مصر الحديثة ، على قدوم الأجانب إلى مصر بأعداد كبيرة ، وقد وجد الكثير من اليهود فرصا كثيـرة للعمل في الحياة المالية والتجارية والمشاريع والمؤسسات العاجة مع تلك الجاليات الأجنبية فضلا عن عملها في مؤسسات الدولة ووظائفها ، وعمدت الطائفة إلى بناء مدارسها ومستشفياتها ومعابدها ومؤسساتها الخيرية . وقد وصف أوضاع اليهود في القون التاسع عشر كثير من المؤرخين والرحالة منهم E.W.Lane في كتابه (Manners and Customs of Modern Egyptions) ١٨٣٥ وكذلك الرحالة بنيامين الثاني الذي زار مصر ووصف أحوالها نی کتبابه (Eight Years in Asia and Africa) ، وقد وجد بنيامين الثاني في الاسكندرية ٠٠٠ أسرة من اليهود الوطنيين و ١٥٠ أسرة من اليهود الايطاليين، كها وجد في القاهرة ٦٠٠ أسرة من الوطنيين و ٢٠٠ أسرة من الايطاليين . ووجد في دمياط (٥٠ أسرة) أما ابن سغير الذي زار مصر والـذي سجل مـلاحظاتـه في كتاب (خمس سنوات في الشرق) عام ١٨٥٦ ، فقد وجد أن معظم يهود الاسكنندرية وعنددهم (٢٠٠٠) يقيمون فيهما بعد حفر تسرعية ا المحمودية ، ووجد في المحلة (٢٠ أسرة) وفي ميت غمر (٢٠ أسرة)

وزفتة (٥ أسر) وينها (١٠ أسر) والفيوم أسرة واحدة ، أما القاهرة فقد وجد فيها ٦٠٠ أسرة من اليهود الوطنيين و ٦٠ أسرة ايطالية و ١٥٠ أسرة من القرائين .

لقد فتح خلفاء محمد علي شأنهم شأن سلفهم أبواب مصر أمام الأجانب بدعوى تحقيق التقدم للبلاد والسير بها في طريق الحضارة حتى سمح عام ١٨٥٨ للأجانب بامتلاك الأرض واستثمار رأس المال ، وكان معظم المستثمرين من اليهود الأجانب في مصر ، وكثر أعداد اليهود حتى بلغ عددهم لإحصاء عام ١٩٤٧ نحو ١٥,٣٣٩ نسمة (٢).

كان ما يقرب من ثلاثين ألفا منهم يحملون جوازات سفر أجنبية (ايطالية أو فرنسية أو يونانية أو فارسية أو بريطانية) ونحو خسة آلاف حاصلين على الجنسية المصرية ، أما الباقي فلا جنسية المم .

وكان السبب في حصول الكثيرين منهم على جنسية أجنبية هو فوائد نظام الامتيازات المذي لم يكن يكفل لهم فقط حماية القناصل الأجانب، بل كان يعفيهم أيضا من الخضوع للمحاكم المصرية، إضافة الى حقوق استثنائية أخرى.

الوضع القانوني والاجتماعي لليهود:

كفل نظام الملل المعروف في العهد العثماني حقوق والتزامات الطوائف الدينية ، وفي عهد الحماية البريطانية على مصر تقرر بموجب القانون رقم ٨ لعام ١٩١٥ ، أن لكل طائفة (بجلسها المحلي) المكلف بمعالجة الأمور ذات الصفة الشخصية كالزواج والطلاق والارث حسب التقاليد الطائفية . وأعطى دستور ١٩٢٣ ضمانات جديدة للطوائف والأقليات بإقراره مبدأ المساواة في الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الأصل أو اللغة أو (الدين) ومنحم حرية الاعتقاد والرأي والصحافة والتعليم وحق استعمال أي لغة فيها ، كما كفل لهم تسوية أمورهم الشخصية حسب تقاليده على يد سلطاتهم الدينية . في مصر كان اليهود ينقسمون إلى طائفتين : طائفة

Schechtman J. B., on Wings of Eagles, New York. 1960. P. 185. (Y)

وانظر قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠.

Ministry of finance and Economy, statistical Census Department: Population Census of Egypt 1947. Government Press-Cairo 1954. (٣) عن سهام نصار، اليهود المصرين بين المصرية والصهيونية، بيروت ١٩٨٠، ص ١٢ ـ ١٣.

اليهود القرائين (٤) ، وكان عندهم محدودا جدا ، وطائفة اليهود المحافيين أو الرينانيين (٥) وهم أغلبينة اليهود في مصر ومتعت باعتراف السلطات الرسمية بها كطائفة .

والربانيون ينقسمون بدورهم إلى طائفتين : طائفة في مدينة القاهرة وطائفة في مدينة الاسكندرية ، وكنان لكل واحدة منها حاخامها ومجلسها المحلي المنتخب ، أما طائفة القاهرة الريانية فكانت تنقسم إلى طائفتين : طائفة اليهود السفاراديم (أي اليهود الشرقيين اللين ينتمون في أصلهم إلى حوض البحر المتوسط وآسيا) ، واليهود الاشكنازيم (وهم اليهود الغربيون الذين وفدوا على مصر من أوربا) . وكان لكل طائفة مجلسها الطائفي وحاخامها الخاص ، وأما طائفة الاسكندرية فكان لها مجلس عام للطائفة .

بالإضافة إلى هؤلاء كانت هناك عائلات يهودية في بعض المدن المصرية الكبرى مثل بورسعيد والاسماعيلية والسويس وطنطا والمنصورة والمحلة الكبرى وبني سويف والأقصر وكوم أميز ... وغيرها .

وقد تركز اليهود بصفة رئيسية في مدينتي القاهرة والاسكندرية فيها يسمى بحارة اليهود ، وكان هذا الحي يشكل قطاعا مَن الأخياء الفقيرة ، ويضم مئات المنازل والمحال التجارية والمصانع التي كانت كلها ملكا لهم ، وبالرغم من ذلك بدأ أغنياء اليهود يهجرون هذا الجيتو ليعيشوا في الأحياء الراقية غير اليهودية .

ويمكننا أن نقسم اليهود من الناحية الاجتماعية إلى ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى _ وتضم عددا من الأسر الفنية المعروفة بتراثها ومركزها في المجتمع وعلاقاتها الشخصية بأهل البلاد من اقطاعيين وذوي نفوذ وسياسيين ، ومن هؤلاء أسر قطاوي وموصيري ورولو

وسوارس وهراري ووهبة ومنشه وشيكوريل .. وغيرها .

وتحت هذه الدائرة المترفعة تأتي الطبقة الثانية ، حيث نجد عددا لا بأس به من الرجال الأغنياء في تجارة القطن والصيرفة والبورصة والصحافة وتجارة التصدير والاستيراد وأصحاب المحال التجارية المتخصصة وكانت لهاتين الطبقتين حياتها الاجتماعية والثقافية المنفصلة عن أهل البلاد الأصليين ، وكان معظمهم يستخدم الفرنسية لأنها كانت لغة الصالونات في ذلك ةلوقت ولأن الاتجاه العام كان نحو الثقافة الغربية وخاصة الفرنسية فقد أثر هذا الاتجاه على مزيج حياتهم اليومية حيث طرأ تغيير كبير في عاداتهم وملابسهم وأذواقهم .

وفي قاعدة البناء الاجتماعي كان اليهود الفقراء باعة جائلين أو حرفيين صغارا ، يتكلمون اللغة العربية وأدى اختلاطهم مع جيرانهم إلى أنهم اقتبسوا عاداتهم وأعطوا أبناءهم أسهاء عربية .

وَإِذِا قَارِنَا مستوى الطائفة اليهودية بالمعدل العام لمستوى الحياة في مصل لواجدنا أنها كانت تتمتع بمستوى جيد، ولم يعرف اليهود الفقر المدقع.

لقد تمتع اليهود في ظل دستور ١٩٢٣ (١٦) ، بحقوق المواطنين في انشاء مؤسساتهم الخاصة سواء لتأدية شعائرهم الدينية أو دعم وضعهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي فكانت لهم مستشفياتهم ومستوصفاتهم الصحية وأنديتهم الرياضية .

ومن الناحية الدينية وجد اليهود كل مساعدة لبناء معابدهم وإقامة محافلهم، فمنذ بداية القرن العشرين انتشرت المعابد والمحافل اليهودية في القاهرة والاسكندرية وباقي المدن المصرية وساعد على اقامتها عدم وجود قيود صارمة لا تثقل الأرض التي كانت تمنحها لهم الحكومة المصرية مجانا في أغلب الأحيان.

⁽٤) اليهود القراؤن هم الذين يؤمنون بالتوراة ويتبعون تعليماته فقط ، ويرفضون التفسير الذي وضعه الربانيون للكتاب المقدس فيها يسمى بالتلمود ، وقد ظهر المذهب القراش في بغداد في القرن الثامن للميلاد ثم انتشر بعد ذلك بين اليهود في سوريا ومصر وباقى دول العالم .

⁽٥) اليهود الربانيون تقوم معتقداتهم الدينية على التعاليم القديمة كها تم تفسيرها في التلمود ، وهم يشكلون غالبية اليهود ، ويختلفون والقراؤن في نقاط متعددة من السلوك ، والقراؤن هم الذين يؤمنون بالتوراة وتعليماتها فقط ، ويرفضون التفسير الذي وضعه الربانيون للكتاب المقدس فيها يسمى بالتلمود ، وقد ظهر المذهب القرائي في بغداد في القرن الثامن للميلاد ثم انتشر بين اليهود في سوريا ومصر وباقي دول العالم . راجع سهام نصار ص ١٣ وعلي ابراهيم عبده ص ١٦٤ .

⁽٣) اعطى دستور ١٩٢٣ الطوائف والأقليات ضمانات جديدة باقرار مبدأ المساواة في الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الأصل أو اللغة أو الدين ، وبنصه على حرية الاعتقاد والرأي والصحافة والتعليم كما كفل لهم تسوية أحوالهم الشخصية على حسب تقاليدهم وعلى يد سلطاتهم الدينية .

وهكذا بلغ عدد المعابد التي أقيمت في القاهرة حتى سنة ١٩٥٠ ، ٢٩ معبدا ، أهمها معبد الاسماعيلية الكبير بشارع عدلي ، وفي الاسكندرية بلغ عدد المعابد عشرين معبدا على حين انتشرت معابدهم في مختلف المدن التي كانت يقطنها أبناء الطائفة .

وفضلا عن ذلك أقام اليهود عددا من المحافل من أهمها محافل بني بريت بالقاهرة ومحفل الياهو ضابي بالاسكندرية .

وفي مجال الخدمات الاجتماعية أنشأت الجمعيات التي هيمن عليها كبار الرأسماليين اليهود لتقدم المعونة والرعاية للفقراء من أبناء الطائفة مثل جمعية نجور حوليم والمستشفى الاسرائيلي اللذين تأسسا لتقديم الرعاية الطبية للمرضى اليهود وخاصة المحتاجين منهم، وجمعية ماتان باستير التي تأسست عام ١٩٣٣ من أجل تقديم التسهيلات المادية والمعنوية للفتيات الفقيرات اللائي تقف الدولة حائلا دون زواجهن وملجأ ابن ميمون للعجزة الذي تأسس عام ١٩٣٤ وغيرها من الجمعيات والأندية التي تولت مسؤولية رعاية شباب الطائفة مثل أندية المكابي الرياضي وجمعيات الشبان وجماعات الكشافة واتحاد الشبيبة اليهودية.

وضع اليهود الاقتصادي:

مارس اليهود نشاطهم في جو من الحرية والرعاية ، إذ كانوا يلقون كل العطف من جميع فئات الشعب والعون من السلطات الحاكمة ، كما كانوا يبتمتعون بجميع حقوق المواطنين . إلا أنهم استغلوا هذه الرعاية فتوصلوا بشتى الوسائل الملتوية لانعاش مشروعاتهم ، كذلك توجهوا إلى المشاركة في نشاط الصهيونية العالمية ودعم جهودها في محاولاتها الاستيلاء على فلسطين .

إن ارتفاع مستوى التعليم بين اليهود واختلاطهم بالأجانب قد فتح أمامهم فرصا واسعة للعمل، فشمل نشاطهم مجالات العمل الاقتصادي كافة في التجارة والصناعة والنزراعة والمصارف وغيرها. حتى استطاعت عدة أسر يهودية رأسمالية أن تتحكم فترة طويلة في الاقتصاد المصري وتمويله وتطويره.

فغي عام ١٨٨٠ كان اليهود على صلة وثيقة بالدوائر الحاكمة في

مصر، فقدموا لها الدعم المالي وقاموا بدعم المشروعات الصناعية التي أنشئت في ذلك الوقت نظراً لأن غالبيتهم كان من أصحاب البنوك. ومن ناحية أخرى قام المستثمرون اليهود بشراء مساحات واسعة من الأراضي بمقتضى القانون الصادر عام ١٨٥٨ الذي سمح للأجانب بامتلاك الأرض، وكونوا شركات كبيرة لاستغلال هذه الأراضي مثل شركة كوم امبو التي اشتغلت بزراعة قطاعات كبيرة من الأراضى.

وكانت أعمال الصيرفة والربا من أهم مجالات العمل التي اشتغل بها اليهود ، ففي عهد الخديوي اسماعيل ازداد عدد المرابين في مصر بصورة كبيرة وكان معظمهم من اليهود الذين انتشروا في البلاد حتى انه في عام ١٩٤٢ كان الرأسماليون اليهود يساهمون في ادارة ١٠٣ شركات من مجموع ٣٠٨ ويسيطرون على جانب ضخم من رؤوس أموالها كها كان العاملون فيها يهودا.

ويتضح لنا مدى تغلغل اليهود داخل الهيئات والمؤسسات المالية إذا علمنا أن سوق الأوراق المالية (البورصة) ومصلحة الجمارك ولمعظلم البنوك كانت تغلق أبوابها في أيام الأعياد والمناسبات الدينية

ومن ناحية أخرى يلقى البعض ما ترتب على القروض الأجنبية من أحداث سياسية أدت الى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٧. على اليهود ، فهم يرون أن البلاد لم تكن بحاجة الى الاستدانة ، ويقول جابوييل شارم أحد الكتّاب الفرنسيين الذين عاصروا عهد اسماعيل ودرس حالة مصر في عهده : « ان السماسرة ـ ومنهم اليهود ـ كانوا يدفعون الخديوي اسماعيل الى عقد القروض المتتالية من بيوت المال اليهودية الأوربية »(٧) .

أما تجارة الذهب والقطن والمنسوجات فكانت في قبضة اليهود نقريبا إذ يشير التقرير السنوي للمندوب السامي البريطاني في مصر عام ١٩٠٥ إلى أن نسبة كبيرة من تجارة الأقمشة كانت في أيـدي اليهود ، كما كان ٩٠٪ من سماسرة القطن في البورصة من اليهود في

⁽٧) عبد المنصف محمود : اليهود والجريمة _ المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ١٩٦٧ ، ص ١٥٨ ، نقلاً عن سهام نصار ص ١٨.

بكشف لنا الاقتصادي المصري طلعت حرب ، مؤسس بنك مصر حين أورد في كتابه « علاج مصر الاقتصادي » عام ١٩٦١ (٨).

«ان الأهالي «المصريين» كانوا على حالة من البساطة في المعاملة لا يدخل بينهم أجنبي ، يقرضون بعضهم بلا كمبيالات أو صكوك ، وكانت حياتهم قانعة لا يذخ فيها ولا اسراف . وقد فكر بعض الماليين الأجانب في عام ١٨٨٠ في تأسيس بنوك رهون عقارية منظمة ، وقام بالفعل بنكان من هذا النوع ، الأول برأسمال فرنسي وخاضع للقوانين المصرية وهو «البنك العقاري المصري» أسسه ثلاثة من كبار المرابين اليهود المقيمين في مصر وهم سوارس ورولو وقطاوي ، بالاتفاق مع ثلاثة من أكبر بنوك فرنسا هي بنوك الكريدي ليونين وسوسيتيه جنرال والكونتوار ناشيونال دي سكونت ، وقد امتد رسوسيتيه جنرال والكونتوار ناشيونال دي سكونت ، وقد امتد أجراها منذ البنك الى الأهالي بشكل مخيف فبلغت السلفيات التي أجراها منذ انشائه حتى شهر تشرين أول ١٩١٠ نحو ٥٢٥ مليون المراوعة في مصر كلها ، وبلغت أرباح هذا البنك عام ١٩٠٠ فقط المبلغ ١٩١٥٥،٢٣١ جنيها من حصيلة فوائد السلفيات وحدها ».

ويعزز طلعت حرب كلامه بعدد من الاحصاءات كان أهمها نوزيع ملكية الأطبان ، عام ١٩١٠ ، على المصريين والأجانب ظهر منه أن عدد المملاك الوطنييين كان ١,٣٨٤,٣٨٦ مالكا يمتلكون ٤٦٢,٣٦٨ مالكا لأقل من فدان و ٢٦٢,٣٦٨ يلكون أقل من خسة أفدنة ، وكان عدد الملاك الأجانب ٧٥٧٨ يمتلكون ١٦٥١ يمتلكون ٢٧٥,٩١٧ فدانا منهم ١٦٥١ يمتلكون ٢٧٥,٩١٧ فدانا وبلغت قيمة الدين العام بقوائده المختلفة بمتوسط قدره ٣٣٤ فدانا . وبلغت قيمة الدين العام بقوائده المختلفة في آخر كانون الأول ١٩١٠ مبلغ ٩٤,٧٧٢,٢٠٠ جنيه .

ويذكر الدكتور عبد العظيم رمضان في كتابه « صراع الطبقات في مصر » أن اليهود استطاعوا بمهارتهم وخبرتهم في مجال التجارة أن يحلوا محل البيوت المصرية التجارية الكبرى التي كانت تعمل على أوسع نطاق قبل مطلع القرن أمثال بيوت الماوردي والجمال

وعبدالخالق مدكور، فعن طريق اتفاق السماسرة اليهود مع المصانع الأوربية وأخذ الوساطة بين المورد الأجنبي والمستورد المصري أخذت البيوت المصرية تتراجع ليحل محلها شيكوريل وبنزايون وعدس واوروزدي بك (عمر أفندي) ثم أخذوا يسيطرون على تجارة الصادر والوارد عن طريق الوكلاء من اليهود.

وفي ميدان الصناعة ساهم اليهود في الصناعات الزراعية كحلج القطن وكبسه واستخراج الزيوت وصناعة السكر، كها أسهموا في انشاء العديد من الشركات مثل شركة المطاحن وشركة الملح والصودا، وشركة توليد الكهرباء والثلج وشركة صناعة الخردوات والنحاس وصباغة الحرير وغزله بالاسكندرية إضافة إلى عملهم في مجال السياسة بإنشائهم الفنادق وادارتها، كها دخل كثيرون منهم مجالات تصدير العاديات والتحف والهدايا واستيرادها، كها أنشأوا وور السينها والملاهى.

وقد أصدرت الحكومة المصرية عدة تشريعات غايتها زيادة إشرافها وزيادة أعداد المصريين العاملين فيها، فقد نص قانون الشركات الذي صدر في عام ١٩٤٧ على أن بكون معظم مدراء الشركات من المصريين وعدد العاملين من المصريين لا يقل عن ٧٥٪ من العمال في أي شركة. وأن يحصلوا على ٦٥٪ من الرواتب الاجالية، وأن تكون نسبة المصريين في مجلس الادارة في كل شركة .

تعليم اليهود في مصر:

استفادت الطائفة اليهودية من رعاية الحكومة واهتمت في تعليم أبنائها . وقد أسست منذ عام ١٨٦٠ مدرستين لأولادها وبناتها . احداهما بالقاهرة وكان يؤمها ١٧٥ طالبا والثانية بالاسكندرية وعدد طلابها ١٤٥ طالبا . سبعون من الذكور وسبعون من الانباث والباقون من جنسيات مختلفة .

غير أن معظم، أولاد اليهود وبناتهم كانوا يذهبون الى المدارس التي ينشئها الغربيون أكثر من ذهابهم إلى مدارس الطائفة، وكانوا

⁽٨) يعقوب خوري ، اليهود في البلدان العربية ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٩ .

[.] اعن سهام نصار . ص ۱۹. Cohen, J. Hayyim : The Jews of the Middle East. P. 49, 88. (١)

يعتبرون التعليم محض سلاح يضربون به في معترك الحياة ولذلك صرفوا جل عنايتهم للحساب والحساب التجاري ثم يندفعون بعد ذلك في ميادين العمل والكسب.

وقد أنشأ الاتحاد الاسرائيلي (الاليانس)(١٠) مدارس في القاهيرة والإسكندرية (١٨٩٥) ، وفي عام ١٩٢٣ تأسستِ مدرسة ابراهيم بيتش عصر الجديدة وكان عدد طلابها (١٠٠ تلميلة ابتدائي وثانوي) ، كيا تأسست يدرسة حضانة في جارة اليهود ، وفي عام ١٩٣٤ تأسبت مدرسة ابتدائية بحى عابدين أسستها راشيل يعبيس وكان عدد طلابها (٣٥٠) تلميذاً ، وفي عام ١٩٣٦ فتسج ليسبيه السيكاكيني وفيها ١٥٠ تلميذا ابتدائيا ، كما أن فيها قسيما للإختزال والآلة الكاتبة ودراسات تجارية. وقبد اهتبت الطائفة بالتعليم المهني فأنشأت المدارس الصناعية ساهم بتأسيسها كبار الأثرياء (سلمون شيكوريل) لتدريب العمال والصبيان على الحرب الدقيقة وخلق مهارات فنية . وفي الاسكنــدرية أسست محارس عبيدة في عِام ١٩١٩ مدرسة (ويلا بير جولا) بِجي رِأَسْ التين وفي عام ١٩٢٣ مِدرسة (جان بلاديم) في حي الكمرك حيث يقطن فقراء اليهود ، وفي ١٩٢٥ مدرسة ليسيه الاتحاد اليهودي للتعليم أيشأها البارون الفرد متشه علي بينهج اللبسيه الغرنسية ، وفي عام ١٩٢٦ دار الطفولة السعيدة بسبيدي بشر للعناية بالأطفال اليتامي والفقراء وتلقت هذه المدارس مساعدات كثيسرة من البطائفة ومن الحكومة (١١١).

وكان برنامج المدارس اليهودية أوربيا خالصا ولغة التعليم الأساسية هي الفرنسية وكانت الانكليزية موضوعا اجباريا(١٢٠)، ولذلك كان خريجو هذه المدارس لا يعرفون العربية جيدا بينها كانت معرفتهم باللغة والثقافة الفرنسية لا تقل عن مستوى أي مواطن فرنسى له ثقافة عائلة.

الصحافة اليهودية والنشاط الثقافي :

مع بداية النشاط الصهيوني في مصر عيام ١٨٩٧ بدأ اهتمام اليهود بالصحافة ولكن اعترضتهم عقبات كثيرة منها مشكلة اللغة التي كانت المسؤول الأول عن فشل المحباولات التي بذلت لنشر الدوريات الصهيونية . إضافة إلى أن اليهود المصريين في معظمهم لم يكونوا متعصين للصهيونية ، لذلك تجد أن الصحف التي أصدرها اليهود خلال الفترة من انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول حتى تصريح بلفور لم تعمر طويلا بسبب هذه المشكلات .

ومع نشوب الجرب العالمية وصدور بلفور شهدت مصر نشاطا صههونها مكتفا عبر عن نفسه بالمنظمات الصهبونية التي أنشئت والبيحف الصهبونية التي أصدرت ، ففي هذه المرحلة تأسست المنظمة الصهبونية عام ١٩١٧ بعد جهود تزعمها المحامي اليهودي ليون كاستروا الذي أصدر عام ١٩١٨ المجلة الصهبونية لتكون لسبان حال تلك المنظمة وكانت هذه المجلة تنطق باللغة الفرنسية واتخلت نجمة داود ستارا لها . وكانت هذه المجلة تعلن صراحة أن هدفها هيو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يتحدث فيه البهود بلغتهم ويحققون لانفسهم بداخله الحربة والعدالة والمعلون من القدس قلب اليهودية النابض .

وفي عام ١٩١٧ أصدرت الطائفة اليهردية أيضا مجلة ناطقة باللغة الغرنسية تدعى النهضة اليهودية لتكون منبرا تعبر من خلاله عن أفكارها ومصالحها وقد استبرت هذه الصحيفة في الصدور نحو ثلاث سنوات ثم توقفت , أما أبرز الصحف اليهودية فهي :-

۱ _ صحيفة «اسرائل:

بدأ الصهاينة يشعرون بجاجة إلى صدور صحيفة يهودية باللغة العربية تتولى الدفاع عن اليهود وتسعى للتفاهم ميع اليبيعب العربي بلغته حتى يفهم حقيقة مطالب اليهود ، وتقوم أيضا بالرد على الدعاية

⁽١٠) الإليانس كلمة فرنسية تبيني التحالف والاليانس الاسرائيلي الدولي تنظيم يهودي تأسس في باريس عام ٢٠٨٠ بهدف الدقاع عن الحريات المدنية والهيئية لليهود , وتنهية المجتمعات اليهودية المختلفة عن طريق التعليم والتدريب المهني وإنجائة اليهود في الأزمات ، وقد أسس التحالف شبكة تعليمية واسعة في البلقان وآسيا وشيمالي أذ رقيا وفلسطة :

⁽١١) أحمد محمد غنيم، أحمد ابو كف، اليهود والحركة الصهيونية في مصر، ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧، ص ٣٥ ـ ٣٨.

Schechtman op. cit., P. 186. (\Y)

التي تنشر سواء في مصر أو الأقطار العربية لإثارة الرأي العام ضد اليهود ..

إضافة إلى ذلك «كانت هناك حاجة أيضا الى صحيفة عربية يقرؤها اليهود المنتشرون في مصر وباقي الأقطار العربية المجاورة ممن لا يعرفون سوى اللغة العربية حتى لا يكونوا فريسة لتبأثير صحف بلادهم المنحازة ضد قضية آبائهم وأبنائهم ».

لذه الأسباب صدرت صحيفة «اسرائل «عام ١٩٢٠ وكانت نصدر بالقاهرة والاسكندرية صباح كل خيس بشلاث لغات هي العربية والعبرية والفرنسية ، إلا أن الطبعة العبرية لم تدم سوى فترة قصيرة على حين ظلت الطبعة الفرنسية تصدر حتى عام ١٩٣٩ . وقد استمرت الطبعة العربية بالصدور لمدة أربعية عشر عاما مؤيدة لإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين واهتمت بنشر أخبار النشاط الصهيوني في فلسطين وأخبار الحركة الصهيونية العالمية وأخبار اليهود في العالم وإهتمامها بالعمل على النهوض بشؤون الطائفة اليهودية في مصر ، ونشر الأهداف الصهيونية وقد كانت توزع في سوريا ولبنان والعراق وفلسطين وشمال المويقيا .

إضافة إلى المجلة الشهرية « الأخبار الماسونية » أصغرها موسى جرونشتين عام ١٩٢١ وكانت تعني بنشر اخبار المحافل الماسونيــة وبتعريف القراء بمعنى الماسونية ومبادئها وأهدافها .

وفي عام ١٩٢٤ أصدر لوسيان سيكوتو مجلة ناطقة بالفرنسية تدعى « الفجر »، وخلال الحرب العالمية الشانية اتخذت « رابطة مكافحة العداء للسامية » من « الفجر » لسان حالها ، فأخذت تروج على صفحاتها لمباديء الحركة الصهيبونية وتهاجم أعداء السامية وخاصة المانيا وابطاليا .

٢ _ مجلة الاتحاد الاسرائيلي :

أصدر اليهود القراءون مجلة « الاتحاد الاسرائيلي » عمام ١٩٧٤ وهي مجلة علمية أدبية اسبوعية مصورة على نفقة « جمعية الاتحاد للاسرائيليين القرائين عصر ».

وقد أهتمت المجلة بالوطن القومي اليهودي ولكن من الناجية

الدينية لتعطي أفكارها قوة مستمدة من العقيدة الدينية اليهودية ، فكانت مهتمة بنشر أخبار اليهود في فلسطين ونشاطهم الصهيوني تحت عنوان (أخبار أرض الميعاد) كما شجعت على هجرة اليهبود القرائين المصريين إلى فلسطين .. واستمرت المجلة بالصدور لمدة خس سنوات حتى توقفت في ١٩٢٩.

٣ ـ صحيفة الشمس:

صدرت صحيفة الشمس في عام ١٩٣٧ وهي أسبوعية جامعة ناطقة باللغة العربية ورئيس تحريرها المسؤول هو سعيد يعقوب ماثكي ، الذي كان يعمل رئيسا لتحرير جريدة «اسرائيسل» ولها اتجاهات صهيونية بارزة ، وقد قال فيها أحد الصهاينية الدكتيور الفريد يلوز عن فضل الصحيفة على اليهود (١٣٠). « لقيد جمعت الفريد يلوز عن فضل الصحيفة على اليهود (١٣٠). « لقيد جمعت «الشمس » شتاتنا فأصبحنا قوة لا يستهان بها ، وسنظل بفضيل «الشمس » عترمي الجانب قادرين على القيام بواجبتا نحو الوطن والدين نحو مصر واسرائيل » .

وجدير بالملاحظة أنَّ هذه الصحيفة استعانت الى جيان الكتاب الكتاب اليهود المصريين ببعض الكتاب الصهيبونيين في فلسبطين امثال ابراهيم المالح وألباس ساسون وابزاك شموس من موظفي الوكالة اليهودية وكمراسلين للصحيفة كما تلقت دعم موسى شرتوك رئيس القسم السياسي بالوكالة اليهودية .

ولم تدرك الحكومة المصرية أهية الدور الذي أديد هذه الصحيفة التي ظلت تعسل من أجل أهدافها بهدوء إلا بعيد قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ وبعد أن تقدمت الجامعة العبريية إلى ادارة المطبوعات بشكايات ضد هذه الصحيفة تتهمها بأنها دأبت عيل القضايا الطعن في رجال العروبة والجامعة العبربية والبدس على القضايا العربية عامة والدعوة إلى تأبيد مطامع الصهيونية في فلسطين وبأنها العربية عامة والدعوة إلى تأبيد مطامع الصهيونية في فلسطين وبأنها العربية من الحركة الصهيونية في مصر ؛ فذه الأسباب أصدرت الرقابة قرارها بتعطيل صحيفة الشمس اعتبارا من ١٩٤٨/٦/١١ .

1 - صحيفة الصوت اليهودي:

صدرت صحيفة الصوب اليهودي في الاسكندرية عيام ١٩٣١

⁽۱۳) د. سهام نصار ، مصدر سابق ، ص ۱۳ ، ومابعدها .

باللغة الفرنسية والذي أصدرها البير ستراسلسكي رئيس فرع التصحيحيين في مصر، محولة من قبل الرأسماليين اليهود في الاسكندرية ومؤيدة من قبل الحاخام دافيد براتو حاضام الطائفة اليهودية بالاسكندرية.

٥ ـ صحيفة المنبر اليهودي:

كذلك صدرت باللغة الفرنسية صحيفة أخرى في الاسكندرية هي « المنبر اليهودي » وصاحبها يهودي بولندي الجنسية يدعي مندل كلكشتين ، هاجر فيها بعد إلى فلسطين وترك مسؤولية إصدار الصحيفة إلى جاك رابين بوصفه رئيس التحرير.

وكانت تعبر عن الفكر الصهيوني وبث الدعوة الصهيونية وظلت تصدر حتى عام ١٩٤٨ حين أصدرت الرقابة أوامرها بتعطيلها في ١١ حزيران ١٩٤٨ (١٤).

وقد أصدرت جمعية الشبان القرائين بالقاهرة عام ١٩٣٧ مجلة الشبان القرائين باللغتين العربية والفرنسية ، وكان أبراهيم يعقوب مزراحي الشهير بالبرت مزراحي قد أصدر سنة ١٩٤٤ صحيفية التسعيرة إزاء النجاح والمكاسب التي حققها منزراجي استطاع أن ينشيء عام ١٩٤٦ داراً للنشر هي « وكالة مصر للصعافة » وتركي هذه الدار إصدار « التسعيرة » ثم « المصباح » و « الصراحة » اللتين أصدرهما مزراحي . ثم صدرت في عام ١٩٤٥ مجلة نصف شهرية تدعى « الكليم » .

وني عام ١٩٤٥ أصدرت دار « الكاتب المصري » وكانت مجلوكة إلى أربعة اخوة من اسرة هواري اليهودية ، وقد أسندت رئاسة تحرير المجلة الى الدكتور طه حسين ، الذي كان يتولى الإشراف على القسم المقانى بالدار التى كانت تقوم بنشر المؤلفات والكتب المترجمة .

وفي عام ١٩٤٦ صدرت عن وكالة مصر للصحافة التي يمتلكها البرت مزراحي مجلة الصباح تهتم بالأمور السينمائية والمسرح وفي عام ١٩٥٠ اصدرت وكالة مصر للصحافة ، صحيفة الصراحة وهي جريدة سياسية وقدية لصاحبتها صول مزراحي .

لقد لعبت اليهودية دورا في توجيه الشعور اليهودي ، كما قامت بدور كبير في الدعوة للوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وحث يهود الشرق للتأثير على الرأي العام الصهيوني والعربي بغية إقناعه بأهمية التفاهم والتعاون مع اليهمود والتخلي عن معارضة المشروعات الصهيونية .

وعلى صعيد الثقافة فقد أسس عدد من المثقفين اليهود (جعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية) لدراسة العلوم المتصلة بتاريخ اليهود في مصر اليهود في الشرق وعلى الأخص دراسة تاريخ وآداب اليهود في مصر ضمت عددا من المشتركين لإجراء البحوث ونشيرها ودراسة المخطوطات وإلقاء المحاضرات وقد أقيامت عام ١٩٥٣ سلسلة احتفالات بمناسبة مرور ٨٠٠ سنة على مولد ابن ميصون ونشرت كتابا عن أفكاره وتاريخه ، وكان من أعضاء الجمعية مراد فرج الذي وضع كتاباً بالعربية عن الشعراء اليهود والعرب ، واسرائيسل ولفمتسون استاذ اللغات السامية لكلية دار العلوم .

ومع ازدياد اهتمام يهود مصر بفلسطين فقد بذلت جهود لإحياء المثقافة العبرية فانشئت في القاهرة جعية (أصدقاء الجامعة العبرية في القدس) من يهود مصر .. كما أنشئت بين ١٩٢٥ ــ ١٩٣٥) عدة موسسات منها النادي العبري بعدف الدعاية للغة العبرية ، كما تجمع قدماء تبلاميذ المدارس اليهودية في اتحاد للحث على سماع المحاضرات والاقبال على المطالعة (١٩٥).

وضع اليهودالسياسي:

ادي اليهود دورا في الحياة السياسية في مصر كنواب السرلان وكمسؤولين في القصر، وقد عاش اليهود في كنف ورعاية الحكام الذين تقبلوا على حكم مصر منذ عهد محمد على حتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ يدرجة تجعلنا نعتبر هذه الفترة بحق العصر الذهبي من خلال العلاقات والصلات الطيبة التي أقاموها مع كل حاكم جديد ارتقى عرض البلاد . إضافة إلى أنهم استطاعوا أن يقيموا علاقات طيبة أيضا مع الحركة الوطنية في مصر، ومن ثم اكتسبوا ثقة الوطنين المصرين .

⁽۱٤) آبو کف ، ص ۲۱ ـ ۵۰ ، کذلك راجع : Fargeon, M., Le Juilsen Egypte. Depuis Les Origines Jusqu'a ce Jour Le Cairo 1938. P. 181-182. : کذلك راجع : Fargeon, op.cit., PP. 181-182. غنيم ابو کف ، ص ۲۹ ـ ۲۰ و : 181-182.

فمنذ ظهور الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى كقوة مناهضة للاحتلال البريطاني ظهرت بعض الشخصيات اليهبودية التي انضمت الى الوطنيين المصريين في نضالهم من أجل الاستقلال ، امثال ليون كاسترو الذي انضم الى صفوف الوفد ، وكان صديقا شخصيا لسعد زغول ورافقه في المفاوضات في لندن ، وقام بمهمة المنحدث الرسمي لحزب الوفد في أوريا ، ثم عاد الى مصر عن طريق صحيفته اليومية الوفدية الناطقة بالفرنسية « الحرية » حمله ضد الانكليز من أجل الاستقلال ، ولكنه عاد في نفس الوقت وأحدا من أقسطاب الصهيونية في مصر ، فقد أسس أول فرع للمنظمة الصهيونية في مصر عام ١٩١٧ ، وأصدر مجلة ناطقة بالفرنسية تدعى المجلة الصهيونية » عام ١٩١٧ ، وأصدر مجلة ناطقة بالفرنسية تدعى يؤدي دورا هاما في اتحاد أنصار السلام ١٩١١ .

وبلغ إسهام اليهود في الحياة السياسية المصرية القمة بتعيين أول زير يهودي في تاريخ مصر الحديث ألا وهو يوسف قطاوي باشا الذي شغل منصب وزير المالية في حكومة سعد زغلول سنة ١٩٧٤ ثم اختير وزيرا للمواصلات في حكومة احمد زيور باشا عام ١٩٧٤ وكان تعيينه عليرا أدبيا للطائفة اليهودية ، يدليلاً على التسامح والمساواة اللذين تمتعت بها الطائفة . إضافة إلى أن بوسف قطاوي ساهم في المفاوضات بين مصر وبريطانيا بشأن تحقيق الجلاء وذلك مع اللورد كرزون في لندن عام ١٩٢٢ .

وشارك اليهود في وضع القوانين التي تنظم سير الأمور في البلاد فقد عين يوسف قطاوي عضوا في لجنة الثلاثين التي ألفتها وزارة عبدالخالق ثروت سنة ١٩٢٢ لوضع الدستور وقانون الانتخاب ، كما عين زكي عريبي المحامي اليهودي ضمن اللجنة التي شكلتها ثورة يوليو ١٩٥٧ لوضع الدستور المؤقت للبلاد .

ومن ناحية أخرى أسهم اليهود في الحياة البرلمانية المصرية وشهد البرلمان المصري نوابا وأعضاء أمثال يوسف قطاوي باشا وابنه رينيه قطاوي بك والحاخام حاييم ناحوم افتدي، ويسوسف بتشوتسوبك، ويوسف دوبيكيوتو.

ومارس عدد كبير من المثقفين اليهود نشاطهم في الحياة الادارية. فكان حراري باشا وهو يهودي بريطاني مراقب حسابات عام بوزارة المالية واصلان قطاوي سكرتبراً عاماً لمصلحة الأملاك التابعة لوزارة المالية ومندوبا عن الحكومة المصرية في شركة قناة السويس ومندوبا للحكومة في البنك الأهلي المصري، وأخوه رينيه عضو مجلس النواب عن دائرة كوم أمبو وعضو الجمعية الزراعية الملكية. كما عمل محامون يهود أمام المحاكم المختلطة والأهلية، فضلا عن المهندسين في مختلف الدوائر الذين نالوا شهرة واسعة والأطباء بمختلف الاختصاصات في المستشفيات ودور الصحة وكذلك العلماء والكيميائيون(١٧).

علاقات اليهود بأهل البلاد من المسلمين والأقباط:

لم تكن هناك أسباب للاصطدام بين اليهود وباقي سكان البلاد . الإلا أن الأهداف الصهيونية في فلسطين خلقت نوعا من الامتعاض في نفرس المصريين تجاه بعض اليهود الذين قاموا بنشاطات لصالح المصهيونية وتجاه الذين سبق أن هاجروا إلى فلسطين للانضمام الى صفوف المنظمات الصهيونية والواقع أن الوكالة اليهودية اعترفت في أَذَار ١٩٤٦ في تقرير تقدمت به إلى اللجنة الانجلوأمريكية أن « ظروف اليهود عامة في مصر أفضل بكثير منها في أي بلد آخر قمنا عماينته حتى الآن (١٨).

لقد عاش اليهود بمصر في أمان لهم نشاطهم المفتوح في جميع المجالات فكنائسهم ومدارسهم ومؤسساتهم الخيرية ونبواديهم الرياضية تعمل بحرية وبيدهم المراكز الكبرى في الاقتصاد ، وكانت العلاقات التي تربطهم بالأهالي ودية . ولم يكن هناك أي شعبور عدائي ضد اليهود كطائفة بل لقداستثمر الحاخام ناحوم منذ تعيينه صلاته الودية مع الشخصيات المصرية لرفع شأن الطائفة ، حتى إن الاحتفال بمرور ٨٠٠ سنة على ولادة ابن ميمون تم تحت رعاية الملك فؤاد بينها ساهت كل من الحكومة المصرية وكلية الطب المصرية والمجمع اللغوي (١٩١) بتغطية نفقات الاحتفال .

⁽١٦١) سهام نصار، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠ وما يعدها.

Landshut, S., Jewish S., Jewish Communities in the Muslem Countries of the Middle East, London 1950. P. 28. (NY)

Shehechtman P. 187. (NA)

Bashan, R., "Jews Plight in Arab Countries". Israel Magazine, Vol. I, No. 9, 1968. P. 5. (19)

وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت فكرة قيام توتر بين اليهود وسائر سكان مصر تبدو بعيدة الحدوث ، إلا أن التيار المتزايد للشعور القومي الذي كان يطالب بعودة السيادة المصرية الكاملة وجلاء الحاميات البريطانية عن البلاد وإلغاء الامتيازات الأجنبية ، قد سار إلى أبعد من ذلك وهو مقاومة كل ما هو أجنبي ، وهذا المظهر للحركة القومية لم يكن من طبيعة معادية لليهود ، وهكذا فإن أصل البلاء في العالم العربي هو الغرب وليس اليهود (٢٠٠) . وفي رأي آخر ذكر أن أهم شيء يريده المصريون حينذاك هو التخلص من الحكم البريطاني ، ولكن طالما كان أقوياء اليهود يعدون كجزء من الغزو البريطاني فلابد ان يصبح اليهود موضع اتهام حتى قبل مشكلة البريطاني فلابد ان يصبح اليهود موضع اتهام حتى قبل مشكلة فلسطين ولكن بصفتهم اوروبيين (٢١) .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن الأقلية اليهودية المنغرسة جذورها في التاريخ المصري كانت قوية ، وارتباطاتها مع كل مظاهر حياة البلاد عميقة ، إلى جانب أن العلاقات الشخصية بين أفراد الطبقة العليا من اليهود وبين العائلات المصرية (مسلمين وأقباط) كانت ودية وحتى أحداث فلسطين لم تؤثر على حياتهم اليومية (٢٢).

النشاط الصهيوني في مصر:

كان ليهود مصر علاقات قوية بفلسطين منذ القديم لعوامل دينية واقتصادية ولكن الحركة الصهيونية حاولت أن تستغل ذلك لمد نشاطها إلى يهود مصر.

فعلى الرغم من فشل الجهود التي بذلها هرتزل لدى القيصر الألماني والسلطات العثمانية للحصول على ميثاق يمنح اليهود حتى استعمارية فلسطين ، فقد تابع جهوده الدبلوماسية لدى الدول الاستعمارية فوجّه أنطاره إلى انكلترا حيث كانت الحركة الصهيونية تلقى تشجيعا من قبل كبار السياسيين الاستعماريين (٢٢).

لقد اقترح هرتزل على بعض الساسة الانكليز إقامة مستعسرة يهودية خاضعة للتاج البريطاني في شبه جزيرة سيناء أو في قبرص

كقاعدة انطلاق لاحتلال فلسطين متى سنحت الفرصة .

وقد تمكن هرتزل من مقابلة جوزف تشميرلين أحد عتاة الاستعماريين البريطانيين والمعروف بمؤازرته للحركة الصهيونية دون تحفظ . وفي هذه المقابلة أبدى تشميرلين موافقته على مشروع هرتزل لاستعمار قبرص وسيناء في ظل العلم البريطاني شريطة أن يحظي مشروع استعمار سيناء بموافقة اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر . ويقضي هذا المشروع بمنح اليهود حق امتياز على البريطاني في مصر . ويقضي هذا المشروع بمنح اليهود حق امتياز على الأراضي الواقعة في شبه جزيرة سيناء والتي تحيط بمنطقة العريش في مساحة تبلغ (٦٣٠) ميلا مربعا (٢٢) .

ويرجع نجاح هذا الاتفاق أساسا إلى النفوذ الواسع الـذي كان يتمتع به صهيوني بريطاني هو «ليوبولد جرينبرج» عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية.

وكانت بداية محاولة تنفيذ هذا المشروع توصية تسلمها جرينبرج من وكارة الخارجية البريطانية لتقديمها إلى اللورد كرومر المندوب السالمي البريطاني في مصر في ذلك الوقت والتفاهم معه بشأن مفاتحة المخديو في آمر المشروع.

ووصلت إلى مصر لجنة عرفت باسم « اللجنة الصهيونية » كان هرتزل من ضمن أعضائها . وقابلت اللورد كرومر الذي اتفق معها على تقديم المشروع للخديو .

وما أن وافق الخديو عباس حلمي الثاني مبدئيا على المشروع حتى أرسل اللورد كرومر مندوبا عنه للاشتراك مع اللجنة الصهيونية ، التي ذهبت إلى العريش لدراسة المنطقة على الطبيعة والبحث في مدى امكانياتها وملاءمتها للاستيطان الجماعي .

وكان من المقرر إذا ما أسفرت نتيجة الدراسة الميدانية عن صلاحية المنطقة أن يحصل الصهيونيون على امتياز إدارتها إدارة ذاتية تحت السيادة البريطانية لمدة ٩٩ سنة .

نقلًا عن أبراهيم عبد ، يهود الأقطار العربية ، ص ٧٨ .

Grum, B., Behind the silken Curtain, New York 1947 P. 150. (*)

⁽۲۱) المدر السابق . Landshut op. cit., p. 32.

⁽٢٢) د. عبد الوهاب الكيالي . تاريخ فلسطين الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

⁽٣٣) راجع أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف: اليهود والحركة الصهيونية في مصر ١٨٩٧_١٩٤٧. .

وقد سجل هرتزل ما حدث يهوما بيهوم خلال هذه الفترة في مذكراته ، وفي ربيع عام ١٩٠٣ عادت البعثة من منطقة العريش إلى القاهرة بنتائج مبشرة . وذهب تيودور هرتزل وهو مملوء بالأسل بشجعه وعود المساعدة التي مناه بها عدد ليس بقليل من الماليين الهود المقيمين في القطر المصرى ، وخاصة في الاسكندرية .

وقد قررت الحكومة المصرية أنها لا تستطيع منح هذا الامتياز للصهيونية على أساس أن المنطقة المقترح استيطانها جرداء قاحلة ليس بها ماء وهي قطعا ستحتاج إلى مهاه النيل، في وقت تحتاج فيه الهلاد أشد الحاجة إلى كل قطرة من قطرات مياهها. ويكن القول بأن هذه المعارضة التي نشأت في مصر بالنسبة لهدف الصهيونية الأساسي كانت في الواقع أول معارضة عربية لإقامة وطن قومي صهيوني.

كان وصول هرتزل الى مصر فتحا لأعين اليهود الى مصر وتبشيرا بقيام حركة صهيونية سياسية تهدف إلى احتلال فلسطين وإزاحة العرب عنها ، وإقامة وطن قومى للصهيونية فيها .

وشهدت مدينة الاسكندرية بداية النشاط الصهيوني ، فقد بدأت التحركات الأولى لهذا النشاط عام ١٩٠٨ عندما أسس عيد من اليهود بالاسكندرية جعية صغيرة باسم ابناء صهيون وتأسيس جعية ألحرى عام ١٩٠٩ ضمت عددا من يهود المدينة القادمين من روسيا عرفت باسم « زائير زيون » .

ولقد قام الصهيونيون داخل هذه الجمعيات بتوحيد صغوفهم فأسسوا عام ١٩١٣ « الاتحاد الصهيوني » يضم هذه الجمعيات في حظيرة واحدة .

وحينها نشبت الحرب العالمية الأولى تدفقت على مصر وخاصة مدينة الاسكندرية أعداد كبيرة من اليهود القادمين من فلسطين، بالنظر لأن الدولة العثمانية طردت الأشخاص الدين لا يحملون الرعوية العثمانية وكان كثير من اليهود الذين أقاموا في فلسطين لا يحملون الجنسية العثمانية. وقد أعطى هؤلاء دفعة مهمة للعمل الصهيوني في مصر.

المنظمة الصهيونية في مصر :

في عام ١٩١٧ استطاع محام هجر تركيا إلى مصر عقب الحرب العالمية الاولى وهو « ليون كاسترو » (٢٤) أن يؤسس رسميا أول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر تحت اسم « منظمة الصهيونية بحصر » تولى رئاستها جاك موصيري بينها شغل ليون كاستروا منصب سكرتير اللجنة المركزية ، وفي عام ١٩١٨ أصدر « المجلة الصهيونية » لتكون ناطقا بلسانها في مصر .

وكانت أولى الخطوات التي خطاها ليون كاستروا هي تجميع الجمعيات اليهودية وربطها بفرع المنظمة ثم أقامت المنظمة فروعاً لها في المدن المصرية كالقاهرة وبورسعيد لكسب اليهود المصريين إلى المنظمة الصهيونية والدعاية لإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وفي مقر الصهيونية أسس كاستروا فرعا للصندوق القومي اليهودي « كيرن كاييت » .

الفيلق اليهودي:

مع أن المنظمة الصهيونية العالمية قد اتخذت في بداية الحرب العالمية الأولى شوقف الحياد الطاهر بين المعسكرين المتحاربين ومسبك العصا من الوسط حتى تتضع الأمور إلا أن فريقاً من الصهاينة الذين فروا من فلسطين ، أعلن بدافع الحقد على الدولة العثمانية عن رغبته في الانضمام إلى جيوش الحلفاء وتزعم هذه الفكرة ضابط صهيوني اسمه « يوسف ترومبلدور » وتصور أيضا أن اتخاذ مثل هذا الموقف سيزكي مطالب اليهود بعد الحرب إذا ما انتصر الحلفاء .

وفي عام ١٩١٥ دعت لجنة اللاجئين بالاسكندرية إلى اجتماع حضره نحو مائتي شاب. وتناقش الحاضرون بشأن تكوين فرقة يهودية تنضم للقوات البريطانية على شريطة أن تحارب في الجبهة الفلسطينية وتوجه وفد منهم يضم ترومبلدور وفلاد يمير جابوتنسكي وليونتان لمقابلة الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية في مصر وحضر المقابلة موسى قطاوي باشا رئيس الطائفة اليهودية بالقاهرة

⁽۲۲) ليون كاستروا ولد عام ۱۸۸۱ في أزمير وحصل على دبلوم مدرسة المعلمين بباريس سنة ۱۹۰۲ ، ثم عمل مدرساً في تركيا من سنة ۱۹۰۳ الى سنة ۱۹۰۳ ثم سافر الى باريس حيث حصل على ليسانس الحقوق سنة ۱۹۱۱ ومنذ حضوره إلى مصر بعد هذا التاريخ مارس مهنة المحاماة .. راجع سهام نصار ، ص ۲۲ وأبو كف ، ص ۲۲ .

في ذلك الوقت (٢٥). واقترح عليهم ماكسويل تكوين فرقة لإرسالها إلى أن ينيسر فتح جبهة في فلسطين . وتم اختيار الكولونيل بترسون قائدا لحذه الفرقة . وكان باترسون نصيسرا لليهود يوليهم تقديرا عميقا ومودة صادقة . كها كان صديقا حميها للصهيوني الشهير اسرائيل زانغوبل .

وتألفت، في الاسكندرية هذه الفرقة التي كانت تضم ٥٠٠ متطوع من بينهم ٣٥٠ من اللاجئين ، ١٥٠ من يهود الاسكندرية وسميت هذه الفرقة « فرقسة البقالة » وأدت أثناء حملة غاليبولي خدمات الثيرة

حتى صدر ألامر بتسريحها في آذار عام ١٩١٦ بعد أن باءت هذه الخماة بالفشل.

وبعد حل هذه الفرقة صدرت الأوامر في لندن ٥ آب ١٩١٧ مكوين فيلى يهودي ، وأعلن رسميا تكوين الكتيبة (٣٨) التي أسندت وناستها إلى الكولونيل جون هنري باترسون وتقرر إرسال هذه انكتيبة إلى مصر لاستكمال تدريباتها استعدادا للزج ليها إلى ميسان الهنال فوصلت إلى الاسكندرية في شباط عام ١٩٨٨ . حيث أفامت لها الطائفة اليهودية هناك استقبالا حافلا ، وحينها وصلت هذه الكتيبة إلى القاهرة أقيم لها حفل استقبال آخر في المعبد اليهودي السرنيسي في المدينة . واستكملت تدريباتها إلى حين تحركت إلى فلسطين

وفي بيسان ١٩١٨ وصلت الكتيبة (٣٨) من الفيلق اليهودي الى مصر ثم رحلت إلى فلسطين في حزيران من نفس العام.

وكانت عمليات تجنيد اليهود في الفيلق اليهبودي قد امتدت لتشمل معظم يهود العالم. اقرح باترسون فتح ابواب التجنيد امام يهود مصر وفلسطين بغية تكوين كتيبة يهودية منها وتم ذلك بالفعل حيث تم افتتاح مكاتب خاصة بتجنيد اليهود في كل من القاهرة والاسكندرية وفامت حملة دعائيسة كبيرة لحث يهبود مصر على التطوع، وتكونت الكتيبة (٤٠) من يهود مصر وفلسطين وقد

انتقلت هذه الوحدة العسكرية اليهودية إلى فلسطين حيث انضمت الى الجيش البريطاني تحت اسم « فرقة المشاه الملكية ».

يهود مصر وتصريح بلفور :

بمناسبة صدور تصريح بلفور عام ١٩١٧ أقامت المنظمة الصهيونية بمصر حفلا بهذه المناسبة وأعلن رئيس المنظمة جاك موصيري بخطاب ألقاه في ختام الحفل أعلن فيه ، أن الصهيونية تلك الفكرة الخيالية قد أصبحت حقيقة واقعة « وناشد يهود مصر أن يستيقظوا من خولهم ويعطوا المسائل اليهودية اهتمامهم وأقامت جمعية زائير زيون حفلا آخر تحت رعاية المنظمة الصهيونية الآنفة الذكر حضره أحمد زيور باشا ووفود تمثل ٢٠ منظمة مختلفة في مصر وفلسطين والحاخام ديللا بيرجولا حاخام الاسكندرية . وقد أنشد الحاضرون النشيد الوطني اليهودي (هاتكفا) وفي ختام الحفل أرسلوا برقيتين إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا وحاييم وأيزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية .

وجاءً في برقيتهم إلى لويد جورج ما يلي (٢٦١)

« أبدى اجتماع حاشد ضم ٨٠٠٠ يهودي عقد بمدينة الاسكندرية محاسنا منقطع النظير أثناء تلاوة تصريح بلفور وأعرب عن امتنانه العظيم لحكومة صاحب الجلالة » .

أما في البرقية المرسلة الى حاييم وايزمان فقد جاء فيها :ــ

« أن هذا الاجتماع الحاشد ليهود الاسكندرية وافق بالإجماع إعادة بناء فلسطين كوطن قومي لليهود .. » .

إن المنظمة الصهيبونية في مصر مشغولة بالاستعداد لدفيع الامدادات إلى فلسطين بمجرد الحصول على تصريح من السلطات البريطانية.

ظل اليهود في مصر يحتفلون بذكرى صدور تصريح بلفور كل عام، ففي ٤ تشرين ثاني ١٩١٨ بعثت اللجنة المركزيسة للمنظمة الصهيونية بمصر رسالة إلى السير ريجنالد وينجت المندوب السامي البريطاني تعرب فبها باسم يهود القاهرة والاسكندرية وطنطا

[🗥] ئوگسا سر ۲۵

٣٠ . مه شده نصر . ص ۲۵ ـ ۲۲

وبورسعيد والمنصورة عن أعمق مشاعر الامتنان والاخلاص الشديد.

وقد أسست المنظمة الصهيونية لجنة لغوث اليهود في فلسطين كانت تحظى باعتراف السلطان، وكانت تعمل بالاتفاق مع اللجنة المركزية لغوث اليهود البولنديين والفلسطينيين في لندن، والمكتب الصهيوني في كوبنهاجن وقد انتقلت هذه اللجنة إلى فلسطين لتنظيم أعمال الإغاثة لليهود هناك.

وفي نيسان ١٩١٨ قامت اللجنة برئاسة حاييم وايزمان بزيارة مصر واجتمعت اللجنة باليهود المصريين حيث عرض عليهم الأفكار التي يمكن أن تدعم اللجنة ، والبرنامج الذي يقترح تنفيذه عندما تصل إلى فلسطين ، إلا أنه تجنب الخوض في المسائل الجدلية ، وناشد اليهود المصريين ألا يعارضوا الصهيونية التي يؤيدها غير اليهود كالانكليز والفرنسيين ، وأشاد وايزمان بما قدمته الطائفة اليهودية المصرية للاجئين اليهسود مناشدا إياهم ببذل مجهود أكبر وتعاون مادي ومعنوي خدمة للمشروع الصهيوني .

وعلى أثر مؤتمر سان ريمو وصدور نظام الانتدابات أصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني، فكان ذلك دفعة قرية للنشاط الصهيوني في مصر. ففي عام ١٩٢١ كان في القاهرة وحدها خس جمعيات صهيونية وبلغ عدد دافعي الشيكل Shekel أي رسوم العضوية في المنظمة الصهيونية _ في مصر ألفين . (٢٧).

وفي عام ١٩٢١ أعيد تشكيل المنظمة الصهيونية بمصر حيث تولى رئاستها جوزيف شيكوريل بينها شغل ليون كاستروا منصب النائب الأول للرئيس . وقد تأثر اليهود المصريون بالمشاكل التي شهدتها الحركة الصهيونية العالمية ، فقد اعتبر المتطرفون تصريح بلفور وصك الانتداب التزاما بريطانيا لتحقيق الوطن القومي اليهودي ، وأن تهاونها في تنفيذ هذا التصريح معناه خيانة للصهيونية لا يمكن أن تغتفر ، بصرف النظر عن النتائج ، وبصرف النظر أيضا عها محدث سوء علاقات بين بريطانيا وبين العرب . كان فلاديمير جابوتنسكي سوء علاقات بين بريطانيا وبين العرب . كان فلاديمير جابوتنسكي العلية التي المنطمة الصهيونية العالمية التي العالمية ، أبرز معارض لسياسة المنظمة الصهيونية العالمية التي التي المناطقة الصهيونية العالمية التي العالمية التي المناطقة الصهيونية العالمية التي العالمية التي العالمية التي العالمية التي التوريف العالمية التي المناطقة الصهيونية العالمية التي التي العالمية التي العالمية التي العالمية التي العالمية التي العالمية التي العالمية التي التي العالمية التي العرب العالمية التي العرب العرب العالمية التي العرب العر

وجهها وأيزمان وجهة معتدلة تجنبا لإحراج بريطانيا، وقد استقال جابوتنسكي أولا من اللجنة التنفيذية المنظمة الصهيونية العالمية في كانون الثاني عام ١٩٢٣ احتجاجا على سياسة و الكتاب الأبيض » الذي صدر عام ١٩٢٢ متها زملاءه في المنظمة بققدانهم الوافعية السياسية لأنهم يسايرون بريطانيا دون قائدة ، مع أنه تسوف في تنفيذ تصريح بلفور.

وإثر استقالة جابوتنسكي أسس حزب التصحيحيين في باريس عام ١٩٢٥ انضم اليه البير ستراسلسكي الصحفي اليهودى المصري المولود في القاهرة عام ١٩٠٧ من أصل روسي الذي كان يزمع نكملة دراست والتخصص في الاقتصاد السياسي . التقى بفلاديمير جابوتنسكي ، وقد انبهر ستراسلسكي بشخصية جابوتنسكي ، وجذبته أفكاره الصهيونية المتطرفة فكان أن كرس كل وقته لكي يتتلمذ عليه .

وعاد ستراسلسكي الى مصر في اوائل عام ١٩٢٩ ، ليؤسس فيها فرعا الحرب التصحيحيين يبشر بدعوته المسطرفة ، ويحمل لراء المعارضة داخل صفوف فرع المنظمة الصهيونية العالمية في مصر .

وبدأ ستراسلسكي يتصل بالعناصر المسطرفة من اليهبود في القاهرة ممن تزعزعت ثقتهم في سياسة المنظمة الصهيونية العالمية، والتي ستؤدي حتها في رأي التصحيحيين إلى خنق الحسركة الصهيونية وقد استطاع ستراسلسكي أن يجمع حوله لفيفا س الشباب اليهود ومن طلائع المتحمسين الذين يملأ جوانحهم الشعور بسالرسالة الصهيونية، ويعتبرون أنفسهم بناة البوطن القومي الصهيوني، او على الأقل معيدي بناءه، ومن الشبان :..

- ـ فيكتور حزان المحامي
- ــ الاخوان ناثان وموريس هلبمان ، وهما من تجار المجوهرات في منطقة قناة السويس .
 - ـ وسأطون ليفي الموظف بالبنك الأهلي .
 - ــ وفيتا كوهين من بورسعيد
- م وكارلو روزنتال الذي كان يعمل بشركة كوتسا للكحوليات
 - ورفائيل سادوفسكى ، الذي كان طالبا في ذلك الوقت

⁽۲۷) سهام تصار ، ص ۲۷.

وهؤلاء أسسوا فرع حزب التصحيحيين في مصر الذي تبولى رئاسته البير ستراسلسكي ، بينها عهد بأمانته العامة إلى الشاب رفائيل سادوفسكي .

ولقد قدم أثرياء اليهود في مصر الدعم المالي الكبير للحركة الصهيبونية ومن هؤلاء رالف كبرين وهو واحد من كبار الملاك العقاريين ومن القبلائل المذين سيطروا على تسويق الحماصلات الزراعية المصرية وتصديرها للخارج ، منذ بداية القرن العشرين .

هذا بالاضافة الى أن ابناء عائلة مموصيري قمد نذروا ثمرواتهم وجهودهم لتأييد هذا الحزب الصهيوني ماليا وأدبيا .

وقد كان لنشاط التصحيحيين رد فعل واضع على الحركة الصهيونية في مصر، والتي لم تكن حتى ذلك الوقت قد بلغت درجة واضحة من التبلور والنضج فقد ألهب تطرف التصحيحيين حماس الحركة الصهيونية بوجه عام، مما جعلها تتجه إلى مزيد من التحرك والانطلاق وبدا ذلك واضحا حين دعت المنظمة الصهيونية العالمية الهيئات اليهودية في مصر لانتخاب مندوب يمثلها في مؤتمر زيوريخ عام ١٩٣١ ـ المؤتمر الصهيوفي السابع عشر ـ فقد قام التصحيحيون بترشيح فلاديم جابوتنسكي ليمثل مصر في المنظمة وتقيمت مدام اجيون كمنافسة له، وقد اكتسح التصحيحيون المعركة الانتخابية، وفازوا بأغلبية الأصوات. إذ حصل مرشحهم على ما يقرب من سبعمائة صوت، بينها لم تحصل مدام أجيون على أكثر من ثلاثمائة.

وقد أصدر التصحيحيون صحيفه أسبوعيه سياسية باللغة الفرنسية هي « الصوت اليهودي » اتخذت مقرا لها بشارع الشيخ ابو السباع بالقاهرة وقد كان هذا المقر منتدى للاجتماعات والندوات السياسية الصهيونية وكانت تعقد فيه كل أسبوع حلقة للاستماع إلى أخبار الحركة الصهيونية وتتلوها مناقشات سياسية .

على أنه بعد أن انفصل جابوتنسكي من المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٣٥ وأسس « المنظمة الصهيونية الجديدة » حول ستراسلسكي حزب التصحيحيين في مصر إلى فرع تابع للمنظمة

الصهيونية الجديدة ثم أسس فرعا آخر في الاسكندرية عام ١٩٣٦.

اتسبت الثلاثينات بنشاط صهيوني واسع المدى في العمالم وفي مصر بالذات. فقد قامت فروع القماهرة لملاتحاد المدولي للشبيبه اليهودية والنادي اليهودي بالعمل في أوساط الشباب كما قام بعض زعماء الصهاينة بزيمارة القاهرة أمثال حماييم وايزممان وناحوم سوكولوف والبروفسور سليج ويروتسكي وفيرا كاتزمان.

وفي الاسكندرية التي أصبحت مركزا للنشاط الصهيوني في هذه الفترة تم عقد اجتماعات عديدة تحدث فيها سوكولوف ومسز أريئيل بنزايون وماير ديزنجوف وجروسمان ومستر ومسز اسرائيل ليموسى سيف وأسست مسز بنزيون جمعية فجمع التبرعات لكيرن هايسود كها تم افتتاح مكتبه صهيونية بالاسكندرية عام ١٩٣٧.

وعلى أثر تقرير لجنة «بيل الملكية» بشأن العالاقات العاربية اليهودية في فلسطين مر فلادير جابوتنسكي على الاسكندرية وعقد مؤقرا صحفيا بفندق سيسل يوم ٥ تموز سنة ١٩٣٧ تناول فيه المشكلة الفلسطينية واعلن استنكاره لفكرة التقسيم وأكد على إصرار المنظمة الصهيونية الجديدة على إقامة دولة يهودية في الحدود التاريخية لاسرائيل ودعا إلى ضرورة تنظيم الهجرة على نطاق واسع وقد آشار جابوتنسكي في مؤقره الصحفي بأنه لا يمكن الحصول على موافقة العرب الا بعد اقامة الدولة الصهيونية قسرا وجبرا ، وفرضها على معارضيها (٢٨).

وبناء على ذلك أصدر فيفكس بنزاقين المحامي بوصف رئيسا لفرع المنظمة بالاسكندرية نشره باللغة الفرنسية هاجم فيها تقرير لجنة بيل، وطالب بالتمسك بتحقيق تصريح بلفور.

ومع خلول الأربعينات اشتد في مصر النشاط الصهيوني في شتى الميادين العلنية والسرية . فغي أثناء الحرب العالمية الثانية كانت البلاد تعج بجنود الحلفاء الذين كان من بينهم جنود يهود سيطرت الأفكار الصهيونية على عقولهم فاندفعوا بحماس يدعون لتأسيس الوطن القومي في فلسطين ويسرت لهم المنظمة الصهيونية في مصر سبل الالتقاء بشباب الطائفة .(٢٩)

⁽۲۸) احمد محمد غنيم ، مصدر سايق ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

⁽۲۹) سهام تصار ، مصدر سابق ، ص ۲۸ .

ومن جانب آخر لعب جهاز مخابرات (الهاجاناه) المعروف باسم « علياه بيت » والذي كان مختصا بتهريب المهاجرين اليهود الى فلسطين وكانت له شبكة في مصر .

ولهذا الغرض قام عملاء (علياه بيت) باستنجار فيلا خارج الاسكندرية لتكون قاعدة لعمليات التهريب وتسهيل هجرة اليهود الى فلسطين.

توفي فلاديم جابوتنسكي في مدينة نيوبورك عام ١٩٤٠، وبوفاته لم تستطع المنظمة الصهيونية العالمية الجديدة أن تتنخب رئيسا يخلفه وذلك لتعذر عقد مؤتم صهيوني عالمي بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية.

وهنا اقتصرت المنظمة على إنشاء مكاتب رئيسية لها في كل فلسطين، وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وجنوب افريقيا، وقد تولى الدكتور أربيه التمان رئاسة مكتب القدس والمستر ابراهام فر رئاسة مكتب لندن والكولونيل مندلسون رئاسة مكتب جنوب افريقا نقيا(۲۰).

وبهذا التنظيم أصبح فرع المنظمة في مصر تابعاً لمكتب القدس، وللتوجيه المباشر لرئيسه الدكتور التمان، وبحكم هذه المعلاقة فقد اصبح التمان يتردد كثيرا على القاهرة والاسكندرية لما كان لمكتب مصر من أهمية .. نظرا لما يمكن أن يقدمه للمنظمة من عون. وقد استطاع أن يجمع التبرعات من أثرياء اليهود بلغت عدة آلاف من الجنيهات .

وقد قام الدكتور التمان بعقد مؤتمرات وإلقاء محاضرات في مصر حول النشاط الصهيوني العالمي والمصري بشكل خاص .

نقد عقد مؤتمرا عام ١٩٤٤ في مدينة الاسكندرية حضره ثمانون صهيونيا في المنظمة الصهيونية الجديدة ، أكد في هذا المؤتمر أنه في حالة فشل الصهيونيين في الحصول على مطالبهم بالوسائل السلمية ، فإنهم سيضطرون إلى الالتجاء إلى العنف ، وحمل السلاح من اجل تحقيق أهدافهم .

وعندما علمت سلطات ألامن في مصر بهذا الاجتماع وأدركت مدى خطورته ، أرسل جورج جيز باشا وكيل حكمدارية الاسكندرية ـ في ذلك الوقت ـ كتابا الى الكولونيل جايلز مدير القسم الجنائي السياسي بحكومة فلسطين في القدس . روى له تفاصيل ما دار في هذا الاجتماع .. وطلب من الكولونيل جايلز التنبيه على الدكتور بأن يمر عليه لمقابلته إذا حضر الى القطر المصري ، كي يتفاهم معه في هذا الشأن ويحذره من مغبة مشل هذه الاجتماعات ، وما يدور فيها من مناقشات .

ولقد حضر التمان فعلا وقابل حيز باشا ولم ينكر ما دار في هذا الاجتماع وعقب التمان بحزم أن « المنظمة الصهيونية الجديدة « تضع في اعتبارها أولا وأساسا إنشاء الوطن القومي في فلسطين .. ولا تمان في ضم فلسطين الكومنولث البريطاني ، مع منحها استقلالا ذاتيا وهدد التمان بأنه إذا لم تستجب الحكومة البريطانية لهذه المطالب ، فإن الصهيونيين سيتكفلون بتحقيقها بوسائلهم الخاصة .

امام هذا الموقف المتشدد تراجع جيز باشا ، وقال إنه كموظف في الحكومة المصرية لا يعنيه إلا الابتعاد بيهود مصر عن التورط في مشاكل اليهارد الفلسطينيين ، حتى لا يؤثر ذلك على علاقتهم بالشعب المصري وحكومته (٣١) .

الصهيونية والحركة الشيوعية:

نجحت الحركة الصهيونية في ايجاد بؤر لها في اقطار متعددة من الوطن العربي في العراق وسورية ومصر والسودان والمغرب العربي، والملاحظة الجوهرية على هذه البؤر أنها نشأت في مجالين وركزت عليها طوال تطورها التاريخي حتى الوقت الراهن (٣٢).

الاول ـ الأقليات القومية الثاني ـ الأقليات الدينية

ففي مصر نشأت التنظميات الشيوعية الأولى في أوساط اليهود

⁽٣٠) أحمد محمد غنيم ، مصدر سابق ، ص ١٠٠٨.

⁽٣١) راجع، أبو كف، ص ١١١.

⁽٣٢) د. نزار عبد اللطيف الحديثي ، الأمة العربية والتحدي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ٩٧ .

المصريين وأبناء الجاليات الاوربية المهاجرة (٣٣) وكان لليهود دور كبير في الحركة الشيوعية في مصر يعبر عنه هنري كوريل اليهودي الذي أسس الحزب الشيوعي المصري، لذلك أثرت خلفية أعضاء اليهود المرتبطين بالحركة الصهيونية العالمية في سياسته وبرز هذا التأثير في الموقف من القضيه الفلسطينية سنة ١٩٤٨ وبالذات الموقف من إقامة الكيان الصهيوني حيث برز في الحزب السيوعي المصري اتجاهان :-

الاول : يسرى أن هناك جانبا اشتراكيا وتقدميا في الحركة الصهيونية وأنه من الممكن أن يكون عامل تخصيب في كل النظم العربية التي كانت آنذاك اقطاعية وخاضعة للاستعمار وهو أمر من شأنه أن يعجل بعملية التطوير الاجتماعي في المنظمة لذلك وافق أصحاب هذا الرأى على التقسيم وكان الاتحاد السوفيتي يؤيد هذا الاتجاه.

الثاني : كان يرى في الصهيونية امتداد للامبريالية والاستغمار وإذا كانت هناك بعض القوى الاشتراكية والماركسية مشاركة في هذه العملية فليس لها وزن كبير (٣٤) ، والواقع أن اليهوا في مصر عملوا باتجاهين باتجاه أقصى اليسار ومنهم انبثق الينيسار المصري عموما ، وباتجاه أقصى اليمين ومنه نشأت المنظمات الصهيونية في مصر (٣٥) ، ومع هذين الاتجاهين نشطت الحركة الماسونية نشاطا بارزا .

بوادر ردود الفعل اليهودية المضادة للصهيونية :

بازدياد النشاط الصهيوني بدأ يظهر في أوساط بعض شباب مصر تيار للوقوف ضده وتكونت (جماعه معادية للصهيونية) كان يمثلها قطاوي باشا نفسه. وقد شرح وجهة نظره أمام أحد اعضاء اللجنة

الانكلو اميركية ووجه الاتهام إلى الصهيونيين ، وأنه « لو حصل يهود على على أمالهم السياسية فقد يكون هذا خطراً على يهود البلاد العربية »(٣١) .

وقد تجلت بوادر ردود فعل عربية ضد هذا النشاط الصهيوني أدت الى تردي العلاقات بين العرب واليهود في مصر (٣٧) وذلك أثناء مظاهرة جرت في تشرين الثاني ١٩٤٥ بمناسبة مرور ٢٨ سنة على وعد بلفور وتطورت إلى اعسال عنف وجهت إلى اليهود وغيسهم من الأجانب الغربيين مها كانت جنسيتهم وعقيدتهم، ولم تكن لهذه الحادثة نتائج خطيرة وحين قدمت الوكالة اليهودية تقريسها إلى اللجنة الانكلواميسركيسة ذكرت أن « يهسود مصسر يعيشسون في أمان »(٣٨).

إلا أن هذا لم يثن الصهيونيين عن عزمهم فأخذوا يعملون بين السطيقات الفقيرة من يهود مصر من أجل جملهم على الهجرة إلى فلسطين عن طريق إغرائهم بالأموال والوعود الكاذبة عن الغنى والرفاطية اللذين يلقونها من الدولة الاسرائيلية في فلسطين. كما أن العملاء الصهيونيين الذين انبثوا بين صفوف يهود مصر قاموا بشق الؤسائل لتحريض السكان العرب ضد السكان اليهبود آملين بأن ذلك سيؤدي إلى هجرة اليهود عن البلاد ومن ثم إلى فلسطين وقام هؤلاء العملاء بتفجير القنابل في المناجر التي يملكونها من أجل الادعاء بان المصريين هم الذين قاموا بهذه الاعمال . وفي اليوم الاول من آب عام ١٩٤٩ حدث انفجاران في متجرين في القاهرة نتج عنها اصابة عام ١٩٤٩ حدث انفجاران في متجرين في القاهرة نتج عنها اصابة كانوا قد نشروا في اليسوم السابق بيانا استنكروا فيه الأعسال كانوا قد نشروا في اليسوم السابق بيانا استنكروا فيه الأعسال الارهابية الصهيونية .

⁽٣٣) لطفي الخولي ، مصر والوطن العربي . مجلة الوطن العربي ، العدد ١٤٤ في ١٩٧٩/١١/١٥ ، ص ٣٠ . ٣٠.

عن د. نزار الحديثي ، الأمة العربية والتحدي ، ص ٩٧ .

⁽٣٤) لطفي الخولي ، مصدر سابق ـ

⁽٣٥) د. عبد العظيم رمضان ، صراع الطبقات في مصر ، ص ٤٠ .

⁽٣٦) راجع علي ابراهيم عبدة ، وخبرية قاسمية ، يهود الأقطار العربية ، مركز الأبحاث . بيروت ١٩٧٠ . ص ١٨١ .

⁽٣٧) يقال أن جمعية مصر الفتاة وجهت قبل المظاهرة انذار الى الطائفة اليهودية في مصر تطلب فيه أن تعلن الطائفة انفصالها عن اليهود الصهيونيين في فلسطين والا فسوف تتهم بعمل عدائي ضد البلاد العربية .

نقلا عن ابراهيم عبدة ، ص ٤٠ : Landshut, op. cit, p. 32. : ٤٠ ص

⁽٣٨) على أبراهيم عبده ، مصدر سابق .

وقد أظهر زعهاء اليهود وخاصة الأعضاء اليهود في البرلمان خلال هذه الفترة ولاءهم لمصر وعداءهم للصهيونية بينها حث حاييم ناحوم يهود مصر بالدفاع عن بلادهم ضد الصهيونية والتبرع لعسرب فلسطين.

هجرة يهود مصر إلى فلسطين المحتلة :

ثبت لدى السلطات المصرية أن المحرضين على حوادث العنف كانوا من العملاء الصهاينة فأصدرت أوامرها باعتقالهم. إلا أن الأساليب الملتوية التي استخدمتها الصهيونية حتى ذلك الحين كانت قد تركت آثارها في العلاقات بين سكان البلاد من اليهود وغير اليهود لذلك قامت موجة كبيرة من الهجرة المغادرة من مصر.

عند بداية حرب فلسطين في أيار ١٩٤٨ كانت السلطات المصرية قد منعت الهجرة لحاملي جوازات السفر دون الحصول على سمة خروج من وزارة الداخلية . ولا شك أن هذا القانون ساهم في انخفاض الهجرة بالنسبة لليهود الذين كانوا ينوون الهجرة إلى فلسطين المحتلة . إلا أن السلطات سرعان ما رفعت الحظر عن الهجرة في شهو آب ١٩٤٩ ، مما أدى الى حصول الهجرة اليهودية بشكل والينع . وحتى شهر تشرين الثاني ١٩٤٩ كانت قد تمت هجرة اكثر من ٢٠ ألف يهودي من مصر (٣٩) .

وترجه المهاجرون إلى البلدان الاوربية وخاصة ايطاليا وفرنسا . ولا شك ان العدد الأكبر اتجه فيها بعد إلى فلسطين . وقد ورد في الأهسرام في شهر كانون الشاني ١٩٥٠ أن المهاجرين يتجهون إلى فلسطين بعد وصولهم إلى ايطاليا وفرنسا .

ويبدو أن الهجرة استمرت بأعداد أقل خلال عام ١٩٥٠ حين وصل أكثر من سبعة آلاف مهاجر يهودي مصري إلى فلسطين المحتلة وانخفض عدد القادمين إلى فلسطين المحتلة إلى حوالي الغي مهاجر عام ١٩٥١.

ولقد لعبت الوكالة اليهودية دورا كبيرا في دفع يهود مصر للهجرة عن طريق عملاء لها في مصر . ويقول الياس كوهبن وهو يهودي مصري يناهض الصهيونية إن مراكز الوكالة اليهودية في باريس وروما قامت بضغوط غير مباشرة على اليهود في مصر عن طريق بعض التجار اليهود الذين كانوا ينذهبون إلى البلدان الاوربية . ويقول أيضا إن الوكالة اليهودية عملت على تحقيق المجرة عن طريق وكيل سفريات في مصر كان يعطي اليهود الذين يودون الهجرة تذاكر سفر «مجانية » بحيث يغادرون بالباخرة من الاسكندرية إلى مرسيليا ومنها إلى فلسطين وكان وكيل السفر هذا يقبض ثمن تذاكر السفر من المركز الصهيوني في فرنسا(٤٠٠٠) ، ومع أن السلطات المصرية كانت تعلم بأن أكثرية الذين غادروا البلاد كانوا يتجهون إلى فلسطين فهي لم تمنع الهجرة كليا خوفا من حالة الاضطراب التي قد تنجم عن ذلك . وهكذا فلم تكن الهجرة كبيرة من مصرحتي ذلك الحين بخلاف ما كانت من العراق واليمن . إلا أن هذه الهجرة ادت إلى انخفاض عدد السكان اليهود الى ٥٠ ألف نسمة عام الهجرة ادت إلى انخفاض عدد السكان اليهود الى ٥٠ ألف نسمة عام الهجرة ادت إلى انخفاض عدد السكان اليهود الى ٥٠ ألف نسمة عام الهجرة ادت إلى انخفاض عدد السكان اليهود الى ٥٠ ألف نسمة عام الهجرة ادت إلى انخفاض عدد السكان اليهود الى ٥٠ ألف نسمة عام

وضع اليهود في العهد الجمهوري :

جاءت ثورة عام ١٩٥٧، فضمنت المساواة لجميع المواطنين دون تمييز على أساس الجنس أو الدين أو العقبدة، كما ضمنت الحرية والحماية للأجانب. وأثبت قادة الثورة أنه ليس في مصر الحديثة أي مكان للتعصب الديني العنصري. وأعلنت الثورة على العالم في أول بيان اذاعته بتاريخ ٢٣ غوز من ذلك العام مسؤوليتها عن أملاك وحياة ومصالح الاجانب في مصر، وكانت بدلك تهدف إلى قطع الطريق على الدعايات والمزاعم المغرضة. ثم أصدرت التشريعات التي تكفل حياة الأجانب وإقامتهم واستثمار أملاكهم وممارسة مهنيم (13).

⁽٣٩) الياس سعد، الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة، مركز الأبحاث ١٩٦٩، ص ١١٥.

Berger, Elmer, Who knows Belter Must say so,. The American for Judaism New York, 1955, P. 19. (6.)

Dr. J., Khoury, La Palestine Devant Le Monde, 1953, P. 48. (\$\)

نقلاً عن يعقرب خوري ، ص ٧٢.

وقد قام قادة الثورة بزيارة المؤسسات اليهودية في مصر لتوطيدالثقة في قلوب الأقلية اليهودية . وفي ايلول ١٩٥٣ قام محمد نجيب بزيارة الكنيس اليهودي في القاهرة بمناسبة عيد رأس السنة اليهودية ، وكنائس الطوائف المسيحية وأعلن ان المصريين سواسية أمام القانون دون اية تفرقة بين أتباع الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام (٤٢).

ولا شك أن جهود السلطات المصرية نجحت في الحد من تدفق المهاجرين المغادرين. إلا أن العمليات الصهيونية الاستفزازية استمرت والصورة لم تسلم من نشاط العملاء والجواسيس، فاكتشفت خلايا خطرة تتكون من اليهود الذين كانوا يغادرون البلاد إلى اوربا ومنها يتجهون إلى المنطقة المحتلة في فلسطين، حيث كان يتم تدريبهم على اعمال التجسس ثم يعودون الى مصر لمباشرة نشاطهم.

وقد استطاعت السلطات المصرية ان تضع يدها على خلايا يهودية للتجسس في خس سنوات متوالية: في شهر تشرين ثاني عام ١٩٥٣ وفي شهر في شهر شباط ١٩٥٤ وفي شهر كانون الاول ١٩٥٥ وفي شهر نيسان ١٩٥٦ ، وعقب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، أتخذت مصر حفاظا على امنها وسلامتها إجراءات خاصة (٤٣١): فاعتقلت ٢٨٨ يهوديا ، دفعتهم الشبهات نظرا لنشاطهم المريب بأجهزة التجسس ، وحجزتهم في الابنية اليهودية المدرسية تحت الحراسة الوقائية . ومن الملاحظ أن كثيرين من اليهود الأجانب تعاونوا مع جيوش الغزو في بورسعيد تعاونا سافرا ، وغادروا البلاد مع القوات المعتدية خشية عاسبتهم عها ارتكبوه من جرائم وفظائع .

رغم أن الاجراءات المصرية لم تتجاوز ذلك ، فقد تعالت أبواق الصهيونية وأجهزة إعلامها بادعاءات ومزاعم من اضطهاد اليهود في مصر وطردهم منها مما حمل مراسلي الصحف الأجانب على التحقيق في وضع اليهود في مصر ، فنشرت نيويورك تايمس في ٢٧ من تشرين ثاني ١٩٥٦ تصريحا للسيد عبد القادر حاتم مدير الاستعلامات في

مصر نفى فيه تعرض الرعايا الأجانب في مصر الى سوء المعاملة ، وأشار الى أنه صرح لهؤلاء الرعايا بمغادرة البلاد بناء على طلبهم رغم أن كثيرين منهم أثاروا غضب الشعب ، عندما هاجموا المواطنين المصريين في بورسعيد أثناء مقاومتهم لقوات الغزو .

وأكدت وزارة الداخلية أنه لن يطلب إلى اليهود المصريين مغادرة مصر، وأنهم لا يتعرضون لأي مضايقات، وأن مصر لم تتخل عن تراثها الذي يعود بجذوره إلى اعماق التاريخ والذي يتسم بروح التسامح، وخاصة فيها يختص بالجالية اليهودية التي تعيش فيها

وبتاريخ ٤ من كانون اول ١٩٥٦ أكد السيد زكريا محي الدين وزير الداخلية أنه لا يوجد إي اضطهاد عنصري او ديني ضد اليهود في مصر ، ولم يقبض على أحد من اليهود أو يطرد من مصر إلا من ثبت أن ميوله صهيونية وولاء لاسرائيل . أما اولئك الذين لا يعتبرون خطرا على الأمن والسلام فهم يتمتعون بالحرية ويارسون أعمالهم كها كأنوا في السابق ، دون أية مضايقة .

وأعلن وزير الداخلية أنه لم تتم مصادرة أية ملكية يهودية وأن الاجراء الوحيد الذي اتخذ كان وضع اموال اليهود الأثرياء تحت الحراسة خشية الهريبها. فكانت تجارتهم تدار بنشاط وتعود أرباحهم المهم المهم

على أن المصادر تشير إلى أن الهجرة اليهودية من مصر تزايدت بعد العدوان الثلاثي ١٩٥٦ ، وقد طالت هذه الهجرة بشكل خاص اليهود الدين حملوا جنسيات فرنسية وبريطانية كها طالت بعض اليهود من أصل مصري .

وقد غادر حوالى ٢١ ألف يهودي مصري البلاد خلال فترة ما بين تشرين الأول ١٩٥٦ وآذار ١٩٥٧ (٢٠٠٠). وتدعي المصادر الصهيونية أن هذه الهجرة حدثت بسبب الضغط والاضطهاد اللذين مارستها السلطات المصرية ضد اليهود. ومع أنه ليس هناك اية أدلة تشير إلى أي نوع من هذا إذ أن الحكومة دأبت على تأمين سلامة السكان

⁽٤٢) الياس سعد ، مصدر سابق ، ص ١١٦ .

⁽٤٣) يعقوب خوري ، اليهود في البلدان العربية ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٠ وما بعدها .

⁽¹¹⁾ المصدر السابق . انظر كذلك علي محمد نظيف ، أعوان اسرائيل في مصر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٥ .

Schechtman, Joseph B., Op. Cit. P. 199. (Lo)

اليهدود رغم الارتباك الدي خلفه العدوان الثلاثي ورغم جميع الأعمال الاستفزازية التي قام بها عملاء الصهيونية من يهود مصر لصائح اسرائيل.

ويبدو أن الهجرة استمرت خلال ١٩٥٨ _ ١٩٥٩ إذ بلغ عدد الذين غادروا منذ العدوان الثلاثي حتى مطلع عام ١٩٦٠ أكثر من ٣٦ ألف بهودي ولم يذهب هؤلاء المهاجرين إلى اسرائيل مباشرة بل آثر العدد الأكبر منهم الاقامة في بلدان اوربا الغربية أو امريكا في حين توه، حوالي ١٨ ألف مهاجر يهودي منهم الى فلسطين المحتلة خلال ١٩٥ _١٩٥٨ (٤٢١) ، وهكذا فمجموع الذين غادروا مصر بعد اغتصاب فلسطين حتى عام ١٩٦٠ يبلغ حوالي ٤٥ ألف يهودي اتجه حوالي ٣٥ ألف منهم إلى فلسطين المحتلة وكان حوالي نصف المهاجرين قد غادروا خلال الحكم الملكى في حين غادر النصف الآخر بعد العدوان الثلاثي ، وفي هذه الحقبة من الزمن زار مصر الكاتب اليهودي الأمريكي الفريد ليلنتال مؤلف كتاب (ثمن اسرائيل) وقابل المسؤولين فيها كها التقى بكثير من اليهود . وفي مؤتمر صحفى عقده ني ١٠ من كانون ثاني ١٩٥٧ ، أدلى بتصريح قال فيه إنه أبرق إلى مستر دالاس، وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية ، طبيلغه أنه لم يجد في مصر أي شعور باضطهباد الساميــة . واشار الي ان المعلومات التي نشرت في مجلة «تايم» الامريكية بتاريخ ٣ من کانون اول ۱۹۵۳ ، ان ۳۰٬۰۰۰ یهودي ، قد اجبروا علی مغـادرة مصر في ٢٤ ساعة ، معلومات غير صحيحة . وأضاف قائلا : لقد أكد لي الرئيس جمال عبد الناصر وأعضاء حكومته انهم لا يعتبرون جميع اليهود صهيونيين كما أكد لي السيد وزير الداخلية أنه ليس هناك في مصر أي اضطهاد عنصري أو ديني ضد اليهود وأن الطيبين منهم والأونياء قد ساهموا في نهضة البلد وان المصربين يرغبون في بقائهم حتى يكونيا جزءا من الحياة المصرية.

وقد أثنى السيد ليلينتال على تسامح المسلمين التقليدي حيال اليهود الذين عاشوا دائها بسلام إلى جانب المسلمين وبخاصة أولئك الذين وجدوا في البلاد العربية ملجأ لهم في القرن الخامس عشر إثر

طردهم من اسبانيا والبرتغال ، وكذلك الذين تركوا بلدانهم بعد قيام الثورة الاشتراكية في روسيا والحكم النازي في المانيا .

وذكر أن الاجراءات ذات الطابع الأمني التي اتخذتها السلطات المصرية تتسم بالمنطق السليم، إذ أن التابعين لجنسيات الدول المعتدية والصهيونيين أصبحوا يشكلون تهديدا للأمن. وأن إجراءات الحكومة المصرية تشبه ما تم اتخاذه في الولايات المتحدة الامريكية أثناء الحرب العالمية الثانية حين تم القبض على اليابانيين بل قبض أيضا على من كان من أصل ياباني.

وهكذا صرح ليلينتال بالحرف الواحد:

« إني مقتنع بأنه لا يوجد اضطهاد. عنصري ضد السامية في مصر ». كما أدلى حاخام مصر الأكبر حاييم ناحوم افندي بتصريح أنكر فيه على قادة الصهيونية حملتهم على مصر، وذكر أنه ليس لهم حق التكلم باسم يهود مصر، ونفى ادعاءاتهم مؤكد أن الجالية اليهودية تعيش في مصر حرة في منأى عن أي ضغط أو اضطهاد، وأقر يفضل الحكومة المصرية وتسامحها، وموقفها الكريم من يهود

ولا يزال إلى اليوم من التقاليد المتبعة في مصر أن يحضر الاحتفال بعيد الفصح الذي يقام في الكنيست اليهودي ممثل عن رئيس الدولة.

كما يدعي حاخام اليهود الى احتفالات ، الامانة العامة للجامعة العربية التي يحضرها ممثلوا الأديان من الطوائف الأخرى ومنها الاحتفال الذي تقيمه بمناسبة تأسيسها في ٢٢ من آذار من كل عام .

وفي حديث للرئيس الراحل جمال عبد الناصر في شهر آذار ١٩٦٩، أدلى به الى بن . ل . سولز برجر ، مراسل صحيفة نيويورك تايز (٤٧) تضمن الايضاحات عن وضع اليهود في البلاد العربية جاء فيه أن في مصر حوالي خسة آلاف يهودي منهم قرابة مائة من المحتجزين لأنهم صهيونيون ولهم صلات مع اسرائيل . وقد اعتقلوا بعد حسرب ٥

⁽٤٦) المصدر السابق ، ص ٢٠١.

⁽٤٧) صحيفة الأهرام يوم ٣/٣/٣/٣ ، نقلاً عن يعقوب خوري ، ص ٧٧ .

حزيران ١٩٦٧ ، وأن الذين يريدون مغادرة البلاد من اليهبود يستطيعون مغادرتها وهناك كثيرون حصلوا على إذن بمغادرة البلاد والباقون يعيشون كمصريين لهم كل الحقوق وأن الاسرائيليين يثيرون دعايات كثيرة ضدنا.

وأشار الرئيس في حديثه الى تقرير عن زيارة الصليب الأحمر الى قطاع غزة فذكر أن هناك ٦٠٠ عربي في سجون غزة ، واستطرد قائلا إذا تحدثنا عن بقية الأراضي المحتلة وجدنا أن هناك آلافا اعتقلهم الاسرائيليون ، لكن ذلك كله ينسى ثم يتركز الكلام حول من احتجزناهم من اليهود لدواعي الأمن وهم قله قليلة .

وأضاف أن اليهود يقولون إننا معادون للسامية وهذا غير صحيح فنحن انفسنا ساميون ونحن ننظر إلى اليهود في بلادنا على انهم مصريون واليهود الذين يعيشون في الدول العربية يشعرون دائها بأنه من ألافضل لهم أن يبقوا في الدول العربية على أن يذهبوا إلى دول اخرى . لأن آباؤهم وأجدادهم هنا الاف السنين دون أي تفرقة .

وفي حديث آخر للرئيس الراحل جمال عبد الناصر الل شيكة التلفزيون الأهلي الأمريكي بتاريخ ٢٢ من نيسان ١٩٦٩ المها، أجاب عن سؤال لمدير تحرير صحيفة نيويورك تايس حول قبول إسرائيل الأعداد الكبيرة من العرب إلى اراضيهم، فذكر أن اليهود والعرب مسيحيين ومسلمين كانوا يعيشون في الشرق الأوسط منذ قرون .. منذ آلاف السنين . لقد عاش اليهود ويعيشون في مصر على الرغم من الدعاية التي استخدمت ضدنا ف بلادك (مخاطبا مدير تحرير الصحيفة) في أننا لا نعامل اليهود معاملة حسنه .. يمكنك أن تجوس في البلاد كلها وأن ترى اليهود . لقد طلب بعضهم مغادرة البلاد ووافقنا . ولكنهم عادوا ورفضوا مغادرة البلاد وقالوا إنهم يريدون البقاء هنا ، لقد قبضنا على يهود ، حوالى ثمانين يهوديا ، ولكن بعد البلاد . والاسرائيليون يعتقلون حاليا أكثر من سبعة آلاف عربي في الأراضي المحتلة وغزة .

وفي حديث للتلفزيون الفرنسي في مستهل شهر نيسان (٤٩) ١٩٦٩ قال الرئيس جمال عبد الناصر ، بعد أن اشار إلى مولد موسى في مصر وعيسى في فلسطين ومحمد في المملكة العربية السعودية ، « نحن لم نفرق في يوم من الأيام بين العربي المسلم والعربي المسيحي والعربي اليهودي ، بل إن المسلمين والمسيحيين واليهود عاشوا جنبا إلى جنب في هذه المنطقة بدون أي خلافات حتى أتت الخلافات الأخيرة بين اليهود من جانب والمسلمين والمسيحيين من جانب آخر في فلسطين بسبب إنشاء وطن قومى لاسرائيل .

ونشير الى أن عدد اليهود في مصر بلغ بعد حرب حزيران ١٩٦٧ (٢٥٠٠) يهودي بينها يشوزع الباقون على فلسطين المحتلة (٣٥) الف البرازيل حوالى (١٥) ألف وفرنسا حوالي (١٠) آلاف والولايات المتحدة (٩) آلاف والارجنتين حوالي (٩) آلاف وبريطانيا (٤) آلاف ألاف.

الارهاب الصهيوني في مصر:

الفالسفة الصهيونية تعتبر كل يهودي يعيش في « الدياسبورا (٥١) الشتات و بدون النظر إلى انتمائه الوطني و رعويته القومية ، هو في تفسر الموقت خواطن اسرائيلي ، عليه تقديم العون والمساعدة لاسرائيل .

وقد حدد الحاخام اليهودي الأكبر في بريطانيا (عمانوئيل حاكوبوفية) في كلمة القاها قبل ثلاثة أيام من عدوان اسرائيل على البلدان العربية في عام ١٩٦٧ ، مهمات اليهود في العالم بالكلمات التالية :

«ينبغي علينا أن نفعل كل شيء من أجل أن لا يبقى في العالم يهودي واحد يتهرب عن القيام بواجبه .. وعلى الشباب أن يكونوا مستعدين للمعارك وعلى الآخرين أن يكونوا مستعدين حالا ، بمكالمة تلفونية من اسرائيل ، للتوجه إلى هناك واحتلال أماكنهم كمجندين في الجيش ويجب على الآخرين جميعا أن يدفعوا ضريبة عن كل

⁽٤٨) صحيفة الأهرام في ٢٣/٤/٢٣١.

⁽٤٩) المصدر السابق في ٢/٤/١٩٢٩.

⁽٥٠) الموسوعة العبرية ﴿ تُرْجُمَةُ مَرِكُوْ الدراسات القلسفية ١٩٨٦ .

⁽٥١) الدياسبوراً ـ تعبير يهودي يشير الى المنفى ـ المقصود هنا بالمنفى ، البلدان الأخرى ـ عدا اسرائيل ـ والتي يتشتت فيها اليهود .

شخص يهودي وإذا هم شاءوا فإن علينا جميعا أن ننضوي تحت قيادتهم (۵۲) . »

إن الفكرة المسماة بـ (الولاء المزدوج) هي فكرة تنشط المنظمات الصهيونية في ترويجها والدعاية لها ، وهي بهدا الشكل تستغلل كسلاح لتنفيذ أهداف اسرائيل السياسية . إن القادة الصهاينة يطالبون يهسود العالم بالولاء المطلق لهم ، وقد عبر عن ذلك بن عرريون رئيس وزراء اسرائيل الأسبق قد عبر في خطابه الموجه إلى «مجلس العمل الصهيوني » المنعقد في القدس عن هذه القاعدة بالشكل التالي :

« يجب أن تكون لدى الصهاينة في الدول الأخرى الشجاعة للدفاع عن دولة اسرائيل ، حتى وإن كانت حكومات بلدائهم معارضة لذلك »(٥٣).

ومن الواضح أن لديها ركام كبير في مشل هذا النوع من النشاطات وذلك لأنه لسنوات طويلة سبقت قيام « اسرائيل » كانت هذه المنظمات في الغالب تستغل مواقع أعضائها في حكومات دول عديدة لخدمة أهداف السياسة الصهيونية.

أما اليهود المصريون فقد ساهم العديد منهم في خدَمة الحيركة الصهيونية مساهمة فعالة ، عن طريق أعماهم الفكرية وإمكانياتهم المادية ، على الرغم من تعارض ذلك مع الأماني القومية العربية . لقد استجاب العديد من اليهود المصريين إلى اغراءات الصهيونية العالمية وتعاليمها فأخذ من يعتبرون أنفسهم من بناة الوطن على عاتقهم الترويج لمبادىء الصهيونية ، وقد نالوا تأييد أثرياء اليهود فحصلوا منهم على الدعم اللازم لمشروعاتهم ونشاطهم واستجابة فحصلات جميع التسرعات إسهاما من يهود في تحقيق أطماع لحملات جميع التسرعات إسهاما من يهود في تحقيق أطماع الصهيونية في فلسطين . ونظموا معهم اجتماعات عدة كان يحضرها بعض زعهاء الصهيونية في الخارج لمناقشة خطة المستقبل ووسائل الاستيلاء على الأرض في فلسطين لاقامة دولة يهودية عليها ، وتنظيم الجنود اليهود بعد تسريحهم من جيوش الحلفاء والحث على

ضرورة تضامن اليهود وحشد المهاجرين اليهود إلى الوطن العربي وفلسطين، فضلا عن ربطهم بأجهزة الصهيونية العالمية لتنظيم اتصالهم بها وتأمين تعاونهم معها.

وفي إطار أتصال اليهود المصريين بالمنظمات الارهابية من المثير تتبع التنظيم الارهابي وجدوره التاريخية في فلسطين وانتقالـــه إلى مصر.

فنتيجة الهجرات اليهودية إلى فلسطين سعت الحركة الصهيونية إلى إجلاء العرب عن أراضيهم بقوة السلاح. وتأسست الهاجاناه بإشراف الوكالة اليهودية بدعوة حماية مستعمراتها المتزايدة.

وعندما تصاعد الخلاف بين أنصار جابوتنسكي وانصار وايزمان في المنظمة الصهيونية العالمية انعكس هذا الخلاف على الهاجاناه فأنشقت في١٩٣٧ إلى جناح يؤمن بمبادىء جابوتنسكي اطلق على نفسه « الارغون تسافي ليؤمي » أي المنظمة العسكرية القومية.

وظلت الارغون قارس أعمال الارهاب والعنف ضد العرب، وضد لحكوامة الانتداب في نفس الموقت، إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية فأصدر جابوتنسكي بيانا إلى البهود لوقف أعمال الارهاب ضد الانكليز جاء فيه:

« يهدد عدو متوحش بولندا قلب المنفى اليهودي حيث يقطن منذ ألف عام تقريبا ثلاثة ملايين يهودي يدينون بالولاء للبلاد وللأمسة البولندية ، تواجه نفس التهديد فرنسا موئل الحرية ..

«ولقد قررت انكلترا أن تعتبر هذه الحرب حربها ولا ننس نحن اليهود أن انكلترا منذ عشرين عاما ـ وحتى وقت قريب ـ كانت رفيقتنا في صهيون ، ولذلك فإن مكان الأمة اليهودية هو في جميع الجبهات التي تحارب فيها لتلك الأمم ، من أجل ارساء المجتمع الذي يعتبر كتابنا المقدس وثيقته العظمى » .

ولم يلق موقف جابوتنسكي تأبيد الجميع، فقد خرجت عليه فئة انشقت من الارغون في حزيران عام ١٩٤٠ أطلقت على نفسها

⁽٥٢) فؤاد يسواف جيلينسكي ، الشبكة السوداء ، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية ١٩٧٥ ، ص ٣. انظر في جانب النشاط الصهيوني المالي في مصر ، علي محمد نظيف ، أعوان اسرائيل في مصر ، دار المعارف ١٩٥٥ .

⁽٥٣) المصدر السابق ، ص ٤ .

« المحاربون من أجل حرية اسرائيل » وتعرف هده الجماعـه باسم . جماعة « شتيرن » نسبة إلى ابراهام شتيرن زعيم المنشقين ، الذي كان مساعدا لدافيد راتزيل قائد الارغون .

تميزت هذه الجماعة بتنظيمها الحديدي وكانت منظمة على هيــة حلقات لا تزيد الواحدة منها على عشرة أشخاص . ولا يعرف عضو الحلقة أحدا في الجماعة غير أفراد حلقته .

وهذا التنظيم يؤمن بأن الوسيلة الوحيدة لإقامة الوطن القومي اليهودي هي إخراج الانكليز أثناء الحرب ليتركوا فلسطين .. وفي هذا السبيل دبرت عدة جرائم اغتيال لكبار موظفي الانتداب .. وشنت حلة ارهابية امتدت حوالي ثلاث سنوات ونصف .

وقد امتد نشاط هذا التنظيم الى مصر فأقامت تنظيها متكاملا اشترك فيه بعض الصهيونيين المصريين وقام بتنفيذ عدة عمليات في القاهرة والاسكندرية وفي معسكرات الجيش البريطاني، مثل اغتيال اللورد موين ومحاولة نسف مؤتمر الجامعة العربية الذي عقد بقصر انطونيادس بالاسكندرية، وتهريب الأسلحة والدُخائر والمفرقعات من المعسكرات إلى مركز العصابة في فلسطيل:

وقد كشف مصرع اللورد والتر موين وزير الدولة البَريطاني في القاهرة بتاريخ ٦ من تشرين ثاني ١٩٤٤ الذي اغتالته عصابة شتيرن الارهابية عن وقائع مذهلة بينت الدور الخطير الذي قام به غلاة الصهيونية وزعاء اليهود في مصر ومدى تعاونهم مع هذه العصابة وتنفيذ رغباتها وأوامرها وتوزيع نشراتها السرية التي كانت تصلهم عن طريق ممثليها الوافدين الى مصر كمتطوعين في صفوف الجيش البريطاني (٥٤).

الفضيحة:

هذه التسمية « الفضيحة » (٥٥) اطلقتها الصحافة الاسرائيلية ، بسبب القيود التي تفرضها الرقابة على فشل عملية تخريبية نفذتها شبكة سرية يهودية ضد مؤسسات امريكية وغيرها في مصر سنة 190٤ . وفي أعقاب فشل هذه العملية التي كلفت حياة عدة

أشخاص، نشب خلاف حاد في صفوف القيادتين السياسية والعسكرية ودار هذا الخلاف حول السؤال: من الذي أصدر الأوامر بتنفيذ هذه العمليات ومن الذي أخفى على الآخر المسؤولية عن ذلك وقد تطور هذا الخلاف الى حالة اضطراب سياسي عرف فيها بعد بقضية لافون.

وكانت الشبكة السرية قد شكلت في مصر من قبل ضابط الاستخبارات الاسرائيلي (ابراهام دار) الذي كان قد وصل إلى القاهرة سنة ١٩٥١ وهو مزود پجواز سفر بريسطاني باسم (جنون ه ارائج) وتولى بعد وصوله تنظيم مجموعة من الشبان اليهرد ينتمون إلى حركات شبيبة صهيونية في وحدة سرية كانت المهمة المناطة بهذه الوحدة القيام بسلسلة من العمليات الخاصة داخل مصر أثناء الحرب، وتشكلت الخلية من مجموعتين المجموعة الأولى تعمل في القاهرة ، والثانية في الاسكندرية . وقد اختير لكل جموعة منهم قائدا مجهزا بجهاز اتصال لتلقى الأوامر والتعليمات من اسرائيل. وقد توجه بعض أفراد الخلية إلى اسرائيل عن طريق فرنسا لتلقى التدريب هناك ، وبالفعل فلقد تم تدريبهم على استخدام أجهزة الاتصال والحبر السري والعمليات التخريبية وحتى عام ١٩٥٣ عاد جيع أفراد الشبكة الى مصر. كانت مسؤولية إدارة وتوجيه هذه المجموعة تقع ضمن نطاق الاستخبارات المسكرية. وبعد عودة ابراهام دار إلى اسرائيل عين قائد جديد للشبكة هو ابراهام زاينبرج الذى قدم نفسه أمام أعضاء الشبكة في القاهرة والاسكندرية باسم (روبيرت). وكان قد زود بجواز سفر الماني باسم (باول فرانك). في تلك الفترة كانت مسألة جلاء بريطانيا من منطقة السويس مطروحة بقوة . وقد طـرحت على الاستخبـارات العربــة في جيش الدفاع الاسرائيلي فكرة محاولة عرقلة عملية الانسحاب عن طريق القيام بسلسلة من العمليات التخريبية ضد أهداف أمريكية وبريطانية وكان الهدف هو حمل بريطانية على إعادة النظر في قرارها بالانسحاب في ٢ تموز ١٩٥٤ ، نفذت أول عملية وضعت قنابل حارقة في صناديق البريد في حي الرمل بالاسكندرية وفي ١٤ تمرز وضعت قنابل حارقة في المكتبات الامريكيسة في القاهسرة

⁽٥٤) تفاصيل مقتل اللورد مورين وتورط يهود مصر في عملية اغتياله ، راجع أحمد أبو كف . مصدر سبق ذكره .

⁽٥٥) زئيف شيف وايتان هبار ، المعجم العسكري الاسرائيلي ، دار نشر زموراً ١٩٧٥ ، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية ، ص ٤٠٠ ــ ٤٠١ .

والاسكندرية ، وفي ٢٣ تموز وهو يوم ذكرى قيام الثورة تم توسيع نطاق العمليات . فلقد انطلقت عدة مجموعات من أفراد الشبكة إلى دور السينها في القاهرة والاسكندرية ومخزن في محطة القطار بالقاهرة وزرعوا القنابل وقد ألقي القبض بعد ذلك على جميع أفراد الشبكة اليهودية وبينهم الدكتور موشي مرزوق وشموئيل عزار ومارسيل نينيو وفيكتور ليفي وروبيرت داسا ومئير زعفران ومئير ميوحاس وايلي يعقوب وتسفار كوهين . كها اعتقل يهودي مصري آخر يدعى يوسف كرمونا كها اعتقل مئير بينان وهو ضابط برتبة نقيب في جيش الدفاع الاسرائيلي ووكيل المخابرات الاسرائيلية والذي كان على صلة مباشرة مع أفراد الشبكة اليهودية .

رني ١١ كانون الاول ١٩٥٤ جرت في القاهرة محاكمة أفراد الشبكة فانتحر بينان في سجنه وفي ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٥ أصدرت المحكمة العسكرية في القاهرة أحكامها بالإعدام على الدكتور مرزوق الذي كان يعمل طبيبا في المستشفى اليهودي في القاهرة وشموئيل عزار مدرس في الاسكندرية ، أما بقية أفراد الشبكة فقد صدرت احكام بالسجن المؤبد ومدد تتراوح بين ٧ إلى ٥ اسنة .

فوجئت «اسرائيل» في ٢١ تموز ١٩٦٢ باطلاق صاروح أرض أرض من نوع الظافر والقاهر. وفي نفس اليوم أعلن الرئيس الراحل عبد الناصر أن بوسع هذه الصواريخ أن تصل إلى جنوب بيروت وجاءت هذه المفاجأة متعارضة مع تقدير الموقف الذي كان يسود الأوساط الاسرائيلية بشأن القدرة التكنولوجية المصرية، وقد أخذ الموساد على عاتقه مهمة توفير المعلومات المتاحة في هذا المجال واتضح أن علماء وفنيين المان يعملون في مصر في برنامج الصواريخ المصرية . واتضح أن البرنامج كان يشمل تطوير (٩٠٠) صاروخ . وكانت المشكلة الرئيسية التي تواجه البرنامج هي مشكلة توجيه هذه الصواريخ والتي لم تجد الحل حتى نهاية ١٩٦٢ (٢٥) .

وفي منتصف شهر آب ١٩٦٢ توجه نائب وزير الدفاع شمعون بيريس إلى وزير الدفاع الالماني فرانس جوزيف شتراوس وطلب اليه

التدخل لوقف عمل العلماء الالمان في مصر، بينها قررت الجهات الأمنية الاسرائيلية عرقلة وإحباط المشروع المصري الالماني وعلى هذا الأساس نفذت عدة عمليات مباشرة بواسطة شعبة العمليات الخاصة في الأقطار المعادية، والتي كانت في حينه جزءا من الاستخبارات التابعة لرئاسة الأركان العامة، أما الموساد فقد بدأ حملة لحمل العلماء الالمان في مصر على ترك عملهم هناك. وفي ٢٠ آذار ١٩٦٣ اعلنت غولدا مئير وزيرة الخارجية أمام الكنيست ونيابة عن جميع أعضائها، ان نشاط العلماء الالمان يشكل خطرا على أمن اسرائيل. وقد أدى هذا البيان الى حدوث أزمة أدت الى استقالية رئيس جهاز الموساد ايسير هاريل في ٢٥ آذار ١٩٦٣.

وفي ١ أيلول من نفس العام قررت حكومة « اسرائيل » ضرورة الاستمرار في العمليات الموجهة ضد العلماء الالمان في مصر وفي ١١ أيلول ١٩٦٣ أقرت لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست موقف الحكومة.

وباتداء من خريف ١٩٦٢ ومطلع عام ١٩٦٣ ثم العمليات التي نقدت في عام ١٩٦٤ بدأت حملة استهدفت وقف نشاط العلماء فقد نفذت سلسلة عمليات منها إرسال طرود ناسفة إلى العلماء الألمان في القاهرة علماً أدى إلى إصابة عدد من العلماء ومساعدهم . كما أن هذه العمليات أدت الى عرقلة برنامج الصواريخ المصري ، وأعاق عملية الحصول على الأجهزة والمواد المطلوبة وردعت العلماء الألمان من الاستمرار في نشاطهم .

وكانت تدير هذه العمليات شبكة تزعمها وول ولفغانغ لوتز، وهو اسم مستعار، واسمه الحقيقي جور آريه وهو برتبة رائد بالجيش الاسرائيلي وقد أوفده الموساد إلى القاهرة وقد تولى إرسال الطرود الناسفة إلى العلماء الألمان مما نجم عن ذلك إصابة عدد من الأشخاص وقد شاركته في هذه العمليات (فتلرود نومان) .

ان المخابرات الاسرائيلية تقوم بتنظيم شبكات للتجسس داخل أراضي كافة الأقطار العربية . وفي بعض هذه البلدان حيث تشكل الجالية اليهودية عددا ضئيلا من الأشخاص ، أو لا يكون باستطاعة

⁽٥٦) زئيف شيف وايتان هبار ، (العلماء الألمان) ، المعجم العسكري الاسرائيلي ، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية ، ص ٣٠٠ــ ٣٠٢ .العلماء الألمان . راجع : استيف ابتان ، عين تل ابيب ، ترجمة مطاع صفدي ، دار العودة ، بيروت ، ص ١٠١ــ ١٢٠ .

الاسرائيليون بتجنيد العملاء المحليين والاجانب فعلى سبيل المثال الاسرائيليون بتجنيد العملاء المحليين والاجانب فعلى سبيل المثال تمكنت سلطات الامن في مصر من كشف شبكة تجسس اسرائيلية تعمل داخل مصر وذلك في آب ١٩٦٩ حيث كانت تتكون من خسة أشخاص ثلاثة منهم من رعايا المانيا الاتحادية أما الاثنان الآخران فمن رعايا مصر. لقد كانت مهمة أعضاء هذه الشبكة جع المعلومات عن القوات المسلحة المصرية ، وعن الاوضاع السياسية داخل مصر وكل ما يدخل في إهتمام المخابرات الاسرائيلية ، ومن ثم رفع هذه المعلومات إلى ممثلي المخابرات الاسرائيلية المقيمين في أوربا . وذلك عن طريق السفرات التي كان يقوم بها أقراد الشبكة إلى فرنسا أو المانيا الاتحادية ، حيث كانت تأخذ طريقها فيها بعد إلى داخل اسرائيل . وقد أصدرت السلطات القضائية في مصر حكم الموت على يوسف حدانة أحد اعضاء الشبكة المصريين ، أما بقية الاعضاء فقد صدر عليهم الحكم بالسجن لمدة ١٥ عاما .

تحتل مصر موقعا استراتيجا هاما في مخططات الكيان الصهيوني، وقد اكتسبت مصر هذا الموقع عن جدارة ليس فقط لأنها جاء غني من «أرض الميعاد» وإنما أيضا بحكم موقعها المؤثر في قيادة الوظن العربي الذي يعي الصهابنة عاما أن وحدته تمشل خطرا عبل وجود دولتهم (٥٧).

ورغم أن السياق التاريخي للحقبة الأخيرة يشير إلى أن الصهيونية تسعى لتحقيق أهدافها الاستعمارية بخطى متصلة، ففلسطين (تحت سيطرة اليهود) كانت بالنسبة للعرب في أوائل هذا

القرن مجرد وهم لا يقوى على مواجهة واقع الأغلبية العربية في فلسطين وأمام التداعي العربي، تبدو الصهيونية الآن أكثر طموحا لتحقيق أحلامها، وهي بعد لم تتخل عن أفكارها القديمة، يقول مناحيم بيغن « نحن وعدنا بهذه الأرض في الكتاب المقدس ولنا الحق فيها ».

وني المفهوم اليهودي (الديني) تعني الأرض المقدسة كل الأرض التي عاش فيها اليهود ، أي العراق وسورية ومصر والمدينة المنورة .

ولا يزال الصهاينة ينشرون من الخرائط التاريخية ما يشير إلى أن سيناء لم تكن ضمن الحدود المصرية في العهد العثماني ، عدا ذلك الجزء الممتد من السويس إلى العريش إلى المنطقة الغربية الشمالية من سيناء ..

أما بقية المناطق فقد ألحق قسم بمتصرفية القدس والآخر بولاية الحجاز وما المشكلة المثارة الآن حول «طابا» المصرية إلا وجها من أرجه هذه الأطماع، ولقد عبر بن غوريون عام ١٩٥٧ عن أطماع المصهونية عندما احتلت قوات الغزو الصهيوني سيناء فقال «هذه أرض اسرائيل» بسل إنه اطلق على شرم الشيخ «م ف ع ش شلومو».

وإذا كان الاستيلاء على أراضي مصرية هدف استراتيجيا في السياسية الصهيونية فإن هناك مخططات « دون الاستراتيجية » تسعى هذه السياسية لإنجازها في المرحلة القربية لتخدم بها أهدافها النهائية ، خاصة بعد اتفاقيات كمب ديفيد .

⁽٥٧) نقلًا عن أحمد الصاوي و الأطماع الصهيونية في مصر » مجلة اليقظة العربية العدد الخامس ، القاهرة تموز ١٩٨٥ ، ص ٢٦ ــ ٦١ .

الخاتمية

ان البلاد العربية بما فيها مصر كانت مأوى وموئلا للمضطهدين من اليهود في المجتمعات الغربية فأحسنت وفادتهم وساوتهم بأبنائها على كافة الأصعدة ولم تكره أحدا منهم على مغادرة مصر.

إن المنظمة الصهيونية العالمية واسرائيل باتهامها السلطات المصرية بعاملة اليهود معاملة سيئة لتؤلب الرأي العام العالمي ضد العرب بصورة عامة وضد السلطات المصرية بصورة خاصة. والضغط على يهود مصر لحملهم على الهجرة إلى فلسطين المحتلة وتهيئة أسباب وعبوامل هجرتهم، تحقيقا الأطماعها التوسعية، وإخفاء محارساتها التعسفية والإرهاب ضد الشعب العربي الفلسطيني وإخفاء محارساتها التعسفية والإرهاب ضد الشعب العربي الفلسطيني

في فلسطين المحتلة .

إن معاداة السامية ليست حركة ضد اليهود بل هي سلاح في أيدي تنظيمات اليهود تشهرها في وجه من يريدون أن بنالوا منه فردا كان أو جاعة أو دولة .

إن هدف الحركة الصهيونية هو إقامة دولة يهودية في فلسطين وجميع يهود العالم فيها وتوفير أسباب الحياة والرفاه لها على حساب الأمة العربية والشعب العربي الفلسطيني وهذا المشروع يرمي إلى تحقيق أهداف استعمارية تكفل لها وللدول الامبريالية السيطرة الاقتصادية والسياسية على الأقطار العربية والشعب المصري.



المصادر

- ١) أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف، اليهود والحركة الصهيونية في مصر، ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧ ، دار الهلال ، القاهرة .
- استيف ايتان ، عين تل ابيب ، ترجمة مطاع صفدي ، دار العودة ،
 بيروت ١٩٧٠ .
- ٣) الياس سعد، الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة، صركز
 الابحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت ١٩٦٩.
- ٤) زئيف شيف وايتان هبار، المعجم العسكري الاسرائيلي، دار
 نشر زمورا ١٩٧٥، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية.
- ه) سهام نصار، اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية، دائر الوحدة، بيروت ١٩٨٠.
- ك ٦) د . عبدالعظيم رمضان ، صراع الطبقات في مصر ، القاهرة .
- ٧) عبدالمنصف محمود ، اليهود والجريمة ، المجلس الأعلى للشؤون
 الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٧ .
- ٨) د . عبدالوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، المؤسسة العربية ، للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣ .
- ٩) على ابراهيم عبده ، خيرية قاسمية ، يهود الأقطار العربية ، مركز
 الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٠ .
- ١٠ علي محمد نظيف ، أعوان اسرائيل في مصر ، دار المعارف بمصر
 ١٩٥٥ .
- ١١ فؤاد يسواف جيليتسكي، الشبكة السوداء، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد ١٩٧٥.
- ١٢) د. قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، منذ الفتح العربي حتى
 الغزو العثماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠.
- ١٣) د. مصطفى كمال عبدالعليم، اليهود في مصر في عصري
 البطالة والرومان، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ١٩٦٨.

- ١٤) مؤسسة الدراسات الفسطينية المعاهدة المصرية الاسرائيلية.
 بيروت ١٩٧٩.
- ١٥) الموسوعة العبرية ، شركة اصدار الموسوعات ، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية ١٩٨٦ .
- ١٦) د . نزار عبداللطيف الحديثي ، الأمة العربية والتحدي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٥ .
- ١٧) يعقوب خوري ، اليهود في البلدان العربية ، دار النهار للنشر ،
 بيروت ١٩٧٠ .
 - المجلات:
 - جِلةِ اليقظة العربية _ العدد الخامس _ القاهرة ١٩٨٥ .
 - مجلة قضايا عربية _ بيروت _ تشرين الثاني ١٩٨٠ .
 - المصادر الاجنبية :ـ
- 1. Berger, E., Who Knows Better Must Say So: New York 1955.
- 2. Crum, C. Bartly: Behind the Silken Curtain, New York 1974.
- 3. Cohen, J. Hayyim: The Jews of the Middle East.
- 4. Fargeon, M., Le Juissen Egypte. Depuis Les Origines Jusqu'a Ce Jour Le Caire 1938. P. 181-182.
- 5. Landshut, S., Jewish Communities in the Muslem Countries of the Middle East London 1950.
- 6. Schechtman, J.b., On Wings of Eagles, New York. 1960.

بحوث لت أريخ العسكرني والايث لامي

ومسن لم يَسع التساريخ في صدره لم يسع التساريخ في صدره لم يسدر حُسلُو السعيش مسن مُسرّه ومن وعيَ أخبار مَنْ قد مضى أضاف أعساراً الى عسمره

نظام الإدارة في المغرب والأندلس أيام المرابطين

د . صالح محمد فياض أبو دياك كلية الآداب - جامعة البرموك

ملخص البحث

بين البحث أهمية الإدارة باعتبارها الأسلوب العملي للنظام السياسي ، مبيناً أهمية خططها ، فخطة الكتابة تعد من أبرز الخطط الإدارية ، لهذا حرص الأمراء المرابطون على اختيار أفضل الكتابية ممن مهروا في صناعة الْكتابة والانشاء ، وكان جلهم من الأندلسيين " وجرى على هذا النهج الموحدون الذين جاءوا من بعدهم .

أما خطتا الوزارة والولاية ، فقد راعوا فيهما القرابة والصهر والولاء، ويرجع ذلك لأهمية الخطتين في الدولة، وهذا مــا ادركه الخلفاء الموحدون وسلكوه.

والملفت للنظر عدم بقاء ولاتهم في مناصبهم مدة طويلة من الزمن ، أذ سرعان ما يقومون بتغييرهم ، ولعل هذا راجع الى عدم

الاطمئنان إليهم ، لا سيها وأنهم كانوا شديدي المراقبة لهم ، يعاقبون مِن تهاون منهم مها كانت منزلته عند السلطان.

ومن النقاط المهمة في البحث ، الدراك الأمراء لأهمية الفقهاء والأخذُ بَآرَائهم والعمل بمشورتهم قصد التقرب منهم، إرضاء لله ولأنناء الامد.

وَيُبِدُو أَنْ عَلَامٌ وَضُوح بعض الخطط الادارية في إدارتهم ، يرجع الى قصر عمر دولتهم، والى الحروب المستمرة التي قاموا سا ضد الإسبان دفاعاً عن إخوانهم المسلمين بالأندلس ، مع بساطة عيش الحكام وحرصهم الشديد على تطبيق الاحكام والشعائر الدينية، وانزال مذهب مالك منزلة سامية في التشريعات وسن القوانين .

> تعد الأعمال الإداريه ذات صفه ثانويه اذا ما قيست بالأعمال السياسية ، فهي الترجمة العملية لأي نظام سياسي ، ولما كان حديثنا عن نظام الإدارة في المغرب والأندلس أيام المرابطين ، لذا وجب علينا الإشارة إلى مفهوم الإدارة في الإسلام أيام دولة الرسول عليه السلام، والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، حيث كان نــظام الإدارة عندهما نظاما مركزيا ، باعتبار أن الحاكم مسؤول عن تنفيذ القوانين ، وأن العلاقه بينه وبين عماله علاقه مباشره ، وأن أي تمرد

على أولئك الولاة يعد تمردا على الحاكم نفسه ، من هذا المنطلق أمن الخليفه عمر بن الخطاب بهذا المقهوم وعبر عن إيمانه بقوله نــ والله لو عثر بعير بالعراق لكنت مسؤولا عنه(١). ولعل الظروف التي مرت بها الدوله الاسلاميه ابتداء من عهد الرسول الكريم وانتهاء بآخر خليفة من الخلفاء الراشدين ، جعلت نظام الادارة فيها نظاما مركزيا يشرفُ الخليفه فيه على الولاة ويراقب أعمالهم ، يساعده في عمله هيئة من أهل الحل والربط، ويمكننا أن نسميها في وقتنــا الحاصــر

(۲) نفسه ص ۲۰۱.

⁽١) العدوي ــ ابراهيم ، النظم الاسلامية (مقوماتها الفكرية ومؤسساتها التنفيذية في صدر الاسلام والعصر الأموي) القاهرة ١٩٧٧ . ص ١٩٦٠ .

ب (الرقابة الادارية) (٢) وأولت الدولة الإسلامية منذ قيامها زمن الرسول الكريم اهتماما كبيرا في تطبيقها ، فكان عليه السلام براقب العمال ويستمع الى شكاوي المتظلمين من أبناء الأمة ،وجرى على هذا النهج من بعده الخليفة أبو بكر الصديق ، وتبعد الخليفة عمر فقد خطب يوما بعماله قائلا : « ألا وإني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين ، ولكن بعثتكم أئسة الهدى يهتدي بكم ، فأدروا عبل المسلمين حقوقهم ، ولا تضربوهم فتذلوهم ... ثم قال أيها الناس أني أشهدكم على أمراء الأمصار أني لم أبعثهم الا ليفقهوا الناس في دينهم ويقسموا عليهم فيأهم ، ويحكموا بينهم ، فان أشكل عليهم شيء رفعوه »(٣).

وكان يعزل الوالي إذا شكاه أهل البلد أو الإقليم، وربما عزله خوفا من افتنان الناس به مثلها حصل مع زياد بن أبيه ، حينها قال له زياد : « أعن عجز عزلتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة . فقال لا عن هذا ولا عن ذاك ، ولكني كرهت أن أحمل على النساس فضل عقلك ... »(1) .

ولما جاءت الدولة الأموية استبدلت نظام المركزية في الإدارة باللامركزية ، ولما انقرضت وحلت محلها الدولة العباسية أعادت نظام المركزية في الإدارة حسب ما كان معمولا به أيام الرسول والخلفاء الراشدين (٥) . يتبين لنا مما تقدم ان نظام المركزية واللامركزية في الادارة الاسلامية مر في مراحل زمنية متعددة ، فكانت كل دولة تأخذ بأحد النظامين حسب الظروف المحيطة بها .

أما عن نظام الادارة في المغرب والاندلس أيام المرابطين، فكان نظامها مركزيا، ويرجع السبب الى رغبة أمرائها في تقليد السلف الصالح من الحكام، ورغبتهم في الابتعاد عن الألقاب الفخمة بسبب قرب عهدهم من البداوة (٢) وتجميع السلطات في أيدي أمرائهم(٧)

مع الاستعانة بهيئة استشارية من أهل الحل والربط مكونة من الفقهاء والكتاب وأبناء عمومة الأمير، وزعياء المرابطين عن قبيلة لمتونة واعيان قبائل صنهاجة ، الذين يلازمونه في قصره ويتنقلون معه عند تجواله في الولايات ، يبدون آراءهم في الأمور المجلروحة للمناقشة ولا يبتون فيها ، ولعل عملهم أشبه بعمل الوزراء وان لم يتسموا بذلك (٨) ، فالوزارة عندهم لم تكن محددة ، وصلاحيات الوزير لم تكن معروفة ، ففي عهد الأمير يوسف بن تاشفين وجد عدة وزراء ، منهم ، محمد بن عبدالغفور الذي يسميه صاحب (الحلل)(١) بالوزير ، رغم أن صلاحياته لم تتعد كتابة نص التولية ، الذي أصبح ابنه عليا بموجبه وليا للعهد ، وهو بعمله هذا أميل الى عمل الكاتب من الوزير ، وان كانت مهنتا الكتابة والوزارة في عهدهم مرتبطتين ببعضها البعض يصعب التمييز بينها ، فقد يكون الكاتب وزيرا وقد يكون الوزير كاتبا .

ومن الذين مارسوا مهنة الوزارة أيام الامير علي بن يوسف ينتان بن عمر الذي كان قائدا للحشم (١٠) وشفيعاً للمهدي بن تومرت اثناء استجوابه من قبل الفقهاء في حضرة الأمير ، ويبدو أنه كان صاحب متوّلة وفيعير عند الأمير وكلمته مسموعه عنده ، فهو جندي من الطراز الاول وعضو في (الأخوة المرابطية) حسب ما جاء في كتاب النظم الاسلامية (١١).

أما أبنه اسحاق البالغ من العمر ثمانية عشر عاما ، فقد عمل وزيرا في بلاط الامير على بعد موت أبيه ، وكان على جانب من الذكاء والمعرفة بعلم الحدثان ، وقد انتشر خبره بين الناس مما لفت نظر الأمير على ، فسأله عن ذلك فأجاب بمعرفته للأمور الخفية ، وطلب من الأمير أن يختبره ، وأجرى له الامير اختبارا تحقق فيه من صحة

⁽۲) نفسه ص ۲۰۲.

⁽٤) طبلية القطب محمد، نظام الادارة في الاسلام ط (٢) القاهرة (١٩٨٨) ص ٧٣-٧٤.

⁽٥) نفسه ص ١٤ ـ ٢٥.

⁽٢) سعدون عباس نصرالله (دولة المرابطين في المغرب والأندلس) دار النهضة العربية بيروت ط (١) سنة ١٩٦٧ ، ص ١٦٧ .

⁽٧) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ـ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط (١) سنة ١٩٦٧ جـ ٤ ، ص ٣٣١ ـ

⁽٨) حسن أبراهيم ، تاريخ الاسلام ، جـ ٤ ص ٣٣٠ .

⁽٩) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق ـ علوش ، الرباط سنة ١٩٣٦ ، ص ٦٣ .

⁽١٠) لقبهم المهدي بالحشم (النساء) لأنهم يشبهوهن في تغطية الوجوه والتلثم ، راجع ابن قطان ، نظم الجمان ، تحقيق ـ محمود علي مكي ، المطبعة المهدية ـ تطوان ـ المغرب د ـ ت ، ص ٤٥ .

⁽١١) ب ــ هوبكنز ، النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، تعريب ـ أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ، ١٩٨٠ ، ص ٤٢ وما بعدها .

معرفته (۱۲) ، وممن كان أجدر بهذا اللقب دون سواه ، مالك بن وهيب بن أسبط وأسباط من أهل المرية بالاندلس . فقد تسمى بالوزير زمن الأمير يوسف ، ومن بعده ابنه الأمير علي وان عده بعض المؤرخين من الكتاب دون الوزراء ، وقد تفوق على أقرانه بسعة علمه وحسن مشاركته في جميع العلوم ، الا انه كان لا يظهر الا ما يتفق مع ذاك العصر ، وكان له مؤلفات من أهمها ، كتاب سماه « قراضة الذهب في ذكر لئام العرب » ضمنه لئام العرب في الجاهلية والإسلام ، وضم الى ذكر لئام العرب » ضمنه لئام العرب في الجاهلية والإسلام ، وضم الى كتاب آخر اسمه الثمرة لبطليموس في الأحكام ، وكتاب المجسطي كتاب آخر اسمه الثمرة لبطليموس في الأحكام ، وكتاب المجسطي في علم الهيئة ، وعليه حواش بتقييده أيام قراءته على رجل من أهل فرطبة اسمه حمد الذهبي (۱۲) ، وكان له معرفة بعلم الحدثان مما ساعده على معرفة شخصية المهدي الذي أشار على الامير باعتقاله ، لكنه لم يستمع لرأيه .

وعاش الرجل أيامه الأولى في الأندلس مغموراً ، إلى أن رحل عنها متجها الى المغرب ، وهناك اتصل بالاميرة زينب زوج الأمير يوسف بن تاشفين وصار من رجال حاشيتها ، ثم أصبح من كتابها ، ولم توفيت نقله الامير الى بلاطه وجعله كاتبا عنده ، فأتقن عيله مما لفت نظر الامير اليه ، ونال ثقته عنده بسبب هدوئه وحصافته وأتقائه للغة البريرية والعربية ، فكان ترجمانا له ومن خاصة بطانته مما جعل له أهية كبيرة عنده يأخذ برأيه ، ويستمع الى أقواله ، فهوالذي أشار على الأمير بمطالبة ابن عباد باعطائه قاعدة لجيوشه في الجزيرة الخضراء ، وبناء على إشارته طالب الأمير يوسف ابن عباد بذلك فأجابه ابن عباد الى طلبه واعطاه ثغراً في الجزيرة (111) .

وتولى منصبه بعد وفاته أيام الامير علي الكاتب الشهير محمد بن سليمان بن القصيرة المعروف بأبي بكر بن القصيرة الذي كان وزيرا للمعتمد بن عباد ، ثم أصبح من أبرز كتاب الأمير يبوسف بن تاشفين ، وهو ممن جمع بين منصب الكتابة والوزارة في دولة الأمير يوسف وولده الأمير علي وكان مقره في الحاضرة مراكش (١٥٥) ، ويعد هذا الكاتب الوزير من الوزراء المركزيين الذين كانوا من خاصة بطانة الامير يقيمون معه في الحاضرة مراكش (١٦١) وبقي في منصبه الى أن توفاه الله أيام الامير علي سنه ٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م ، ومثل هذا المنصب كان صاحبه يسمى بالحاجب ، واحيانا بالوزير ، واحيانا المنصب كان صاحبه يسمى بالحاجب ، واحيانا بالوزير ، واحيانا أخرى بذي الوزارة والكتابة لكن رغم ذلك كانت صلاحياته محدودة .

ويصف أبن الصير في الكتابة ابن قصيرة ومهارته في الكتابة فيقول بد الوزير الكاتب الناظم الناثر القائم بعمود الكتابة والحامل للجراء البلاغة ، الذي لا يشق غبارة ، ولا تخمد أنواره ، اجتمع له برائهة النثر وجزالة النظم (۱۸) .

وفي استخدام الامير يوسف لهؤلاء الوزراء وأمثالهم دل على بعد ادراكه رغم هدم معرفته للغة العربية .

أما ابنه الامير علي فقد أشاد صاحب (المعجب) بحسن اختياره لعدد من الكتاب الأندلسيين بقوله : _ « ولم يزل أمير المسلمين علي بن يوسف يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الاندلس ، وصرف عنايته الى ذلك ، حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك ، كأبي القاسم بن الجد المعروف بالاحدب (١٩١) ، وابي بكر محمد بن محمد المعروف بابن القبطرنة (٢٠) وأبي عبد بن أبي الخصال وأخيه أبي مروان ، وأبي محمد المقبورة وأبي عبد بن أبي الخصال وأخيه أبي مروان ، وأبي محمد

⁽١٢) ابن عذاري ـ المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ـ إحسان عباس ، دار الثقافة ببيروت ١٩٦٧ . جـ ٤ ، ص ١٠١ .

⁽١٣) المراكشي ـ عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخيار المغرب، تحقيق ـ محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي دار الكتاب ــ الدار البيضاء ــ المغرب ط (٧) . ١٩٧٨. ص ٢٧١ ـ

⁽١٤) عنان ـ عبد الله ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ط (١) القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م ، جـ ١ ص ٥٢ ـ ٥٣ ، النظم الاسلامية ، ص ٢٢ وما بعدها . (١٥) السلاوي ، أبو العباس احمد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب ـ الدار البيضاء المغرب سُنة سنة ١٩٥٤ ، جـ ٢ ، ص ٣٣ ـ ٣٤ . ص ٣٧ .

⁽١٦١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، جـ ٤ ، ص ٣٣١.

⁽١٧) هو أبو زكرياً بحيى بن محمد بن بوسف الانصاري الغرناطي ، يكنى بأبي بكر ، ويعرف بابن الصير في ، صاحب كتاب « الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطة » ، كان كاتباً عند الأمير تاشفين بن علي يوسف بن تاشفين ، عنه ، راجع ، ابن الخطيب .

 $^{(\}gamma V)$

⁽¹¹⁾

⁽⁴⁺⁾

عبدالمجيد بن عبدون وكان ـ من أنبههم عنده وأكبرهم مكانة لديه : أبو عبدالله محمد بن أبي الخصال ، وحق له ذلك ، اذ هو آخر الكتاب، وأحد من انتهى اليه علم الأدب ...(٢١) يستدل من ذلك أن هناك نخبة من الكتاب والأدباء ممن مارست الكتابة والوزارة في الاندلس أيام ملوك الطوائف، فأبو محمد عبدالمجيد بن عبدون، كان قد ولي الوزارة للمتوكل بن الافطس (٢٢) ، ثم قدم الى المغرب وعمل كاتباً في بلاط الامير يوسف ثم في بلاط ابنه الامير على من بعده ، وصبغ منصبه بصبغة سياسية ، ونجد المقرّى حينها يدعو ابن برد (الوزير الكاتب) والمراكش يسمى ابن عبدون بد (الوزير) فقد كانا يتمتعان بهذه الصفة من قبل أيام وجودهما في الاندلس(٢٣) والملاحظ لم نجد من الكتاب الذين مارسوا مهنة الكتابة أو مهنة الكتابة والوزارة معاً أيام الدولة المرابطية كاتباً واحداً من البربر، ومع هذا فان سلطاتهم لم تكن تتعدى الأمور الفنية من كتابة الكتب الرسمية ، حيث نجد عدداً كبيراً من الرسائل الصادرة عن ديوان الانشاء إن جاز لنا القول والموجودة في مصنفات متعدده بثل « قلائد العقيان » و « مطمع الأنفس » لابن خِلْكان ، و « السَّاخيرة » لابن بسام و« نفح الطيب » للمقري بالاضافة الى إحدى وعشرين رسالة ذكرها ليفي بروفنسال ـ في مجموعة لم تنشر بعد (١٤٤) وَ وَهُذُهُ الرَّسْالُلُ كتب بعضهم منها بأسلوب جزل الألفاظ، صحيح المعاني، دون النظر إلى السجع الذي أحدثه الكتاب المتأخرون ، من هؤلاء ابو محمد عبدالمجيد بن عبدون الذي كتب رسالة للأمير على يخبره فيها بفتح مدينة شنترين (٢٥) على يد القائد سيرين بن أبي بكر قال « أدام الله أمير المسلمين وناصر الدين ، أيا الحسن على بن يوسف بن تاشفين ، خافقة بنصرة الدين أعلامه، نافذة في السبعة الاقاليم أقلامه، من داخل مدينة شنترين ، وقد فتحها الله تعالى بحسن سيرتك إلى أن

يقول _ وهذه القلعة التي انتهينا إلى قرارها واستولينا على أقطارها أرحب المدن أمدا للعيون ، وأخصبها بلداً في السنين ، لا يرهها الخصب ولا يتخطاها ...)(٢٦) . الخ القول ومن مثل ابن عبدون ، وابن ابن الخصال ، الكاتب ابو جعفر بن عطية الذي كان يقيم مسع حضرة الامير علي براكش ، ثم مع ابنه من بعده الامير تاشفين ، الى أن هزمهم الموحدون وأصبح يعمل في بلاط أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي بعد انقراض دولة المرابطين ، لكن القدر لم يهله حيث قتله الخليفة عبدالمؤمن في خبر اورده صاحب المعجب (٢٧) .

أما كتاب الاقاليم المسمون بالوزراء الاقليميين، المكانوا لا يقلون جودة ومهارة في صناعة الانشاء والكتابة عن الكتاب المركزين ، من هؤلاء الأديب الحكيم محمد بن الصائغ المعروف بان باجه ، الذي كان وزيرا وكاتبا عند والي مدينتي بلنسية وسرقسطة الواقعتين بشرق الاندلس ابو بكر بن ابراهيم ابن تيغلويت المسوفي ، والكاتب أبو عامر بن عقيد (٢٩) ، الذي كان من أبرز كتباب والي مكينة مرسيه ومن حولها ابراهيم بن يوسف بن تاشفين (٣٠٠) .

وبالجملة فإن الكتاب الوزراء المركزيين أو الإقليميين لم تكن السلطاتهم تتعدى الاستشارة في بعض الأمور. أما الوزراء من أشياخ المرابطين أمثال سير بن أبي بكر للمتوفي القائد العسكري المعروف والاداري الناجع ، الذي عينه الأمير يوسف بن تاشفين حاكماً عاماً على ما ضمه من الاندلس لامارته ، وأوصاه بأن يعين على كل بلد يخضع لسلطانه حاكها من لمتونة ، ولعل إمارته من الامارات الخاصة التي كانت في الدولة الاسلامية السابقة للدولة المرابطية . ففيها يقوم الامير على تدبير الجيوش وسياسة الرعية وحماية الحدود والذب عن الحرمات . وليس له ان يتعرض للقضاء ولا للأحكام ولا لجباية الحرمات ، وقد انفرد لهذه الخطط بالاندلس قضاتها الدين ...

⁽¹¹⁾

⁽⁴⁴⁾

CYPS

¹⁷⁴¹

⁽⁴⁶¹⁾

Mar

⁽⁴⁴⁾

⁽In)

⁽¹⁴⁾

^{(4.}

كانت لهم اليد الطولي والكلمة المسموعة في الدولة (٣١)، ويبدو ان عدد الوزراء من أشياخ لمتونة وصنهاجة قد كثر أيام الأمير بن تاشفين بن علي وابنه الامير ابراهيم (٣٢).

أما عن الولاة ، فقد سيطر الطابع القبلي على دولة المرابطين من الناحية الادارية ، فكان أمير المرابطين لا يعين على الولايات إلا ولاة من لمتونه بخاصة وصنهاجة (٣٣) بعامة ، فقد عين الأمير المرابطي أبو بكر بن عمر ابناء عمومته وأقاربه على الأقاليم التابعة لنفوذه ، فعين ابنه ابراهيم بن ابي بكرين عمر على سجلماسة(٣٤) ، ويوسف بن تاشفين على بلاد غمارة وفارس. وعندما اغتصب الأمير يوسف الملك من ابن عمه الأمير أبي بكر بن عمر ، ودان المغرب لسلطانه عين على ولايات دولته ولاة من بنيه وأبناء قومه، فعين سير بن أبي بكر اللمتوني على مكناسة ومكلاته وفازاز، وعسر بن سليمان السوفي على فارس وأحوازها ، وداود بن عائنشــة لى سجلماســة ودرعة ، وأبنه تميم بن يوسف بن تاشفين على مدينة مراكش وأغمات وبلاد السوس والمصامدة وتادلا (٣٥) وتامسنا، وابنه ابو بكر على سبتة ، وابن مزدلي على تلمسان ، وأبقى من دخلوا في طاعته دون قتال على ولاياتهم أمثال ، المهدي بن الجزنائي أو الكِزناِني صاحبً بلاد مكتاسة(٣٦) الذي أبقاه بعمله تخت إشراف ابن عثمه ورَّوج آخية سير بن أبي بكر اللمتوني(٣٧).

وكانت الأندلس أيام الحكم المرابطي تقسم الى ست ولايات ، أشبيلية ، وغرناطة ، وقرطبة ، وبلنسية ، وسرقسطة التي سقطت بيد الفرنجة سنة ٥٩١٢هـ / ١٩١٨م (٣٨) وكانت مدينة قرطية تتمتع في بداية الأمر بمكانة خاصة عند الأندلسيين ثم انتقل مركز الثقل الى مدينة غرناطة أيام الأمير على بن يوسف ، ونظراً لمكانة قرطبة عند

أهل الأندلس أجبر الأمير على على جعل الحاضرة مدينة قرطبة بدلاً من مدينة غرناطة، بينها اتخذ الموحدون مدينة أشبيلية مركزاً لقيادتهم في الأندلس طيلة وجودهم فيها.

وهناك نص كتبه الكاتب الوزير ابن أبي الخصال على لسان الأمير علي بن يوسف لولده تاشفين ، سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م ينص على ضم ولاية قرطبة لولده واتخاذها حاضرة له نورد منه ما يتفق مع طلب الأمير باتخاذ قرطبة حاضرة ، والاطلاع على أسلوب الكاتب الوزير بن أبي الخصال الذي يعد من كبار الكتاب ، لمهارته في صنعة الكتابة والانشاء ، وحسن اطلاعه ومعرفته في علم القرآن والحديث والأثر . ومما جاء في هذا الكتاب قوله : ـ « من أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين ، أعزه الله بتقواه ، وأمده بتوفيقه وهداه كتابنا كتب الله لك معاني ومباني الخيرات ، ومهد لك مراقى الأعمال الصالحات، من مراكش حرسها الله تعالى، لعشرة بقين من رجب الفرد سنة ست وعشرين وخمسمانة ، وقد رأينا والله نسأله الخيرة فيها نُرْتِبه ، والتوفيق في كل ما نضعه ، ان نجمع لك قرطبة وأعمالها إلى ذَلُكُ الْعَمَلُ الذي أنت فيه . فاذا وقفت على كتابنا هذا ، فنهض بنفسك على بركة الله هنــاك . واجعل قــرطبة دار سكنــاك وقرارة مثواك . وعلى مقدار ما زدناك من العمل فازدد من التيقظ لاتساع ذرعك وامتداد مسعاك. واستعن بالله في اعلانك واسرارك، وخذ من أوقات ليلك لأوقات نهارك، واجعل لنظرك حظاً من سهرك ولفكرك مستمنحاً من تدبرك ، واستظهر بحسن المشورة في مواطن الاشتباه ، فان الله سبحانه يقول لرسوله ﷺ : « وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ». واستخلف على غرناطة عند انفصالك عنها أبا محمد الزبير بن عمر ، أعزه الله بتقواه ، وألزمه من استشعارك

⁽⁴¹⁾

⁽٣٢) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأغيار المراكشية ، تحقيق ــ سهيل زكار عبد القادر زمامة ، دار الارشاد الحديثة ــ الدار البيضاء المغرب . سنة ١٩٧٨م ، ص ١٢١ ــ ١٣٥ .

⁽٣٣) سعدون نصر الله ، دولة المرابطين في المغرب والأندلس ، ص ١٦٤ .

⁽٣٤) العبادي ـ أحمد مختار ، الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين . مجلة كلية الأداب ، جامعة الاسكندرية ، ع ٢١ . س ١٩٦٧ . ص ٧٢ ـ ٧٥

⁽٣٥) الاستقصا، ج. ٢، ص ٢٧ ـ ٢٨.

٣٦١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، تحقيق ـ احسان عِباس ، دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٧ ، جـ ٤ ، ص ٢٩.

⁽٣٧) هو أبو بكر علي بن يوسف اللمتوني ، عين والياً على أشبيلية سنة ٧٥٥هـ / ١٧٣٧م ، وبقي في ولايته ثلاث سنين ثم عزل عنها واستعوض بمنصب القائد العام للجيوش المرابطة في الأندلس ، وبقي في هذا المنصب مدة سنتين ، ثم عزل وسجن لموقفه السلبي من ابيه لحرمانه من ولاية العهد واعطاءها لأخيه تاشفين وذلك سنة ٧٢٢هـ / ١٧٨٨م عنه ، راجع عبد الوهاب بن منصور ، اعِلام المغرب العربي ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

⁽٣٨) الحجي ـ عبد الرحمن ، التاريخ الأندلسي ، دار القلم ، بيروت ، دمشق ، الرياض ، الكويت ، ط (١) سنة ١٩٧٦ ، ص ٤٤٨ وما بعدها .

مراقبة الله تعالى من الذي نلزمك إياه ، واعهد اليه بشاكلة ما نعهد اليك والمستعان الله لا رب سواه »(٣٩) .

وآثر المرابطون القرابة والاصهار على غيرهم في تعيين الولاة والقادة منهم في الولايات التابعة لهم (٤٠)، ومنحهم الأمراء كثيراً من الامتيازات منها، حرية التصرف في عزل وتعيين من دونهم من الموظفين المحليين ورجال السلطة، والقيام بتجهيز الحملات العسكرية داخل ولاياتهم إما لفض الثورات والقضاء على الشغب، أو لمناجزة العدو، لكن بعضهم غالى في تصرفاته، منهم، القائد مزدًلي اللمتوني الذي أخضع مدينة تلمسان وما حولها لسلطان المرابطين بعد أن تنازل العباس بن يحيى أمير زناته عنها فعين ابنه يحيى واليا عليها سنة ٢٩٤هـ/ ٢٠٧٥م (٢٠٤)، لكن بعضهم تركوا شؤون ولاياتهم الداخلية لأهلها بسبب ظروف الحرب التي كانوا يعيشونها، من هؤلاء: محمد بن عائشة الذي ترك لأهل مدينة مرسية حق اختيار من يولى شؤون مدينتهم، مكتفيا بامارة شرق الأندلس، وقيادة من يتولى شؤون مدينتهم، مكتفيا بامارة شرق الأندلس، وقيادة الحرب أو عند توجهه الى بلنسية أو جزيرة شقر طلما لله احة العنار

وعلى الرغم من ذلك كان الولاة يخضعون لمراقبة شديدة من أمراء الدولة ، نقد عرف عن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، ومن أنى من بعده من أمراء الدولة ، بمراقبتهم الشديدة للولاة وتغييرهم إن اقتضى الأمر أو عزلهم إن لم يحسنوا السيرة مع الرعية التي كانت مصلحتها تفوق كل اعتبار عنده بدليل كثرة تركيزه على الرعية في وصاياه للولاة عند تعيينهم وحثهم على الأخذ بيد الضعيف المظلوم والضرب على يد الظالم الغشوم .

وجرت العادة ان لا يعين (أمير المسلمين) واليا إلا بعد مقابلته وسبرغوره والاطلاع على الجوانب الايجابية في شخصيته، من ذكاء وخبرة وحسن تجربة في أمور الادارة، ودليل ذلك ما قاله الأمير علي بن يوسف لابن فاطمة عند تعيينه والياً على مدينة بلنسية، قال:

« .. وانت أعرك الله ممن يستغني باشارة التذكرة ، ويكتفي بلمحتها التبصرة ، لما تأوي اليه من السياسة والتجربة » . وأوصاه بتقوى الله والتزام الحق واستخدام الرفق ليعم الخير والنفع بين أفراد الأمة ، وطالبه بنشر افمن والعدل بين الناس والضرب على أيدي المفسدين العابثين لردهم عن غِيهم .

وفي هذا يقول : _ « .. فاتخذ الحق إمامك ، وملك بده زمامك ، وأجر عليه في القوي والضعيف أحكامك ، وارفع لدعوة المظلوم حجابك ، ولا تسد في وجه المضطر المظلوم بابك .. _ الى أن يقول : _ .. ومن تثبت عليه من عمالك زيادة أو فرق في أمرها عادة ، أو غير رسها ، أو بدل حُكما ، أو أخذ لنفسه درهما ظلما فأعزله عن عمله ، وعاقبه في بدنه ، وألزمه ردهما أخذه تعديا إلى أهله .. » .

وورد في النص الذي كتبه بن أبي الخصال على لسان الأمير علي لولده تاشفين والي مدينة قرطبة ما يحمل نفس المضمون الذي ذكره في نصه المرسل لوالي مدينة بلنسية ابن فاطمة ، وكان من ضمن ما قال : م « وأول ما نوصيك به تقوى الله ، فاجعلها بردة شعارك وعلدة إضمارك الى أن يقول ... والناس كلهم سواء في أول النشأة والحال ، وانحا يتميزون بالمساعي والأعمال ، الى أن يقول : .. وان من عرم الأمور ، وحزامة التدبير ، ان يلحضوا بعين الكلاءة ... بكل سوء ومساءة . والله المستعان ، وعليه التُكلان ، لا رَبَّ غيره »(عنه) .

وعلى هذا النهج جرى الأمراء المرابطون في معاقبة الولاة أو عزلهم اذا قصروا في عملهم أو أساءوا السيرة والتصرف في ولاياتهم ، من هؤلاء ، وانون بن بكر والي الجزائر الشرقية أيام الأمير علي بن يوسف عندما أجبر الناس على ترك ثغر ميورقة وانشاء مدينة داخل الجزيرة بعيدة عن البحر عوضاً عنه لأغراض عسكرية استصوبها بعد الهجوم الذي تعرضت له الجزيرة من أساطيل المدن الإيطالية جنوة والبيزة ، لكن أهل الجزيرة رفضوا اقتراحه ، فسساءت معاملته للناس مما اضطرهم للقيام بالثورة ضده والصبض عليه وتسليمه للأمير علي بن

⁽٣٩) ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٨٧ .

⁽٤٠) الاستقصا، جد ٢، ص ٦٣.

⁽٤١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٢٩ ـ

⁽٤٢) عبد العزيز _ سالم ، مدينة مرسية ، س ١٩٦٩ ، ع ٣ ، ص ١٠ _ ١١ .

⁽٤٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٦٣ ـ ٦٤ ، سعدون ـ عباس نصر الله ، دولة المرابطين .. ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

⁽٤٤) نفسه، ص ۸۷.

يوسف بعد أخباره بما حصل ، فاستجاب الأمير علي لهم وعين بدلاً منه محمد بن غانيه سنة ٥٢٠هـ / ١٩٢٦م وأمر بارسال الوالي السابق الى الحاضرة مراكش لينظر في أمره (٤٥).

وهناك مثال آخر حدث مع ابراهيم بن يوسف بن تاشفين المعروف باسم ابن تاعيشت الذي عُين على مدينة سبتة ، ثم عزله عنها وعينه على مدينة مرسية خلفاً للقائد عبد الله بن عائشة ، الذي بقي فيها الى يوم نكبته من قبل أخيه الأمير على الذي استصفى أمواله بسبب تقصيره في أمور ولايته وما نتج عن هذا التقصير من هزيمة المسلمين في معركة كتنده (cutanda) التي خاضوها ضد الأسبان سنة في معركة كتنده (11۲۰م 13).

ورسخ أمراء الدولة في دولتهم التقاليد البدوية الصحراوية التي كانوا يزاوللنها في مواطنهم الأولى قبل تسلمهم سلطان المغرب ويسط نفوذهم على الكثير من بقاع الأندلس تمثلت في مواصفات كان لا يد من توفرها فيمن يرشح للامارة ، منها أن يكون من قبيلة لمتوئلا ومن بيت وَتَنْظَرْ (بفتح الواو والتاء والطاء وسكون الراء والنون) ، وأن يكون ذا كفاية حربية ، وأن يسير في سياسته وفق تعاليم مذهب مالك ، وأن يستعين في إدارة دولته برؤساء القبائل وكبار الفقهاء ...

ويبدر أن مضمون هذه التقاليد كان فيها السلب والايجاب ، فقد أوجدت تنافساً بين أفراد الأسرة الحاكمة من أجل الوصول الى الحكم ، شأنهم في ذلك شأن الأمويين والعباسيين والفاطميين من قبلهم ، ولعل هذا يرجع الى العصبية القبلية التي كان لها دور أساسي في اقامة الملك وتدعيم أركانه ، وفي هذا يقول ابن خلدون : ـ « .. ثم

أن الاستعانة بأولي القرابة من أهل النسب أو التربية أو الاصطناع القديم للدولة كانت أكمل ، لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقة ، فتتم المشاكلة في الاستعانة »(٤٧) .

وقد يدهد الأمراء الى نقل مفاجيء لولاتهم، إما لطول بقائهم في ولاياتهم، مثلها حصل مع والي أشبيلية أبي بكر بن علي، الذي وليها من سنة ٥١٨ ـ ٥٢٥هـ / ١١٢٤ ـ ١١٢٨م، وأمّا لأهية الولاية التي يتولاها الوالي كولاية فاس التي تأتي في المرتبة الثانية في ولايات الدولة المغربية بعد ولاية الحاضرة مراكش، ففي سنة ٥٤٩هـ / ١٩٥٤م قيام الأمير يوسف بن تاشفين بنقل واليها عبد الله بن فاطمة مناه اللمتوني الى ولاية أشبيلية بالأندلس، وإمّا لظروف تم فاطمة أو حاكمها فتدفعه الريبة والشك الي تغيير الولاة (٢٠١٠)، فالأمير يوسف بن تاشفين عندما أصيب بمرض عزل ابن الحاج عن فالأمير يوسف بن تاشفين عندما أصيب بمرض عزل ابن الحاج عن ولاية غرناطة وعين عليها بدلًا منه أبا بكر بن ابراهيم اللّمتوني .

وظهر عند الدولة المرابطة ظاهرة جديرة بالاهتمام، وهي أنّه عندما كان يتولى أمير مرابطي الحكم كان يلجأ إلى القيام بتنظيمات الدارية جديدة تقوم على عزل بعض الولاة وتولية غيرهم أو عزل معظمهم عن ولاياتهم وتحوليتهم ولايات أخرى بدلاً منها، وهذا الاجراء لم يختلف عن نهج مؤسسي الدولة أمثال أبي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين، بل هي سياسة متكاملة ينفذها الأمراء المرابطون كل حسب زمانه وظروفه، فعندما بويع أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين عزل عن ولاية قرطبة أبا عبد الله محمد بن الحاج بن يوسف بن تاشفين عزل عن ولاية قرطبة أبا عبد الله محمد بن الحاج اللمتوني ووليًّ مكانه أبا عبد الله محمد بن أبي زلفي، وفي سنة اللمتوني ووليًّ مكانه أبا عبد الله محمد بن أبي زلفي، وفي سنة

⁽٤٥) الحجي ـ عبد الرحمن ، التاريخ الأندلسي ، ص ٤٤٨ وما يعدها .

⁽٤٦) عبد الوهاب ـ بن منصور ، اعلام المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٦ ـ ٧٧ ، ابن قطان ، نظم الجمان ، ص ٨٢ حاشية رقم (٥) .

⁽٤٧) ابن خلدون ، المقدمة ط (٣) القاهرة ــ د ــ ت ، جــ ٢ ، ص ٣٦٣ .

⁽⁶A) أبو محمد عبد الله بن فاطمة من أعظم قواد المرابطين وأشهر رجالاتهم في الأندلس اشترك في الحملة التي استنقذ المرابطون فيها يلنسية بعد وفاة السيد القنبيطور إذ أنه قاد جيشاً أمد يه المقائد مزدلي وذلك سنة 60عد / 1010م، وفي سنة 40عد / 1010م، اشترك مع ابن الحاج في غزو طليطلة وطلبيرة. ثم ولي بلنسية ، وشرق الأندلس بعد ذلك واستولى في نفس السنة على مملكة بن رزين الصغيرة وفي سنة 100هـ / 1010م اشترك في فتح اقليش . وفي سنة 100هـ / 1010م عزل عن بلنسية وولي غرناطة . ثم انتقل بعد ذلك الى فاس بالمغرب عاملاً عليها في سنة 200هـ / 1010م . وفي سنة 200هـ / 1010م عاد الى الأندلس عاملاً على اشبيلية يحكمها الى أن توفي سنة 101هـ / 1010م . راجع ، محمود علي مكي وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1904م ـ 1970م ، ص 107 ـ 1000 .

⁽٥٠) تميم بن يوسف بن تاشفين أخو الأمير علي بن يوسف وئي حكم غرناطة بين سنتي ٥٠٠ ـ ٣-٥٥ هـ / ١٠٠١ ـ ١٠٠٩م ثم نقل الى ولاية تلمسان بالمغرب، وأعيد بعد ذلك الى ولاية غرناطة بالأندلس مرة أخرى فيها بين سنتي ٥١٥ و ٥١٦هـ / ١١٢١ ـ ١١٢٢م وبعدها نقل الى أشبيلية فحكمها سنة وبضعة أشهر، ثم أصبح عاملاً على قرطبة وغرناطة سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م في الموقت الذي قام به الفونسو الأول بحملته ضد الأندلس، ويبدو أن أخاه علياً عزله عن غرناطة لقلة بلائه في هذه الحملة، وفي تاريخ وفاته خلاف والا رجح أنه توفي سنة (٥٢٠)هـ / ١١٢٦م . راجع ، ابن قطان ، نظم الجمان ، ص ٩ ، حاشية رقم (١)).

على بلنسية وأعمالها في شرق الأندلس ، وولي مكانه أبا عبد الله محمد بن الحاج اللمتوني الذي كان واليا على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب لمدة ستة أشهر، وعين زوج أخته أبا بكر بن ابـراهيم ابن تيلفويت المسوفي على غرناطة (٥١) سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م ثم نقله الى سرقسطة وبلنسية الواقعتين بشرق الأندلس ، وولى أبا عبد الله محمد بن أبي بكر الِلمتوني عليقرطبة سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م بعد أن عزل محمد بن الحاج الذي جرده من جميع امتيازاته وجُدَّد حركاته ، ثم عاد وعفا عنه ، وعينه على مدينة فاس التي لم يلبث فيها إلا قليلًا ، ثم نقله الى مدينة بلنسية بالأندلس سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م ، بدلًا من واليها عبد الله بن فاطمة ، وعيَّن أبا عبد الله بن عائشة (٥٢) على مدينة مرسية بالأندلس ، وعزل أخاه ابن مزدلي عن ولاية غزناطة وعينه على مدينة تلمسان وأعمالها بالمغمرب الأوسط حيث استقر بهما . وعينًا مزدلي بن يويلنكان بن حسن بن محمد بن تورجورت الذي لم يصل في نسبه الى قبيلة لمتونة على مدينة قرطبة وغرناطة والمرية وما انضم اليها من القرى والحصون، وعانى الوالي مزدلي من الدسائس التي حاكها بعض الـوشاة الحـاسدين لــه الشيء الكثير، لكنهـا باثتُ بالفشل(٥٣). وعندما مات الأمير سير بن أبي بكر اللمتوني والي أشبيلية سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م، واستشهد الأمير مَزدَلَيّ في سَعَوكَةٍ خاضها ضد الأسبان سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م عندما كان واليـاً على غرناطة وقرطبة والمرية ، عين الأمير على ولديه مكانه ، فعين الأمير عبد الله على غرناطة ، والأمير محمد على قرطبة ، وعند استشهاد محمد بن مزدلي في معاركه ضد الأسبان عين مكانه أبا بكر يحيى بن تاشفين ، وعين بدلًا من الأمير الراحل محمد بن الحاج والي سرقسة

سنة ٥٠٨هـ / ١٩١٤م (٥٤) ، أبا بكر بن يحيى ابراهيم المعروف بابن تيلفويت .

وعين الأمير علي بن يوسف ابنه تاشفين على ولاية غرناطة والمرية واضاف اليه ولاية قرطبة بعد أن عزل عنها عبد الله بن جنونة سنة ١٩٢٥هـ / ١٩٢٩م، وعين في السنة نفسها أصغر أولاده ينتان على مدينة بلنسية بدلاً من واليها محمد بن يوسف المعروف باسم يدر، وفي سنة ٥٢٥هـ / ١٩٣٠م عين أبا محمد عبد الله بن أبي بكر على قرطبة بعد أن تنازل ابنه تاشفين عنها، وعين يحيى بن علي بن غانية على مدينة مرسية (٥٥).

وفي سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م عين ابن غانية المسوفي على الجزائر الشرقية (دانية وميورقة)، وولده تاشغين على القسم الغربي من الأندلس، وأبا بكر ابراهيم بن تافلوت المسوفي على قسمها الشرقي (٥٦).

وعرف عن الأمراء المرابطين أنهم كانوا يجتمعون بأعيان الأمة كلما سنحت لهم الفرصة ، فغي جواز الأمير علي بن يسوسف الى الأندلس سنة ٥١٣هـ / ١١١٩م لقتال ابن رذمير الأسباني الذي استولى على قلعة أيوب الواقعة في القسم الشرقي من الأندلس ، قدمت وفود أهل المنطقة للسلام عليه ، فسألهم عن أحوالهم وأحوال بلادهم والثغور فعرَّفوه بما هو حاصل (٥٧).

أما منصب صاحب الشرطة فهو من المناصب الادارية المهمة ، لكن معلوماتنا عنه قليلة فقد ذكر صاحب كتاب « التشوف » أثناء ترجمته « لابن العريف » أنه سمى بهذا الاسم نسبة إلى والده الذي

⁽٥١) ابو بكر بن ابراهيم ابن تيلفويت المسوفي ، وقد وردت عند صاحب الاستقصا بابن تاقلوت زوج أخت الأمير علي الذي ولاء على غرناطة سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م ثم عزله عنها وعين بدلاً منها على سرقسطه وبلنسية بشرق الأندلس واتخذ الأديب الحكيم محمد بن الصائغ المعروف بابن باجه وزيراً ومستشاراً له . راجع ، عبد الوهاب ـ بن منصور أعلام المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

⁽٥٢) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين أخو أمير المسلمين علي يعرف باين عائشة كان من أعظم قواد المرابطين ، كلف بمهمة إستنباب الأمن في شرق الأندلس بعد أن عاش بها القنبيطور فساداً ، ولي مرسية في أواخر القرن الخامس للهجرة ، والسنوات الأولى من القرن السادس . ويشير ابن قطان الى اشتراكه بمعركة اقليش سنة ١٠٥هـ / ١٩٠٧م . وفي سنة ٢٠٥هـ / ١١١٠م ـ يقوم من مرسية لنجدة محمد بن الحاج حامي سرقطة ، حينها العونسو المحارب ملك أرغون بالحصار ، اشترك بعده حملات منها الحملة التي انتهت بهزيمة البورت وقد انتصر فيها ابن عائشة بعد أن فقد بصره ، فاستدعاه أخوه أمير المسلمين اليه .

راجع، فرانسيسكو كوديرا « أسرة بني تاشفين » دراسات نقدية عن تاريخ الأندلس ، مجلد ٧ ، د ـ ت ، ص ١٠٥ ـ ١٠٩ .

⁽٥٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٥٦ ــ ٢٠ ـ

⁽٥٤) نفس المصدر، ص ٦٠ ـ ٦٢.

⁽٥٥) ابن قطان ، نظم الجمان ، ص ١٨١ حاشية رقم (٢) ـ

⁽٥٦) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ـ دار العلم ـ بيروت د ـ ت ، جـ ٦ ، ص ١٨٨ .

⁽٥٧) السلاوي ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٨ .

كان رئيساً لحرس الليل في مدينة طنجة ، ولما كان ابن العريف (٥٨) قد نوفي سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م ، فان وفاة والده يمكن أن تكون قد حدثت حوالي سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م ، أثناء حكم الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (٥٩) .

أما الوظائف المالية ، فيبدو أنه كان لدى المرابطين رئيس للخزانة ، الا أنه ليس ثمة معلومات عنه أو عن لقبه أو عن أسهاء من شغل في هذا المنصب ، وليس لدينا دليل لتقدير المحاصيل قبل حصدها وجني الثمار قبل قطفها من قبل موظفين مختصين يعرفون «بالخراص» (٦٠٠).

أما عن القبالات ، فكانت مرتبطة بالمتقبلين (١١) الذين شن عليهم الخليفة الموحدي حملة كبيرة عند حديثه عنهم في رسالة بعث بها الى ولاته يخبر بها ما سمعه من كثرة المغارم والمكوس التي كانت موجودة في عهد المرابطين واستبدلها بأخذ الزكوات حسب سنن الشريعة (٦٢).

ونال الفقهاء منزلة سامية عند الأمراء المرابطين، وسميت عند بعض المؤرخين بالدولة الفقهية ، بالأمير علي بن يوسف كان لأ يقطع أمراً دون مشورتهم ، وإذا عين قاضياً طلب منه أن لا يبت في حكم الأ بحضور أربعة من الفقهاء ، ولم يزل الأمر على ذلك ، اللَّهِم تُرجَعُ أمور الناس صغيرها وكبيرها ، مما أدى الى رفع شأنهم وانصراف أمور الناس اليهم ، فعظمت ثروتهم وكبر جاههم وصار الأمراء لا يقطعون أمراً دونهم ، فالأمير يوسف بن تاشفين كتب الى ولاته وقضاته في بلاد المغرب والأندلس يطلب منهم جمع المال من أبناء الأمة ليستعين به على جهاد الأسبان ، وكان من ضمنهم قاضي المرية أبو عبيد الله محمد بن يحيى المعروف بابن البراء ، اللى كلفه بفرض أتاوة على أهل

مدينة المرية عندما كان قاضياً عليها ، فامتنع القاضي ابن البراء عن فرضها لأنها غير شرعية ، فرد الأمير يوسف بأن القضاة والفقهاء عنده قد أجازوها أسوة بما فعله الخليفة عمر بن الخطاب الذي أقرها في عهده ، فرد عليه القاضي بكتاب ، طالبه فيه أن يذهب الى المسجد الجامع ويحلف أمام العلماء بان ليس عنده في بيت المال مال ينفقه عليهم ، عندها يستجيب لطلبه . وفي هذا يقول : - « فليدخل أمير المسلمين المسجد الجامع بحضرة من هناك من أهل العلم ، وليحلف أن ليس عنده في بيت مال المسلمين درهم ينفقه عليهم ، وجينئذ تجب معونته ... » . ولما وصل كتابه إلى أمير المسلمين لم يراجعه في ذلك (٢٣) .

ووجد من القضاة من زاول أعمال الحسبة مثل بن معيشة الذي أراق دنان الخمر وعاقب من يشربها . (١٤١) ، كما زاولها القاضي علي بن شطيمان حينها أحرقت أسواق مدينة فاس سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م ونهنت بعض المحلات ، فقام بالتشديد على أهل الريبة حتى أخذ منهم ما سراقو من أموال وأمتعة (٢٥) . ومع هذا لم يسلم القضاة من التشهير أو القتل ، فالقاضي ابو عبد الله بن الحاج قتل في المسجد في شيئر صفر سنئلة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م أثناء تأديته صلاة الجمعة في السجدة الأولى من الركعة الأولى ، وقتل قاتله في الحين في صحن المسجد (٢٦) ، والشاعر أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن النبي من المسجد أهل مدينة جيان بالأندلس قد شهر بالقاضي عبد الله محمد بن حمد بن قاضى قرطبة بقوله : ...

أدجَّالٌ هذا أوانُ الخروج ويا شمس لوحي من المغربِ

⁽٥٨) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطا الله الصنهاجي المعروف بابن العريف ، كان صاحب فضل وزهد في الدنيا يقصده الناس من كل ناحية ، وقد سعى به بعض الوشاة عند أمير المسلمين علي بن يوسف ، فاستدعاه الى مراكش وما أن وصلها حتى فارق الحياة في صفر سنة ٥٦٣هـ / ١٦٦٧م ودفن بالقرب من الجامع القديم الواقع في وسط المدينة مراكش في مكان يسمى بروضة القاضي موسى بن أحمد الصنهاجي ، عنه راجع ، الاستقصا ، جـ ٧ ، ص ٧٥ وما بعدها . (٥٩) هوبكنز ، النظم الاسلامية ، ص ٢٤٤ .

⁽۲۰) نفسه، ص ۲۰۱ وما بعدها.

⁽٦١) نفسه ، ص ١١٥ .

⁽٦٢) عنان ، تاريخ المرابطين ، جـ ١ ، ص ٥٥٤ وما بعدها .

⁽٣٣) السلاوي ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٥ وما يعدها .

⁽٦٤) ابن قطان ، نظم الجمان ، ص ٣٢٣ ، حاشية رقم (٢).

⁽٦٥) نفسه، ص ٢٤٦،

⁽٢٦) نفسه ، ص ٢١٧ ، حاشية رقم (٢) .

يسريد ابسن حمد يسن أن يسعنه في وصدواه أنسأى مسن الكوكسب الأ سئسل السعسرف حَلِّ إسستسه ليشببت دعواه في تسغسلب (١٧٧)

أما ولاية المظالم، فلم تسعفنا المصادر في معرفة من تولاها سوى اسحاق بن ينتان بن عمر، ولعل سبب توليته ترجع الى فراسته وقرابته من الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (١٩٠). وبعد، نستنتج مما تقدم أن أمراء الدولة كانوا حريصين على تعيين الأبناء والأقرباء والأصهار في مراكز الدولة، وأن النظام إلادارى عندهم كان نظام مركزيا يقضى بجمع السلطات بيد الأمراء القائمين على تنفيذ القرارات، حيث يصعب على ولاتهم تطبيقها دون الرجوع اليهم رغم صبغتهم العسكرية، وأن منهجيتهم الإدارية كانت قائمة على المراقبة المستمرة لولاتهم وعدم بقائهم زمناً طويلاً في مناصبهم خوفاً

من تمردهم، وأنهم لم يتوانوا في عقاب من يتهاون منهم في القيام عسرولياته، وهذا يدل على حسن ضبطهم للأمور. أما في استخدامهم للكتاب والوزراء البارزين من الأندلسيين الذين زاولوا مهنة الكتابة والوزارة في بلادهم، فقد دلَّ على حصافتهم وبعد إدراكهم، كما دلَّ حرصهم في الدفاع عن الدين وتطبيق شعائره وتقريب الفقهاء منهم والأخذ بآرائهم في سن القوانين وحسن تطبيقها، وفي الدفاع عن دار الاسلام بالجهاد المستمر ضد الأسبان لارضاء الله والأمة.

الا أننا نرى أن الكثير من المرافق الادارية لم تتضع معالمها ، ويرجع هذا _ في رأينا _ إلى قصر عمر الدولة ، والى انشغالهم في الحروب المستمرة ضد الأسبان في الأندلس لرد هجماتهم عن اخوانهم المسلمين فيها ، وقرب عهد الدولة من البداوة وابتعادها عن الألفاظ الفخمة ورغبتها في بساطة العيش .

⁽٦٧) ينتسب القاضي أبو عبد الله أبن حمدين الى تغلب ابنة وائل . راجع ، نظم الجمان ، ص ٢٥٢ وما يعدها . (٦٨) عن اسحاق . راجع ، ليفي ـ يروفنسال ، فهرس « وثائق لم تنشر من تاريخ الموحدين » ، ياريس سنة ١٩٢٨م .

⁽٢٩) هوبكنز ، النظم الاسلامية ، ص ٢٤٠ وما بعدها ، الحلل ، تحقيق ـ علوش ، الرباط سنة ١٩٣٦م ، ص ١٣ . أ

ثبت بأسهاء المصادر والمراجع

حسن ابراهيم حسن .

* تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ــ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط (١) سنة ١٩٦٧م جـ ٤ .

الحموى ـ ياقوت .

* معجم البلدان ، بيروت ١٩٧٩م ، جـ ٣ .

الحجى - عبد الرحمن .

 التاريخ الأندلسي ، ط (۱) ـ دار القلم ـ بيروت ، دمشق ، ابن عذاري المراكشي . الرياض ١٩٧٦.

ابن خلدون ـ عبد الرحمن .

القدمة ط (٣) القاهرة _ د _ ت _ ج ٢ .

 اریخ ابن خلدون ـ دار العلم ـ بیروت د ـ ك بـ بحـ ال تـ ابن الخطيب لسان الدين.

* اعمال الاعلام ، فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام _ جـ ٣ ، تحقيق ـ أحمد مختار العبادي ، محمد ابراهيم الكتاني ، ط الدار البيضاء - المغرب ١٩٦٦م .

السلاوي ، ابو العباس أحمد الناصري .

* الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب ـ الدار البيضاء _ المغرب ١٩٥٤ ، جـ ٢ .

سعدون عباس نصر الله .

* دولة المرابطين في المغرب والأندلس « دار الأندلس العربية ط (۱) بيروت ۱۹۲۷م .

سالم ـ عبد العزيز.

* مدينة المرسية ، مطبوعات دار الآثار بالاسكندرية ع (٣) سنة ١٩٦٩م.

الشنتريني ـ أبو الحسن علي بن بسام.

* الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق _ احسان عباس ، الدار العربية للكتاب _ ليبيا _ تونس ، سنة ١٩٧٧م القسم الثاني _ المجلد الأول .

طبلية _ القطب محمد .

* نظام الادارة في الاسلام ط (٢) القاهرة ـ سنة ١٩٨٥م.

﴿ البيانِ المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق _ احسان عباس، دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٧ ، م ج ٤ .

عنان ـ عبد الله .

* عصر المرابطين والموحـدين في المغرب والأنــدلس . ط (١) القاهرة سنة ١٩٦٤م ، ج. ١ .

العدوي _ ابراهيم .

* النظم الاسلامية «مقوماتها ومؤسساتها التنفيذية في صدر الاسلام والعصر الأموى » القاهرة ١٩٧٢م.

العبادي _ أحمد مختار .

* الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية الآداب_ جامعة الاسكندرية ، ع (٢١) سنة ١٩٦٧م .

ابن قطـــان .

* نظم الجمان _ تحقيق _ محمود علي مكي ، ط _ تطوان _ المغرب ـ د ـ ت .

كوديرا ـ قرانسيسكو .

* « أسرة بني تاشفين » دراسات نقدية عن تاريخ الأندلس ، مجلد ۷دت

ليفي _ بروفنسال .

- رسائل رسمية (٣) الرياط سنة ١٩٤١م، مقدمة وتحليل في
 مجلة هسبريس سنة ١٩٤١م.
 - * وثائق لم تنشر من تاريخ الموحدين ـ باريس سنة ١٩٢٨م.

مؤلف مجهول.

* الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق _ علوش _ الرباط ١٩٣٦م ، تحقيق _ سهيل زكار ، عبد القادر زمامه _ الدار البيضاء _ المغرب سنة ١٩٧٨م .

المراكشي _ عبد الواحد.

* المعجب في تلخيص أخبار المغرب ط القاهرة ١٩٤٩م، تحقيق _ محمد سعيد العربان، محمد العربي ط _ ٧ _ دار الكتاب _ الدار البيضاء _ المغرب ١٩٧٨م.

المقري _ أحمد بن محمد التلمساني .

* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق _ احسان

عباس دار صادر بيروت ۱۹۲۸ ، جـ ٤ .

أبن منصور _ عبد الوهاب .

أعلام المغرب العربي ، الرباط ١٩٧٨م ، جـ ١ .

مكى _ محمود على .

* وثائق تاریخیة جدیدة عن عصر المرابطین ، صحیفة معهد الدراسات الاسلامیة بمدرید ، سنة ۱۹۵۹ ـ ۱۹۲۰م .

مؤنس ــ حسين .

* سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية (٣) سنة ١٩٥٥م .

هوبكنـــزـب.

* النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، تعريب من أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتباب ليبيا - تونس ،

الوجود العربي في كانم في السودان الأوسط حتى القرن السابع هـ/١٣ م

د . صباح أبراهيم الشيخلي جامعة بغداد/ كلية الآداب

مصادر البحث:

ان دراسة الوجود العربي في منطقة كانم (١) في السودان الأوسط أمر شائك ومعقد، وذلك لكثرة الصعاب التي تواجه الباحث نتيجة لتداخل المسائل وتشابكها، ولقلة المادة المتاحة وبعثرتها. أما عن طبيعة المصادر المتاحة والمعلومات المتوفرة عن موضوع البحث، فلابد للباحث من الرجوع الى كتب الجغرافيين والمؤرخين العرب أمثال اليعقوبي، وابن حوقل، والبكري والادريسي، وابن بطوطة، وابن خلاون، والعمري، والقلقشندي، والقريزي وغيرهم، حيث نجدهم يشيرون الى مثل هذا الموضوع، ولكن الملاحظ أن معلوماتهم لا تكفي لرسم صورة متكاملة عن تطرب الوجود العربي في منطقة كانم، إلا أن ذلك لا يمنع من القول بأن المعلومات التي جاءت في المصنفات والمؤلفات العربية تعتبر مادة فريدة وأصيلة عن تاريخ المنطقة الوسيط.

أما المصادر المحلية التي تخص تاريخ هذه المنطقة ، فبالرغم من صعوبة الحصول عليها ، فان المتوفر منها قد غلب عليه طابع الاسطورة أو الخيال ، إلا أن ذلك لا يقف حائلًا دون استخلاص الكثير من الحقائق والصورة الحية اعتماداً عليها . تذكر من هذه المصادر «تاريخ الماي أدريس الومة وغزواته »(٢) تأليف الامام

أحمد بن فرتوا مؤرخ بلاط برنو زمن أدريس الومة ، وهذا الكتاب مكرس لنشاطات هذا الحاكم العسكرية ، وفيه معلومات مفيدة عن تاريخ منطقة كانم . ومن المصادر المحلية «ديوان سلاطين برنو »(٣) الذي ألف في بلاط سلطان برنو من قبل الشيخ سفرمة عسر بن عثمان في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، والملاحظ على هذا الكتاب أنه لم يلتزم جانب الحياد في كثير من الجوانب التي كتب عنها ، لا سيها عند مقارنته بما جاء من معلومات في الكتب العربية الرسيطة ، لذا يجب أن يكون الباحث حذراً في استخدامه .

ومن الوثائق المحلية التي يستطيع الباحث الاعتماد عليها في الكتابة عن تاريخ كانم ما يعرف بـ « المحرم » وهو مجموعة من الرسائل (ظهير أو مرسوم) احتوت على امتيازات وراثية منحت من قبل حكام كانم الى العلماء ورجال الدين المسلمين وعوائلهم ومن عت هم بصلة مقابل الخدمات التي يقدمونها . ومن الامتيازات التي تنحها هذه المحارم ، الاعفاء من الضرائب ، والاعفاء من الخدمة العسكرية وغيرها . ومن الطبيعي أن تحتفظ الأسر ذات العلاقة عمل هذه الوثائق وتسعى لتجديدها لدى حكام المنطقة المتعاقبين . وبالرغم من أن بعض هذه « المحارم » يرجع تاريخها الى وقت مبكر ، إلا أن طول تداولها قد يجعلها عرضة للتزوير في أصولها وتاريخها ، لذا

⁽١) تقع كانم الى الشمال والشمال الشرقي من بحيرة تشاد الكبرى وتعتبر ضمن حدود تشاد الحالية . وتقع بعض اجزاءها لجمهورية النيجر أيضاً وهي في عرف الكتاب العرب الوسيطين تشكل جزءاً مما عرف عندهم بالسودان الأوسط .

Waghaz Wathihi (Kano' 1930) Sudanes Memoris كما ترجمه المؤلف الذكور في كتابه Ta'rik Mai Idris قت عنوا (۲) شره بالم (London, 1967) Vol. 1, pp. 15-75.

^{2 (}٣) كان بارث H. Barth ، في رحلته في الصحراء الأفريقية والمناطق جنوبها عام ١٨٥٣ ، أول من استفاد من مخطوط هذا الكتاب. انظر : Travels, II, PP.

يجب أن يكون استخدامها بصورة حذرة (٤). ومن الجدير بالقول أن هذه الوثائق تحتوي على الكثير من المعلومات التاريخية عن منطقة كانم ، بل يمكن اعتبارها أكبر دليل على الوجود العربي الاسلامي في المنطقة موضوع البحث ، لأنها تشير الى هجرة رجالات العلم والدين العرب الى كانم (٥) وهذا ما سنحاول توضيحه فيها بعد .

صلات العرب الاولى ببلاد كانم:

لابد في البدء من القول أن كانم الواقعة في منطقة بحيرة تشاد كانت تتمتع بمرقع متميز حيث تقع على ملتقى عدة طرق تربطها شرقا بمصر، وشمالا بمناطق الشمال الافريقي والبحر المتوسط. كما تربطها بدواخل القارة الافريقية من الجنوب والغرب بطرق أخرى، وكان قسم كبير من هذه الطرق هي السبل التي أوصلت العرب الى هذه المنطقة. ولقد كان الطريق الصحراوي الذي يربط كانم بمناطق الشمال الافريقي هو الجسر الأول والأهم الذي أوصل العرب الى هذه المنطقة فهو طريق قديم ومعروف يربط شمال القارة بقلبها دوغا صعوبة، إلا طول الطريق ومصاعب الصحراء.

بدأ العرب بعد وصولهم الى شمال أفريقيا في القرن الأول للهجرة (السابع للميلاد) يتطلعون للسيطرة على الصحراء المؤدّبة الى مداخل بلاد السودان الأوسط وكانم ، وهي صحراء فزان التي كانت سبيلاً لوصول العروبة والاسلام من الشمال الى الجنوب^(۱) ففي عام ٢٧هـ/ ٦٤٢م اتجهت كتائب من الجيش العربي الداخل الى شمال أفريقيا بقيادة عمرو بن العاص الى زويلة عاصمة فزان بقيادة القائد العربي عقبة بن نافع الفهري . أعقب هذه الحملة الاستطلاعية حملة عسكرية أوسع عام ٤٢هـ/ ٢٦٦م استطاع فيها عقبة من حمل

العرب الى مناطق السودان الواقعة جنوب فزان ، وهو اقليم كوار الواقع الى الشمال من منطقة كانم (٧). وكان من نتائج هذه الحملة اخضاع القبائل الصحراوية للحكم العربي بشكل ثابت وايصال الاسلام اليهم ، وهذا ما جعل العرب معروفين لسكان الصحراء ، وفتح الطريق أمامهم للوصول بنشاطاتهم السياسية والتجارية والدينية الى تلك المناطق والمناطق الواقعة جنوبها وهي كانم .

لم تشر الكتب العربية بعد حملة عقبة بن نافع الى مناطق فزان وكوار الى أي جهد عسكري قام به العرب الى هذه المناطق ، لكننا نجد ما يشير الى أن تدفق العرب الى مناطق فزان وبلاد السودان (كانم) جنوبها قد استمر مع الأيام بفعل عوامل عديدة نحاول أن نفصلها.

التجارة والوجود العربي في كانم:

ان العلاقات التجارية بين الشمال الافريقي ومنطقة كانم (السودان الأوسط) كانت قائمة منذ القدم على الرغم من وجود صحراء لينها ، إلا أنها لم تمنع الاتصالات بين الاقليمين (٨). وقد ازداد النشاط التجاري بعد دخول العرب المسلمين الى أفريقيا ، وأصبحت المتجارة عبر الصحراء الوسيلة المهمة في تدفق العروبة والاسلام الى المناطق الواقعة جنوبا (بالأد السودان) .

ان كانم الواقعة في مركز هام لالتقاء طرق القوافل المارة عبر أفريقيا كانت قد وفرت لاسواق أفريقيا والعالم الاسلامي في العصر الوسيط ما يحتاج اليه من الرقيق المستخدم في البيوت والمزارع⁽¹⁾ أو كجند في الجيوش الاسلامية⁽¹⁾، إذ كانت تجارة الرقيق هي

J. S. Trimingh am, A History of West Africa (London, 1963), P. 110. إنظر (ل)

Bornu, Sahara and Sudan (London, 1936). اترجم بالمر عدداً من هذه المحارم في كتابيه المذكورين اعلاه (٥) ترجم بالمر Palmer عدداً من هذه المحارم في كتابيه المذكورين اعلاه (٥). Sudanes Memoirs, Vol. II (London, 1967).

كم ترجم عدداً من الرسائل العربية والمعاهدات والقصائد الشعرية العربية الخاصة بتاريخ كانم_برنو ، وسوف يكون اعتمادنا في البحث على الكتاب الثاني لبالمر .

ر؟) انظر حسين مؤنس ، فزان ودورها في انتشار الاسلام في أفريقيا ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، العدد الثالث (١٩٦٩) ص ٨٧ .

⁽٧) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب (ليدن ، ١٩٢٠) من ص ٤ ــ ١٩٥ .

R. C. C. Law, The Garamantes and trans-Saharan enterprise in Classical time", Journal of: ها عن التجارة الصحراوية في أفريقيا قبل الاسلام انظر, African History, Vol. VIII (1967), PP. 182-200.

⁽٩) أبو اسحق ابراهيم بن محمد الاصطخري ، المسالك والمعالك (القاهرة ، ١٩٦١) ، من ص ٤ ـ ٣٥ : ابو القاسم بن حوقل ، صورة الأرض (بيروت ، ١٩٣٨) ص ٦٧ . (١٠) انظر .78. J. E. P. Hopkins, Medieval Muslim Government in Barbary (London, 1958), PP. 72-3, 75, 78.

لا بد من الاشارة الى أن طبيعة تتجارة الرقيق في التاريخ العربي الاسلامي مختلفة تماماً عن تجارة الرقيق وما قام به الأوربيون من عملية استرقاق البشر في أفريقيا ، ويكفي لنا أن شبر الى أن القرآن الكريم يحوي على الكثير من التعاليم الخاصة بحسن معاملة الرقيق ، كما يعطي لهم الكثير من الفرص للتحرر .

أساس التبادل التجاري بين شمال أفريقيا وكانم(١١).

ومنذ القرن ٢ و ٣هـ/ ٨ و ٩م على أقل تقدير نجد وجوداً للتجار العرب في مناطق كانم، حيث جذبتهم تجارة الرقيق اليها، ولا سيها أن الطريق التجاري الذي يربط كانم بالشمال عبر صحراء فزان كان معروفاً وسهلاً (١٢٠). ولعل أقدم الاشارات التي وصلتنا عن النشاط التجاري العربي عبر صحاري فزان ومع مناطق السودان جنوبها كوار وكانم هي ما جاء عند اليعقوبي عند كلامه على زويلة عاصمة فزان حيث يقول:

« وراء ذلك بلد زويلة مما يلي القبلة ، وهم قوم مسلمون أباضيون كلهم يحجون البيت الحرام ، وأكثرهم رواية ويخرجون البرقيق السودان في الميريين والزغاوبين والمرويين وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منهم ، وهم يسبونهم وبلغني أن ملوك السودان يبيعون السودان من غير شيء ولا حرب ، ومن زويلة الجلود الزويلية ، وهي أرض نخل ومزروع ذرة وغيرها ، وبها اخلاط من أهل خراسان ومن البصرة والكوفة . ووراء زويلة على خس عشرة مرحلة مدينة يقال لها كوار بها قوم من المسلمين من سائر الأحياء أكثرهم يربر وهم يأتون بالسودان » [اليعقوبي ، البلدان ،

ومن نص اليعقوبي يتبين أن مدينة زويلة كانت تلعب دوراً بالغ الأهبية في تجارة الرقيق ، فهي على ما يبدو مركز لتجميع الرقيق الأسود وتصديره . مكان الرقيق كها هو واضح من النص يجلب من مناطق كانم ، فأضاف الرقيق المذكورة بالنص ، لا سيها زغاوة ، هم من سكان كانم في تلك الفترة (١٣٠). ولأجل الأهبية البالفية لتجارة من سكان كانم في تلك الفترة (١٣٠).

الرقيق خلال العصر الوسيط نرى أن زويلة أصبحت مركز استقرار للتجار العرب. ولا سيها من أهل البصرة والكوفة والأباضية من أهل الشمال الافريقي يمارسون فيها نشاطاتهم التجارية، بل أن هذه النشاطات، كها يبدو من النص المذكور أيضا، قد اتسعت جنوباً الى مناطق كوار السودانية من أجل جلب الرقيق.

منذ القرن ٣هـ/ ٩م وحتى القرن ٥هـ/ ١١م أصبحت التجارة عبر فزان تحت سيطرة الأباضية ، وقد مارس هؤلاء تجارة الرقيق مع كانم. فالدولة الرستمية الأباضية التي قامت في بلاد المغرب (في القرن ٢هـ/ ٨م) قد استخدمت طريق فزان من أجل التجارة مع بلاد السودان لا سيها تجارة الرقيق(١٤). ويبدو أن هناك صلات تجارية قديمة بين كانم وجبل نفوسة (الجبل الغربي الآن) . فالحاكم الأباضي لهذا الجبل أبو عبيد عبدالحميد الجناوي في (القرن ٣هـ/ ٨م) كان يتكلم لغة كانم بالاضافة الى معرفته بالعربية والبريرية (١٥)، ولابد أن تكون معرفة هذا الحاكم باللفة الكافية متأتية من صلات الأباضية بكانم. ويعتقد بعض الباحثين « أن العلاقة بين الأباضية في شمال أفريقيا ومناطق السودان كانت اقتصادية بآلدرجة الاولى ، أي أن التجارة كمانت الحافــز الأهم في عبور الأباضية الصحراء وتحمل المشاق ووصولهم الى السودان. يضاف الى ذلك حافز نشر الاسلام »(١٦)، كها لا ننسى أن نشير الى أن الحكومات الأباضية الصغيرة التي نشأت في مدينة زويلة حتى القرن ٥هـ/ ١١م قد وجهت اهتمامها إلى التجارة بين الشمال الافريقي وكانم عبر الصحراء »(١٧).

⁽١١) انظر ابراهيم حركات . « دور الصحراء الأفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط » . مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، السنة الثالث . العدد الأول (يناير ، ١٩٨١) . ص ٣٣ .

⁽١٢) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي ، كتاب البلدان (ليدن ، ١٨٩١) . ص ٣٤٥.

⁽١٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي (النجف ، ١٩٦٤) ، ج ١ ، من ص ٧ ـ ١٦٨ . حيث يذكر أن زغاوة هم سكان وحكام كانم .

De Motylinski, Actes de XIVe Congress International Des orientalists ابن الصغير المالكي ، ذكر بعض الأخبار في الائمة الرستميين ، نشر وتحقيق (١٤) ابن الصغير المالكي ، ذكر بعض الأخبار في الائمة الرستميين ، نشر وتحقيق (١٤) (Alger, 1905) P. 13, 48, 52.

T. Lewi cki Arabic external sources for the history of Africa to the South of Sahara (Wroclaw, على جائين كتاب: (١٥) ابو العباس الشماخي ، السير ، كها جائين كتاب: (١٥) (١٩٥), P. 9.

⁽١٦) ادريس صالح الحرير، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الاسلام هناك ». مجلة البحوث التاريخية : مركز جهاد الليبيين، السنة الخامسة، العدد الأول في (يناير، ١٩٨٣)، ص ٧٧.

B. G. Martin, "Kanem, Bornu and Fezzan Notes on the Political history of trade route", Journal of African History, Vol. x (1969). انظر (۱۷۷) P. 19.

استمر النشاط التجاري العربي مع كانم في القرن ٥هـ/ ١١م و ٦هـ/ ١٢م ، واستمرت زويلة عاصمة فزان تمارس دورها كوسيط في تجارة الرقيق بسين كانم وشمال أفريقيا(١٨). ويبدو أن حركة التجارة في فزان قد ازدهرت في القرن ٦هـ/ ١٢م حيث يشير الادريسي الى أن التجار الداخلين الى صحراء فزان وزغاوة كانوا يخرجون سنوياً الى بـلاد المغرب الأقصى بـأعداد لا تحصى من السودان ، ويذكر أن الكانميين «كصنف من الرقيق السودان »(١٩٠). ولعل السبب في ذلك يعود الى جملة من المتغيرات التي حـدثت في الشمال الافريقي منها هجرة العرب الهلالية القادمين من مصر ألى بلاد المغرب في منتصف القرن ٥هـ/ ١١م وما تبع مجيئهم من فوضى سياسية واقتصادية ، وفشل المرابطين والموحدين في السيطرة على تجارة البحر المتوسط وسيطرة المبنن الابطالية خاصة جنوة عملى التجارة فيه (٢٠). كانت حصيلة ذلك كله أن سيطرت دولة كانم على صحراء فزان وأصبحت النشاطات التجارية عبرها تحت رحمتها (١٠٠٠). إلا أن ذلك لم يمنع التجار العرب من الاستمرار في علاقاتهم التجارية مع کائم^(۲۲).

وأخيرا لابد من القول أن النشاطات التجارية العربية عبر صحراء فزان لقرون طويلة قد أوصلت العرب الى مناطق كائم، وهذا ما تؤكده احدى المخطوطات المحلية المعنونة بـ « قصة الماي أدريس » فتذكر: « أن عرب فزان كانوا يصلون الى كانم بصغة تجار يحملون البضائع منها وإليها »(٢٣). وحري بالقول أن تردد التجار العرب الطويل على مناطق كانم لابد أن يؤدي في النهاية الى استقرار مجموعات عربية واسلامية فيها. وان كنا لا نملك اشارات صريحة الى الاستقرار الدائم للتجار العرب في كانم، لكننا نرى في انتشار الاسلام في كانم، واسلام الاسرة الحاكمة فيها في القرن ٥هـ/ ١١م،

لابد أن يكون حصيلة النشاطات التجارية العربية ، لا سيما وأن البعد الجغرافي لكانم عن مراكز نشر الدعوة الاسلامية في الشمال الافريقي يجعلنا نوجه اهتمامنا الى النواحي الاقتصادية .

الهجرات العربية وأثرها في الوجود العربي في كانم:

في البدء لابد من القول أن حركتي التجارة والهجرة العربية ـ الاسلامية متشابكة ومرتبطة بعضها ببعض بل أن احداها تكمل الأخرى . فمنطقة بحيرة تشاد والتي تقع فيها كانم كانت منطقة خصبة اجتذبت اليها منذ القدم الكثير من العناصر السكانية (١٤٠) ونظراً لخلو المنطقة من العوانق الطبيعية فقد أدى ذلك الى تسهيل الهجرة البها وساعد على استقرار كثير من المجموعات البشرية فيها ومن ضمتهم العرب . وقد شهدت منطقة كانم سيلاً من الهجرات لم ينقطع من ناحية الشمال (بلاد المغرب) ومن ناحية الشرق وأقريقها الشمالية في القرن ١هـ/ ٧م . وسوف نحاول فيها يلي وأقريقها الشمالية في القرن ١هـ/ ٧م . وسوف نحاول فيها يلي أول وجود للهرب في كانم يرجع الى عام ٢٤هـ/ ٢٦٧م وهي السنة أول وجود للهرب في كانم يرجع الى عام ٢٦هـ/ ٢٦٧م وهي السنة أقليم كوار ، وأن الطريق الذي سلكه عقبة وأتباعه كان يربط كانم بمناطق طرابلس في بلاد المغرب وعبر صحراء فزان .

كانت أسباب دخول العرب الى كانم متنوعة ، فبالاضافة الى العامل التجاري في توغل العرب الى الصحراء ومناطق السودان جنوباً كها فصلنا سابقاً ، فإن العوامل السياسية والبشرية والدينية قد ساهت في تدفق العناصر العربية الى مناطق كانم .

⁽١٨) أبو عبيد البكري ، المقرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب (الجزائر ، ١٨٥٦) ، ص ١١ : مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجانب الأمصار ، نشره سعد زغلول عبد الحميد (الاسكندرية ، ١٩٥٨) ، ص ١٤٩ .

⁽١٩) الشريف الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية ، نشره هنري بيريس (الجزائر ، ١٩٥٧) ، ص ١٣ ، ٢٠ .

⁽٢٠) انظر عز الذين موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري (القاهرة ، ١٩٨٣) ، ص ٣٤٧ .

⁽٢١) أبي الحسن علي بن موسى ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافية ، محقيق اسماعيل العربي (ببروت ، ١٩٧٠) ، ص ٩٥ .

⁽۲۲) عبد الرحمن بن خلدون ، تاریخ العبر (بیروت ، ۱۹۵۹) ، ج ۲ ، ص ۲۱۲ ، ج ۷ ، ص ۱۰۸ .

Palmer, Sudanes memoirs, Vol. II, P. 43. (YY)

⁽٣٤) من العناصر البشرية التي قدمت الى مناطق كانم الفلانيين والصو الذين يحتمل أن يكونوا من أصل نيلوتي (من حوض النيل) والكاتمبو وهم خليط من الصو والبربر والكانوري وهم خليط من العرب والزنوج والبربر ، يضاف الى ذلك الجماعات العربية .

فبالنسبة الى العامل السياسي ، تلاحظ أن الأحداث السياسية في الدولة العربية الاسلامية قد دفعت بعض العناصر العربية الى الهجرة الى بلاد السودان ومنها كانم ، باعتبارها مناطق نائية بعيدة عن نفوذ السلطة المركزية . وتأكد لنا مخطوطة محلية بعنوان « وسط أفريقيا » دور العامل السياسي في الهجرة من شمال أفريقيا إلى كانم حيث نشير الى أن أعداداً كبيرة من البشر جاءوا الى السودان الأوسط من شمال أفريقيا بعد التغيرات والحروب الكثيرة التي حدثت فيها(٢٥).

ويبدو أن الخوارج الأباضية كانوا من بين أول وأكثر المجموعات التي أجرتها الظروف السياسية على ترك الشمال (بلاد المغرب) والهجرة جنوباً الى الصحراء وبلاد السودان. ومن الملاحظ أن عقيدة الخوارج الأباضية قد انتشرت في بلاد المغرب مثذ القرن ٢هـ/ ٨م ، ونتيجة الفوضى السياسية التي أشاعتها في المنطقة ، قامت الدولة العباسية بالتصدي لها ، وقد تم اندحار الخوارج الأباضية سياسياً في طبرابلس والقيروان عبلي يد الحباكم العبناسي محمند بن الأشعث الخزاعي (١٤٤ ـ ١٤٨هـ)(٢٦).

كانت نتيجة هذا الفشل السياسي للأباضية في الشمال أن انسحبت مجموعات منهم الى الصحىراء واستقرت في منايينة زويلة (عاصمة فنزان) وكان يترأس هؤلاء الأباضية شخص يسمى عبدالله بن حيان الأباضي ، وقد وجمه ابن الأشعت عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م حملة الى فزان لقمع حركة الأباضية هؤلاء فيها(٢٧). ومن الجماعات الأباضية التي استقرت في فزان في القرن ٤هـ/ ١٠م شخص يدعى عبدالله بن خطاب الهواري الأباضي . وقد استطاع هو وبنو عمه أن يؤسس له حكومة صغيرة في عام ٣٠٦هـ/ ٩١٨م في مدينة زويلة^(٢٨).

كما يجب أن نشير الى أن الدولة الرستمية الأباضية في تاهرت في

الشمال الافريقي ، كانت لها علاقات وطيدة مع الصحراء والمناطق الواقعة جنوبها ومن ضمنها كانم(٢٩). وظل نفوذ الأباضية في صحراء فزان طوال القرن ٤ و ٥هـ/ ١٠ و ١١م ، وكانت لهم السيطرة على الطريق الصحراوي الذي يربط كانم بالشمال الافريقي عنبر فزان (٣٠). ولابد أن الوجود الأباضى الطويسل في صحراء فسزان قد ساعد على تسرب العناصر العربية إلى الجنوب حيث كانم . وإن كنا لا غلك في المصادر العربية الوسيطة اشارة ألى ذلك ، فأن المصادر المحلية قد ذكرت ذلك بصورة صريحة. ففي مخطوطة «وسط أفريقيا » نجد العبارة الآتية : ان القبائل العربية قد جاءت الى وسط أفريقيا أيام حكم الأباضية »^(٣١).

ومن الجماعات التي هاجرت الى مناطق كانم بفعل الظروف السياسية الأمويون حيث يذكر البكري أن أهل كانم « يزعمون أن هناك قوماً من بني أمية صاروا اليهم عند محنتهم بالعباسيين وهم على ري العرب وأحوالهم » [البكري ، المسالك والممالك ، ص ١١].

وبالرغم من أن البكري في القرن ٥هـ/ ١١م قد عرض للوجود العربي في كانم بصيغة الشك، وهذا ناتج على ما نعتقد الى عـدم زبارته الى منطقة كانم ومشاهدته للعرب بعينه . لكن هذا النص يَعتبر تطوراً خطيراً في قضية الوجود العربي في كانم فهذه المرة الاولى التي يشير فيها كاتب عربي الى استقرار العرب في المنطقة ، ويشبه هذا ما جاء في المصادر المحلية في كانم التي تربط نسب الأسر الحاكمة فيها بالأمويين(٣٢).

أما فيها يخص العامل البشرى في الهجرة الى مناطق كانم، فلعل الزيادة السكانية التي حصلت في شمال أفريقيا، لا سيها في القرن ٥هـ/ ١١م ، قد أدت الى اندفاع الكثير من العناصر البشرية جنوباً الى الصحراء وبلاد السودان. ففي منتصف القرن المذكور اندفعت

Palmer, Sudanes mamoirs, Vol. II, P. 54. (Yo)

⁽٢٦) للتفاصيل انظر : أبو زكريا يحيى بن أبي بكر ، كتاب سير الأثمة وأخبارهم ، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي (الجزائر ، ١٩٧٩) ، من ص ٤ ــ ٤٦ .

⁽٣٧) انظر عن ذلك ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في اجبار الأندلس والمغرب (ببيروت ، ١٩٦٧) ، ج ١ ، ص ٧٣.

⁽٢٨) الادريس ، المصدر السابق ، ص ٢٤.

⁽٢٩) انظر الحرير ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

Martin, op. cit, P. 19. (.)

Palmer, Sudanes memoirs, Vol. II, P. 54. (٣\)

Ibid, Vol. 1, P. 6, 8. (*Y)

القبائل العربية الهلالية (المستقرة في الحوف الشرقي من مصر منذ القرن ٢هـ/ ٨م) الى بلاد المغرب وبأعداد كبيرة جداً ، منتشرة في كل مكان من الشمال الافريقي والصحراء (٢٣٠).

وفيها يخص الصحراء ، وهو الذي يهمنا ، باعتبارها المنفذ الى بلاد السودان وجنوبها فان النصوص العربية التي بين أيدينا تثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك بأن العرب الهلالية قد انتشروا في صحاري المغرب وأولها صحاري فزان ، التي تحد كانم من الشمال ، ويبدو أن أعداد العرب الهلالية التي تسربت من الشمال الى فزان كانت كبيرة بحيث العرب الهلالية التي تسربت من الشمال الى فزان كانت كبيرة بحيث سيطرت على كل الصحراء ، وفي هذا يقول الادريسى :

« مدينة زويلة مدينة صغيرة وبهة أسواقى ومنها يدخل من بلاد السوداث ، والمسافرون يأتونها بأمتعة من جهاتها وجمل من أمور يحتاج اليها والعرب تجول في أرضها وتضر بأهلها قدر الطاعة ... وكل هذه الأراضي التي ذكرناها ملك بأيدي العرب ... ولا الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ص ٢ ــ ١٣٣].

ويبدو أن العرب الذين انتشروا في صحراء فزان بعد القرن هد/ ١١م بدأوا ينافسون سكان المنطقة على عناصر الحياة فيها وهو المآء والكلأ، مما أدى الى اندفاع سكان فزان جنوباً الى مناطق إلىسودان وفي هذا يخبرنا ابن سعيد المغربي:

« بلاد كوار هم سودان مسلمون ... وفي شرقي كوار بحيرة السول وكثيرا منا كانت تقع الفتن بين سكان كوار ، وبرابرة الصحراء وأعراب فزان على هاتين البحيرتين » (بحيرة كوار ويحيرة سول) [ابن سعيد ، الجغرافية ، ص ١٩٤].

كما نجد في « محرم تودا » الذي نشره بالمر Palmer الى أن العناصر الفنزانية وصلت الى منساطق كوار . ويـذكر منهم بنـو مختار حيث

استقروا في هذه المنطقة (٢٤١)، ويبدو أن نتائج وصول العرب المسلمين الى مناطق كوار السودانية قد ظهرت واضحة في القرن ١٥٨ / ١٥٦ إذ نجد أن سكان هذه المنطقة قد أصبحوا مسلمين « وقد تخلق أهل كوار بأخلاق البيض في لبس الصوف والقطن والبرود »(٢٥١)، وهذا دليل على تبني المنطقة للسمات الحضارية العربية الاسلامية :

والأهم من ذلك كله هو أن الموجود العربي في مناطق فنزان والسودان جثوبها بعد القرن ٥هـ/ ١١م يعني بالتأكيد الوجود العربي في مناطق كانم. فالمصادر المحلية في السودان الأوسط تؤكد لنا أن هناك صلات قوية بين عرب فزان وأهل كانم (٣٦). كما أن نشائج الوجود العربي في السودان الأوسط جاءت حاسمة فقد أعلنت مملكة كانم اسلامها في القرن ٥هـ/ ١١م، وهذا ما سنفصله فيها بعد.

الى جانب الهجرات الجماعية العربية ، لابد أن نشير الى أن هناك هجرات فرادية أيضاً الى منطقة كانم ، إذ قام الكثير من العلماء ورجال الدين العرب برحلات الى بلاد السودان ومن ضمنها كانم من أجل نشر الدين الاسلامي . وهو الهدف السامي الذي خرج العرب من أجله من جزيرتهم . ومن المصادر المحلية المسماة «المحارم» ما يؤكد هجرة واستقرار هذه الطبقة من الناس في كانم . ففي المحرم الحاص بأسرة مسبارمة ، نجد أن الشيخ الحكيم محمد مسبارمة بن عثمان الحميري ، كان قد عبر البحر الأجر من اليمن الى أفريقيا واستقر في كانم أيام الماي علي (ت ١٥٠٣م) وقد قربه هذا الحاكم وأصبح وزيره ولازمه ليل نهار ، كما يذكر المحرم أن عالماً عربيا آخر جاء الى الماي علي وهو أحمد بن بشير واستقر في منطقة كانم (٢٧٠). كما هاجر بعض علماء المالكية من مصر واستقروا في كانم ، ويبدو أن طابحود هؤلاء العلماء الأثير الكبير في انتشار المذهب المالكي في ليوجود هؤلاء العلماء الأثير الكبير في انتشار المذهب المالكي في كانم (٢٨) والمتتبع للهجرات العربية الى مناطق السودان الأوسط كانم (٢٨)

Arab Military and Com- : عن أسباب قدوم العرب الهلالية واتشارهم في يلاد المغرب والصحراء لاحظ الفصل الثاني من أطروحة الباحثة غير المنشورة بعنوان الممالية واتشارهم في يلاد المغرب والصحراء لاحظ الفصل الثاني من أطروحة الباحثة غير المنشورة بعنوان mercial Penetration in the Maghrib and its sahara... (Manchester university, 1981).

انظر أيضاً : د. راضي دغفوس ، العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال وينو سليم من مصر ، المؤرخ العربي ، العدد ٢٠ (١٩٨١) . من ص ١٣ ــ ٤٥ . Palmer, op. cit, Vol. III, P. 5. (٣٤)

⁽٣٥) أبن سعيد، المصدر السابق ، ص ١١٤.

⁽٣٦) انظر مخطوط و قصة الماي درمانة الديبالي أبو زوجة أمر بلاله ۽ .3-42 Palmer, op. cit, Vol. II, PP. 42-3

Ibid, Vol. III, pp. 16-7. (YY)

⁽٣٨) ابراهيم صالح بن يونس ، تاريخ الاسلام وحياة العرب في أمبراطورية كانم ـ يرفو (الخرطوم ، ١٩٧٠) ص ٥٨ : انظر أيضاً : . Trimingham, op. cit, p. 115.

بلاحظ استمرارية هذه الهجرات سواء كانت جماعية أو فرادية ، وهذا ما يؤكد قضية الوجود العربي في منطقة كانم .

مظاهر الوجود العربي ـ الاسلامي في كانم:

لدراسة موضوع الوجود العربي في كانم، لابد من معرفة أمرين: أولها انتشار الاسلام في كانم، وثانيها الاسرة الحاكمة المسلمة في كانم والنسب العربي الذي حملته، وكلاهما خير دليل على الوجود العربي في هذه المنطقة.

إذا كان تأثير الاسلام في كانم قد بدأ مبكراً منذ القرن ١هـ/ ٧م بفعل الاتصال العربي بالمنطقة ، فان انتشار الاسلام الواسع المنظم حدث في القرن ٥هـ/ ١١م وما بعده ، حيث قام حكم اسلامي في كانم ، أما قبل ذلك فقد كانت المنطقة خاضعة لحكم وثني بزعاسة زغاوة .

فيها بخص زغاوة فأخبارها كثيرة وغامضة ، وهم على ما يبدو بدو السودان (٢٩) الذين كانوا يسكنون شرقي السودان النيلي (الى الشمال من دارفور) ولعلهم هاجروا في بداية القرن ٢٩٠/ ٨م غرباً وانتشروا في مساحة رحبة تمتد من دارفور حتى بحيرة تشياد وكوار (٢٩) والى قبيلة زغاوة يرجع تأسيس مملكة كانم . وأول من أشار الى ذلك هو اليعقوبي في القرن ٣هـ/ ٩م ، حيث وصف زغاوة بأنهم سكان وحكام كانم (٢١). وبشهادة من المهلبي نجد أن زغاوة كانوا دائياً في المنطقة الواقعة الى الشرق من بحيرة تشاد وأن ملكتهم من ممالك السودان العظيمة تهيمن على منطقة واسعة (٢٤). والذي يهمنا من شأن زغاوة هو حقيقة عدم توسع انتشار الاسلام ونشوء مملكة اسلامية في منطقة كانم مادامت زغاوة تسيطر على المنطقة ، ويمكن أن نفسر ذلك بالصورة التالية . أن الوجود العربي في المنطقة ، ويمكن أن نفسر ذلك بالصورة التالية . أن الوجود العربي في

منطقة كانم خلال حكم زغاوة كان مؤقتاً ، فالقادمون العرب ومعظمهم من التجار لم يقيموا طويلا ، لأن تواجدهم واستقرارهم ، كما أشرنا سابقا ، كان في زوبلة المركز التجاري الهام في صحراء فزان وفي كوار السودانية ، كما أن بُعد كانم وانعزالها عن عراكز الدعوة الاسلامية في الشمال الافريقي قد ساعد حكام زغاوة في فرض نظام يقوم على معتقد وثني يقدس الملك . ويعطينا المهلبي بعض التفاصيل عن هذا الموضوع نقتبس منها قوله :

« ومملكة زغاوة عظيمة من ممالك السودان، وهم يعظمونه (ملكهم) ويعبدونه من دون الله ويتوهبون أنه لا يأكل الطعام. وديانتهم عبادة ملوكهم يعتقدون أنهم يحيون ويميتون ويمرضون ويصحون ... »(٤٣)،

إذن النظام السياسي في كانم كان يحول دون توسع انتشار الإسلام، فلابد من تغير سياسي، وهذا ما حدث في القرن ٥هـ/ ١٤٩٠. فقد تولى مقاليد الحكم في كانم أسرة مسلمة وزال حكم زغاوم. كما ارتبط صعود الاسرة المسلمة في كانم بانتشار واسع للاسلام في المنطقة. فالبكري الذي كتب كتابه في النصف الثاني من القرن ٥هـ/ ١١م لم يذكر زغاوة، لكنه أشار الى أن أهل كانوا لازالوا وثنيين (٤٤٠). والاشارة الاولى عن تغير نظام الحكم في كانم جاءت من الادريسي القرن ٦هـ/ ١١م فقد أشار الى وجود زغاوة خارج كانم وعن صلات بين زغاوة وكانم، ولكنه لم يذكر شيئاً عن الوضع الديني في المنطقة (٤٠٥). أما ابن سعيد في القرن ٧هـ/ ١١م فقد سجل بصورة صريحة وجود حاكم مسلم في كانم يعمل على نشر الاسلام، فهو يقول:

« ومن مدن الكانم المشهورة مانان ... وفي شرقها وجنوبها قاعدة الكانم جيمى ... وفيها سلطان كانم المشهور بالجهاد وأفعال الخير،

⁽٣٩) جعل ابن خلدون الزغاوة من الطوارق الملثمين سكان الصحراء (تاريخ ج ٦ ، ص ١٦٨) ، ويبدو انهم جمعوا بين الصفات الزنجية والحامية. مكان الصحراء (تاريخ ج ٦ ، ص ١٦٨) . ويبدو انهم جمعوا بين الصفات الزنجية والحامية مكان الصحراء (تاريخ ج ٢ ، ص ١٦٨)

⁽٤٠) انظر ايضاً ابراهيم طرخان ، امبراطورية البرنو الاسلامية (القاهرة ، ١٩٧٥) ، من ص ٦_٧٧ .

⁽٤١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ١ ، من ص ٧__١٦٨.

⁽٤٢) ياقوت الحمدي ، معجم البلدان (بيروت ، ١٩٥٧) . م ٣ . ص ١٤٢ .

⁽٤٣) الحموي ، المصدر نفسه ، م ٣ ، ص ١٤٢ .

⁽٤٤) البكري ، المصدر السابق ، ص ١١ .

⁽٤٥) الادريس ، المصدر السابق ، من ص ٢-١٣.

محمدي من ولد سيف بن ذي يزن . وكانت قاعدة جدوده الكفرة قبل أن يسلموا مدينة مانان ثم أسلم جده الرابع على يد فقهاء الاسلام في بلد كانم » [ابن سعيد ، الجغرافية ، ص ٩٥] .

وبهذا يكون ابن سعيد قد ربط اسلام كانم باسلام ملكها. وهكذا نجد من قراءتنا للمصادر العربية الوسيطة ، لا سيها الجغرافية منها ، ان القرن ٥هـ/ ١٩م قد شهد تغيرات هامة كان لها علاقة بتوسع انتشار الاسلام ، وتحول زغاوة من طبقة حاكمة ، حيث فقدت امتيازاتها ، إلى مجموعة بشرية تعيش في منطقة محدودة الى الشرق من كانم ، كها حدد ذلك الادريسي (٤٦).

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا ما الذي حدث في القرن ٥هـ/ ١١م وأدى الى صعود ملك مسلم الى السلطة وزوال نغوذ زغاوة ؟ إن الصعوبة التي تواجهنا في الاجابة عن هذا السؤال تكمن في عدم معرفتنا بالظروف التي أحاطت اعتلاء أول حاكم مسلم للسلطة في كانم . هل تسلم الحكم من سلفه الوثني عن طريق الارث أو عن طريق القوة ؟ وهل كان مسلماً قبل أن يتسلم السلطة أم أسلم بعد ذلك،

إذا عدنا الى ما جاء في « ديوان سلاطين برنبو ﴿ وَهُو الْمَوْيَقَةُ الرسميةُ الخَاصةُ بِالأَسرةُ المُسلمةُ التي حكمتُ كَانَمُ (الأُسرَةُ السيفيةُ) نجدها لم تدون أحداث هذا العصر مع قربه منها ، واكتفت بالاشارة الى انتقال الحكم الى « بني حماي حماة الاسلام » (٧٤).

على أية حال فلابد أن هناك جملة عوامل أدت الى وصول أسرة مسلمة الى الحكم في كانم، وهي كما نعتقد عوامل دينية وسياسية واقتصادية. فإذا رجعنا الى قضية الوجود العربي الطويل في كانم نجده بالتأكيد مسؤولًا عن التغير الذي حدث في المنطقة في القرن هد/ ١٨م. فكل النصوص التي بين أيدينا تؤكد أن العرب ـ

المسلمين المستقرين في كانم كانوا المسؤولين عن الانتشار الواسخ للاسلام في كانم وصعود ملك مسلم الى السلطة وتفرق أتباع النظاء القديم . فإذا كان البكري قد اكتفى بالإشارة الى وجود عرب أمويين في كانم ، كما أشرنا أعلاه ، فإن العمري يعتبر هؤلاء مسؤولين عن انتشار الاسلام في المنطقة بقوله : « إن الاسلام انتشر في كانم على يوشخص يسدعى الحادي العثماني ، ادعى أنه من ولد عثمان بن عفان »(٤٨).

ومن النصوص المعاصرة لأحداث التغير في كانم نجد في كتاب «الاستبصار » تحديداً لزمن انتشار الاسلام في كانم بعام ٥٠هـ(٤٩) وربما ينطبق هذا مع ما جاء في المخطوط القديم الذي حصل عليه ابراهيم صالح بن يونس والذي يحدد تاريخ ٤٨٠هـ سنة لوصول أول ملك مسلم وهو أومي أو حومي الى السلطة (٥٠٠). ويبدو أن أحداث هذه الفترة كانت حاسمة في نشر الاسلام وترسيخه في منطقة كانم حيث نجد أن اسلام حكام كانم قد تبعه جهادهم في سبيل نشره بصورة واسعة وهذا ما يشير اليه ابن سعيد في القرن ٧هـ/ ١٣٨

«سلطان الكاتم المشهور بالجهاد وأفعال الخير ، محمدي من ولد سيف بن ذي يزن ، وكانت قاعدة جدوده الكفرة قبل أن يسلموا مدينة مانان ثم أسلم منهم جده الرابع على يد فقهاء الاسلام في بلد الكانم . ولهذا السلطان هناك مثل سلطنة تجوه ومملكة كوار ومملكة فزان وقد أيده الله وكثر نسله وعساكره . والثياب تحمل اليه من الحضرة التونسية وعنده الفقهاء » [ابن سعيد ، الجغرافية ، ص ٩٥] .

⁽٤٦) وصف الحريقيا، ص ١٣.

D. Lange, "Proges de L'islam et changement Politique au kanem", Journal of African History, XIX, 4 (1977), p. 501. (LY)

ويرجع Lange عدم تدوين أحداث القرن ٥هـ / ١١م في الديوان الى تحزب كتابة الى الأسرة الحاكمة السيفية ، التي لم تسمح لهم بتسجيل أحداث سابقة على أكثر احتمال .

⁽٤٨) العمري ، المالك والممالك ، نقلًا عن طرحان ، اميراطورية البرنو ، ص ٧٥ ، انظر أيضاً : Trimingham, op. cit, p. 115

هناك مخطوطة عربية ترجع كتابتها الى القرن ١٧م عثر عليها الفرنسي دوميزيير في تمبكتو تقول : أن أربعة جنود من جيش عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي جاءوا من اليمن الى مناطق السودان الأوسط وأسسوا أسرة مالكة في المنطقة . طرحان ، المصدر السابق ، ص ٦٦ . ومن المحتمل أن هؤلاء قد اختلطوا بسكان المنطقة وتوسع نفوذهم فيها . (٩٩) مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص ١٤٦ .

⁽٥٠) تاريخ الاسلام ، ص ٦٦ .

في كانم اشارات تثبت أن العلماء والفقهاء العرب ـ المسلمين كانوا السبب في انتشار الاسلام وإسلام الاسرة الحاكمة في كانم . فقد جاء في احدى المحارم «محرم الامام جلمي » أث الفقيه محمد بن مانن الذي عاش في كانم في القرن ٥هـ/ ١١م هو الذي نشر الاسلام في المنطقة (٥١). كما تؤكد هذه المحارم أن العلماء العرب أصبحوا هم وزراء لحكام كانم المسلمين أو من مقربيهم (٥١). وهكذا يمكن القول أن العرب - المسلمين المستقرين في كانم قد عملوا على اضعاف النظام الديني الوثني الذي فرضته زغاوة في المنطقة وساعدوا على انهياره بارتقاء حاكم مسلم للسلطة في كانم .

ويبدو أن الفترة الحاسمة في حياة كانم (القرن ٥هـ/ ١٩م) قد شهدت ضعفاً في النظام السياسي لزغاوة ودليلنا على ذلك ما جاء في «ديوان سلاطين برنو» أن آخر ملوك زغاوة مات وهو يقاتل في مكان يدعى زيلا (في فزان) في منتصف القرن المذكور (١٥٥). وبالرغم من أننا لا نملك أية اشارة عن ظروف موته ، لكننا نستطيع أن نفترض بأنه مات وهو يحارب سكان فزان من العرب الهلالية ، إذ شهدت بأنه مات وهو يحارب سكان فزان من العرب الهلالية في المنطقة وهيمنتهم عليها (١٥٥) ، بل انهم بالتأكيد بدأوا يشكلون خطراً على مصالح زغاوة التجارية في فزان التي كانت تحتل موقعاً مهماً في تجارد كانم مع الشمال . ومما يؤكد قولنا أننا نلاحظ أن الصراع على فزان كانم مع الشمال . ومما يؤكد قولنا أننا نلاحظ أن الصراع على فزان الستمر بين حكام كانم وسكان فزان حتى بعد زوال حكم زغاوة الوثني ، فالاسرة المسلمة في كانم قد دخلت في صراع طويل من أجل السيطرة على فزان تحت سيطرتها في القرن لاهـ/ ١٩٣ م (١٥٥).

وهكذا نجد أن ظروف القرن ٥هـ/ ١١م ، ولا سيها الوجود العربي

الهلالي في فزان ، قد أضعف بلا ريب نظام زغاوة وساعد على وصول أول حاكم مسلم الى السلطة ، كما ساعدت الظروف الاقتصادية في ذلك أيضا . فنظام زغاوة الوثني كان يعتمد في اقتصادياته على تجارة الرقيق ، وكان الحاكم الزغاوي يعمل جاهداً على استمرار هذه التجارة مع الشمال ، ولذا نجده لا يتورع في ارسال رعاياه رقيقاً الى الشمال ، كما يعمل غيره من ملوك السودان ، وفي هذا يقول البعقوبي وهو يتكلم عن تجارة الرقيق في زويلة :

« وبلغني أن ملوك السودان يبيعون السودان من غير شيء ولا حرب » [اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٥] .

ومن المؤكد أن المبادىء الاسلامية التي وصلت كانم منذ وقت مبكر قد عرفت سكانها السودانيين على استحالة استقراء المسلم. وبمعنى آخر أن الوجود الاسلامى في كانم كان قد خلق عقبات أمام تجارة الرقيق التي يعتمد عليها نظام الحكم الوثني في زغاوة . يضاف ألى ذلك أن الوضع الاقتصادي في الشمال الافريقي كان مرتبكاً في النصف الثاني من القرن ٥هـ/ ١١م بسبب الهجرة الهلالية الى بلاد المغرب وما نتج عنها من أنهيار النظام السياسي (حكم آل زيري)(١٥٥١ و الله أن يؤثر بصورة ما على النشاط الاقتصادي لكانم، حيث قلَّ الطلب على الرقيق، في هذه الفترة على الأقل، في الشمال . وعلى ذلك فقد تبرك الأمر أثره على مملكة زغاوة التي ارتبطت مصالحها الاقتصادية بالشمال واعتمدت على تجارة الرقيق في اقتصادياتها . كل هذه الظروف لابد أن تكون قد ساهت في وصول أسرة مسلمة الى السلطة في كانم في النصف الثاني من القرن ٥هـ/ ١١م . والشيء الذي يهمنا في شأن هذه الأسرة ، والذي يرتبط بقضية الوجود العربي في كانم، هو النسب العربي الذي حملته هذه الأسرق.

Palmer, op. cit, Vol. III, p. 3. (6\)

Ibid, Vol. III, p. 16-7. (01)

Lange, op. cit, p. 503. (07)

⁽٥٤) انظر عن ذلك الادريسي ، المصدر السابق ، من ص ٢ - ١٣٣.

⁽۵۵) انظر . Palmer, op. cit, Vol. II, p. 39, 42, 33

⁽٥٦) ابن سعيد، المصدر السابق، ص ٩٥.

M. Brett, "Afriqiya as a market for Saharan trade from the tenth to twelf th, century", Journal of : عن آثار الهجرة الهلالية المختلفة انظر African History, Vol. X (1969), pp. 347-64.

إن أول اشارة وصلت الينا عن أصل الاسرة الحاكمة في كانم جاءت في القرن ٧هـ/ ١٣م حيث ذكر ابن سعيد أن سلطان كانم محمدي من ولد سيف بن ذي يزن . وسيف بن ذي يزن هو أحد ملوك اليمن قبل الاسلام ، عربي حميري . وقد أكد لنا القلقشندي في القرن ٨هـ/ ١٤م هذا النسب عندما سجل رسالة أحد ملوك كانم وهو الماي عثمان بن ادريس (١٣٩٢ ـ ١٤٢٤م) الى برقوق سلطان مصر المملوكي ، حيث يشكو فيها الأول من اعتداءات عرب جذام على بلاده ويقول : انه من « بنو سيف بن ذي يزن والد قبيلتنا » بلاده ويقول : انه من « بنو سيف بن ذي يزن والد قبيلتنا »

ويبدو من تصفح وثائق ورسائل ملوك كانم، والكتب التي أرخها مؤرخوهم، انتساب ملوك كانم الى السيفين الحميرين، وأن سلسلة نسبهم ترجعهم الى سيف بن ذي يرن بساعتباره جدهم وأول ملوكهم (٥٨).

ان التحقيق في النسب السيفي الحميري للاسرة الحاكمة في كانم من الأمور الصعبة جداً ، ولا سيها ونحن لا نملك أي اشارة في الكتب العربية الى هجرة يمنية الى منطقة كانم . أما المخطوطات المحلية فإنها تشير باصرار الى أن أسرة سيف بن ذي يزن قد توكت اليمن الى افريقيا ووصلت الى كانم (٥٩٠). بل أن هذه المصادر تدهب الى أن الاسرة الحاكمة في كانم كانت تحمل النسب الحميري منذ أن كانت وثنية أي أنها أعطت لزغاوة النسب الحميري العربي أيضا . أن عدم وجود أدلة أخرى غير المصادر المحلية عن النسب اليمني لملوك كانم وجود أدلة أخرى غير المصادر المحلية عن النسب اليمني لملوك كانم هذا النسب بين حكام كانم أنفسهم . فنلاحظ أن أحد ملوك كانم وهو الماي عثمان بن أدريس في القرن ٩هـ/ ١٥٥ (وهو الملك الشالث والثلاثون في سلسلة مايات برنو) يذكر في رسالة بعث بها الى أحد ملوك الدولة الظاهرية في مصر (برقوق) انه من ذرية سيف بن ذي

يزن وانه قريشي . وهذا خلط واضح في النسب يستنكره القلقشندي الذي سجل هذه الرسالة بقوله :

« وقد وصل كتاب ملك البرنو في أواخر الدولة الظاهرية (برقوق) يذكر فيه انه من ذرية سيف بن ذي يزن إلا أنه لم يحقق النسب فذكر انه من قريش وهو غلط منهم فإن سيف بن ذي يزن في أعقاب تبابعة اليمن من حمير » [القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ صبح الأعشى ، ح ١ صبح الأعشى ، ح صبح الأعش

ومن الملابسات الأخرى في نسب الاسرة السيفية أن مؤرخي حوليات كانم عندما بدأوا بكتابة تاريخ ملوكهم نجدهم يستهلونه بخلفاء بني أمية وينتهون الى عهد عمر بن عبدالعزيز، وبذلك انتسبوا الى الأمويين (٦٠٠). كما نجد منهم من انتسب الى العلويين (١٠٠). ومع كل هذه الملابسات فاننا لا نستطيع أن نرفض بصورة قاطعة النسب العربي، على الأقل، لحكام كانم المسلمين، مادام أن هؤلاء الحكام حملوه وافتخروا به وأكدوه وأصر عليه كتابهم.

لقد حاول بعض الباحثين المحدثين إيجاد مخرج لأصل الاسرة السيفية السيفية . فبالمر مثلا ، حاول تحليل الرأي القائل بأن الاسرة السيفية ترجع أصلا الي عرب اليمن . فلقد وجد مخرجاً لهذا الأمر من مخطوطة عربية عُثر عليها في تمبكتو في القرن ١٧٥ م . وجوهر ما توصل اليه بالمر أن سيف بن ذي يزن كان متزوجاً من احدى سيدات التورماغوريين أي القبيلة التي ينتسب اليها حكام كانم ، ومن هنا جاءت الصلة بين سيف والاسرة الحاكمة في كانم (١٢) كها حاول آخرون ايجاد مخرج للنسب اليمني للاسرة السيفية بالافتراض بأن مجموعة من الطوارق الملامين قد هاجرت الى كانم في نهاية القرن ٥هـ/ ١١م واستطاعت أن الملامين قد هاجرت الى كانم في نهاية القرن ٥هـ/ ١١م واستطاعت أن تصل الى السلطة لأي المنطقة ، ولما كان الملامون كجميع قبائل صنهاجة يظهرون النسب الحميري ، فان الاسرة الحاكمة في كانم صنهاجة يظهرون النسب الحميري ، فان الاسرة الحاكمة في كانم التي ترجع نسبها الى سيف بن ذي يزن ــ تنحدر من أصل ملثمي

Palmer, op. cit, Vol. I, pp. 4-5, 15-16; Vol. II, p. 82, 87. (6h)

Ibid, Vol. II, P. 87, 10, Vol. III, 20-1. (01)

Ibid, Vol. I, p. 6, 8. (%)

⁽٢١) أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى ، في صناعة الانشا (القاهرة ، بدون تاريخ) ، ج ٥ ، ص ٢١٨.

Palmer, Sudanes memoirs, Vol. III, p. 20, 22. (\\\)

انظر أيضاً: طرحان، المصدر السابق، ص ٥٧، ٧١.

حيري (٦٣). وهذا الرأي يخالف ما جاء في المصادر المحلية السيفية والتي تشير الى أن حكام كانم كانوا يحملون النسب الحميري منذ أن كانوا وثنيين ، أي أنها أعطت زغاوة النسب الحميري أيضاً (٦٤).

وبعد هذا كله يمكن القول أن الوجود العربي في كانم هو المسؤول عن النسب العربي الذي يحمله حكام كانم ، إذ من المؤكد أن العرب القادمين الى كانم قد اختلطوا بسكان المنطقة وتزوجوا منهم . فليس من المستبعد أن يتزوج العرب الحميريون أو الأمويون أو العلويون من العائلة الحاكمة في كانم ، فيكون حكام هذه المنطقة قد أخذوا النسب العربي من امهاتهم . ونما يعزز قولنا ما نجده في المصادر المحلية في كانم من المارات ، وإن كانت متأخرة ، الى زواج حكام كانم من القبائل العربية . فقد جاء في مخطوطة «قصة الماي دونمة الديبالي صاحب نجيمي وأبو زوجته أمير بلالة المسمى عمر بلالة » ، الديبالي صاحب نجيمي وأبو زوجته أمير بلالة المسمى عمر بلالة » ، من الماي دونمه (حكم ١٣٧١ ـ ١٣٥٩م) قد تزوج من ابنة الأمير عمر من قبائل بولالا التي تحمل الاصول العربية والتي تسكيل شرقي كانم ، وقد أنجبت له ولداً سمي أدريس (١٠٠).

وأخيراً لابد من القول أن الوجود العربي في كانم حقيقة لا يمكن نكرانها . وبالرغم من أن صلة العرب بكانم قديمة ، فإن الموجود العربي فيها كان مؤقتاً وقليلاً في البداية لبعد المنطقة عن مراكز الاستقرار العربي في الشمال الافريقي ، ولكن العوامل الاقتصادية قد شجعت التجار العرب على الوصول الى كانم عبر صحراء فزان من أجل جلب الرقيق ، كها أن الضغوط السياسية قـد أجبرت بعض العرب ـ المسلمين الى التوغل في الصحراء والوصول الى كانم بعيداً عن السلطة في الشمال . ولا ننسى أن نذكر أن هناك الكثير من العلماء والفقهاء المسلمين قد وصلوا الى كانم من أجل نشر العقيدة الاسلامية السامية، وبصورة تدريجيـة نجد أن الاستقـرار الدائم للعرب في كانم قد ازداد وظهرت نتائجه سريعا إذ قامت دولة اسلامية في كانم بلغت من العظمة والقوة والعمر الطويل مالم تبلغه دولة افريقية أبداً. فقد عاشت هذه الدولة أكثر من تسعة قرون، وتبئت الدين الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية ، فصارت العربية لغتها الرسمية في شتى مجالات الحياة من نظم حكم وادارة واقتصاد وثقافة وعلوم وفنون(٦٦).

⁽٦٣) حسن أحمد محمود ، انتشار الاسلام والثقافة العربية في أفريقيا . (القاهرة ، ١٩٥٧) ، ج ١ . ص ٢٥٦ .

Palmer, op. cit, Vol. II, p. 87. (%)

Ibid, Vol. II, p. 42. (70)

⁽٦٦) طرحان ، المصدر السابق ، ص ٧ .

مصادر البحث

١ ـ المصادر العربية:

ابن حوقل ، أبو القاسم ، صورة الأرض (بيروت ، ١٩٣٨) . ابن خلدون ، عبدالرجمن ، تاريخ العبر (بيروت ، ١٩٥٩) .

ابن سعيد المغربي ، أبي الحسن علي بن موسى ، كتاب الجغرافية تحقيق اسماعيل العربي (بيروت ، ١٩٧٠) .

ابن الصغير المالكي ، ذكر بعض الأخبار في الائمة الرستميينين شر وتحقيق :

De Motylineki, Actes de xve congress international Des orientalists (Alger, 1905).

ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب (ليدن ، و ٢١ م مر والمغرب ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (بيروت ، ١٩٦٧) .

ابن يونس ، ابراهيم صالح ، تاريخ الاسلام وحياة العـرب في ا امبراطورية كانم ــ برنو (الخرطوم ، ١٩٧٠) .

أبو زكريا يحيى بن أبي بكر ، كتاب سير الائمة وأخبارهم ، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي (الجزائر ، ١٩٧٩) .

البكري، أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمفرب (الجزائر ، ١٨٥٦) .

الادريسي ، الشريف ، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية ، نشره هنري بيريس (الجزائر ، ١٩٥٧) .

الاصطخري، أبو أسحق ابراهيم بن محمد، المسالك والممالك (القاهرة ، ١٩٦١) .

حركات، ابراهيم، « دور الصحراء الافريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط»، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، السنة الثالثة، العدد الأول (يناير، ١٩٨١).

الحرير، أدريس صالع، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الاسلام، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، السنة الخامسة، العدد الأول (يناير، ١٩٨٣).

الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان (بيروت ، ١٩٥٧) .

دغفوس ، د. راضي ، « العوامل الاقتصادية لهجرة بنو هلال وينو سيليم من مصر » ، المؤرخ العربي ، العدد ٢٠ (١٩٨١) .

طرخان ، ابراهيم ، امبراطورية البسرنو الاسلامية (القاهرة ، -١٩٧٥) .

القلقشنبدي ، أحمد بن علي ، صبح الأعشا في صناعة الانشا (القاهرة ، بدون تاريخ) .

محمود ، حسن أحمد ، انتشار الاسلام والثقافة العربية في افريقيا (القاهرة ، ١٩٥٧) .

موسى ، عز الدين ، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري (القاهرة ، ١٩٨٣) .

مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشره سعد زغلول عبدالحميد (الاسكندرية ، ١٩٥٨) .

مؤنس ، حسين ، « فزان ودورها في انتشار الاسلام في افريقيا » ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، العدد الثالث (١٩٦٩) .

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ، تــاريخ اليعقــوبي (النجف ، ١٩٦٤) .

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، كتاب البلدان (ليدن، ١٨٩١).

٢ ـ المصادر الأجنبية:

Brett, M., "Ifriqiya as a market for Saharan trade

Africa to the south of Sahara (Wroclaw, 1969).

Martin, B.G., 'kanem, Bornu and Fezzan; Notes on the political history of trade route," Journal of African History, Vol. X (1969).

Palmer, H.R., Bornu, Sahara and Sudan (London, 1936).

Palmer, H.R. Bornu Sudanes memoirs (London, 1967)

Trimingham, J.S., A History of West Africa (London, 1963).

from the tenth to twelfth century," Journal of African History, vol. X (1969).

Hopkins, J.E.P., Medieval Muslim Government in Barbary (London, 1958).

Lange, D., proges de L'Islam et changement politique an Kanem'', Journal of African History, XIX (1977). Law, R.C.C., The Garamantes and trans — Saharan

Law, R.C.C., The Garamantes and trans — Saharan enterprise in classical time" Journal of African History, Vol. VIII (1967).

Lewicki, T., Arabic external sources for the history of





أسلوب المؤرخ الأكاديمي

د . حسين علي الداقوقي كلية التربية ـ جامعة بغداد

صار للتاريخ في الأعوام الأخيرة سحر وجاذبية ، بل زادت العناية به أكثر من ذي قبل منذ مطلع هذا القرن سواء بواسطة الكتب والمجلات أو بواسطة الكاميرا والسينها والمسرح . فاهتمت به أدوات النشر ووسائل الاعلام للدولة . ولم يبق التاريخ قاصرا على اهتمام هذه الوسائل إنما تعداها الى أن صارت لـه أهية في سياسات الحكومات وتربية الناشئين ، وادعت كل جهة وأكدت أن التاريخ هو الحكم الذي لا نقض لبنوده .

غير أن هذه العناية الواسعة كانت مثارا للجدل بين الباحثين ذلك كيف يجب أن يكون أسلوب المؤرخ وليف يجب أن يكون أسلوب المؤرخ حسن وطبيعة نظمه الكلام؟ وقال قائل أنه بقدر ما يكون المؤرخ حسن التصنيف والتعبير، رشيق العبارة فاتن الاسلوب يقدر ما يؤثر فينا ويقنعنا بحقيقة الواقع الذي يرسمها(١). فالكاتب المؤرخ أو المؤرخ الكاتب بتعبير قائل آخر مادته حقائق محدده فيا يكاد يلمسها الأدب حتى يلطف جفافها ويسيغ تناولها. وعلى هذا الأساس أن التاريخ جزء من الأدب واستخدام الأساليب الفنية فيه كها قلنا يجعل منه أكثر لذة واستساغة(٢).

وهناك فريق يعتقد أن كتابة التاريخ بريشة أدبية مسألة فيها أكثر من نظر ، خطورتها واضحة بجانب فوائدها .

يرى هؤلاء أن المحاولة لجعل التاريخ ذا جاذبية كبيرة ونثر يشتمل على جمال في أدائه وصياغته أو قبل في أسلوبه يقلل من

جدارته ، فإن العناية الكبيرة بالأسلوب دليل من دلائل الضعف في البحث التاريخي . والعناية الأساسية بالجانب الفني تبعده عن صفته العلمية ، فالبحث الخاص يقدم للخاصة أما البحث العام فيقدم للعامة مع مراعاة التقديم الجيد وصفاء الأداء فالتاريخ يحفل بالحقائق أكثر من الكلام . ويقولون أن التاريخ صورة لا تحتاج إلى اطار ، ويجرة كرية لا تحتاج إلى موضع إسناد (٣).

أن هذا الجدل نفسه في الوقت ذاته يقودنا الى السؤال: هل التأريخ لحلم أم فن ؟ وهذا ما يترك للطلبة والى جهات النقاش والحوار كي يخرجوا منه بنتيجة مرضية ، لكن الشيء الذي لا شك فيه أن المؤرخ المنهجي ينبغي أن يعلم أن الجانب الفني في الكتابة شيء مستكمل لعمله والمهم ينبغي أن تكون كتاباته واضحة ، والوضوح دعامة الاسلوب ، وأن يبتعد عن الغوامض والمعقدات وعليه أن يترك الأحداث تتحدث عن نفسها وعلى الكاتب في الوقت نفسه ألا يتورط باطلاق التعاميم فالتعميم له خطورته .

تختلف أنواع الأساليب خلال الفترات التاريخية تبعا للخصائص الثقافية لهذه الفترات، وكذلك يختلف الاسلوب تبعا لطبيعة المادة التي يتناولها المؤرخ. مثلا أن التاريخ الدستوري لا ينسجم بسهولة ويسر برشاقة الاسلوب ولكن بالرغم من ذلك فهناك أمثال .F.W فهناك أمثال Maitland كتبوا موضوعات تحمل عناوين دستورية وقانونية باسلوب ممتع جذاب وبرصائة لا يمكن تغيير كلمة بأخرى أو جملة بغيرها.

⁽١) بول فاليرى، المجلة الجديدة، نوفمبر ١٩٣٩.

⁽٢) الدكتور نعمم أحمد فؤاد ، الوان في الكتابة والكتاب ، الهلال ، ١٩٦٠ الجزء ١٢ ، ص ٦٧ . ـ

G. J. Renier, History, its Purpose and Method, London, Method, London, 1961, p. 244. (*)

والكتاب عادة يضطرون الى مراعاة ذوق العصر ولكن هذه القاعدة لا يمكن الاستناد عليها فيها يتعلق بتدوين التاريخ القائم على منهج علمي سليم (٣٤). ومن واجب المؤرخ المجدد تفكيره في معنى عمله أن يوضح لنفسه خصائص الاسلوب الذي يستخدمه.

فلننتقبل الآن الى محاولية تقديم صبورة موجزة عن الاسلوب التاريخي في تاريخ العرب ، ونردد قبل كل شيء ما يوصف به مكانة التاريخ في الحضارة العربية « والتاريخ جزء عزيز من تراث الحضارة العربية وكانت مكانته في الحياة العقلية العربية عظيمة جدا »(٥).

ترقى بواكير الكتابة الى ما قبل الاسلام. ولكن بالرغم من الأخبار التي وردت في نقوش دول اليمن والنقوش العربية في المناطق العربية الأخرى، وبالرغم مما دونه أهل الحيرة من أنباء في سجلات كنائسهم والتي لم تصل الينا سوى الاشارات اليها، وكذا بالرغم مما قيل عن زنوبيا تدمر أنها ألفت كتابا في التاريخ (١) والذي لا نعرف عنه سوى التلميح اليه أيضاً، أقول بالرغم منتكل هذه فانه لا يوجد كتاب منظم في التاريخ قبل الاسلام، مع العلم أن الأدب العربي كان قادرا أن يقدم صورة واضحة عن أحداث تلك الفترة وعن ثقافتها وحياتها الاجتماعية.

ولما أشرق نور الاسلام كانت اللغة العربية في مستوى جيد، والاسلام بدوره حفز العرب لتطوير الصور التاريخية (١) فكان تطور الكتابة التاريخية جزءا حيويا من التطور الثقافي (٨).

يفهم من أسلوب الرسائل والتوقيعات والخطابة أنه يجنح في عهد الخلفاء الراشدين الى ضروب من الأناقة لكنها تهدف قبل كل شيء

المعنى والقصد، وفي عهد الأمويين استمر الكتاب على نفس النحو مع مجانية العرمن الألفاظ^{٩٠}.

وكذا في العصر العباسي ، فقد جمع الطبري (ت ٣١٠/ ٩٣٢ م) بين السهولة والجزالة والوفاء بالغرض من أقرب سبيل وفي تصويره للحوادث بموضوح وقوة (١٠٠ وكذا محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦ م) في كتابة الأوراق في أخبار الخلفاء فكان ذا ثقافة واسعة حسن التأليف كذلك يمدح المسعودي (ت ٣٩٥٧ / ١٩٥٧) قدامة بن جعفر وأسلوبه ويقول أنه كان حسن التأليف بارع التصنيف موجزا للألفاظ مقربا للمعاني (١١١ وكان جانب الاسلوب في مؤلفات هؤلاء المؤرخين الكبار منسجها مع الجوانب الأخرى فقد تبدت مهارتهم في التأليف حتى يظنها قارئها أنها نسج يد واحدة .

ثم تأثرت الكتابة التاريخية باتجاه الكتابة الأدبية وأشتهر مؤركون أمثال العماد الأصفهاني (ت ٩٩٠/ ١٩٣٠م) والكاتب الأنفلسلي الفتح بن خاقان (١٢٠). (م هـ/ ١٩٣٤م) وهناك مؤرخون جمعوا بين الكتابة المرسلة والعبارات المسجعة أمثال ابن حيان الأندلسي (بير الكتابة المرسلة والعبارات المسجعة أمثال ابن حيان الأندلسي (بير الكتابة المرسلة والعبارات المؤرخين كابن عساكر السادس والسابع كانا زاخرين بكبار المؤرخين كابن عساكر (ت ١٩٥١م) وابن العديم (ت ١٩٦٠/ ١٩٦٢م) وغيرهما استمروا على الكتابة المرسلة دون المغالاة في استخدام الزخرفة اللفظية كالسجع والأطناب والمقابلة والتورية ... الخ .. وسار ابن الأثير وابن طباطبا على الكتابة السهلة وتجنب الزخرفة غير أنه كثرت في العصور المتأخرة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين

J. Methin Vincent, Historical Research. New York (1929) pp. 303-315. (6)

⁽٥) محمد شفيق غربال ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج ١٤ .

⁽٦) فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولّبنان وفلسطين ، بيروت .

G. Richter, "Medieval Arabic Historiography, Islamic Culture, (Oct. 1959), Translated into English from German by: M. Sabir Khan, (Y) see ibid, p. 240.

⁽A) عبد العزيز الدوري ، نشأة التاريخ ، ص ٥٧ .

⁽٩) حسن ناعسه ، الكتابة اللغوية في مشرق الدول الاسلامية ، مصر ، ص ٩٢.

⁽١٠) على أدهم ، مجلة الحلال ، ديسمبر ١٩٧٥ .

⁽١١) المسعودي ، مروج الذهب أ / ٦٦ والسيد عبد العزيز سالم ، التاريخ المؤرخون ، ص ٧٥ .

⁽١٢) أندري ميكال ، الأدب العربي ، تعريب رفيق وناس وزميله ، تونس ، ص ٧٨.

الألفاظ الأعجمية والعامية في أساليب قسم من المؤرخين، أمثال ابن أباس (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) (بدائسع الزهور) وابن ثغري بردي (ت ٤٧٧هـ/ ١٤١٢م) (النجوم الزاهرة)، وابن الفرات (ت ٧٠٨هـ/ ١٤٠٥م) في كتابه (تاريخ الدول والملوك). وبجانب هؤلاء مؤرخون كثيرون خالفوا أسلوب هؤلاء وتجنبوا المحسنات اللفظية الى حد بعيد.

وخلاصة القول أن الاسلوب كان يتبع ثقافة المؤرخ ومكانته العلمية وأحيانا يضطر المؤرخ على مجاراة ذوق العصر فمنهم من مال الى القصة ، ومنهم من نحا نحوا قائها على تقديم المادة بلغة عربية متينة .

أما في الوقت الحاضر فقد ازداد الحرص على المنهجية وتصوير الأحداث بدقة بل العناية التامة بالمعنى بجانب مراعاة الأسلوب الواضح السليم في تقديم المادة فقد حرص الأكاديميون بوجه خاص على أن يكون أسلوبهم وافيا بالغرض دون الاخلال بالمادة ولعل الاتجاه العام في الاسلوب يتلخص في مراعاة النقاط التالية

ا يلعب أسلوب المؤرخ دورا مهما في تصوير الأحداث عبل حقيقتها فأي خروج عن قصد أو عن غير قصد على وصف المخقائق
 كما هي يعتبر تشويها للأحداث .

٢ ـ التمويه على القارىء: أن إضفاء أية عاطفة على تصويس
 الحدث يخرجه من حقيقته.

. ٣ ـ الاقتصار على وصف الأحداث خاصة في فترة معينة أو مكان معين دون الاشارة الى ما يعاصرها من الأحداث الأخرى يعتبر تمويها على القارىء وإبعادا للحقائق وتجاوزا على التاريخ .

٤ ــ يقع على عاتق المجاميع اللغوية العربية وعلى غيرها من
 معاهد دراسة اللغة العربية واجب تعريب مصطلحات أخذ يفرض

نفسه بشدة في هذه الأيام لأن عدم تحديد هذه المصطلحات بعربية سليمة يسيء اساءة الى أسلوب الكتبابة بوجه عام . من هذه المصطلحات على سبيل المثال لا الحصر: أيديولوجي ، سيستم ، وغيرهما كثيرة جدا .

٥ ـ على المؤرخ أن يكون ذا علم وفير وعقل ثاقب ومنهج تاريخي سليم ولأجل أن يكون المؤرخ العربي رصينا في أسلوبه كرصانته في مادته ، عليه أن يكون متمكنا من العلوم العربية الاسلامية فهي التي تزوده بقدرة لغوية جيدة يستطيع بها الأداء الجيد وتتبسر له سهولة التراكيب وسلامة النطق وثراء الألفاظ.

٦ - الابتعاد عن الحشو وإزالة السرد في التكرار الوصفي لكيلا يضر بالنص التاريخي ويؤثر في الفكرة الأساسية لهذا النص وعلى المؤرخ أيضا أن يجيد اختيار المستساغ من اللفظ المنسجم مع المعنى بأن لا يشوبه أي تعقيد وغموض ، وأن يطيل الجملة أو يقصرها تبعا لما يتطلبة المعنى من طولها وقصرها .

٧ - أما إذا تحولنا من البحث الأكاديمي الى الكتابة التاريخية لغامة التاس فلا يستطيع أحد عندئذ أن يغرض على الكاتب في هذا المجال حالة واحدة ، فله الحرية التامة أن يكتب كيفها شاء ويبدع في الكتابة ولكن ألا يكون الابداع في التعبير على حساب المعنى (١٣).

وأخيرا نلخص الموضوع بما ذكره المؤرخ الشهير صلاح الدين المفدي (ت ٢٦٤هـ/ ١٣٦٣م) حين ارتبأى «أن يكون المؤرخ حسن التصوير ... حتى يتصور بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه ، وألا يغلبه الهوى فيخيل اليه هواه الأطناب ... أو التقصير .. »(١٤) وهذا أكد السبكي (ت ١٧٧هـ/ ١٣٦٩م) في تصوير الاسلوب السليم حين قال : «أن يكون (المؤرخ) حسن العبارة عارفا بدلولات الألفاظ »(١٥).

⁽١٣) راجع : مقالة (بوفون) عن (الأسلوب) . ١٧٥٣ الأكاديمية الفرنسيية .

مقالة (سرمرت موم) (أسلوب) ، تعريب حسام الخطيب ، مجلة المعرفة ١٩٦٢ .

⁽١٤) مقتبس من محمد كر علي ، كنوز الأجداد ، ص ٣٨١.

⁽١٥) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى وهو الجزء الأول ، ص ١٩٧_ ١٩٨.



الصحة العامة في صدر الاسلام

« دراسة لواقع السنة النبوية المطهرة »

غانم عبد الله خلف كلية الآداب_جامعة الموصل

تمهيسد

قبل الحديث عن الصحة العامة في صدر الاسلام نرى أن نشير الى الطب وصلته بحياة الانسان عند العرب منذ القدم ، وهو أمر طبيعي لما للطب من أهمية كبيرة لصحة الانسان فبه تصح الأبدان والنفوس ، غير أننا نلاحظ ارتباط التطبيب بالسحر في تلك العصور ، وذهب علياء اللغة الأقدمون الى أبعد من هذا عندما عدوا الطب مرادفسا للسحر . قال ابن الأسلت ؛

ألا مَنْ مُبِالْغُ حسبانَ عني أطِبٌ كانَ داؤك أَمْ جنونُ (١)

وذكر أبو عبيد في كتاب (غريب الحديث) « كان النبي (ص) احتجم عل رأسه بقرن حين طب » (أي شحر)(٢).

من هذا يتبين لنا قيام السحرة والكهان بشطبيب المرضى عن طريق الاستعانية بالبرقي والتعاويد للشفاء من الأمراض التي أصابتهم (٣). وبقي هذا الاعتقاد لدى الناس لفترات طويلة غير أن الاسلام نبه الى خطأ هذا الاعتقاد ، ودعا الى الابتعاد عن الكهانة والعرافة فقد قال النبى (ص): « من أتى عرافا فسأله عن شيء لم

تقبل له صلاة أربعين ليلة »(1). ومع ذلك بقي الجهلة من الناس وبخاصة أهل القرى الذين لا تساعدهم أحوالهم المعاشية على مواجهة الأطباء يعتقدون بأمكان الشغاء من الأمراض عن طريق السعر والرقي والتعاوية لاستخراج وطرد الأرواح المبيئة التي تدخل الأحسام فتسبب لها الأمراض(0).

وانعكست أهية الطب في حياة الناس على من مارس مهنة التطبيب، حتى أصبحت لهم منزلة رفيعة بين الناس فقد قال المرتضى عن زهير بن جناب: « كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه: كان سيد قومه، وشريفهم، وضطيبهم، وشاعرهم، ووافدهم الى الملوك، وطبيبهم - والطب في ذلك الزمان شرف - وحازي قومه - والحزاة الكهان - وكان فارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم ... ه(١).

لقد عرف العرب قبل الاسلام أمراضا كثيرة حاولوا علاجها بالوسائل المتاحة لديهم آنذاك، كيا كانبوا يعرفون عدوى بعض الأمراض لذلك كانوا يتجنبونها ولا يقتربون من الشخص المصاب بها. أما أشهر الأمراض التي تعرض لها العرب فنذكر منها: العمى

⁽¹⁾ الزبيدي , محبد مرتضى ; تاج العروس من جواهر القاموس ، ط ۲ ، مكتبة الحياة بيروت ۱۳۰۱هـ ، ۱/۱ ۳۵ (طب) s ورواه سيبوية أسحر كان طبك وقد طب الرجل والمطبوب المسحور » .

⁽٢) ابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر : الطب النبوي ، ط ٢ ، دار احياء النراث العربي ـ بيروت ١٩٨٢ ، ص ٩٩ ، ١٠٨ .

⁽٣) القسطلاني ، شهاب الدين احمد بن محمد : أرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ط ٨ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٢٣هـ ، ٨/ ٣٦٠.

⁽٤) مسلم ، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، ط ٢ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٧٢ ، ١/٤ ، ١٧٥ .

⁽٩) علي , جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط ٢ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٨ . ١٩٧٨ .

٢١) المرتبطي ، علي بن الحسين الموسوي العلوي : أمالي المرتضى ، ط ١ ، دار احياء الكتب ١٩٥٤ . ٢٣٨/١ .

والعور والتهاب العيون والرمد، ومنها ما يصيب الجلد مثل البرص (الوضح) والبهق والحكة والدمامل والبشور والجرب والقرح، ومنها أمراض داخلية مثل أوجاع المعدة والكبد واليرقان والصداع والشقيقة وذات الجنب وأوجاع المفاصل والعظام والفالج والسل والحمى وأمراض أجهزة البول وأمراض القلب والرعشة والجنون والأمراض العصبية وغيرها من الأمراض التي لا تزال معروفة الى يومنا هذا(٧).

أما أشهر أطباء فترة ما قبل الاسلام فنذكر منهم الحارث بن كلدة الثقفي ، الذي عد طبيب العرب في وقته وأصله من ثقيف من أهل الطائف تعلم الطب في قارس واليمن وبقي الى أيام الرسول (ص) وأبي بكر (١٨) وعمر وعثمان وعلي ومعاوية (رض) وقال له معاوية ما الطب ياحارث ؟ فقال : الأزم ياأمير المؤمنين يعني الجوع (١٠). ويروى عن سعد بن أبي وقاص انه قال : مرضت مرضا فعادني الرسول (ص) فقال لي : ايت الحارث بن كلدة فانه رجل يتطبب خامرا الرسول (ص) بأتيان الأطباء ومسائلتهم عا بين أيديهم (١١) ومن حكم الحارث : « من سره البقاء والأبقاء فليباكر الغداء الوليخفض الرداء ، وليقلل غشيان النساء »(١١). ومن حكمة أيضا في أثناء على الطعام على ولا تغش أهلك سكراناً ، ولا تقم بالليل عرباناً ، ولا تقعد على الطعام فضائاً ، ولا تغش أهلك سكراناً ، ولا تقم بالليل عرباناً ، ولا تقعد على الطعام غضائاً ، وأرفق بنفسك يكن أرخى لبالك ، وقلل من طعامك يكن أهناً لنومك »(١٢) وله أيضا « لا تتزوجوا من النساء إلا شابة ، ولا أهناً لنومك »(١٢) وله أيضا « لا تتزوجوا من النساء إلا شابة ، ولا

تأكلوا الفاكهة إلا في أوان نضجها ، ولا يتعالجن أحد منكم ما أحتمل بَدَنُه الداء . واذا تغدى أحدكم فلينم على إثر غدائمه . واذا تعشى فليخط أربعين خطوة »(١٤).

ويقال أن الحارث كان شاعرا وقد ذكر له أبو العلاء المعري أبياتا من الشعر يقول فيها:

فها عَسَلٌ بساردِ ماء مُنْنِ على ظَمَأٍ لشارب يشابُ باشهى من لقيكم إلينا فكيفَ لنا بِهِ ومتى الإيابُ(١٥)

ومن أطباء العرب المشهورين النضر بن الحارث بن كلدة الذي سافر كأبيه الى البلدان ، واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها ، وعاشر الأحبار والكهنة ، واشتغل وحصل من العلوم القديمة أشياء كثيرة واطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة وتعلم من أبيه الطب . وكان النضر يؤاتي أبا سفيان في عداوة النبي (ص) ولما كان يوم بدر حيث انتصر فيه المسلمون على المشركين كسان النضر من ضمي أسرى المشركين وقد قتله النبي (ص) بعد انصرافه من المعركة (١٦).

أمّا ضَمَاد بن ثعلبة الأزدي فهو من أزد شنؤة كان صديقا للنبي (ص) قبل البعثة خرج يطلب العلم ثم عاد الى مكة معتمراً فسمع أهلها يتهمون محمدا بالسحر والكهانة والجنون فقال ضماد للنبي (ص): يا محمد أني اداوي من الربح فإن شئت داويتك لعل الله ينفعك . فتشهد الرسول (ص) وتكلم كلاما أعجب ضمادا حتى انه

⁽٧) على : المقصل ٨ / ٢٠٠ .

⁽٨) يروى أن الحارث شهد وفاة ابو بكر الصديق (رض) عندما مات مسموماً على يد اليهود . انظر : الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الطبري ، (د. ط) دار المعارف بمصر ١٩٦٢ ، ١٩٧٣ .

⁽٩) ابن جلجل ، أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي : طبقات الأطباء والحكماء ، (د. ط) مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ــ القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٥٠ ، ابن ابي أصيبعة ، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، (د. ط) دار مكتبة الحياة ــ بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٩٦ ، القفطي ، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف : تاريخ الحكماء ، (د. ط) مؤسسة الخلنجي ــ القاهرة (د. س) ، ص ١٩٦ .

⁽۱۰) ابن جلجل : طبقات . ص ۵۶ .

⁽١١) القفطي : تاريخ ، ص ١٦٢ .

⁽١٢) ابن أبي أصيبعة : عيون ، ص ١٦٣ .

⁽١٣) ابن أبي اصيبعة : عيون ، ص ١٦٣ .

⁽١٤) ابن أبي أصيبعة : عيون ، ص ١٦٦ .

⁽١٥) رسالة الغفران ، ط ٤ دار المعارف بمصر (د. س) ، ص ١٦٦ .

⁽١٦) ابن أبي أصيبعة : عيون ، ص ١٦٧ ، ١٦٩ .

قال : لم أسمع مثل هذا الكلام قط لقد سمعتُ كلام الكهنة والسحرة والشعراء فيا سمعت مثل هذا فأسلم وبايع عن نفسه وقومه (١٧٠)

وأما ابن أبي رمثة فقد كان هو كذلك طبيباً ماهراً مزاولاً لأعمال اليد وصناعة الجراح. ذكر أنه قدم على النبي (ص) ورأى بين كتفيه الخاتم فقال له: اني طبيب فدعني أعالجه فقال: أنت رفيق والطبيب الله (١٨). وكان هنالك طبيب آخر يدعى ابن حذيم وهو من تيم الرباب وبه فسر قول أوس بن حجر:

نهل لكم فيها إليَّ فإني طبيبٌ بما أعيا النطاسي حُذيا^(١٩)

الاسلام وتطور الاهتمام بالصحة العامة:

إن العرض السريع الذي قدمناه يبين أن للعرب معارف طبية وصحية بعضها بسيط بدائي وبعضه الآخر معارف متقدمة على الاولى، وذلك لأن الذين مارسوها كانوا ممن سافر إلى البلدان لدراحة الطب والافادة من تجارب الآخرين.

ولما جاء الاسلام أحدث نقلة نوعية في مجال الطب والثقافة الصحية حيث أكد من خلال التعاليم التي وردت في القرآن الكريم على صحة العامة والفرد ، فدعا مثلا الى عدم الاسراف في الطعام والشراب والالتزام بالنظافة والوضوء بالماء الطاهر خمس مرات باليوم قبل الصلاة ، ثم ان الصلاة نفسها عبارة عن مجموعة من الحركات الرياضية ، وكذلك دعا الى الصوم واجتناب الناس المصابين بالأمراض المعدية ، وحرم الميسر والخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير ، ونهى عن زواج المصابين بالأمراض النفسية والمعدية والوراثية المشوهة وغيرها من المواضيع الطبية والصحية التي لها علاقة بحياة المسلمين .

وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة في هذا المجال لتؤكد التعاليم والقواعد الصحية التي وردت في القرآن الكريم وتفسرها للمسلمين حفاظا على صحتهم من الأمراض. وهذا مما يدلل على أن الرسول (ص) كان يتحدث في هذا الجانب بما يوحي اليه من تعاليم صحية جاءت في آيات القرآن الكريم. ويدلل أيضا على خبرته الطبية والصحية التي كان قد اكتسبها خلال سني حياته.

إن الأحاديث الشريفة التي تخص الصحة العامة والتي اصطلح على تسميتها مجتمعة بـ (الطب النبوي) إنما تتناول مواضيع طبية فيها منافع جسدية ونفسية وبيئية واجتماعية وأخلاقية تفيد الفرد والمجموع على حد سواء ، وتدعو الى بناء مجتمع اسلامي صحي بعيدا عن طب الكهانة والعرافة والدجل . فقد تطرق الرسول (ص) الى ذكر أصناف الأمراض وعلاجاتها وأنواع الأطعمة وفوائدها وطرق الوقاية من الأمراض المعدية ، كها نظم الرسول (ص) العلاقة بين المرض والطبيب وغيرها من المواضيع الطبية .

إن دراسة التعاليم الطبية النبوية دراسة هادئة ودقيقة ستتيح لنا دون شك التوصل الى أن الرسول (ص) إنما أولى اهتماما كبيرا لصحة الانسان وأعطاها مكانة رفيعة في الحياة الدنيا فقد قال (ص): «من أصبح منكم معانى في جسده ، آمنا في سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيّزت [جعت] له الدنيا »(٢٠٠). كما دعا الرسول (ص) الناس الى الاعتدال والموازنة في الحياة وحدد لهم القواعد والمناهج التي تحفظ صحة الفرد والمجتمع وصحة البيئة ، وحدد أسس الطب الوقائي فقد قال (ص): «كلوا واشربوا وألبسوا وتصدقوا في غير اسراف ولا مخيلة [تكبر] »(٢٠١). وأعطى الرسول (ص) للمداواة قيمة كبيرة وحث المرضى على التداوي للشفاء من الأمراض فقد قال (ص): «تداووا قان الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد: الهرم »(٢٢).

⁽١٧) ابن سعد ، محمد : الطيقات الكبرى ، (د. ط) دار الفكر العربي (د. س) ١٧٧/٤ ـ ١٧٨ ، العسسقلاثي ، أحمد بن علي بن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة ، (د. ط) دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة ، (د. س) ، ٨٣٦/٣ .

⁽١٨) ابن جلجل : طبقات ص ٥٧ ـ ٥٨ ، ابن ابي أصيبعة : عيون ص ١٧٠ ـ ١٧١ ، القفطي : تاريخ ، ص ٤٣٦ .

⁽١٩١) الزبيدي : تاج ٨/٨٣٢ (حدّم) .

⁽۲۰) ابن ماجة ، محمد بن يزيد : سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (د. ط) دار احياء الكتب العربية عيسى الهابي الحلبي ــ مصر ، (د. س) ، ١٣٨٧/٣ . (٢١) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، (د. ط) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ مصر ١٩٥٩ ، ١٢ / ٣٦٥ .

⁽٢٢) ابي داود ، سليمان بن الأشعث السجسناني : سَفَن ابي داوډ ، ط ١ مطبعة مصطفى البابي الحلمي ـ مصر ١٩٥٢، ٢٣١/٢.

الصحة البدنية:

لقد أكد الاسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية على الصحة البدنية وأولاها اهتماما خاصا وأهم مبدأ من مبادىء العناية بصحة الجسم هو النظافة حيث اشترط الاسلام على أتباعه الطهارة والفسل والوضوء لازالة الأوساخ والأنجاس التي تساعد على انتشار الأمراض والفتك بالانسان. فقد قال الرسول (ص): « الطهور شطر الايمان »(۲۲). ومن منطلق النظافة أكد الرسول (ص) على الاهتمام ببعض مناطق الجسم والتي تصلح أن تكون عوامل مساعدة في تراكم الأوساخ والجراثيم فقال: « خمس من الفطرة تقليم الأظافر، وقص الشارب، ونتف الابط، وحلق العانة، والاختتان »(۲۶).

وقد حث الرسول (ص) على الاهتمام بالأسنان والعمل على تنظيفها مما على منعا من تسوسها وتلفها وكان عود السواك (الاراك) هو الوسيلة المستخدمة آنذاك للتنظيف؛ وتطييب الفم وتقوية اللئة. قال (ص): «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب »(٢٥) وقال أيضا: «لولا أن أشق على أمني لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »(٢١).

كيا دعا الرسول (ص) الى الاعتدال في الطعام والشراب والابتعاد عن الافراط والشره في تناول الأغذية والأشربة سواء من حيث الكمية أو النوعية لأن في هذا ضررا صحيا يظهر من خلال التخمة وسوء الهضم واجهاد المعدة والأمعاء وهذا ما تؤكده حتى الدراسات الطبية الحديثة. فقد قال النبي (ص): «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه، فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس »(٢٧). وقال

أيضا: «طعام الإثنين كافي الشلائة ، وطعام الشلائة كاني الأربعة »(۲۸).

ومن مظاهر اهتمام الرسول (ص) بالصحة البدنية تأكيده على سلامة النظر والمحافظة على العيون من الأمراض وقد حث (ص) على استعمال الاثمد [الكحل الأسود] لأنه يساعد على حفظ صحة العين ويقويها اضافة الى كونه يستخدم للزينة والتجميل. قال (ص): «عليكم بالاثمد فأنه يجلو البصر وينبت الشعر (٢٩٠)، كها دعا عليه الصلاة والسلام الى استخدام ماء الكمأة لمعالجة أمراض العيون قال (ص): « العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم، والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين (٢٠٠).

كذلك اهتم الرسول الكريم (ص) بالشعر ودعا الفرد المسلم الى العناية بشعره من خلال نظافته المستمرة وتسريحه كي يضغي على الشخص شكلا مقبولا ورائحة زكية قال (ص): « من كان له شعر فليكرمه »(٣١). وللمزيد من العناية بالشعر وتقويته وتحسينه واخفاء الشيب عنه نصع (ص) باستعمال الحناء والكتم وهو نبوع من النبات يشهد الاس يستخدم مدقوقا فقد قال (ص): « ان أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم »(٣١).

ولا يقوتنا أن نذكر أن الرسول عليه الصلاة والسلام تعرض للحالات الشائعة التي كانت تصيب الناس في أجسامهم ونصع بطرق الوقاية والعلاج الضروري لها . وله في هذا أحاديث كثيرة منها ما تناولت التخمة والحمى واستبطلاق البطن وعرق النسا والجرح وذات الجنب والعذرة وغيرها من الأمراض .

⁽۲۳) مسلم : صحیح مسلم ۱ / ۲۰۳.

⁽٢٤) ابن انس ، مالك : الموطأ ، ط ١ دار الآفاق الجديدة ــ بيروت ١٩٧٩ ، ص ٧٩٧ .

⁽٢٥) النسائي ، أبو عبد الرحن أحمد بن شعيب ، سنن النسائي ، ط ١ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٣٠ . ١٠/١ .

⁽٣٦) ابن أنس : المرطأ ، ص ٦٨ ـ

⁽۲۷) این ماجة : سنن بن ماجة ۲/۱۱۱۱ .

⁽۲۸) این آنس : الموطأ ، ص ۸۰۲ .

⁽۲۹) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ۲/۲۵۲/ .

⁽٣٠) الترمذي ، أبي عيسى محمد : سنن الترمذي ، تحقيق ابراهيم عطوة عوض ، ط ١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ١٩٦٢ ، ٢٠٠٤ ـ ٤٠١ .

⁽۳۱) ابو داود : ستن این داود ۲۹۵/۲.

⁽۳۲) ابن ماجة : سنن بن ماجة ۲/۹۹/۱ .

ولابد أن نذكر كذلك أنه (ص) أكد على بعض طرق العلاج للشفاء من الأمراض وبعضه كان متعارفا عليه قبل الاسلام. فقد أشار الى أهمية تناول العسل واستعمال الحجامة واللجوء الى الكي ولكن عند الضرورة فقط. ومن الضروري الاشارة الى مسألة مهمة أكد عليها النبي (ص) في أحاديثه ألا وهي الامتناع الكلي عن التداوي بالمواد المحرمة مثل السم والخمر ولحوم الأفاعي لأن الأساس في تحريم هذه الأشياء إنما بأتي من كونها خبيثة وليس من المناسب أن يطلب بها الشفاء من الأسقام والعلل فانها وإن أثرت فعلا في إزالة الأمراض لكنها ستترك سقياً أعظم في القلب والنفس: قال الرسول الكريم (ص): « أن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام «(٣٣).

الصحة النفسية:

لقد اهتم الاسلام بالانسان وأعطاه المكانة الرفيعة التي يستحقها وميزه عن سائر المخلوقات التي جعلها في خدمته وطوع بنانه وخلق الله سبحانه وتعالى الطبيعة لتكون تحت تصرف الانسان ليسعد ولهنأ في الحياة الدنيا ويحافظ على نوعه . ولم يكتف الاسلام بمأن هيأ للمؤمنين كل مقومات العيش وإنما اهتم كذلك بمشاعرهم وأحاسيسهم وخلجات قلوبهم ونفوسهم باعتبارها من الأمور الأساسية المكملة لسعادة الانسان المسلم والمحافظة على صحته . فليس هنالك من شك أن صحة النفس تترك آثارها على صحة البدن بقدر أو بآخر وهذه المسألة عرفها بعض العرب قديما فعالجوا مرضاهم عن طريق الرقي والتعاويذ لطرد الأرواح الشريرة والخبيثة . ولما جاء الاسلام منع أكثر هذه المطرق وحرمها واستخدمت العملاجات الروحية الاسلام منع أكثر هذه المطرق وحرمها واستخدمت العملاجات الروحية الاسلامية بدلا منها عن طريق ما يسمى بالطب الروحاني وهو الطب الذي يهتم « بكمالات القلوب وآفاتها وأمراضها وادوائها ومكيفية حفظ صحتها واعتدالها »(٢٤).

ولا يفوتنا أن نذكر أن أساس الاعتقاد بصدق العلاجات الروحية كها جاءت في هدي الرسول (ص) إنما يتأتى من « الاعتماد على الله والتوكل عليه والالتجاء إليه والانطراح والانكسار بين يسديه والتذلل له والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والاحسان الى الخلق واغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب ... فإن القلب متى اتصل برب العالمين وخالق الذاء والدواء ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه . وقد علم أن الأرواح متى قويت وقويت النفس والطبيعة : تعاونا على دفع الداء وقهره ، فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه .. أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية وتوجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلمة ... ه (80).

لقد حث الرسول الكريم (ص) المسلمين على معالجة بعض الأمراض التي تصيبهم عن طريق الرقية الألهية (أي التعود من شر الشيء اوذلك بالتوجه الى الله سبحانه وتعالى والدعاء اليه وتلاوة آيات من القرآن الكريم فقد روى أبو داود عن أبي الدرداء قوله: سبعت رسول الله (ص) يقول: «من اشتكى منكم شيئا أو أشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السهاء تقدس اسمك، أمرك في السباء والأرض، كها رحمتك في السباء، فاجعل رحمتك في السباء والأرض، كها رحمتك في السباء، فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمه من الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمه من الأمام مسلم عن أبي سعيد الخدري: «ان جبريل عليه السلام أق النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا عمد، اشتكيت؟ فقال: « نعم » النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا عمد، اشتكيت؟ فقال: « نعم » فقال جبريل عليه السلام: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس وعين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك » (١٧٠٠).

ومن باب راحة النفس وإبعادها من كل ما يؤذيها ويسبب لها التشاؤم والقلق والاضطراب ولأجل أن يحيا الانسان المسلم حياة

⁽٣٣) الترمذي : سنن الترمذي ٣٣٥/٢ ، ابن قيم الجوزيَّة : الطب ، ص ١٣١ وما بعدها .

⁽٣٤) الجرجاني ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي : التعريفات ، (د. ط) الدار التونسية للنشر ١٩٧١ ، ص ٧٤.

⁽٣٥) ابن قيم الجوزية : الطبُّ ، ص ٧ .

⁽٣٦) سنن أبي داود ، ٣٣٨/٢.

⁽YY) صحيح مسلم ٤/٨/٧ _ ١٧١٩ ,

هادئة وادعة بعيدا عن الاهتزازات النفسية فقد حث الرسول الكريم (ص) المسلمين الى التفاؤل بأمور الحياة وابعاد النفس والعقل عن التشاؤم. فقد روى ابن ماجه عن أبي هريرة قوله: كان النبي (ص) يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة [التشاؤم] (٣٨).

لقد استخدمت الرقية الالهية في معالجمة حالات كثيرة تصيب الانسان المسلم. فقد رخص الرسول الكريم (ص) استخدامهما لمعالجة الحمة والعين والنملة [وهي قروح تخرج من الجنب] ومعالجة لدغة الحية والعقرب والقرحة والجرح والوجع والهم والغم والحزن والمصائب والفزع والأرق والحريق والسحر. وهنالك أحاديث نبوية كثيرة تتعرض لكل حالة من هذه الحالات (٢٩).

ولابد لنا في هذا المجال أن نشير الى أن العلاجات الروحية الالحية التي يلجأ اليها المسلم والتي رخصها الرسول الكريم (ص) إنما الغاية منها منع وقوع الأمراض النفسية جهد الامكان وإن هي وقعت ألم يكن وقوعها مضرا. فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأمراض وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها وهذا متوقف بالطبع على كمال الشخص المتعوذ وقوته وضعفه. فالرقي والتعاوية إذن تستعمل لحفظ الصحة ولازالة المرض (٤٠٠).

صحة الشراب والطعام:

يعد الشراب والطعام من أساسيات حياة الانسان لذلك فإن الدعوة الى الاهتمام بها من جميع الوجوه إنما تعني الاهتمام بصحة الانسان وسلامته من الأمراض على اختلاف أشكالها وقد تنبه الاسلام إلى هذه المسألة الجوهرية وحذر المسلمين من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من اهمال هذا الجانب لأن في هذا ضررا صحيا بدنيا ونفسيا كبيرا.

فلأجل المحافظة على الشراب من التلوث بالأوساخ والجراثيم والدبيب فقد حث الرسول (ص) على تغطية الاناء وربط السقاء ﴿ قال (ص) : (اغلقوا الباب ، واوكؤا السقاء ، واكفؤا الأناء ، أُورَثُيُّ خدوا الأتاء ، وأطفئوا المصباح فإن الشيطان لا يفتح غلقاً ، ولا يحلُّ وكاء، ولا يكشف اناء، وأن الفويسقية تضرم على النساس بيتهم »(٤١). كما نهى الرسول (ص) عن الشرب من فم السقاء فقر روى الامام مسلم عن أبي سعيد الخدري قوله : « نهى رسول الله صلى الله عليـه وسلم عن اختنــاث الأسقيــة : أن يشـــرب من أفواهها »(٤٢). والنهي هنا جاء لاعتبارات صحية منهـا: أن تكرارُ ﴿ أنفاس الشارب على فم السقاء يجعل راثحته كريهة تعافها النفس كذلك تخرج من أنفاس الانسان منات البكتريا والتنفس بالماء ينقل تلك البكتريا من شخص الى آخر . كها حذر الرســول (ص) عن: التنفس في اناء الشرب والنفخ فيه لأن هذا يكسب الشراب رائحة كريهة ، واذا كان الشخص الشارب شديد العطش فلا بأس أن يبعد الإناء عن فمه عند تنفسه ثم يعود ثانية لاقام شرابه. قال (ص): إ « إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الاتاء فإذا أراد أن يعود فلينح الاتاء » ثم ليعد ان كان يريد »(٤٣٪. ولأجل المحافظة على الما من التلوث كان . نهى الرشول (ص) وتحذيره للمستيقظ من نومه بضرورة غسل يده ي ثلاث مرات قبل أن يدخلها إلى الاناء فربط لامست اليد في أثناء النوم شيئا ملوثا أو حشرة أو أوساخا قال (ص): « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا فأنه لا يدري أين باتت يده »(ع^{ع)}. ومن مظاهر اهتمام الاسلام بصحة الماء [·] وابعاده عن مصادر التلوث هو تأكيد النبي (ص) على الابتعاد عن ٣ التبول أو التبرز في الماء وخاصة الراكند منه أو قبرب موارده، والالتزام بهذه الوصايا والتأكيدات يعنى استمرار بقاء الماء نبظيفا خاليا من عسوامل التلوث والأمسراض. عن أبي هريسرة عن النبي ً

⁽٣٨) سنن ابن ماجة ٢/١١٧٠.

⁽٣٩) للمزيد من التفاصيل راجع الموطأ لمالك بن أنس وصحيح مسلم وسنن ابن ماجة وأبي داود والترمذي وكتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية وكتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني .

⁽٤٠) ابن قيم الجوزية : الطب، ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

⁽٤١) ابن أنس : الموطأ ، ص ٨٠٣ .

^(£4) صحيح مسلم ٣/٠٠١٠.

⁽٤٣) أبن ماجة : سنن بن ماجة ١١٣٣/٢ .

^(££) مسلم : صحيح مسلم ٢٣٣/١.

(ص) أنه قال : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه »(٤٠٠). وروى ابن ماجة عن معاذ بن جبل أنه قال : قال النبي (ص): « اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد والظل وقارعة الطريق »(٢٦). ولا يفوتنا أن نذكر كذلك أن الرسول (ص) نهى المسلمين عن الاغتسال في الماء الراكد لأن هذا الماء يكون ملوثا بخلاف الماء الجاري حيث يكون نظيفا تتوفر فيه مقومات الصحة والعافية . قبال (ص) : « لا يغتسل أحدكم في الماء الـدائم وهو جنب »(٤٤). ولكي يكون الماء صحيا تماما ذات فائدة كبيرة للانسان لابد أن يكون صافيا عديم الرائحة عذب الطعم رقيق القوام طيب المجرى والمسلك بعيد المتبع معرضاً للشمس والرياح سريع الجري والحركة له كثرة تدفع الفضلات المخالطة به وأخيراً أن يكون اتجاه مجراه من الشمال الى الجنوب أو من المغرب الى المشرق(٢٨).

ومثليا أولى الاسلام اهتماما بالشراب فانه اهتم كذلك بغذاء المسلم ولهذا جاء تحريم الاسلام للأطعمة الضارة بصحة المسلسين كالميتة والدم ولحم الخنزير وضمن هذا السياق أيضا فان الرسول (ص) يقول : « كل ما ألقى البحر ، أو جزر فكلوه ، وما مات فيه وطفا فلا تأكلوه »(٤٩). ولأجل أن يكون الطعام شهيا مفيدا للجسم محافظاً على رائحته بعيداً عن الزهومة فان النبي (صَ ﴾ كم يُكن ينفخ فيه في أثناء الأكل وكان ينصح المسلمين بهذا . روى ابنَ مَاجَة عنَ عكرمة عن ابن عباس قوله: « لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا شراب ولا يتنفس في الاناء »(٥٠). ولكي يكون الطعام مباركا ويعم الخير بيوت المسلمين فالواجب يقتضى التزامهم بالأصول الصحيحة لتناول الطعام وذلك من خلال قيامهم بالوضوء قبل الطعام وبعده . فقد قال (ص) : « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده »(٥١١). وقال (ص) كذلك : « من أحب أن يكثر الله

خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه وإذا رفع »(٥٢). ولا يفوتنا أن نذكر أن الاسلام قد نهى أتباعه أن يحرموا على أنفسهم أي نوع من أنواع الأغذية بدافع الزهد في الحياة لأن هذا العمل يحرم المسلم من فوائد هذا النوع مما يترتب عليه أضرارا صحية تحدث نتيجة هذا التحريم غير المبرر. قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَاأَبِّهَا الَّذِينَ آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتمدين ٣(٥٣). وعن أنس رضى الله عنه : أن نفـرا من أصحاب رسول الله (ص) كانوا يقولون أنهم لا يتزوجون النساء ولا يأكلون اللحم ولا ينامون على فراش ويصومون ولا يفطرون. فلها سمع الرسول (ص) قولهم هذا قال (ص) : (ما بال أقوام قالوا : كذا وكذا ؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني "(٥٤).

وأخيراً فإننا إذا تدبرنا أغذية الرسول (ص) وما كان يـأكله وجدناه لم يجمع بين غـذائين حـارين ولا باردين ولا قـابضين ولا مهمهلين ولا غليظين ولا مرخيين ولا بين مختلفين كقابض ومسهل وسريع الهضم وبطيئه ولا بين شوي وطبيخ ولم يكن (ص) يأكل طعاما في شدة حرارته ولا طبيخا بائتا يسخن له بالغد ولا شيئا من الأطممة العفنة والمالحة كالمخلالات والملوحات. كما كـان (ص) يصلح ضرر بعض الأغذية من بعضها الآخر إن أمكنه ذلك فيكسر حرارة هذا ببزودة ذاك ويبوسة ذلك برطوية هذا ، كما يفعل بالقثاء والرطب وكها كان يأكل التمر بالسمن . وكان (ص) ينهي عن النوم على الأكل وأن يشرب الماء على الطعام لأن هذا الفعل يفسد الطعام لا سيها إذا كان الماء حارا أو باردا . كما نهى (ص) عن شرب الماء عقيب الطعام وقبله فهذا مناف لحفظ صحة الانسان(٥٥).

⁽٤٥) مسلم : صحيح مسلم ٧٢٥/١.

⁽٤٦) سنن ابن ماجة ١١٩/١ .

⁽٤٧) مسلم : صحيح مسلم ١/٢٣٧.

⁽٤٨) ابن قيم الجوزية : الطب، ص ٣٠٣.

⁽٤٩) ابي داود : سنن ابي داود ٣٢٢/٢.

⁽٥٠) سنن ابي ماجة ١٠٩٤/٢.

⁽٥١) ابي داود : ستن ابي داود ٣١١/٣ .

⁽٥٢) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ٢٠٨٥/٢ .

⁽٥٣) سورة المائدة : الآية ٨٧ .

⁽۵۶) مسلم : صحيح مسلم ۲۰۲۰۲.

⁽٥٥) ابن قيم الجوزية: الطب ص ١٧٣_١٧٤.

صحة اللباس والسكن:

لقد أكد الاسلام على نظافة الملابس ونبه اتباعه الى ضرورة التقيد سذا اتوجه لان فيمه منفعتهم وسلامتهم الصحيمة البدنيمة والنفسية والفكرية . ولان من أهم الشروط الواجب توفرها في صلاة المسلم هو شرط طهارة ثيابه مما علق بها من أوساخ وأنجاس . ولكي يطمئن المسلم الى نظافة ملابسه وهو يؤدي التزاماته الدينية بصورة صحيحة فأن الرسول الكريم (ص) رغب جماعته وحثهم على ارتداء الثياب البيضاء اللون ذلك أن البياض يظهر فيه الوسخ أكثر من غيره مما تستدعي الضرورة تنظيفه بـأستمرار فقـد قال (ص): « البسوا ثياب البياض فأنها أطهر وأطيب)(٥١). وزيادة في الاهتمام بأمر الملابس من الناحية الصحية فأن رسولنا الكريم (ص) كان يحبذ لبس الثياب المصنوعة من القطن والكتــان لانها تدفيء البدن ولا تسخنه . فثياب القطن معتدل الحرارة أما ثياب الكتان فهي باردة يابسة . فقد ذكر انس بن مالك أن أحب وأعجب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الحبرة وهي ثيباب القطن والكتان المزينة(٥٧). أما الحرير فمع كونه معتدل الحرارة وألين من القطن فان الشريعة لم ترخص لبسه الا للنساء فقط « لتصِير النفوس عنه وتتركه لله فتثاب على ذلك .. ولأنه خلق في الاصل للتحاء كالحلية بالذهب فحرم على الرجال لما فيه : من مفسدة تشبه الرجال بالنساء .. ولما يورثه من الفخر والخيــلاء والعجب .. »(هم) غير أن النبي (ص) رخص للزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف في لبس قميص الحرير وقيل أن سبب الترخيص هذا يعود إلى حكة أو قمل كان بهيا . عن أنس بن مالك أنه قال : أن رسول الله (ص) رخص للزبير بن العوام ولعبد الرحن بن عوف في قميصين من حرير من وجع كان بها حكة(^{٥٩)} . وورد عند الإمام مسلم : ان عبدالرجن بن عوف

والزبير بن العوام شكوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم القمل فرخص لها في قميص الحرير في غزاة لها(٢٠).

أما الحديث عن صحة السكن فأنه يقودنا ولا شك إلى تصور حالة مساكن المسلمين البسيطة في تشييدها وتعليتها وزخرفتها وسعتها وذلك لقناعة الرسول وإتباعه بأن الدنيا مرحلة وقتية زائلة وإن الاخرى هي المستقر للمسلم. وعليه فإن مساكن المسلمين كانت للوقاية من الحر والبرد والتستر عن العيون ومنع دخول الدواب ولا يخاف سقوطها لزيادة ثقلها ولاتعشعش فيها الهوام بسبب سعتها ولا تعتوها الاهوية والرياح المؤذية لارتفاعها وليست تحت الأرض ولا في غاية الارتفاع بل هي وسط ، وتلك أحسن المساكن وأنفعها وأقلها حرا وبردا ولا تضيق على ساكنها فينحصر ولا هي واسعة بغير منفعة فتأو الهوام في خلوها(٦١). وزيادة في المحافظة على صحة المسكن وجعله بعيدا عن تراكم الاوساخ والقاذورات فقد حث الرسول (ص) المسلمين على الاهتمام بنظافة مساكنهم وعدم التشبه باليهود الذين يجمعون الزبالـة في دورهم. قال (ص) : « أن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود. فنظفوا افناءكم وساحاتكم، ولا تشبهوا باليهود يجمعون الاكباء في دورهم »(٦٢) . كذلك وجه النبي (ص) المؤمنين إلى اماطة الأذي عن طريق الناس لكي يسهل مرورهم من وإلى دورهم. قال (ص) : « بينها رجل يمشى في طريق إذ وجد غصن شوك فأخره فشكر الله له فغفر له »(٦٣). كما نبيه رسولنا الكريم المسلمين الى الابتعاد عن المسيئين الذين يتغوطون في طرقات الناس وفي مستظلهم الذي اتخذوه مقيلا ومناخا ينزلونه ويقعدون فيه . عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « اتقوا اللعانين » قالوا : وما اللعانان يا رسول الله ؟ قال « الذي يتخلى في طريق الناس أو وفي ـ

⁽٥٦) ابن ماجة : سنن أبن ماجة ٢/١٨١ .

⁽٥٧) مسلم: صحيح مسلم ١٦٤٨/٣ ويراجع ابن قيم الجوزية: الطب ص ٦٢.

⁽٥٨) ابن قيم الجوزية : الطب، ص ٦٣.

⁽٥٩) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ٢/٨٨/٢ .

⁽۲۰) صحيح مسلم ١٦٤٧/٢.

⁽١٦) ابن قيم الجوزية : الطب ص ١٨٥ ــ ١٨٦ .

⁽٦٢) ابن قيم الجوزية : الطب ص ٢١٦ .

⁽٦٣) ألترمذي : سنن الترمذي ٤/٣٤١.

ظلهم »(٦٤). ونهى الرسول (ص) عن جلوس المسلمين في الطرقات وإذا كان لابد من جلوسهم فعليهم مراعاة حرمة الطرقات والالتزام بها حتى لا تكون منهم إساءة للناس في بيوتهم وفي مسالكهم. روي الامام مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) أنه قبال : «أياكم والجلوس في الطرقات » قالوا : يا رسول الله مالنا بد من مجالسنا نتحدث فيها . قال « فأذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه » قالوا : وما حقمه ؟ قال « غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر »(١٥) .

الوقاية من الأمراض السارية:

عند الحديث عن الصحة البدنية والنفسية وصحة الشراب والطعام واللباس والسكن تطرقا الى المباديء والتعاليم الصحية التي أكدها رسول الله (ص) وحث المسلمين على التمسك بها والسير على هديها لأن في هذا سلامة المسلم من الأمراض وابتعاده عن العدوى بها . ومع هذا فأتنا سنتطرق الى مقومات الوقاية من الأمراض قبل وقت حدوثها استكمالا لحدى رسولنا الكريم في الصحة العامة للمسلمين .

١ ـ الوقاية من الأمراض قبل حدوثها :

ان أهم مبدأ من مباديء الوقاية من الأمراض قبل حدوثها هو التأكيد المستمر على النظافة والطهارة في الجسم والمسكن والملبس والطعام والشراب. والنظافة كها هو معروف تشكل عائقا كبيرا أمام انتشار الجراثيم وبالتالي انتشار الأمراض على عكس الأوساخ التي تعد البيئة الملائمة لانتشار عوامل الأمراض. وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة تؤكد على نسظافة المسلم من جميع الوجوه فلا تقبل من المؤمن عباداته مالم تكن مقرونة بالنظافة. قال سبحانه وتعالى « ان الله يحب التواسين ويحب

المتطهرين »(٦٦). وأكد الاسلام على جانب مهم من جوانب المحافظة على حياة الانسان المسلم وجعلها بعيدة عن الاصابة بالامراض وذلك من خلال تطبيق نظام الطعام والشراب من حيث النوعية والكمية قال (ص) : « يأكل المسلم في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء $^{(77)}$. وكان الصوم ولا يزال من العوامل المساعدة في حفظ الصحة لأن فيه راحة الجهاز الهضمي ويقية أجهزة الجسم الأخرى اضافة الى فوائده التربوية والاخلاقية التي يؤكدها الاسلام ويحث عليها . وبهذا الصدد يقول ابن قيم الجوزية « الصوم جنة من ادراء الروح والقلب والبدن ، منافعه تفوق الاحصاء وله تأثير عجيب في حفظ الصحة .. وفيه خاصية تقتضى ايشاره وهي تفريحة للقلب عاجلا وآجلا .. وهو يدخل في الأدوية الروحانية والطبيعية .. »(١٨٠) . أما الصلاة فشأنها شأن الصوم بالنسبة للانسان المسلم من حيث فوائدها البدنية والنفسية والاخلاقية فهى تنشط البدن والحواس وتبعد الكسل وتقبوي القلوب والنفوس وتغنذي الارواح وتجلب الخيرات وتطرد الشرور . أما الجهاد ففيه فوائد كثيرة من حيث بناء الجسلم ولجفظ صحته وتقوية القلب وزوال الهم والغم والحزن اضافة ألى التوصل من خلاله إلى خيرات الدنيا والآخرة (٦٩).

وكانت الرياضة عند المسلمين مسألة ضرورية لأنها تقوي بدن الانسان وتنشط الدورة الدموية وتنمي الذهن وتنظم عملية التنفس، وقد حث الرسول (ص) المسلمين على ممارسة الرياضة وأكتساب القوة فقال: « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير »(٧٠). ولـه أيضا في هدذا المجال « علموا أبناءكم السباحة والرمي والمرأة الغَزْلُ »(٧١»

٢ ـ الوقاية من الأمراض وقت حدوثها :

ان الغاية الاساسية من الوقاية هنا هي منع انتشار عدوى بعض

⁽۲۲) مسلم : صحیح مسلم ۲۲۲۷٪.

⁽١٦٥) صحيح مسلم ١٦٥٧٢.

⁽٦٦) سورةُ البقرة : الآية ٢٢٢ .

⁽٦٧) ابن أنس : الموطأ ص ٧٩٩.

⁽۱۲۸) الطب، ص ۲۵۸.

⁽٢٩) ابن قيم الجوزية : الطب ص ١٩٣.

⁽۲۰) مسلم : صحيح مسلم ١٠٥٢/٤ .

⁽٧١) السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر : الجامع الصغير من حديث البشير النذير ، ط ١ ، مطبعة مجازي ــ القاهرة ١٣٥٢هـ ، ١٢٥/٢ .

الأمراض التي تصيب الناس. فلقد أوصى الرسول (ص) المريض الذي عرف عنه أنه مصاب بمرض ساران لا يختلط بالناس الأصحاء حتى يلا يكون سبباً في عدواهم مما به من مرض . قال (ص) : « لا يورد المرض على المصح » (٧٧) ثم ان النبي عليه السلام لما علم أن هنالك وفدا من ثقيف قادما إليه وفيه رجل مجذوم سارع (ص) بالطلب من هذا الرجل للعوده الى دياره خوفا من أن يكون سببا لعدوى الناس وقال له : « ارجع فقد بايعناك »(٧٣) وزيادة في الحذر من عدوى مرض الجذام فقد أكد عليه السلام على الناس بالابتعاد عمن عرف أنه مصاب بهذا المرض الساري فقال (ص): « لا تدعوا النظر إلى المجذومين »(٧٤). وشدد رسول الله على تنظيف ما لوثته الكلاب لأنها _ أي الكلاب تسبب للانسان والحيوان مرض داء الكلب كها يسمى في وقتنا الحاضر. قال (ص): « اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليرقه ثم ليفسله سبع مرات »(٧٥) . وذهب عليه السلام إلى أبعد من هذا عندما أمر بقتل الكلاب بأستثناء كلاب الصيد والماشية والحرث فقال (ص): « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فأقتلوا منها الأسود البهيم وما من ووم اتخذوا كلب الا كلب ماشية أو كلب صيد أو كلب حرث إلا نقص من أجورهم كل يوم قيراطان »(٧٦). أما الوقاية من عدوى مرض الطاعون فقد نظمها الرسول عليه السلام عندما وضع أسآس الخبخز الصحي الذي لا يسمح للناس بالدخول والخروج من وإلى أي مكان موبوء بهذا المرض فقال (ص) : « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا ندخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخـرجوا منهــا »(٣٧). وعن بعدالله بن عامران أن الخليفة عمر (رض) خرج إلى الشام فلما وصل

مدينة بسرغ سمع أن الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبــدالرحمن بن عوف ان رسول الله (ص) قال : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه »(٧٨) . فها كان من الخليفة عمر إلا التوقف ولم يدخل الشام في ذلك الوقت بسبب إنتشار الطاعون . وللوقاية من الأمراض الزهرية والتناسلية وهي الأمراض التي سببها العلاقات الجنسيـة غير المشـروعة فقـد حرم الاسلام الفواحش الجنسية على الزواج من استطاع اليه سبيلا لأن من فوائد الزواج غض البصر وإبعاد النفس عن الحرام. فقد قال الرسول (ص): « يا معشر الشباب عليكم بالباءة فأنه أغض للبصر وأحصن الفرج فمن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم فأن الصوم له وجاء »(٧٩) وقال عليه الصلاة والسلام : « لم نر للمتحابين مثل النكاح »(٨٠). وزيادة في الحيطة والحذر من الأمراض المعدية التي من الممكن أنتقالها عن طريق الجماع غير المشروع فقد حث الرسول المسلمين على الزواج من النساء الحرائر المعروفات بأخلاقهن الصالحة وسيرتهن الحميدة . قال (ص) : « من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر »(٨١) . وعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله (ص) قالى : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »(٨٢).

الخاتمة ي

ان صلة الطب بحياة الانسان قديمة جدا. وقد مارس العرب ـ كغيرهم من الأمم ـ التطبيب انطلاقا من اهتمامهم بصحتهم البدنية والنفسية . وكان أغلب الذين اشتغلوا بالطب من الشيوخ والعجائز

⁽٧٢) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ٢/١٧١/.

⁽٧٣) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ١١٧٢/٢ ـ

⁽٧٤) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ٢/٢٧٢ .

⁽٧٥) مسلم : صحيح مسلم ٢٧٤٤١.

⁽٧٦) اين ماجة : سنن بن ماجة ١٠٦٩/٢ .

⁽٧٧) العسقلاني : فتح ٢١/٩٨٢ .

⁽٧٨) ابن أنس : الموطأ ص ٧٨٣.

⁽۷۹) الترمذي : سنن الترمذي ۳۹۲/۳.

⁽٨٠) ابنَ ماجَّة : سنَّن ابن مأجة ١/٥٩٣ .

⁽٨١) ابن ماجة : سنن بن ماجة ١٩٨/١ .

⁽۸۲) مسلم : صحيح مسلم ۱۰۹/۲ .

والكهان والسحرة حيث اعتمدوا في معالجتهم للأمراض على بعض الأدوية البسيطة واشتخدموا الرقي والتعاوية للاستشفاء وإلى جانب هؤلاء كان هنالك أطباء لهم معارف طبية وصحية متقدمة اكتسبوها من خلال أسفارهم الكثيرة إلى البلدان حيث استفادوا من تجارب وخبرات أطباء البلدان التي زاروها.

لقد عرف العرب أصنافا كثيرة من الأمراض فسعوا الى معالجتها بطرقهم المعروفة آنذاك . وبرز عدد من الأطباء نذكر منهم الحارث بن كلدة الثقفي والنضر بن الحارث وضماد بن ثعلبة وأبن أبي رمشة وغيرهم من الأطباء .

ولما جاء الاسلام حدث تـطور نوعي في مجـال الطب والثقـافة

الصحية فقد حثت التعاليم القرآنية عن ضرورة الاهتمام بحصة الفرد والمجتمع وكذلك الحال بالنسبة للسنة النبوية الشريفة التي جاءت مؤكدة ومفسرة لما ورد في القرآن الكريم من قواعد صحية تفيد المسلم. وقد أبطل الاسلام التطبيب بالسحر والرقي والتعاويذ التي كانت مستخدمة قبل الاسلام وأحل محلها الرقية الالهية والعلاجات الروحية الاسلامية. كما نهى عن التداوي بالمواد المحرمة كالسموم والخمور ولحوم الافاعي. وجرى التأكيد على صحة الانسان المسلم بدنيا ونفسيا وصحة طعامه وشرابه ولباسه وسكنه وتم تأشير الطرق والقواعد الت بموجبها تتم الموقاية من عدوى الأمراض السارية وحددت العلاقة بين المريض وطبيبه وغيرها من المواضيع الطبية والصحية.





البريد العسكري في العصر العباسي

د . خالد جاسم الجنابي

كلية التربية - جامعة بغداد

البريد: نظام لنقل الأخبار، وهو « أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن، فاذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب، فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً، وكذلك يفعل في المكان الآخر والآخر حتى يصل بسرعة »(١).

والبريد في الأصل الدابة المرتية في الرباط ثم سمي به الرسول المحمول عليها ، ثم سميت به المسافة المشهورة (٢).

والبريد في معناه اللغوي والاصطلاحي عربي الأصل والمنشأ، وقد وردت هذه الكلمة في معاجم اللغة العربية لتعني أرسال الشيء أو السير ، بل ان بعض الباحثين ذهب إلى ان أقدم تَنظيم بريدي عيد الأمم ظهر في وادي الرافدين ، وقد عرفه واستخدمه العراقيون القدماء من سومرين وأكديين وبابليين وآشوريين قبل أن يعرف الفرس أو اليونان (٣) .

وقد عرف العرب البريد قبل الاسلام ، وإلا أنهم لم يستخدموه كنظام أو مؤسسة ، لها محطات أو دواب أو سعاة ، وإنا كانت هناك بعض المصطلحات كراكب البريد⁽¹⁾ . والفيوج⁽⁰⁾ أي السعاة على الأقدام .

وبظهور الاسلام واستجابة كاجات الدولة العربية الاسلامية في

تنظيم شؤونها ، اقتضت الضرورة وجود الرسل الذين يتولون إيصال الرسائل والأوامر من القيادة المركزية والمتمثلة بالرسول (ص) إلى باقي أنحاء الجزيرة العربية ، ثم ظهرت الحاجة ماسة إلى وجود الرسل والسعاة في عهد الخلفاء الراشدين بعد أن توسعت رقعة الدولة العربية ، وبدأت عمليات تحرير الأرض العربية وهذا يقضي أن يكون الخليفة على علم تام بكل دقائق الأمور في الأمصار أو ساحات للعارك ، لذلك ظهرت أول إشارة إلى استخدام البريد في عهد الخليفة علم بل الخطاب (رض) في حدود سنة ١٣ هـ ، فقد ورد في تاريخ علم بل الخطاب (رض) في حدود منة ١٣ هـ ، فقد ورد في تاريخ الطبري ، « أن البريد قدم على المسلمين من المدينة بموت أبي بكر ، وبمور خالد بن الوليد ، وتأمير أبي عبيدة وهم باليرموك ، وقد التحم القتال بينهم وبين الروم »(١) .

ثم تزايد الإعتماد على البريد في نقل الأخبار خلال معارك التحرير والفتح في العراق والشام ومصر، حتى دعت الحاجة إلى إنشاء دور للبريد، فقد أورد الكتاني « أن دار البريد موضع بالكوفة كانت الرسل تنزل فيه إذا حضرت من الأمراء والخلفاء وكانت الدار في طرف البلدة »(٧).

ويبدو أن الضرورات العسكرية هي السبب الرئيسي في تطور

⁽١) ابن طباطباً ، محمد بن علي ، الفخري في الآداب السلطانية، بيروت ١٩٦٠, ٢٠١.

⁽٢) الفيروز أبادي. محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي ، المجلد الأول ص ٢٧٧ . الكتاني ، عبدالحي ، التراتيب الادارية جـ ١/ ١٩٢ .

⁽٣) خولة عيسى ، نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية حتى عام ٣٣٤ هـ اطروحة للماجستير على الآلة الكاتبة ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ٢٧ .

⁽٤) مصعب الزبيري ، نسب قريش ، نشر بروفنسال ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، دار المعارف ، ٣٦١ .

⁽٥) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٥٠/٢.

⁽٦) الطبري ، تاريخ ، ٣/٤٣٥ ، وقد ورد في ص ٣٩٨ « اذ قدم البريد من المدينة ، فأخذته الخيول ، وسألوه الخبر ، فلم يخبرهم الا بسلامة واخبرهم عن إمداد » .

⁽٧) الكتاني ، التراتيب الادارية ، ١٩٢/١ .

البريد إلى هذه الدرجة ، وبالرغم من عدم الإشارة إلى وجود ديوان أو مؤسسة خاصة للبريد في عهد الخلفاء الراشدين ، إلا أن تحديد مراحل البريد وسككه ووضع التاريخ على الكتب والرسائل ، وختمها بالطين (٨) ، يشير إشارة واضحة إلى أن تنظيمات البريد كانت مطبقة في كل أمصار الدولة العربية الاسلامية لغرض تأمين وصول الأخبار بصورة سريعة وأكيدة .

ويعد مجيء الأمويين إلى الحكم سنة ٤١ هـ وازدياد رقعة الدولة العربية الاسلامية ، دعت الضرورة الأمنية وجود مؤسسة تتولى الاشراف على نقل الرسائل والكتب والأوامر من عاصمة الخلافة «دمشق » إلى بقية أقاليم الدولة وبالعكس ، فكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان أول من أنشأ ديوانا للبريد (٩) .

وقد تطور البريد تطورا كبيرا خلال العهد الأموي وعلى الأخص بعد استقرار الحكم في خلافة عبدالملك بن مروان ، حيث ساهم البريد العسكري الذي بلغ درجة عالية من السرعة والدقة في التنظيم من تحقيق الانتصار على جيوش الاعداء ، والقضاء على الحركات المناوئة للدولة .

ويعد انتقال الحكم إلى العباسيين إزدادت أهيه البريد من الناحية العسكرية، لأن حاجة الجيش الدائمة إلى معرفة الأخبار عن العدو، وعدد جيشه وتسليحه والطرق التي يسلكها، والخطط التي يصنعها دعت العباسيين إلى العناية بأمور البريد، فنظموا البريد العسكري تنظيها دقيقاً وبلغ في هذا العصر درجة عظيمة من الرقي، فاصبح للبريد ديوان مستقل في بغداد يتولى الأشراف على جميع طرق البريد ومحطاته ، مما تحتم وجود جدول بأسهاء هذه الطرق ومحطاتها ومنازلها ومسافاتها(١٠٠)، وتطورت مهمات ديوان البريد في العصر العباسي حتى صار من أخطر مؤسسات الدولة، بحيث أن هذه العباسي حتى صار من أخطر مؤسسات الدولة، بحيث أن هذه

المؤسسة الخطيرة ، لم تكتف بنقل الرسائل والأوامر ، ومراسلات الدولة ، بل تعدته إلى قيامها بالاستخبار على كل مرافق الدولة وعمالها ، والقيام ببعض المهمات العسكرية ،فتشير الروايات إلى أن الخليفة السفاح استخدم البريد في نقل جزء من قواته بواسطة دواب البريد (١١) . وهذا بدوره أدى إلى إزدياد أهية البريد من الناحية العسكرية .

ولما تولى المنصور الخلافة وجه عنايته إلى البريد، فخصص له المبالغ الطائلة لتهيئة وسائل النقل السريعة كالخيبول والجمال السريعة والبغال النشيطة، كما أمر باصلاح الطرق وبناء الجسور والقناطر وإنشاء السكك (المحطات) فقد ذكر الاصبهاني ان المنصور كان يقول: «لا أبيت على تضييع الطريق فهو قوام الملك »(١٢). وكانت سكك البريد تحظى بإهتمام الخلفاء بشكل ملحوظ وتخضع لرقابتهم، وذلك لما يترتب على إضطراب الأمور فيهامن تعثر ملموس في سير أعمال البريد وسرعة توصيله للأخبار التي يعتمد عليها، وهذا هو الذي دعا العباسيين إلى التعرف على احوال الطرق وسد احتياجاتها من الخدمات (١٢٠). ونتيجة لهذه المجهود أصبح الخليفة على علم تام بكل ما يجري في أمصار الدولة، المجهود أصبح الخليفة على علم تام بكل ما يجري في أمصار الدولة، وللدلالة على انتظام البريد في عهد المنصور، ان عماله كانوا يوافونه بالأخبار كل يوم بما حدث في النهار أو الليل (١٤).

صاحب البريد:

لما كان ديوان البريد من أخطر مؤسسات الدولة فان (صاحب البريد) يعد من أكثر رجال الدولة أهمية ، لأنه هو الذي يتولي الاشراف على ايصال أوامر الخليفة الى العمال والولاة وتلقى ما يرد

 ⁽A) اشار الطبري في تاريخه الى أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضى) « أول من أرخ الكتب وختم بالطين » ٢٠٩/٤.

⁽٩) الطبري ، تاريخ ٥/٣٣٥، ابن طباطبا ، الفخري ، ٢٠١ ، ابن قيم الجوزيه ، محمد بن بكر ، تحقيق د . نزار رضا ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ١٦ .

⁽١٠) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ت محمد حسين الزبيدي بغداد/ ١٩٨١، ٧٧_ ٧٨. خولة عيسى، نشأة البريد ٥٣.

⁽١١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ، ٤٣/١٠ .

⁽١٢) الراغب الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٦٩/ .

⁽۱۳) خولة عيسي ، نشأة البريد ، ۲7 .

⁽١٤) الطبري ، تاريخ ، ١٦/٨ .

منهم من تقارير أو أخبار وعرضها على الخليفة (١٥). ويكن تشبيهه بالعين التي يرى بها الخليفة كل ما يجري في انحاء الدولة ، ويتحسس بواسطته على المناوئين لها (١٦) . وبالنظر الى المنزلة الكبيرة التي يتمتع بها صاحب البريد فان منصبه يعد من أكبر المناصب حساسية ، فهو صاحب الأخبار الرسمي والمشرف على جميع السطرق والمسالسك المهمة ، وله عيون يوافونه بكل جديد لذلك فان الخلفاء العباسيين لا يختارون لهذه المهمة الا من كان ثقة عدلاً (١٧) . وقد أوجز أبو يوسف الشروط الواجب توفرها في صاحب البريد بقوله « وتأمر باختيار الثقات العدول من أهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والأخبار وتتقدم اليهم في أن لا يستروا عنك خبراً عن رعيتك ولا عن ولاتك ، ولا يزيد فيها يكتبون به عليك خبراً المن وأن لا يرووا عن شيء لا أصحاب البريد في أن يحتاطوا في أخبارهم « وأن لا يرووا عن شيء لا بعلمونه ، ولا يحابوا أحداً بستره ، وأن يكتموا أخبارهم ولا يذيعوها ولا يخلدوا الى كشفها وإفشائها ، فان في ذلك اذا جري وَهُناً ولن اراد ولا يخلدوا الى كشفها وإفشائها ، فان في ذلك اذا جري وَهُناً ولن اراد الحيلة مُتَطَرِّقاً ولن الله .

ومما يدلل على أهمية مكانة صاحب البريد هو ارتباط المباشس بالخليفة ، حيث لم يكن بينهما أية واسطة ، وذلك لكي لا يشمع الأحد بالاطلاع على الأخبار قبل انهائها الى الخليفة الذي يقرر فيها بعد اشاعة الخبر او كتمانه حسبها تقتضيه مصلحة الدولة(٢٠٠).

ولضمان السرية التامة في نقل الأخبار الى الخليفة كانت هناك علامة أو اشارة متفق عليها بين الخليفة وصاحب بريده فضلاً عن الكتاب او الختم ، فالخليفة لا يعترف بمضمون كتاب صاحب البريد ولا ختمه الا اذا تضمن تلك العلامة ، اذ من المحتمل ان يكون صاحب البريد قد بعث الكتاب تحت ظروف التهديد (٢١).

ولا يقتصر عمل صاحب البريد على نقل الأخبار والرسائل بين العاصمة والولاة بل تعدى الى المراقبة والاستخبار عن كل ما يجري من أمور ، سواء سلوك العمال او الولاة أو القادة أو الموظفين الاداريين وعن أحوال جميع الناس (٢٢١) . ومن ذلك يظهر ان صاحب البريد هو أول رجل استخبارات عرفته الدولة العربية الاسلامية ، وان هذه المهمة الخطيرة التي يضطلع بها جعلته يتمتع بمكانة عالية بين كبار القادة العسكريين ورجال الحرب ، بل أن القادة العسكريين انفسهم كانوا تحت رقابة أصحاب البريد والأخبار وأن معارك عمورية التي قادها الخليفة المعتصم أظهرت مدى ما يتمتع به صاحب البريد من دور خطير في كشف المؤامرة التي كانت تحاك من قبل القادة العسكريين وتستهدف قتل الخليفة المعتصم ومبايعة العباس بن المأمون بالخلافة (٢٢٠).

أمار واجبات صاحب البريد الأساسية فهي (٢٤):

١ _ الالمام التام بمعرفة الطرق والمنافذ وصيانتها .

٢ ـ معرفة طرق الاعداء ومناطق تقريهم وتسللهم.

٣ ـ معرفة حيل الجواسيس في الدخول والخروج والتخفي .

٤ ـ دراسة كتب أصحاب البريد في الثغور والولايات وعرضها
 على الخليفة .

 هـ الاشراف على السعاة والموظفين في محطات البريد وصرف ارزاقهم وأرزاق دوابهم.

٦ _ تعيين أصحاب الخرائط في سائر الأمصار .

⁽١٥) قدامة بن جعفر ـ الخراج ، ٧٧.

⁽١٦) سيدة كاشف ، الوليد بن عبد الملك ، القاهرة ١٩٦٧ ، ١٨١ .

⁽١٧) قدامة بن جعفر ، الحراج ، ٧٧.

⁽۱۸) ايو پوسف ۽ الخراج ۱۸۲.

⁽١٩) قدامة بن جعفر ، الحراج . ٥١ .

⁽٢٠) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ، ٨٥ . خولة عيسى ، نشأة البريد ، ٦٠ .

⁽٢١) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ، ٨٩ ـ ٩٠ .

⁽٢٢) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ٣٦١.

⁽۲۳) الطبري ، تاريخ ، ۱۹۲۷ ، ۷۴ ، ۲۷ .

⁽٢٤) ابن خرداذبة ــ المسالك والممالك ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

ونحن عندما نتطرق الى البريد العسكري لا نتناول الواجبات الأساسية لديوان البريد، التي تتضمن نقل أوامر الخليفة الى ولاة الأمصار، وتلقي كل ما يدور في هذه الأمصار من أمور تستدعي اطلاع الخليفة عليها، بل نتناول الواجبات التي لها مساس الناحية العسكرية، لما لها من أهمية بالغة على أمن الدولة العربية الاسلامية ومصالحها العليا.

وبالنظر لأهمية البريد في نقل المعاملات العسكرية فقـد كانت هناك وسائل عديدة لنقل البريد العسكري يمكن حصرها بما يلي :

١ ـ دواب البريد.

٢ ـ السعاة .

٣ - الحمام الزاجل.

٤ ـ البريد النهري.

ه م ألنسيار ،

١ ـ دواب البريد:

استخدام العرب الخيول في نقل البريد بين مختلف أقاليم الدولة، وقد قيزت هذه الخيول بانها كانت مقصوصة الأذناب وهي علامة خصصت لخيول البريد، وكانت هذه الخيول موزعة على محطات البريد المنتشرة على طول الطرق الرئيسية للدولة وبمسافة تتراوح بين ثلاثة أميال الى اثني عشر ميلاً بين محطة وأخرى (٢٦١)، فاذا وصل صاحب الخبر المسرع الى محطة من هذه المحطات وقد تعب فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً، وكذلك يفعل في المحطة الأخرى والأخرى حتى يصل بسرعة (٢٧١).

وقد أولى العباسيون نظام البريد عناية خاصة ففي عهد الخليفة هارون الرشيد نُظم البريد تنظيها دقيقاً حتى قيل أن للرشيد عيناً لا تنام في أقصى زوايا ملكه (٢٨). وفي خلافة المعتصم بالله انقطع عن بغداد ما كان يحمل اليها من مدينة البصرة بسبب تغلب (الزط)(٢١) على منطقة البطائح (الأهوار) ، فوضع المعتصم بين البطائح وبغداد خيلًا مضمرة ملهوبة الأذناب تركض اليه بالأخبار ، فكان الخير يخرج من قائد الجيش في منطقة البطائح فيصير الى المعتصم من يومه (٣٠).

وبلغ من اهتمام الخليفة المعتصم بتتبع ابناء بابك الخرمي أنه نظم البريد بينه وبين قائد جيشه (الأفشين) فجعل من سامراء الى منطقة حلوان (٣١) خيلاً مضمرة على رأس كل فرسخ (٣١) فرس مع راكب، فكان يركض بالخبر ركضاً حتى يؤديه من واحد الى واحد يداً بيد، ومن حلوان الى اذربيجان وهي منطقة وعرة ربت فيها عدداً من الخيول يركض بها يوماً أو يومين، ثم يتدل ويصير غيرها ويحمل عليها جماعة من الغلمان كل دابة على رأس فرسخ ومعها راكبها، وجعل هم حراساً على رؤوس الجبال ليلاً ونهاراً وأمرهم أن يصيحوا إذا جاءهم الخبر، فاذا سمع الذي يليه النداء تهيأ فلا يبلغ اليه صاحبه الذي صاح حتى يقف له على الطريق فيأخذ الرسائة منه، فكانت الرسالة تصل من عسكر الأفشين الى سامراء في أربعة أيام أو أقل (٣٣)).

وكانت ظروف الحرب سواء بين الدولة العربية الاسلامية والبيزنطيين أو عند القيام باخاد الحركات والفتن تستلزم سرعة ايصال النجدات ، لذلك استخدم البريد في نقل الجنود فكان قطار

⁽٢٥) الحرائط : مجمع خريطة وهي كيس من جلد توضع فيه الكتيب والرسائل وقد جاء في القاموس المحيط « الخريطة وعاء من أدم وغيره يُشْرَجُ على ما فيه » أي يحكم غلقه بحلد ٢٧٢/٢.

⁽٢٩١) ابن طبا طبا، الفخري، ٢٠١، أدم منز، الحضارة الاسلامية، ١٠٥/٠.

⁽۲۷) ابن طبا طبا ، الفخرى ، ۲۰۳.

⁽۲۸) عبد ألجبار الجومرد ، هارون الرشيد ، ۲۲۸/۲.

٣٩١) الزط : أصلهم من السند استخدمهم القرس في بعض مناطق الخليج العربي قبل الاسلام . كما أن محمدين القاسم الثقفي بعث بجماعة منهم الى الحجاج عند فتحة السند ــ البلادري فتوح ، ١٩٦٦ ، ٣٩٧.

⁽٣٠) البلاذري ، فترح ، ٣٦٩ ، العيون والحدائق ، ٤٧٢ .

⁽٣١) قرب خانقين حالياً .

٢٢١) الفرسخ : يساوي ٣ أميال أو ٥ كم .

⁽١٣٣) المطبري ، تاريخ ٩/٧٥ . نعمان ثابت ، الجندية في الدولة العباسية ١/٣١.

البريد يتألف من دابة أو أكثر حتى يبلغ في بعض الأحايين أربعين أو خسيين دابة(٢٤٠٪ .

وفضلاً عن الخيول استخدمت البغال في نقل البريد وخصوصاً في المناطق الجهلية والباردة لعدم امكان استخدام الخيول أو الجمال وذلك لما يتمتع به البغل من القدرة على الهداية في كل طريق يسلكه مرة واحدة كما يتميز بماحتماله الأثقال وبصبره على طول الطريق (٣٥).

واستخدم العباسيون الجمال ايضاً في نقل البريد، وكانوا يعولون عليها في قطع القفار واجتياز الصحاري، فليس هناك حيوان يتحمل السير والعطش في هذه المناطق أكثر من الجمل(٢١١). ومن الطبيعي أن تستخدم الجمال السريعة الجري لنقل البريد عبر الأراضي الصحراوية التي لا يستطيع قطعها غير الجمل، ويشير ابن كثير الى أن الحليفة المهدي اهتم بالبريد في المناطق الصحراوية فأقام محطات بريد بين مكة والمدينة واليمن في سنة ١٦٦٩هـ واستخدم في هذا الطريق الجمال (٢٧٠). ومن الطبيعي أن تستخدم أنواع من الجمال سريعة الجري لنقل البريد عبر الأراضي الصحراوية التي لا يستطيع قطعها غير الجمل، ومن هذه الأنواع التي اشتهرت بسرعة الجري الجمال (المهرية) و (البختية) التي توصف بالصبر على السير وسرعة الخطو (٢٨).

وبالنظر للميزات التي يتمتع بها الجمل فقد كان الواسطة في نقل متطلبات القوات العربية الاسلامية من المؤن والذخيرة وايصالها مناطق القتال ، وكان يتولى الاشراف عليها وقيادتها اعداد كبيرة من الرجال (٣٨) ، واستخدمت (الجمّازات)(٣٩) في نقل البريد فقد قام

الوزير علي بن عيسى بترتيب الجمازات بين مصر وبغداد لتوافيه كل يوم بأخبار قائد الجيش مؤنس الخادم الذي انتدب لحرب صاحب القيروان سنة ٣٠٢هـ(٤٠).

ورغم تميز دواب البريد بان أذنابها كانت مقصوصة لتفريقها عن غيرها من دواب الخدمة ، فقد تميزت أيضاً بأن تُعلَّق في أعناقها جلاجل أو سلاسل اذا ما تحركت سمعت لها قرقعة تعرف عندهم بقعقعة البريد (٤١).

٢ _ السيعاة :

ومن وسائل نقل الأخبار والرسائل التي استخدمها الجيش العباسي هي استخدام السعاة ، وهم رجال خفاف تعودوا الجري والصبر على السير مسافات طويلة في رحلة واحدة ، فعند تعذر وصول البريد الى ناحية من النواحي خاصة في أوقات الأزمات وأكروب التي لا يمكن خلالها بعث بريد الخيل أو غيره لانعدام الاطمئنان على وصوله الى المكان المراد بسلام فحينئذ يكون السعاة خير من يوصل الأخبار والرسائل من غير أن ينكشفوا ، أو في المناطق الجبلية الوعرة التي يتعذر فيها سير الدواب ، لذلك كانت تدفع المدولة بن بوية أول أمراء الديلم ببغداد بعد سنة ٣٠٠ه. فقد اراد أن يعلم أخاه ركن الدولة بأصبهان يتجددات الأخبار فاتخذ السعاة أن يعلم أخاه ركن الدولة بأصبهان بتجددات الأخبار فاتخذ السعاة لمرعوش ، وقد فاقا سائر السعاة وبلغ من شأنها أن كل واحد منها مرعوش ، وقد فاقا سائر السعاة وبلغ من شأنها أن كل واحد منها كان يسير في كل يوم أكثر من أربعين فرسخاً (٢٤).

⁽٣٤) فتحى عثمان ، الحدود الاسلامية ، ٣٠٥/٢.

⁽٣٩) الجنابي ، تنظيمات الجيش في العصر الأموى ، ١٣٠ ، خوله عيسي ، نشأة البريد ، ١١٥ .

⁽٣٦) كمالٌ عادل . استراتيجية الفتوحات . ٥٥ . خالد الجنابي ، تنظيمات الجيش . ١٣٠ ، خوله ، نشأة البريد ، ١١٩ .

⁽٣٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٥/١٠ ، ٤٣ . جهادية القرغولي ، التنظيمات الادارية في العصر العباسي الأول . رسالة دكتوراه مقدمة الى جامعة عين شمس ١٩٧٤ (بالآلة الكاتبة) .

⁽٣) خوله عيسي ، نشأة البريد ، ١١٩ .

⁽٣٨) كمال عادل , استراتيجية الفتوحات ، ٥٥ ، الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ١٣٠ .

⁽٣٩) الجمازات : نوع من الجمال سريعة المشي ، لفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ١٦٩/٢ .

⁽٤٠) غريب القوطبي ، صلة تاريخ الطبري مطبعة برايل ، لئنن ، ١٩٦٠ ، ص ٥٣ .

⁽٤١) خوله ، نشأة البريد ، والقعقعة : هي صوت السلاح ، القاموس المحيط ٧٧/٣.

⁽٤٢) ابن الأثير ، الكامل ، ١٩٥٨ . الأنصاري ، تغريج الكروب ، ١٥.

وبالنظر لشهرة هذين الساعيين فقد تهافت شبان بغداد على هذه الحرفة واقبل فقراء الناس على تسليم أبنائهم الى معز الدولة لتدريبهم على ذلك (٤٣).

واتخذ الجيش العباسي السعاة في بلاد الأعداء نفسها ونقل الرسائل بين قادة القوات المتقدمة ، ففي حملة عمورية علم الخليفة المعتصم بتحرك ملك الروم لمواجهة القائد العباسي (الأفشين) ، فوجه من عسكره جماعة من السعاة والأدلاء وضمن لكل واحد منهم عشرة آلاف درهم إن أوصلوا كتابه الى الأفشين ، ليكون على علم بتحرك الروم ، كها أمر قائداً من قواده أن يوجه من قبله ساعياً من الأدلاء الذين يعرفون الجبال والطرق الى الأفشين ليعلمه بالأمر ايضاً (11).

وهناك نوع من السعاة يُسمون (الغيوج) جمع فيج وهم رسل البريد الذين ينقلون الأخبار والرسائل من بلد الى آخر. ولا يشترط بهؤلاء الفيوج أن يكونوا سعاة على أقدامهم دائياً لأن المسافات التي يقطعونها طويلة جداً ، ثما يحتم عليهم ركوب الخيل أو الدوال لتأمين سرعة ايصال الرسائل (63).

ومن السعاة أيضاً ما عرف باسم الشعوذي وقد أثار آغرثني آلى أن الشعاوذة هم رسل الأمراء الى أصحاب البرد في الأقاليم مهمتهم نقل الأخبار بسرعة (٤٦).

وعرف نظام البريد نوعاً آخر من السعاة هم (الكوهبانية) أي أصحاب الأخبار المكلفون بنقلها بين قطعات الجيش واعطاء الاشارات الى أمراء الوحدات العسكرية لاحاطتهم علماً بكل ما يجري عند العدو، وقد ورد ذكرهم كثيراً في حروب بابك الحزمي

وموقعة عمورية (٤٧). وكان هؤلاء الكوهبائية يعتمدون في نقل أخبارهم على تحريك الاعلام فيقفون على مشارف الطرق وعلى المرتفعات، وعند مشاهدتهم حركة غير اعتيادية يقومون بتحريك الأعلام بطريقة متفق عليها فيفهم قائد القطعة العسكرية مضمون الخبر (٤٨). ومن واجباتهم أيضاً اعلام قائد الجيش عن كمائن العدر ودورياته ليتخذ الحيطة والحذر، فكان الأفشين يفرق رجباله الكوهبائية ليفتشوا الأودية عسى أن يقعوا على مواضع الكمناء فيعرفها (٤٩). وقد عَمِل الكوهبائية كأدلاء يرافقون القبطعات فيعرفها ليدلوها على الطرق والمسالك الصحيحة (٤٠٠).

وقد ورد اسم (الفروانقيون) باعتبارهم من السعاة أيضاً يتولون نقل الرسائل بين الولاة وكبار المظفين في الأمور المهمة التي تستدعي السرية ووجوب التنفيذ، أو باعتبارهم المسؤولين عن تأمين سير السعاة والخيالة والاشراف على محطات البريد ويمكن تشبيههم بالمفتشين (٥١).

٣ ـ الحمام الزاجل:

ويعد من أبرز وسائل نقل البريد العسكري، وقد عني العباسيون به عناية خاصة، واتقنوا استخدامه في نقل الأخبار بشكل منظم، فقد ورد في الأخبار أن الخليفة هارون الرشيد استعان بالحمام الزاجل للتعرف على أخبار أقاليم الدولة المختلفة (٥١). ويظهر أن مؤسس فرقة القرامطة في القرن الثالث الهجري، كان قد استعمله على صورة واسعة النطاق فاتخذ لنفسه في بداية أمره طيوراً تحمل اليه في مقره أخباراً من جميع البلاد بيستعين بذلك على الشعوذة والإخبار الغيب الغيب الله المنافية المنافية المنافية والإخبار

⁽٤٣) ابن الأثير ، الكامل ، ١٥/٨، أدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ١١٤/١ .

⁽٤٤) الطيري، تاريخ، ٥٩/٩. فتحي عثمان، الحدود الاسلامية، ٣٠٦/٢.

⁽٤٥) خوله عيسي ، نشأة البريد ، ٧٣ ـ ٧٤ .

⁽٤٦) الهرثمي ، مختصر سياسة الحروب ، ٣٨ .

⁽٤٧) الطبري ، تاريخ ، ٢٤/٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥ .

⁽٤٨) الطبري ، تاريخ ، ٢٤/٩ .

⁽٤٩) نفسه ، ٣٧.

^{. £7/£0 .} ami (0.)

⁽٥١) خوله، نشأة البريد، ٦٨.

⁽٥٢) ابن قتيبة ، الأمامة والسياسة ، (منسوب) ، ١٦٢/٢ .

⁽٥٣) أدم متر ، الحضارة الاسلامية ، ٢١٦/١ .

و في سنة ٢٢١هـ أطلقت الطيور من مناطق أذربيجان وأرميثية إلى الخليفة المعتصم في سامراء تحمل له أنباء الانتصار على بابك الحزمي (عُهُ) . وفي سنة ٣١١هـ لما قرب القرامطة من الأنبار ، وأراد ُ الخليفة المقتدر بالله معرفة أخبارهم ، أرسل الوزير ابن مقله أطياراً إلى الأنبار ، فكان يُكْتَب عليها أخبار القرامطة يوماً بيوم (٥٥) .

ويظهر أن الأخبار والرسائل التي يحملها الحمام الزاجل كان يُعتمد عليها اعتماداً كبيراً في أثناء الحرب مع القرامطة ، فقد سلم الوزير على بن عيسى مائة طائر الى مائة رجل وأمرهم أن يكتبوا له بأخبار القرامطة وقتاً بوقت (٥٦).

ومن طریف ما بروی أنه كان ببغداد رجل علوي اسمه محمد بن عمر أبي الحسن الشريف له طيور في بغداد والكوفة ، وبينها كان هذا الشريف جالساً عند الوزير يوماً ورد الخبر بوصول رسول القرامطة الى الكوفة فدعت الضرورة الاسراع بالكتابة الى الكوفة للاحسان الى الرسول ، فأرسل الشريف طائراً الى الكوفة بالخبر فوصيل الجواب بالامتثال للأمر وهو لا يزال جالساً عند الوزير(٥٧). ويروى ابن طباطبا أن الخليفة المقتدر جهز جيشاً الى احدى الجهات وكان شديد التطلع الى أخبار هذا الجيش فارسل أحد رجال الخاشيت ويدعى أبو العباس أحمد بن الخضيب ، طيوراً بصحبة بعض ثَقَاتَهُ مَعَ الجيش ، وقال لصاحبه : سرَّح كمل يوم طيموراً وعليها الأخبار ، فكانت الأخبار تره على ابن الخصيب كل يوم فيعرضها على الخليفة ، حتى أن الخليفة المقتدر لم يفته من أمر الجيش شيء ، فتعجب المقتدر من ذلك وعندما علم أن ذلك كان من حسن تدبير أحمد بن الخصيب استوزره (۵۸).

٤ _ البريد النهرى:

وقــد استفاد العبــاسيون من الأنهار والمجــاري المائيــة في نقل الأخبار أو ايصال الرسائل والكتب والأوامر، فاستخدموا سفن البريد لايصال الرسائل والأخبار عبر المجاري الماتية ، أو أن الرسائل كانت توضع في بعض الأحيان في قصبة وتربط بحزمة من الحشيش وترمى في النهر وذلك اذا كان المرسل اليمه على طريق المجرى المائی(۵۹) .

ه ـ النــــار:

واستخدمت النار كوسيلة من وسائل نقل الأخبار ، وخاصة في الجهات الواقعة في آسيا الصغرى وبلاد الشام ، والتي كانت خاضعة **مِنْ قِبِل للدولة البيزنطية ، لأن هذه الدولة كانت تستعملها ، أما في** غير/ذلك من انحاء الدولة العربية الاسلامية فلم تستعمل (٦٠). وكانت طريقة نقل الأخبار بواسطة النار هي يناء المناظر والأبراج العالية على المرتفعات وتنقل الأخبار بواسطة اشعال النار فينتقل الخبر من منظرة الى اخرى حتى يبلغ المكان المطلوب. وقد اشــار المقريزي في الخطط الى استخدام النار في نقل الأخبار في ولاية ابراهيم بن الأغلب على أفريقية سنة ٢٦١هـ، حيث كانت النار توقد على الحصون والمحارس على طول ساحل البحر من مدينة سبتة الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية في ليلة واحدة وبينها مسيرة أشهر (٦١) .

⁽٥٤) السعودي ، مروج الذهب ، ١٩٧٤ .

⁽٥٥) عريب ، صلة تاريخ الطبري ، ١١٠ .

⁽٥٦) مسكوية ، تجارب الأمم ، ٥ /٢٩٨.

⁽٥٧) مسكوبة / تجارب الأمم ، ١٣/٦.

⁽٥٨) ابن طباطباً . القخري ، ٣٧٠ .

⁽٥٩) فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ، ٣٠٧/٢. (٣٠) أدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ١/٥١٧ .

⁽٦١) المقريزي ، الخطط ، ١/ ٢٨٠ .

مصادر البحث

- ١ أبن الأثير: عز الدبن على بن محمد ت ١٣٠هـ.
 ١ الكامل في التاريخ دار الطباعة، القاهرة، ١٢٩٠هـ.
 - ۲ _ ابن خرداذبه: عبيد الله بن عبد الله _ ت ٣٠٠هـ.
 المالك والممالك، ليدن ١٨٨٩.
 - ۳ ـ ابن طباطبا : محمد بن علي ـ ت ۲۰۹هـ .
 ۱ ـ الفخرى في الآداب الاسلامية ـ بيروت ۱۹۹۰ .
 - ٤ _ ابن كثير : عماد الدين ابو الفداء _ ت ٤٧٧هـ .
 _ البداية والنهاية .
 - ابن منظور: ابو الفضل جال الدين ـ ت ٧١١هـ .
 لسان العرب .
 - ٦ أبو يوسف: يعقوب بن ابراهيم ت ١٨٧هـ.
 الخراج القاهرة ، ١٣٥٢هـ الطبعة الثانية .
- ٧ آدام متز:
 الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ط ٣٠،
 القاهرة ، ١٩٥٧م .
- ٨ ـ الأنصــــاري : عمر بن ابراهيم .
 ـ تفريج الكروب في تدبير الحروب ، تحقيق د. ج سكاتلون ،
 القاهرة ، ١٩٦١م .
 - ١ الحسن بن عبد الله من القرن الثامن .
 آثار الأول في ترتيب الدول القاهرة ، يولان ١٣٩٥هـ .
 - ١٠ ـ سيدة كاشف .
 ـ الوليد بن عبد الملك ـ القاهرة ، ١٩٦٢م .
- ١١ ـ سيد أمير علي .
 ـ مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي ، ط ١ ، بيروت
 ١٩٦١ م .
 - ١٢ _ الطبري : محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ .

- ـ تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ِ ١٩٧٩م .
 - ۱۳ ـ عريب : القرطبي . ـ صلة تاريخ الطبري ، يرابل ، ليدن ۱۹۲۵م ،

۱٤ ـ عيسي : خولة .

١٥ ـ فتحي عثمان :

١٧ _ القرغولي : جهادية .

- ـ نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية الاسلامية ، حتى عام: ٣٣٤هـ ، اطروحة على الآلة الكاتبة ، بغداد / ١٩٨٥م .
- ـ الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
 - ١٦ ـ الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب ـ ت ٨١٧هـ .
 ـ القاموس المحيط (٤) أجزاء ، القاهرة .
- ــ التنظيمات الادارية والعسكرية في العصر العباسي الأول ، اطروقة دكتوراه على الآلة الكاتبة ، عين شمس ، ١٩٧٤م .
 - ١٨ ـ الكتاني : عبد الحي .
 ـ التراتيب الادارية ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
 - ١٩ _ كمال : أحمد عادل .
 _ استراتيجية الفتوحات الاسلامية ، بيروت ١٩٧٧م .
 ٢٠ _ مسكوية : ابو علي أحمد بن محمد _ ت ٤٢١هـ .
 - 10 _ مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد ـ ت 10 عـ . _ تجارب الأمم وتعاقب ألهم .
 - ٢١ ـ المقريزي : تقي الدين احمد بن علي ـ ت ٧٧٠هـ .
 ـ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ليدن ١٩١٣م .
 ٢٢ ـ نعمان ثابت .
 - ـ الجندية في الدولة العباسية ، بغداد ١٩٣٩م .
 - ٢٣ ــ الحرثمي : أبو سعيد الشعراني ــ (صاحب المأمون) .
 ختصر سياسة الحروب ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

العلاقات السياسية بين الأيوبيين والموحدين في المغرب الأقصى

۷۲۵ هـ ـ ۸۸۹ هـ ۱۱۷۱ م ـ ۱۱۹۳ م

د . رشيد عبد الله الجميلي كلية الآداب ـ الجامعة الستنصرية

غهيسد:

من الموضوعات التاريخية الهامة التي تسترعي اهتمام الباحثين طبيعة العلاقات السياسية بين الأينوبيين والمنوحدين في المفترب الأقصى خلال حكم صلاح الدين الأيوبي (١٦٧ هـ ـ ٥٨٩ هـ). وذلك بسبب الغموض الذي اكتنف تلك العلاقات التي اتسلت بالفتور حينا والتوتر أحيانا ، في وقت كانت الدولة العربية تشهد فيه أخطر هجمة أوربية واسعة النطاق أسفرت عن احتلال اِلَعدَيْدَيْمَنّ مدن الشام واقليم الجزيرة الغراتية ، وفي مقىدمتها القندس « أولى القبلتين وثالث الحرمين » وأعنى بذلك الحملات الصليبية التي شرع الغرب الأوربي في توجيهها نحو المشرق العربي منبذ نهاية القبرن الخامس الهجري ٤٩١ هـ كها ان الموحدين في المغرب العربي كانوا. بواجهون في هذه المرحلة هجمات النورمانديسين ويضطلعون بمهمة الدفاع عن الأندلس وحمايتها من الاسبان والبرتغاليين الذين صعدوا من عملياتهم العسكرية البرية والبحرية ضد الوجود العربي الاسلامي في الأندلس . وعليه فقد كان من الضروري أن يقوم هناك نوع من التعاون والتنسيق بين الأيوببين والموحدين خلال هـذه المرحلة الحرجمة من تاريخ الدولمة العربيمة الاسلاميمة في العصر الوسيط الا أنه على الرغم من اشتداد الهجمة الأوربية ضد المشرق في أعقاب نجاح صلاح الدين في تحسرير القـدس وتقويض دعــائم

الكيان الصليبي في بلاد الشام، لم يحرك الموحدون ساكنا ولم يسارعوا الى مد اخوانهم في المشرق بأسباب القوة التي تساعدهم على الوقوف في وجه الحملة الصليبية الثالثة ووقفوا موقفا سلبيا من النياء الذي وجهه صلاح الدين الأيوبي والذي تضمن حاجته الى مساعدة الموحدين الذين كانوا يتوفرون على قوة بحرية لا يستهان بهايكتها أن تأهب دورا كبيرا في التصدي لأساطيل أوربا المتجهة الى سواحل الشام.

على أن هذا الموقف من جانب الموحدين لا بد أن يكون محصلة لأحداث سابقة أسهمت في توتر العلاقة بين الدولتين منذ السنوات الأولى لقيام الدولة الأيوبية في مصر، وهي أحداث شائكة الخذت أبعاذا سياسية خطيرة لدى هذا الجانب أو ذلك على الرغم من أن تلك الأحداث لم تكن بالضرورة معبرة عن سياسة الدولة أو تمت بتخطيط مسبق منها كها سيتوضح ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها صلاح الدين الى أبي يوسف يعقبوب المنصور، وهذا البحث هو محاولة لكشف الغموض عن طبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين الأيوبيين والموحدين من خلال تتبعنا لتطور الأحداث التي رافقت قيام الدولة الأيوبية في مصر والسياسة التي انتهجها صلاح الدين خلال تلك المرحلة ونظرة الموحدين للأيوبيين وموقفهم من أحداث المشرق.

⁽١) بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد نسبة لأخواله الذين نشأ في كنفهم بعد وفاة ابيه ، وكان شداد جده لأمه (ابن خلكان : وفيات الأعيان . ج ٢ ، ص ٢٢١ ، طبعة بولاق ٢٩٩٩هـ) .

مصادر البحث :

من المناسب أن أعرض لأهم المصادر التي اعتمدت عليها في معالجة هذا الموضوع، ويأتي في مقدمتها: كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد (١١). الذي يعتبر من أهم المصادر التي أرخت للدولة الأيوبية في عصر صلاح الدين، باعتباره شاهد عيان للأحداث التي وقعت منذ التحاق ابن شداد بخدمة صلاح الدين في سنة ٥٨٥ هـ كقاضي للعسكر، وتأتي أهمية هذا المصدر بفضل مكانة مؤلفه الذي كان صديقا أمينا لصلاح الدين لازمه حتى وفاته، وقد أوقفنا بفضل ما اشتهر به من بصيرة نافذة في ادراك الدوافع أو الحواجز التي حركت صلاح الدين الى اتخاذ العديد من القرارات المعاسمة (١٠).

أما المصدر الثاني فهو كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي للعماد الاصفهاني⁽⁷⁾ الذي وصفه ابن خلكان بأنه كان (من جلة الصدور المعدودين ، والأماثل المشهورين يضاهي الوزراء ، ويجري في مضمارهم)⁽²⁾ ، وقد التحق العماد بخدمة صلاح الذين بعد وفاة نور الدين محمود في حلب سنة ٥٦٩ هـ وشهد معه المواقع كلها ووصف عن كثب ما دار في معركة عكا ، ويعتبر العماد من مقدمي كتاب صلاح الدين الذين شاركوا في ادارة الدولة الأيوبية ولم ينقطع عن صحبته حتى وفاته في سنة ٥٨٩ هـ .

ومن المصادر الأخرى التي تحتل أهية بارزة في هذا الموضوع، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥٥٥ هـ - ٦٣٠ هـ) الذي لا يضارعه أي مصدر آخر في وفرة وثائقه، وما التزمه من التوازن بين أقاليم الدولة العربية الاسلامية ومقارنة ما يقع بها من الأحداث، وقد أفاد ابن الأثير من الهمذاني وابن حمدون وابن الجوزي والعماد الأصفهاني والحسيني وابن شداد وابن القلانسي وأبن عساكر والعظيمي. كها أفاد من ابن شداد الصنهاجي في تاريخ المغرب. على أن رواية ابن الأثير عن صلاح الدين زاخرة بالأخبار

القيمة التي استمد معظمها من عماد الدين الكاتب وابن شداد فضاؤه عن مشاهداته وخبراته الشخصية ، والجدير بالذكر ان ابن الأثير كلي قد شارك مع عساكر الموصل في قتال الصليبيين سنة ٥٧٤ هـ حيك انتقد سياسةصلاح الدين تجاه الصليبيين لأنها أدت الى تجميع فلولم في صنور الق استعصى تحريرها بعند ذلك محسلا صلاح النيه مسؤولية هذا العمل(٥)، وبالاضافة الى هـذه المصادر الـرئيسيا الثلاث هناك عدد من المؤرخين الذين تحتل مؤلفاتهم مكانة بارزة لم تاريخ العصر الاسلامي الوسيط بوجه عام والأيوبي بوجه خاص نذكر منهم : القساضي الفاضـل ت ٥٩٦ هـ(١١) وزير صــلاح النبيج وموضع ثقته ، وقد أفادنا في معرفة الكثير من جوانب سياسة صلامًا الدين خلال ملازمته له ، وقد وردت نصوص مما كتب القاضي الغاضل في كتاب الروضتين لأبي شامه المقدسي (٥٩٩ ـ ٥٦٥ هـ ﴿ ووفيات الأعيان لابن خلكان (ت : ١٨١ هـ) وغيرهما ، على أنَّ كتاب الروضتين يعتبر في الواقع سجلا مفصلا لتـــاريخ الـــدولتين النورية والأيوبية وتكمن أهمية هذا المصدر في أنه حفظ لنا وثالثيُّ هامة لم نجدها في المصادر التي سبقته تتعلق بمراسلة صلاح المدين ليعقوب المنصور الموحدي ، ويلي الروضتين مصدر آخر لا يقل أهمية عنه وهو كتـاب مفرج الكـروب في أخبار بني أيــوب لابن واصل (٢٠٢ هـ ــ ٦٩٧ هـ) الذي أرخ للدولة الأيوبية منذ قيامهـا حقَّ زوالها ، وقد تناول الجزء الثاني من مؤلفه هذا عصر صــلاح الدين ﴿ وجهاده الأعظم ضد الصليبيين ، وقد نقل عن أبي شامة المعلومات؟ المتعلقة بعلاقات الأيوبيين مع الموحدين في المغـرب الأقصى، أمَا المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) فقـد تضمن كتابـه السلوك لمعرفـة دول الملوك ، معلومات عن دخول قراقوش الى أفريقية ورد فعل الموحدين؟ ازاء هذه الأحداث ، كذلك أشار القلقشندي في « صبح الأعشى » ال العلاقات بين صلاح الدين الأيوبي ويعقوب المنصور وحفظ لنا نص رسالة أخرى وجهها صلاح الدين الى الملك الموحدي تختلف في كثير

من فقراتها عن الرسالة التي أوردها أبو شامه في الروضتين.

Gibb, The Arabic Sources for the life of saladin Speculum, 25, 1950, p. fr. (*)

⁽٣) هو أبو عبد الله محمد بن حامد بن عبد الله ، ولد باصبهان سنة ٥١٩هـ وتوني بدمشقَ في سنة ٥٩٧هـ .

⁽٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

⁽٥) نظير حسان ، خمسة من معاصري صلاح الدين . القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٠ ـ ١١ .

⁽٦) هو محم الدين العسقلاني ، كان يتولى ديوان المكتبات في العهد الفاطمي .

أما بالنسبة للمصادر المغربية التي اعتمدت عليها في هذا البحث فيأتي كتاب « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » لعبد الواحد المراكشي(٧) ، في مقدمتها ذلك لأن مؤلفه من المعاصرين لأحداث المجلة التي نحن بصدد دراستها من جهة ، وكونه ألف كتابه هذا في المشرق من جهة أخرى مما جعله يتحرى الموضوعية في كتاباته حيث أتاح له قربه من مسرح الأحداث الوقوف على معلومات دقيقة تتعلق بنشاط الأتراك الذين دخلوا أفريقية بقيادة قراقوش وتحالفهم مع بني غانية وموقف الموحدين من هذه الأحداث. ويملي كتاب المعجب مصادر أخرى لها أهميتها في تاريخ المغرب، وهي: البيان المغرب لابن عذاري المراكشي(٨) وروض القرطاس لابن أبي زرع (علي بن محمد القِاسي) ، والمصدرين الأخيسرين استمدا معظم مادتها التاريخية عن كتاب المن بالاماحة لابن صاحب الصلاة الذي يعد من أبرز الوثائق التي تحدثت عن دولة الموجدين بسبب معاصرة مؤلفه لها^(۱). وهناك مصدر آخر له أهبيت. خصوصا فيها يتعلَّق بدخولُ المماليك الأتراك أفريقية وأعنى به : « رحلة التيجاني » لأبي محمَّدُ الْتَيْجَانِي ۥ اللَّذِي اعْتَمَدُ عُلَيْـهُ أَبَنَ خَلَدُونَ فِي سَرِدُ أَحَدَاتُ الحروب آلق اندلعت بين الموحدين وبنوغانيه وحلفاتهم من الإتراك بقيادة قراڤوش ، أما فيها يتعلق بوصول رسول صلاحُ الدَّينَ الأَبْوِيِّ الى المغرب ومغادرته له فقد اعتمدت على كتاب: الاستبصار لمؤلف مجهول عاصر أحداث تلك الفترة .

كما استعنت بعدد من المصادر الآخرى والدراسات الحديثة التي صدرت في المفرب وتناول مؤلفوها موضوع الدولة الوحدية بالاضافة الى بعض الدراسات الأجنبية وخصوصا الفرنسية منها والتي تناولت الحديث عن شخصية صلاح الدين الأيوبي مشل

Champdoy ' Saladin le plue pur heros de - Islam وتلك التي أرخت للحروب الصليبية ككتاب جروسية :

Crousset 'Histoire des Croisades'

: وكتاب الفريد بيل عن بني غانية وحروبهم ضد الموحدين في أفريقية Alfred bel les Banou Ghanya '

نَشَأَةَ الدُّولَةِ الأيوبيَّةِ : "

لا بد لِلبحث في تاريخ العلاقات بين الأيوبيين والمسوحدين من الاشارة بشيء من الايجاز الى نشأة الدولة الأبوبية وسياسة صلاح الدين الخارجية والظروف التي اضطرته الى طلب المساعدة من الموحدين في المغرب الأقصى، وسوف لن أتعرض للحديث عن المرحلة السابقة لتولي صلاح الدين السلطة في مصر ، فذلك أمر يتعلق بالظروف التي واجهتها مصر أواخر العصر الفاطمي الذي شهد تفجر الصراع حول السلطة بين الوزراء وتدخل نور الدين محمود بن ونكي (١٠٠). الذي نفذ عبدة حملات عسكسرية بقيادة أسد الدين شيركوه الى مصر. انتهت بتولي الأخير منصب الوزارة في خلافة العاضد لدين الله القاطمي سابع عشر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة الخير أن شيركوه لم يلبث أن أدركته الموفاة في الشاني والعشرين من جادي الآخرة من السنة المذكُّورة فوقع اختيار العاضدُ على صلاح الَّذين ولَقْبُهُ بِالمَلِكُ النَّاصِ(١٢) ، ورأَى نور الدَّيْنَ محمود ضرورة الافادة من هذا الموقف بالاسراع في اسقاط الخلافة الفاطمية واعادة مصر الى حظيرة الخلافة العباشية . فأرسل الى صلاح الدين يطالبه بتحقيق هذا الهدف دون تناخير مهمها كانت الظروف ، فتم اعلان الخطية اسم الخليفة العباسي المُستَضىء بأمر ألله في أول جمعة من شهر محرم سنة 370 هـ أيلول ١٩٧١ م (١٢).

⁽٧) هو أبو محمد عبد الواحد بن على التميمي المراكشي ولد بمراكش شنة ٥٨١هـ آما تاريخ وفاته فغير معروف ، وقد الف كتابه هذا في سنة ١٣١هـ ..

⁽٨) الجزء الثالث تحقيق أمبروس هُريسي ميراندا ومشاركة محمد بن ناويت ومحمد ابراهيم الكتاني، تطوان ١٩٦٠.

⁽٩) ُهُو عَبد الْملك بن محمد بن محمَّد بن أبراهيم الباجي نسبة لمدينة باجةً ، كان يحتَلُ مُركَزاً مُرموقاً في البلاط الموحدي ، وَيَجعل المؤرخَينَ تاريخ وفاته حوالي سنة ١٠٥هـ (انظر مقدمة : تاريخ المن بالاماحة على المستضعفين ، تحقيق د. عبد الهادي التازي بغداد ١٩٧٩ .

⁽١٠) هو نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي أثابك الموصل تولى حكم حلب وما جاورها من مدن الشام بعد وفاة ابيه في سنة ١٤٥هـ للمزيد من التفاصيل عن هذه الفترة انظر : د. رشيد الجميلي ، دولة الأثابكة في الموصل ، بيروت ١٩٧١ .

⁽١١) ابن شداد ، سيرة صلاح الدين ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٤٠ .

⁽١٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٠١ تحقيق د. جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٥٧ والجدير بالذكر أن صلاح الدين كان قد شرع باتخاذ عدد من الاجراءات التمهيدية للقضاء على الخلافة الفاطمية . فأبعد عدد من قادة وأمراء الجيش الفاطمي ورجال القصر عن القاهرة واستولى على اقطاعاتهم وقصورهم ووزعها على أمراء جيشه ليضمن ولاءهم واخلاصهم له .

وهكذا أصبح صلاح الدين الحاكم الوحيد في البلاد يتصرف في شؤونها كيف يشاء ، يساعده في ذلك أفراد أسرته الذين استدعاهم من بلاد الشام وشرع بتوزيع الاقطاعات والمناصب على أمراء جيشه وأسرته .

ويبدو أن العلاقات بين صلاح الدين ونور الدين محمود قد بدأت تتأثر في أعقاب سقوط الخلافة الفاطمية وانفراد صلاح الدين في حكم البلاد وادارة شؤونها ، جلى أننا لسنا هنا بصدد البحث في الأسباب التي أسهمت في تدهور العلاقة بين الرجلين . الا أن النتائج التي ترتبت على هذا الموضوع قد تفسر انتهاج صلاح الدين لسياسة خارجية تهدف من وجهة نظر عدد من المؤرخين المعاصرين لهذه الأحداث البحث عن ملك جديد يكون موثلا لدولته الناشئة فيها اذا قرر نور الدين دخول مصر ، وابعاده عنها وقد أشار ابن شداد الى هذا الموضوع فذكر نقلا عن صلاح الدين قوله (كان بلغنا عن نور الدين أنه ربما قصدنا بالديار المصرية ، وكانت جماعة من أصحابنا يشيرون بأن نكاشف ونخالف ونشق عصاه ، ونلقى عسكره بمصاف نرده اذا تحقق قصده ، وكنت وحدي أخالفهم ، وأقول : لا يجوز أن بقال شيء من ذلك ، ولم يزل النزاع بيننا حتى وصل الخبر بوفاته (١٢٠)

كها تناول الرحالة المغربي التيجاني موضوع العلاقات بين صلاح الدين ونور الدين محمود ، فقال (حدثت بين صلاح الدين ونور الدين وحشة خاف يسببها صلاح الدين أن يتحرك نور الدين على مصر ، ويستولي عليها لنفسه ... فانقسم أمره بين بلاد اليمن وبلاد المغرب ، فقال أخوه تورانشاه بن أيوب : أنا أتوجه الى اليمن واستفتحها وأعيدها لك ان احتجت اليها ، فتجهز اليها في السنة المذكورة ـ ٨٦٥ هـ ـ وأفتحها في المنة التي بعدها وهي سنة المذكورة ـ ٨٦٥ هـ ـ وأفتحها في المنة التي بعدها وهي سنة المذكورة ما أنا أتوجه الى المغرب فأفعل مثل ذلك)(١٤٠) ، غير أن تقي الدين تراجع عن قيادة هذه الحملة بسبب صعوبة تنفيذها(١٥٠) ، ويذكر الدين تراجع عن قيادة هذه الحملة بسبب صعوبة تنفيذها(١٥٠) ، ويذكر

المؤرخون أن قراقوش مملوك تقي الدين أخذ على عاتقه مهمة اخضاع أ أفريقية ، فقد أشار أبو شامة في الروضتين نقلا عن العماد الكاتب أن أ نور الدين محمود كتب الى الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله سنة الله منه م

يقول: « ومن جملة حسنات هذه الأيام الزاهرة ما تيسر في هذه النوبة من افتتاح بعض بلاد النوبة والوصول الى مواضع منها لم تطرقها سنابك الحيل الاسلامية في العصور الخالية وكذلك استولت عساكر مصر أيضا على برقة وحصونها وتحكموا في محكم معاقلها وحصونها حتى بلغوا حدود المغرب فظفروا من السؤال بعنقاء مغرب كها ذكر أبو شامة أيضا ان قراقوش غلام تقي الدين عمر قد دخل أفريقية سنة ٥٦٨ هـ « مع طائفة من الترك فانضم اليه جماعة من العرب فاستولى على طرابلس وكثير من بلاد أفريقية ما خلا المهدية وصفاقس وقفصة وتونس »(١٦٠).

وقد أدى دخول هذه العناصر أفريقية الى خلق المشاكل أمام المحدين الذين كان تفوذهم قد شمل المنطقة الممتدة من المحيط غربا حتى طرابلس شرقا ، وأجد من المفيد هنا أن أعرض بايجاز الى نشأة الليولة المسوحدية في المغرب الأقصى وتوسعها في المغرب الأدلى والأوسط .

نشأة الدولة الموحدية :

قامت الدولة الموحدية على أنقاض دولة المرابطين، وتنسب الى خصد بن تومرت (١٧١) الذي أخذ على عاتقه محاربة المرابطين بعد عودته من رحلته الى المشرق سنة ٥٠١ هـ فشرع بانتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية في المغرب موجها اللوم على المرابطين فانضمت اليه جموع كبيرة من البربر المصامدة وغيرهم وأصبح في وضع يمكنه من القيام بعمل ايجابي ضد المرابطين فقاد عددا من الحملات ضدهم، كان آخرها هجومه على مراكش سنة ٥٧٤ هـ الذي

⁽١٣) ابن شداد ، سيرة صلاح الدين ، ص ٤٧ .

⁽١٤) رحلة التيجاني، ١١١ ، تونس ١٩٥٨ .

Alfred bel, les Banou Ghanya, p. 50, Paris, 1903. (\0)

⁽١٦) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١٥ ، (دار الجيل بيروت) .

⁽١٧) هو محمد بن عبد ألله بن تومرت من أهالي سوس وينتسب الى حركة البربرية .

توفي على اثرة ، فبايع أصحابه الذين عرفوا بالموحدين عبدالمؤمن بن على اثرة ، فبايع أصحابه الذين عرفوا بالموحدين عبدالمؤمن بن على الذي كان من أبرز ثلاميذ أبن تومرت الذين تولوا قيادة الحملات ضد المرابطين مئذ سنة ٧١٥ هـ ، ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية بفضل ألانتصارات التي حققها ضد المرابطين والتي انتهت بسقوط دولتهم في سنة ١٤٥ هـ (١٩١) .

وقد عمل الموحدون على توسيع رقعة نفوذهم شرقا نحو المغربين الأدنى والأوسط في أعقاب قيام النورمائديين بالاستيلاء على سواحل أفريقية . بالاضافة الى ما ثردد من أخبار حول سيطرة بعض قبائل بني سليم وهلال على عدد من المدن في المغرب الأوسط ، فقرر عبدالمؤمن الخروج من مراكش قاصدا بجاية وذلك في سنة ٢٤٥ هـ . فيدأ بمدينة الجزائر ودخلها بصورة مفاجئة ، وكان الأمير الحسن بن فيدأ بمدينة الجزائر ودخلها بصورة مفاجئة ، وكان الأمير الحسن بن علي بن تحييل بن تحييل المدية في أيدي النورمان ، فرحب بعبد المؤمن وانضم اليه في زحقه نحو بجابة ، ولمكن الموحدون خلال هذه الحملة من فرض سيطرتهم على هذه المديئة وعلى مناطق أخرى ، عاد بعدها عبد المؤمن الى مراكش تاراكا ولده عبدالله على الجزائر وبجاية وأعمالها (٢٠).

ولم يلبث عبد المؤمن أن خرج ثانية نحو المغرب الأوسط وتمكن من دخول تونس عنوة أواخر سنة ٥٥٣ هـ ، كيا فرض نفوذه على المهدية في السنة الثالثة بعد حصار استمر سبعة أشهر (٢١) .

وذكر ابن خلدون أن عبد المؤمن خلال حصاره للمهدية أرسل ولده عبد الله لاخضاع المناطق المجاورة ، فأخضع قابس وقفصة وطبرق وجبل زغوان وشقنبارية والأربس (۲۲) . وقد أكد المراكشي ان الموحدين أخضعوا طرابلس الغرب وبلاد الجريد كلها . وأصبحت دولتهم تمتد من السوس الأقصى غربا الى طرابلس شرقا(۲۲) .

العلاقات بين الموحدين والأيوبيين :

ان دراسة العلاقات السياسية بين الدولة الموحدية والدولة الأيوبية تتصل في الواقع بظروف ونشأة كلا الدولتين وموقفها من الخلافة العباسية وانعكاس ذلك على سياستها الخارجية.

فالنسبة للدولة الموحدية فان قيامها كان قد تم على أنقاض الدولة المرابطة التي انتهت بسقوطها الدعوة للخلفاء العباسيين في المغرب، ولم يقف الأمر الى هذا الحد بل ان الموحدين قد تلقبوا بالخلافة منذ عهد عبد المؤمن بن علي سنة ٥٢٨ هـ الذي تسمى بأمير المؤمنين، فأصبحوا بذلك ينافسون العباسيين بهذا اللقب شأنهم شأن الفاطميين في مصر والأمويين في الأندلس.

على أننا يجب أن لا نغفل تأثير آراء محمد بن تومرت حول الأرضاع السياسية والدينية والاجتماعية في المشرق خلال زيارته التي قام إبها سنة ٥٠١ هـ والتي استمرت خسة عشر عاما ، محملا الخلافة العباسية مسؤولية تدهور الأوضاع في المشرق وعجزها عن القيام بواجبها تجاه المسلمين ، ومهاجما الفاطميين بسبب تقصيرهم في مواجهة الحملات الصليبية وتردي أحوال مصر الداخلية . فشرع منذ عودته الى الشمال الافريقي بدعوة الناس الى التمسك بالدين وتطبيقه ونبذ كل فهم لا يرتضيه الاسلام (٢٤٠) . وقد حرص خلفاء ابن تومرت على التمسك بمنهجه والعمل على تحقيق دعوته في تغيير الأوضاع ليس في المغرب فحسب بل المشرق أيضا ، وقد وضح هذا الانجاه لدى الموحدين بصورة ملفتة للنظر فقد أورد المؤرخ المراكشي في المعجب عن سياسة يعقوب المنصور (٥٨٠ هـ ٥٩٥ هـ) فقال :

⁽١٨) عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي ، ولد سنة ١٨٧هـ بقرية من أعمال تلمسان ، والتحق بخدمة ابن تومرت وحاز على ثقته ونال اعجابه وأصبح من أبرز تلاميذه فعهد اليه بقيادة الحملات ضد المرابطين ، وقد تلقب عبد المؤمن بلقب بالخلافة سنة ٥٢٨هـ .

⁽١٩) المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب . ص ٧٩ ، طبعة دمشق ١٩٧٨ .

⁽٢٠) المراكشي ، المعجب ، ص ٨٠ ـ ٨١ ، ٨١ ، أبن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٣٣ ـ ٣٦٤ .

⁽٢١) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٢٩ ، نشر ابسال ١٨٤٣ ، الحلل الموشية لمؤرخ مجهول ، ص ١١٧ ، توفي ١٣٣٩هـ .

⁽۲۲) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٩٤ .

[.] ۲۳) المراكشي ، المعجب ، ص ۲۳۰ .

⁽٢٥) كان محمّد بن تومرت برى أن الدولة العربية الاسلامية تمر في مأساة ، فالمشرق في رأيه متقدم علمياً ضعيف ساسياً ، والمغرب قوي عسكرياً ضعيف علمياً وفاسد عقائدياً . وقد دفعته اراءه هذه الى الوقوف خطيباً في موسم الحج بمكة المكرمة معلناً ثورته على تلك الأوضاع وخص بالذكر الدولة الفاطمية التي أوهنت الاسلام واذهبت هيبته) انظر : عبد الله علام ، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن .

« بلغني من غير واحد أنه صرح للموحدين بالرحلة ألى المشرق وجعل يذكر البلاد المصرية وما فيها من المناكر والبدع ويقول نحن أن شاء الله مطهروها ، ولم يزل هذا عرمه إلى أن مات رحمه الله في صدر سنة ماه هذا الله الله الله في صدر سنة

كذلك ظهرت ملامح تلك السياسة من خلال القصائد التي تغنى بها الشعراء في البلاط الموجدي نقتطف منها قول الشاعر عبد السلام الجسراوي في مدح أبي يعقبوب يوسف بن عبد المؤمن (800 هـ ـ 600 هـ) (٢٦)

ستملك أرض مصدر والعراق وتجري نجوك الأمم استباقا كها مدح الشاعر المذكور أيضا يعقوب المنصور (٥٨٠ هـ م

سينظم السعد مصر في ممالكه حتى يسدوخ منها خيله حلسا الى البعسراق الى الحجساز الى أقصى خراسان ليتلوجيشه الرعبا هيو الذي كانت الدنيبا تؤلمه وكيل عصر له ما زال مرتفبا

وانطلاقا من سياسة الموحدين وتطلعهم لتحقيق الأهداف والمبادىء التي نادى بها محمد بن تومرت تم اخضاع المغربين الأذنى والأوسط ووصلت حدود دولتهم الى برقة شرقا ، وله يقفول الى فذا الحد بل عبروا المضيق الى الأندلس وقضوا على ما بقي فيها للمرابطيين من نفوذ (٢٧) . وحققوا سلسلة من الانتصارات ضد الماليك الاسبانية الشمالية وأوقعوا بالأساطيل البرتغالية (٢٨) .

وقد ترامنت هذه الانتصارات التي حققها الموحدون في المغرب والاندلس مع أحداث شهدها المشرق آنداك تمثلت بسقوط الفاطميين وعودة مضر الى حظيرة الخلافة العباسية على يد صلاح الدين الأيوبي الذي أرسل حملة عسكرية الى اليمن قصت على الدولة المهدية وأعاد الحطية للعباسيين هناك (٢٩).

ولا شك أن قيام الدولة الأيوبية قد حال دون تحقيق أهدان الموحدين وتطلعهم نحو المشرق ، وكان لشخصية صلاح البين ودوره القيادي الرائد في حركة الجهاد ضد الغزو الصليبي قد أضاف يعدا آخر لأحداث هذه المرجلة التاريخية التي نجن يصدد دراستها، وهكذا أصبح من المستبعد قيام علاقات طبيعية بين الأيوبيين والموحدين خلال هذه المرحلة التي كان من أبرز ملامحها غياب التنسيق والتعاون بين الدولتين في مواجهة الموجات الصليبة التي استهدفت احتلال الشام ومناطق هامة من المشرق وبلغت ذروتها في استهدفت احتلال الشام ومناطق هامة من المشرق وبلغت ذروتها في عصر صلاح الدين.

وقد جاءت أحداث سنة ٥٦٨ هـ لتشكل تصعيدا خطيرا في تدهور العلاقة بين الأيوبيين والموجدين وذلك على أثر دخول قراقوش أفريقية مع طائفة من الأتراك واستيلائه على « طرابلس وكثير من بلاد أفريقية ما خلا المهدية وصفاقس وقفصة وتونس »(٣٠).

فقد اعتاب الموخدون أن خله الحنالة قد الت بالشجيع الدين الايرابين والمعلوم الدين والمعلوم الدين الحارجية في أعقاب التذافر الذي طرأ على علاقته مع الورا الدين الحدود ومحاولته البحث عن مكان آخر يكون موثلا لدولته الناشئة فيها إذا نفذ نور الدين الديد باخراجه عن مصن

ومع اقرارنا بصحة ما تردد من توتر العلاقة بين صلاح الدين ونور الدين محمود الا أننا تستبعد أن تكون جملة قراقوش عده ضمن التوجه الذي ردده بعض المؤرخين لجملة أسباب منها مان جده الحملة لم تكن على مشتوى من التخطيط والاعداد عن جيث العدة والعدد للقيام بمثل خده المهمة من جهة وغدم تولي أحد أمراء الأسرة الأيوبية قيادة عده الحملة من جهة أخرى كها خذت مثلاً في الحملة طبا بلاد النوبة سنة ١٩٠٨ عد حيث عهد صلاح الدين الى أخيه الأكرر توران

⁽۲۵) المراكشي ، المعجب ، ص ۱۸۲ .

⁽٢٦) عبد الله علام ، الدولة الموحدية في المغرب، ص ٢٠٢، طبعة دار المعارِف بمصر .

⁽٢٦) ابن الآبار . الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة . ١٩٦٣ .

⁽٢٧) نفس المصدر الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ، ابن صاحب الصلاة ، المن بالاباحة ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ـ .

⁽٢٨) ابن شداد بيسيرة صلاح الدين ، ص ٦٦ (حكم المهنيون زبيدين عامي ١٥٥٠هـ ١٥٥٠ على الحكم ثلاثة من هذه الأسرة هم : علي بن مهدي بن علي وعبد النبي بن مهدي انظر .Lane-poole, Mohammadan Dynasties, p. 96

⁽٣٠) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

شاه بقيادتها ، وكذلك الجملة على بلاد اليمن سنة ٥٦٩ هـ والتي تولى قيادتها توران شاه نفسه أيضا ، وما تجدر الاشارة اليه هنا أنه في الرقت الذي كان قراقوش قد بدأ توغله في أفريقية كانت أنظار الأيوبيين تتجه شرقا نحو بلاد الشام بعد وفاة نور الدين محمود في سنة ٥٦٩ هـ وتحمل صلاح الدين مسؤولية الحفاظ على وحدة الدولة والانجازات التي تحققت خلال الصراع ضد الغزاة الصليبيين والوقوف في وجه الأطماع التي ظهرت على الساحة السياسية في الشام على أثر تطلع بعض الأمراء لفرض سيطرتهم على الصالح الشام على أثر تطلع بعض الأمراء لفرض سيطرتهم على الصالح عشرة من عمره ، وهكذا أملت الظروف الجديدة على صلاح الدين عشرة من عمره ، وهكذا أملت الظروف الجديدة على صلاح الدين الانتقال إلى الشام ليكون على مقربة من مسرح الأجداث استعدادا النياتية حيث تم له اخضاع أملاك الأثابكة هناك وفي مقدمتها امارة الموصل التي تعرضت للحصار الأيوبي على شلائة مراحل انتهت بخضوعها لصلاح الدين المضوعها لصلاح الدين المناه النهاء المناه المن

ويبقى اهتمام صلاح الدين بتحرير الشام من الاحتلال الصليبي عتل مُرْكز الصدارة والخطورة في ضميره وتتكيره فلم يخلد الى الراحة طيلة السنوات التأليبة التي شهدت تضاعدا خطيرا في الحركة الصليبية التي سخر لها الغرب الأوربي المكاتات هائلة وعليه فإن أمور المغرب لم تعد تحتل حيرًا في سياسة صلاح الدين الخارجية وقد جاء نقيه لأي تخطيط أو علم بحملة قراقوش تأكيدا لهذة السياسة.

أما من وجهة النظر الموحدية فإن اجتياح قراقوش الأفريقية وسيطرته على مناطق وأسعة في المغرب الأدنى قد شكل تهديدا خطيرا للموحدين وخلق لهم مشاكل داخلية كادت تزعزع كيانهم السياسي وتعرضه للانهيار. وقد تجسدت تلك الأخطار من خلال الحلف الذي انعقد بين قراقوش والقبائل العربية في المغرب الأدنى ووقوع العديد من المدن في قبضة الأتراك الذين أعلنوا ولاءهم للخلافة العباسية

والدولة الأيوبية وازداد الأمر خطورة بتدخل علي ابن اسحق بن غانية حاكم جزيرة ميورقة وهو من بقايا المرابطين الذين كانوا يتطلعون لاستعادة نفوذهم في المغرب، وقد أشار المؤرخ ابن الأثير الى ذلك في أحداث سنة ٥٨٠ هـ فقال : « في هذه السنة في شعبان خرج علي بن اسحق المعروف بابن غانية وهو من أعيان الملتمين الذين كانوا ملوك المغرب، وهو حينئذ صاحب جزيرة مبورقة الى بجاية (٣٢) فملكها »(٣٣)، مما اضطر يعقوب المنصور الى التدخل بجاية (المسلكر في البرعشرين ألف فارس وجهز الأسطول في البحر في خلق كثير واستعادوها)(٣٤)، وكان ببجاية انذاك يحيى وعبدالله أخو علي بن أسحق فهريا عنها ولحقا بأخيها المذي كان يقيم بقسنطينة فرحل الى أفريقية في صفر من سنة ٥٨١ هـ.

على أن استعادة الموحدين لمدينة بجاية لم يكن نهاية هذا الصراع، فقد تضاعدت حدة المعارك وحقق بنوغانية وحلفائهم مكاسب جديدة على حساب الموحدين ، فأورد المؤرخ ابن الأثير أن عليا بن أسحق حين عاد الى أفريقية بعد سقوط بجاية انحازت اليه قبائل سليم ورباح وبقية العرب هناك (وانضاف اليهم الترك الذي كانوا قد دخلوا مصر مع قراقوش ... ودخل أيضا من أتراك مصر مملوك لتقي الدين ابن أخي صلاح الدين ، اسمه بوزايه ، فكثر جمعهم ، وقويت شركتهم ، قلها اجتمعوا بلغت عدتهم مبلغا كثيرا ، وكلهم كاره لدولة الموحدين ، واتبعوا جميعهم علي بن أسحق الملثم ، لأنه كان من بيت الملكة والرياسة القديمة وانقادوا اليه ولقبوه بأسير المسلمين، وقصدوا بلاد أفريقية فملكوها جميعها شرقا وغربا الامدينتي تونس والمهدية)(٣٥)، وأقدم علي بن اسحق على قطع الخطبة للمسوحدين وخطب للخليفة الناصر لدين الله العباسي ، وذكر ابن خلدُون أنه أرسل سفارة الى بغداد ضمت ولده عبد المؤمن وكاتبه عبد البر ابن فرسان طالبا تقليده البلاد واعانته على اعادة بناء الدولة المرابطية مذكرا باخلاص أسلافه ووفائهم للعباسيين(٣٦) ثم أتبع ذلك

⁽٣١) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر د. رشيد الجميلي ، دولة الأتابكة في الموصل .

⁽٣٢) بجاية : مدينة على ساحل البحر بين (أفريقية والمغرب ، البغدادي : مراصد الاطلاع ، ج ١ ، ص ١٦٣ ، مصر ١٩٥٤ .

⁽٣٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٧٠٥ .

⁽٣٤) نفس المصدر: الكامل، ج ١١، ص ٥٠٨.

⁽٣٥) نفس المصدر السابق : الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٠ . (٣٦) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٩٦ .

بالاستيلاء على مدينة قفصة (٣٧) سنة ٥٨٢ هـ وفشل الموحدون في استعادتها خلال الجولة الأولى التي دارت في ربيع الأول من سنة ٥٨٣ هـ ، فأعادوا الكرة وتمكنوا من دخول قابس واستعادة قفصة ، وذكر المراكشي ان يعقوب المنصور حين دخل قابس أخرج عنها أهل قراقوش وأولاده وحملهم الى مراكش سنة ٥٨٤ هـ (٣٨).

وقد استغل عدد من أفراد الأسرة الموحدية حالة الفوضى التي سادت المغرب فأعلنوا الاستقلال بولاياتهم وفي مقدمتهم أبو حقص عمر الملقب بالرشيد - أخو يعقوب المنصور - وكذلك عمه سليمان بن عبد المؤمن وكان الأول قد أعلن ثورته في مدينة مرسيه بالأندلس والآخر تبادلا من بلاد صنهاجه ، وقد تمكن المنصور من القاء القبض عليهها والأمر بقتلهها (٢٩).

أما فيها يتعلق بتأثير هذه الأوضاع على سياسة الموحدين نجو الأندلس فلا شك أنها تركت أثارا سلبية استثمرت نتائجها القوي المعادية للمسلمين هناك فقد اضطر يعقوب المنصور الى توقيع هدنة أمدها خمس سنوات مع النصارى في شمال اسبانيا ليتفرغ لعالجة الأوضاع الداخلية ، وذكر ابن أبي زِرع ان المنصور لم ينهض الى الأندلس لقتال النصارى الذين هاجموا مدينة (شلب) ، واكتفى بكاتبة أهلها طالبا اليهم الوقوف في وجه أعدائهم ، معللاً ذلك بانشغاله بمحاربة بنو غانية وحلقائهم في المغرب ، وقد شجعت هذه بالظروف نصارى الأندلس الاستيلاء على مناطق جديدة هناك (-2).

ويظهر مما تقدم أن دخول العناصر التركية بقيادة قراقوش الى أفريقية قد أساء بشكل خطير الى العلاقات بين الأيوبيين والموحدين وجعل امكانية التعاون بين الدولتين يكاد يكون مستحيلا في وقت كان فيه المشرق يواجه أخطر هجمة أوربية صليبية عرفها العصر الوسيط ، ولم تلق رسالة صلاح الدين الى يعقوب المنصور الاستجابة التي كان يرجوها على الرغم من ملازمة رسوله للبلاط الموحدي مدة تزيد على السنة .

وقيل أن نتحدث عن أسباب رقض يعقوب المنصور نداء صلاح الدين بالمشاركة في الدقاع عن الشام والوقوف في وجه الصليبين، لابد أن نعرض إلى الأسباب أو الظروف التي دفعت صلاح الدين الي الاستنجاد بالموحدين وهو أمر بحدث الأول مرة منذ بداية الفزو الصليبي لبلاد الشام عام ٤٩١ هـ / ١٠٩٧م أذ لم يسبق لقادة حركة الحهاد ضد الصليبيين بمدءاً من عماد الدين زنكي (١٩٥هـ المهاد ضد الصليبيين بمدءاً من عماد الدين زنكي (١٩٥هـ فقد كان الاستنفار يقتصر على عصر والشام واقليم الجزيرة الفراتية بفقد كان الاستنفار يقتصر على عصر والشام واقليم الجزيرة الفراتية بفلا بد أذن والحالة هذه أن تكون هناك ظروف قاهرة دعت صلاح الدين الى التفكير بطلب المساعدة من الدولة الموحدية رغم بعدها عن ساحة الصراع . فيا هي تلك الأسباب وما هو نوع المساعدة التي كان صلاح الدين يرجوها من الموحدين خلال تلك المرحلة من تاريسيغ صلاح الدين يرجوها من الموحدين خلال تلك المرحلة من تاريسيغ الصراع ضد الغزاة الصليبيين .

فالنسبة الي الظروف التي دفعت صلاح الدين الي التطلع يجو الموحدين في المغرب الاقصى لابد أن نشير بايجاز الي الاوضاع التي عقيه عاشها الغزاة الصليبيون في اعقاب الانتصار الكيبير الذي حقيه صلاح الدين في موقعة حطين سنة ٥٨٣هـ - ١١٨٧م حيث توالت هزائمهم بعد هذه المعركة وسقطت معاقلهم وحصونهم المعتبة من بافا جنوبا الي بيروت شمالا بالإضافة الي عسقلان وقلعة طيرية اليم جاء الانتصار العظيم الذي تكلل بتحرير القدس في رجب بينة ٥٨٩هـ / ١١٨٧م (٤٠) وقد كان لتحرير القدس رد فعل عنيف في اوربا الغربية فشرعت باعداد حملة جديدة استجابة لاستغاثة الصليبيين في الشام وقد أشار ابن واصل أن الرهبان والقساوسة ليسوا الجيداد عقب استعداد صلاح الدين لبيت المقدس وقام بطرك القدس باصطحاب استعداد صلاح الدين لبيت المقدس وقام بطرك القدس باصطحاب عاعة منهم الى الغرب الأوربي وطافي بهم البلاد مستنجدا بأهلها جاعة منهم الى الغرب الأوربي وطافي بهم البلاد مستنجدا بأهلها حالًا لهم على استرجاع القدس (٤٤) و كيا المقريزي ابضيا ان حالًا لهم على استرجاع القدس (٤٤) و كيا المقريزي ابضيا ان

⁽٣٧) قفصة : بلدة صغيرة في طرف أفريقية من ناحية المغرب، البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ٣. ص ١٩١٣.

⁽٣٨) المراكشي ، المعجب ، ص ١٦٧ ــ ١٦٩ .

⁽٣٩) المراكشي ، المعجب ، ص ١٧٢ _ ١٧٣ .

⁽٤٠) ابن ابي زرع ، روضِ القرطِاس ، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠ .

⁽٤١) بن شداد ، سيرة صلاح الدين ، ص ٧٥ ـ ٢٩ ب

⁽٤٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ .

الصليبيين رأسلوا الفرنج في صقلية ودعوهم لنصرتهم (٤٣)، أما مؤرخوا الغرب فقد ذكروا ان رئيس اساقفة صور شرح للبابا اوربان الثالث حالة الصليبيين في الشام بعد سقوط بيت المقدس فلم يحتمل البابا تلك الأخبار المؤلمة فتوفي من الحزن في ٥٨٣هـ تشرين اول ١١٨٧م. مما دفع خلفه جريجوري الثامن الى حث ملوك اوربا على القيام بحملة صليبية جديدة . غير أن جريجوري لم يلبث ان توفي هو الآخر في كانون الأول من ااسنة نفسها ، فأسرع خليفته البابا كليمنت الشالث الى حث الامبراطور فردريك بربورسا الأول بضرورة التوجه نحو الشام (٤١) .

وفي صيف عام ٥٨٦ه / ١١٩٠م أبحر كل من ملك انكلترا ريتشارد قلب الأسد وفيليب اوغسطس ملك فرنسا على رأس جيوشهها . وقضيا فصل الشتاء في جزيرة صقلية ، وذكر المؤرخ الصليبي والتر Walter أن ملكي انكلترا وفرنسا فرضا ضريبة عشرية على كل من لم يشترك من رعاياهما في هذه الحملة للاستغاثة بها في سد نفقات هذه الحرب (٤٥٠) .

وهكذا واجه صلاح الدين تحديا خطيرا تمثل بالحملة الصليبية الثالثة التي انطوت على مخاطر كبيرة بسبب الأمكائات المادية والبشرية التي توفرت عليها وقد تحدث المؤرخون عن هذه الحملة بعبارات جسدت الشعور بالخوف واليأس في الاحتفاظ ببلاد الشام أمام ضغط الالمان من الشمال والفرنسيين والأنكليز من الجنوب، وقد ذكر ابن الأثير لهذه الأحداث عن احد امراء الجيش الأيوبي قوله :-

« لما وصلت الأخبار بوصول ملك الألمان ايقنا انه ليس لنا بالشام مقام » (٤٦٠) . كما صور ابو الفدا خطورة الموقف في الشام فقبال :

« بلغ المسلمين وصول ملك الألمان ، وكان قد سار من بالاد وراء القسطنطينية بمائة الف مقاتل ، واغتم المسلمون لذلك وآبسوا من الشام بالكلية » (۱۲) ، وقام صلاح الدين باتخاذ عدد من التدابير العسكرية لمواجهة الموقف انذاك فأمر باخلاء او تدمير بعض المراكز ليحرم العدو من استخدامها كمواقع لقواته المتقدمة . فهدم سور طبرية ويافا وارسوف وقيسارية ، وذكر ابو شامة ان صلاح الدين أمر كذلك بهدم أسوار صور وجبيل ونقل أهلها إلى بيروت (۱۲۸) .

والواقع ان وصول الحملة الصليبية الثالثة قد اسهم في تدعيم موقف الصليبيين في الشام ورقع معنوياتهم المنهارة فتجولوا من مواقع الدفاع الى مراكز الهجوم وتطلعوا لاستعادة ما فقدوه من المدن والقلاع ، خصوصا بعد ان انضم جي لوزنيان ملك بيت المقدس السابق وجوع الفرسان النورمان الى الصليبيين المحاصرين لعكا (٤٩) .

وفي شهر نيسان من سنة ١١٨٩م / ٥٨٥هـ وصل صور اسطول بيزي كبير من اثنتين وخسين سفينة بقيادة رئيس اساقفة بيبزا, تتابع بعدها وصول اساطيل جنوه والبندقية بالاضافة الى الأساطيل التي جاءت من الوزيا الغربية هي حاملة الاف المتطوعين من الفلمنك والفرنسيين والألمان وغيرهم وأحاط الجميع بمدينة عكا (٩٠).

وهكذا كانت خطورة الموقف في الشام قد دفعت صلاح الدين ولأول مرة الى مخاطبة الخليفة العباسي ودعوت المحضور بنفسه ليلهب حماس المقاتلين ويشد أزر المجاهدين ويرفع معنويات المحاصرين في عكا (٥١).

في نفس الوقت الدي ارسل يستدعي العساكر من مصر ونواحي

⁽٤٣) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ١١١ .

Archer, The Grusades, p. 307 (London, 1894). (LL)

Walter, Besant, Jerusalem, p. 405, (London, 1899). (60)

⁽٤٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٥٠ .

⁽٤٧) ابو الفدا ، المختصر حوادث سنة ٥٨٦هـ .

⁽٤٨) أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ــ ١٥٧ .

⁽٤٩) كان جي لوزئيان قد وقع في الأسر خلال معركة حطين ثم أطلق صلاح الدين سراحه بعد أن تعهد يعدم محارية المسلمين وأقسم علي الرحيل من بلاد الشام . انظر ابن شداد ، سيرة صلاح الدين ، ص ١٦١ .

Archer, The Crusades, pp. 319-397. (0.)

⁽٥١) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٦_ ١٦٧ .

الشام واقليم الجزيرة الفراتية . ويبدو أن صلاح الدين شعر بأهمية الدور الذي تلعبه الأساطيل البحرية في هذه المرحلة من الصراع ضد الصليبيين فتطلع نحو المغرب أملا في استهام الموحديث في الوقوف بوجه اساطيل اوربا والحيلولة دون وضولها إلى الشام .

والجدير بالذكر أن الموحدين كأنوا يتوفرون انذاك على اسطول بحري كبر يمكن أن يقوم بدور فاعل في التصدى للأساطيل الأوربية في البحر المتوسط. وقد سبق للموحدين أن خاضوا عدداً من المعارك البحرية ضد البرتغاليين والأسبان وغيرهم.

ويرجع الفضل في تأسيس الاسطول الموحدي إلى عبد المؤمن بن على ، الذي استفاد من دور الصناعة القديمة التي كَانْت منتشرة على السواحل المغربية خلال العهود السابقة وبفضل توافر الأخشاب في جبال وغابات العدوتين انشاء (دار الصنعة) بالمعمورة على وادي (سبو) (المن التي اصبحت مركزا اساسيا لصناعة السفن (المن).

وقد اشاد ابن خلدون بقوة الأسطول الموحدي في عهد ابي يعقوب يسوسف فقال ان اسباطيل المسلمان على عهيده التهت في الكثرة والاستنجاد (ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيها عهدناه (عمل ولاشك ان نشاط الأسطول الموحدي وشهرته قد وصلت الى المشرق بعد ان اصبح موضع اطراء الشعراء في ذلك العهد ، وثا قيل في الاسطول الموحدي قول الشاعر القرشي القرطبي بمناسبة زيارة عبد المؤمن للقاعدة البجرية (مدينة الفتح) (٥٥٠):

وتمعمو والمتناذ وخميتهم وفناو وأغشاديمة

يسصيلي بهنعا عبايند الأولسان والمصلب

ومنها قول الشاعر أبو عبدلله الرصافي :

لما تسسابية في بنخبر النزفاق به المسابية المسابية المسابية المسابعة في شبك وتحبير

وقد تضمنت رسالة صلاح الدين الى يعقوب المنصور ما يمكن ان يقدمه الأسطول الموحدي من مساعدة لتخفيف الضغط الصليبي على بلاد الشام مؤكدا ان التصدي للغزو الصليبي والدفاع عن القدس واجب مقدس تقع مسؤوليته على المشرق والمغرب على حد سواء فدعا الى (ان يمد غرب الاسلام المسلمين أكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جواريً كالاعلام) (٢٥)

موضحا أهية منع السفن والإساطيل الأوربية من الوصول الين الشام وأن الأمل معقود على الأسطول الموحدي بأن «يقطع عنهم مادتهم من جهة البحر».

كما اقترح على يعقوب المتصور بأن يعهد الى واليه على تونس القيام بهذه المهمة وقال: (ويمكن ـ ادام الله تمكينه ـ إن يمد الشام منه يعدد كثيف وجد رهيف ويعهد الى واليه ان يقيم الى ان يتربع ويصيف ويمكنه ان يكف شطرا لأسطول طاغية صقلية ويعتقله في حزيرت و (٥٠) والجدير بالذكر أن ريتشارد قلب الأسد وفيليب وغمطس (اوغست) كانا قد غادرا مدينة فيزيلا الفرنسية الى مدينة ليون التي افترقا عندها بحيث أخذ الملك الفرنسي الطريق نحو مرسيليا ، والتقيا من جديد في صقلية) هماية المربق المربق

وأكد صلاح الدين أن لجوءه لطلب المساعدة من الموحدين يعود الله قديهم من بلاد العدو ومواجهتهم لها فقال : (وما اختص الله الاستعائد الا لأن العدو جاره والجار أقدر على الجار ولانه بحراء والنجدة بحرية).

ويبدو أن صلاح الدين كان على علم بالمشاكل التي سببها قراقوش للموخّدين في المغرب فتحرّض على أزالة شوء التفاهم والاستيلاء الذي من ترب على تلك الحداث مؤكدا عبدم مسؤوليته عن تلك الحملة إ

⁽٥٢) سبو : نهر بمر شمال القنيطرة ويصب في المحيط الأطلسي قرب مدينة المهدية .

⁽٥٣) المراكشي ، المعجب ، ص ٢٦٩ ، كذلك انظر : سالم والمباديء ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، ص ٢٥٠ .

⁽۵٤) ابن خلارن ، ج ۲ ، ص ۵۲۸ .

⁽٥٥) تضمن كتاب آلمن بالامامة لابن صاحب الصلاة قصائد عديدة قيلت في الأسطول الموحدي وكذلك كتاب البيان المغرب لابن عداري المراكشي .

⁽٥٦) انظر نص رسالة صلاح الدين الى يعقوب المنصور في الملحق رقم (١) أوردها أبو شامة في الروضتين ، ج ٢ ، ض ١٧٣ .

⁽٥٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٥٣٠ ، انظر تص الرسالة في الملحق رقم ٢ .

Champdar, Saladin le plus pur heros de/Islam, p. 267. (0h)

نطلب من رسوله الى يعقوب المنصور ايضاح هذا الموضوع وقال : و وان سأل عن المملوكين يوزيا وقراقوش وذكر ما فعلا في اطراف المغرب بن معها من نفايات الرجال الذين نفتهم مقامات القتال فبعلمهم أن المملوكين ومن معهما ليسوأ من وجوه المماليك والأمراء ولا من المعدودين في الطواشيـة والأولياء، وانما كسدت سـوقها وتبعتها الفاف امثالها ، والعادة جارية ان العساكر اذا طالت ذيولها وكثرت جوعها خرج منها وانضاف اليها فلايظهر مزيدها ولانقصها ولا كان هذان المملوكان عمن أذا غاب احضر ولا ممن أذا فقد أفتقد ولا بقدر في مثلهما اند ممن يستطيع نكاية ولا يأتي بما يوجب شكوى من جناية ومعاذ الله ان نأمر مفسد بأن يفسد في الارض ان اريــد الا الاصلاح ما استطعت » كما أشار الى جلة الحيه توران شاه على بلاد النوبة مؤكدا انها لم تكن تهدف الى التوسع في افريقيا بل لتطهير الصعيد من بقايا إلعناصر الفاطمية التي لجأت الى الجنوب بعد ثورة مؤتمن الخلافة وشرعت في مهاجمة الصعيد استعدادا للزحف نحو الشمال لاخراج الأيوبيين واعادة الخلافة الفاطمية ، فأوصى رسوله بأن يضع هذه الحقائق امام يعقوب المنصور وقال : « وأن سَلُّلُ عَنْ النوبة المصرية وما فعل بجندها فيعلمهم الأمير» (٥٩)

إن القدوم راسلوا الكفار واطمعوهم في تسليم الديار فاشفي الأسلام على أمر شديد وكاد يقرب على الكفر كل أمر بعيد فلم يعاقب الجيش بل اعيان المفسدين فقوبلوا بما يجبوكانوا دعاة كفر وضلال ومحاربين لله بما سعوا في الارض من فساد (١٠٠)، وبما تجدر الاشارة اليه وجود رسالتين موجهتين من صلاح الدين الى يعقوب المنصور وردت الأولى في صبح الاعشى للقلقشندي والثانية في الروضتين لأبي شامة ويظهر من دراسة الرسالتين ان الرسالة التي اوردها ابو شامة هي الثانية ويبدو أن صلاح الدين استبطأ عودة رسوله الى المغرب فارسل يستحثه على انجاز مهمته ويهيب بالموحدين من أجل الاسراع في تقديم المساعدة للوقوف في وجه الحملة الصليبية وقد اشار ابو شامة الى ذلك فقال : « كان قد بلغني أن السلطان رحمه الله

لما اشتد الفرنج على عكا أرسل الى ملك المغرب يستنجد به عليهم ليقطع عنهم مادتهم من جهة البحر وكنت اتطلب حقيقة ذلك وابحث عن شرح الحال فيه فان العماد والقاضي لم يتعرضا له في كتبها ، غير ان العماد ذكر كتابا كتبه القاضي الفاضل الى رسولهم بالمغرب يستنجز منه ما كان ارسل لاجله) (٢١) .

وقد حرص الأيوبيون على ان يكون رسولهم الى الموحدين من الشخصيات الهامة التي تتمتع بمكانة خاصة لدى السلطان صلاح الدين الأيوبي وظهر ذلك واضحا من خلال الرسالة التي جملها الرسول الى يعقوب المنصور حيث ورد فيها ان حامل الرسالة هو الأمير الأجل المجاهد الأمين الأصيل شمس الدين نفير الاسلام والمسلمين سفير الملوك والسلاطين ابو الحزم عبدالرحمن بن منقذ كتب الله سلامته واحسن صحابته وما أختير للوفاده الا من هو أهلها ولا حل الوديعة الا من هو محلها ولا بعث بنهج الصلة الا من هو مفتاحها ولاداء الأمانة الا من هو قفلها ، ومها استوضح منه وسئل عنه فانه على نفسه بصيرة ومن البيان ذو ذخيرة وفي العربية ذو بيت وعشيرة) (۱۲) . وقد حمل ابن منقذ معه هدايا جليلة الى يعقوب المنصور ، وقد ذكرت المصادر المغربية ان ابن منقذ هذا مدح المنصور بقصيدة نذكر هنها الابيات التالية (۱۳) .

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته

الى منعدن الستنقسوى الى كمعليمه الهندى الى يسجس جسود منا استنعسماه سناحيل

ر الى مسن سسمست بسالسذكسر مسنسه الاوائسل السيسك أمسير المسسسلمسين ولم تسزل

الى بابك المأمول ترجى الرواحل

موقف المنصور من رسالة صلاح الدين :

لم تسفر سفارة صلاح الدين الأيوبي الى الموحدين عن اية نتائج ايجابية تشدير الى امكانية اسهامهم في حركة جهاد ضد الغزو

⁽٥٩) يقصد بالأمير هنا عبد الرحمن بن متقذ رسول صلاح الدين الى الموحدين .

⁽٦٠) أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

⁽٦١) نفس المصدر ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

⁽٦٢) نفس المصدر ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

⁽٦٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ج ٣ ، ص ١٨٤ ، السلاوي ، الاستقصا لأخيار المغرب الأقصى ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

الصليبي لبلاد الشام على الرغم من تلقى المنصور رسالتين حول هذا الموضوع، والغريب في الأمر ان المصادر المشرقية والمغربيـة تكاد تجمع على القول بأن سبب رفض المنصور لنجدة صلاح الدين يعود الى عدم مخاطبته بلقب أمير المؤمنين فورد في الروضتين قــوله الى شامة: «لم يحصل من جهة سلطان المغرب ما التمس منه من النجدة ، وبلغني انه عز عليهم كونه لم يخاطب بأمير المؤمنين على جاری عادتهم » (٦٤) . كما أكد ابن خلكان ايضا رفض المنصور امداد صلاح الدين بأية مساعدة لانه « لم يخاطبه بأمير المؤمنين بل خاطبه بأمير المسلمين فعز ذلك عليه ، ولم يجب الى ما طلب منه) (٦٥) . غير أن المتتبع لتطور العلاقات بين الأيوبيين والموحدين وخلال حكم يعةوب المنصور بوجه خاص لا يمكنه ان يأخذ لقب أمير المؤمنين على انه السبب الرئيسي الذي حال دون تقديم المساعدة البحرية لصلاح الدين ، وهذا يتناقض مع ما أورده المؤرخون المغاربة من أن المنصور أعطى ابن منقذ الف دينار عن كل بيت من هذه القصيدة (٦٦) ، على الرغم من أن أحد أبياتها تضمن نعت المنصور بأمير المسلمين, مما يؤكد أن هذا الموضوع لم يثير غضبه أو استنكاره . الا أن ذلك لا ينفى حرص الموحدين على مخاطبتهم بهذا اللقب وأعتقد ان الاحداث السياسية التي شهدها المغرب في اعقاب قيام الدولة الإيوبية والتي اعتبرها الموحدين المسؤولة عن اجتياح قراقوش لحدودها الشرقية كانت عاملا رئيسيا دفع يعقوب المنصور الى اتخاذ هذا الموقف ، اذا لم يغب عن بال المنصور وهو يقرأ رسالة صلاح الدين المشاكل

الخطيرة التي تعرضت لها الدولة الموحدية في الداخل والخارج والتي استنزفت الكثير من امكاناتها المادية والبشرية وحالت دون تفرغ الموحدين لاعدائهم في الأندلس.

هذا بالاضافة الى ان قراقوش وحلفائه من بقايا المرابطين قد أعلنوا ولاءهم للخلافة العباسية كها خطبوا لصلاح الدين على المنابر. وهناك أمر هام لا يمكن تجاهله كان له دور في اتخاذ المنصور لهـذا الموقف واعني به انشغال الموحدين بقتال البرتغاليين ، فمن المعلوم ان المنصور كان قد صعد من عملياته الحربية ضد البرتغاليين منذ عام ٥٨٥هـ انتقاما لـوالده ابي يعقـوب يوسف بن عبـد المؤمن الذي استشهد خلال محاولة الهجوم على (شنترين) سنة ٥٨٠هـ (٦٧) ، وقد تمكن المنصور فعلا الانتصار على الأسطول البرَّتغالي سنة ٨٦٦هـ.، وفي الوقت الذي وصلت فيه رسالـة صلاح الـدين كان المنصـور منهمكا في نقل المعدات والات الحصار استعدادا للهجوم على الثغور الساحلية البرتغالية (٦٨) . واعتقد ان يعقوب المنصور يرى انه كان له دواره أيضًا في الجهاد ضد الصليبيين بتصديبه لزحف المساليك الاسبانية الشمالية والقوى البرتغالية التي كانت تتطلع لاستعادة إلاندلس وبيدد الموحدين في عقر دارهم متعاونين في ذلك مع النورماندين واساطيل جزيرة صقلية ، وقد ادى انشغال هذه القوى بالحرب مه الموحدين الى عدم استجابتهم لدعوة البابا للاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة.

⁽٦٤) ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .

⁽٦٥) ابن خلکان ، وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٢ .

⁽٦٦) السلاوي ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

⁽٦٧) المراكشي ، المعبيب ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

⁽٦٨) سالم والعبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، ص ٢٧٧ .

مصادر اليحث

- ١٤ ـ المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب دمشق ١٩٧٨ .
 - ١٥ ـ القلقشندي ، صبح الاعشى .
 - ١٦ ـ المقريزي ، السلوك .
- ١٧ ـ سالم والعباوي ، تماريخ البحريمة الاسلاميمة في المفرب
 والاندلس .
- ١٨ ـ نظير حسان ، خسة من معاصري صلاح الدين القاهرة ١٩٥٧ .
- ١٩ ـ عبدالله علام ، الدولة الموحدة في المغرب دار المعارف مصر .
- 20 At fred bel, les Banou Ghanya, Paris 1903.
- 21 Champdor (Albert); Saladin le plus pur heres de l'Islam paris 1956.
- 22 Archer, The Grusades, London (1894).
- 23 Walter, Berant, Jerusafem, London (1899).
- 24 Lane poole, Mohammadan Dynasties.

- ١ ــ ابن ألاثير ، الكامل في التاريخ بيروت ١٩٦٦ .
- ٢ .. أين شداد : سيرة صلاح الدين في مصر ١٩٦٤ .
 - ٣ ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان .
 - ٤ ـ ابن خلدون ، تاريخ .
 - ٥ ـ أبن وأصل ، مغرج الكروب القاهرة ١٩٥٧ .
- ٦ ـ ابن ابي زرع ، روض القرطاس نشر آب ١٩٤٣ .
 - ٧ .. أبن الابار ، ألحلة السيراء القاهرة ١٩٦٣ .
- ٨ ـ السلاوي ، الاستقصا لاخبار المغرب الاقصى .
 - ٩ ـ ابن عداري ، البيان المغرب .
- ١٠ .. ابن صاحب الصلاة ، المن بالاماحة . بغداد ١٩٧٩ .
 - ١١ ـ التيجاني: رحلة التيجاني تونس ١٩٥٨ .
 - ١٢ ... أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين .
 - ١٣ .. أبو القداء المختصر في اخبار البشر.

ملحق رقم ٢:

رسالة صلاح الدين الى يعقوب المنصور الموحدي التي أوردها القلقشندي في كتابه صبح الاعشى الجـزء السادس صفحـات منهمة ٥٣٠ ـ ٥٣٠ .

« فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين وسيد العالمين وقسيم الدنيا والدين أبواب الميامين وأسباب المحاسن ، وأحله من كفايته في الحرم الآمن ، وانجزه من نصرة الحق ما الله له ضامن وأصلح به كل ، رأى عليه الهوى رائن ، ومكن له في هذه البسيطة يسطة ، وزاده . بالعلم غبطة حتى يكون للأنبياء بالعلم ، وللأرض بالعزم وارثا ، وحتى يشيد بحادث قديا من مجده الذي لا يزال بغض الحديث حادثا .

كان من أوائل عزمنا وفواتح وأينا عند وودن اللياو اللحرية المنافعة دولة سيدنا وأن نتيين مكاتبتها ونتزين مخاطبتها ونهض والهما أماثها الاصحاب ونستسقى معرفتها استسقاء السحاب ونستسقى معرفتها استسقاء السحاب ونستبعث والدي الرسيل سبلها ونتجعها بالخواط، ونجعل الكتب رسلها، وأيدي الرسيل سبلها ونسك طرفا من حبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفه ونسك طرفا من حبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفه ونسخ غرة سبق وارثها، ووارث نورها سلفه ونتجاذب أعداء الله من الجانبين لا سبها بعد ان نبنا عنه نبايتين في نويتين والأولى تطهير من الجانبين لا سبها بعد ان نبنا عنه نبايتين في نويتين والأيام على الأراضي المصرية واليمنية من ضلالية اغضت عيون الأيام على تقداها وأنامت عيون الانام بائعة يقظتها بكراها، ونيابة ثانية في تطهير بيت المقدس ممن كان يعارض برجسه تقديسه، ويزعج ببناء ظلاله تأسيسية وما كان إلا جنة السلام فخرج منها المسلمون خروج أبيهم آدم من الجنة، واعقبهم فيها ابليس الكفر، وما أجارته عما أعقبه المله المنة وما كانت لنا بذلك قوة ، بل لله القوة ولا لنا الخلق منه بل لله المنة .

ولما حطت لدين الكفر تيجان، وحطمت لدوية صلبان واخرس الناقوس الآذان ونسخ الاتجيل القرآن، وفكت الصخرة من أسرها وخفّ ما كان على قلب الحجر الاسود بخفّة ما كان على ظهرها، وذلك أن يد الكفر غطتها وغمرتها فلله الحمد أن احرمت الصخرة بذلك البنيان المحيط وطهرها ما طر من دم الكفر. وما كان ليطهرها البحر المحيط فهنالك غلب الشرك وانقلب صاغرا، واستجاش كافر من أهله وأعطى الرأي حقيقة ما عنده لم تر لمكاثرة البحر إلا بحرا من

أساطيله المنصورة، فإن عددها واف، وشطرها كاف ويمكن أدام الله تمكينه أن يد الشام منه بعد كثيف، وحد رهيف ويعهد إلى واليه أن يقيم إلى أن يتربع ويصيف، ويمكنه أن يكف شطرا الأسطول طاغية صقلية ليحصر جناح فلوعه أن تطير، ويعقل عباب بحره أن يغير ويعتقله في جزيرته ويجري اليه قبل جريرته فيذهب سيدنا وعقبه بشرف كثير الا يترد به المغامية على المحقبها المؤينة المواهدة أوردوا وأصدروا في موارده أأ وشخص المنظم والكافر الناس بموقده أوردوا وأصدروا في موارده أأ وشخص المنظم والكافر الناس بموقده أوردوا وأصدروا في موارده أأ وشخص المنظم والكافر العلم بشرى البدار، وهذا يستطلع لمن تكون عقبى البدار وهذا يستطلع لمن تكون عقبى النائرة غريبة الأغرقهم طوفانها ولذ طابعت عليهم جارية تعريبة الأغرة فيم بالشتات غربانها الله المنائد المنائرة عليهم بالشتات غربانها من معاله المنائرة المنائرة عليهم بالشتات غربانها والمنائرة المنائرة المنا

Anthology Suther has style White

وما رأينا أهلا لهذه العزمة إلا حضَّرة سيدنا أدام الله صدق محبة ا الْخِيرِ هَيِهِ اذْ كَانَ مُنْحَةً عَادَةً فِي الرَّضَى بَهَا وَقُدَّرَةً عَلَى الْآجَابَة وَرعْبَةً في الانابة ولاية لأمر المسلمين ورياشة الدنيا والدين وقياما لسلطان التوحيد القائم بالموحدين ، وْعُصّْبا للهُ ولدينهُ وبدُّلا لمدخوره في الذِّي إِ عَنْكُ دُونَ مَا عُودُهِ . والآن فقدَ خُلا الآسلامُ بَلْآتُكُتُه لَمَا خَلا الْكُفرُ بشياطينه وما أجلت السوابق إلا لاطلاقها ولا أثلث الدخائىر إلا لانفاقها وقد استشرف المسلمون طلوعها من جهته المحروسة جارا من الاساطيل تغشى البحار وليالي من المراكب تركب من البحر النهار . واذا أخفقت قلوعها خففت للقلاع قلوب ، واذا تجافت جنوبها عن الموج ومجافت من الملاعين جنوب فهي بين ثغر كفر تعتقله وتحصره ، وبين ثغر أسلام تفرج عنه وتنصره يكون بها مصائب عند المسلمين (؟) (هكذا في الاصل) وتظل قلائد المشركين لغربان بحره طرائد، ويمضى سيف الله الذي لا يعدم في كل زمان فيعلم معه أن سيف الله خالد . أعز الله الاسلام بما يزيد حضرة سيدنا من عزها فيها مد عليها من ظلها ، وبما يسكنه من حرزها فيها يبسط على الاعداء بها من بأسها ، وينزل بهم من رجزها وبما يجرده من سيوفها التي تقطع في الكفر قبل سلّها وهزِّها ، وقد أوفدنا على باب حضرة سيدنا وهو الداعي المسمع والمبلغ المقنع والمجمع المستجمع علمنا أمرا يسرا وبوأناه الصدر فكان وجها وأودعناه السر» ص ٥٣٠.

كافرا واستغطب أنفارة الثافرة ، واستضرح نضر اليند المتناصرة وتظاهروا عَلَيْنا وَإِنْ اللهِ مَوْلاناً . وَطَازُوا ۖ إِلَيْنَا ۚ زَرَّافَاتُ وَوْخُدَانًا قَلَمَ بِينَ طَاعْية مَنَ طَوْاعْيَهُم وَلا أَنْفَيْهُ وَمَنْ أَلْنَاقَيْهُمْ إِلا أَجْمَ وأَسْرَج وأجلب وارهج ، وخَرْج وَأَخْرُاخٍ ، وَجَادَ بَنْفُسُنَّهُ أَوْ يُولَنَّدُهُ ، وَبُقَّلَدِه وبعُدُدِه ، وبدأت صدارة وبدأت الدائة الله ويُلكنانها برا ويَرْأُ كَله بَحْدًا ، وَبِالْأَقُواتِ لِلْخَيْدُلِ وَالرَّجْدَالُ ۖ وَالأَسْلَخَةُ وَالجُّنُنُّ لِلْيُمَّانُ وَالشَّمَالُ ، وبالتقدين على أختلات صنفيها في الجمع وأتعلاك وصفيتها في النَّفع ، وأنهضُ ابطال الباظلُ ثُمُّنَّ قارَسٌ فَرَأْجُل وَرَأْمُتُ وَتَابُّلُ ، وخال وناعل ، ومواقف ، ومُقاتل كلُّ خُرْج مُتَطَّوُّعا والمُطخ مُسْرَعا والى مُتَبَرِعا "وَدُّعَالُقُسُمُ قُبِلٌ أَنْ يُسْتَدَّعَى وسُعِي الْي حَتَقَهُ قَبِلُ أَنْ بستسعى حتى ظننا أن أن البخر طريقا يبشا ، أوحق يقنا أن ما وراء البحر قد خلا وعشا . وقلنا كيف لترف وقد علم أنه يدرف وزاد ف هذه المشود المتوالية وتجالت عنها القيم المنجالية، وكلوك الى أن خرَّجِتُ مِن سَنَّجُنُ خَصَرُهَاءً وَمَسْلَقُولًا كَقَسْرَهَا ٱلْوَلِقَيْدَا أَعْرَهَا أَدْ وَلِهِوا صُور عَ قِنَازِلَتُ ثُغُرُ عَكَ فِي السَّطُولُ فَلَكَ ابْتُحُرُهُ وَجَمَعُ مَنَاكَ بَرَّهُ _ قنهضنا الية ولزلنا عليهم وعليه فطرت معنا مصاف قبلت قي فرسانه ، وجدلت شجعانه وَخُيلت صَلبّاته وَشُاوَى الطَّرَبُ بِينَ جَالُس القوم وْدَارْعَهِم ﴿ وَيَرَّوْ الْدَيْنَ كُتُبُّ غُلِيَّهُمْ ٱلْكُتَّلَ الْيُمْصَابِّعُهُمْ مُهَنَّاك الادْوا بَالْحَتَادْ فَي يَحِعُرُونَهُمَّا ، وَإِلَى النَّسْتَاثُرُ يَنْضَّبُّونَهَّا وَاخْلَتُوا الْيُ الارْضَ متثاقلين وحملوا أنفسهم على الموت متحاملين وظاهروا بين الحثادق وراحوا بين اللجائق ، وكلما يجن القتل من علاهم مالة أوضَّلُها البُّحر عَن يضل وَرَاءَة بِأَلْفَ ، وَكُلِّهَا قَلُوا إِنَّى ٱغْنِينا فِي أُرْخُفُ بِأُقِدَ كُثَّرُوا قَيما يليه من الزحف أُ وَلَوْ أَنْ دَرَيَّةً عَسَاكُونًا فِي البُّخُو كُذُّرَبُّتُهَا فَي البِّر لعجل الله منهم الانتصاف واستثلل واحدنا بالفشرة وماتتنا بالالف وقد استهر خروج ملوك الكفار في الجمع الجم والعدد الدَّعَم ، كأنَّهم الى نصب يَلْوَقضُونَ " وَعَلِنَى نَازُ يَعْرَضُونَ " وَوَصَوْهُمْ عَلَى جَهَّةً القسطَّنطينية - يَشَرَ اللهُ فَتَعُهُمَا - عَلَى عَنْمُ الاثْتَامُ الْيُ الشَّامُ فِي مُنسَلِعُ الشَّتَاء وَمُسْتَهَلَّ الطَّنيَّكُ أَن وَٱلْعَسَاكُرُ الاستلامية لَمُّ تَسْتَقْبَل مَسْتَقْبَل وإلى حربهم لننتقل فلا يؤمن على تقور السلمين أن يتطرق العُلْو إِلَيْهُمْ وَإِلَيْهَا ، وَيُعْرَخُ لِمَا وَيُعْشَلُطُ عَلَيْهَا وَاللهُ مَنْ وَرَاعُهُمْ مُيْطًا ـ

وإذا قسمت القوة على تلقى القادم وتوقى المقيم فرعا أخسر الاسلام انقسامها، وثلمه والعياد بالله التلامها.

مُنْ مُمَلِحُقُ رُقُهُم (٢) فَضُ رُسَالُة صَالَاحَ الدَيْنَ الأَيْسُوبِي الْيَ يُعقوبُ اللفضوَّرَ اوْرُودَهَا الْمُؤَمِّشَاهَة فِي تَحْتَابُ الرُوضُلِّيْنَ اللَّهِ مُنْ أَنْ مُسَالًا عَلَيْنَ اللَّ

روع المارية و المعلقة المعلمالية المعلمات المعلم المعلمات المعلمات المعلمات المعلمات المعلمات المعلمات المعلما كتاب الروضتين:

diamerican is a little little of the little little

كان بالغني ان السلطان رحمه الله المنظم الترافع على عكا الرسل الن ملك المعرب يستنجنه عليهم اليقطع عليم ماه مم من جها البحر وكان الطلب حقيقة ولك وأبغث عن شرع المال فيه فأن العماد والقاصي الميتعرفه له أي كتبها غير ان العياد فكر كتابا كنيه القاصي المي وسولم بالمغرب يستنجر منه ما كان ارسل لاجله وسياتي وغرضي كان الاطلاع على نفس كتاب الرسالة ومضنوها ثم أراقي بعطن الشيوح الصلحاة الثقاة بنقطة ما كنت أرومه فتقلته على ولجهة قال تشخة كتاب كفية القاصي القاصل ونقلته من خطه لابن فيند يأمر الملك الفاصر صلاح الدين رحمه الله يشتنطر بالك المغرب بامر الملك الفاصر صلاح الدين رحمه الله يشتنطر بالك المغرب بامر الملك الفاصر صلاح الدين رحمه الله يشتنطر بالك المغرب بامر الملك الفاصر صلاح الدين رحمه الله يشتنطر بالك المغرب يعقرب بن يؤسف بن عبدالمؤمن المنظر المؤلف الفريخ يعقرب بن يؤسف بن عبدالمؤمن المنظر المؤلف الفريخ عك بعد كسرة حطين وقتع بيث المقدس والكتاب الذي سيرة الم المغرب والمدية التي حملت يأتي وكر ذالك ان

(بسم الله الرحن الرحيم) (الأمير الأجل الاسفهسلار الاصيل العالم المحترم شمس الذين عدة الاسلام جال الانام تاج الدولة امين الله صفوة الملوك والسلاطين شرف الامراء مقدم الخواص ادام الله توقيقه ويسر طريقه ، وانجح مقصده واعذب مورده وحرس مغيبه ومشهده واسعد يومه وغده يستخير الله سبحانه ويتوجه كيفها بسر الله الى الجهة الاسلامية المغربية حرس الله جانبها ونصر كتائبها

لتلف وهلك وتذكر أن ا له قصم طاغية الألمان وأخذه أخذة فرعونية بالاغراق في نهر الدنيا الذي هو طبريف ال الاحبرال في نمارًا الآخرة وان هذا العدو لو أرسل الله عليه اسطولا قويا مستعدا يقطع بحره ويمتع ملكه لاخذنا العدو اما بالجوع والحصر أوبوز فأخذناه بيد الله تعالى الق بها النصر فان كانت الاساطيل بالجائب المغربي ميسرية والعدة منها متوفرة والرجال في اللقاء فارهة وللسمير غير كارهمه فالبدار البدار وأنت أيها الامير أوَّل من استخار الله وسار وان كالنه دون الاسطول موانع أما من قلة عدء أو من شغل هناك بهمة أوَهُ عِباشرة عدوً ما تحصن منه العوره أو قد لاحت منه الفرصة فالمعونة ما طريقها واحدة ولا سبيلها مسدودة ولا أنواعها محصورة تكون ثارق بالرجال وتارة بالمال وما رأينا أهلا لخطابنا ولاكفؤا لالجادها ولإ عمقوقا يدعوتنا ولامليبا يتصرتنا ألاذلك الجثاب فله لدعد الالواجب عليه والى ما هو مستقل به ومطيق له فقد كانت تتوقع منه همة تلار ق الغرب تارها ويستطير في الشرق سناهما وتغرس في العدوة القصوى شجرتها فينال من في العدوة الدئيا جناها فلا ترضى هبته أن يعين الكفر الكفر ولا يعين الاسلام الاسلام وما اختص بالاستعاثة الا لأن العدوَّ جاره والجار أقدر على الجار وأهل الجنة أولى بقتال أهلُ الفار ولانه بحر والنجدة بحرية ولا غرو ان يجيش البحار وان سلل عن المملوكين يوزيا وقراقوش وذكر ما فعلا لي أطراف المغرب بن معها من نفايات الرجال الذين نفتهم مقامات القتال فيعلمهم ان أ المملوكين ومن معهما ليسوا من وجوه المساليك والاصراء ولا من المعدودين في الطواشية والاولياء والها كسدت سبوقها وتبعتهها الغاف أمثالها والعادة جارية ان العساكر اذا طالت ذيولها وكثرت جوعها خرج منها وانضاف اليها فلايظهر مزيدها ولا نقصها ولاكانان هذان المملوكان ممن اذا غاب أحضر ولا ممن اذا فقد افتقد ولا يقدّر في مثلهها انه ممن يستطيع نكاية ولا يأتي بما يوجب شكوى من جناية ومعاذ الله أن نأمر مفسدا بأن يفسد في الارض ان أريد الا الاصلاح؟ ما استطعت وان سئل عن النوبة المصرية وما فعل بجندها فيعلمهم الامير أن القوم راسلوا الكفار واطمعوهم في تسليم الديار فاشفى الاسلام على أمر شديد وكاد يقرب على الكفر كل أمر بعيد فلم يعاقب الجيش بل أعيان المفسدين فقوبلوا بما يجب وكانوا دعاة كفر وضلال ومحاربين لله بما سعوا في الارض من فساد فأما بقية الجيش وان كان منهم من هو تبع للمذكورين في الرضا فانهم اقتصر بهم على أن لا ومراكبها ويستقرى في الطريق وفي البلاد من أخبار القوم في احوالهم وآدابهم وأشغالهم وافعالهم وما يحبونه من القول نمزره اوجد ومن اللقاء منبسطة او منقبضة ومن القعود مجالسهم مخفعة او مطولة ومن التحيات المتهاداة بينهم ما صيغته وما موقعمه وهل هي السنن الدينية او العوائد الملوكية ولا يلقه الا بما يحبه ولا يخاطبه الا بما يسره والكتاب قد نفذ اليه ولم يختم ليعلم ما خوطب به والمقصود ان تقص القصص عليه من أوَّل وصولنا الى مصر وما أزلنا من البيدع بها وعطلنا من الالحاد فيها ووضعنا من المظالم عنها واقامة الجمعة وعقد الجماعة فيها وغزواتنا التي تواصلت إلى بلاد الكفار مث مصر فكانت مقدّمة لملك الشام الاسلامي باجتماع الكلمة علينا ومقدّمة لملك الشام الفرنجي بانقياد المسلمين لنا، واتفاق الملوك المجاورين على طاعتنا وتفصيل ما جرى لنا مع الفرنج من الغزوات المتقدّمة التي جسنا فيها خلال ديارهم وجعلها الله تعالى مقدَّمات لما سبق في علمه من أسباب دمارهم وما اعقبها من كسرتنا لهم الكسرة الكبرى وَلْتُنْعُ البيت المقدّس وتلك على الاسلام منة الله العظمى الى غير ذلك من أخذ الثغور وافتتاح البلاد واثخان القتل فيهم والاسر لهم واستنجاد بقيتهم لغرنج المغرب وخروج نجداتهم وكثرتها وقوتها ومنعتها وغناها والروتها ومسارعتها ومبادرتها وائه لا يمضى يوم الإعن قوّة تتجدّه وميرة تصل وأموال واسعة تخرج ومعونات كثيرة تحمل وان ثغرنا حصره العدوّ وحصرنا نحن العدوّ فاتمكن من قتال الثغر ولاتمكن من قتالنا وخندق على نفسه عدة خنادق فاتمكنا من قتاله وقدّم الى الثغر أبرجة احرقها أهله وخرج مرّتين الى عسكرنا فكسر العدوّ وأقله فانه أغتنم أوقاتا لم تكن العساكر فيها مجموعة وارتاد ساعات لم تكن الاهب فيها مؤخوذه وأقدم على غرّة استيقظت فيها نصرة الله لنــا وخذلانه لهم لمقل الله العدوّ القتل الذريع وأوقع به الفتك الشنيع وانجلت أحدى الحركتين عن عشرين ألف قتيل من الكفار خرجت أنفسها الى مصارعها وهمدت أجسامها في مضاجعها والعبدو وان حصر الثغر فانه محصور ولو أبرز صفحته لكان باذن الله هو المثبور المكسور وتذكر ما دخل الثغر من اساطيلنا ثلاث مرات واحراقها لمراكبهم وهي الأكثر ، ودخولها بالميرة بحكم السيف الاطهر وان أمر العدر مع ذلك قد تطاول وخطبه قد تمادى ونجدته تتواصل ومنها ملك الالمان في جموع جماهيرها مجمهره وأموال قناطيرها مقنطرة وان عساكرنا لو أدركته لما استدرك ولولا سبقه لها بالدخول الى انطاكية

يكونوا . جندا ومنهم من أجريت عليه أرزاق تبلغه وشملته آمنة نسكبه وآما الهدية المسيرة على يد الامير فتفصيلها يرد في كتاب الامير الاجل الاسفهسلار العالم الكبير مجد الدين سيف الدولة أدام الله علوه مقرونا بالهدية المذكورة ومع قبرب الشتاء فلم يبق الا الاستخارة والتسمية ومبادرة الوقت قبل أن يغلق البحر انفتاح الاشتية والله سبحانه يوفق الامير ويسهل سبيله وهدي دليله ويكلأه بعينه وعد بعونه ويحمل رحله ويبلغه أهله ويشرح له صدره ويبسر له أمره ان شاء الله تعالى وكتب ثامن وعشرين شعبان سنة ويمانين وخمسمائة)

نصل:

في نسخة الكتاب إلى ملك المغرب والهدية العنوان (بلاغ الى محل التقوى الطاهر ومستقرّ حزب الله الظاهر من المغرب اعلى الله به كلمة الايمان ورفع به منار البر والاحسان)

(يسم الله الرحمن الرحيم) (من الفقير الى رحمة ربه يرسف بن أيوب (أما بعد) فالحمد لله الماضي المشيسه الممضى القطييه إلى بر بالبرية الحفى بالحنفية الذي استعمل عليها من استعمريه الارض واغنى من أهلها من سأله القرض وأجزل أحر من أُجري عُلَى يَعْلَى يَعْلَى يَعْلَى يَعْلَى النافلة والفرض وزان سباء الله بدراري الـذراري التي بعضها من بعض وصلى الله على سيدنا محمد الذي أنزل عليه كتابا فيه الشفاء والتبيان وبني الاسلام بأمته التي شبهها صاحبها بالبنيان وعلى آله وصحبه الذين أصطفاهم وطهرهم فنصروه وظاهروا رسوله صلى الله عليه وسلم فنصرهم وأظهرهم ويسربهم السبيل ثم السبيل يسرهم وان الله بهم لذوا فضل عـلى الناس ولكنَّ أكثـرهم ربنا اغفـر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا أنك رءوف رحيم وهذه التحية الطيبة الكريمة الصبية الواجبة الرد الموجبة للقصد العذبة الورد المتنفسة عن العنبر والورد وقادة على دار الملك ومدار النسك وجل الجلالة واصل الاصالـة ورأس الرياسه ونفس النفاسه وحكم الحكم وعلم العلم وقائم الدين وقيمه رمقدّم الاسلام ومقدمه ومقتضى دين المدين ومثبت المتقين على اليقين ومعلى الموحدين على الملحدين أدام الله النصره وجهز به تيسير العسرة وردّ له الكره وبسط له القدرة وأوثق به حبل الالفة ومهد له درجات الغرفة وعرفه في كل ما يعتزمه صنعا جزيلا جميلا ولطفا

حفيا جليلا ويسر عليه في سبيله كل ما هو أشد وطأ وأقوم قيلا تحية استنير منها الكتاب واستنيب عنها الجواب وقد حفز لها حافزان أحدهما شوق قديم كان مطل غريمه ممكنا الى أن تتيسر الاسياب والآخر مرام عظيم ما كره اذا استفتحت به الابسواب وكان وقت المواصلة وموسم المكاتبه هناءه بفتح البيت المقدّس وسكون الاسلام منه الى المقيل والمعرّس وما فتح الله للاسلام من الثغور وما شرح لاهله من الصدور وما أنزله عليهم من النور ولم يخل المسلمون فيه من دعموات اسرار ذلك الصدر ومملاحظات أنموار ذلك البمدر ومطالعات تلك الجهة التي هي وان كانت غريبة فان الغرب مستودع الأنوار وكنز دينار الشمس ومصب أنهار النهار ومن جانبه يـأتى سكون الليل ومستروح الأسرار وعنه يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لاولى الابصار ولم تتأخر المكاتبة الا ليتيم الله ما بدأ من فضله وليفتح بقية مالم ينقطع بتقطيع يد الشرك من حبله والمفتتح بيد الله من الشام مدن وامصار وبلاد كبار وصغار وثغور وقلاع كانت للشرك معاقل وللاسلام معاقر ولبني الكفير مصانع ولبني الاسلام مصارع والباقي بيد الكفر منها ثغرا طرابلس وصور ومدينة انطاكية يسر الله أمرها وفك من يد الكفر أسرها واذا امن المؤمن على هذه الدَّعُوةُ رَجِّي ايجابها وما يتأخر من الله سبحانه جوابها فالدعاء أحد السلاحين ومع النية يطير الى وكره من السباء بجناحين بعد أن كسر العدوّ الكسرة التي لم يجبر بعدها والجيء الى حضونه التي للحصر أعدها وكان يومها كريما ولطف الله فيها عظيها قضت كل حاجة ني النفس واغنت المسلمين فأما العدوّ بعد يومها فكأن لم يغن بالامس وكانت على أثر غزوات قبلها فالظن بالمجهزة بعد النكس ولم يؤخر فتح البلاد بعدها الا ان فزع الكفار بالشام استصرخ بأصل الكفار من الغرب فأجابوهم رجالا وفرسانا وشيبا وشبانا وزرافات ووحدانا وبرأ وبحرأ ومركبا وظهروا وركبوا اليهم سهلا ووعرأ وبذلوا ماعونا وذخرا وما احتاجوا ملوكا ترتادهم ولا ارسانا تقتادهم بل خرج كل يلبى دعوة بطركه ولا يحتاج الى عزمة ملكه وخرجت لهم عدة ملوك أقفلت العجمة على أسمائها وأتت العزيمة بحمد الله على أشخاصها عند لقائها ومنهم ملك الالمان خرج في جموع برية من الله تعالى بريه ملأت الفجاج وازدحمت فانفذها العجاج ، ومنهم من ركب ثج البحر فركب الاجاج العجاج وامتطى من البحر مشيه الزجاج لينصر دينا مشية الزجاج يقبل الكسر ولا يسرع اليه الجبر وراكب ذلك الدين كراكب يكون الطاغية فيه لا في النهر صريعًا ولكن لله المشيئة في البدريُّ والطاغية انما بمشى الى البلية فانه لولا احتجاز مقيمهم بالخيادة واجتياز واصلهم بالمضائق لكان لنا ولهم شأن وكان ليومنا في النجه الكبرى بحول الله ثان لا يثنيه من العدوّ ثان ولما كانت حضرة سلطان الاسلام وقائد المجاهدين الى دار السلام أولى من توجه اليه الإسلا بشكواه وبثه واستعان به على جماية نسله وحرثه وكانت مساعية ومساعى سلفه في الجهاد الغرّ المحجلة المؤمرة الكاشفة لكل معضله الكاسفة لكل مشكلة والاخبار بذلك سائره والآثار ظاهرة والصجفا عنه ياسمه والسير بـــه معلمة وعــالمه وكــل بجهاده قــد سكن إلا السيوف في اغمادها وقد أمن الا كلمةالكفر في بلادها لا يزال في سبيل الله غاديا ورائحا ومواجها ومكافحا ومماسيا ومصابحا يجو لجة البحر بالمجاهدين ملوكا عـلى الاسرة وغـزاة تصافـح وجوهها السيوف فلا يخمد نور الاسرة يذود الفرق الكافرة ولو ترك سبيان لملاً قراره كل واد وكليا أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ولولاه لألمن شراره كل زناد كان المتوقع من تلك الدولة الغالية والعزمة الفاديق مع القدرة الوافية والهمة المهدية الهادية أن يمد غرب الاسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جوادي كالاعلام ومدنا في اللجج سوائر كأنها الليالي مقلعة بالإيام تبطلون علينا معشر الاسلام آمالا وتطلع على الكفار آجالا وتردنا إمارها واما ارسالا مسومة تمدها ملائكة مسومة ومعلمه تقدم حيبازيلك أقدام حيزوم تحت أصحابه وانما هي منه عزمه كانت تعين أصبهانيك الميمنة على أصحاب المشأمة وكلمة كانت تنفخ الروح في الكلمة والع استبطئت ظن أنها توقفت على الاستدعاء فصرخنا به في هذه التجيا فقد تحفل السحاب ولا تمطر الى أن تجركها ايدي الرياح وقد تجرأ النصرة فلا تظهر إلى أن تضرع اليها السنة الصفاح وسنير لجها مجلسه الأطهر ومحله الأنور الامير الاجل المجاهد الامين الابصيال شمس الدين نغير الاسلام والمسلمين سفير الملوك والسلاطيين أو الحزم عبدالرحمن بن منقذ كتب الله سلامته وأحسن صحابته إيت اختير للوفادة الا من هو أهلها ولا حمل الوديعة الا:من هو مجلها ولابعث لنهج الصلة الا من هو مفتاحها ولاداء الامانة الا بين ه قفلها ومهها استوضح منه وسئل عنه فانه على نفســــه بصيره فانتأيي البيان ذو ذخيرة وفي العربية ذو بيت وعشيرة والمشاهدة له أوطفة على ان تلك الجلالة ربما ذعرت البيان فأخلف وما اجدره بأن يصادفي

البحر بلا ساحل سلامة والى قاع كفر وجلب الكفار الى المحصورين بالشام كل مجلوب وملؤوا عليهم ثغريهم من كل مطلوب ما بين أقوات وأطعمة وآلات وأسلحة وشلة رجنه وحديد مضروب وزبره . ونقدي ذهب وفضة الى ان شحنـوا بلادهم رجـالا مقاتلة وذخـائر للعاجلة من حربهم والآجلة لا تشرق شارقة الاطلعت على العدو من البحر طالعه تعوَّض من الرجال من قتل وتخلف من الزاد ما أكل فهم ً كل يوم في حصول زيادة ووفور مادّة وقد هان عليهم موقع الحصر وأعطاهم البحر ما منعهم البر وبطروا لما كشروا ونظروا فسانهم لا يستطيعون أن يلقوا ويصحروا ويستطيعون أن يحصروا على أن ينحصروا ونزلوا على عكا بحيث يمدهم البحر بامداد ويصل الى المقاتل ما يحتاجه من أسلحته وازواده وبمن يكثر به من مقاتلة واجناده فانقطعت مادّة عكا من البحر وحصرنا منازلهم من العِدوّ من جهة جانب البر فحدقوا على نفوسهم وحثوا التراب على رؤوسهم وعقدت عدتهم مائة ألف أو يزيدون كلها أفناهم القتل أخلفتهم النجدة فكأنهم قبل الممات يعودون فاتمنا بعمارة بحرية لقينا عمارتهم بها فنفذت عمارتنا الى اثثغر وأوصلت اليه الاقوات التي حمل منها البحر مالا يحمله الظهر والاسلحة التي أمضاها الله عز وجـل بيد الاســلام في صدور الكفر وما لقينا عمارة العدو بأوفر منها تحدة تعقد مراكبهم كبيرا ولكن لقيناهم بأصدق منها عزمه والقليل مع العزم الصادق كثير واستمرّ مقام العدوّ محاصرا للثغر محصورا منا أشدّ الحصـر لا يستطيع قتال الثغر لانا من خلفه ولا يستطيع الخروج الينا خوفا من حتفه ولا نستطيع نحن الدخول اليه لانه قد سور خندق وحاجز من وراء الحجرات وأغلق ولما خرج ملك الالمان بحشده وسمعته التي هي منه أحشد وعاد جيشه الملعون على رسم قديم الى الشام فكان العود لامة أحمد صلى الله عليه وسلم أحمد قويت به نفوسهم وجمحت به رءوسهم وظنوا أنه يزعجنا من مخيمنا ويخرجنا من خيمنا فبعثنا اليه من يلقاه بعساكرنا الشمالية فسك ذات الشمال . متوعرافيها محتجزا عن لقائها مظهرا انه صريح داء ومابه غير دائها وكان أبوه الطاغية ملك الالمان شيبة اللعن اللعين قائد جيشه الى سجن سجين قد هلك في طريقه غرقا وخاض الماء فخاضه الماء شرقا وبقي له ولد هو الآن المقدّم المؤخر وقائد الجمع المكسر وربما وصل بهم الى عكا في البحر تهيبا أن يسلك البر ولو سبق أصحابنا الى عساكر الألمان قبل دخولها الى انطاكية لاخذوه أخذا سريعا وسبق بحر سيوفهم الى أن

سبطة على بساطه ونظرا يأذن له في القول على اختصاره وتوسطه وافراطه فكل هو به واف وكل هو للفهم الكريم كاف والله تعالى يجعل هذه العزمة منا في استنهاض العزمة منه بالغة مبلغا يسر أهل دينه ويوزعهم بها اقتضاء ديسونه من البذين اتخذوا لها من دونه والسلام الصادر عن القلب السليم والود الصميم والعهد الكريم على حضرة الكرم العليه وسدّة السيادة الجلية سلام مودّة ما وفد الغرب قبلها مثلها ورسالة ما خطرت الى أن أنفذت وراءها المحبة رسلها وليصل السلام رحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ان شاء الله تعالى وكتب في شعبان سنة ست وثمان وخسماتة والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد نبيه وآله وسلامه) الهدية ختمة كريمة نى ربعة مخيشة بمسك ثلثمائة مثقال عنبر عشر قلائد عددها ستمائة حبة عود في سفط عشرة أمنا دهان بلسان مائة درهم وواحد قسى بأوتارها ماثة وقوسان سروج عشرون نصول سيوف هندية عشرون نشاب ناسج خاص مريش كبير ومتموسط ضمن صندوقي خشب مجلدة سبعمائة سهم ، وكان اقلاعه من الاسكندرية في شيني عمارته ماثة وعشرون في ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وخسمائة ووصل الى طرابلس أوِّل البلاد في الخامس والعشرين مِن شوَّال وأقام بها الى ثامن ذي القعدة توجه الى البلاد وكان الاجتماع بَالِوارْييْ أبي يحيى بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ أبي حفص ودفع كتــاب السلطان اليه يوم الخميس سابع ذي الحجمة وكان الدخول على يعقوب والسلام عليه في العشرين من ذي الحجة وفي هذأ النهار حملت هدية السلطان الى خزانته وكان انقصاله من مراكش عاشر المحرّم سنة ثمان وثمانين وخمسمانية ووصل الى الاسكنيدرية في الثامن والعشرين من جمادي الآخرة سنة ثمان وثمانين

فصل:

لم يحصل من جهة سلطان الغرب ما التمس منه من النجدة وبلغني انه عز عليهم كونه لم يخاطب بأمير المؤمنين على جارى عادتهم وقد كان سلطانا عادلا مظهرا للشريعة غازيا توفي سنة خمس وتسعين وفيه يقول شاعره:

أهل لان يسمعنى يسرتجنى ويسزار مسن أقبصني السيسلاد عسل السوجا

ملك غدا بالمكرمات مقلدا وموشيحاً ومختيا ومتوجا عمرت مقامات الملوك بذكره وتعطرت منه الرياح تأرجا وجد الوجود وقد دجى فأضاءه وراءه في الكرب العظام فغرجا

وفيه يقول ابن عمه سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن أبو الربيع من قصيدة أولها

هبت بنصركم الرياح الأربع وجسرت بسسعدكم النجوم الطلع ان قبيل من خير الخيلائية كيلها

فاليك يا يعقوب نومي الاصبع ان كنت تتلو السابقين فإنا أنت المقدّم والخلائف تبع

وقد مدحه أيضاً شمس الدين بن منقذ هذا المرسل اليه من جهة السلطان بقصيدة منها

سأشكر بحراذا عباب قطعته

الى بىجىر جنود منا لىنىغىمناه سناخيل الى منعندن النشقيوى الى كنعنينة الهندى

الى من سنمت بالذكر منه الأوائسل السيك أمير المسلمين ولم تسزل

الى بنابنك المنامنول تنزجنى النزواحيل قنطعنت الينك الناز والنبيجير منوقبينا

بأنى بذاك القطع بالنجح كافل فاراعيني من وجبة البر رائع

ولا هالي من زاخر البحر هائسل ومن كان غايات المعالي طلابه

يهسون عليسه كل أمس يحاول رجوت بقصديك العملي فبسلغتها وأدنى علماياك السعملي والفضائل

فسلا زلست لسلعميساء والجسود ثمانسيماً تسبسلغمك الأيسام مسا أنست آمسل

وابن منقذ هذا من أهل بيت أدب وشعر وله على ما وجدت بخط بعض الثقاه

تصرم عسمري في التغرب والسنوى
وافنى ارتحالي طار في وتسلادى
وأخلقت الأيام بسرد شبيبتي
وأصلد من وقع الخطوب زنادي
وأشغلني الحرص الموكل في الورى
عن العمل المنجى ليوم معادي
فلا راحة الأخرى تيقينت نيلها
ولا أنا في الدنيا بلغت ميادي

وله على لسان بعض غلمانه:

ورب قيص دعاني الى احتمال الرثاثة منه العدم

تهلل لي ضاحكاً وابتسم أقطب وجهي له كان ومن كتاب فاضلي الى بعض اخوانه (وأما الأخبار المفريد واخلال جانبها وضعف مطلوبها وطالبها فاذا نجزت الطلاء الالغرب فيحق كها أن الأنوار الناصرية قد تناصرت في الشرق فأله يسعد بلاد الدنيا بالانخراط في سلك ملكه ويمكن من مؤمنها حكم عدله ومن كافرها سيف فتكه والله يجزيها الخير عن نيتها في الخير ويكتب سلامة عزمها في طرق النفع أينها بممت السير) ثم اني وقفت على كتاب فاضلي للسلطان يشعر بأن الرسالة المغربية لم تكن برأي الفاضل ولا هو مختار لها صورته (المملوك يقبل الأرض بالمقام العالي المولوي الملكي الناصري جعل له الله في الدنيا والآخرة المقام العالي وابني وأبقى دولته التي هي الأيام بالحقيقة والأيام قبلها هي الليالي وينهي أن الطاهر أن المملوك عند المولى ليس من أهل الأتهام وان له ولله أن المملوك عند المولى ليس من أهل الأتهام وان له ولله أن المملوك عند المولى ليس من أهل الأتهام وان له ولله أن الأقلام والرسالة المغربية ليس المملوك مشير ابتركها ولا كارها السفر رسوها ولا مستبعداً.

الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسادس الهجري دراسة تاريخية

د . محمد كريم أبراهيم مركزدراسات الخليج العربي

> أَشْتَهِرِتَ اليمنَ في عالم التجارة منذ عصور ما قبل الأسلام ممرأ « بحريا » للمراكب التجارية المحملة بالبخور والتواسل وأصبحت البلد الذي يستطيع نقل تجارة الشرق الى الغرب وبالعكس وذلك بحكم موقعها الاستراتيجي المهمء وبواسطة هذه التجارة تعرف اليبمن على حضارة اليونان والرومان والبابليين والفينيقيين 📉

كانت عدن سوقا « وميناء » لكبار تجار اليونان والرومان الذين كانوا يقصدونها في رحلات منتظمة من مصر، وكان فن فيها جالية من صغار التجار سرعان ما أزدادت بمرور الزمن ، كذلك كانت عدن مركزا « لتبادل السلع الافريقية والهندية والمصرية ومكانا » تبحر منه السفن الى الحند (٢) .

إنَّ للعرب اسواقهم المتعددة في أنحاء الجزيرة العربية قبل ظهور الأسلام ، وكانت تلك الأسواق حولية تقام مرة أو مرتين في السنة ، أشتهر منها سوق دومة الجندل و سوق الهجر (وهو المشقر) وسوق الشحر وسوق عدن ، التي كان قاصدها لا مجتاج الى حراسة ، بسبب قيام حكومة مركزية منظمة فيها قبل الأسلام، وتدفع عشور هذه السوق الى ملكها من حمير (٣) ، ثما يدل على تقدم مدينة عدن وانتظام

أحوالها السياسية والاقتصادية قبل الأسلام، ومن أسواق العرب الآخرى : سوق صنعاء وسوق حضرموت وسوق عكاظ (٤) ، ويدلنا انتشار هذه الاسواق في مناطق متعددة من بلاد العرب وانتظامها وتنوع انشطتها على اهتمام العرب بالتجارة منذ أقدم العصور .

ظُل ميناء عدن محتفظا بمكانته في التجارة العالمية بل تحول بعد الأسلام الى مستودع ضخم للبضائع من مصر وشرق أفريقيا والهند بعد ان جعلها التجار السر الرئيسي لهم ، وقد أدركت الامارات التي أُسْتَقَلْت بحكم اليمن أهمية عدن وميزاتها ، فقام الامير محمد بن زياد مسؤسس الامسارة السزيساديسة في زبيسد (٢٠٤ ـ ٢٠٤هـ / ٨٢٠ ٨١- ١م) بنشر الأمن حول عدن ، فأتجهت السفن التجارية اليها ، يسبب قربها من موانيء المحيط الهندي بعد أن كانت تفضل الاتجاه الى المواني، اليمنية الاخرى والحجازية على البحر الاحر (٥).

وني أثناء ازدهار الخلافة العباسية تحولت مراكز التجارة والتبادل الاقتصادي بين الشرق والغرب تدريجيا « من جنوب الجزيرة العربية والبحر الاحمر الى منطقة الخليج العربي والطرق الشرقية المارة عبر عاصمة الخلافة ، مما أثر بصورة مؤقتة على الموقع الاقتصادي لميناء عدن (٦) وكان من نتائج ذلك التحول الـذي نجح العبـاسيون في

⁽١) عن علاقة اليمن يتلك البلدان والحضارات ، انظر : د. جواد علي . المقصل ٢٧٧ ـ ٢٨٠ ، حوراني . العرب والملاحة ، ص ٧٩ ـ ٨٣ ، ١٥٦ ، الحبشي . جوانب ص ٨٣ ـ ٤ .

⁽٢) د. جواد علي . المفصل ٢٧٣/٧ ـ ٤ ، العبدلي . هدية الزمن ص ١٧ ، حوراتي العرب والملاحة ص ٩٤ ـ ٩٥ ، أباظة . عدن ص ٢٦ ، الحبشي . أليمن الجنوبي ، ص ٥ .

⁽٣) انظر : المرزوقي . الأزمنة والأمكنة ١٦٤/٢ . د. جواد علي . المفصل ٣٧٤/٧ . الأفغاني . أسواق العرب ص ٣٦٩ _ ٣٧٠ . (٤) عن أسواق العرب تلك ، انظر : التوحيدي . الامتاع والمؤانسة ١٨٣/١ ٤ ، المرزوقي . الأزمنة والأسكنة ١٦٦/٢ ـ ١٧٠ ، الفلقشندي صبح الأعشى ١٩٠/١ ـ ١٠٠ ، الآلوسي , بلوغ الأرب ٢٦٦/١ ، د. جواد علي . المفصل ٢/١٧١_ ٧ ، الأفغاني . أسواق آلعرب ص ٢٣٢ فها بعد ، الحبشي . جوانب ص ٨٧_ ٩

٥)) أبو مخرمة . ثغر عدن ٩/١ ، أباظة . عدن ص ٧٧ .

⁽٦) عن ذلك التحول ، انظر : التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط (مترجم) ص ٣٤_ ٥ ، ٤٣ ، القوصي . سيراف وكيش ص ٥٣ ، الحبشي جوانب ص ٨٦ .

تحقيقه في عصر خلافتهم الاولى، فقدان طريق البحر الاحر نشاطه ، فأصبح دوره التجاري ثانويا ، لذلك ازدهرت مواني الخليج العربي ، مثل البصرة والابلة وسيراف ثم كيش (قيس) (٧).

اصبحت سيراف بسبب هذا التحول التجاري من أهم مدن العالم التجارية بين القرنين ٣ ـ ٤هـ / ٩ ـ ١٠م وكانت سغن الهند والصين تحط فيها، فأصبحت مركزا « لتجميع وتصريف التجارة العالمية (٨)، وظلت سيراف مزدهرة حتى منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ثم بدأت تفقد مكانتها التجارية العالمية بتحول السفن التجارية منها الى ميناء جزيرة كيش (قيس)، وبسبب عوامل اخرى تركها معظم سكانها فأصابها فقر بعد غنى وذلك بعد عز (٩).

لقد ازدادت الأهمية التجارية لجزيرة كيش بسبب موقعها الممتاز في الخليج العربي (١٠)، خاصة بعد تدهور ميناء سيراف فأحتلت مكانتها محطة كبرى لتجارة الشرق العالمية خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وطوال القرن الخامس الهجري، وألعكست مظاهر الثراء على حكامها واهلها وازدهرت مظاهر العبران فيها، فكانت معاملة التجار الواردين اليها طيبة في باديء الأمر لكن تلك المعاملة سرعان ما تغيرت في بداية القرن السادس الهجري فقسوا على التجار المسافرين في بحر عُمان بغرض الضرائب العالمية على على التجار المسافرين في بحر عُمان بغرض الضرائب العالمية على على التجار المسافرين في بحر عُمان بغرض الدى الى تحول الكثير من على الشرق عن ميناء جزيرة كيش الى ميناء عدن ، وفقدت كيش أهم مورد من موارد ثروتها (١١)).

وتجدر الاشارة الى أن ميناء عدن لم يتأثر كثيراً ، ولمدة طويلة ، بسبب تحول طرق التجارة الى موانيء الخليج العربي ، بل سرعان ما

إستعاد مكانته التجارية السابقة ، بسبب اضطراب الأحوال الأمنية في العراق ومنطقة الخليج العـربي ، وعادت للبحـر الاحر أهـيــــــ التجارية الأولى في القرنين الرابع والخامس الهجريين بسبب تعرض التجارة للخطر في الخليج العربي بعد قيام حركتي الزنج والقرامطة في العراق والبحرين، وتدهور أحوال الخلافة العباسية السياسية والاقتصادية بعد سيطرة القادة الترك على السلطة فيها واثبارة الاضطرابات في الدولة وشل نشاطها التجاري، وفي ذات الوقت ساءت معاملة السلطات الصينية للتجار العرب الامر الذي أدى الى تسوقف هؤلاء التجارعن أرتياد موانيء الصين وقصر نشاطهم التجاري على الهند والبحر الاحر مما كان له أثره في عودة النشاط التجاري الى ميناء عدن (١٢) ، فأخذ يجذب التجار من مواني، الخليج العربي ، وكان ازدهاره كارثة على ميناء كيش الذي بدأ يفقد مكانته التجارية إثرَ تحول سَعْنَ تجار الشرق عنه ، وقد دفع هذا الحال حاكم جزيرة كيش _ بعد نفاد صبره _ الى مهاجة ميناء عدن واستخدام القاوة التدميره لكن محاولته بناءت بالفشيل الذريع سنية (17) -1140 / MOT:

وعمل ساعد على انتعاش ميناه عدن قيام الخلافة الفاطعية في مصر، فتحول ميزان السلطة السياسية في البحر الاحمر والبحر العربي من بغداد الى القاهرة، وقد ادى انتعاش النشاط الاقتصادى لعدن ان أصبحت من جديد هزة الوصل بين الشرق والغرب في معظم الأمور التجارية والاقتصادية خاصة عندما أصبحت اليمن تدخل ضمن ولاء الفاطميين ونفوذهم أثناء قيام الدول الموالية لهم كالصليحيين والزريعيين، فراجت أسواق القاهرة والاسكندرية، كالصليحيين والزريعيين، فراجت أسواق القاهرة والاسكندرية، وكان الفاطميون قد حفزوا المد التجاري مع أوربا عبر برنامج مكثف لبناء

⁽٧) القوصي : سيراف وكيش ص ٥٣ ــ ٤ ، وذكر أن تلك الموانيء حلت محل ميناءي القرما والقلزم في استقبال سفن الشرق الأقصى .

⁽٨) القوصي : سيراف ص ٥٣ ـ ٤ ، وقد أفاض في وصف ارْدهار سيراف رقراء أهلها نفسنه ص ٥٥ ـ ٧ .

⁽٩) يرجع تدهور سيراف ونهاية أمرها الى ثلاثة عُوامل : تدمير الزلازل لها سنة ٣٦٧هـ أو ٣٦٧هـ/٩٧٧م ، انتهاء نفوذ البويهيين السياسي في العراق فقد الميناء اهتمامهم بعمرانه ازدهار ميناه جزيرة كيش وتحول السفق اليه . القوصي . سيراف ص ٥٨ ـ ٩ .

⁽١٠) تقع جزيرة كيش ويسميها العرب: (قيس،) في الحليج العربي على خطّ ٥٤ شرقاً و ٢٦,٣٠ شمالًا، وهي مرفأ مراكب الهند وبر فارس ، انظر عنها : الحموي . معجم البلدان ٤٢٢/٤ ، القوصي , سيراف وكيش ص ٥٩ ــ ٣٠ .

⁽۱۱) القرصي: سيراف وكيش ص ١٠١. \Goitein. Two Eyewitness, p. 248.

⁽١٢) القوصي : سيراف وكيش ص ٦٩، الحبشي . جوانب ص ٨٦، التاريخ الاقتصادي ص ٣٤. ٥ . ٤٣ ـ ٤ ـ .

⁽١٣) للتفصيل عن تلك الغزوة ، انظر : ابن المجاور . المستبصر ص ١٧٤ . ٥ . ١٧٤- ٥ ، Goitein, Two Eyewitness, pp. 247-255.

السفن ، فتحولت الطرق الى الجنوب الشرقي من البحر المتوسط عبر مصر الى البحر الاحر فالى الشرق عن طريق عدن (١٤) .

ولا يضاح مكانة عدن وطبيعة الحركة التجارية فيها نورد وصف صلاح الدين الحكيم (١٥٠) ، اذ يقول (١٦٠) : « ولا يخلو أسبوع من عدة سفن وتجار واردين عليها وبضائع شتى ومتاجر منوعة والمقيم بها في مكاسب وافرة وتجائر مربحة ، ولحط المراكب عليها واقلاعها مواسم مشهورة » . ونستدل من هذا الوصف على نشاط الحركة التجارية بميناء عدن ، بسبب كثرة المراكب الواردة اليه اسبوعيا « وكانت تحمل البضائع المتنوعة من مختلف الارجاء ، وللمراكب التي تحط وتقلع منه مواسم معروفة عند أهل عدن فكانوا يخرجون لرقيتها ويفرحون بوصولها لانها تعمل على نشاط السوق فيها وتبادل السلع وكثرة الارباح ، وتشكل حركة المراكب مظهرا « بارزا » من مظاهر وكثرة الداخلية والخارجية لعدن .

ارتبط تاريخ عن بتاريخ البحر الاجمر، الشريان المهم للمواصلات الدولية بين الشرق والغرب، فهي بحكم موقعها الممتاز تسيطر على مدخله الجنوبي وتتحكم فيه، لذلك عرفت بأنها «جبل طارق الشرق (۱۷) The Gibraltar of the East (۱۷) و برانها هزة الوصل بين الشرق والغرب، وملتقى قارتي آسيا وأفريقيا، كما نعتبر السوق الكبيرة للجزيرة العربية (۱۸)، وارتبط تاريخها أيضا بتاريخ الركن الجنوبي الغربي للجزيرة العربية، وقد استمر هذا الركن

عرضة لتغييرات متتابعة نتيجة الأضطرابات الداخلية والمؤثرات الخارجية ، وكانت عدن مركزا « للسطرة على هـذا الجزء كله ، مما جعلها أول نقطة يحرص الطامعون على الاستيلاء عليها والتحصن فيها ، كما كانت آخر نقطة يحرص المغلوب على التشبث بها والدفاع عنها حتى يضطر لتسليمها أخيرا » (١٩)

وعرفت عدن أيضا « بأنها : عين اليمن (٢٠٠ The EYe OF) المحرفة عدن أيضا « بأنها : عين البحر العربي والمحيط الهندي ، فضلا « عن تحكمها في طريق البحر الاحر » .

١ ـ خبرة أهل عدت التجارية:

لما كانت عدن ميناء « تجاريا » مهها ذا حركة نشطة ، فقد تميز أهلها بخبرة تجارية ، فكان الكثير منهم يعملون في الميناء بمختلف الأنشطة والفعاليات ذات العلاقة بالعمل التجاري من بيع وشراء وما يتبعهها من السمسرة أي الوساطة التجارية ، كها تدير (سكن) عزه الميدنة جع كبير من الناس العاملين في الوسط التجاري من القبائل العربية ، ومن الاقطار العربية المجاورة وكذلك تجار من جنسيات مختلفة ، بحكم طبيعة اعمالهم في الميناء من استيراد وتصدير والتقاء بالعملاء والوكلاء التجاريين .

كانت الحركة التجارية مركزة في جبل صيرة (٢١) وساحلها حي تُلقى السفن مراسيها ، وقد أمرنا ابن المجاور (٢٢) بمعلومات طريفة

⁽١٤) سلطان ناجي . عرض كتاب : « عدن تحت الحكم البريطاني » تأليف البروفسور : آو. جي. جافين ، مجلة الكلمة ، ع ٤٦ ص ٧٩ ، التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط ص

⁽١٥) هو الحكيم صلاح الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن البرهان المتوفي سنة ٧٤٣هـ ، وقد نقل اخباراً كثيرة عن طبيعة اليمن وأسواقها ومتاجرها ابن فؤاد سبد ،مصادر تاريخ اليمن ص ١٤٥ ـ ٣ .

⁽١٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ١١/٥ ، انظر أيضاً بهذا المعنى : العبدلي هدية الزمن ص ٢٠ ، لقمان تاريخ عدن ص ٣٠٦ ، كحالة . جغرافية شبه جزيرة العرب ص ٣٦٥ . (١٧) الربحاني . ملوك العرب ٣٤٣/١ : د. فاروق أباظة . عدن ص ٣٣ ، وذكراً أن اللورد فالنتيا عرف عدن بأنها : جبل طارق الشرق ، في أكثر من موضع في كتابه ، وأشار لذلك أيضاً (جون وترفيلد) في كتابه : سلاطين عدن .

⁽١٨) الأكوع . اليمن الخضراء ٨٥ ، الثور . هذه هي اليمن ص ٤٧٢ ، الريحاني . ملوك العرب ٣٤٣/١.

 ⁽٢٠) أباظة . عدن ص ٧٤ ، العبيدي . الحركة الوطنية ص ١٧ ، وذكر أن « كراهام » سماها بهذه التسمية .

⁽٢١) هو جبل شامخ في البحر مقابل عنن وجبل المنظر يقال ان الأخير هو قطعة منه ، ورأس جبل صبيرة حصن قديم ، ويتصل جبل صبرة بالساحل بواسطة ممر طويل في وسطه جسر بمر منه ماء البحر ، أما جزيرة صبرة الواقعة في البحر والمواجهة لرأس عدن ، فأنها تعتبر المركز الأمامي في الدفاع عن ميناء صبرة الذي ترسو عنده السفن المتجهة الى ميناء عدن . انظر : ابن المجاور المستبصر ص ١٩١ ، أبو مخرمة . ثغر عدن ١٧/١ ، لقمان تاريخ عدن ص ٢٥٤ ، ٢٧٨ ، تاريخ الجزر اليمنية ص ٣٦ ، مجهول قلاند الجمن ص ٨٦ ، ٩٠ ، مستعمرة عدن ص ٩١ . وورد فيه انه في جبل صبرة المنارة المرشدة للسفن .

⁽٢٢) المستبصر ص ١٣٨، ونقل عنه : لقمان تاريخ عدن ص ٢٩٢ ـ ٤ .

عن حياة عدن قبل اكثر من ثمانية قرون فكان هناك حراس (٢٢) يقلمون في اعملي جبسل المنظر (٢٤) وحصن الخفيسراء عملي جبسل المعطراء (٢٥) وعبونهم الحادة البصر ترقب في أفق البحر البعيد السفن المتجارية القادمة الى ميناء عدن ، وكانوا لا يتمكنون من رؤيتها الاوقت طلوع الشمس وغروبها ، لوقوع أشعة الشمس على سيطع البحر ، فيقضع على بعد مسافة الشيء القادم .

كان هؤلاء الحراس بجلسون - في أغلب الأحيان - عِلَى الصخورِ البارزة في الجيلين المذكورين في مواجهة البحر؛ وكيل واحد منهم يطبع أماب عرد الأي: عصاً مثبتة، فاذا رأى شيئا. عن اليجر دقق النظر في الطرف الاعلى للعصا فاذا تحرك بمينا « ويسارا » والى الاعلى والاسفيل عرف أنبه ليس ألا طائرا » ، وأن كان خيال الشيء « مستقيها » ويتجرك ببطيء أدرك الحارس أنها سفينة مقبلة ؛ عند ذلك يخير صاحبه القريب منه وهو يصرح بأعلى صوته : هيريا (٢٦) ، فيسمعه الحارس الذي يليه فيصرخ هيريا وهكذا ينتقل الصراغ بين الجراس حتى يصل الصوت إلى آخر حارس في الفرضة ، ويسرع هذا الي دار والي المدينة ليحيطه علما بخبر قدوم السفينة ثم يذهب الي عمال الغرضة ويوصل اليهم خبر الوصول ليكونوا عيلي استعداد لإستقبالها ، وتجدر الاشارة الى أن أصوات الحراس تستمر مذوية من أعلي ذروةِ الجِبِلِ : هيريا ، هيريا ، هيريا ؛ حتى تصل المِنازِلِ ويسبيعها معظم السكان في المدينة فيسرعوا الى صعود الجبال وسطوع المنازل لمشاهدة السفينة القادمة ، مبتهجين بقدومها ، ويروي لقِمان (٢١١) ان الجراس بوقدون النار على قمة جبيل المنظر لإشعبار أهالي القبري

المجاورة بقدوم سفينة ، وبذلك يكننا تصبور أهمية قدرم سفينة للميناء وتأثيرها على حياة سكان عدن المعيشية التي تعنمد بالدرجة الاساسية على السفن التجارية القادمة .

وتجدر الاشارة الى أن مهية الحراس الذبن براقبون وصول البين التجارية الى ميناء عين تعد مهية شاقة جدا ببذلبون فيها جهيدا وكبيرا ، ومعاناة مرهقة ، فاذا ثبتت أن الشيء الذي رآء الجارس كان سفينة أي أن رؤيت صحيحة ، كبوني ، بأن بعيطي دينارا وملكيا ، (٢٨) من الفرضة (الجمرك) في الميناء ، وفي رواية (٢١) انه بحصل على دينار آخر من والي المدينة مكافأة له ، كها أن المهارس بعاقب أن كان كاذباً ، أو أذا خانه النظي ، ولم يكن الشيء القادم سفينة ، وعقوبته أن يضرب عشر جلدات على ظهره ، ويدلنا هذا الاجمراء على أن الحارس بجب أن يكون دقيقا وفي عمله صادقا ، . في الاجمراء على أن الحارس بجب أن يكون دقيقا وفي عمله صادقا ، . في أن الحارس بجب أن يكون دقيقا وفي عمله صادقا ، . في شك أن هؤلاء الحواس قد كسبوا خبرة في هذا المجال نتيجة عملهم شك أن هؤلاء الحواس قد كسبوا خبرة في هذا المجال نتيجة عملهم الطويل والمتواصل في مواقبة السفن والاخبار عن وصوها ،

عندما تقترب السفينة من جبل صيرة يستقبلها المشرون وهم يركبون السنابيق (٣٠) فاذا اقتربوا منها يصعدون الى ظهرها وبحيون ربانها ، ثم يسألونه عن البلد الذي قدم منه ، وأنواع البضائع الق يحملها واسهاء الركاب القادمين معه ، وبعد أن يرد الربان على قيتهم واسنلتهم ، يسألهم عن البلد واسم الوالي واسعار البضائع ، ثم يغادر المشرون ظهر السفينة وينزلون الى المدينة فيبشرون أهاني الركاب القادمين ويهنئونهم بسلامة العودة ويحصلون عبل البشارة ، كما القادمين ويهنئونهم بسلامة العودة ويحصلون عبل البشارة ، كما

(٢٣) يسميهم أبن المجاور : الناظرون ، ويذِكمِ مِنْهِوْهِمِ : النَّاطِهِرِ :

⁽١٤) يقع شرق عدن في مواجهة جبل صيرة ويقال أنه قطعة منه ، وقد بنيت دار المنظم عليه ، وقد سمي بهذا الاسم لأن العرب قفيه كانوا يستعملونه كموصد لمراقبة السفن الداخلة المهيناه ، وكانت الفنارات تضاء فيه ليهذ لتنبيه السفن أبن المجاور - المستبصر ص ١٩٥ ، أبو مخرعة ، ففر عدن ١٧٨ ، لقمان : قاريخ عدن ص ١٩٠ ، ١٧٨ ، جغرافية عدن ص ١٠ ، قلاند الجمن ص ٩٠ .

⁽٢٥) ويُقع الى الغرب من جبل المنظر، وهو ما يسمى الآني: حِقاب ويعرف بالبنديرة، وفيره جصنين الجنهاء الذي يشوف على باب البحر بعدن، وفيم كالنت ترس المراكب الشراعية التي تحمل البضائع لميناء عدن. لقمان تاريخ عديز صِ وع، ٢٥٤، ٢٥٢، ٢٩٢، الجياد تاريخ البيمن ص ٢١٨، جغوافية عدن ص ١٤.

⁽٢٩) هناك أبتهاج أر استحسان أر تشجيع حماسة ، تعبيراً عن الفرح ، الترحيب ، الاعبياب ، وِبْكُون التحبية بِتيرويلِد هَذِهِ الكَالِمة عَلَمة ميرات .

⁽۲۷) تاریخ عدن ص ۲۹۴.

⁽٢٨) هو آلدينار الذي ضربه الملك المكرم أجمد بن محبد بن علي الصليجي ؛ وذكرت الجميلار بأنيه أولي بهن ضرب اليينار الملكي بصنعاء . عمارة . الهفيد ص ١٣٥ ، ابن المجاور . المستبصر ١٤٥ ، المقبلي . المخلاف ١/٠٠ ، لقمان . تاريخ عدن ص ٣٠٠ .

⁽٢٩) لقمان . تاريخ عدن ص ٢٩٤.

⁽٣٠) مفردها السنبوك أو السنبواق ، وتسمى ايضاً : الصنابيق مفردها الصنبوق ، في الأصل مركب صغير يتبع المراكب الكبيرة ، وتطلق اليوم على السفن الشراعية المنبوسطة الحجم ذات القلعين ، ان هذا النوع من السفن أصبحت في العصور الوسطي عبارة عن قوارب صغيرة كها وصفها ابن بطوطة الذي عاش في القرن الرابع عشر ، وفد ورد استعمالها كثيراً في مؤلفات الرحالة والجغرافيين العرب في العصور الوسطى . ماهر . البجرية في مصر ص ١٩٤٣ ـ ٩ ، عبد العليم ابن ماجد عبد ١٥٥ .

يعزون أهل من لم يعد منهم أو من مات في سفره ، كها أنهم يزورون النجار ويخبرونهم بأنواع البضائع التي تحملها السفينة فينالون الأجر منهم ، وتجدر الاشارة الى ان كاتب الجمرك يدون كل المعلومات التي يدلي بها ربان السفينة وبعد الانتهاء منها يوقع عليها الربان وتحوي تلك المعلومات على تفاصيل بأساء البضائع التي تحملها السفينة واسم الربان واسهاء التجار ، فيرجع المبشرون كلهم دفعة واحدة ويسلمون والتي المدنة رقعة كاتب الجمرك ويعطونه المعلومات المتعلقة بالسفينة التي وصلت توا « بصورة تفصيلية » .

بعد انتهاء عملية تسجيل محتويات السفينة من البضائع والتجار القادمين ترسو السفينة عند دائرة الجمرك في الميناء فيصعد اليها نائب السلطان وهو والي المدينة ، يرافقه الكشاف وهو المفتش الذي يفتش الرجال واحدا « وأحدا » بدقة متناهية ، يبحث بين طيات ملابسهم وعمائمهم وكل اجسامهم ، وقد وصف لنا ابن المجاور (٣١) ذلك التفتيش بكل دقة .

أما بالنسبة إلى النساء فهنالك عجوز تقعش النساء بدقة عيل غرار تفتيش الرجال ، ولعل سبب كون التفتيش دقيقا « وشديدا » يعود إلى عدة أسباب منها : ضبط عمليات التهريب لكثير بين المواد الصغيرة الحجم الخفيفة الوزن الغالية الثمن كالذهب مثلا ، اضافة إلى الشك في بعض الاشخاص القادمين من عملهم في التجسيس أو نقل الرسائل السرية .

نزول التجار الي المدينة

بعد أن تنتهي عملية تفتيش التجار القادمين على ظهر السفينة وكذلك بقية المسافرين من الرجال والنساء ، ينزلون في اليوم الثاني الى الجمرك (٣٢) أي أن التفتيش يتم خلال يسوم واحد وهم داخيل

السفينة ، ثم ينزلون إلى رصيف الميناء ، وفي رواية (٢٣) إن الأقمشة والبضائع تنزل إلى القُرضة بعد ثلاثة أيام حيث تعرض على موظفي الجمرك ليجري عليها العَدُّ والوزن ومن ثم يقدر رئيس الجمرك قيمة كل بضاعة ليقرض عليها ما يراه مناسبا من الضرائب .

أن تنزيل البضائع بعد ثلاثة أيام يرجع الى دقة التغنيش في الميناء على الرجال والنساء ، ونفهم من ابن المجاور ان العد والوزن ، إتصف بالدقة والشدة ، أذ يقول (٢٤) : « وبعد ثلاثة أيام تنزل الاقمشة والبضائع الى الفرضة تحل شدة « شدة وتعد ثوبا « ثوبا » ... » ، وهذا الاجراء يوضع لنا عملية ضبط كميات البضائع الواصلة والتي يتم بحرجها تحديد واستيفاء العشور التجارية ، ومن المحتمل ان التأخير بعود ابضا « الى ازدحام الميناء بالمراكب التجارية وانتظار الدور لكل مركب حتى يتم تفريفه وتسيجيل البضائع التي وانتظار الدور لكل مركب حتى يتم تفريفه وتسيجيل البضائع التي وانتظار الدور لكل مركب حتى يتم تفريفه وتسيجيل البضائع التي وانتظار الدور لكل مركب حتى يتم تفريفه وتسيجيل البضائع التي

ولغهم أن التغتيش كان دقيقا « وشديدا » إلى درجة كبيرة ، وربا وقعت مآسي انسانية في الميناء نقيجة ذلك التغتيش الصارم وعدم التساهل في الرسوم الباهضة ، قال ابن المجاور (٣٤) ، « وحيننذ بظهر على التاجر الجراف (٣١) ويقتله الحيزن ويبقى في وادي الدبسور با يعملون معه من الفعل الذي يطير منه البركة والسعادة » .

ونستنتج من النص السابق مدى المعاناة التي يعاني منها التاجر بسبب التفتيش والرسوم العالية فيصيب اليأس والحيزن وتنقلب سعادته الى ألم وأساة ، ويشبه ابن المجاور خروج الانسان من البحر محروجه من القبر ، ويوضع حال التاجر في الميناء ، اذ يقول (٢٧١) ؛ و وخروج الانسان من البحر محضورجه من القبر والفرضة كالمحشر و وخروج الانسان من البحر محضورجه من القبر والفرضة كالمحشر فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد فان كان رابط «طاب قلبه وان كان خاسرا » افتم ... » ؛

⁽۲۱) الستيصر ص ۱۳۹ ،

⁽٣٢) ابن المجاور المستهصر ص ١٣٩ ، لقمان . تاريخ عِدنِ ، ص ١٩٥ .

⁽٣٣) نفس المصدرين السابقين .

⁽٣٤) المستبصر ، ص ١٣٩ ،

⁽⁰⁴⁾ ihus 141.

⁽٣٦) الحرف الحرمان ، والمحرف الذي ذهب ماله ، والمحارف الذي لا يصيب خيراً من وجه توجه له (مينقوص الحيظ) ، والمصدر الحجراف ، ابن مينظور . اللسان ١٦١١/١ مادة حاف) .

⁽٣٧) المستهصر ص ١٣٨ - ١٣٠ (بين الصفحتين خارطة قديمة لمدينة عدن).

أ) عشور الشواني

لاجل اعطاء صورة واضحة عن النشاط التجاري لميناء عدن، نورد أدناه، مقدار العشور التي كانت تفرض على البضائع الواردة للميناء كها رصدها ابن المجاور في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، فقد ذكر (٢٨) ان تلك الضرائب والقوانين كانت قد استجدت أيام دولة بني زريع، وذكر لقمان (٢٩) أن نائبي عدن في عهد المكرم احمد الصليحي، وهما العباس ومسعود ابن المكرم الجشمي اليامي الهمداني، فكرا في انشاء الدواوين وتنظيم الضرائب على الصادرات والواردات، ولعلها استشارا أهل الفكر في مثل على الامور فوجدا من عمل على تنظيمها.

٢ _ عشور التجارة :

ان مصادرنا الأولية وفي مقدمتها تاريخ المستنصر لابن المجاور لا تحدد لنا السنة التي فيها تطبيق تلك الضرائب فعليا ، كما لاتحدد اسم الأمير الذي طبقت في عهده ، لكننا نجتمل ان تطبيقها بدأ بعض استقلال بني زريع وانفرادهم بحكم عدن ، والراجع ان ذلك تم في عهد الداعي محمد بن سبأ ، (١٣٥ – ٥٥٠ه / ١٣٦ لـ ١٩٥٥م) وقد استمر العمل بتلك النظم بعد نهاية حكم بني رزيع وقيام الدولة لا يوبية في اليمن سنة ١٩٥ه / ١١٧٧م ، اذ ان كثيراً من الضرائب قد استجدت في عهدها ، لذلك سندرس تلك الضرائب خلال العهدين المذكورين ، وسنبدأ أولا بتوضيح عشور الشوائي قبل البدء بدراسة ازواع العشور المفروضة على البضائع الواردة الى ميناء عدن من أرجاء متعددة من العالم ، وبذلك تكون البضائع التي فرضت عليها عشور الشوائي هي البضائع التي شملتها تلك العشور في العهد الايوبي فقط ، أضافة الى دراستنا للعشور الأخرى المفروضة على البضائع في عهد بني زريع ثم العهد الايوبي .

لم تكن لبني زريع - أمراء عدن - معرفة باستعمال السفن الحربية ، وبقيت الحال حتى دخول توران شاه ابن أيوب الى اليمن واستيلائه على عدن سنة ٥٦٩ه / ١١٧٣م فجاء معه بسفن حربية كانت تسمى : « الشواني » (٤٠٠ وبعد مغادرة السلطان توران شاه اليمن سنة ٥٧١ه / ١١٧٥م ، ولي على عدن نائبا «عنه هو الامير عثمان بن علي الزنجيلي التكريتي فبقيت عنده الشواني الى ان هرب من عدن سنة ٥٧٩ه / ١١٨٣م ، ودخل السلطان سيف الاسلام طفتكين بن أيوب في تلك السنة ، فكانت تلك الشواني لا تزال باقية في ميناء عدن .

وقد تقدم أحد الأهالي الاذكياء بسؤال الى سلطان طفتكين قائلاً له : « ويم تستحل أخذ العشور من التجار ؟ »، قال « أجري على ما كانت عليه ملوك بني أيوب فيها تقدم من الايام » وقد رد ذلك التاجر على السلطان طفتكين ، أنهم كانوا يستعملون القوة في فرض الرسوم على السلطان طفتكين بيان رأيه ، أجابه بأن يخرج هذه الشواني الى البحر طلب منه طفتكين بيان رأيه ، أجابه بأن يخرج هذه الشواني الى البحر لحماية التجار وتجارتهم من السراق ولصوص البحر فيدفع التجار العشور مقابل حراسة الشواني لاموالهم ، وذلك أفضل من بقاء تلك السفن عاطلة في المرسى تتلف الشمس اخشابها ، فأستحسن طفتكين ذلك الرأي ، وأخرج الشواني الى بحر الهند تجوب فيه لحراسة المراكب التجارية بعد اشتداد نفوذ القراصنة في البحر ، وقد اصبع أرسم الشواني نافذ المفعول منذ عهد السلطان طفتكين (١٤) ، ونحن نرجع ان يكون ابتداء ذلك سنة ٩٧٩هـ ، وهي السنة التي دخل فيها السلطان الى اليمن واخضعه لسيطرة الدولة الايوبية بعد القضاء على المتمردين والانفصاليين فيه .

كانت الطريق التجارية بين عدن والهند عرضة لهجوم القراصنة

⁽٣٨) المستبصر ص ١٤٠ ، ويقول : ﴿ ثُم ضَرَائبٌ وقوانين استجدت من أيام دولة بني زريع ﴾ .

⁽٣٩) تاريخ عدن ، ص ٢٩٦.

^{. (}٤٠) الشواني : هي أقدم أنواع السفن ، وتسمى : الشيني ، وكانت أهم قطع الأسطول الروم اني ، ووردت في التناج للزبيدي الشونة المركب المعد للجهاد في البحر ، والجمع الشواني لغة مصرية ، وكانت الشواني في العصور الوسطى أهم قطع الأسطول الاسلامي لأنها أكبر السفن وأكثرها استعمالًا لحمل المقاتلة للجهاد ، وعليها أبراج وقلاع ، وتحمل في المتوسط نحو (١٥٠) رجلًا . ماهر : البحرية في مصر ، ص ٣٥٢ ، عبد العليم . ابن ماجد ، ص ١٥٣ ، الحبشي جوانب ، ص ١٢٥ .

⁽٤١) ابن المجاور . المستبصر ١٤١ ـ ٢ ، لقمان . تاريخ عدن ، ص ٧٠ ـ ١ ، ٢٩٣ ـ ٧ .

الهنود الذين اتخذوا من جزيرة سقطرة مخبأ لهم (٢٠) فعرضوا طريق التجارة للاخطار والمخاوف المستمرة ، وقد أدى ذلك الحال الى قيام السلطان طفتكين بارسال الشواني لحماية التجار من السُرّاق ، وقام الاتاب سيف الديسن سنقر أمير عدن (٨٩٥ - ٨٠٨ه / ١٢٠١ - ١٢١١م) بتجريد حملة على جزيرة سقطرة استخدم فيها الشواني (٢٠٠) ، بسبب ازدياد خطر القراصنة الهنود ومهاجمتهم للسفن التجارية .

ازداد خطر هؤلاء القراصنة مما أدى الى توقف التجارة بين عدن والهند لمدة سنة ، فأرسل الأتابك سنقر الشواني سنة ٢٠٢هـ/١٢٠٥م للقضاء على اللصوص مرة ثانية ، وقد وصلت شواني الأتابك الى قلهات (٤٤) وألى كل مكان ، وطردت اللصوص من البحر (٤٥).

كان رسم الشواني بسيطا نسبته 1٪ ، أي يؤخذ دينار على كل مائة دينار عند تقدير قيمة البضاعة (٤٦) ، وكان يؤخذ سواء قامت السفينة بالحراسة فعلا أم لم تقم ، ثم زيد الى 1٠٪ (٤٧) واستمر الحال حتى سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م ، والغي في عهد الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل محمد (٤٨) .

ب) عشور البضائع

نورد أدناه قائمة بمقدار العشور المفروضة على البضائع الواردة لميناء عدن والصادرة منه كها رصدها ابن المجاور (٤٩) في القـرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي :

١) بضائع فرضت عليها العشور وذلك على وزن البهار (٥٠) الواحد:

أ) القلقل (٥١): تؤخذ على البهار ثمانية دنانير عشور ودينار شواني ، وخروجه على الفرضة ديناران ، أي أن مجموع عشور بهار الفلقل تساوي (١١) دينارا » .

- ب) الانكزة وهو الحلتيتي (٥٢) : ثمانية دنانير عشور .
- ج) قشر المحلب (⁶⁷⁾ : ثلاثة دنانير ونصف عشور .
- ۵) الطباشير (۱۹۵): واحد وعشرون دينارا الا ثلث عشور ، ودينار

شواني .

هـ) عود الدقواء (٥٥): تؤخذ عليه عشور وشوانٍ تساوي نصف

(٤٢) ابن المجاور . المستبصر ص ٢٦٨ ، وقد زار جزيرة سقطرة سنة ١٦٨هـ ووصف سكانها بقوله : « ورأس ما في سقطرى وغاية معاش أهل هذه السواحل مع السراق لأن السراق ينزلون عندهم ويقيمون عندهم مدة ستة شهور ويبيعون عليهم الكسب ويأكلون وبشربون ... » ، انظر أيضاً : حوراني . العرب والملاحة ص ٢١٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ . ٢٣٠ . (٣٢) ابن المجاور . المستبصر ص ٢٦٢ ـ ٧ .

(٤٤) قلهات : بالفتح ثم السكون وآخره تاء . وهي مدينة بعمان على ساحل البحر ترفأ اليها سفن الهند . وهي فرصة تلك البلاد وقد تمصرت بعد سنة خمسمائة وهي لصاحب هرمز ، وكانت عامرة أهلة لكنها ليست قديمة بالعمارة . الحموي . معجم البلدان ٣٩٣/٤.

- (٤٥) ابن حاتم . السمط الغالي ، ص ١٣١ .
- (٤٦) المقيلي : المخلاف ، ج ١ ، ق ١ / ١٩٩ .
 - (٤٧) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٢.
- (٤٨) قبل أن الملك المسعود الغي رسم الشواني سنة ٦١٥هـ. لقمان تاريخ عنن ص ٢٩٨، العقيلي . المخلاف ، ج ١ ، ق ١٩٩/، والصواب أن الغاء هذه الرسوم كان سنة ٢٥هـ/٢٢٧م . ابن المجاور المستبصر ، ص ١٤٢، الحبشي . جوانب ١٠٨.
 - (٤٩) المستبصر ص ١٤٠_ ١ ، انظر أيضاً : العقيلي . المخلاف ، ج ١ ، ق ١ / ١٩٧_ ٨ ، الحبشي . جوانب ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .
- (٥٠) اليهار : وهو من الأوزان اختلف فيه ، فقيل أنه يزن (٣٠٠) من ذكر المقدمي أن وزنه (٣٠٠) رطل وهذا الوزن بالرطل الملكي الذي يزن (٣٠٠) درهماً ، أي الوزن المهار (٢٢٠,٥٢٢) كفم ، وذلك على حساب وزن الدرهم بمعدل (٣٠٠) غم . أحسن التقاسيم ، ص ٩٩ ، هنتس . المكاييل ص ٢٠٠، د وذكر لقمان أن اختلافاً حصل في وزن البهار ، فقيل أنه يساوي حمولة جمل ، وأنه يتراوح بين : ٣٠٠ ، ٤٠٠ رطل . تاريخ عدن ص ٥٤ ، ٣٠٠ ، انظر أيضاً : دوزي . تكملة المعاجم ١٣٠١ .
- (٥١) شجرة تُنبت في بلاد الهند، لها تسمرمر يكون في بداية ظهوره طويلاً كاللوبياء وهو الدار فلفل، يستعمل مع الفذاء ولأغراض طبية عديدة. المظفر الرسولي. المعتمد في الادرية المفردة، ص ٣٦٧ ــ ٩.
- . دعويه العلومة ، على ١٠٠٠ . (٥٢) الحلتيت هو صفة الانجدان لها قوة تجذب جذباً بليغاً وهو أكثر البان الشجر حرارة ولطافة ، وهو مادة طبية مهمة لمعالجة الكثير من الأمراض . المظفر الرسولي المعتمد ، ص ١٠٠ ـ ١ .
- (٥٣) المحلب : هو شجريابس أبيض النور وثمره يقع في الطيب وهو أنواع ، يستعمل في المسوحات والنقاوات له استعمالات طبية كثيرة . المظفر . المعتمد . ص ٤٨٦ ــ ٧ . (٥٤) هو شيء يكون في جوف القنا الهندي ، يجلب من ساحل كلاه بالهند ، وأكثره في منطقة سندابور ، شكله مستدير شكل الدرهم ، سرعان ما يحترق عند احتكاك بعضه ببعض بريح شديدة تهب عليه ، وله منافع طبية كثيرة المظفر . المعتمد ، ص ٢٠٦ ـ ٢ .
 - (٥٥) يبدو أنه أنواع من البخور لكونه يسمى : عود الدفواء .

المبلغ المفروض على بهار الطباشير ، ويذكر الحبشي (٦٦) ان رسومه عشرة دنانير ونصف .

- و) الهيل : سبعة دنانير عشور .
- ز) الكتان: سبعة دنانير ونصف عشور.

ح) الفُوّة (ه): اثنا عشر دينارا ، وقد استجد في ألايام دولة الملك المعز اسماعيل بن طفتكين ، وكان مقدارها قبل ذلك دينارين ويقال ثلاثة دنائير .

- ط) الحُمْر (^{٥٨)} : يؤخذ على البهار ثلاثة جُور (^{٥٩)} عشور .
- Y) بضائع فرضت عليها العشور على وزن الغراسلة $^{(3^{\circ})}$:
- أ) الكافور (٦١٠): خمسة وغشرون دينارا « ونصف وسدس عشورا ».
 - ب) القرنفل (٦٢) : عشرة دنانير عشور وشواني دينار .
 - ج) الزعفران ^(٦٣) : ثلاثة دنانير وثلث عشور .

٣) بضائع فرضت عليها العشور بصيغ متنوعة :

أ) النيــل (٦٤): يؤخذ عــلى قطعــة النيل أربعــة دنانــير شواني
 وخروجه من الفرضة ربع (٦٥).

ب) العويلي (٦٦) السندا بوري: تؤخذ عليه ثمانية دناتير عشور ودينار شواني، واذا صدر من المدينة تؤخذ عليه نصف دينار عشور، وهو لضامن دار النبيذ (٦٧). ولم تحدد المصادر الكمية من هذه المادة التي فرضت عليها عشور الميناء وعشور الشواني هل هي بالبهار، الفراسلة، القطعة؟ ونستدل على انها مادة ذات صلة بصناعة النبيذ التي ازدهرت بعدن ولها دار خاصة بها تضمن من الدولة.

ج) رأس الضأن: يؤخذ عليه ربع (٦٨)، ولعلع ربيع ريسار نشور.

د) رأس الرقيق : يؤخذ على الرأس ديناران ، واذا صدر من
 المدينة يؤخذ عليه نصف دينار عشور .

هـ) الثوب الظفاري: وهو الثوب المصنوع في ظفار باليمن،
 يؤخر عليه عشور ربع دينار وجائز. (٦٩)

(٥٦) الحبشي . جوانب ص ١٠٩ .

(٥٧) الغوة : هي عروق نبات لونها أحمر ، يستعملها الصياغون وتعرف بغوة الصياغين ، طعمها مر ، ولها استعمالات طبية كثيرة . المظفر . المعتمد ، ص ٣٧١ ـ ٢ .

(۵۸) هو التمر الهندي ، وهو بالسراة كثير وكذلك ببلاد عمان ، ورقة مثل ورق الخلاف (الصفصاف) ، ويقال له : البلخي . الدينوري كتاب النبات ص ١٣٤ ، ويسمى : القاريط ، ويقال القراريط : حب الحمر ، وقد ورد ذكره في شعر حسان بن ثابت . الصفائي . التكملة ١٦٣/٤ ، وذكر المظفر الرسولي ان الحمر حامض يتداوى به شجره عظام كشجر الجوز وثمره قرون مثل قرون ثمر القرظ ، يطبخه الناس وله منافع طبية كثيرةً ، المعتمد ص ٥٣ . ١٠٦ .

(٥٩) الجوز من اجزاء الدينار الملكي الذي كان متداولًا في عدن ، ويتكون من أربعة أرباع ، كل ربع ثلاثة جوز ، والجائز يساوي ثمانية قلوس . ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٥ .

(٦٠) هي وحدة وزن ، ذكر ابن المجاور انها تساوي عشرة أمنان وتساوي عشرون رطلًا . المستبصر ص ١٤٠ ، وذكر هنتش أنها تساوي ـ ٢/ من البهار وهي في كل الأحوال (١٠) أمنان . المكاييل والأوزان ص ٢١ ، ٤٠ .

(٣١) هو صمغ شجر، لونه أحمر وخشبه أبيض رخو يضرب الى السواد يوجد في أجواف الشجر في خروق ممتدة على طولها، وهو أصناف فيها: الفيصوري والرياحي ثم الازاد والاسفرال والأزرق وهو المختلط بخشبه والمتصاعد من خشبه، ويدخل الكافور في الطيب وله استعمالات طبية عديدة. المظفر المعتمد، ص ٢٠١ـ٥.

(٦٢) هو ثمرة وعيدان يستعملان جميعاً، يجلب من أرض الهند، أجود الرؤوس ذوات الشُّعَب وهو حار يابس، ويستعمل كثيراً في أمواع الأدوية. المظفر. المعتمد، ص ٣٨٠ ـ ١.

(٦٣) ذكر الدينوري ان الريهقان هو الزعفران . كتاب النبات ص ١٩٤ ، وذكر أيضاً أنه معروف ولا يتبت في أرض العرب . نفسه ص ٢٠١ ، والورس في معنى الزعفران . عمارة . المفيد ص ٥٩ ، ومن اسمانه : الكركم ويستعمل في الطعام ولأغراض طبية عديدة . المظفر . المعتمد ص ٢٠٢ . وقيل أن عشور الزعفران ثلاثة دنائير ونصف . الحبشى جوانب ، ص ١٠٩ .

(٦٤) ويسمى : النيلج ، وهو العظلم الذي يستعمله الصباغون ، وهو نبات له ساق وفيه صلابة وله شعب رقاق ، ولونه بميل الى الغيرة والزرقة ، وله منافع طبية كثيرة . المظفر المعتمد ، ص ٥٣١ ــ ٢ .

(٦٥) المستبصر، ص ١٤٠، وذكر مبلغ عشوره ربع فقط ولعله ربع دينار.

(٣٦) وردت هذه المادة مصحفة وغير واضحة ، صورتها (العوطي) . المستبصر ، ص ١٤١ ، وسندابور موضع بساحل الهند من بلاد كلي ذكرنا أن الطباشير كان يجلب منه . المظفر ، المعتمد ص ٣٠١ .

(٦٧) المستبصر ص ١٤١ ويبدو أن مكان هذه الدار في عدن . وذكر ابن المجاور وأيضاً وجود دار للنبيذ في زبيد كان ضماتها السنوي (١٢) ألف دينار .

المستبصر ، ص ٩٠ ، وكانت تلك الدور أشبه بمصانع محلية يدوية صغيرة .

(٦٨) ذكر ابن المجاور مبلغ وربع فقط. المستبصر، ص ١٤١.

(٦٩) ذكر المقيلي أن رسمه ربع دينار فقط . المخلاف ، ج ١ ، ق ١ /١٩٨ . وذكر الحبشي أنه يؤخذ عليه ربع دينار ضمان ، جوانب ص ١٠٣ .

 إلى الدير وعلى من صنع زبيد، تؤخذ على الواحدة منها يهيف دسر وجائز.

which is a supplied to the

سنعه السهارا البرعشورة للالة قراريط الا

رز) موط السوسي: وعشورها ربع وجائز

ى) السهاعي ^(٧٤) : وعشورها ديناران وتصف

و هنائلته بعضائع الحرى ارضت عليهما العشور يصيبخ الحرى في المهلم الايون (٢٥٠ واعتبر العقيل ٢٠٠ ان ما ذكرتباد من العشور لمفروضة للفروشة على الثياب والثقل الحرير وغيرها تبتاية ماتبور مغروضة على النبارات في العهد الايون

٢) عشور مستجدة في العهد الايوبي :

اسبحت العشور المفروضة على بهار الغوة اثني عشر دينارا وذلك في عبهد الملك المسهدز استساعتيال بين طلقت كيان، (٥٩٣ يـ ١٩٩٨هـ/١٩٦ م)، وكنانت قبل ذلك دينارابن وقيل ثلاثة دنائير (٧٧)، وقد استجدت عشور اخرى خلال العهد الايوبي (٧٨)، وهي :

أ) عشور الحديد؛ وقد بلغت تصف ثبته ، أي ٥٠ وفد استجد

هسذا في عسهسد السسلطان طفتكين بسن أيسوب، (٥٧٩ ـ ٥٩٣هـ /١١٨٣ ـ ١١٩٦م).

ب) وكانت عشور الرأس الواحد خسين دينارا اذا دخل ميناء عدن، وقد استجد ذلك في عهد الملك الناصر أيوب بن طفتكين بن أيـوب (١٢٠٨-١٢١هـ/١٢٠١م)، ويؤخذ على الـرأس أيـوب (١٢٠٨-١٢١هـ/١٢٠١م)، ويؤخذ على الـرأس سبعون دينارا اذا صدر من عدن الى الخارج بطريق البحر، وهذا يمثل سياسة تجارية متطورة أساسها حماية أنواع الخيول الأصيلة ووضع حد لتصديرها وهي سياسة عربية صائبة تدل على رقي التفكير وبعد النظر، ذكر العقيلي الم النفرة اقتصادية معمول بها في الوقت دينارا للرأس الواحد عمل نظرة اقتصادية معمول بها في الوقت الحاضر في أحدث الأنظمة الجمركية، وذلك برفع الضريبة على المادة التي تحتاجها البلاد عند تصديرها والتخفيض على ما يرد منها.

ج) بيع المراكب: تؤخذ على المركب الذي يباع بعدت رسوم مقدارها ١٠٪ يدفعها بائع المركب (٨٠).

بَهُ رَبِية البيوت: حين يباع بيت يدفع المالك ربع قيمته وقبل ثلث قيمته ، يُضاف الى ذلك ديناران للإعلان الرسمى (٨١) .

عُــ الموار المصفاة من العشور:

الواردة الى ميناء عدن أن معظمها عبارة عن مواد غذائية حياتية

⁽٧٠) ذكر العليلي أن الشلة البيضاء صنع زبيد، المخلاف ، ج ١ ، ق ١ /١٩٨٠ .

⁽٧١) ب**تكون الدينار الملكي المعمول به في عدن من** أربعة أرباع ، كل ربع ثلاثة جوز ، كل جائز ثمانية فلوس وكل فلس أربعة دوارس . المستيصر ص ١٤٥ ، 1٤٥ ، وثمن الدينار اذن جائز ونصف .

⁽٧٣) السوسي ؛ نسبة الى مدينة سوسة بالمغرب، وي مدينة عظيمة ومنها يخرج الى السوس الأقصى ومنه الى القيروان، وفي سوسة دار الصناعة. والحياكة فيها كثيرة وبغزل فيها الغزل الحمومي. معجم البلدان ٢٨١٧٣ ـ ٣.

⁽٧٣) القسراط ربع لحمسي مثقال والدينار عشرون قيراط في أكثر البلدان. الحوارزمي. مفاتيح العلوم، ص ١٤١.

ا الله السياعيات هي توع من الأردية طول الواحدة منها سبّعة أذرع في عرض أربعة أذرع ، وهي صنفان من الحرير المنالص وآخر ممزوج بالكتان . ابن المجاور . المستبصر هم ١٠٠٠ وذكر ملذار هشورها على كورجة السباعي . نفسه ص ١٤١ .

٠٧٠) يزخت عشور من اللاله الربع ويقال الثلث ودينارين استظهاراً وعلى كورجة المحابس أربعة دنانير ، وعلى كورجة الأحواك دينارين ونصف (ذكر العقيلي أنه يؤخذ على نورسة الحرك صنع زبيد دينارين ، المخلاف ، ج ١ ، ق ١ /١٩٨٧ ، وكذلك السياعي وعلى كورجة الثياب الحام الهندي دينارين ونصف ، وعلى سواسي الكتان الكبار جائل ، وتحيراط ، وعلى العمفير جائزين وغلين ، وعلى كل قفعة ذرة (ذكر العليلي قفعة الذرة والدخن . المخلاف ، ج ١ ، ق ١ /١٩٨٧) ثمن دينار . اين المجاور . المستبصر ١٠٠ م. ١ , و

¹⁹⁴⁷ LLAKES S 1 . B 1 1411

⁽٧٧) ابر المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٠ .

⁽١٨٠) للتقصيل؛ الظر: المستبصر، ص ١٦٠- ١- لقدن. تاريخ عدر عن ١٩٠٠. العقابلي. المخلاف، ج ١، ق ١ / ١٩٧ـ ٨، الحبشي. جوانب ص ١١٠.

^{(&}lt;sup>94</sup>) (لمخلاف, چ ۱ **, ق ۱** / ۱۹۷ ,

٥٠١ أين المجاور . المستبصر ١٤٠.

⁽أنه، لقمان . تاريخ عدن ، ص ۲۹۸ .

واخرى تستخدم للاغراض الطبية ، كما أنها ترد من أرجاء عديدة من العالم بطريق البحر ، مما يوضح لنا قوة الصلات التجارية بين عدن والعالم ، ونستدل من مقدار تلك العشور أيضا « على أنها تشكل موارداً فقط قد فرضت عليها عشور الشواني ، وهي مالية طائلة ترد ميناء عدن سنوپا ، وكانت من مواد الفلفل ، الطباشير ، القرنفل ، العويلي السندابوري والثيل ، ولعل ذلك يرجع الى انها كانت تجلب من الهند ويتطلب الامر توفير الحماية اللازمة لتأمين وصولها عن طريق المحيط الهندي الي ميناء عدن بواسطة الشواني ، ويبدو ان تلك المواد كانت من الأهمية للسكان في مجالات متعددة لاستعمالها في الطعام وللاغراض الطبية فزاد الطلب عليها .

كما أن هنالك بضائع أخرى استدعت حاجة البلاد الاقتصادية تشجيع توريدها وذلك باعفائها من العشور، وكان أغلبها من المواد التموينية الضرورية ذات الصلة والمساس بحياة الجمهور الاكبر من السكان. وتقسم حسب مصادرها إلى :_

أ) الواصل من ديار مصر (AY) وتشمل المواد التالية: الحنطة

والسدقيق والسَكر والارز والصسابون السرقي والاشنسان ^[7] والقطارة ^(۸٤) وزيت الزيتون وزيت الحار والزيتون المملح. وكل يتعلق بالنقل ^(۸۵) وعسل النحل اذا كان قلية ^(۸۲).

ب) الواصل من الهند (۸۷):

كل ما يصل بطريق البحر (٨٨) كالهليلج (٨٩) المربي والاكرا والمخاد والمساور والانطاع (٩٠) والارز الكجري (١١) والسمس والصابون، ومن البضائع: المعنز (٩٢) الكلاهي (٩٣) والنشم (٤١) وحطب القرنفل وثياب العرابية (٩٥).

ومن معاملة الشجر التمر المقلف (٩٦)، ويعني ايضا السمالة المملح ان كان بلا رأس، وان كان برأس أخذ عليه وتعنى من العشور النعال الهندية ان كانت بلا شراك (سيور) وان كانت بشراك فرضت عليها العشور، ولعلها استوردت من الهند لتشجيع صناعة تكميلية لها في عدن يعمل بها قطاع من السكان.

ويعفي من العشور الخرز الذي يجلب من الديبل (٩٧٠) ، وغلمان

⁽٨٢) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٢ ، لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٨ ، العقيلي المخلاف ، ج ١ ، ق ١ / ١٩٨ ، الحبشي . جوانب ص ١١١ .

⁽٨٣) الأشنان : الحرض ، ويجمع أشانين ، وأجناس الأشنان كثيرة وكلها من الحمض ـ الدينوري كتاب النبات ، ص ١٤ ، وذكر دُوزي أن الأشنان معرب شنان وهو الحوضُّةُ العربية أو الفصول ، أو الحمام في الشام وهو من الفسولات ، ويستعمله العرب هو ورماده في غسل الثياب تكمله المعاجم ١٤٦/١ .

⁽٨٤) القطارة بالتنم ما قطر من ألحب ونحوه ، أي قطارة الحب ، وقطارة الشيء ما قطر منه ، وتقطير الشيء ، أسالته قطرة أتطرة المجوهري . الصحاح ٧٩٦/٢ . ابن منظور .ً لسان العرب ٥/٥٠١ ، مادة (قطر) .

⁽٨٥) النقل : بالضم ، ما يتنقل به على الشراب ، والنقل يفتح النون الانتقال على النبيذ والعامة تضمه . الجوهري . الصحاح ١٨٣٤/٥ ، ابن منظور . لسان العرب ١١ / ٣٧٦ ، مادة (نقل) .

⁽٨٦) هناك مواد أخرى معفاة من الضرائب كالعطور والسليط ولوز الحلويات ان كان قليلًا. لقمان . تاريخ عدن ص ٢٩٨.

⁽٨٧) انظر: ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٢ ـ ٣ . لقمان . تاريخ عدن ص ٢٩٩ .

⁽AA) ذكر لقمان أن كل المواد الواردة من الهند تعفى من العشور آدًا كان سيعاد شحنها من عدن بحراً . تاريخ عدن ص ٢٩٩ . ونعتقد أن هذا يشمل البضائع التموينية المئاصة بسكان عدن . لكنه لا يشمل السفن التي تمر وتتوقف في الميناء اذ تستوفي منها ضرائب الميناء التي درسناها .

⁽٨٩) ويسمى : الاهليلج وهو اسم جنس مادته أهليلجة ، ويسمى هليلج ، وهو مادة تستعمل كُمسهل واصنافه عديدة ، وتذكر الاهليلجات ضمن الأورية التي يؤتى بهامن الصين . المظفر . المعتمد ، ص ٣٦٥ ـ ٩ ، دوزي . تكملة المعاجم ١ / ٩٣ ، ٢٠٧ ـ ٨ .

⁽٩٠) وهي الوسائد والقرش وأغطية الموائد الجلدية . لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٩ .

⁽٩١) هو الأرز المخلوط بالماش . المستبصر ، ص ١٤٢ . -

⁽٩٣) المفرة مادة طبية أجردها ماكان كثيفاً لونها شبيه بلون الكندر ليست فيها حجارة ولا مختلفة اللون ، لها قوة قابضة مجففة مغرية . أما المفرة التي يستعملها النجارون فإنها أضعف من المفرة المنسوبة الى سوس وأجودها ماكان من مصر ، والمغرة مادة بازدة يابسة لها استعمالات طبية كثيرة . المظفر . المعتمد ، ص ٥٠١ ـ ٣ ـ (٩٣) نسبة الىكله ، ذكرت المصاد العربية انها تقع في منتصف الطريق بين عمان واليمن في طرف خط الاستواء ، وكله من بلاد الملايو كانت في الأصل مركزاً تجارياً مهماً يجلب منها العود الكلاهي . السامر . الأصول التاريخية ، ص ١٨٥ . ١٤٥ .

⁽٩٤) النشم : شجر جبلي تُتخذ منه القسى ، وهو من عنق العيدان واحدته نشمة ، ويقال هو حب البلسان . الجوهري . الصحاح ٥ / ٢٠٤١ ، ابن منظور . لسان العرب ١٢ / ٧٦٥ .

⁽٩٥) وهي ثياب تعمل بدقلي بالهند . المستبصر ، ص ١٤٣ .

⁽٩٦) هو التعر الذي استخرج نواه . المستبصر ، ص ١٤٣ .

⁽٩٧) الديبل : بفتح أوله وسكون ثانيه وباء موحدة مضمومة ولام ، وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند ، وهي فرضة كانت تنتهي اليهاميا، لاهور ومولتان . الحموي . معجم ٢/٩٩٤ ، وذكر د. السامر أن الديبل هي كراتشي في الهند (السند) . الأصول التاريخية ، ص ١٤٧ ، وسماها ابن المجاور : الديبول .

عودر يجلبون من الهند (٩٨) ويضيف لقمان (٩٩) بسأن الضرائب لا نفرض على الجواري الغلمان اذا كانت عيونهم واسعة كها اعفيت النبوس والماعز الواردة من الحبشة . (١٠٠)

ويبدو لنا أن المواد المعفاة من العشور والضرائب التجارية الأخرى سواء الواردة منها من مصر أم الهند أم الحبشة قد تنوعت من حيث طبيعة الحاجة اليها ونوعها ، فهناك مواد تموينية ضرورية تدخل في غذاء السكان كالحنطة والدقيق والسكر والأرز والزيتون المملح والزيت وعسل النحل والأرز الكجري والسمسم والسمك المجلوب من الهند والماعز من الحبشة ، ومنها مواد أخرى منزلية لا يستغنى عنها كالصابون الرقي والأشنان والمخاد والغرش وأغطية الموائد والثياب وصنف ثالث منها هو المواد الطبية أو التي تستعمل المعالجة الأمراض كالهليلج والقطارة والمغر الكلاهي والنشم وحطب الترنفل ، والصنف الرابع منها مواد كمالية كالعطور والبخور والمؤرز الملون لزينة النساء والأطفال ، والنعال الهندية .

إن تنوع هذه البضائع يوضع لنا أن عدن كانت تعتمد بشكل رئيسي في سد معظم حاجياتها على ما يردها من الخارج وفهي أشبه بوسيط تجاري ، وقد أوضع ابن المجاور (۱٬۰۱۰ هذه الحالة باعتماد أهل عدن على الاستيراد الخارجي ، اذ يقول : « ومادتهم من الهند والسند والحبشة وديار مصر ومأكولهم الخبز وأدمهم السمك ».

٥ ـ زيادة الرسوم التجارية :

تعد رسوم الشوافي التي ظهرت الأول مرة في عهد السلطان ا طفتكين بن أيوب في مقدمة الرسوم التي شملمها الزيادة خلال العهد الأبوبي ، اذ كانتِ نسبتها ١/ واستمر الحال حتى سنة ١٣٨هـ / ١٢١٦م ، وكإن حكم اليمن أنذاك للملك المسعود يوسف

فدخل عليه أحد أكابر أهالي عدن مقترحاً عليه زيادة رسم الشواني بأن يأخذ مائة دينار من كل الف دينار عند جمع العشور المفروضة على البضاعة ، وهذا لا يؤثر على التجار ، أي أن نسبة رسم الشواني أصبحت ١٠٪ ، واستمر الحال حتى سنة ١٢٥هـ / ١٢٢٧م ، ثم الغي بعد ذلك (١٠٢٠).

في أواخر العهد الآيوبي باليمن استحدثت ضرائب جديدة ، وأسس الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول نائب بني أيوب في عدن سنة عدد أو ٦٢٥هـ / ٢٢٧٧م دار الوكالة ودار الزكاة لأجل فرض ضرائب على المواد المعفاة من الضرائب ، وبذلك أصبحت العشور المفروضة على البضائع الواردة الى عدن خسة أنواع تؤخذ مرة واحدة ، وهي (١٠٠٠):

أ) عشور قديمة (مال الفرضة أي الجمرك) ، وهي رسوم الميناء
 المفروضة على البضائع .

ب _ عشور الشواني التي زيدت من ١٪ الى ١٠٪.

جَ) عشور دار الوكالة ومقدارها قيراط على الدينار الواحد .

دم عشور دار الزكاة ، وتفرض على البضائع التي كانت معفاة من العشور وهي التي ترد من مصر والهند والحبشة ، وكانت نسبتها ٥٪ كما يتضع من رواية ابن المجاور (١٠٥) حول الناخوذة عثمان بن عمر الأمدي الذي قدرم بضاعته بدار الوكالة بـ (٢٥) دينارا ، فكانت عشور الزكاة عليها دينار وربع .

ه) عشور الدلالة أو السمسرة(١٠٦).

نِستدِل مِن كثرة هذه العشور على أمور عديدة ، في مقدمتها كثرة الأموال التي تجبى في ميناء عدن نظير تحصيل الدولة لتلك العشور

present the second

١٩٨٠ المستبصر، ص ١٤٣

⁽١٩٩١ ماريع عدني، ص ١٩٩١

⁽١٠٠) ابن المحاور . المستبصر ، ص ١٤٣، وذكر قصة اعقاء التيوس والمعز .

⁽۱۰۱) المستبصر ، ص ۱۳۷

⁽١٠٢) المسبصر ، ص ١٤٢ ، لقمان ريتاريخ عدن ، ص ٢٩٧ . . .

⁽١٠٣) الحر عنها : ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٣ ، لقمان . تاريخ عدن ٢٩٨ .

⁽١٠٤) لم تذكرها حمرة لفمان في ناريخ عدن ص ٢٩٨ ولعل ذلك يرجع الى ما ذكره عن الغاتها سنة ١١٥هـ.

⁽١٠٥) المستيصر ، ص ١٤٤ .

⁽١٠٦) انظر عنها أيضاً؛ لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٨ ، الحبشي . جوانب ، ص ١١١ ـ ٢ ـ

المتنوعة والكثيرة، وقد أدى ذلك الى تعرض التجار لحسائر كبيرة نتيجة تلك العشور، ومن ثم ارتفاع قيمة البضاعة وتحمل المستهلك لذلك الارتفاع، وتعكس زيادة العشور التجارية نوعاً « واضعاً » من الظلم والتعسف في جمع الأموال بشتى الوسائل، حتى أصبح التاجر يدفع بضاعته ثمناً « لتسديد العشور المترتبة عليها أو يصبح مديناً » لسلطات الميناء عند عدم تسديده للعشور (١٠٧).

ارتفعت العشور التي يدفعها التجار القادمون على المراكب الى عدن ففي رواية (١٠٨٠ أن أحد المراكب القادمة بلغت عشور حمولته ثمانين ألف دينار.

وما يدل على نشاط الحركة التجارية بميناء عدن في العهد الأيوبي ما رواه ابن المجاور (١٠٠١) عن رسو المراكب تحت جبل صيرة بين ٧٠ م مركباً « في كل عام قابلة للزيادة والنقصان . ونعتقد أن هذا الرقم كبير ، أذ أن تلك المراكب ترسو تحت جبل صبرة ريشا يفسح المجال طا بالدخول الى عدن . وهذا يعني أن معدل وصول كل مركب لميناء عدن بين ٣ - ٤ أيام أو في الأقل وصول مركبين في الأسبوع ، مما يدل على نشاط تجاري كبير جداً » ، لأن المركب يحتاج الى ثلاثة أيام في الأقل لتغريغ حولته بسبب التفتيش والتسجيل ومن ثم فرض المرسوم التجارية على البضائع الواردة ، ومعنى ذلك أن العمل كان مستمراً التجارية على البضائع الواردة ، ومعنى ذلك أن العمل كان مستمراً أن عناء عدن طوال أيام السنة من تفريغ وشحن وحساب وجباية أموال ...

وتحبدر الاشارة الى أن عدد المراكب التي تدخل ميناء عدن كها ورد في الرواية السابقة يعد ذا أهمية كبيرة من حيث الموارد المالية التي يحصل عليها الميناء، فاذا كانت عشور أحد المراكب ثمانين ألف دينار. فهذا يعني كثرة الأموال التي يحصل عليها الميناء وأثر ذلك في نسيير الحياة المالية للدولة الأيوبية في اليمن.

وبناء على ما ذكرناه كانت ايرادات ميناء غدن تنقل الى مصن و (عاصمة الدولة الأيوبية) كل عام ، وهنده الأموال تتجسع في مصادر أربعة رئيسية في ميناء غدن ، هي (١١٠٠) :

- أ) خُزَانَة قلدوم المراكب من الهند .
- ب) خزالة دخول الفرة إلى هدن (١٩٩١) .
- جـ) خزانة خروج الحبيل من عدن الى الهند .
 - د) خزانة سفر المراكب إلى الهند .

وكانت موارد كل خزانة من هذه الحزائن مائة وطسين ألف وليها سنوياً قابلًا للزيادة والنقصان ، أي أن جموع هذه الواردات يبلغ نيما (٣٠٠) ألف دينار سنوياً » ، واستمر الحال هكذا حق انتطع سماً (٣٠٠) 7۲۷ م .

نستنتج من مصدر هذه الموارد أن العلاقات التجارية مع الملا كانت قرية جداً وواسعة ، وكانت العشور الملروضة على المراكب القادمة من المند الى عدن وبالعكس تشكل نصف الايرادات وكذللا الموارد المتجمعة من تصدير الخيول من عدن الى المند .

إن ارتفاع ايرادات عدن مصدره بالدرجة الأولى الزيادة والتنزيج في مقدار العشور المفروضة على البضائع التي تصل ميناء عدن ، والم ذكر العقيلي (١١٣) أن مبلغ تلك الايرادات البالغة ستمائة ألف دينار يمثل صاني المبلغ بعد طرح المصروفات ، وهذا المبلغ الصاني هو اللي كان يرسل الى خزانة تعز عاصمة الدولة الأيوبية في اليمن ،

ورغم كل ذلك ، فان ارتفاع العشور التجارية وتنوعها وتعددًا أدت الى نتسائج سلبيسة كثيرة عسل التجار والعساملين في الوسط التجاري ، وصاحبها ظلم وتعسف كبيران ، لذلك كانت النتيجة الق

⁽١٠٧) ابن المجاور المستبصر ، ص ١٤٤ ، وذكر قصة الناخوذة عثمان بن عمر الأموي الذي أصبح مديناً لسلطات الميناء بتسعة دنانير مقابل بصاعته التي دفعها كلها رسوماً. في الميناء ، ثم خرج بنفسه مقابل تسليم بضاعته ، يقول ابن المجاور : 9 ودخل المتوسط بينهم حتى خرج رأس برأس e ، انظر نفس المصدر أيضاً ، ص ١٤٧ ـ ٨ - لقمان . تاريخ عدن ، ض ٢٩٩ .

⁽١٠٨) ابن المجاور المستبصر، ص ١٤٤، القمان. تاريخ عدن، ص ٢٩٩، وذكر الأخيران تلك العشور توازي ما قيمته (٥٦٠) ألف شلن.

⁽۱۰۹) المستبصر ، ص ۱۶۲ .

⁽١١٠) المستبصر ، ص ١٤٤ ـ ٥ ، لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٨ .

⁽١١١) سماها حمزة لقمان : الضرائب على القياتل الدَّاخلة ألى عدن . تاريخ عدن ، ص ٢٩٨ . وهذا وهم وخطأ .

⁽١١٢) المخلاف، ج ١ ، ق ١ / ١٩١.

حصل عليها كثير من التجار جراء ذلك كها يقول أبن المجاور (١١٣):

. «يفضل مع التاجر لاشي في لاشي »، أي لا شيء في لا شيء، ويعنى آخر أن التاجر يعطي بضاعته لتسديد العشور ويصبح هو المدين وتذهب اتعابه وجهوده كلها سدى ».

٦ ـ المعاملات التجارية :

لا كانت عدن ميناء « وسوقاً » تجارية ، قبلا بد من دراسة المعاملات التجارية المتداولة فيها ، وكان للعرب دور متميز في التجارة فكانوا يسمون السوق : القسيمة ، ويقولون : نفقت السوق أي راجت ، وانحمقت أي كسدت ، والسوم هو عرض السلعة على البيع ، ويقال : بعته ناجزا « بناجز أي : تعجيلاً » بتعجيل (١١٤) .

لقد تطورت المعاملات التجارية بمرور الزمن وتغير الأحوال فكانت المصطلحات المرتبطة بالتعامل التجاري في تغير مستمر ولها الفاظ تختلف من بلد لآخر، لذا سنتناول بالدراسة أنواع المعاملات السائدة كالعملة من حيث استخدامها في البيع والشراء ومقدارها وأثرها في الأسعار، وندرس الأوزان والمكاييل ونوضح مقاديرها وتغيراتها، كما سنوضح بقية المعاملات الأخرى مثل الضمان ومقاييس الطول والمساحة واستعمال الجوازات وغيرها.

أ) العمـــلات :

كان التعامل في الصفقات التجارية غالباً « ما تم بالنقود المضروبة في اليمن وخارجها ، ففي القرون الأولى كان التعامل بالنقود الأموية والعباسية كالدينار والدرهم ، ثم استقلت اليمن بعملة خاصة منذ عهد الأمير محمد بن زياد (٢٠٤ ـ ٢٤٥هـ / ٢٠٠ ـ ٨٥٥م) مؤسس الامارة الزيادية ، وقد دخل فن صك النقود

الى اليمن منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وانتعش في عهد الامارة الزيادية (٢٠٤ ـ ٢١٤هـ / ٨٢٠ ـ ١٠٢١م)

قامت الدولة الصليحية في صنعاء باليمن في النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وقد تمكن مؤسسها علي بن محمد الصليحي من توسيع نفوذه حتى نجح في توحيد بلاد اليمن واخضاعها لسيطرته سنة 200 / ١٠٦٣م (١١٦١).

كان احد علي بن محمد الصليحي الملقب بالمكرم قد تولى الحكم بصنعاء، وذلك بعد مقتل أبيه سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م، من قبل سعيد الأحول بن نجاح أمير زبيد وأخوته، وهو في طريقه الى مكة لاداء فريضة الحج(١١٧) وتمكن سعيد الأحول من العودة الى زبيد وحكمها، ولعله سك عملة خاصة به في زبيد عرفت بالعملة السعيدية المنسوبة اليه ثم دبر أحمد المكرم الصليحي قتل سعيد الأحول سنة ١٨١هه / ١٠٨٩م أخذاً لثار أبيه، وخضعت زبيد لمكتم مدة من الزمن(١١٨)، ويبدو لنا أن زبيد قد قطعت شوطاً للطويلاً » في صك العملة أواخر امارة بني زياد فيها، وهذا يقودنا الى الاعتقاد بوجود دار ضرب للعملة في زبيدة.

تشير إحدى الدراسات (١١٩) إلى أن العملات الأولية للصليحيين المنشورة لحد الآن هي دنانير علي بن محمد الصليحي المضروبة في زبيد سنة ١٤٥٥هـ / ١٠٥٣م وما بعدها ، وكانت تلك العملات تحمل اسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وتعطي لعلي الصليحي القابأ عديدة ، لكن مصادرنا العربية لا تشير الى ذلك بوضوح ، غير أن اقتران ضرب تلك العملة بزبيد سنة ١٤٥هـ ، يجعلنا واثقين من هذا الحدث ، اذ أن الصليحي كان مسيطراً على زبيدة بحلول سنة ١٤٥هـ وحاول أن يقتل أميرها نجاح .

⁽١١٢) المستبصر ، ص ١٤٨.

⁽١١٤) الآلوسي . يلوغ الأرب ٣ / ٣٨٧.

⁽١١٥) الحبشي . جوانب ، ص ١١٢ ، ١١٥ .

⁽١١٦) انظر عَن توحيد اليمن : عمارة . المفيد ، ص ١١٩ ، الوصابي . تاريخ وصاب ، ص ٣٢ ، ابن الديبع . قرة العيون ، ص ٣٤٦ ، بغية المستفيد ، ص ٤٦ ، أبو مخرمة . ثغر عدن ١٦١/٢ .

⁽١١٧) انظر عن مقتل الصليحي : عمارة المفيد ١٩٣، ١٩٣، ابن المجاور المستبصر ، ص ٧٥ ـ ٦ ، العبدلي . هدية الزمن ، ص ٥٣ ، لقمان . تاريخ عدن ، ص ٤٧ ، معارك حاسمة ، ص ٥٣ ، ٥٧ ، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ مقتله بين سنة ٤٥٩ ، و ٤٧٣هـ ، ونحن نرجح مقتله سنة ٤٥٩هـ .

⁽١١٨) عمارة . المفيد، ص ١٢٨ــ ١٣٤ ، الوصابي ، تاريخ وصاب ، ص ٣٦ــ ٧ ، لقمان تاريخ عدن ، ص ٤٣ ، معارك حاسمة ، ص ٥٩ ــ ٦٥ .

Lowick, Some Un Published Dinars, pp : 261-262. (\\4)

وقد ذكرت المصادر (۱۲۰) أن أول من ضرب الدينار الملكي بصنعاء أحمد بن علي الصليحي الملقب بالمكرم، وقظ كتب عليه النقش التالي: « الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين »، وقال عمارة (۱۱۲) عن الدينار الملكي: « واليه يُنْسب وهو دينار المين الى اليوم ».

يعد الملك المكرم أحمد الصليحي أول من وحد العملة اليمنية بعد أن أدرك خطورة تعددها واضطرابها ، وكانت الدنائير المستعملة وقتذاك اما سعيدية نسبة الى سعيد الأحول بن نجاح (٤٥٢ ـ ٤٥٨ ـ / ١٠٦٠ ـ ١٠٦٠م) وأما عثرية نسبة الى عثر من أعمال زبيد فقام المكرم بالغاء تلك العملات(١٢٢).

لقد ظهرت دراستان (۱۲۳) عن الدينار الملكي الذي ضربه احمد بن علي المكرم تسوضحان السنسة التي ضرب بها ، والراجح أنها سنة 849هـ / ١٠٨٦م (١٢٤) ، ولسنا هنا بمعرض ايراد التفاصيل الكاملة عن ذلك الدينار وما يتعلق بتاريخ ضربه والاختلافات التي وردت حدلها .

وتجدر الاشارة إلى أن الدينار الملكي قد ضرب بعكن أيضاً ودُلك من خلال العملات التي عثر عليها ، وكان أول دينار (١٢٥٥) ومضروب بعدن برجع إلى سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م ، كها تضمنت الدراستان المشار اليها ذكر عملات اخرى ضربت بعدن خلال السنوات المشار اليها ذكر عملات اخرى ضربت بعدن خلال السنوات ١٨٩هـ / ١٠١٨م ، ١٩٤هـ / ١١٠٠م ، ١٩٩هـ / ١١٠٠م ، ١٩٠هـ / ١١١٠م ، ١٩٠هـ / ١١١٠م ،

010هـ/ 1111م، 310هـ/ 1117م، 610هـ/ 1111م، 110هـ/ 1117م، 110هـ/ 1117م، 110هـ/ 1111م، 1070هـ/1117م، 1171هـ/ 1111م^(۱۲۱).

ان ضرب هذه العملة بعدن لمدة تزيد على أربعين سنة ٤٨٦ مركزاً ٥٩٣ مركزاً المستها بالخاذها مركزاً الضرب العملة الصليحية ، ويرجع سبب ذلك الى الارتباط الوثيق بين الصليحيين والزريعيين أمراء عدن الذين تم توليهم عليها من قبل الملك المكرم الصليحي منذ سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م .

وذكر أحد الباحثين (۱۲۷ بأنه من المحتمل أن عدن بدأت بسك عملة خاصة بها وهي العملة الزريعية بين ٥٣٦ ـ ٥٣٠هـ / ١٦٣١ ـ عملة خاصة بها وهي العملة الزريعية بين ٥٣١ و ١٩٣٥ ـ ١٩٣٥ م. ووردت في دراستي لويك (١٢٨ وبخاري (١٣٩ غاذج لعملة الدينار (١٣٠ ضربت بعدن في عهد الأمير محمد بن سبأ (١٣٥ ـ م٥٥هـ / ١١٣٩ ـ ١١٥٥ م) يرجع تاريخ ضربها إلى سنة ١٤٥هـ / ١٢٤٢ م، وفيها اشارة الى الملك المكرم الصليحي وذكر لالقابه ، مما يدل على استمرار التبعية في سبك الدينار على اسم الصليحيين يدل على استمرار التبعية في سبك الدينار على اسم الصليحيين وارتباط بني زريع بهم ، كما وردت غاذج لدنانير ضربت بعدن في عهد الأمير محمد بن سبأ خلال السنوات : ١٤٥هـ / ١١٤٧م ، ١١٥٥م ، ١١٥٨ م ١١٥٥هـ / ١١٤٨م ، ٢٤٥هـ / ١١٥٨م ، ١١٥٨م ،

استمر الدينار الملكي متداولاً « في اليمن خلال حكم بني زريع في عدن حتى زمن عمارة ، وكان يحمل ألقاب الملك المكرم الصليحي « الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين » وقد توقف

⁽١٢٠) عمارة . المفيد ، ص ١٣٥ ، ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٥ العقيلي . المخلاف ٢ / ٤٠ ، لقمان . تاريخ عدن ١٣٥٠ ، المستبصر ، ص ١٤٥ العقيلي . المخلاف ٢ / ٤٠ ، لقمان . تاريخ عدن ١٣٥٠ ، المستبصر ، ص

⁽۱۲۱) المغيد، ص ١٣٥، انظر أيضاً: .Lowick, p. 262

⁽۱۲۲) الحبشي . جوانب ، ص ۱۱۳ .

Lowick, op, cit, pp: 261-266. Biknazi, Coins of Al-Yaman, PP: 87-101. (\YY)

Lowick, Op, cit, P. 262. (\\\)

op, cit, P. 264 . « وذكر لويك انه نصف دينار وفي هامش الوجه أورد العبارة التالية : « بسم الله ضرب هذا الدينار بعدن » . Bikhazi, Op, cit, P. 67. (١٢٥)

Lowick, op, cit, PP: 264-266, Bikhazi, op. cit, pp: 87-99. (\Y\)

Bikhazi, op, cit, p. 101. (NYY)

Lowick, op, cit, pp : 268-269. (\YA)

Bikhazi, op, cit, pp : 102-104. (\\%)

op, cit, p. 268. ... وقد ورد في هامش الوجه ما يلي : « يسم الله ضرب بعدن سنة إحدى وأربعين ... وقد ورد في هامش الوجه ما يلي : « يسم الله ضرب بعدن سنة إحدى وأربعين ...

⁽١٣١) ذكر لويك ان هذه المجموعة من العملات مأخوَّدة من متحف عدن "وتتميز بالاختلاف عن المجموعة السابقة في عدة مجالات ، انظر Lowick, op, cit, p. 269

سك هذا الديناريين ٥٥٠ ـ ٥٥١هـ / ١١٥٥ ـ ١١٦٥م، أي بعد وفاة محمد بن سبأ سنة ٥٥٠هـ، أذ كان آخر دينار مضروب على اسمه في نلك السنة في حين كان آخر دينار مضروب على اسم ولده عسران مؤرخ في سنة ٥٥هـ (١٣٢١) ولعل الدينار الملكي توقف عن التداول في هذه السنة ، لهذا قدر لويك (١٣٣١) مدة تداول الدينار الملكي الذي ضربه أحمد المكرم الصليحي بحوالي سبعين سنة .

ان مدة سبعين سنة لتداول هذا النقد تسترعي تسليط الأضواء على استعماله وقيمته والمادة المضروبة منه وأبرز مجالات استعماله ففي حديثه عن معاملة عدن في أيام بني زريع قال ابن المجاور (١٣٤):

« ونقد البلد ذهب مَلكي » وهذا يوضح أن الدينار بعدن كان مضروباً « من الذهب ، ويؤكد ذلك عمارة (١٣٥) حين ذكر اشتغاله بالتجارة بأموال الأمير محمد بن سبأ فذكر أن الأخير أعطاه خسة آلاف مثقال (١٣٦) ليشتري بها بضائع من مكة وزبيد ، وهذا يؤكد لنا أن تلك الدنائير كانت من الذهب يزن الواحد منها مثقالاً » . فقد ورد أن مجموع الأموال التي ذكرها عمارة تساوي خسة آلاف دينار .

أما قيمة الدينار الملكي في عهد بني زريع بعدن ، فكانت واطئة بالمقارنة مع الدينار المصري (الفاطمي) يقول ابن المجاور (١٣٥٠) و يقسم « يسوى الدينار المصري أربعة دنائير ونصف ملكي » ، ويقسم الدينار الملكي الى أربعة أرباع . كل ربع ثلاثة جوز ، كل جائزة نمائية فلوس ، (كل فلس أربعة دوارس)(١٣٩١) ، كل فلس يساوي بيضتين ، وكان الدينار المصري يسمى : الدينار الأحر (١٤٠١) .

وتجدر الاشارة الى ان عدن احتلت مكانة متميزة في سك العملة بين مدن اليمن الأخرى ، وهذا يؤكد لنا وجود دار للضرب فيها منذ عهد المكرم الصليحي ، حيث كانت أول عملة مضروبة فيها مؤرخة بسنة ١٨٦٦هـ / ١٠٩٣م وآخر عملة مضروبة بتاريخ ١٥٥٩هـ / ١٨٦٠م ، في عهد عمران بن محمد بن سبأ ، ولا شك أن ضرب العملة استوجب وجود رجال ماهرين متخصصين بنقشها ، كان عملهم يدوياً » ، لذلك اختلف مستوى العمل اليدوي بصورة ملحوظة من يدوياً » ، لذلك اختلف مستوى العمل اليدوي بصورة خشبية ، وبعضها لاخرى ، فبعضها كانت مسكوكة بصورة خشبية ، وبعضها الآخر كان اسلوب النقش في الوجه أفضل من الظهر ، وقد يعود ذلك الخرال النقاشسين بسبب التكرار المسل لأسلوب واحد في النقش (١٤١) .

استخدمت الدنانير الملكية في مجالات متعددة من البيع والشراء والتبادل التجاري خارج اليمن، وفي تقدير ثروات بعض رجال الدولة الزريعية، فقد بلغت ثروة بلال بن جرير مولى الأمير محمد بن أسبأ (٦٥٠) ألف دينار ملكي وأكثر من (٣٠٠) ألف دينار مصري، هذا عدا التحف والسيوف وغيرهما(١٤٢).

وورد اعفاء عمارة اليمني من مبلغ مقداره ألفان وسبعمائة دينار ملكي من قبل الأمير عمران بن محمد، وكان ذلك المبلغ جزء من أموال بقيت بذمته من أبيه محمد بن سبأ الـذي أقرضها لعمارة لاشتغاله بالتجارة بها(١٤٣).

لقد وجه الأيوبيون اهتماماً « بالعملة وسكها ، ففي رواية(١٩٤٢)

⁽۱۳۲) يبدو أن عملة واحدة تعود فقط الى عهد عمران بن محمد هي التي وجدت مؤرخة في سنة ٥٥٦هـ. رهي من فئة نصف دينار ، وورد في هامش الوجه انه ضرب بعدن ، دون تحديد مقداره ، وفي الظهر كان نقشه : « أوحد ملوك الزمن ملك العرب والبيمن عمران بن محمد Lowick, op, cit, p. 269, Bikhazi, op, cit, p. 104. (۱۳۳) Op, cit, p. 268. (۱۳۳)

⁽۱۳۶) المستبصر ، ص ۱٤٥ .

⁽١٣٥) النكت العصرية ، ص ٢٨ .

⁽١٣٦١) هو وزن خاص للذهب لا يزال مستعملاً في الوقت الحاضر.

⁽١٣٧) د. ذو النون المصري . عمارة اليمني ، ص ٠٠٠ .

⁽۱۳۸) المستبصر ، ص ۱٤٥ .

⁽۱۳۹) نفسه ، ص ۸۹.

⁽١٤٠) نفسه ، ص ٨٠ ، ولعل التسمية مأخوذة من لون ذهبه الذي يميل الى الحمرة .

Lowick, op, cit, p. 267. (\\\)

⁽۱٤۲) عن ثروة بلال بن جرير ، انظر : عمارة . المفيد ، ص ١٩١ ، لقمان ـ تاريخ عدن ، ص ٥٤ ـ ٥ ـ 248. ، و انظر : عمارة .

⁽١٤٣) عمارة المفيد، ص ١٩٠، أبو مخرمة . ثغر عدن ٢ / ١٨٤.

⁽١٤٤) ابن المجاور . المستبصر ، ص ٨٩ ، وذكر الحبشي ان الدرهم السيغي المنسوب الى سيف الاسلام طفتكين كان متداولًا في زبيد مع الدينار الملكي خلال حكم الصليحيين والأيوبيين . جوانب ، ص ١١٢ .

أن السلطان طفتكين أراد ضرب عملة جديدة باسمه فضرب الدرهم المعروف بالسيفي ، وكان يزن أربعة قراريط وحبة (١٤٥) .

وكان الأيوبيون أول من ضرب الدراهم الكبار ، ويقال أن أول من ضرب الدرهم الكبير في اليمن الملك المعنز اسماعيل بن طفتكين (١٤٦) ، ووزته ثلاثة عشر قيراطاً (١٤٧) .

وتجدر الاشارة إلى أن زبيد تمتعت بمكانة متميزة في العهد الأيوبي، فقد ذكر ابن المجاور (١٤٨١) وجود دار للضرب فيها كان ضمانها السنوي ثلاثة عشر ألف دينار، وبرغم وجودها فانها لم تؤثر على عدن التي احتفظت بمركزها المتميز في هذا المجال، اذ تمتعت بخبرة ومهارة منذ سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م في ضرب العملة وقد استمرت في هذا المجال حتى سنة ٤٥٥هـ / ١١٦٠م، أي أنها ضربت العملة لمدة سبعين عاماً »، لذلك كانت عدن أكثر شهرة من زبيد في مجال سك العملة بسبب هذه المدة الطويلة من الخبرة والمهارة، وقد ذكر ابن المجاور (١٤٩٠) ميزة عدن هذه على زبيد في مجال سك العملة وعيارها، ويبدو أن الدنانير التي ضربت بزبيد خلال العهد الأبوبي كانت دنائير ملكية أيضاً ».

وذكر الحبشي (۱۹۰ أن الملك المعز اسماعيل بن طَفتكين أول من أسس داراً مستقلة لسك النقود في اليمن وهذا لا يعني أنه أول من سك النقود في اليمن ، اذ أن عدن سكت العملة لمدة تقارب السبعين عاماً ، فكانت ذا خبرة ومهارة وعيار خاص بسك العملة ، كل هذا يقودنا الى الاعتقاد بأن الملك المعز كان أول من بنى داراً « لسك العملة في اليمن خلال العهد الأيوبي ، وبذلك تكون روايته أقرب للقبول لأن هنالك دوراً » لضرب العملة في اليمن قبل العهد الأيوبي في عدن وزبيد وذي جبلة .

ما سبق نستنتج أن الدينار الملكي والدينار المصري قد تداولا في اليمن لمدة طويلة ، واستمر الحال في العهد الأيوبي اذ أن مصادرنا لا تشير الى الغاء تلك الدنانير وتوحيد العملة بعد سيطرة الأيوبيين على اليمن منذ سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م ، لذا فان الدنانير المعروفة بدنانير زبيد أو دنانير ذي جبلة هي الدنانير الملكية نفسها أو التي تساوي في قيمتها الدنانير الملكية ، وان تلك الدنانير كانت متداولة في زبيد ، أو أنها أرسلت من زبيد لشراء بضائع هندية فعرفت بدنانير زبيد .

لم تبق قيمة الدينار الملكي مقارنة بالدينار المصري (الفاطمي) ثابتة ، بل أنها تغيرت خلال العهد الأيوبي الذي استمر فيه تداول الدينار الملكي ، فقد هبطت قيمة الدينار المصري وأصبح يساوي ٢,٣٥ دينار ملكي في أواخر عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ، بعد أن كان يساوي سابقاً « اربعة دنانير ونصف ملكي ، في الوقت ذاته شمتطيع القول بأن قيمة الدينار الملكي قد ارتفعت نسبياً » في هذا المجال .

وللدلالة على ما ذكرناه اعلاه يكننا اعتماد فكرة على تداول الدينار الملكي في التبادل التجاري بين عدن والهند، استناداً الى ما ذكره جواتياين (١٥١) أن هنالك ثلاثة تقارير، وردت في خطاب مرسل من عدن الى الهند، من الممكن أن تعطينا مريداً » من التسوضيع وتحتوي هذه القوائم على تفاصيل كثيرة ، اختصرناها لأجل أن نوضع الحقائق الرئيسية ، وقد أعطيت كل التقديرات بالدينار الملكي وهو دينار اليمن في ذلك الوقت ، وكان الدينار المصري الواحد آنذاك يساوي ٢,٣٥ دينار ملكي .

⁽١٤٥) الحبة : سدس بسدس مثقال ، ويقال : ربع تسع مثقال ، والدينار ست وثلاثون حبة . الخوارزمي . مفاتيح العلوم ، ص ٤١ ـ ٢ ، وذكر هنتس ان الحبة هي وزن حبة الشعير العربية ، ويتألف الدرهم نظرياً من كميات مختلفة من الحبات ، فهو تارة يتألف من (٨٥) ، وأخرى من (١٠) حبة . المكاييل والأوزان ، ص ٣٥ .

⁽١٤٦) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٢ ، وذكر أن الملك المسعود يوسف الأيوبي أول من ضرب الدراهم الكبار بمكة على قوانين اليمن .

⁽١٤٧) المستيصر ، ص ٨٩ .

⁽١٤٨) نفسه ، ص ٩٠ ، وذكر ضمان قوارب الصيادين والخضر والبقول وما يدخل المدينة بتسعين ألف دينار ملكي .

⁽١٤٩) تقسه ، ص ٨٩ .

⁽۱۵۰) جرانب، ص ۱۱۷، ۱۱۵.

⁽١٥١) دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، ص ٢٦٧_ ٩ . ﴿

	;	وبه قائمة من البضائع جاءت كالآتي		Maria de la compansión de
			كتاب الهند رقم ٢٦ :	
	متها بالدينار الملكي			أ) مرسل من المند إلى غدن :
	١٠	· ·	قيمتها	، المادة
		صابون ٥		
	(10£) **	43 3 .	٤٠٢ دينار ملكي	فلفل
	(100) Y·	۲۰۰ دينار زبيدي	AY	مكوس وخلافه
	(101)	،/۲۱۳ دينار ذي الجبلة ع ^۳ /	discourage	
وهنالك خطاب آخر (رقم ٣٠) يبين البضائع الآتية المرسلة الى			710	الباقي
		الهندكيا يلي:	757	حديد
	4114	•	YY	مكوس مخصومة وخلافة
	متها بالدينار الملكي س		_	
*	'/	حلوى بمنية مصنوعة من الجوز ،	***	الباقي
٣		تمح	٥٣٥	مجموع الموجودات
١	`/	ذرة (وهي غلة تستهلك بكثرة) ٦	8,	att the control of
4		بعض قطع قماش مصري	100	ب) مرسل من عدن الى الهند :
1	'/	أران زُاجاجَلية مصرية ويمنية ٧	قيمتها	المادة
			£YY	نحاس
17	*/\	مجيرع البضائع الاستهلاكية ٢	11	حزم أضافي وخلافه
	•		79	رصاص ۲/۱۷
		قائمة أخسري :	17	أدوات منزلية ٢/٤
	حتها بالدينار الملكى	المادة ق	(10Y) £Y	۲۰ دینار مصري
			٧	۔ مدفوعات (بالدینار الملکی)
	11	سبيكتين فضيتين تزنان ماقيمته ٤		*
		۲۰۵ درهم	(107) 070	مجموع القيمة ١/٣
	لم تقدر القيمة)	-	_	4
	٣٠	مدفوعات ، سلمت للمسجل	i ورد في خطاب آخر (رقم ۲۸)	وهنالك أمر بشراء بضائع هندية

⁽١٥٢) بوضع هذا الرقم أن الدينار = ٢,٣٥ دينار ملكي ، وهو يمثل هبوطاً كبيراً في قيمته في أواخر عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي شهد عدم الاستقرار بسبب الحروب الصليبية مع الفرنجة وعدم وصول سفن الأوربيين للموانيء المصرية مما يسبب انخفاضاً في قيمة الدينار المصري الذي كان عبارة عن قطعة ذهبية . (١٥٣) يتضح لنا من جمع هذه القائمة أن المجمع الصحيح لها = ٧/٣٩٥ دينا. ونسبت أن القائد من ترويا الله المستقرار المس

⁽١٥٣) يتضح لنا من جمع هذه القائمة أن المجموع الصحيح لها = ٣/ ٥٣٩ دينار ونستنتج ان القائمتين توضعان وجود تبادل تجاري بين عدن والهند بطريقة المقايضة ، اذ ان مبلغيهما متقاربان جداً .

⁽١٥٤) هذا المبلغ بدل على أن قيمة الدينار المصري تساوي ٢.٣٥ دينار ملكي وهي تمثل حالة هبوط في قيمته .

⁽١٥٥) الزبيدي هو الدينار المنسوب الى مدينة زبيد باليمن ويساوي في قيمته الدينار الملكي .

⁽١٥٣) دينار ذي الجبلة هو الدينار المنسوب الى مدينة ذي جبلة باليمن وكانت عاصمة الصليحيين اتخذتها السيدة الحرة بعد وفاة المكرم أحمد الصليحي ، ويساوي دينار ذي جبلة الدينار الملكي في قيمته .

ب) المكابيل والأوزان :

من خلال دراستنا للعشور التجارية والمعاملات نستطيع أن نميز عدة أوزان كانت سائدة في عدن خلال حكم بني زريع وبني أيوب فيها ، وهذه الأوزان هي :

أ) البهار: هو وحدة للوزن اختلف في مكان وزمان تحديده فقيل
 أن وزن البهار (۲۷۰٬۵۲۲) كغم، وقيل انه حمولة جمل، ويــزن نظرياً » (۳۰۰) من، وجعله البعض وزن (۲٤٣٬۷۵ كغم (۱۵۷).

أما البضائع التي ورد وزنها بالبهار، فهي الانكزة (الحلتيت) الطباشير، قشر المحلب، الهيل، الكتان، الفُوّة، الحَمْر، الفلفل، الكارم، السليط (١٥٨)، وذكر هنتش (١٥٩) أن البهار قد اجتُمد وحدة للوزن في التجارة الخارجية للتوابيل وأمثالها في عدن وفي البلدان المحيطة بالخليج العربي والمحيط الهندي.

وقد حصل تلاعب بالأوزان في أواخر عهد الدولة الأيوبية ، يؤدُيُ ابن المجاور (١٦٠٠) ان جميع مكاييل اليمن قد تغيرت ويزيد في القبان سدس بهار عها كان في الأول وذلك سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م .

هي وحدة وزن تساوي عشرة أمنان ، وتساوي ٢/٢ من البهار ، وهي في كل الأحوال (١٠١) أمنان (١٦٢) ، ومن البضائع التي اعتمد اوزنها بالفراسلة : الكافور ، القرنفل ، الزعفران (١٦٣) .

ذكر ابن المجاور (١٦٤) أن من اليمن ثلثمائة وعشرون دروي « وثلث ، وبه يباع السكر والعسل وجميع الحاجيات الحلوة والثياب المورد ويوزن العود بالمن (١٦٥) .

أما قيمة المن فانه يساوي رطلين (١٦٦) ذكر هنتس (١٦٧) المهم رطلان بغداديان ، وبذلك يكون وزن المن (٨١٦,٥) غم ، الأولال البغدادي يساوي الرطل الشرعي الذي يساوي (١٣٠) درهماً » = ٤٠٦,٢٥ غم (١٦٨) .

د) الرطـــل:

ويساوي ما وزنه (۱۳۰) درهماً «كها ذكر هنتش والرطل لي اليمن هنو رطل بغنداد نفسه أي : (۱۳۰) درهماً » ويسناوي إ (۱۳۰ كغم)(۱۷۰) .

ه) الدرهــــم:

ان درهم الكيل = ٣/٣ مثقال ، فيكون وزن درهم الكيل هذا أ (٣,١٢٥) غم بالضبط ، ويتكون هذا الدرهم من (١٦) قيراط الله الله المنان (١٧٢) أن الدرهم يساوي عشرة قراريط ، والقيراط كوزن للبضاعة غير ثابت لكن من وجهة شرعية يساوي القيراط الواحد . ٢/٣ من المثقال ، ويتألف شرعاً من خس حبات ،

⁽١٥٧) هنتس . المكاييل والأوزان ، ص ٣٠ ـ ٢١ ، لقمان ، تاريخ عدن ، ص ٥٤ ، ٣٠٠ ، مجهول المؤلف . قلائد الجمن ، ص ٩٠ .

⁽١٥٨) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٠ ـ ١ ، ١٤٧ ـ ٨ .

⁽١٥٩) المكابيل والأوزان ، ص ٢١ .

⁽١٦٠) المستبصر، ص ١٤٤.

⁽١٦١) عن التلاعب بالأوزان ، خاصة وزن البهار ، انظر : المستبصر ، ص ١٤٤ ، ١٤٧ ـ ٨ .

⁽١٦٢) المستبصر ، ص ١٤٠ ، هنتس . الأوزان والمكاييل ، ص ٢١ ، ٤٠ .

⁽١٦٣) المستبصر ، ص ١٤٠ .

⁽۱۹۲۱) نفسه ، ص ۱۲ .

⁽١٦٥) نفسه ، ص ١٤٤ ، وذكر قصة الناخوذة عثمان بن عمر الأمدي الذي قدم من مصر الى عدن ومعه منين عود .

⁽١٦٦) المستبصر ، ص ١٤٠ ، وذكر أن الفراسلة عشرة أمنان عنها عشرون رطلًا انظر أيضاً : لقمان ، تاريخ عدن ص ٣٠٠ .

⁽١٦٧) المكاييل والأوزان ، ص ٢٦ .

⁽۱۳۸) نفسه، ص ۳۵.

⁽١٦٩) ذكر لقمان انه يساوي (١٢٠) درهماً. تاريخ عدن ، ص ٣٠٠، والصواب ما ذكره هنتس. أي : (١٣٠) درهماً.

⁽١٧٠) هنتس ـ المكابيل والأوزان ، ص ٣١ ـ

⁽۱۷۱) نفسه، ص ۱۱.

⁽١٧٢) تاريخ عدن ، ص ٣٠٠.

لكن يتألف غالباً من ثلاثة فهو يـزن 1/1 من درهم الكيل زنـة (7/1) غم = 7/17 ، غم = 7/170 .

وتجدر الاشبارة بسأن القيراط جرة من الدينسار، ذكر الخوارزمي (۱۷۴) أن القيراط ربع خمس مثقال ، والدينار عشرون تيراطاً « في أكثر البلدان ، وكان يؤخذ من كل دينار قيراطاً » وهو عشور دار الوكالة بعدن (۱۷۵) .

لقد وردت ضمن قوائم العشور التجارية مصطلحات عديدة انخذت أساساً لتقدير كمية البضاعة والعشور المفروضة عليها(١٧٦).

ج) معامىلات أخسرى:

من أوجد التعامل التجاري بعدن أن الشخص يستطيع رد البضاعة التي يظهر لد أنها غالية الثمن ، فيظهر العيب على باتعها وكذلك يسري الحال عند شراء الجواري ، اذ يمكن رد الجارية اذا أظهر المشتري العيب فيها ، وكانت أمثال هذه الأمور تحسم من قبل قاضي المدينة ، ويأخذ الدلال دلائته عند القاضي .

كانت الدلالة من العشور التي اخذت بعدن على البضائل التي ندخل وتخرج من الميناء ، وكان مقدارها بسيطاً ، يؤخذ من كيل دينار فلس وكانت الدلالة تدفع للدلال من صاحب المحل أو المشتري ، واذا قام الدلال بالبيع جملة فانه يأخذ دلالته بقدار دينار عن كل مائة دينار من ثمن البضاعة أي بنسبة ١/إ١٩٧١ ،

ومن الاجراءات المنطورة التي اتبعت بميناء عبدن بخصوص المسافرين ان المسافر لا يسمع له بالسفر ان لم يكن حاملًا « جواز سفر

وكفيل ضامن يكفله في حالة سفره أن ظهر عليه شيء بعد السفر، كأن يكون مديناً بمال لأحد، أو مديناً بعشور، وتختم ورقة الضمان هذه من قبل والي المدينة، ليسمح له بالسفر عند ذلك يستطيع أقاربه وأصدقاؤه توديعه في الميناء قبل سفره.

أما بالنسبة للأشخاص الذين يرغبون بالسفر ولا يجدون في المدينة من يكفلهم ، كأن يكونوا غرباء مثلاً أو غير معروفين ، فالاجراء المتخذ تجاههم هو خروج مناد ينادي عليه في الأسواق ، يخبر الناس أن فلاناً مسافر فكل من له دين أو طلب عليه يطالبه به ، فأن ظهر من ذلك شيء تأخر سفره ، وأن لم يظهر عليه شيء خرج إلى أب مكان أراد .

والواقع أن هذه الإجراءات تدل على تطور كبير في النظرة من الوجهتين الاقتصادية والأمنية ، ونستدل ثما ذكره أبن المجاور على العمل صراحة بنظام جواز السفر والكفيل الضامن للمسافر ، اذ يقول (۱۷۸) : « ولو أراد بعض الناس الخروج لوداع مسافر من الباب لم يكن معه خط جوار وضامن يضمنه بما يظهر عليه بعد وقت من مال أو عشور ويكتب في الرقعة علامة الوالي ويخرج بعد ذلك » .

ومن معاملات البيع التي انتشرت في عدن استعمال القصبة (۱۷۹) كوحدة لمقياس الطول ، وكذلك استعمال ذراع الحديد (۱۸۰) في بيع ألواع الساج .

وكذلك عرف الضمان في عدن ، ففي أواخر عهد الدولة الأيوبية ،

⁽١٧٣) هنتس ، المكاييل ، ص ١٤٠ .

⁽١٧٤) مفاتيح العلوم ، ص ٤٦ .

⁽١٧٥) اين المجاور . المستيصر ، ص ١٤٣ .

⁽۱۷۹) من ذلك اتخاذ (القطعة) مقياساً لتقدير العشور على مادة النيل، وورد ذكر (المقاطع) أساساً لتقدير العشور على مادة الحمر (التمر هندي) كذلك اتخذت (العقدات) أساساً. لقرض العشور على التبير الهندي حسب عدد العقدات، ومن المصطلحات الأخرى: (الكورجة) التي اطلقت على تقدير عشور بعض المواد كالمحابس والأحواك أي : النسيج ومنها السياعيات، كذلك استعملت الكورجة للثيباب الخام الهندية ولعلها تشبه الحزمة أو الشدة أو الكارة. انظر حول هذه المصطلحات: ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤٠، وذكر العقيلي أن القفعة تستعمل للدخن، وهي وحدة كيل. المخلاف، ج ١، ق ١ / ١٩٨،

⁽۱۷۷) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ۱٤٥ ــ ٣ ـ

⁽۱۷۸) نفسه، ص ۱۵۲.

⁽۱۷۹) ذكر ابن المجاور ان (الروسي) يباع بالقصية ، وان طول القصبة أربعة أذرع بالحديد . المستيصر ، ص ١٤٥ ، وذكر هنتس أن القصية من مقاييس الطول ، وتدعى : القصية الحاكمية وكانت القيمة الوسطية لها = ٣٩.٩٩ متر المكاييل والأوزان ، ص ٩٤ .

⁽١٨٠) كانت ذراع الحديد مستعملة في مصر والحجاز كوحدة لقياس الطول ، وتبلغ ٢/ ذراع اليد ، فكان طولها اذن = ٨٨١٨٧ سم بالضبط شأنها شأن ذراع البز . هنتش . المكابيل والأوزان ، ص ٨٤ .

وبالتحديد في عهد الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول بائب بني أيسوب في عدن ، قيام سنة ١٢٢٥هـ / ١٢٢٧م ، بضمان عدد من مؤسسات النشاط الاقتصادي ، فقد ضمن القبان بعشرين ألف دينار سنوياً ، وضمن سوق الخضرة والجنواري والرطب واللحم وجميع الدواب بأحد عشر ألف دينار (١٨١) .

ويشل الضمان صورة من صور الارتباك الاقتصادي الذي يصاحبه كثير من الجشع والظلم والاحتكار، فالضمان هو تأجير لشخص أو لمجموعة وقيامها بالتصرف حسب أهوائها، لأن الضامن يتبع شتى الأساليب لجمع أمواله والحصول على الأرباح على حساب الغير، وقد انتشر الضمان خلال العهد الأيوبي (١٨٢) خاصة في عدن، فشمل معظم مرافق الحياة الاجتماعية والاقتصادية، يقول ابن المجاور (١٨٣): « ولم يبق شيء يبور عليه اسم وحرف الا وقد رجع فيه ضمان ما خلا الماء والسمك ».

٧) الأســـواق التجارية :

عرفت في عبن الأسواق الخاصة بالكونها مينيا تجارياً يعج بالحركة التجارية مع مختلف ارجاء العالم ، فقام الأمير عشمان ين على الزنجيلي التكريقي أمير عدن في عهد السلطان توزان شاء الأيوبي ، ببناء العديد من المؤسسات ذات المساس بالحياة الاقتصادية ، مَن ذلك بناء قيصارية العتيقة (١٨٠) والأسواق والدكاكين ودور الحجر ، فانتعشت عدن في زمانه انتعاشاً عظيهاً ، وأصبحت ذات مكانة وشهرة متميزة (١٨٥).

ذكر لقمان (۱۸۱۱) أن الزنجيلي بني الأسواقي المسقوفة المعروفة « القيصارية »(۱۸۷۱) وكانت مخصصة لبيع المواد الطبية ، ونعتقد ألى المقصود بتلك المواد هي المواد النباتية والتوابل التي كانت تستخوم في الطعام وصناعة العطور (الطبيب) ، وفي استعمالات طبية كثيراً بعد خلطها لمعالجة الكثبير من العلل والأمراض كسواد الأنكر بعد خلطها لمعالجة الكثبير من العلل والأمراض كسواد الأنكر (الحلتيت) وقشر المحلب والفوة والكافور والزعفران ...

وبنى الزيجيلي أمير عِدن ايضاً خان البز بهِدن وكان سوقاً(١٨٩٠) ولا شك أنه سوق خاص لبيع هذا النوع من الأقبشة .

ويبدو أن هنالك أسواقاً أخرى متخصصة في عدن لكننا لا نعران تاريخ انشائها سواء في عهد بني زريع أم في عهد بني أيوب ، والبعض الآخر منها لا تعرف طبيعة تخصصه منها : سوق الليل ، وهو من أسواق بني زريع ، يقع في أرض تعرف بأرض الزريعي ويجواره آلال عمران يعرف بسوق الليل (١٩٠٠).

وورد ذكر سوق الخزف في عدن (١٩١١) ، وهذا السوق مختص ببيع وتجارة الخزف الذي كان يصل عدن من الصين وغيرها .

كما أن هنالك سوقاً للصاغة ، فقد ذكر ابن المجاور (۱۹۲) أنه اليتقي بصائغ يهودي بعدن ، ولا تزال معلوماتنا عن هذه الأسواق وطبيعة التعامل فيها غير واضحة ، بسبب قلة المعلومات التي ورديت بخصوصها في مصادرنا .

⁽۱۸۱) ابن المجاور . المستبصر ، ص ۱۵۸ .

⁽١٨٢) من ذلك ضمان صهريج المياه الذي يناه بنو زريع بعدن على طريق سفع الزعفران في سطح الجبل الأحر، وقد ضمن في منتصف شهر ربيع الآخر ١٢٧هـ / ١٧٢٥م بألف وثلاثمانة دينار، وكان ضمانيه سبعمانة دينار سنويا. المستبصر، ص ١٤٨٠ ، وكذلك ضمان المملاح وهو موضع قرب عدن بحمد فيه الملح ، المستبصر، ص ١٤٨، وشمل الضمان عدداً من المؤسسات الاقتصادية والحياتية في مدينة زبيد أيضاً. المستبصر، ص ٨٩ ـ ٩٠ .

⁽١٨٣) المستبصر، ص ١٤٨، وقال: « وضمن كل ما في عدن ما خلا السمك والماء لاغير ». نفسه، ص ١٤٤.

⁽١٨٤) سماها ابن المجاور بهذه التسمية . المستبصرة ص ١٣٠ ، وجدد المعتمد التكريتي أمير عدن بناء القيصارية التي بناها الرتجيلي في عدن . لقمان تاريخ عدن ١٧٠ . (١٨٥) انظر : ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٣٠ ، ابو مخرمة . ثغر عدن ١ / ١٠ ، ١٥ ، لقمان . تاريخ عدن هي ٢٦ ، أباظة . عدن ص ٢٨ ، مجمهول . قبلائد الجمن ، ص ٨٣ . ٨٧ ، ٩٦ .

⁽١٨٦) تاريخ عدن ، ص ٢٦.

⁽۱۸۷) شيد حكام اليمن من الأيوبيين فنادق وقيصريات رائعة (الفندق في ذلك الزمان : الخان ، والقيصرية : بازار) . التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط ، ص ٥٣ . (۱۸۸) انظر : اين الديبع . قوة العيون ، ص ٣٨٥ . أبو مخرمة . ثغر عدن ٢ / ١٣١ . لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٦٧ .

⁽١٨٩) ذكر لقمان أن الزنجيلي وقف على المسجد الذي يناه بمكة ، الخان (السوق) الذي كان في عدن . تاريخ عدن . ص ٣٦٧ .

⁽١٩٠) العبدلي ، هدية الزمن ، ص ٦٥ .

⁽١٩١) ابن المجاور . المستبصر ، ق ١٣٢ .

⁽۱۹۳) نفسه، ص ۲۲، ۱۳۲.

وبنى السلطان طفتكين بن أيوب في عدن قيصارية جديدة للعطارين جيعها دكاكين ، ولها باب يغلق في الليل (١٩٣٠) ، ويدلنا هذا البناء على تبطور حضاري كبير واهتمام الدولة بالمؤسسات الاقتصادية وجمايتها من السراق ليلاً ، ولا يزال هذا النظام متبعاً الى الآن في المدن الكبيرة ذات الأسواق المهمة والمراكز التجارية الكبيرة .

وقام الملك المعز أسماعيل بن طفتكين بانشاء بناية في عدن جميعها دكاكين وقيصارية جديدة للعطارين ، وجدد المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي أمير عدن بناء الدكاكين والقيصارية (١٩٤١).

كذلك عرفت في عدن الأسواق المتخصصة الأخرى ذات المساس بالحياة الاقتصادية السومية للسكان، وكانت تلك الأسواق قد ضمنت جميعها في أواخر عهد الدولة الأيوبية مثل أسواق: الخضرة والجواري والرطب واللحم والدواب (١٩٥٠).

والخلاصة أن هذا النشاط التجاري المتميز لميناء عدن قد أدى الى

اجتذاب العمال والصناع ورجال الأعمال اليها من مختلف انحاء العالم، لكونها مدينة تجارية وميناء «عالمياً » مشهوراً ، فكان معظم سكانها عرباً عانيين ينتمون الى مختلف القبائل اليمانية العربية كها انضم اليهم في فترات متعددة أعداد من قبائل عربية لمخوى ومن الأقطار العربية المجاورة ، كها انضم الى هذا الجمع عدد من النجار من جنسيات مختلفة يحكم عملهم التجاري في المهناء ، وقد ظل الطابع العربي هو الطابع الذي يعطي عدن هويتها العربية الأصيلة على مدى الحقب التاريخية رغم كونها ميناة تجارياً مفتوحاً على التجارة العالمية .

لقد كانت المركة التجارية نشطة وواسعة داخل مدينة عدن، أدت الى ثراء أهلها ، وتحسن حياتهم وأمورهم المعيشية واستغلت ايرادات الميناء في تطور المدينة ، يقول ابن المجاور (١٩٣١) : « وكثر الحلق بها فبنوا الدور والأملاك ، وتوطن بها جاعة عرب من كل فج عميق » ويقول ، أيضاً : « وقد التام اليها من كل بقعة ومن كل أرض وقولوا فصاروا أصحاب خير ولهم »(١٩٧١).

⁽١٩٣) أبو مخرمة . تغر عدن ٢ / ٢٢٣.

⁽١٩٤) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٣٠ .

⁽١٩٥) نفسه، ص ١٤٨.

⁽۱۹۳) نفسه، ص ۱۳۰.

⁽۱۹۷) نفسه ، ص ۱۳۴ .

ـ مصادر ومراجع البحث ـ

أ - المصادر العربية : -

٧ - (: أجسد أميين

واحد الزين، الطبعة الثانية، مطبعة جدة التأليف والتسرجمة والنشسر، (القاهرة، ١٩٥٣م).

- * الجوهري ، اسماعيلِ بن حمادِ ، (ت : ٣٩٣هـ / ٢٠٠٢م) .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج ٢ ، ٩ تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهرة ، ١٣٧٥ _ ١٣٧٧هـ / ١٩٥٦ _ ١٩٥٧م) .
 - الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، (ت: ١٢٢هـ / ١٢٢٨م).
 - ١ / معجم البلداني ، (بيروت ، ١٩٥٩ ــ ١٩٥٧م) .
- الله الحدوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يـوسف ، (ت، ؛ هـ ١٨٥هـ / ٩٩٧ م) .
- * الدينوري ، أبو جنيفة أحمد بن داود ، (بت : ٢٨٧هـ / ٨٩٥م) .
- ١١ قطعة من الجزء الجامس من كتاب النبات ، عني بنشره : بربارد
 لوين ، مطبعة بريل ، (لندن ، ١٩٥٣م) .
- * الصفِاني ، الحسن بن محمد بن الحسين ، (ت: ١٥٠هـ / ١٢٥٠م) .
- ١٢ ـ التكمية والذيل والصلة لكتاب اللغة وصحاح العربية , تجليق عبد العليم السطحباوي وآخيرون ، مبطيعة دار الكتماب ،
 (القاهرة , ١٩٧٠ ـ ١٩٧٧م) ,
- * عمارة اليمني ، نجم الدين عمارة بن عبلي ، (بت : ١٩٦٩هـ / ١٦٧٣م) .
- ١٣ تاريخ اليمن المسمى: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها ، تحقيق : محمد بن علي الأكبوع الحوالي ، الطبعة الثانية ، (القاهرة ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) .

- ابن حاتم الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد ، (كان حياً سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) .
- السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق :
 ركس سمث ، منشورات مكتبة لوزاك ، (لندن ، ١٩٧٤م) .
 - ابن الديبع عبد الرحمن بن علي ، (ت : ١٤٤٤ ـ / ١٥٣٧م) .
- ٢ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق: عبد الله محند الحبش، الطبعة الأولى منشورات مركز الدراسات اليمنية،
 (صنعاء، ١٩٧٩م).
- ٣ ـ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، القسم الأول يتحقيق : محمد بن علي الأكوع ، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، ١٩٧٧م) إلى المسلفية ، (القاهرة ، ١٩٧٥م) إلى المسلفية ، (المسلفية ، ١٩٧٥م) إلى المسلفية ، (المسلفية ، ١٩٧٥م) إلى المسلفية ، (القاهرة ، ١٩٧٥م) إلى المسلفية ، (المسلفية ، ١٩٨٥م) إلى المسلفية ، (المسلفية ،
- ابن المجاور البغدادي النيابوري ، .. بن محمد بن مسعود بن علي
 بن أحمد ، (ت. د : ٦٣٠هـ / ٢٣٢م) .
- ع صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماة: تاريخ المستبصر؛ القسم الأول والثاني تحقيق: اوسكار لوفغرين، مطبعة بريل، (لندن، ١٩٥١، ١٩٥٤م).
- ابن منظور، جال البدين محمد بن ميكرم ، (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م) .
- ٩ لسان العرب ، (بيسروت ، ١٣٧٤ ـ ١٣٧٩هـ / ١٩٥٥ ـ
 ١٩٥٦) .
- أبو مخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد : (ت :
 ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) .
- ٦ ـ تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ـ ٢ ، تحقيق : أوسكار لوفغرين ، مطبعة بريل ، (لندن ١٩٣٦م) .
- * التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد ، (ت : ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) .

- ١٤ ـ النكت العصرية في أخبار الوزراء العصرية ، باعتناء : هو تويغ
 هرنبرغ بمطبعة مرسو ، (شالون ، ١٨٩٧م) .
- * القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن عملي ، (ت: ٨٢١هـ/ ٨٤١٨م) .
- ١٥ صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج ١ ، ٥ ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ، (القاهرة . بدون تاريخ) .
- * المرزوقي تابو علي أحمد بن محمد، (كان حياً سنــة ٤٥٣هـ / ١٩٠١م).
- ١٦ ـ الأزمنة والأمكنة ، ج ٢ ، الطبعة الأولى ، (حيدر أباد الدكن ،
 ١٣٣٢هـ) .
- المظفر الرسولي يوسف بن عمر بن علي بن رسول (ت : ١٩٤٤هـ / ١٢٩٤م) .
- ١٧ ــ المعتبد في الأدوية المفردة ، الطبعة الثالثة ، باعتناء : مصطفى
 السقا ، منشسورات دار المعرضة ، (بيسروت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٨) .
 - المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن أحمد (ت : ٣٨٥هـ / ٩٩٠م) .
- ١٨ أحسن التقاسيم في معرضة الأقاليم ، باعتناء : ﴿ يَ غَرَبِكَ اللَّهِ الثَّانِيةِ ، مطبعة بريل ، ﴿ لَينَ ، ١٩٠٦م) .
- الوسابي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ، (ت : ٧٨٧هـ / ١٠٧٨م) .
- ١٩ ـ تاريخ وصاب القصص: الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق:
 عبد الله محمد الحبشي، السطبعة الأولى، منشورات مركز
 الدراسات اليمنية، (صنعاء، ١٩٧٩م).

المراجع العربية:

- * أياظة ، د. فاروق عثمان .
- ٢٠ ـ عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨.
 منشورات المطبعة العصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٧٧م) ,
 - * الأفغاني ، سعيد .

- ٢١ أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، الطبعة الثانية بمنشورات
 دار الفكر ، (دمشق ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م) .
 - # الأكوع ، محمد بن علي .
- ٢٢ اليمن الخضراء مهد الحضارة ، الطبعة الأولى ، مطبعة المعادة التعادة التعادة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م) .
 - * الألوسي البغدادي ، السيد محمود شكري .
- ۲۲ بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، ج ٣ ففي بفشرة وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأشري، الطبعة الثالثة مطابع دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٣٤٢،).
 - * الثور، عبد الله احمد محمد.
- ٢٤ ـ هذه هي اليمن ، مطبعة الدقي ، (القاهرة ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩
 - * جواتيابن ، د. س.
- ٧٥ دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، تعريب وتحقيق : الدكتور عطية القوصي ، الطبعة الأولى ، (الكويت ، ١٩٨٠م) .
 - * د. جواد علي .
- ٢٦ الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٧ ، الطبعة الأولى ،
 منشورات دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٧١م) .
 - * الحبشي ، د. محمد عمر ،
- ۲۷ اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، ترجمة : د. الياس فرح و د. خليل أحمد خليل ، المطبعة الأولى ، (بيسروت ، ١٩٦٨م) . . .
 - * الحداد ، محمد يحيى .
- ٢٨ ـ تاريخ اليمن السياسي ، الطبعة الثالثة ، دار الهنا للطباعة ،
 (القاهرة ، ٣١٦هـ / ١٩٧٦م) .
 - خوراني ، جورج فضلو .
- ٢٩ ـ العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى ترجمة: د. السيد يعقوب بكر، مطابع دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٩٥٨م).
 - * دوزي ، رينهارت .
- ٣٠ ـ تكملة المعاجم العربية ، ج (نقله الى العربية وعلق عليه : د.

- محمد سليم التعيمي ، دار الحية للطباعة ، (بغداد ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) .
 - * الريحاني ، أمين .
- ٣١ ـ ملوك العرب رحلة في البلاد العربية ، ج ١ ، الطبعة الثانية ،
 المتلبعة العلمية ، (بيروت ، ١٩٧٩م) .
 - # السامر ، د. فيصل .
- ٣٢ ــ الأصول التاريخية للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الأصلى ، الطبعة الأولى ، (بغداد ، ١٩٧٧م) .
 - * سيد ، أيمن فؤاد .
- ٣٣ .. مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، (القاهرة ، ١٩٧٤م) .
 - # عبد العليم ، د. أنور .
- ٣٤ ـ أبن مناجد الملاح دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة . ١٩٦٧م) .
 - * العبدلي ، الأمير أحمد فضل بن على محسن .
- ٣٥ هدية الزمن في أخبار ملوك الحج وعدن ، الطبعة الأرلى الطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥١هـ).
 - * الحميدي ، د. ابراهيم خلف .
- ٣٦ الحركة الوطنية في الجنوب اليمن المحتل ، رسالة د كتوراً هم أي التاريخ الحديث ، (بغداد ، ١٩٧٩م) .
 - * العقيلي ، محمد بن أحمد بن عيسى .
- ٣٧ ــ من تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ ، ج
 ١ ، الفسم الأول ، (الرياض ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م) . ج ٢ ،
 مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهرة ، بدون تاريخ) .
 - » كعالة ، د. رضا .
- ٣٨ ـ جغرافية شبه جزيرة العرب، الناشر فؤاد هاشم الكعبي،
 المطبعة الهاشمية، (دمشق، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م).
 - # لجنة الجغرافيا العدنية.
- ٣٩ ـ جغرافية عـدن وبلاد العـرب، مطبعـة النيل، (القـاهرة، ١٩٣٢ م).
 - « لقمان ، حمزة على ايراهيم .
- ٤٠ تاريخ الجزر اليمنية ، مطبعة ينوسف وفيليب الجعيل ،
 ٢٠ بيروت ، ١٩٧٢م) .

- ٤١ ـ تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، دار مصر للطباعة .
 ١ القاهرة ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م) .
- ٤٧ ــ معارك حاسمة من تاريخ اليمن ، الطبعة الأولى ، منشورات مركز الدراسات اليمنية ، (صنعاء ، ١٩٧٨م) .
 - * ماهر، د. سعاد .
- ٤٣ ـ البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية ، بدار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٦٧م) .
 - * مجهول المؤلف.
- ٤٤ ـ قلائد الجفن في ملوك عدن وصنعاء اليمن ، طبعة حجرية ،
 (كلكتا ، ١٣٢٩هـ / ١٩١١م) .
- ٤٥ ـ مستعمرة عدن وجاراتها (تقرير مطبوع بالاستنسل) ، مجهول محان الطبع ، يناير ، (كانون الثاني ١٩٤٩م) .
 - * العصري ، د. ذو النون .
- ٤٦ عمارة أليمني ، منشورات مكتبة النهضة العصرية ، (القاهرة ، ٢٠ عمارة اليمني ، ١٩٦٦ م) .
 - #/هلتس ، التر .
- لاغ ـ المكابيل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ألم المحابية المرحة : د. كامل العسلي ، مطبعة القوات المسلحة الأردنية ، المسلحة المسلحة
 - * يعقوب ، عادل أبراهيم (المترجم) .
- ٤٨ ـ التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط، دار الحرية للطباعة،
 (بغداد ، ١٩٨٠م) .

ج ـ الدوريـات:

- # الحبشي ، عبد الله محمد .
- 29 ـ جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني ، الكلمة ، ع (٥ ـ ٥٢ ، (صنعاء ، ١٩٧٩م) .
 - * سلطان ، ناجي .
- ٥٠ ـ عدن تحت الحكم البريطاني تأليف : البروفسور ارتجي ، جافين
 (عوض) ، الكلمة ، ع ٤٦ ، (صنعاء ، ١٩٧٨م) .

_ ٣

Two Eyewitness Reports of an Expidition of the king of kish (Qais) against Adem, Bullatin of the School of Oriental and African Studies, Vol, xVI. Part II, (London, 1954).

_ £

x. Lowick, N. M.

Some unpublished Dinars of the Sulayhids and Zarayids, The Numismatic Chronicle, Vol IV, (London, 1964).

* القوصي ، د. عطية .

٥١ ـ سيراف وكيش (قيس) وعدن من القرن الثالث الهجري ، حتى السادس من التاريخية المصرية ، المجلد ٢٣ ،
 (القاهرة ، ١٩٧٦م) .

_ ٢

Bikhazi, Ramzi, J.

Coins of Al-Yaman 132-569 A. H, Al-Abhath, Vol xxIII, Nos 1-4, (Beirut, December, 1970).





÷

الجوانب الدينية والأدبية في اهتمامات العالم العربي (خالد بن يزيد)

فاضل خليل أبراهيم جامعة كارديف - الملكة المتحدة

أولًا : رواية الحديث :

يُعد خالد ، في كتب التاريخ والتراجم ، أحد المهتمين سرواية الحديث ، وقد أشار إلى ذلك بنفسه حين قال : « إني عَنيتُ بطلب الحديث $^{(0)}$ ، كما اعترف بذلك خصومه $^{(7)}$ أيضاً . وذكر ابن أبي حاتم الرازي $^{(V)}$ (ت $^{(V)}$ من الطبقة الثانية ، من تابعي أهل اليام $^{(A)}$.

أَخْذَ خَالد الحديث عن أبيه يزيد (٩)، فقد روى عنه قول الرسول (ص): « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (-1)، وحديث آخر في الوضّوء (١١٠)، كها أُخْذُ أيضاً من دحية بن خليفة الكلبي (١٢). وما روى

يعتبر خالد بن يزيد (١)، أبرز من أثر عنهم اهتمامهم بالعلوم الأجنبية في العصر الأموي ، تشجيعاً واشرافاً ومساهمة ، فقد أجمع المؤرخون على وصفه بالعقل ، والعلم ، والحكمة (٢)، وأنه أول من أمر بنقل كتب الكيمياء والطب والفلك والآلات والصناعات من القبطية واليونانية إلى العربية (٣). وكانت له رسائل ومؤلفات علمية في الصنعة (١) (الكيمياء) . يضاف إلى ذلك ، فإن له اهتمامات أخرى تتصل بالجانب الديني والأدبي ، ولكن المصادر الاسعفنا أخرى تتصل بالجانب الديني والأدبي ، ولكن المصادر الاسعفنا بالشيء الكثير عنها ، سوى الاشارات القليلة هنا وهناك . وما هذا البحث إلا محاولة لرسم صورة _ وفق هذه الاشارات _ عن اهتمام العربي خالد بن يزيد برواية الحديث وعن أدبه في شعره وأسلوبه .

⁽١) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . تو في سنة ٩٠هـ . انظر عنه . كتابنا : خالد بن يزيد_سيرته واهتماماته العلمية_دراسة في العلوم عند العرب (منشورات وزارة الثقافة والاعلام_بغداد : ١٩٨٤) .

⁽۲) المرجع السابق ، ص ۹۹ .

⁽٣) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

⁽٤) انظر عنها ، المرجع السابق ، ص ١٦٥ ــ ١٨٥ .

⁽٥) البلاذري : انساب الأشراف ، م ٤ ، ق ٢ / ص ٢٦ ، وذكره ابن عساكر : « وكنت رجلًا معنياً بالكتب » انظر تاريخه ٥ / ١١٧ .

⁽٢) البلاذري : المصدر السابق ، م ٤ ، ق ٢ / ٧١ ، ابن عبد ربه : العند الغريد ٤ / ٢٤ الأصفهاني : الأغاني ١٧ / ٢٦٢ .

⁽٧) هو أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير ابي حاتم الرازي ، اخذ علم أبيه ، وكان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال (الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣/٩٨٣ ـ ٨٣٢ .

⁽٨) ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ، ج ١ . ق ٧ /٣٥٧. ابن عساكر : التاريخ الكبير ١٧٧/١ . ياقوت : معجم الأدباء ١١ /٣٣ . وقد أخطأ ابن حجر بقوله : ان ابن أبي حاتم قد ذكر ، أن خالداً هو من الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام (تهذيب التهذيب ١٢٨/٣) .

⁽٩) ابن عساكر : المصدر السابق ١١٦٧٥ ، ياقوت : المصدر السابق ٢٠/٣٩ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ٢٤٦/٣ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ٢٠٥ ، ابن حجر : المصدر السابق ١٦٨٨٣ ، ابن كثير : البداية ٨٢٢٨ ، ٨٠٨٩ .

⁽١٠) ابن كثير: المصدر السابق ٢٢٦/٨.

⁽١١) المصدر السابق ٨/٢٢٦.

⁽۱۲) ابن أبي حاتم: المصدر السابق ج ١ ، ق ٢ /٤٣٩ ، البيهقي : السنن ٢٣٤/٢ ، ابن عساكر : المصدر السابق ٥ /١١٦ ، ياقوت : المصدر السابق ٢٩٧/١ ، ابن حجر : المصدر السابق ١٢٨/٣ ، ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، الذهبي : سيد أعلام النبلاء ٣٩٦/٢ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ٢٤٦/٣ ، ابن كثير : المصدر السابق ٨٠/٩ .

ـ والكلبي ، هو دحية بن خليفة بن فدوة بن فضالة بن زيد ، صاحب الرسول ﷺ ، وكان مبعوثه الى قيصر ، وشهد يدرأ وما بعدها ، روى عنه الشعبي وعبد الله بن شداد ومنصور الكلبي ، اضافة الى خالد . بقي الى خلافة معاوية بن أبي سفيان (ابن سعد : الطبقات ، ج ٤ ، ق ١ /١٨٤ ـ ١٨٥ ، ابن الأثير : أسد الغابة ٢٠٣٠ ، ابن حجر : المصدر السابق ٣٠٣ ٢ ـ ٢٠٧) .

عنه حديثاً أخرجه ابن عساكر والبيهقي والعسكري، مفاده: أن النبي (σ) قد أعطى دحية ثوباً، وقال له: «أصدعه صدعين، صدعاً تجعله قميصاً، وصدعاً تختمر به امرأتك $^{(17)}$. ونقل هذا الحديث عن خالد، عبيدالله بن عباس $^{(18)}$. أما عن أبي أمامة الباهلي $^{(01)}$ فقد روى خالد حديث الرسول (σ): « ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله عز وجل شراد البعير عن أهله $^{(17)}$.

وأورد الخطيب البغدادي (ت ٢٦٥هـ)، حديثاً رواه خالد عن عبدالله بن عمرو^(١٧)، مفاده ، أن الأخير قد استأذن الرسول (ص) بكتابة أقواله ، قائلاً : « يارسول الله ، إني أسمع منك أشياء أحب أن أعيها ، فاستعين بيدي مع قلبي » قال : « نعم »^(١٨).

ويُحتمل ، أن يكون خالد ، قد أخذ شيئاً من أحاديث غضيف بن

الحارث بن زَنيم (۱۹)، نائبه على الصلاة في حمص، إذ أن الأخير كان محدّثاً ثقة ، عُدّ في الطبقة الأولى من تبابعي أهل الشيام (۲۰). كما ويحتمل روايته عن عكرمة (۲۱) مبولي عبدالله بن عبياس (۲۲)، فقد قيل : أن خالداً قد اشترى عكرمة ، الذي كان لا يزال عبداً بعد وفاة ابن عباس ، من علي بن عبدالله بن عباس بأربعة آلاف دينار (۲۲). ويبدو _ هنا _ بأن خالداً أراد الحصول على الأحاديث التي قالها ابن عباس وحفظها عنه تولاه ، ويؤكد ذلك ، قول عكرمة لعلب : « لقد بعت علم أبيك »(۲۱)، وقد مدح خالد ، عكرمة لفضله وعلمه ، فقال : « نعم صاحب رجل عالم ، وبئس صاحب رجل جاهل ، أما العالم فيأخذ ما يعرف ، وأما الجاهل فيأخذ كل ما سمع »(۲۰).

وروی عن خالد بن یزید ، کل من : رجاء بن حیوة (۲۹۱ وعلی بن

(١٣) ابي داود : سنن ٣٨٥/٢ ، البيهقي : المصدر السابق ٢٣٤/٢ ، ابن عساكر : المصدر السابق ١١٦/٥ ـ ١١٧ ، ابن الأثير : المصدر السابق ١٣٠/٢ .

(١٤) ابن الأثير : المصدر السابق ٢/ ١٣٠ ، ابن حجر : المصدر السابق ٢٠/٧ ، ٧٠ ، ويقال : هو عباس بن عبيد الله بن عباس (انظر ، أبي داود : المصدر السابق ٢٨٥/٢) . وابن حجر : المصدر السابق ٢/٨/٣ ، ١٢٨/٥) ، أو عباس بن عبد الله بن عباس (انظر ، البيهقي ، المصدر السابق ٢٣٤/٢) .

ــ وهو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، يكى أبا محمد ، رأى الرسول ﷺ وروى عنه وعن أبيه العباس . وعنه ابنه عبد الله وسليمان بن يسار وعطاء ابن أبي رياح ومحمد بن سيدين . مات في المدينة ، وقد بقي الى أيام يزيد بن معاوية . وقيل نوني سنة ٥٨هــ وقيل ٨٧هــ (انظر عنه ، ابن الأثير : أسد الغابة ٣٠-٣٤٠ ، ابن حجر : المصدر السابق ١٩/٧ ــ ٢٠) .

(١٥) هو أبو أمامة صُدّى بن عجلان ، كان ممن شهد صفين ، ونزل الشام وهو ممن تأخر موته من الصحابة توني سنة ٨٦هـ (ابن قتيبة : المعارف ، ص ٣٠٩ ، الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، ص ٩٨ ، البيهقي : المصدر السابق ، فهرسَ ، ج ٣٠٥/٣ .

(١٣) ابن الأثير : المصدر السابق ٩٧/٢ ، وهو عند أحمد بن حنبل : المسند ٢٥٨/٥ وابن عساكر : المصدر السابق ١١٧/٥ ، رواية ابي أمامة عن خالد بن يزيد . وقد خطّأ ذلك ابن الأثير قائلًا : « والصواب ان خالداً سأل أبا أمامة » . وقد أخذ برأي الأخير ، لأنه الأصح .

(١٧) هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، يكنى أبا محمد ، أسلم قبل أبيه ً ، وكان فاضلًا عالماً . توفي في مكة سنة ٣٥هـ (ابن قتيبة : المعارف ٢٨٣ ـ ٢٨٧ ، ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ق ١/٥٢١) .

(١٨) الخطيب البغدادي : تقيد العلم ، ص ٨١ ، وانظر الدارمي : سنن ١٢٥/١ ـ ١٢٦.

(١٩) هو أبو غضيف بن الحارث بن زنيم ، أبو أسهاء السكوني آلكندي الشامي ، عداده في صغار الصحابة ، روى عن عمر وأبي عبيدة وبلال وأبي ذكر وأبي الدرداء ، وحدّث عنه ولده عبد الرحمن وحبيب بن عبيد ومكحول . وكان خطيباً بارعاً في حمص . أما وفاته فقيل في خلافة مروان بن الحكم وقيل سنة ٨٠هـ (انظر ، الذهبي ؛ سيّر ٣٩٩٧٣_ ٣٠١ ، ابن حجر : الاصابة ١٨٩/ _ ١٩٠) .

(٢٠) ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٧، ق ١٥٤/٢ ، الذهبي : سير ٣٠٠٠/٣.

(۲۱) هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس ، أصله بربري من أهل المغرب ، حدّث عن ابن عباس وعبد الله بن عمد بن العاص وابي حريرة ... روي عنه الشعبي وابراهيم النخعي ومحمد بن سيدين . وكان كثير التجول ، فحدّث في أكثر من مدينة . توفي بين سنة ١٠٤ ـ ١٠٧ (انظر ، ابن سعد : المصدر السابق ٢١٢/٥ ، ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ابن خلكان :وفياة الأعيان ٢٦٥/٣ ـ ٢٦٦) .

(۲۲) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم الرسول ﷺ، كان يقال له : الحبر والبحر لكثرة علمه، مات في الطائف سنة ۲۹هـ وقيل سنة ۷۰هـ (انظر، ابن سعد : المصدر السابق ، ج ۲، ق ۱۹۶/ ـ ۱۲۵ ، ابن حجر : تهذيب ۲۷۰/ _ ۲۷۷) .

(٢٣) ابن سعد : المصدر السابق ٢١٢/٥ ، اليافعي : مرآة الجنان ٢٢٥/١ .. ٢٢٦ ، ياقوت . مدجم الأدباء ١٨٤/١٢ .

(٧٤) المصادر السابقة نفسها.

(٢٥) البسوي : المعرفة والتاريخ ٨/٢ .

(٢٦) الذهبي: تاريخ الاسلام ٢٤٦/٣، ابن حجر: تهذيب ١٢٨/٣.

ـ هو أبو المقدام رجاء بن حيوة الشامي الكندي ، كان من أفقه أهل الشام ، ثقة ، فاضلًا ، كثير العلم توفي سنة ١١٧هـ (ابن قتيبة : المصدر السابق ٤٧٢ ـ ٤٧٣ ـ ابن أبي حاتم : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢٠١/٧ ، ابن حجر : تهذيب ٢٦٥/٣ ـ ٢٦٦) .

رباح (۲۷) ومحمد بن مسلم الـزهري (۲۸) وأبـو العيسى الخولاني (۲۹) ومسلم بن زياد (۳۰).

وبالرغم من معرفة أسهاء الذين روى عنهم خالد ورووا عنه ، فإن عدد الأحاديث النبوية التي وصلت ، لا تكاد تعدو تلك التي ذُكرت من قبل . بيد أن قلة الآثار التي وصلتنا عن خالد ، في مجال روايته للحديث ، لا تعني بالضرورة ضعف شأنه كمحدّث ، والشواهد التي أشير إليها سابقاً توضع ذلك بجلاء .

أما في مجال الرواية التاريخية ، فقد نقل الكلبي عن خالد ، قصة اغتيال معاوية ، لعبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، من قبل طبيبه ابن أثال (٣١).

ثانياً: الأدب:

١ ــ أسلوبه :

يتسم اسلوب خالد بن يزيد بالفصاحة والبلاغة ، ويستند الى خلفية فكرية وأدبية ، جعلت آراءه قتاز بالجودة وقوة التأثير وبذلك عُدّ من الخطباء (٣٢).

ويشهد في ذلك ، مـوقفه من أحـداث الشغب ، التي تَحدِثت في

مسجد دمشق سنة ٦٤هـ ، حيث إنقسم الناس فيه الى فريقين ، فريق يؤيد ابن الزبير ، وآخر يؤيـد بني أمية ، فقــام خالــد وصعد المنــبر « فتكلم ... يكلام أوْجَزَ فيه ، لم يُسمع مثلَّهُ ، وسكَّن الناس »(٣٣). كها يوضح قدرته على الجدال والمناقشة ، مجادلاته مع عبدالملك بن مروان ، منها المجادلة التي جرت بينها بسبب إعتداء الوليند بن عبدالملك على عبـدالله أخي خالـد، والتي سجلها معـظم المؤرخين العرب ، منهم البلاذري ، إذ يقول : « فأتى خالد عبدالملك ، فأخبره بما شكا اليه أخوه ، فرفع رأسه وهو يضحك ، ثم قال : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعِزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون «(٣٤). فقال خالد: « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا ذها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا «(٣٥). فقال عبدالملك: أتكلمني فيه وهو لحَّان ، وقد أعياكم تقويم لسانه ، فقال : أعيانا منه ما أعياك من الوليد. فقال عبدالملك: إن يكن لحَّانا ، فأخوه سليمان فصيح. قال خالد : وأن يكن عبدالله لحاناً ، فأخوه خالد غير لحَّان . فقال الوليد لْخَالَٰذِيْ أَتَتِكُلُم ولست في عير ولا نفير ؟ فقال خالد : ... أَنَا والله ابن العير والنفار ، سيّد العير جـدّي أبو سفيان ، وسيّد النفـير جدّى عَتبة بن ربيعة ، ولكن لو ذكرتَ ، حُبيلات وغنيمات بالطائف

(۲۷) الذهبي : تاريخ ۲٤٦/۳ ، اين حجر : تهذيب ۲۲۸/۳ .

لصِدِقِتِ فَرْحَمُ اللهُ عَثِمَان »(٢٦).

ـ هو أبو موسى على بن رباح اللخمي ، كان ثقة ، من الطبقة الثانية من أهل مصر ، توفي سنة ١١٤هـ أو سنة ١١٧هـ (ابن ابي حاتم : المصدر السابق ١٨٦/٣ ابن حجر : تهذيب ٢١٨/٧ ـ ٣١٩) ،

⁽٢٨) البخاري: التاريخ الكبير م ٣، ق ١، ج ٢ / ١٨١، ابن أبي حاتم: المصدر السابق ، ج ١، ق ٢ / ٣٥٧، ابن عساكر: المصدر السابق ٥/١١٠.

ـ وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، وهو أحد أعلام الحديث النقاة في الحجاز والشام ، شهد الجميع على حسن روايته توفي سنة ١٢٤هـــ أو ١٢٥هـــ (ابن قتيبة ؛ المصدر السابق ، ص ٢٧٢ ، ابن أبي حاتم : المصدر السابق ، ج ٤ ، ق ٢١/١ ـ ٧٤ ، ابن حجر : تهذيب ٢٥٤٩ ــ ٤٥١) .

⁽٢٩) الذهبي : تاريخ الاسلام ٢٤٦/٣ ، (لم أرَّ له ترجمة) .

⁽٣٠) البخاري : المصدر السابق م ٣، ق ١، ج ١٨٧/٢ . ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ح ١، ق ٢ /٣٩١.

ـ وهو مسلم بن زياد الحمصي مولى ميمونة وقيل أم حبيبة ، روى عن أنس ومكحول وعمر بن عبد العزيز ... ذكره ابن حيان في التقاة (ابن حجر تهذيب ١٣٠/٠).

⁽٣١) عمد بن حبيب: كتاب اسهاء المغتالين ، م ١٦٨/١ ـ ١٦٩.

⁽٣٢) الجاحظ : البيان والتبيين ٢٧٨/١، أبن النديم : الفهرست ، ص ٣٥٤ ياقوت : المصدر السابق ٣٥/١١ ، ابن طباطبا : الفخري في الأداب السلطانية ، ص ١١٩ ، ابن كثير : المصدر السابق ٢٠/٩، ابن الوردي : تتمة المختصر ٢٤٠/١ .

⁽٣٣) الطبري : تاريخ ٥/٣٣٥ .

⁽TE) سورة النمل: TE.

⁽٣٥) سورة الاسراء: ١٦.

⁽٣٦) البلاذري: أنساب م ٤، ق ٢٧/٢ ـ ٦٨، وانظر، المبرد: الكامل ٢٣٥/١ ـ ٣٣٧، الميداني مجمع الأمثال ٢٧٢/٢ ـ ٢٢٣، ابن عساكر: المصدر السابق ١١٨/٥ ـ ١١٩، باقوت: المصدر السابق ٢٧/١١ ـ ٣٩. القلقشندي: صبح الاعشا ١٦٨/١.

ويقصد خالد برده الأخير ، أن الحكم ابن أبي العاص ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، كان قد طرده الرسول ﷺ الى الطائف ، فكان يرعى غنيمات ويأوى الى حُبيلة وهي الكرمة . ثم يُذكرُه بعثمان الذي رده (انظر المبرد : المصدر السابق ١٣٣٧–٣٣٧) .

ويعلّق أبي أبي الحديد على الجواب الأخير لخالد بقوله: « وهذا من الكلام المستحسن والألفاظ الفصيحة والجوابات المسكتة »(٣٧).

ويظهر من مضمون المجادلة ، قوة خالد في منطقه وحجته ، وقدرته في ايجاد الردود المناسبة التي تستند الى أسس واقعية تاريخية تفوق قدرة الخصم .

ويُلحظ في مناقشات خالد، بعض الملامح الفلسفية، خاصة في المناظرات الدينية، قمن ذلك، المناظرة التي جرت بينه وبين أحد الرهبان. فقد سأل الراهب خالداً عن بعض المسائل المتعلقة بحياة الانسان في الجنة، الذي يأكل فيها ويشرب، دون أن تكون له فضلات، ويأكل منها ويشرب، دون أن ينقص منها شيء، فأجاب خالد عن الشطر الأول بقوله: إن ذلك « مثل الصبي في بطن أمه، يأتيه رزق الرحمن بكرة وعشيا، لا يبول ولا يتغوط »، كما قال، جواباً عن الشطر الثاني، إن ذلك « مثل رجل أتاه الله علماً وحكمةً ... فلو إجتمع الخلق فتعلموا منه، ما نقص من علمه شيء »(٨٣).

كما وجُهت ـ أيضاً ـ الى خالد ـ وفي مناسبات أخرى ـ أسئلة ذات طابع حكمي ، من قبيل ما سئل عن « ما أقرب شيء أقال ـ ألا بلو على الله على الما أو بحش شيء ، قال : قبل : فها أو بحش شيء ، قال : الأمل . قبل : فها أنسى شيء ؟ قال : الصاحب المواتي (المساعد) . وقبل له : ما الدنيا ؟ قال : ميراث . قبل : فالأيام ؟ قال : دول . قبل : فالدهر ؟ قال : أطباق (أحوال) والموت يكمل سبيله »(٢٩١).

۲ ـ شعره :

اتخذ خالد من الشعر وسيلة للتعبير عن أفكاره ، سواء في العلم أو

الأدب. وقد أجعت المصادر العربية على القول؛ انه كمان «شاعراً »(٤٠). وتعتبر الصنعة (الكيمياء) من أبرز الأغراض الق نظم فيها شعره ، الذي إمتاز فيه بالغموض ، واستخدام الألفاظ والمصطلحات الملغزة (٤١). أما الأغراض الأخرى ، كالغزل والمدح والرثاء والهجاء ، فيظهر فيها الوضوح وبساطة الألفاظ ،

قمن شعره في الغزل^(٤٢)، قوله في زوجته زملة بنت الزبــــير بنُ العوّام :

أليسَ يسزيسدُ السَّسِيرُ في كسلُّ ليسلةٍ وفي كسلُّ يسوم من أجستنسا فُسريسا أجنُّ الى يسنتِ السزيسير وقسد عَسدَتُ

بنيا العيشُ خرقساً من تهيامسة أو تُلْهِما إذا نَسزَلستُ أرضُساً تُصبِّسُ أهسلهما

إلينسا وإن كسائت منسازطسا خسرٌبسا وإن نسؤلت مساءً وإن كسان قبسلهسا

مليحساً وجَدْنسا صاءَه بسارداً عسدُها عَدْبسا مَا خَسلاخيسلُ النسساء ولا أرى

. لسدمسلةَ خلخسالًا يجسولُ ولا تُسلِسا

أحِبُ بني السعسوام طُسراً خسسها

ومِن حُبها أحبتُ أخسوالها كلها

وله في الزهد أشعارٌ ، أشار فيها ، الى أن الانسان مهها أوتي من شرفٍ وغنى ومكانة ، فإن الموت نهايته ، فعليه أن يعمل لما بُعد الحياة ، لكي يحصد ما زرع فيها ، فيقول (٤٣):

⁽٣٧) ابن أبي الحديد: شرح تهج البلاغة ١١١١.

⁽٣٨) ابن عساكر: المصدر السابق ١١٧/٥.

⁽٣٩) الجاحظ : المصدر السابق ١٥٦/٣ ، ابن عبد ربه : المصدر السابق ٢٦٨/٢ ابن عساكر : المصدر السابق ١١٩/٥ ، ياقوت : المصدر السابق ٢٩/١١ - ٤٠ .

⁽٤٠) البلاذري : المصدر السابق م ٤ ، ق ٢/ ٦٥ ، الجاحظ : المصدر السابق ٣٣٨/١ ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٥٤ ، السيوطي : صوت المنطق ، ص ١٢ . ورردت بصيغة : كان « يقول الشعر » في المصادر التالية : ابن قتيبة : المصدر السابق ٣٥٢ ، الاصفهاني : الأغاني ٢٥٨/١ ، ابن حجر تهذيب ٢٨٨/٣ .

⁽١٤) انظر بحثنا المرسوم « دراسة تحليلية في ديوان خالد بن يزيد في الكيمياء » ، المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية ، م ٢٧، ج ٢ ، ١٩٨٢م ، ص ٥٥٥ ــ ٥٠٩ .

⁽٤٢) باقوت: المصدر السابق ١٠/١، وانظر مقتطفات هذه القصيدة في المصادر التالية: ابن قتيبة: المصدر السابق ٢٢١، البلاذري: المصدر السابق ، م ٤، ق ٢٠/٢- ٢٧ ، الميافعي: المصدر السابق ٢٠٨١، ١٢٩٣، ابن خلكان: وفياة ٢٠٤٢- ٢٠٥، اليافعي: م ١٨/١٠ ، اليافعي: م ١٨/١٠ ، الميافعي: ا

مرا ١٧٩/١ . والخالد أشعار أخرى في زوجته إينة عبد الله بن جعفر . وفي زوجته آمنة بنت سعيد بن العاص (البلاذري : المصدر السابق ، م ٤ ، ق ٧٠/٢ ، المبرد : المصدر السابق ٣٤٧/١ ـ ٣٤٧، الجاحظ : المصدر السابق ٣٩/٣ ـ ٢٠٠) .

⁽٤٣) ابن عساكر: المصدر السابق ١٢٠/٥، ياقرت: المصدر السابق ٢٠/١١.

أنعجبُ إن كنتَ ذا تعسية وأنسك فيهسا شسريف مهيب فكم ورد المسوت من نساعم وخب الحيساة السمه عجيب أجماب المنسيسة لمسا دَعَستْ وكُسرُهما يجيب لهما مَنْ يجيب

ويقول (١٤٤):

المبوث حبوضٌ لا محا لية فيينه، كيلُ الخيلقِ شارعُ ومن النتُنقسى فازرع فإ نك حياصدُ ما أنتَ زارعُ

ويقول أيضاً :

مَـنُ نَـالَ في الدنـيا مـتا عاً ثـم طال بـه مـتاعُه؟ أمْ أيُّ مـنـتـفـع بـشــي ع دام بـه إنـتِـفـاعـه؟

ولخالد قصيدة ، يرثي ويمدح فيها جده معاوية وأباه يزيد ، ويشيد بفضلها وخدمتها للمسلمين ، جاء فيها(٤٦).

وغسالب مسن بني حبرب رجالاً هم كانبوا السرجال الكساملينا وهم كانبوا السرجال الكساملينا وهم كانبوا السقاة المسطعمينا بإذن الله والسساعين فيها أيشرف أمر دين المومنينا

فغالشهم شبعبوب غيبتهم وهم عبد لأمر المسلمينا فلو يسقيت تسفوستهم عبليهم ولم تجندرهم البدنسيا المنونا لأصبح ماء الأرض عنياً

وخالد في هجاءه ساخرٌ ناقـدٌ، من ذلك قـوله(٤٧) في أخيــه أبي بكر بن يزيد بن معاوية(٤٨)؛

سمينُ البطنِ من مال ِ اليتاميٰ رخِيّ البال مهزول الصديقِ

وقد سجل خالد ، في أبياتٍ له ، ما مر به من أحداث ، وما عاناه من عدد من خصومه ، فمن ذلك قوله (٤٩) ـ بعدد أن أساء إليه مزوان بن الحكم في أمه :

أرى أصناً تعالبه قيامً على الأشراف تخطُر كالأسودِ وَكُنانَ الشَّعَلُبُ السضباح يسرضي

بما يرث المكلاب من المصيود

وقال أيضاً^(٥٠):

سرحتُ سُفاهتي وأرحتُ حلمي وفيَّ على تحلمُّي اعتسراضُ على أني أجيبُ إذا دعتني على أني أجيبُ إذا دعتني المراضُ إلى حاجاتها الحَدَق المراضُ

⁽٤٤) ابن عبد ربه: المصدر السابق ٢٣٢/٢.

⁽٤٥) البلاذري: المصدر السابق ، م ٤ ، ق ٧١/٧.

⁽٤٦) ابن عساكر : ١٢٠/٥ .

⁽٤٧) البلاذري : المصدر السابق ، م ٤ ، ق ٢ / ٧٣.

⁽٤٨) الطبري : تاريخ ٥٠٠٥ .

⁽٤٩) البلاذري: م ٤ ، ق ٢ / ٦٩ .

⁽٥٠) المصدر نفسه والمكان .

واستخدم خالد، على ما يبدو، شعره في تدوين تاريخ الأمم وأخبار الملوك فقد ذكر ابن النديم، في معرض سرده لكتب المدائني (ت ٢١٥هـ) في أخبار الشعراء «كتاب قصيدة خالد بن يـزيد في الأحداث والملوك »(٥١)، ويؤيد ذلك كونه «علامة بأيام الناس عارفاً كتن الفتن »(٥٢).

يتضعُّ مما سبق ، مدى اهتمام خالد بالشعر ، وولعه فيه ، حين

اتخذه أداةً يعبر من خلالها عها يجيش في نفسه من أحاسيس ومشاعر وفق ما يُليه عليه فكره وظروفه . وهو بذلك ، شاعرٌ متمكن ، وليس كها يقول أولمان : « لم يكن أكثر من هاوٍ »(٥٣)، ويشهد في ذلك تعدد الأغراض والمناسبات التي تناولها في شعره ، والتي من أصعبها وأدقها الكيمياء ، فكيف يمكن أن يكون الشخص هاوياً ، وقد نظم علمه شعراً ؟



⁽٥١) ابن النديم: المصدر السابق ١٠٤.

⁽٥٢) ابن أعثم الكوق : كتاب الفتوح ١٢٧/٧.

Ullman: "kalid B. Yazid", Encyclopacdia of Islam, Vol., 4, P. 929. (07)

المسسادر

١ ـ ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن محمد بن عبدالكريم (ت
 ١٠ أسد الغاابة في معرفة الصحابة ـ المكتبة الاسلامية ـ طهران.

٢ ـ الأصلهالي: أبسو الفرج عبلي بن الحسين بن محمد (ت
 ٣٥٦هـ) الأغالي، م ١٧ ـ مطبعة التقدم ـ مصر: ١٩٥٩م.

٣ ـ ابن أعثم الكوني: أبو محمد أحمد (ت ٣١٤هـ) ، الفتوح ،
 ط ١ ، حيدر أباد الدكن ـ الهند: ١٩٧٤م .

٤ ــ البخاري : أبو عبدالله إسماعيل بن ابراهيم (ت ٢٥٦هـ) .
 التاريخ الكبير ، ط ٢ ، حيدر أباد الدكن ــ الهند ١٩٦٣م .

۵ ـ البسوي : أبو يوسف يعقوب بن سفيان (۲۷۷هـ) ، المعرفة والتاريخ ، مطبعة الارشاد ـ بغداد : ١٩٧٤م .

٦ ـ البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٢٦٤هـ)
 تقييد العلم ، دار إحياء السنة النبوية ، ط ٢ : ١٩٧٤م .

٧ ـ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) أنساب الأشراف _ مطبعة الجامعة ـ القدس: ١٩٣٨م.

٨ ـ البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ١٤٥٨ مـ)
 السنن الكبرى ، ط ١ ، حيدر أباد الدكن ـ الهند: ١٣٤٤ه: .

٩ _ الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) البيان والتبيين ، مطبعة دار التأليف _ مصر : ١٩٦٨م .

١٠ ـ ابن أبي حاتم : أبو محمد عبدالرحمن التميمي (ت ٣٢٧هـ)
 الجرح والتعديل ، حيدر أباد الدكن ـ الهند : ١٩٥٢م .

١١ _ ابن حجر : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني
 (ت ٨٥٢هـ)

أ_ الاصابة في تمييز الصحابة ، مصر: ١٣٤٨هـ.

ب .. تهذیب التهذیب ط ۱ ، حیدر أباد الدكن ـ الهند/ ۱۳۲۵هـ/ ۱۳۲۸

١٢ ـ ابن أبي الحديد : عز الدين بن أبي حامد (ت ١٥٦هـ) شرح
 نهج البلاغة ، دار الأندلس ـ بيروت .

١٣ ـ ابن حنبل: أبو عبدالله أحمد الشيباني المروزي (ت
 ٢٤٠ مسند ابن حنبل، مصر: ١٣١٣هـ.

١٤ ــ ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن علي (ت

١٨١هـ) وفياة الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ذار الثقافة _ بيروت .

١٥ ـ أبو داود : سليمان بن الأشعت بن اسحـــاق الازدي (ت

٢٧٥هـ) سنن أبي داود ، مصطفى البابي الحلبي ــ مصر : ١٩٥٢م .

الله الله الله عبد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل (ت

٢٥٥هـ) السنن ، مطبعة البابي الحلبي ـ مصر : ١٣٧١هـ .

١٧ _ الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)

أربي الأشلام ، مطبعة السعادة ـ القاهرة : ١٣٦٨هـ .

ب _ تذكرة الحفاظ ، حيدر أباد الدكن _ الهند : ١٣٦٥هـ .

جــ سيد أعلام التبلاء، دار المعارف ـ مصر: ١٩٥٧م.

١٨ - ابن سعد: محمد كاتب الواقدي (ت ٢٣٠هـ) الطبقات
 الكبيرة ، مطبعة بربل - ليدن .

١٩ ـ السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن محمد (ت ٩٩١هـ)
 أ ـ تاريخ الخلفاء ، ط ١ ، المطبعة المنيرية : ١٣٥١هـ .

ب ـ صوت المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، ط ١، مطبعة السعادة.

٢٠ ــ الطبري : محمد بن جرير (٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك ،
 دار المعارف ــ مصر : ١٩٧١ ، ط ٢ .

٢١ ــ ابن الطقطقا : محمد بن عبلي بن طباطبيا (ت ٢٠٩هـ)
 الفخري في الآداب السلطانية ، دار بيروت ــ بيروت : ١٩٦٦ .

٢٢ - ابن عبدربه: أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت
 ٣٤٠ - ١٤٥٥ الفريد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة/ ١٩٥٦م/ ١٩٦٢م.

٣٣ - ابن عساكر: أبو القاسم على بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ) المطبعة الهاشمية - ٥٩٥ مشق : ١٩٥٤ .

٢٤ - ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت
 ٢٧٦هـ) المعارف ، دار المعارف ـ مصر: ١٩٦٩م .

٢٥ ـ القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ) صبح الأعشا في صناعة الأنشا ، مطابع كوستا تسوماس ـ القاهرة .

٢٦ - القيرواني: أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري (ت
 ٤١٣ -) زهر الآداب وثمر اللباب ط ١ ، دار احياء الكتب العربية:
 ١٤٥ م ١٤٥

۲۷ - ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت
 ۷۷۵ - البداية والنهاية ط ۱، مكتبة المعارف بيروت: ١٩٦٦م.
 ۲۸ - المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) الكامل،
 مطبعة نيضة مصر.

٢٩ ــ الميــداني : أبو الفضــل أحمد بن محمــد النيسابــوري (ت ٥١٨هــ) مجمع الأمثال ، مطبعة السنة المحمدية : ١٩٥٥م .

٣٠ - ابن النديم: محمد بن إسحق (ت ٣٨٥هـ) الفهرست.
 مكتبة خياط ـ بيروت: ١٩٦٤.

٣١ - ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ) تتمة المختصر في أخبار البشر المسمى (تاريخ ابن الوردي) ، المطبعة الحيدرية ـ ط ٢ ، ١٩٦٩م .

٣٢ ـ ياقوت : شهاب الدين بن عبدالله الرومي الحموي البغدادي المنفذ (ت ٦٣٦هـ) معجم الأدباء ، مطبعة دار المأمون .

٣٣ ـ اليافعي : عفيف الدين أبي محمد عبدالله بن أسعد (تُ ﴿ كَالْكُونُ لِهِ الْمُعَدُدُ وَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

بحوُث الت أريخ الق يم والأث ار

إن تاريخ الأمة العربية يمتد إلى عصور سحيقة في القدم وإن كل الحضارات الأساسية التي نشأت في الوطن العربي إلما هي تعبير عن شخصية أبناء الأمة الذين نبعوا من أصل المنبع الواحد.

الجذور الحضارية للكويت في التأريخ القديم

د . ميمونة خليفة العذبي الصباح کلية الأداب/جامعة الكوت

مقدمــة:

لا حاضر بدون ماضي ، ولا حديث بدون قديم لا سيها بالنسبة للتاريخ الذي هو عبارة عن حلقات متسلسلة متصل بعضها بالبعض الآخر.

يعتقد الكثيرون ان تــاريخ الكــويت حديث يعــود الى تأسيس العتوب لحكمهم فيها في الفترة بين أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر ، بمعنى أنه ليس للكويت تاريخ قديم أو وسيط ، غير أن الشواهد المادية تقطع بأن للكويت تاريخا سطره من نزل أرضها الحالية في العصور القديمة ، ولا بد انه كان كذلك في التاريخ الاسلامي والوسيط ، مثل ما هو قائم في التاريخ الحُدَيْثِ ؛ لَيُهَا رِأَيْنَا وجوب العودة الى الوراء لجمع الشذرات المتناثرة والمتعلقة بتاريخ منطقة الكويت في العصر القديم. والواقع أن هذه المهمة صعبة للغاية ، ذلك ان تاريخ الكويت القديم أو جذورها الحضارية لم تلق اهتمام الباحثين المختصين من دارسي التاريخ القديم. ولا عجب لي ذلك ما دام تاريخ هذه البقعة الصغيرة جدا من الوطن العربي لم يحظ بالعناية الا في السنوات القريبة الماضية، وبالذات حين أصبحت الكويت واحدة من أغنى النبول المصدرة للنفط، فشمدت إليهما الأنظار بعد أن عرفت كيف تستغل ذلك المورد الكبير المتأتى من الذهب الأسود ، في تحويل الصحراء القاحلة إلى جنة عامرة مزدهرة ، وذلك الفقر النسبي الى رضاء ورفاهية لشعب الكويت المشايير

وبالتالي فان هذا الاهتمام المتأخر من المؤرخين اقتصر، اقتصر على تاريخ الكويت الحديث والمعاصر دون، دون توجيه الاهتمام الى دراسة تاريخها القديم والاسلامي الذي أحجم المؤرخون عن

إرتياده ، لادراكهم لمدى ما يحتاجه من جهد مصني ، وجلد مرهق لجمع شتات مادته النادرة والمتناثرة هنا وهناك . لذلك كثرت الملقات المفقردة من تاريخ الكويت . وهذا ما دفعني للتشبث في محاولة عنيدة لا يجاد تلك الحلقات المفقودة من تاريخ وطني العزيز ، فرحت أنقب في ثنايا الكتب أينها وجدت ، وأفتش بين خبابها الوثبائق مهها عزت وندرت لتحقيق غايق في الكشف عن جالب لم يكشف من تاريخ ولدرت لتحقيق غايق في الكشف عن جالب لم يكشف من تاريخ الكويت . ولما لم قدني لا هذه ولا تلك (الكتب والوثائق) بالقدر الكافي من المعلومات التاريخية لجأت الى كتب الآثار وتقارير المعتات الدارية التي جاءت الى الكويت عام ١٩٥٨ .

ولتكن محاولتي هذه هي المحاولة الأولى لمربط حلقات تماريخ الكويت المتصلة بعضها ببعض، ولعلها تكون بداية مموققة تتبعهما محاولات أخرى من الباحثين ستنتهي بالنجاح ولو بعد حين.

على الرغم من أن الكويت لم تظهر في التاريخ كامأرة ذات كيان خاص مستقل بأرضه وسكانه الا في مطلع القرن الثامن عشرا حين وصل اليها العتوب واستقروا بها وأنشأوا مدينتهم هناك بزعامة آل الصباح . الا أنني على يقين من أن هذه البقعة الطيبة من الأرض ذات الموقع الاستراتيجي الهام عبلى الركن الشمالي الفربي للخليبيج العربي، كان لها دورها في التاريخ القديم .

وقد دفعني هذا البقين الذي يتملكني بمدور الكويت التماريخي القديم، الى الرجوع بالدراسة والبحث لتاريخ المنطقة الى فترة بعيدة جدا ترجع الى ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد في محاولة جادة وجهود مضنية، لاستقراء هذا التاريخ العريق، وجمع كل ما نستطيع التوصل الهد، من أخار مبكرة تتعلق بالكويت، لا سيها في تلك الفترة

المتقدمة من الزمن. ولا شك أن هذا الجهل ناتج من عدم الاهتمام مع بدراسة تاريخ هذه البقعة الصغيرة جدا ويتركز عدم الاهتمام مع الأسف الشديد معند الباحثين العرب بشكل يفوق ما عند الباحثين الاجانب الذين سبقوا العرب بشوط كبير في محاولاتهم الاستكشافية للكويت، وذلك بوصول رحائتهم إليها في وقت مبكر من القرن الثامن عشر وكتاباتهم عنها ودراستهم لتاريخها .

صلة مواقع الكويت الحضارية بحضارة بلاد الرافدين(١):

وقد بعجب القاريء الكريم من محاولاتي لإنجياد دور تاريخي للكويت بهذا البعد المتناهي في القدم . ولكن عجبه لا شك سيزول عندما يتذكر وقوع الكويت على مقربة من بلاد مبا بين النهرين القديمة . كما أنها تقع على بقعة كانت وما زالت تشكل طريقا ملاحيا عالمياهاما، يصل ما بين حضارات بلاد ما بين النهرين وسوريا والأناضول ومهر، وحضارات الهند والصين .

ولا بد أن نعود الى هجرات الساميين، من سكان شبه الجريرة العربية قبل ألفين وخسمائة عام، واستقرارهم في العراق، حيث قامت حضارات الانسائية في قامت حضارات الانسائية في العالم . ولا شبك أن الساميين قد مروا بالكويت في طريعهم من حزيرة العرب الى بلاد الرافدين، ليقيموا الجضارات الشرقية القدية العرب الى بلاد الرافدين، ليقيموا الجضارات الشرقية القدية التربية وفي مقديتها الكلدانية واليابلية والأشورية . ولا ينسي دارسو التاريخ دولة حوراي في بايل منذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، والتي تضافرت الكتب التاريخية على إيراد الأدلة التاريخية واللغوية والاجتماعية على كون هذه الدولة عربية ، ولا يخفي ما في واللغوية والاجتماعية على كون هذه الدولة عربية ، ولا يخفي ما في ثبوت ذلك من الفخر لعرب المنطقة والعرب كافة، وذلك لما فيد من أنظم قاكيد على كون العرب أسبق الأمم الى وضع الشرائع، وسن النظم والقوانين، وتنظيم شؤون الاجتماع (١) ، والأمثلة كثيرة على رقي تلك الدولة العظيمة .

ومما يثبيت علاقة الكويت بتاريخ بلاد ما بين النهرين هو نتائج

ما توصلت البه البعثة الدغاركية للتنقيب عن الآثار، والتي إستدعتها حكومة الكريت (عام ١٩٥٨) للتنقيب في جزيرة فيلكا، المعروفة عليا بكثرة تلالها الأثرية التي كان سكان الجزيرة ينقلون حجارتها لبناء البيوت. ومن ضمن الأشياء التي عشروا عليها على مقربة من الساحل، آثار بيت مؤلف من اثنتي عشرة غرفة، غرفتان منها في الوسط ويرجح أنها كانتيا تؤلفان ساحة البيت، أصاجدرانيه فهى الوسط ويرجح أنها كانتيا تؤلفان ساحة البيت، أصاجدرانيه فهى المعروف في عابل، عا يؤكد أنه استوره منها، ومن بين المكتشفات المعروف في عابل، عا يؤكد أنه استوره منها، ومن بين المكتشفات الشمينة في هذه الدار، وأس صغير لرجل عليه طاقية مدينة وله لهية الشمينة في هذه الدار، وأس صغير لرجل عليه طاقية مدينة وله لهية السفين وبحارتها، بعد نزولهم طلب المراحة الدار كان بالتي ربانية السفين وبحارتها، بعد نزولهم طلب المراحة المن ويقدمون لها الهيداب البطعام والمناء العذب، ويعبدون آلهتهم، ويقدمون لها الهيداب النظعام والمناء العذب، ويعبدون آلهتهم، ويقدمون لها الهيداب والنذور، وهم في طريقهم الي بلدان المشرق، وعند عودتهم منها.

ولا يخفي على متتبع تاريخ المنطقة القديم أن جزيرة فيلكا كانت أول محيلة تتوقف عندها السفن في طريقها من أوروبا الى الخليج، الذي كان يمتد حتى المدن السيورية في جنوب العراق، أي أن المسافة أكثر مما هي عليمه الآن، مما يجمل الرسو في جزيرة فيلكا أمرا طبيعيالنا كما عفرت البعثة على تمثال صلصالي يشبه ملولا بلاه ما بين النهرين، في العصر الاشوري (ق ٨ ق.م). وفي هذا ما ينبت أن فيلكا تعتبر من مواني، الخليج العربي القديمة، ذات المسلة المكرة بحضارة بلاد ما بين النهرين، أن للكويت تاريخا قدما، سطره من نزل المليوس والظاهر للعيان، أن للكويت تاريخا قدما، سطره من نزل أراضبها الحالية في العصور القديمة، ولاب كذلك في العصور الوسيطة، مثل ما هو قائم في العصور الحديثة، فالتاريخ كها هو الوسيطة، مثل ما هو قائم في العصور الحديثة، فالتاريخ كها هو الكويت القديم من ذلك فإن تاريخ معروف حلقات متصلة متسلسلة، وبالرغم من ذلك فإن تاريخ الكويت القديم شأنه شأن بقية أجزاء هذه المنطقة الحساسة من الخليج والعالم العربي مجهول وغير معروف، فقد إندثر تاريخ سكان الخليج والعالم العربي مجهول وغير معروف، فقد إندثر تاريخ سكان الخليج والعالم العربي مجهول وغير معروف، فقد إندثر تاريخ سكان الخليج القي يبلغ طول ساحله الغربي من مضيق هرمز الى رأسه عند مصب والغالم العربي بجهول وغير معروف، فقد إندثر تاريخ سكان الخليج القي يبلغ طول ساحله الغربي من مضيق هرمز الى رأسه عند مصب

⁽١) الصورة ملحق رقم (١).

⁽٢) جرجي زيدان العرب قبل الاسلام ، ص ١٠.

⁽٣) تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا - وزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام) إدارة الآثار والمتاجف ، ص ١٧٥.

⁽٤) تقرير مختصر عن أعمال بعثة الإثنار البغاركية في جزيرة فيلكا في عام ١٩٥٨ البيشور في مجلة البكويين البيوم بعددها ٢١٨ بقاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٩. ملحق رقم (٢).

شيط العرب في العراق حبوالي (٨٠٠) كيلو متراً. استمسر علماء التاريخ في زعمهم بأن بعض جزر الخليج العربي الكبيرة مثل البحرين كانت مقابر سكان الساحل الشرقي من الجزيرة العربية المحاذي للبحرين، وساعد على اعتقادهم هذا قرب الساحل من الجزيرة، وأصبح كل ما نعرفه وتبقى لنا من معلومات من تاريخ الخليج العربي القديم هو بعض التلميحات التي وردت في الكتابات المسمارية، من حضارات ما بين النهرين (٥)، فبعض هذه الكتابات عبارة عن وثائق تاريخية، تصف رحلات بحرية في الخليج العربي، من المدن السومرية (أور ولارسا ولجش ونيبور).

وقد وصف تاريخ الجزيرة العربية في العصور التاريخية القديمة بالفموض، ولعل ذلك الغموض نشأ عن قلة المعلومات التي توفرت في مطلع قرننا الحالي والقرن الماضي للعلماء، أذ لم تتبح لهم الغرص الكافية للتنقيب عن الآثار البشرية العائدة للعصور التاريخية القديمة في شتى أنحاء الجزيرة،غير أن مااسفرت عنه الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا الكويتية، في النصف الثاني من هذا القرن سيحتم إعادة النظر في آراءجورجيزيدان وغيره، في تاريخ الجزيرة القييم بالنسبة الى هذا الجزء من الجزيرة العربية علىالأقل، وبالتالي فــان إمكانية الموجود الحضاري الكويت في التاريخ القبائيم ألم تكن من قبيل التخرص والتكهن ، بل لقد أضاف التنقيب الأثري الذي بدأ في أراضي الكويت البرية والبحرية ما يثبت ذلك . هذا الى جانب كون الكويت تنفتح غربا على الجزيرة العربية التي هي جزء لا يتجزأ منها ، كها تنفتح بحرا على الخليج العربي ، فكان لا بد من أن يكون تاريخها من قديمه ووسيطه وحديثه مسرتبطا إرتبـاطا وثيقــا بالجهات المشار اليها وهي أشد ما تكون ارتباطا بالجزيرة العربية وسكانيا .

الصلة التاريخية للكويت بالمواقع الحضارية في منطقة الجنوب العربي والجزيرة العربية:

ولما كان تاريخ البلدان المحيطة بالخليج العربي والجزيرة العربية هو تاريخ مترابط متشابك يصعب فهم جزء منه دون إدراك ما كان

يجرى في ذات الوقت في الأجزاء الأخرى ، فإن هذا الترابط والتشابك جعلنا نتأكد من تأثر تاريخ الكويت القديم بالحضارات التي قامت في دول الجنوب العربي والتي بسطت نفوذها على اليمن وحضرموت وعدن (٦) . فبالنسبة لتاريخ اليمن القديم درج المؤرخون على تقسيمه الى عدة أدوار بعيدة جدا في القدم تبدأ بالمدور الخرافي أو المدور الميثولوجي ، وهي ليس من التاريخ الحقيقي في شيء ، وعلى ذلك لا يمكن تحديد تاريخ له أو الدور النبطي (؟ ـ ٣٠٠٠ ق.م.) ولا يمكن أن نحدد بداية له ولا نعرف عاصمته ، يليه الدور المعيني (٣٠٠٠ _ ٢٠٠٠ ق.م) وكمانت العاصمة فيه قبرناو ومبوضعها الحديث معين الى الشمال من صنعاء . أما العاصمة الدينية فكانت « يثيل » ومكانها اليوم براقش والدور الرابع هو السبأبي (١٠٠٠ -١١٥ ق.م.) وكانت العاصمة في عهد المكارب « صرواح » ، وفي عهد الملوك « مأرب » . والدور الخامس هو الحميري الأول (١١٥ ق.م. . . ٣٠٠ م) وكانت العاصمة خلاك « ظفار » ، الى الجنوب الغربي من صنعاء. والمدور السادس همو الحميري الشاني (دولة التبابعة ٢٠٠ ـ ٣٠٥ م) وكانت العاصمة « ظفار » أيضا . والدور السابع هو الحبشي (٥٢٥ ـ ٥٧٥ م) وكانت العاصمة « صنعاء » . أمِر اللهور الثامن والأخير فهو الفارسي (٥٧٥ ـ ٦٣٢ م) والعاصمة « صنعًاء » أيضا(٧) . أما عن علاقة الكويت بدول الجنوب العربي فان الآراء تتجه الى أن دولة معين ثم دولة سبأ التي حكمت بعدها وحمير التي أعقبتهما كانت لها مراكز تجارية تنتشر على الخليج العربي وعلى الفرات وعلى البطريق البري المتجبه من اليمن جنوبيا من معين وصراوح ومأرب وصنعاء الى تيهاء وغيرها من مدن الحجاز والبتراء وغزة شمالاً . ولا يستبعد قيام علاقات تجارية بين دول الجنوب، وفيلكا حيث أنها كانت واقعة على الطرق البحرية التجارية بين وادي الرافدين ويقية مناطق الخليج والجزيرة العربية، لذلك فقد توفرت جميع الأسباب لقيام حضارة غنية تعتمد على التبادل التجاري وعلى الرسوم البحرية من السفن التي كانت تمر في مواننها وممايشير إلى العلاقات بين فيلكا والجنوب قطعة نقود فضية صغيرة (دراخما) عكن أن تعزى إلى الدولة المعينية .

⁽٥) ملحق رقم (٣).

⁽٦) د. أحد مصطفى أبو حاكمة تاريخ الكويت ، جد ١ ، ص ٤٨ ـ ٨٨ .

⁽٧) محمد مبروك نافع ، مصر ما قبل الاسلام ، ص ٥١ .

أعمال البعثة الدغاركية للتنقيب عن الآثار

و في ضوء المكتشفات الأثرية المهمة في البحرين قررت حكومة الكويت استدعاء البعثة الدنمركية للتنقيب وذلك عام ١٩٥٨ (كها ﺳﺒﻖ ﺫﮐﺮﻩ).

فبادرت البعثة المذكورة بالتنقيب في جزيرة فيلكا وهي على ثقة بأنها ستكتشف معالم من زمن الاسكنـدر الأكبر، ولكن سـرعان ما تبين وجود آثار تعود الى أزمان أبعد بكثير ، والى عهود ساحقة في القدم ، فقد اتضح أن في الجزيرة تلال عديدة ، يعود بعضها إلى العصر البرونزي القديم ، وتتكون منطقة الحفريات في الجزيرة من عدة تلال متقاربة ، أهمها تلال سعد وسعيد(٨) . وقـد أشار د.ب.ف. جلوب رئيس البعثة أنهم عثروا في مناطق صحراويــة في أطراف جــون الكويت غير بعيد عن قرية الجهراء (كاظمة) على حجارة الظران وأشياء أخرى من مخلفات الانسان «الصياد» الدي كان يعيش على هذه البقعة من العالم . وأكد أن عمر هذه الأسلحة الحجرية يرجع الى يُغْفِرُ خمسين ألف سنة^(٩) . وهذا ما يجعل تلك الحضارة هي أول حضارة من الناحية الزمنية وجدت في الكويت. الا أننا لم نبوأ صانظرا لقلة الآثار الخاصة بها(١٠٠ . كما أننا أردنا بحث نتائج الآثار المتعلقة بحضارات بلاد ما بين النهرين العريقة والمشهُورةُ وَالْمَيْ يَعْيَرُ بِهَا العرب كونهم أصحاب أقدم الحضارات، والأثبات تأثر الكويت بهذه الحضارات وصلتها القوية وإيضاح دورها التماريخي المتقدم. وفي ذلـك كـله مـا ويـؤكد بما لا يدع مجالا للشك بأن للكويت باعا طويلا في تأثير الحضارة المصرية(١١١) : ولعلتا نستطيع أن نذهب الى أبعد من ذلك فندعي وجود بعض الصلة أو التأثير للحضارة المصرية القديمة وسكان هذه المنطقة فبعد أن كانت الصلة العرقية بسين المصريين القدماء والعرب تبدو وكأنها مفقودة لأول وهلة الاأن هذه الصلة في الواقع وثيقة بين الشعبين، اذ ينتمي كل من المصريين والعرب عموما الى سلالة البحر المتوسط، وهذه السلالة هي التي انتشرت في بلاد العرب وغرب آسيا (فيها عدا هضاب الأناضول) .

وانتشرت في ساحل إفريقيـا الشمالي وبعض أطـراف أفـريقيـا الشرقية ، وقد احتفظ المصريون بنفس الصفات الجسمية التي ربطتهم منذ عصور ما قبل التاريخ بسكان غرب آسيا الذي يُعَزِّلُ الآن باسم الشرق . كما ثبت وجود علاقة تجارية لحضارة البدارئي _ التي تعتبر من أقدم الحضارات المصرية ـ مع غرب آسيا وربَا مم منطقة الخليج العربي . وقد سبق وبينا أن فيلكا تعتبر من مَوْالَيْ الخليج العربي القديمة ، وذلك الى جانب وجود صلات بــين حضارة نقاده الأولى مع غرب آسيا وخاصة أن الفخار المكتشف بها عليه زخارف تشبه الزخارف المرسومة على فخار حضارات غرب آسيًّا. وبالرغم من صعوبة تحديد كيفية هذا الاتصال نظرا لكون حضارة نقاده الأولى لها جذور عميقة في الحضارات السابقة في مصر إلا أن باو مجارتل (E. Baumgartel) (عالمة آثار) تدعى أن هذا التأثير قد تم عن طريق الخليج العربي حيث عثر على حضارات الفخار الملون في «بندر بوشهر» «وهرمز» القديمة وعلى السواحل الجنوبية للجزيرة الغزبية وليس هناك شك من صلة جزيرة فيلكا الكويتية بهذه الأماكن وقربها منها.

وبالرغم من أن الحضارات المصرية الأولى في الفيوم والبداري وَتَعَادِهُ الْأَوْلِي كُلُهَا حَضَارَاتَ أَنشَأَهَا مَصْرِيُونَ مِنْ عَنَاصِرَ غَيْرُ سَامِيةً وظهرت في تاريخ لم يظهر به العنصر السامي على مسرح الأحداث التاريخية في جميع أنحاء الشرق الأوسط والجزيرة العربية ولاحتى في جنوب بلاد الرافدين الاأن عالم اللغة السومرية والاكادية لاندزبرجر ويؤيده في ذلك كرامر (Kiramor S.N.) يسذهب السي أن اللغسة السومرية تشمل على كلمات سامية هي كلمات الحضارة مشل فلاح ، ومحراث ، وصانع الـزجاج وصانع التعـدين ... الغ. وان أصحاب هذه اللغة السامية السابقة للسومرية هم أهل «العبيد»، من أقدم مدن جنوب بلاد النهـرين وهم حملة الحضارة الحقيقيــون الى جنوب بلاد الرافدين ، وكان منهم أيضا ملوك مدن ، وتوارثها عنهم السومريون ، ثم أن هؤلاء الساميين انتشروا بعد ذلك حول ساحل

⁽٩) التقرير السابق عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا (وزارة الإرشاد والأنباء) ص ٩. ملحق رقم (٤).

⁽١٠) تقرير وزارة التربية (١٩٦٤م) عن أعمال الحفر التي قامت به البعثة الدغاركية للتنقيب عن الآثار من عام ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣.

⁽١١) ملحق رقم (٨) .

الجزيرة العربية وكان هذا الطريق واحدا من الطرق التي وصل منها الساميون الى مصر.

وأول فوج من الساميين أمكن التحقق من وجوده في مصر كان في عصر نقاده الثانية في مصر العليا . ويعتقد أنه في بداية هذا العصرُ جاءت أقوام أجنبية الى وادى النيل كتجار مسالمين ثم أغرتهم ثروات مصر وإمكانياتها المتطورة على اتخاذها موطنا لهم. واليهم يعنزي العنصر السامي القوي في اللغة المصرية القديمة ويعتمد ذلك على منظر مصور على سكين عثر عليها في الصحراء الشرقية بصر (ومحفوظة الآن محمض اللوفر بباريس) وتعرف باسم (سكين جبل ألعركي) . وقد صور على يد السكين مناظر تصور وصول قوم جدد . وصور على أحد وجهى السكين منظر معركة استخدمت فيها العصى ثم في الصف الأسفل منظر مراكب تمتاز بارتفاع مقدمة المركب ومؤخرتها وأسفل هذا الصف أيضا مراكب مختلفة أصغر حجيا وعلى الوجه الآخر صورة رجل واقف بين أسدين . ويقال أن المراكب تشبه مراكب عثر عليها في نقوش سومرية . وأن صورة الأشخاص على تلك السكين تشبه صورة الأشخاص المنقوشة على زهريناً من المرمر من (الوركاء) في العراق . ولكن أصل الأقوام الذين جاءوا الى مصر غير مؤكد(١٧). ولما كان قد عثر في البحرين (عَلَيْوَبْ) تُوفيّ جزيرة فيلكا الكويتية على نفس آثار الحضارات التي عثر عليها في العراق بل تتميز حضارة هاتين الجزيرتين بأنها حضارة تجارية بحرية فملا يستبعد كون مراكب هؤلاء التجار ورجاهم هي التي جاءت إلى مصر، لا سبها وأن رداء الرجل الواقف بين أسدين في الصورة يشبه رداء سكان هذه المنطقة فهو يضع فوق رأسه غترة مثبتة بواسطة عقال ، أما شعر رأسه الطويل فقد دفع خلف رأســه وصدره غــير واضع ولكنه في الغالب عار. ويلبس حول نصفه الأسفيل أزرار ينزل الى ما تحت الركبة ويرجع أن هذه الصورة لا غثل رجلا سومريا بل زعيها لقبيلة عربهة بدوية تعيش على حافة الصحراء كما يبين المنظر حيث أن المنطقة تمثل بيئمة صحراويمة خاليمة من الأشجار

وليست إقليها زراعيا مثل بلاد الرافدين التي هي مثل وادي النيل. وبما أن بيئة الكويت الصحراوية تقع على حافة اقليم بلاد مـــا بين النهرين الزراعية لذا فمن المحتمل أن تكون الصورة تمثلها.

ومن هذا كله يثبت أنه قد نشأت صلات قديمة بين مصر وشبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين منذ عصور سحيقة وقد تحقق الدور الذي قامت به سواحل الخليج العربي في البحرين والكويت (فيلكا) من نقل تجارة عالمية بين بلدان الشرق الأوسط من ناحية ومن إسهامها في نقل الحضارة بين بلدان المنطقة أو تطويرها في العصور المبكرة . وقد استمرت هذه الصلة ولم تتوقيف وإن كانت غير معروفة في كثير من جوانبها بسبب انعدام أعمال التنقيب أو بدنها في وقت متأخر بحيث لم تظهر نتائجها كاملة حتى الآن. ولكن أمكن الاستدلال من الأعمال الظاهرة في الخليج وشبه الجزيرة العربية عن وجود هذا الاتصال (١٣). فقد وجد في جزيرة فيلكا الكويتية آثار مصريحة قديحة تذل عطى الصلات بين حضارتها والخضارة المصريةومن ذلك بعض جعران الذي يشبمه الجعران المُصري، كما أن صور جلجامش وجدت منقوشة على بعض الأختام المستديرة ذات الوجهين والتي عثر عليها في الجزيرة ولا شــك أن الاستمرار في التنقيب في هذه المنطقة المهمة من الشرق الأوسط سيكشف القناع عن كثير من الأسرار والألغاز المرتبطة سأصل وجنس الانسان الذي سكن الشرق القديم. فحتى الآن لم يعرف أصل الانسان في الخليج وكـذلك لم يتمكن العلماء من معـرفــة أصــل السومريين من سكان جنوب العراق فرعا نجد الحلقة المفقودة في الخليج العربي، وفي جزر هذا الخليج وعلى سواحله الغنية بالمناطق الأثرية التي يعود بعضها الى العصور الحجرية القديمة (١٤) ، والى حضارات عريقة جدا فقد أظهرت الحفائر في تل سعيد في جزيرة فيلكا على سبيل المثال على منطقة سكنية بنيت في عهود مختلفة بعود أقدمها الى الألف الثالث قبل الميلاد وتم اكتشاف ثمانية أختام في الطبقات السفلى من هذه المنطقة ويعود تاريخ هذه الاختام الى حوالي

⁽١٢) بعث عن العلاقات المصرية العربية في العصور القديمة للاستاذ محمد عبد القادر محمد منشور بكتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جـ ١ الذي أصدرته جامعة الرياض عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م .

⁽۱۳) نلس الموحث ، ص ۱۳ ـ ۳۰ ـ

⁽١٤) تغرير البعثة الدفركية الذي أعدته وزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام) ، ص ٢٣ .

70- تق.م. وعتد آثار هذه المنطقة الى أعمق طبقة في التل الشمالي الذي يعود تاريخه الى العصر البرونزي ، وذلك بعد أن تم التوصل الى التربة العذراء التي تحدد غو التل التدريجي في العصر البرونزي وفي العصر الحديدي نوعا ما ، ففي تل سعيد كان ما اكتشف قد زاد في معرفتنا للحضارات المحلية خصوصا في ميدان الفخار والمكان المحصن الذي وجد تحت هذا التل يمثل العصر الحديدي (العصر الهيليني) بأضيق وأشهر صورة فقد وجد كثير من الفخار وكمية من النقود لا سيها مجموعة تتألف من ثلاث عشرة قطعة فضية هيلينية من فئة أربع دراخمات . كها أمكن الاستنتاج أنه كان في فيلكا في العهد الهيليني مدرسة محلية للبناء اعتادت أن تعمل بأدوات بسيطة ومواد سهلة وأولية وهذه المعلومات عبارة عن انطباعات البنائين من أمل الجزيرة أكثر منها دراسة دقيقة لنماذج لا يعتقد أنها وجدت فوق أرض هذه الجزيرة . وكأن الأمر عبارة عن نسخ للمظاهر المسطحة أنفن البناء الأجنبي .

المواقع الحضارية في منطقة الخليج العربي وصلتها بالمواقع الكويتية:

هذا ولم تقتصر المناطق الأثرية في الخليج على جزيرة فيلكا الكويتية ودلمون البحرينية فقد ثبت وجود آثار لحضارات عريقة وقديمة قامت في بقية أنحاء الخليج العربي فقد تم اكتشاف كميات من الحجر الصوان في قطر في الحمله وراس عوينات على . وتم تحديد ما يقارب خسين موقعا فيها آثار أحجار صوانية من العصور الباليوليثية والنيولوتية، كلها على وجه الصحراء . كما تم اكتشاف عدد من الآثار في منطقة ينولوتية جنوب دخان في قطر حيث تم اكتشاف ما يريد على ٢٠٠ رأس نبل وعدد كبير من الفؤوس والمقاشر الحجرية . وفي جزيرة أم النار في أبي ظبي تم التنقيب في عدة مقابر أثرية من الألف الثالث قبل الميلاد ، وهندستها معقدة وتحتوي على هياكل عظمية وخرز وفخار عليه رسوم ، وهذه المقابر مغطاة بحجارة منحوتة ، بعضها يحتوي على رسوم ونقوش بارزة على هيئة ثيران وجمال وأفاعي وحيوانات أخرى وهذا يبرهن على أن الساحل الشرقي من الجزيرة العربية كبقية مناطق الشرق الأوسط غن

بالآثار والحضارات القديمة . هذا وينتظر أن تكشف الحفريات المقبلة عن آثار ذات أهبية كبرى في دراسات تاريخ الانسان وتاريخ الشرق القديم .

كما ثبت أن حضارات منطقة الخليج العربي القديمة كانت متوازية ومتقاربة من حيث الفترة الزمنية التي قامت فيها وفي كونها متشابهة. في نوعياتها فقد كان من نتاثج حفريات تل سعد الكبير (يقع في الجهة : الغربية من تل سعيد (سالف الذكر) في جزيرة فيلكا الكويتية فاتضع أن المنطقة السكنية في هذا التل كانت معاصرة للطبقات السكنية في جزر البحرين وقد تم اكتشاف أوان حجرية من الحجارة السوداء المسماة الحجر الصابوني (استياتات) كما وجدت طبقات متعاقبة وفي كـل طبقة قـطع كثيرة من الفخـار وعظام الحيـوان والأصداف البحرية . وبعد فحص الفخار المستخرج من الطبقات : ظهر أنه يمثل عدة عهود مختلفة ووجدت أسس جدران غرف مبنية بالحجارة التي توجد على ساحل الجزيرة وعثر في هذه الغرف على قطع كثيرة من النحاس والأختام المصنوعة من الحجر الهش الاستياتايت وقد بلغ عددها ٤٠ ختيا وعلى ظهرها المدبب ثلاث خطوط متوازية وأربع حلقات وتتكرر هذه الخطوط والحلقات في جميع الأختام المكتشفة في فيلكا وجزر البحرين وهي تختلف عن أختمام العراق الاسطوانية وآختام الهند المربعة . كما تجمعت رموز صورية كثيرة من هذه الأختام تشابه الكتابة العيلامية الصورية ويحتمل أن يعود تاريخها إلى بداية الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد اكتشفت ضمن هذا الموقع أيضا قطعة من رقيم عليها كتابة مسمارية تذكر إسم « انزاك » اله دلمون . كها اكتشف معبد تبين من الكتابات المسمارية والأواني الحجرية والألواح الطينية عودته للاله « انزاك » اله دلمون . وذلك الى جانب اكتشاف ختم من الطراز الدلوني المدبب. وبما أنه من المعروف أن دلمون هي البحرين فقد تكون فيلكا هي مقرا ئها أو جزءا منها^(۱۵) .

ويرى الدكتور سليمان سعدون البدر (أستاذ التاريخ القديم في جامعة الكويت) أن دلمون لقديمة تمثل المنطقة الممتدة على طول الساحل الشرقي للجزيرة العربية من الكويت حتى مدخل الخليج عند مضيق هرمز ، وتعرف هذه المنطقة كلها باسم دلمون وأن جزيرة الحرين

⁽١٥) التقرير السابق لبعثة الآثار الدنماركية المعد من قبل وزارة الإرشاد والأنباء ، (الاعلام) . ص ٢٠ ـ ٣٢.

كانت المركز الرئيسي، أو العاصمة لها. كما كان لها مواقع أساسية أخرى في البحر مثل فيلكا وأم النار وتاروت وهي مناطق لعبت دورا أساسيا في النشاط الاقتصادي والصلات التجارية مع كل من بلاد الرافدين ووادي السند. ويدعم الدكتور البدر رأيه بما وجد من ترابط وصلة وثيقة بين المخلفات الاثرية المادية والفكرية في كل من فيلكا والبحرين والساحل الشرقي للجزيرة العربية وقطر ودولة الامارات منذ الألف الرابع (ق.م.) وخلال العصور التالية. وذلك من خلال ما لمسه من تشابه كبير بين الأختام الدائرية والصناعات الفخارية والحجرية التي وجدت في آثار تلك المناطق. كما لمس هذا التشابه في الناحية الدينية المتمثلة في تشييد المدافن وطرق الدفن مع وجود بعض المظاهر الحضارية كظاهرة تواجد التضحية البشرية في دولة الامارات وهو ما لم يثبت تواجدها حتى الآن في أي جزء آخر من منطقة الخليج (١٩٠٠).

وعلى العموم فإن منطقة الخليج بدأت تفصح عن وجهها كوحدة إقليمية تاريخها واحد، تستمده من وحدة العمل وكطريق بحري عالمي وأكبر مصدر للؤلؤ الطبيعي في الماضي وكذلك أكبر مصدر للنفط في الوقت الحاضر يجمعها التراث الواجد والنظرة الواحدة الى المستقبل والمصير الواحد.

ولقد أثبت الحفريات والاكتشافات الأثرية أن هناك علاقات تاريخية وثيقة بين أجزاء منطقة الخليج. مثال ذلك الاكتشافات الأثرية التي حدثت في فيلكا الواقعة في مدخل خليج الكويت. أن هذه الجزيرة كانت مستودعا لمعلومات تدل على بعض تفاسير تاريخية كانت غامضة في السابق تحكي عن علاقات تلك الأقوام التي تسكن في هذه المنطقة ومن تلك الأشياء التي عثر عليها ولأول مرة آثار ترجع الى العصر البرونزي وقد ألقت الضوء على موطن أهل دلمون والتي جاء ذكرها في الأساطير السومرية وذلك اثر ربطها بعمليات التنقيب التي جرت في البحرين، ويفترض العديد من الخبراء أن هذه المنطقة كانت جزءا لا يتجزأ من حضارة سالفة معاصرة لحضارات ما بسين النهرين. ولقد ساعدت هذه الاكتشافات التي قت في فيلكا على

كشف العلاقة المعاصرة بين فيلكا والبحرين، كما ثبت أن الجزيرة مليئة بالكنوز التاريخية لحقب مختلفة من التاريخ. فإن الأختام التي وجدت في البحرين. وقد اكتشفت في فيلكا كانت مماثلة لتلك التي وجدت في البحرين. وقد اكتشفت في فيلكا قطع من تمالين بشريين عليهما نقوش مسمارية تدل على اسم الاله (-انزاك) بينها اكتشف اناء خزفي في البحرين عثر عليه في معبد باربار ويعتقد أن جزيرة فيلكا كانت تابعة لجزيرة دلمون ومن هنا نجد الترابط التاريخي بين الكويت والبحرين وسائر مناطق الخليج العربي والذي يؤكده علماء الآثار اليوم.

لقد عثر في البحرين على أختام شبيهة بأختام مماثلة لماوجد في جزيرة فيلكا. والبحث في تاريخ المنطقة القديم يقودنا الى تلك الآثار والأحجار الصوانية التي اكتشفت في قطر والعلاقة بين تلك الآثار ومثيلاتها التي اكتشفت في البحرين. ويرى العلماء أن منطقة الخليج من أقدم المناطق التي سكنها الانسان وكذلك البلاد المحيطة بها.

ان وحدة الدوافع الروحية والاجتماعية هي التي تعرف نشاط النوع الانساني في تطوره الأول . هذه الدوافع أدت الى ظهور أنماط متشابهة في انتاج أولئك البشر في الأكل والغناء الجماعي وصنع الأدوات والحلي على نحو متشابه في الطراز وطرق الأداء (١٧٠).

ومما تقدم ما يعزز رأي الدكتور البدر في أن دلمون كانت مملكة ذات وحدة حضارية وسياسية تضم الجزء الغربي من الخليج العربي وتشتمل على الجزر مثل فيلكا والبحرين وتاروت وأم النار، وربماكانت البحرين عاصمة لهذه المملكة، ويذهب الدكتور سليمان الى أبعد من ذلك حين يعتقد أن نفوذ هذه المملكة إمتد الى الداخل فوصل الى ثاج وبيرين وذلك من أجل السيطرة والتحكم في طرق المتجارة التي تتبعها القوافل التجارية (١٨١)

وبوجه عام فان نتائج محاولات العلماء في هذا الصدد لا تزال في دور مبكر من الدراسة لا سيها وأن نتائج الحفائر اتخذت لها كياناتها المستقلة في كمل مركمة على حدة دون تواجد الدراسة المقارنة

(١٨) د. سليمان سعدون البدر ، نقس المصدر ، ص ١١٤ ـ ١١٥ .

⁽١٦) د. سليمان سعدون البدر ، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول ق.م. ، ص ١١٢_ ١١٤ .

⁽٧٧) عبد الكريم العريض مقال (الفنون التشكيلية في البحرين على مر العصور وعلاقتها التاريخية) مجلة الوثيقة البحرينية مجموعة أبحاث في مؤتمر البحرين عبر الخليج .

المستفيضة في هذا المجال بين هذه الوحدات (١٩١) إلا أننا نستطيع أن نأخذ منطقة الخليج والساحل الغربي منه بالذات كوحدة جغرافية وبالتالي نميز له صفات حضارية وتاريخ عربق مترابط متقارب متحانس متكامل بحيث يكون وحدة حضارية وتاريخية وذلك في الوقت الذي لا نستطيع أن نجزم فيه بعوده هذه المنطقة الى منطقة دلمون واعتبارها أجزاء أو مراكز منهاحتى تظهر نتائج الدراسات التي تثبت وتؤكد لنا ذلك.

وما دمنا قد اعتبرنا منطقة الساحل الغربي للخليج العربي وحدة حضارية وتباريخية فيمكن أن تميزه من تمتعه بالعديد من الموانيء الطبيعية والمراسي المحمية وذلك في الوقت الذي توافرت فيه مياه الشرب من العيون والآبار في كل من واحه الاحساء وقطر وشبة جزيرة مسندم وفي بعض الجزر مشل فيلكا والبحرين وأم النار. وكانت المياه الدائمة التي تصب في الخليج هي نهرا دجلة والغزات ونهر كارون ونهر الكرخة وكلها تصب في رأس الخليج . كما يمكن القول بأن أنهاراً عظيمة كانت تصب في الساحل الغربي عبر نظام التصريف العظيم الإمتداد . كذلك تميزت بيئة منطقة الخليج بتواجد المواد الأولية كالنحاس والأحجار واللؤلؤ وبعض العظام وأدى المواد الأولية كالنحاس والأحجار واللؤلؤ وبعض العظام وأدى موقع الخليج الجغرافي الى ممارسة سكانه نشاطا اقتصاديًا عَشَلَ في التبادل التجاري المباشر أو عن طريق تجارة المرور ونشأت تبعا لهذا مراكز حضارية وتجارية هامة مثل فيلكا والبحرين وتاروت والجرعاء مراكز حضارية وتجارية هامة مثل فيلكا والبحرين وتاروت والجرعاء وامتدت هذه المراكز على طول الساحل الى قبة يحيى (٢٠٠) في جنوب وامتدت هذه المراكز على طول الساحل الى قبة يحيى (٢٠٠) في جنوب شرقي إيران حتى مراكز حضارة وادي السند.

ويعتبر طريق الخليج العربي رئة بلاد الرافدين ونافذته الواسعة التي كان يطل منها على العالم عبر العصور التاريخية الى الوقت الحالي . وذلك الى جانب كونه يمثل الحدود الجنوبي لمدن بلاد الرافدين فهو إذن وسيلة حماية كها أنه وسيلة إتصال في المجال الاقتصادي سواء مع مصر القديمة عن طريق البحر العربي حول شبه جنزيرة العرب والبحر الأحر ووادي الحسامات أو مع وادي السند والمراكز الحضارية الممتدة من مدخل الخليج على طول الساحل العربي الى

أقصى المراكز حيث تفرغ شعنات بضائعها في ميناء لوثال (٢١١) ، وبهذا ساهم الخليج مساهمة كبيرة في إثراء مدن جنوب بلاه الرافدين حيث استقبلت هذه المدن مختلف المواد التجارية وصدرت عن طريقه بضائعها الى هذه الجهات عن طريق الخليج أيضا ومن ثم كانت المحافظة على الإتصال المباشر مع الخليج من أولى مهام ملوك بلاد الرافدين .

ومما تقدم يتبين أن منطقة الخليج العربي ذات البيئة الجغيرافية والاقتصادية المميزة والموقمع الاستراتيجي كماثت مؤهلة أن تلعب دورها الأساسي في الصلات التجارية بين بلاد الرافدين ووادي السند وأفريقيا وفارس . وتبين أن السلع التجاريمة المختلفة قمد توفرت في مناطق العالم القديم نتيجة للتفاوت بين بيئة كل من بلاه الراقدين ومنطقة الخليج ووادي السندنما أدى الى توافر مواد معينة في كل بيئة تغتقر اليها بيئة أخرى فكان أن تبودلت هذه المنتجات اللجلية ونشأ من ذلك نشاط تجاري تمثل بالعمليات التجمارية المهاشرة وغير المباشرة . ومن أهم المواد التي دخلت ضمن التبسادل التجاواي بصفة عامة الحبوب والصوف والمنتجات الصوفية والفضية والذهب والناحس والأحجار الكريمة والأحجار والرضام وَالْلَوْلُوْ وَالْتَمُورُ وَالْبُصُلُ وَالْأَخْشَابِ . وَبَذَلْكُ تَهِيَأْتُ الْفُرْصَةُ لَقْيَامُ تبادل تجاري هام وجد له طرقا يسيره لم تقم موانع جغرافية كبيرة في سبيلها . والى جانب هذه الصلاة والعلاقات التجارية والاقتصادية والحضارية كان الخليج العربي وسيلة إتصال كها دلت الوثائق الملكية والرسمية على صلات سياسية قوية بين المراكز الحضارية في الخليج العربي والتي تنتمي الى أواخر الألف الثالث ق . م . كما أكدت هذه الصلات السياسية حولية سرجون (Sargons Chronicle) ٢٣٣٤ ـ ٢٢٧٩ ق . م . وهي أخبار تاريخية مدونة على لوحة موجودة حاليا في المتحف البريطاني تحت رقم (٢٦٤٧٢) ولها تكملة تحت رقم (٩٦١٥٢) ويعود تاريخها الى عصر الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦ ـ ٥٣٨ ق . م .) . وجاء نعى الملك الأشوري شوكولق نتورتا الذي ورد فيه لقب (ملك دلمون وملوخا) دليلا آخر على وجود صلات

⁽١٩) د. سليمان سعدون البدر ، منطقة الخليج العربي خلال الألفين والرابع والثالث ق.م. ، ص ١٨٧ .

⁽٢٠) ثنية بحيى : ـ مِوقع حضاري عريق في القدم يقع جنوب شرقي إيران .

⁽٢١) د. سليمان البدر ، تقس للصدر

سياسية . يضاف الى هذه الصلات التجارية والسياسية بين بلاد الرافدين ومنطقة الخليج العربي تلك الصلات الفكرية التي كانت تنمو نيتجة للاتصال التجاري والتي تنعكس في وثائق أرشيف معبد فنجال حيث تشير هذه الوثائق الى ما كان يقدمه تجار دلمون من مواد تجارية قمثل عشر دخولهم وذلك في سبيل اظهار شكرهم وامتنانهم على عودتهم سالمين إلى البلاد . ولا شك أن هذا التأثير الفكري كان له أثر كبير في توطيد صلات الخليج ببلاد الرافدين .

وهكذا لعبت الصلات التجارية والاقتصادية دورا بارزا في مجال العلاقات بين منطقة الخليج العربي وبين كل من وادي السند وبلاد الرافدين من خلال الألف الثالث والثاني والأول ق . م . مما أدى الى وجود صلات سياسية وفكرية واجتماعية بين هذه المناطق والتي أكدتها الوثائق الملكية والعقود وكتابات المعابد والمراسلات التجارية والكتابات الأدبية والمخلفات الأثرية (٢٢).

وبذلك سادت منطقة الخليج العربي حضارات محلية عريقة تميزت بنتاجها المحلي حيث توفرت لإنسان المنطقة جميع الأسباب المؤدية لقيام حضارة انسانية لها طابعها المحلي فقد كشفت التنقيبات الأثرية في عدة مناطق من الخليج العربي عن وجود مراكز استيطانية خلفت وراءها مجموعة من العناصر الحضارية وخاصة ما يتعلق بصناعة الأواني الفخارية والأختام المستديرة. ولعبت منطقة غرب الخليج العربي دورا أصيلا في تاريخ وحضارة المنطقة بما حبتها الطبيعة من أولية كانت تتطلبها الحياة الاقتصادية (٢٣٠). فكان لهذه المنطقة أولية كانت تتطلبها الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية والاجتماعية الصلات والعلاقات الإقتصادية والسياسية والفكرية والاجتماعية القائمة بين منطقة الخليج العربي وحضارات بلاد الرافدين ووادي

منطقة فيلكا الكويتية: _

وبهذا نجد أنفسنا مضطرين للانسياق بالكلام عن تاريخ منطقة الخليج العربي ككل في الوقت الذي قصدنا فيه تتبع تأريخ الكويت القديم وهذا ما يتكرر عندما نبحث تاريخ الكويت ونخصه بالدراسة في مختلف المراحل والعصور التاريخية . فاذا عدنا الى دراسة تاريخ الكويت القديم بشكل خاص نجد أن بداية الإستقرار في الكويت ظهرت في منطقة فيلكا في أواخر الألف الرابع ق . م . وان المواقع الحضارية في الكويت على وجه العموم تتمثل في الجزر وفي الأراضي المداخلية وأهمها فيلكا وجزيرة أم النمل والصليبخات ، وواره والبرقان وكاظمة ، وتضم هذه المواقع آثارا إنسانية تنتمي الى عصور ما قبل التاريخ والعصور اليونانية ، ويعتقد الدكتور رشيد ما قبل التاريخ والعصور اليونانية ، ويعتقد الدكتور رشيد الناضوري (الذي قام بمهام أول بعثة محلية للمواقع الأثرية في الكويت) .

ان منطقة الخضر في جزيرة فيلكا قتل الميناء القديم للجزيرة والذي كان يتلم على طريقه الإنصال التجاري والحضاري مع بلاد الرافدين ووادي السند. وان جزيرة فيلكا قد وفرت لانسان الكويت جميع الأسباب والمطروف المؤدية لقيام حضارة محلية مع تواجد تأثيرات حضارية أجنبية وتتمثل المخلفات الأثرية في الكويت في الأواني الفخارية (٢٤١) والأواني المجرية والعمارة والأختام وهي قمل عهودا مختلفة من المراحل الحضارية وتدلنا هذه المخلفات على أن حضارة هذه المنطقة كانت لها صفات خاصة وأن مستواها الفني كان عاليا بالنسبة إلى زمانها . كما يتضع من هذه المخلفات الأثرية مدى التشابه بين فخار وزخارف هذه المواقع الأثرية الكويتية وبين زخارف وفخار عصر حضارة جده نصر في بلاد الرافدين ولا يقتصر التشابه على عصر حضارة جده نصر في بلاد الرافدين ولا يقتصر التشابه على الأواني الفخارية بل يمتد الى الأواني الحجرية والتماثيل ٢٠٠٠ .

ومن المخلفات الأثرية في موقع فيلكا الأثري العمارة التي تمثلت

⁽٢٢) د. سليمان البدر ، منطقة الخليج خلال الألفين الثاني والأول ق.م. ، ص ٤٣ ــ ٩٣ .

Grohman, A. Kulturgeschichre Der Alten Orient : Arabian, Muchan 1963, P. 251. (YY)

Bibby G. Looking for Dilmun, London 1970, p. p. 211 & 261 . (Yt)

الملاحق أرقام ٩ . ١٩ . ١٩ .

⁽٣٥) د. رشيد الناضوري : تقرير خاص باستطلاع المواقع الحضارية في دولة الكويت مقدم الى وزارة الاعلام .

في المنازل والنوافذ ومعبد الآله (انزاك) والأختام الدائرية . وقد بلغ عدد الأختام المستديرة التي عثر عليها في فيلكا أكثر من ١٤٥٠ حتها كما عثر على اختام اسطوانية خاصة بنمط حضارة بلاد الرافدين وأختام مربعة تنتمي إلى حضارة وادي السند مما يؤكد الإتصال والتأثير الحضاري الأجنبي . وتنميز أختام فيلكا وبقية مناطق الخليج العربي باستدارتها وصنعها من حجر الاستيتات وأن نقوشها تحمل أسلوبا فنيا يعبر عن الطبيعة والأشكال الإنسانية والحيوانية وقد استطاع الإنسان من خلال هذه الأختام أن يعبر عن مفاهيمه الفكرية فرسم النجوم والسهاء والشمس والطيور وصواع الانسان مع الحيوانات والزواحف .

وبذلك يتضح الإزدهار الحضاري وعراقة تاريخ الكويت القديم خلال الألفين الثالث والثاني ق . م . إلا أن هذا الإزدهار لم يكن دائيا فقد تعرضت المواقع الحضارية الكويتية كبقية مراكز منطقة الخليج العربي خلال الألف الأول ق .م . إلى تأخر حضاري مما أوجد ثغرات في تاريخها القديم وقد كمان ذلك نتيجة لظهمور الامبراظمورية الأشورية في الشمال ومن بعدها الامبراطورية الفارسية الأكمينية مما أدى إلى تأثر أوضاع الخليج العربي بشكل سيىء في تلك الحقبة الزمنية وجعل أهميته تقل كثيرا عن المراحل النسابقة (١٤٩٠) فقد فرضت السيطرة الأشورية على منطقة الشرق الأدنى القديم. ثم خضعت منطقة الخليج العربي للامبراطورية الكلدانية ومن بعدها للامبراطورية الفارسية الأكمينية حتى أواخر الألف الأول ق . م . وقد أصبحت جزيرة العرب والخليج العربي مما يلي العراق منذ القرن التاسع ق .م . مسرحا لملوك أشبؤر يلتمسها البواحد بعبد الآخر ، وتؤدي قبائلها الجزية مؤقتا وعلى غير نظام لهؤلاء الملوك فلها انتقلت آشور إلى حكم الفرس على يد « قورش » دخل جيرانها العرب فيها دخلت فيه ، فكانوا يؤدون الجزية للفرس من بخورهم ولباتهم كل سنة ألف وزنه . ولما حمل قمبيز على مصر كان العرب عونا له على المصريين . ولما حمل الفرس على اليونان كان العرب من جملة تلك

الحملة بأبلهم وأحمالهم وجعلوهم في المؤخرة للملا تجلسل الجممال فيضطرب الجيش .

ويصورة عامة ففي ظل الأمبراطورية الفارسية ، وخلال حكم السلالة الأكمينية (القرن السادس القرن الرابع ق ، م ،) أصيب الملاحة في الخليج العربي بانتكاسة شديدة ، ويبدو أن التدهور كان قبر أخذ سبيله في عهد نبوخذ نصر، حين صرف تجار صور إنتباههم عن هذا السوق إلى طريق البحر الأحر ، وكان الفرس علاوة على ذلك في قلق دائم خوفا من تعرض مقاطاتهم البحرية للتدمير على يد اسطول أجنبي (٢٧).

هذا ومن بقابا المعبد الذي عثر عليه في تل سعيد في جزيرة فيلكا قاعدتا عمودين وجدا في واجهته يتضمع منهما الأسلوب الفي الفارسي واليونائي فالقواعد الفارسية قد أعيد استعمالها ولعلها أحضرت من بتايات أقدم من المعبد بنيت على الطريقة الفارسية (٢٨)، عما يدلنا على تأثير الحضارة الفارسية على حضارة فيلكا والإتصال المؤكد بين الحضارتين.

ويلي هذه المرحلة الحضارية من تاريخ الكويت والخليسج العربي مرحلة الاتصال بالحضارة اليونانية وكان أول من سجل إسمه في سجل العلاقات العربية اليونانية هو (الإسكندر الأكبر) (٣٥٦ مرحلة تقام) بعد أن أسس الإسكندر إمبراطورية شاسعة الأرجاء ذات منافذ على البحر الأحمر والخليج العربي، وبعد أن إستولى على مصر والحلال الخصيب، فكر في السيطرة على جزيرة العرب وفي جعلها جزءا من إمبراطوريته، ليتم له بذلك الوصول إلى سواحل جعلها جزءا من إمبراطوريته، ليتم له بذلك الوصول إلى سواحل المحيط الهندي والسيطرة على تجارة أفريقيا وآسيا وتحويل ذلك المحيط إلى بحريوناني (٢٩٠).

وقد ورد ذكر الخليج العربي في التاريخ اليوناني في كتب المؤرخين الذين كتبوا عن حياة الإسكندر الكبر ومن أبرزهم الكاتب (أريان) (Flavius Arrianus) المولود عــام ٩٥ م. والمتوفى ١٧٥ م

⁽٢٦) د. سليمان البدر ، نقس المصدر ، ص ١٦ .

⁽٢٧) آرنولد ويلسون الخليج العربي (النسخة المترجمة) ، ص ٨٣ .

⁽٢٨) تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا ـ وزارة الإرشاد والأثباء (الإعلام)، ص ١٥.

⁽٢٩) د. جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٥ .

Harvey, The Oxford companion to classical Literalune, p. 51. (💎)

معتمدا على كتب المتقدمين موضحا الأسباب التي حملت الإسكندر على التفكير في الإستيلاء على جزيرة العرب والخليج العربي وهو إخضاع العرب اللذين لم يرسلوا إليه الوفود لإعلان طاعتهم و إحترامهم كما فعل غيرهم . وأوضح أريان أن أهم أسباب هذه الحملة يكمن في رغبته في إكتساب أرض جديدة تعتبر أهم مصدر للمر والصبر والقرفة وأن فيها الموانيء الكثيرة الصاحلة لرسو اسطوله ، والمواقع الصاحلة لانشاء المدن بالقرب منها وأنه سمع بأن بالبحر بعد مصب الفرات جزيرتين إحداها تبعد عن مصبه نحو ٢٢ كيلو مترا وهى الصغرى وكان فيها معبد للالهة أرتميس ومنزارع للاغتام والغزلان المقدسة وهي في حماة الآلهة ، (وهذه الجـزيرة هي جـزيرة فيلكا الكويتية) وأن الإسكندر رأى أن تسمى هذه الجزيرة الصغرى ايكاروس IKAROS وهي نفس التسمية التي كانت تسمى بها إحدى الجزر اليونانية الواقعة في بحر إيجه . أما الجزيرة الكبرى فأنها تبعد عن مصب الفرات مسيرة يوم وليلة بالمركب اذا كانت الرياح مواتية ، وان إسمها تيلوس (Tylos) وهي صالحة لزراعة أشجار الفواكه ومحاصيل كل فصول السنة (٣١١). والمرجع أن تكون تيلوس هي البحرين .

وقد كشفت لنا آثار جزيرة فيلكا عن بعض أشرارة التاريخية القديمة وتحدثت إلينا عن صلات الجزيرة باليونان في أيام (الاسكندر الأكبر) وخلفائه ، حيث نزل بها جنوده وقوم من أتباعه وأتباع من جاءوا بعده من حكام . بالجزيرة تحفل بالكثير من آثار اليونان التي تتحدث عن حضارتهم وعاداتهم ومعتقداتهم وأفكارهم ، ومن جملة ما عثر عليه في هذه الجزيرة من مخلفات خلفاء الإسكندر كتابة يونانية على حجر عثر عليه سنة ١٩٣٧ (٣٢١) ، أي قبل قيام البعثة الدغاركية بأعمال الحفر ، وهو عبارة عن تقدمة من أحد المواطنين الآثينيين ، والمند (سوتيلس) والجنود إلى (زيوس المخلصة) (Zeus) وإلى (بوزيسدون) (Poseidon) وإلى (أرتيمس المخلصة) (Artemis Soteird) ولمن هذا الأثر يتضع أن حامية

يونانية كانت في هذه الجزيرة ، لعلها من بقايا الجيش الذي بعثه الاسكندر للسيطرة على الخليج العربي ولفتح الهند والجزر المقابلة لبلاد العرب ولسواحل جزيرة العرب . كما عثر على قوالب كثيرة من الآجر لصنع التماثيل ، منها قالب ظهر أنه حفر كقالب للتماثيل . وانه عثل وجه الاسكندر . وعثر على قائيل بظهر عليها أثر الفن اليوناني ، وعلى أنواع من الفخار والاختام والآجر تمثل عهودا مختلفة أقدم من عهد اليونانيين والتي سبق أن ذكرا عودتها إلى الألف الثالث ق .م .

ومن الآثار المهمة والنفيسة التي عثرت عليها البعثة الدغاركية كتابة مدونة على حجر تتألف من (٤٤) سطرا، تفيد أن الملك بعث برسالة إلى أهل (ايكاروس) بخصوص عزمهم على إقامة معبد في تلك الجزيرة وتعيين كهان لها، وتبين موافقة الملك عليه، وتحدد الأجور والنفقات التي تدفع، وحقوق الحكومة في الواردات وكيفية الجباية، ويعتقد أنها من أيام (سامقيوس الشاني) المعروف بيد (كلينكيوس) دونت في حوالي سنة ٢٣٩ ق . م (٣٣).

أما النقود التي عثر عليها في هذه الجزيرة فيعود عهدها إلى هذه الفترة أيضا ، فقد ضربت في عهد (سلوقس الأول) باسم الإسكندر الأكبر حوالي ٣١٠ ـ ٣٠٠ ق .م . فهي لا تبعد كثيرا عن أيام الأسكندر المترفي عام ٣٢٣ ق .م . كيا وجد نقد ضرب في عهد (انطيوخس الثالث) الذي حكم المملكة السلوقية ما بين ٢٢٣ ـ ١٨٧ ق . م .

ويعد اكتشاف هذه النقود وآشار ال (اكروبولس) (Akropolis) وكذلك المعبد في جزيرة فيلكا أمر ذو شأن تاريخي كبير الأنها تدلنا على أهية هذه الجزيرة (ايكاروس) الكبيرة عند اليونان كها تشير إلى تدخل اليونان في أمور الخليج في ذلك العهد، وحكمهم لسواحله العربية من (جرها) إلى جنوب العراق، كها أنها ستعين في التواصل إلى تثبيت تواريخ حكم السلوقيين لهذه المنطقة. وسيكون لما سيكتشف من نقود في الكويت أو في مواضع أخرى من

Arrien, History of Alexander and Indica, in 2 Vol, Loeb Classical Library 1946, Anabasks, Book, VII, 19, 5. XX, II. 1. (7\)

⁽٣٢) عثر على آثار كثيرة في جزيرة فيلكا لتماثيل ومنحوتات أخرى قبل وصول البعثة الدنماركية الا أن أهالي الجزيرة كانوا يحطمونها ويعدمونها نتيجة لعدم إدراكهم لقيمتها ومدلولاتها التاريخية الكبيرة واعتقاداً منهم بأنها تمثل أصناماً للكفار .

P. V. Clob, Investigations in Kuwait, Kuml, 1958, 170. (TT)

الخليج العربي ، فائدة قصوى في توسعة معارفنا بالسلطان السياسي والإقتصادي للسلوقيين في هذه الجهات وفي تعيين صلاتهم بالشعوب العربية الساكنة على بقية ساحل الخليج العربي كها سندعم معارفنا من تاريخ الكويت والخيج القديم وذلك بعد دراسة الأثر الذي تركه اليونان في الخليج العربي .

ولعل وجود المعبد والبيوت وبقية الآثار اليونانية في جزيرة فيلكا يعود إلى تواجد حامية الاسكندر فيها وسكناهم في الجزيرة وبقائهم بها حتى بعد زوال حكم اليونان عن ببلاد الرافدين إختار (الإسكندر) وقواده هذه الجزيرة لأهيتها من الناحية العسكرية من حيث رسبو سفن الجيش اليوناني بها وإمكانية قيام الحملات التأديبية لسكان السواحل فيها وإخماد معارضتهم لليونان وتعقب القراصنة والهيمنة عل مصب دجلة والفرات في الخليج العربي والدفاع عن جنوب العراق.

أما السلوقيون فلم يتمكنوا من السيطرة على الخليج والهيمنة على عجارته لأن حكومتهم في العراق لم تكن حكومة قوية ، ثم سرعان ما قضى عليها الفرس ، فزال حكم اليونان عن العراق . وقد ورث الرومان عن اليونان السيطرة على البحر الأحمر ، ووجهوا أنظارهم نحو سواحله ونحو المحيط الهندي ، على حين انتزع الخليج من الروم ومن الرومان وصار بحرا شرقيا ، وأضحى السلطان الأول فيه للعرب والفرس (٢٤) .

ولكن في عهد الرومان قلت أهية الخليج العربي بعد أن تحولت عنه الطرق التجارية إلى البحر الأحر حيث ساءت العلاقات السياسية بين بقايا الدولة السلوقية ، ثم الدولة الرومانية مع الفرس الذين كانوا يسيطرون على وادي الرافدين وكانوا في صراع مستديم عما أدى إلى تشديد الرقابة على الحدود بين الامبراطورية الرومانية والفارسية ونتج عن ذلك توقف الحركة التجارية فضعف شأن الخليج العربي وقلت أهيته كها قلت أهية تدمر في الصحراء السورية

التي كانت تعتمد بلا شك على نشاط الملاحة والتجارة في الخليج العربي^(٣٥).

وبهذا نكون قد تناولنا تاريخ الكويت ومنطقة الخليج العربي الموغل في القدم والتي قادتنا الآثار المكتشفة في مناطقه إلى أهيته ودوره الحضاري الكبير خلال الثلاثة آلاف سنة ق . م . ومدى ما وصل إليه وضع الخليج العربي من قوة ونفوذ مكنته خلال الألف الأول ق . م . من مساعدة الآشوريين لاسيها حين تتعرض إمبراطوريتهم للقلاقل والإضطرابات نتيجة للثورات في جنوب بلاد الرافدين . وهنا تهذذ العلاقات بين منطقة الخليج وبلاد الرافدين طابعا يتسم بالصداقة وتخلو من التبعية فتبرز بذلك مكانة الخليج العربي وأهميته (٢٦) .

يكن أن نضيف إلى ما سبق تناوله حول تاريخ الكويت والخليج العربي خلال الألف الأول ق .م . ما توصلنا إليه من خلال تتبعنا فلاطار الحضارى للكويت والخليج العربي في التاريخ القديم وهو قيام علكة تسمى (أرض البحر Sea Land) القديمة وهي التي قامت في الألف الأول ق .م ، والتي كانت تسيطر على منطقة تمند من قرب مصب نهر الفرات إلى دلمون ، وحدد مكانها في الشمال الشرقي من الجزيرة العربية على نحو يكاد يكون قاطعا . وتبعا لذلك التحديد فلابد أن تكون المواقع الحضارية الكويتية قد وقعت ضمن حدودها .

هذا ولابد من الإشارة هنا إلى أنه في نهاية الألف الأول قبل الميلاد قلت أهميه المواقع الحضارية الكويتية على الخليج العربي كمثيلاتها من الواقع الحضارية في منطقة الخليج العربي وذلك نتيجة لتحول طرق التجارة الهامة من الخليج العربي إلى البحر الأحر إلا أن

⁽٣٤) د. جواد على ، نقس المصدر ، ص ٣١ ـ ٣٤ ـ

⁽٣٥) تغرير البعثة الدغاركية للآثار (السابق) والمقدم لوزارة الإرشاد والأنباء (الاعلام) ، ص ٧ .

⁽٣٦) د. سليمان البدر ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

⁽٣٧) جورج فضلوا حوراني : « العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل القرون الوسطى » النسخة المترجمة ـــد. السيد يعقوب بكر ، صفحة ٣٧ .

موقعا حضاريا كويتيا آخر ظهر ليخلف جزيرة فيلكا وهي مدينة (كاظمة) التي تمتد جذورها الحضارية كذلك إلى العصر الحجري والعصر البرونزي من خلال ما عثر عليه من آثار ــ أشرنا لها سابقا . فعادت هذه لتلعب دورها الحضاري في مطلع التاريخ الميلادي

وكانت تقوم بذلك ضمن مملكة دلمون حيث كان ساحل الخليج العربي يمثل وحدد حضاريه واحده كها بينا سابقا فقد أكد المؤرخون ما سبق وذكره د . سليمان سعدون البدر من كون الكويت جزءا من مملكة (دلمون) والتي عرفت فيها بعد باسم البحرين .



الخاتمة

أيمانا منا بأهمية التاريخ القديم للدول والشعوب وأثره الكبير والحيوي على تاريخها الحديث والمعاصر قمنا من خلال هذا البحث بمحاولة صعبه وجاده لتتبع دور وطننا الصغير في التاريخ القديم ودراسة مواقع الكويت الحضارية وتأثرها بالحضارات العريقية القائمة خلال تلك الفترة الزمنية الموغلة في القدم.

وفي الواقع إننا لم نكن متفائلين حين أقدمنا على هذه المحاولة وكنا متخوفين من عدم الوصول إلى ما يعيننا على إتمام بحثنا بالصورة المرجوة وبلوغ النتائج المرجوه ، والتي تبرز الجذور الحضارية للكويت في التاريخ القديم .

فقد كنا نعلم يقينا بانعدام توفر المراجع والمصادر المتعلقة بتاريخ الكويت في تلك الفترة وذلك لعدم إهتمام المؤرخين المختصين من العرب والأجانب بهذه البقعة الصغيرة اما لقناعتهم بعلم أميتها التاريخية أو لتخوفهم من صعوبه المهمة.

ومما زاذ الأمر صعوبة هو ذلك الفارق الكبير بين زمن اختصاص

في التاريخ الحديث والفترة الزمنية للدراسة التي أقدمت عليها في التاريخ القديم إلا أن كل هذه الصعوبات لم تثنيني عن ما عزمت عليه الم زادتني تصميها على القيام بهذه المحاولة المهتمة بابراز الجذور الحضارية العريقة لوطني الكويت الذي لم يحظ بإهتمام الباحثين. ولعلني قد توصلت من خلال هذا البحث إلى شيئا مما هدفت إليه على أمل أن تكون هذه الدراسة المتواضعة دافعا للزملاء والزميلات الدراسين لإتمام ما عجزت عن إنجازه. لا سيها وان نتاثيع الاستكشافات الأثرية قد بدأت تظهر بشكل أكبر بحيث توضع لنا ذلك الدور التاريخي العريق لمواقع الكويت الحضارية والتي لا شك ستعين الباحثين المهتمين على اتمام مهمتهم بصورة أكمل وأوضع. ولعلها تزيل ما واجهناه من صعوبه وغموض شديدين. وذلك إلى جانب الدراسات التاريخية التي أخذت تهتم بتاريخ منطقة الخليج العربي القديم بصورة عامة والكويت بصورة خاصة فهي لا شك ستستر القجوة الكبيرة في معلوماتنا وتزيح الطلام الذي يحبط بتاريخ المنطقة القديم.

والله الموفق

المجلات والدوريات العربية

٣ جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام القاهرة ـ بدون تاريخ وطبعة
 جديدة راجعها وعلق عليها د . حسين مؤنس .

٤ ـ جواد علي (دكتور) : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٢ .

٥ جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرن الوسطى _ ترجمة يعقوب بكر _ القاهرة _ ١٩٥٨.

٦ _ واشد عبدالله الفرحان : مختصر تاريخ الكويت القاهرة ١٩٦٠ .

٧ - رشيد الناضوري: تقرير خاص باستطلاع المواقع الحضارية في دولة الكويت مقدم إلى وزارة الإعلام.

٨ سليمان سعدون البدر (دكتور): ١ منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والشالث ق م الكويت ١٩٧٤ . ٢ منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول ق م الكويت ١٩٧٨ .

٩ _ كتاب الوزراء لمحققه عبدالستار أحمد فرج .

١٠ - محمد مبروك نافع: مصر قبل الاسلام الطبعة الثانية القاهرة
 ١٩٥٢.

١١ ـ الهمداني (أبو محمد الحسن بن يعقوب الهمداني): صفة جزيرة
 العرب (طبعة ابن بليهد) مصر ١٩٥٣م.

۱۲ _ ولسن (أرنولد): ترجمه عبدالقادر يسوسف _ مكتبه الأمل الكويت (الأصل: لندن ۱۹۵۹).

١٣ - كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية جـ ١ أصدرته جامعة
 الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م .

 ١- بجلة الكويت العدد ٢١٨ بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٩ م - تقرير غنصر عن أعمال بعثه الآثار الدنماركية في جزيرة فيلكا في عام ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ .

٢ ـ مقال الفنون بالتشكيلية في البحرين على مر العصور - عبدالكريم العريض مجلة الوثيقة البحرينية (عدد خاص عن مجموع أبحاث في مؤتمر البحرين عبر التاريخ من ٣ ـ ٩ ديسمبر ١٩٨٣ م .

المصادر الأجنبية:

1- Arrien: History of Alxander and Indiea, in 2 Vol-1 Loeb Classical Library 1946, Anabasis, Book, VII, 19, XX.11.F.

2- Biby. G. Looking for Dilmun, London. 1970.

3- Clop. P. v.:- 1- Investigations in Kuwait, Kuml, 1958

2- Temples at barbar, Kuml, 1959.

4- Grohmann, A.:- Kultgeschichre Der Alten Orient: Arabian Muchan, 1963.

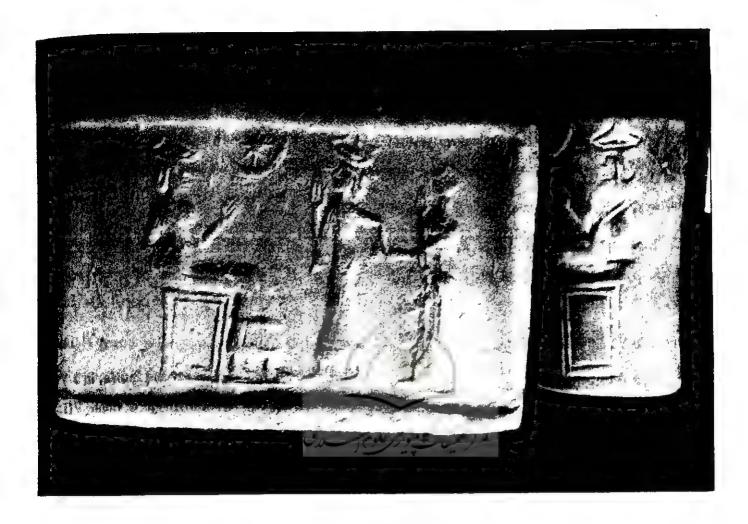
5- Harvey, The Oxford Companion to Classical Literature London, Oxford, 1952.

المصادر والمراجع العربية:

١ أحد مصطفى أبو حاكمه (دكتور) : تـــاريخ الكــويت جــ ١ مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٧ هــ/ ١٩٦٧ م .

٢ ـ تقرير شامل عن الحفريات الآثرية في الكويت من ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣
 وزارة الاعلام ـ ادارة الآثار والمتاحف

(ملحسق رقم ۱)



Cylindric seal which known in Mesopotamia civilizations.

Many seals of this type discovered from Failaka excavations but it deffers from Failaka's round seals with its decoration. But it prove the old trade connection of Mesopotamia.

شكل (1)

ختم اسطواني مما هو معروف فى حضارات وادى الرافدين وقد اكتشف عدد قليل من هذه الاختام التي تختلف كل الاختلاف من ناحية الزخرف وطريقة الحفر عن اختام فيلكا المستديرة ولكنها تثبت وجود صلات تجارية بين الحضارتين.

(ملحــق رقـم ۲)



شكل (٢)

تمثال صغير من الطين الاصفر المحروق يبلغ ارتفاعه ٥ سم عليه طاقية وله لحية ومع ان البعثة الدنمركية تذكر انه لاحد ملوك اشور فهذا ليس من المؤكد فاللحي الاشورية كئة ومجعدة .

Statue of Assryian head with a beard in terracotta 5. C.M. high.

(ملحـق رقـم ٣)

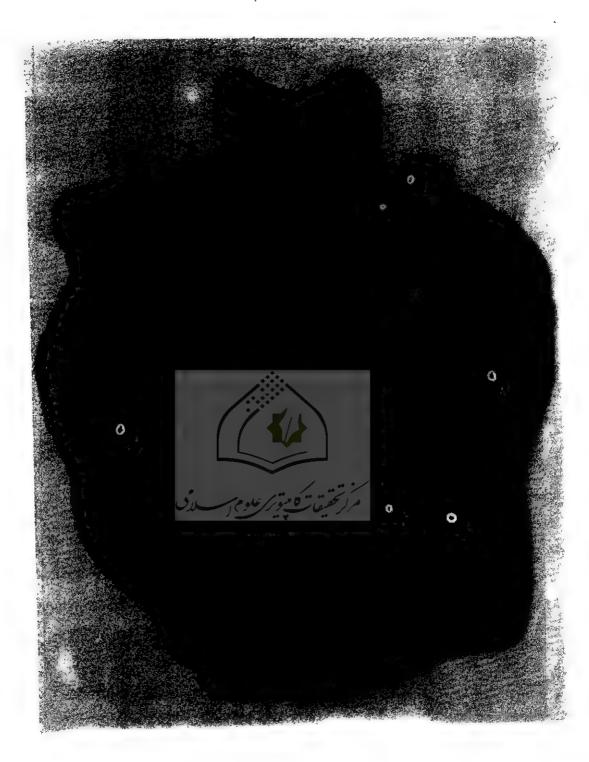


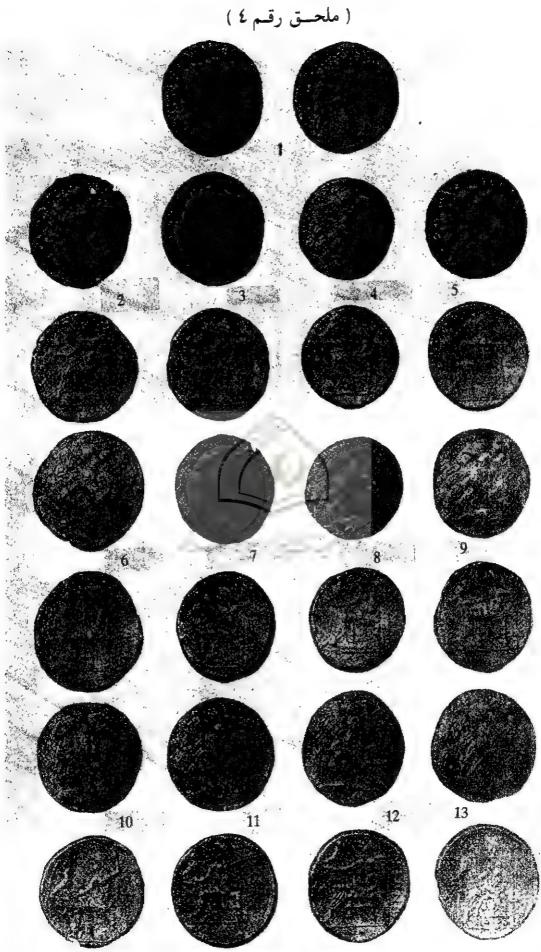
Figure (3)

Fragment of stiatite stone vessel it has Cuneifrom characters discovered in the southern side of the temple under the fortress walls. F.5.

Please have a look to the seals discovered in the Greek fortress.

شکل (٣)

قطعة من اناء حجرى اسود (استياتايت) عليه كتابة مسمارية وجد في الجهة الجنوبية من المعبد وتحت جدران القلعة مباشرة في منطقة ف ٥ انظر ايضا صورة الاختام من القلعة اليونانية.



شكل (٤) شكل (٤)

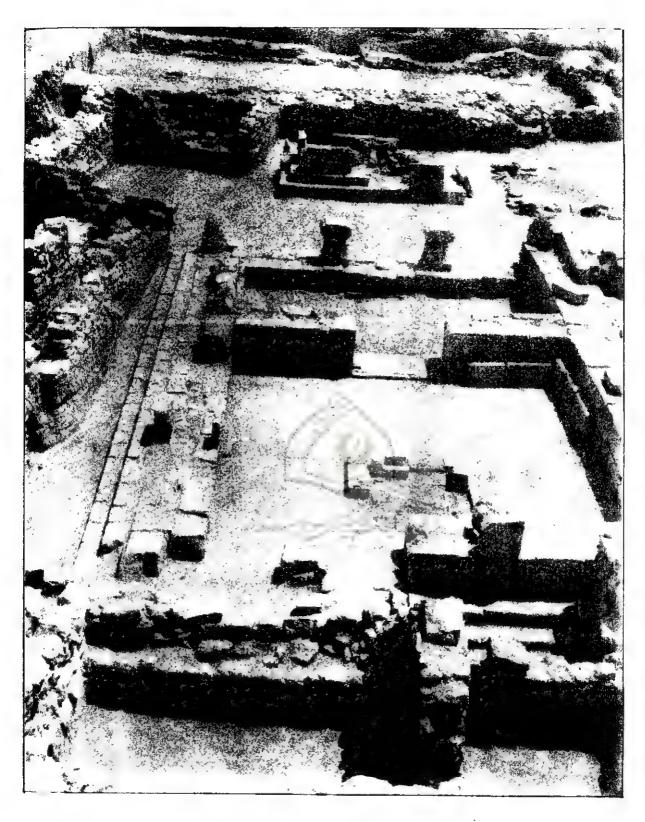


Figure (5)

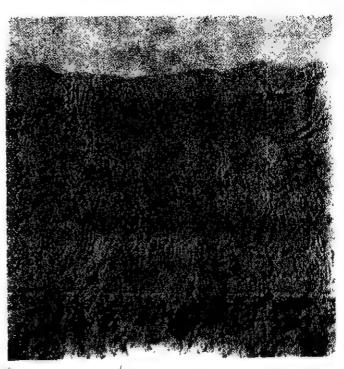
Airial view to Tal sa'ad F.3. It is an old settlement from the Bronwe age.

Some houses are crowded on the southern part of the Tal while F.4 (the inn) seen from distance

شكل (٥)

منظر جوى لتل سعد ف ٣ وهي المنطقة السكنية من العصور البرونزية ويظهر قسم من البيوت المزدحمة الواقعة في الجهة الجنوبية من التل ، ويشاهد في أعلى الصورة منطقة ف ٤ (الخان) .

(ملحق رقم ٦)



توضع هذه الصورة طريقة مسع الجدران بالجص وهي نفس الطريقة التي كانت معروفة في الكويت الى عهد قريب وما زالت تستعمل في الجزيرة فيلكا وبعض البلدان المجاوزة . مما يدل على تقدم البناء في العصور البرونزية في الجزيرة . فان كثيرا من البيوت ما زالت في حالة جيدة ومتينة البنيان .



شکل (٦)

(ملحق رقم ٧)



شکل (۷)

منظر جوى لمنطقة ف ٦ التي تقع الى شمال من تل سعيد ف ٥ القلعة اليونانية ويعود تاريخ الآثار المكتشفة في هذه المنطقة الى العصور البرونزية ويبدو في أعلى الصورة تل سعد ف ٣ وهي المنطقة السكنية من العصر

(ملحسق رقم ۸)

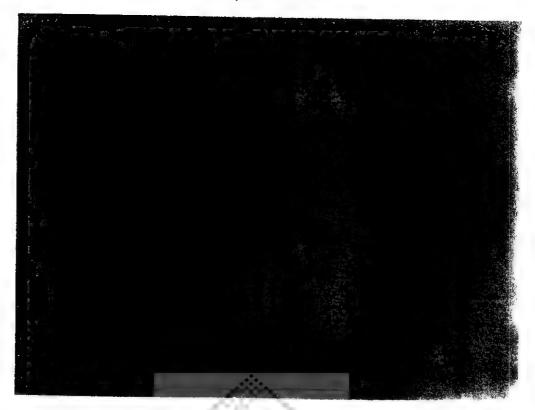




Figure (8)

شكل (٨)

Another seal Looks very much Like the Egyptian's/scarab. It was carved as the same way of Failaka seals. Discovered from area F. 6.

ختم آخر على شكل الجعران المصرى غير أن طريقة الحفر والزخرفة والحجارة المستعملة هي نفس الطريقة والزخرفة والحجارة المستعملة في الاختام الفيلكاوية المستديرة اكتشفت في منطقة ف ٦.

(ملحق رقم ۹)



Figure (9) Collection of Greek thin burnished pottery from في منطقة عن الصحون الفخارية الرقيقة اكتشفت في منطقة F.5 The Greek fortress and the temple area.

المعبد والقلعة اليونانية ف ٥ .

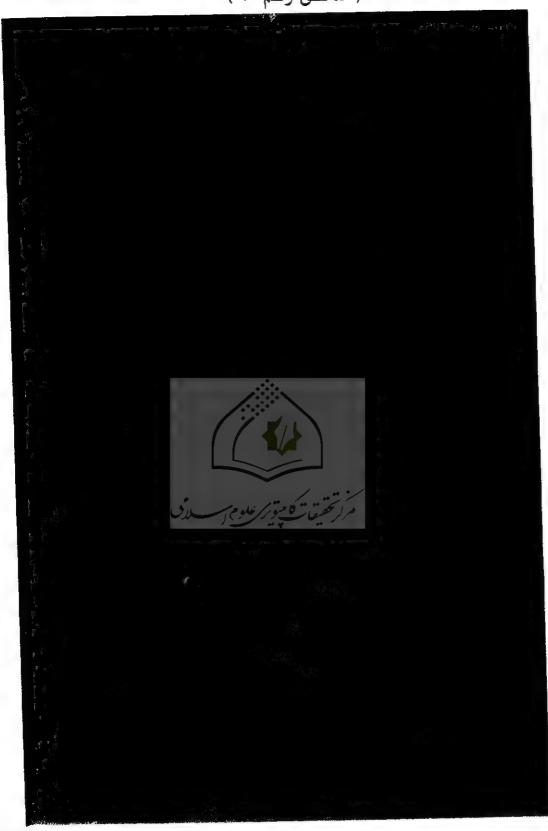


Figure (10)

شکل (۱۰)

A cast copy of a head statue. It's the head of Alexander the Great with a hollow round the head taken from terracotta mould circa 300. B.C. Greek Hellenictic period.

هذه نسخة لرأس الاسكندر تحيطه هالة من قالب الفخار الذى اكتشف في منطقة (ف£) والذي صبت فيه مادة طرية فظهرت هذه الصورة ويبلغ أرتفاع الاصل ٦ سم وليس من المؤكد بالطبع أنها قمثل رأس الاسكندر الا أن ملامح الوجه تشابه ملامحه المشهورة.

(ملحق رقم ۱۱)



Figure (11)

A cast copy of statue taken from terracotta mould.

It's (NIKE) figure the victory Goddess.

شكل (١١)

هذا التمثال ايضا من أحد القوالب التي عثر عليها في منطقة (ف ٤) أو الحان كها أطلق عليه والتمثال الماء النصر اليونانية (نيكا) الاتفاع الاصل ٩ سم .

التجارة الخارجية في العهد البابلي

د . تقى عبد سالم وصلاح نعمان عيسى كلية الادارة والاقتصاد/الجامعة المستنصرية

المقدمة:

ان حضارة العراق القديم وما تزخر به من نظم وقوانين اقتصادية واجتماعية كانت أساسا لقيام أولى وأنضج الحضارات الانسانية الأصيلة المعروفة ، تتطلب منا مزيدا من البحث لربط ذلك الماضي المزدهر بالحاضر المشرق ، ولعل من القطاعات الاقتصادية التي لعبت في الماضي ، كما تلعب الآن ، دورا متميزا في الاقتصاد العراقي هو قسطاع التجارة الخمارجية ، فهذا القطاع كان ، ولا يزال ، أحد المرتكزات الأساسية للاقتصاد العراقي ، فقد اتسمت حضارة وادي الرافدين بصفة ملازمة لها منذ أبعد العصور وهي أنها أصبحت الرافدين بصفة ملازمة لها منذ أبعد العصور وهي أنها أصبحت لتنظيم النجارة الخمارجية ومما يتطلب ذلك من تسيير القوافل لتنظيم النجارة الخمارجية ومما يتطلب ذلك من تسيير القوافل والمعافظة على الطرق التجارية من العوامل المؤثرة في سير حضارة وادي الرافدين وتطورها ، سواء أكان ذلك في التنظيم السياسي والاجتماعي أم في نشوء الأساليب والطرق الخماصة بالمعاملات التجارية .

وهذا البحث ما هو الا مساهة متواضعة للكشف عن جانب من جوانب الاقتصاد العراقي القديم، أن يهدف البحث الى الكشف عن طبيعة التجارة الخارجية في العهد البابلي، والعوامل التي أدت الى اتساعها وازدهارها وأهم الاستيرادات والصادرات آنذاك، وكيف كان يتم تنظيم هذه التجارة ومدى تدخل الدولة فيها وعليه فإن البحث سيتضمن النقاط التالية:

أولاً : ــ لمحة عن تطور التجارة .

ثانيا : ــ العوامل التي أدت الى ازدهار التجارة الخارجية . ثالثا : أهم الاستيرادات والصادرات وتوزيعهها الجغراني . رابعا : تنظيم التجارة الخارجية .

أولا: لمحة عن تطور التجارة:

مر العراق بعصور طويلة تمتد قبل التاريخ ، وهذه العصور هي :
العصر الحجري القديم والمتوسط والحديث وعصر الوركاء . ثم
العصور التاريخية التي تبدأ بعصر فجر الكتابة (٣٥٠٠ ـ
٣٠٠٠ ق.م) وتمتد الى وقتنا هذا ، وقد بدأت حضارة العراق القديم عنظم المتدي العراقيون القدامي الى قوتهم عن طريق الزراعة وتربية الحيوان وبناء البيوت واستخدام المعادن وصنع المعدات وحاجات الحياة الأولية الضرورية ، ثم استمرت الصناعات تتطور وتتعقد وتتنوع ، وقد رافق هذا التطور الطويل ظهور فكرة الكتابة وانتشارها ثم انتشار الروابط الثقافية بين سكان البلد الواحد وفيها بين الشعوب فانتشرت المنتوجات وتداولت السلع وظهرت قواعد النبادل التجاري في الداخل ثم بدأت تتعقد وتتسع ما بين بابيل والشعوب الأخرى (١٠) .

والتجارة بدأت أولا بالمقايضة سلعة مقابل سلعة ، وقد سبقت التجارة التاجر فلم يكن في بادىء الأمر أن يكرس الناس كل نشاطهم لاجراء المقايضة ، لأنهم اكتفوا ولفترة طويلة نسبيا بمبادلة ما علكون بكثرة مقابل ما كانوا بحاجة اليه دونما وساطة تاجر . وقد تطورت التجارة فيها بعد بحيث انتقلت من مرحلة المقايضة الى مرحلة استعمال النقود لتسوية إقيام المبادلات التجارية الخارجية

⁽١) الدكتور محمد على رضا الجاسم « الانتمان والصيرفة في العراق القديم » مطبعة دار التضامن ، يغداد ، ١٩٦٤ . ص ١٤_ ١٥ .

وتخصص جماعة من السكان بهنة التجارة وقيام السلطة أو الحكومة المثلة بالسلالات الحاكمة والمعابد بمسارسة التجارة عن طريق وكلائها وسن القوانين والشرائع لتنظيم التجارة الخارجية (٢).

وبعد أن كان القطاع التجاري يخضع الى سيطرة المعابد في عهد السومريين الا أنه وفي تحو أواخر الألف الثالث قبل الميلاد زالت تلكم السيطرة تحت وطأة تزايد نفوذ التجار. ذا كانت الصفقات التجارية في البداية تتميز بصغر حجمها فإن هذه الصفقات بمدأت تكبر بتطور التجارة وتطور وسائل النقل وبتقدم الصناعة والزراعة، وقد صاحب ذلك اتساع مدى التجارة الخارجية الجغرافي حيث بدأ التجار بالانتقال الى الأقاليم المجاورة والأقاليم البعيدة بغرض عقد الصفقات التجارية، إضافة الى انتقال بعض التجار الى هذه الأقاليم للاقامة فيها ومحارسة الصفقات التجارية وبشكل مستعمرات منفصلة بعيث كونت النواة لما يسمى في الوقت الحاضر طروب التجارية والوكالات التجارية. كما أصبح لكل ضرب من ضروب التجارة - كتجارة السلع وتجارة الحيوانات وتجارة الرقيق - أسواق وعملاء ووكلاء ومحولون ..

وبازدهار التجارة بدأ بتحديد الأوزان الرسمية وكانت تصديرها الأوزان دائرة خاصة تقوم بضبط الأوزان والمكاييل وينقش عليها الوزن القياسي، وكانت هذه الموازين خاضعة لرقابة السلطة في المجتمع وعندما عرفت المعادن النفيسة (الذهب والفضة) اتسمع اللجوء اليها وانتشرت التجارة فيها على سبيل استيرادها للاستملاكات الداخلية أو على سبيل تصديرها أو التوسط في تصديرها الى المدن والى الأقاليم المجاورة، ثم استخدم بعضها وخاصة الفضة واسطة للتبادل فكان بمثابة النقود كوسيلة دفع محددة الوزن والقيمة. وقد استخدمت الفضة كأساس للمدفوعات باعتبارها أساس التبادل على غرار الذهب الذي كان أساس التبادل قبل عهد ليس ببعيد جيداً.

وهكذا فقد ارْدهرت التجارة في خلال الألف الأول من تاريخ

الحضارة البابلية وفي عهد الامبراطورية الكلدية وذلك في عهد نبوخذ تصر الثاني وسلالة ملوك العهد البابلي الجديد .

ثانيا _ العوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة الخارجية:

هناك جملة من العوامل كان لها الأثر الأول في أزدهار التجارة الحارجية وفي تنشيط الحركات والطواهر المتصلة بها في أطار الاقتصاد البابلي، ومن هذه العوامل نذكر:

١ _ الموقع التجاري :

يحتل العراق أو بلاد وادي الرافدين كما يطلق عليه كثير من الباحثين موقعا استراتيجيا مهما يتوسط بلدان البحر المتوسط ذات المحضارات العريقة وبلدان الخليج العربي وما وراءها في بلدان الشرق الأقصى ، فهو يقع بين بحرين عظيمين هما : البحر الأعلى (أي البحر المتوسط) والبحر الأسفىل (أي الخليج العربي) كما كان يطلق عليهما العراقيون القدماء أنفسهم . وقد كان لهذا الموقع التجاري المهم أثره في نشاط الحياة الاقتصادية ونشاط الاتصال الدائم بين سكان العراق وشعوب البلدان المجاورة والبعيدة سواء كان ذلك عن طريق المهراً ،

وكان العراق يرتبط بالأقاليم الخارجية بعدة طرق كانت القوافل التجارية تسلكها ولأهمية هذه الطرق فإنهم كانوا يضعون أدلة واثباتات جغرافية بالطرق والمسالك المشهورة وتحديد المراحل والمدن التي تمر فيها أو تقع عليها والطرق المشهورة حسب اتجاهاتها والأقطار التي تؤدي اليها هي(1):

أ الطرق المؤدية الى الأقاليم الغربية: كان يوجد طريقان مهمان يربطان العراق باتجاه غربي بالده الشام وسواحل البحر الأبيض المتوسط وبالده الأناضول فهناك طريق يبدأ من بابل ويسير بمحاذاة الفرات وعرفي الرمادي وهيت وعنه حتى يصل الى مدينة ماري

⁽٢) برهان محمد نوري « تجارة العراق الخارجية في العصر البابلي القديم » مجلة النفط والتنمية ، السنة السادسة ، نيسان ـ مارس ، ١٩٨١ ، ص ٥٧ .

⁽٣) الدكتور فاضل عبد الواحد والدكتور عامر سليمان «عادات وتقاليد الشعرب القديمة » بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ٧.

«بالقرب من البوكمال » في سوريا ثم يمر يتدمر وحمص ومنها يتشعب الى جلة فروع تؤدي كلها إلى موانى، البحر المتوسط، وهناك طريق أخر يمر من نينوى ويعبر الفرات عند طرابلس ومدينة مسكنة ثم حلب وبنتهي بنهر العاصي حيث يتشعب الى عدة طرق تؤدي الى الأجزاء الوسطى من سوريا والى سواحل البحر المتوسط، ومن فروعه المهمة ما كان يتجه إلى الأناضول دارمينيا.

ب-الطرق المؤدية الى الأقاليم الشرقية: وهذه الطرق تمر بمناطق جبلية وعرة (جبال زاجروس) ، ومن المعرات المعروفة المعر الكائن بالقرب من (راوندوز) والمعر الكائن في منطقة حليجة وعمر خانقين ، بالاضافة الى الطريق الذي يربط العراق بالنواحي الشرقية عن طريق بلاد عيلام وكان يسير محاذيا لسفوح جبال زاجروس حتى بصل الى سوسة عاصمة عيلام .

جـ - طريق البحرين: ويعتبر هذا السطريق من الطرق المهسة التجارية التي كانت تربط العراق بالعالم الخارجي ولا سيها الجهات الشرقية والهند والأجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية حيث يأت بر الطريق البحري الوحيد للاتصال بالعالم وذلك عبر الخليج العربي .

٢ ـ وجود وسائل المواصلات:

وتتمثل وسائط النقل (في الغالب) بالعربات والسفن الشراعية والحيوانات المختلفة، وقد استخدمت هذه الوسائل جيعها لنقل السلع والأموال عن طريق البر وطريق البحر. والعربة كغيرها من مبتكرات الانسان مرت بمراحل تطورية، ففي البداية كانت بدون عجلات، ثم ظهرت العربة ذات الأربع عجلات وبعد ذلك بفترة قصيرة ظهرت العربة ذات العجلتين. ويلاحظ أن النصوص قصيرة ظهرت العربة ذات العجلتين. ويلاحظ أن النصوص المسمارية كانت تميز، أحيانا، بين عربات نقل المواد والبضائع المتجارية وبين العربات الحربية، وتمتاز الأخيرة بكونها سريعة الحركة لتكون قادرة على المناورة بسرعة ولهذا قان هذا النوع من العربات ذات الأربع عجلات والتي تستخدم في العادة لنقل السلع التجارية. هذا وان

بعض أنواع من العربات كان الانسان نفسه يقوم بسحبها والبعض الآخر يستعمل الحيوان لسحبها ، وتشير المعلومات المتوفرة الى أن عدد الحيوانات التي تسحب العربة كان أربعة ، وان نوعية الحيوانات التي كانت تستخدم لهذا الغرض هي الحمير والبغال . أما الخيول فكانت غالية الثمن ولذلك لم تدخل الحياة اليومية بصورة واسعة وخاصة في العصر البابلي القديم .

ومما لا شك فيه أن ظهور السفينة الشراعية قد أحدث انقلابا كبيرا في طبيعة العلاقات التجارية قبل ظهور السفينة الشراعية تتمثل بالحيوانات ، والتجارة بواسطة الحيوانات لا تكون محدية للربع إلا في حالة اقتصارها على المواد الثمينة والخفيفة الوزن تسبيا كالذهب والفضة والأحجار الكريمة (٥).

وما دامت السفينة الشراعية كبيرة الحجم وقليلة التكاليف ولها القدورة على الوصول الى مسافات بعيدة ، فقد ساعد ذلك على المتاجزة بمواد أخرى غير المواد الثمينة . وهذه الناحية قد وسعت في نطاق السلم التجارية بحيث أنها شملت المتاجرة بالمواد الغذائية والصناعية ومواد البناء .

وبالاضافة الى السفن الشراعية كانت أنواع أخرى من وسائط النقل المائية هي القوارب والقفف والعبارات.

وفيها يخص حمولات السفن المختلفة ، فان النصوص تشير الى أن أكبر السفن المستخدمة لنقل السلع التجارية بلغت (١٢٠) كورا^(٢) ، أما السفن الأكثر استخداما فهي التي كانت سعتها (٦٠) كورا ، وشريعة حموراي لم تذكر في موادها الا السفينة سعة السعد كورا . وهذا مما يدل على كون هذا النوع هو الشائع الاستعمال وقد حددت شريعة حمورايي الايجار اليومي للسفينة بقدار ٢٠ شاقل (٧) حددت شريعة مما يساوي بأوزاننا الحالية ٨,٤ غم) من الفضة .

هذا وكانت السغن تختلف من حيث التصاميم، وهنـــاك من النصوص ما يشير الى أن هناك سغنا عديدة تختص كل واحدة منها

⁽٥) الدكتور فوزي رشيد « وسائط النقل المائية والبرية في العراق القديم » مجلة النفط والتنمية ، السنة السادسة ٢ نيسان ، مارس ١٩٨١ ، ص ١٠١ . ٣) العاء = ١٠> أ

⁽٧) ان أيجار السقينة غير ثابت فقد ارتفع هذا الايجار ليصل الى شاقل في اليوم انظر : .. لـ ويلايورت ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة محرم كمال ، المطبعة النموذجية ، من القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٣٩ .

بنقل مادة من المواد ، والاعتقاد السائد أن أنواع السفن قد بلغ (٤٠) نوعا بعضها كان متخصصا لنقل الشعير والآخر لنقل الطحين وهكذا بالنسبة لبقية المواد الحيوية الأخرى .

٣ _ استخدام وسائل الائتمان وانتشار الصيرفة :

لقد سهل من عمليات التجارة الخارجية ما كان في بلاد الرافدين من نظام ماني راق محكم، فقد كانت تستخدم الى جانب المقايضة سبائك الذهب والفضة وسيلة للتبادل ومعيارا لتقدير قيم الأشياء. وكانت أصغر وحدة في العملة هي الشيقل، وكانت ستون شاقلا تكون مينا وستون مينا تكون تالنتا (٨). وكان التجار يستأجرون مهرة الكتاب لتسيير أمورهم. وقد أدى استخدام الرسائل والحوالات الى ظهور تنظيم جديد يقوم على وساطة أفراد أو مؤسسات أهلية أو رسمية في إقراض الأموال للتجار بغية تسهيل التعامل والاتجار وقد تطور هذا التنظيم ابتداء من عمليات الرهن والتأمين والتوظيف الاقراض والايداع البسيطة الى عمليات الرهن والتأمين والتوظيف المهمة، وذلك بفضل تطور وتوسع وانتشار استخدام صكوك الاثتمان في ميادين التجارة الخارجية، ثم بفضل ظهور شركات تجارية ومصارف وصيارفة متعددة.

واذا كان تطور الائتمان وانتشار الصيرفة ساعد على توسيع التجارة الخارجية ، فان ازدهار التجارة الخارجية بدوره كان عاملا في تنشيط نوع من الائتمان والصيرفة مجاله الأسواق المهمة للتجارة ومداه القروض ومبالغ الأموال التي كان يضعها الصيارفة بين أيدي التجار والوكلاء لتسهيل عقد الصفقات التجارية ولعمليات البيع والشراء أو عمليات الاستيراد والتصدير بين تجار بابل وتجار الأقطار المجاورة (٩٠).

وكان البابليون يصنعون قطعا من الفضة على أشكال شتى ومنها الشيقل ، كها كان يشيع عندهم (نصف شيقل) وكانوا في بعض

الأحيان يستخدمون ما يدعى بـ « سي » وهو حبة . و في العهد البالي الحديث استخدم المعيار الفضي ، وقد كانت نسبة الفضة الى الذهب فيه محددة بنسب معينة ، ولا شك أن اعتماد العملة القياسية جعل الحساب والاحتساب عملية يسيرة وسهلة ، باعتباره ينطوي على قواعد مقررة وثابتة في التبادل التجاري (١٠٠) . كما أن إدخال الفضة كوسيلة للتبادل التجاري شجع عملى عمليات الاقتراض بسبب إمكان خزن العملة (الفضة) وتداولها ، كما كان له آثار كبيرة وفوائد جمة على تطوير التجارة ، حيث تم توظيف الفضة لدفع قيام السلع جمة على تطوير التجارة ، حيث تم توظيف الفضة لدفع قيام السلع المستوردة والتي كانت تصنع ويعاد تصديرها الى البلدان المجاورة (١١٠) ، وهذا يعني أن السلع المستوردة لا يجري إدخالها كلها في الاقتصاد الداخلي وإنما يعاد تصدير بعضها الى المناطق المجاورة بعد تحويلها الى سلع جاهزة .

٤ ـ التأثير المتبادل بين التطور الحضاري وتطور التجارة
 الخارجية:

كان السهل الرسوبي في العراق يفتقر الى المواد الأولية الضرورية لقيام الحضارة كالمعادن والأحجار والأخشاب ، لذا فقد اضطر سكان وادي الرافدين إلى الحصول على مثل تلك المواد عن طريق التجارة الخارجية ، وأصبحت الفتوحات ترمي بالدرجة الأولى الى السيطرة على الأقاليم الغنية بالمواد الأولية الضرورية لحضارة وادي الرافدين . وهكذا فقد لعبت التجارة دورا بارزا في حضارة العراق القديم وفي مختلف عهوده ، فقد كانت التجارة بالنسبة لبلاد ما بين النهرين مصدرا أساسيا للمواد الأولية التي بدونها كان من الصعب خلق الحضارة الراقية ، إن افتقار ببلاد بابل للمعادن والأحجار والأخشاب الجيدة حتم ضرورة استيراد تلك المواد وغيرها من المواد الأولية من الخارج وبكميات ضخمة . وهذه الخاجة خلقت بدورها حاجة أساسية أخرى وهي ضرورة انتاج سلع زراعية وصناعية جيدة ومرغوبة لغرض تصديرها مقابل استيرادات هذه البلاد (٢٠١) . وفي

⁽٨) و. ل. ديورانت و قصة الحضارة» ترجمة محمد زيدان ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٤ .

W. F. Leemans, Foreign trade in old baby Lonion Periode, Leiden, 1960, p. 130. (%)

⁽٠٠) فؤاد جميل ه لمحات من الحياة الاقتصادية لذي سكان العراق القدامي » ، مجلة الاقتصاد ، العدد السابع ، تموز ١٩٧١ ، ص ٤٨ .

⁽١١) برهان محمد نوري ، المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

⁽١٣) اخلاص مرتضى حسن « دور الدولة في نمط الاقتصاد العراقي القديم وأهميته للنظم الاقتصادية اللاحقة مع اشارة خاصة الى عهد سلالة بابل الأولى » رسالة ماجستير في الاقتصاد ، جامعة بغداد ، كلية الادارة والاقتصاد ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٧١ .

نفس الوقت فان الاهتمام بالزراعة والصناعة أدى الى تطور أعمال البناء والقيام بمشاريع ضخمة وفتح القنوات وتطور الحرف، وهذا بدوره أدى الى زيادة الانتاج الصناعي (الحرفي) والزراعي وهذا النزابد المستمسر في الانتاج المزراعي والصناعي استتبع ضرورة نصدير بعض الناتج الفائض الى الخارج. وهكذا فان التقدم الحضاري في وادي الوافدين أدى الى ازدهار التجارة ، كما أن ازدهار النجارة بدوره أدى الى ضمان موارد اقتصادية مهمة للدولة فاتسع الانتاج وزاد العمران وانتعشت الصناعة .

كذلك ساهبت التجارة في تطوير التعدين في المنطقة ، فقد عثر على زقورة في سلطنة عمان وهي تشير بوضوح الى تواجد عراقي تجاري واستيطان مشروط بوجود معبد مرتفع (الزقورة) لأغراض الاشراف على التعدين ونقل المعادن والنحاس بالذات الى العراق .

٥ ـ ظهور الدولة القوية المركزية :

لقد استلزم ضمان ازدهار التجارة الخارجية ظهور الدولة القرية المركزية ، دولة القطر الموحدة بتوحيد دول المدن القديمة المتضاربة في مصالحها التجارية ، وقد قوى هذا العامل وازدوج معه عامل مهم آخر عمل عبل ظهور أولى أنبظمة الحكم وتبطويرها الى الوجنية السياسية الشاملة . ذلك هو تنظيم شؤون البري والسيطرة عبل الأنهار واقامة مشاريع الري (1) .

وفي عهد جورابي تكونت امبراطورية واسعة ، فاعتنى بضمان السيطرة على الطرق التجارية المهمة بين العراق وسوريا الشمالية وموانى البحر المتوسط وبلاد الأناضول ، وذلك للتوسع الهائل الذي حدث في النشاط التجاري في عهده فقد أصبحت بابل المركز الحقيقي لتجارة الشرق بفضل مركزها الجغرافي الاستراتيجي ، وبفضل توحيد مصالح المدن المختلفة وتطوير وسائل المواصلات ووسائل جماية القوافل والطرق التجارية اذ بلل ملوك بابل اهتماما واسعا لجماية الطرق والقوافل والتجارة إلى درجة أنهم جردوا حملات لتأديب الأقوام والشعوب التي تتعرض للقوافل التجارية وفرضوا عليها العقوبات والغرامات وأخضعوها لسلطانهم وبنوا الحصون والقلاع

العسكرية ، كما عقدوا مع بعض الملوك معاهدات لتوفير النقل وضمان الأمن وتسهيل حركة انتقال السلع والمسافرين ومركز البريد والأخبار ، وأنشأوا نظام البريد لضمان نقل الرسائل .

ثالثا _ أهم الاستيرادات والصادرات وتوزيعها الجغرافي :

يتطلب استكمال دراسة التجارة الخارجية في العهد البابلي معرفة نطاق هذه التجارة بشقيها (الاستيرادات والصادرات) والتوزيع الجغراقي لها .

١ _ الاستيرادات :

تشير المصادر المتوفرة ان استيرادات بلاد الرافدين كانت تتركز في المواد الأولية الطرورية لقيام الحضارة وغير المتوافرة في العراق آنذاك وبخاصة المعادن والأحجار والأخشاب والعيطور والأحجار الكرهة وشبه الكرهة والعاج والأدوية والتوابل ،

لمثلا كان الذهب يستورد من أرمينيا وملوطا (وهي الحبشة أو بلاد النوبة) وكذلك كان يأتي من جزيرة اوتلمونه (البحرين) ولم يكن هذا المعدن الثمين يستعمل كواسطة للتبادل النجاري إلا نادرا ، والما كان يستعمل كحلي للزينة أو على أساس انها قطع نادرة فائت قيمة عالية ، وبالنسبة للفضة فقد كانت تستورد يصورة خاصة من ايران وبلاد الأناضول ، وكانت للفضة أهية فاصة كأحد الوسائل الرئيسية للتداول ، وقد سبق أن بينا أن وحدة العمل وهي الشاقل كانت تصنع من الفضة . وطبقا لقوانين العرض والطلب فان الشاقل كانت تصنع من الفضة . وطبقا لقوانين العرض والطلب فان قيمة الفضة في بلاد بابل كانت دائيا أقل من قيمة الذهب حيث يشار إلى أن نسبة قيمة الذهب الى قيمة الفضة خلال معظم عهود بلاد ما بين النهرين هي (١٠٠٠) .

أما الأخشاب فكانت تستورد كميات كبيرة منها لاستعمالها في الأعبال المختلفة ولصنع السفن وأحيانا كوقود . وكانت تستورد من مناطق مختلفة وذلك حسب نرعية الخشب ، فمثلا أخشاب البلوط والحوز والتنوب كانت تستورد من البلدان الشمالية ، وخشب شجر الأرز كان يستورد من لينان لصنع الأثاث في يابل .

⁽١٣) طه باقر، المصدر السابق، ص ٢٨.

وبعض الأخشاب كانت تستورد من سوسة (الشوش) بواسطة نهر الكارون لغرض صنع السفن التجارية .

وكان البرونز الطبيعي (وهو النحاس المخلوط بالنيكل بصورة طبيعية) يستورد من عمان . وكانت مختلف الأحجار الكريمة وشبه الكريمة تستورد من أفغانستان ولا سيها حجر اللازورد ، وكذلك كان العقيق بأنواعه المختلفة والأصداف واللؤلؤ تستورد من مناطق الخليج العربي ومن الجهات الشمالية الغربية من الهند (أي بلاد السند) .

أما النحاس فقد احتل مكانة مهمة في استيرادات البابليين وكان يستورد من مكان (سلطنة عمان حاليا) ومن ديلمون ، وكذلك كان يستورد من اشور في العصر البابلي القديم والذي كأن يأتي في الأصل من آسيا الصغرى ، وكذلك كان يستورد من ايران ومن سوريا . وكان تجار بلاد ما بين النهرين يقومون بتصنيع النحاس الى سلع مختلفة ثم يعودون ويصدرونها الى البلدان المختلفة (١٤١) . ويبذر أنه كان هناك تجار متخصصون في المتاجرة بالنحاس ومنتجاته في بلاد بابل حيث تشير الوثائق التاريخية الى واحد من أشهر تجار النجاس العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقية للعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقية للعراقية للعراقية للعراقية للعروف به ﴿ أيا _ ناصر العراقية للعراقية للعراقية

وكانت تستورد مختلف أنواع العطور من مختلف بلدان البحر المتوسط وبخاصة من جزيرة كريت وكذلك كانت تستورد كميات كبيرة من الصمغ والزيوت اذ أن الطلب على هذه المواد كان متزايدا في بلاد الرافدين نظرا للأغراض المتعددة التي كانت تستخدم فيها تلك المواد . أما العاج فقد كان يستورد اما من القارة الهندية أو من أفريقيا الشرقية ومن الحبشة وكينيا . وقد عثر على العاج بشكل طيور وفواكه . وكان القصدير يستورد بصورة خاصة من ايران وبلاد القفقاس وأوربا .

الى جانب هذه العمليات فقد ازدهرت في بلاد بابل أيضا تجارة

العبيد حيث يوجد تجار متخصصين بتجارة العبيد، وتشير شريعة حورابي بشكل وأضح الى هذه التجارة.

٢ ـ الصادرات:

مثلها كان قطاع الاستيراد مزدهرا كان كذلك قطاع التصدير متطورا أيضا حيث كانت بلاد الرافدين تصدر مختلف السلع الزراعية والمصنوعات النحاسية والسلع النسيجية وفي أدناه أهم الصادرات والأقاليم التي يتم التصدير اليها:

السلع الزراعية: وتضم الشعير والزيبوت النباتية والصوف والتمور وهذه المواد كانت تصدر الى أقليم عبلام في ايران بواسطة السفن عن طريق تهر الكارون وكذلك تصدر الى مكان (عمان) في الحليج العربي وألى ديلمون (البحرين). وكانت السلع الزراعية ال مراكز الخليج العربي بكميات كبيرة للحاجة الفعلية لهذه المواد في منطقة الخليج بسبب ظروفها المناخية شبه الصحراوية وضعف انتاجها الزراعي بعكس ما هو عليه الحال في بلاد الرافدين التي كانت متقدمة زراعيا، وكان هناك اهتماما واضحا بالزراعة واقامة السدود وشبكات الرى.

وحيث أن تصدير السلع الزراعية الى منطقة الخليج كان يتطلب من هذه المنطقة اطفاء قيمة استيراداتها من العراق لذا نجدها تصدر اليه النحاس والأخشاب والأحجار وبضمنها أنواع الأحجار الكريمة كها ذكرنا ونعتقد أن هذا يعطينا دليلا كافيا للقول بأن التكامل الاقتصادي قد شهد أعلى مستوياته بين العراق وبين الخليج العربي ألها العربي الع

السلع المصنعة: وتضم الألبسة الجاهزة والمنسوجات التي كانت تصنع بكميات كبيرة في منطقة بابل، وكانت الأقمشة تصبغ وتطرز بمهارة جعلتها من أثمن السلع التي تصدرها بابل إلى الخارج والتي وصفها كتاب اليونان والرومان أحسن وصف وأثنوا عليها أجمل ثناء (١٦١).

⁽١٤) وهذا يشير الى تقدم بلاد بابل أنذاك فهي تقوم بدور مشابه للدور الذي تقوم به الدول الصناعية المتقدمة الآن حيث تقوم باستيراد المواد الأولية من الدول النامية ثم تصنعها وتعيد تصديرها الى هذه الدول بأسعار مرتفعة قياساً الى اسعار المواد الأولية المستوردة .

⁽١٥) الدكتور رضا جواد الهاشمي « المقومات الاقتصادية لمجتمع الخليج العربي القديم » مجلة النفط والتنمية ، السنة السادسة , نيسان ـ مارس , ١٩٨١ ، ص ٨٤ .

⁽١٦) ولى ديورانت و قصته الحضارة ، مصدر سابق ، ص ٢٠٢.

ومعظم الألبسة الجاهزة كانت تصدر الى مكان «عمان» والى ديلمون (البحرين) كما كانت تصدر الى قطنا في سوريا . كذلك كان يتم تصدير السلع المصنعة الأخرى كالمصنوعات النحاسية ، وكزيت الأرز وزيت الصنوبر الذي كان يصدر الى الأقاليم الغربية ، على أن بعض هذه السلع كانت قد استوردت في الأصل كمواد أولية ثم جرى تصنيعها من أجل التصدير . وهذا كانت هذه الصناعات مع صناعة النسيج تدر أرباحا طائلة للدولة .

ومن الصناعات المهمة أيضا صناعة الجلود والخمور بأنواعها المستخلصة من التمور والكروم وكان يتم تصدير بعضها . اضافة الى ما تقدم فقد كان يتم تصدير بعض الصناعات السدوية الدقيقة كالأختام الاسطوانية وبعض الأواني والأدوات الفخارية والمعدنية .

السلع المعدنية: كان البابليون يصدرون بعض السلع المعدنية وبكميات كبيرة ومن هذه السلع القصدير الذي كان يصدر البي مختلف الأقاليم في أشور والأناضول وشمال سورية التي كانت غنية بالنحاس وتحتاج الى التصدير من أجل صنع البرونز.

وهكذا يلاحظ أن قطاع التصدير كان متطوراً أيضاً مثل ما هو عليه الحال بالنسبة الى قطاع الاستيراد ، ولا شك أن حاجة البلاديالى السلع غير المتوافرة فيها وبالتالي ضرورة استيرادها من الخارج كانت دافعا لايجاد الصادرات الملائمة لسدقيم الاستيرادات . ومن الجدير بالذكر أن العراقيين القدماء قاموا بدور الوسيط في استيراد بعض السلع من مناطق توفرها ومن ثم تصديرها الى مناطق أخرى بهيئتها الأصلية (اعادة التصدير) أو بعد تصنيعها كها ذكرنا .

رابعا _ تنظيم التجارة الخارجية :

لأهبية التجارة الخارجية في العهد البابلي فقد اهتمت الدولة بتنظيمها ووضعت التشريعات المختلفة لذلك، هذا وان التجارة الخارجية كانت محتكرة تقريبا من قبل الدولة في عهد سلالة اور الثالثة به وقد كان هناك موظفون حكوميون يقومون بالنشاطات التجارية من استيراد وتصدير(١٧٠). حيث تشير الوثائق التاريخية الى

أن العديد من التجار كانوا مستخدمين لدى الدولة والمعابد في ذلك العهد (١٨). كما كان هناك في نفس العهد تجار يعملون لحسابهم الحاص (قطاع تجاري خاص) ، ولكن الدولة كانت تحصل على الدولة الكبرى من الفائض الاقتصادي المتحقق من القطاع التجاري وكانت تقوم باعادة توزيع هذا الفائض بنفسها أيضا .

وقد شهد العصر البابلي القديم انتقالا تدريجيا للسيطرة على التجارة الخارجية من الدولة الى الأفراد الذين بدأوا باستثمار ما متراكم لديهم من رؤوس أموال في مجال التجارة الخارجية ، الا أن ذلك لا يعني أن الدولة قد تخلت نهائيا عن دورها في القطاع التجاري بل ظل جزءا كبيرا منه تحت سيطرتها ، وقد عادت الدولة الى احتكار التجارة الخارجية بصورة شبه تامة في عهد حورابي ، ويشير في هذا الصدد الأستاذ «ليمانز» الى أنه لم يعد هناك في عهد حورابي تجار أغنياء كبار ولم يبق سوى تجار صغار قلائل لا يتجاوز عددهم العشرين في كل البلاد (١٩٠٠). وهكذا فان التجارة الخارجية كانت العشرين في كل البلاد (١٩٠١). وهكذا فان التجارة الخارجية كانت العشرين في كل البلاد (١٩٠١). وهكذا فان التجارة الخارجية كانت العشرين في كل البلاد (١٩٠٤).

اضافة إلى ما تقدم فقد كانت الدولة تعقد اتفاقيات ومعاهدات عجارية مع الدول الأخرى لضمان جماية حركة التجارة وكان للدولة موظفون مختصون بتنظيم الشؤون والعلاقات التجارية في البلاد ، كما كان هناك نقابات يشرف عليها حكوميون مما يمكن أن يعتبر دليلا على ادارة الدولة للقطاع التجاري .

كذلك كانت الدولة تحصل على جزء من الفائض الاقتصادي المتحقق في القطاع التجاري الخاص من خلال فرضها الضرائب والرسوم الجمركية المفروضة على التجار ومن خلال ضريبة العشر المعايد.

وكذلك على اهتمام الدولة بالتجارة الخارجية والاتصالات التجارية أنه كان لكل مدينة مهمة من العراق القديم ميناء كبير على النهـ . وكان المينـاء من أهم أجزاء المـدينة . وكـانت هناك أيضــا

W. W. Hallo and W. K. Simpson: The Ancient Near Fast, a History (Noy. 1971) p. 82N

W. F. Leemans, THE AD/Baby Louisn marchant, His busines and his Social Position, Leiden, 1950, p. 42. (\\)

Leemans, op. cit, p. 122. (\^)

مستعمرات تجارية في مناطق متعددة خارج العراق ، فلقد عثر على المستعمرات التي يطلق على الواحدة منها اسم (الكارم) أو (الكار) وهي مستعمرات تجارية تقوم بتنظيم عملية التجارة والمقايضة بين المدينة الأجنبية المضيفة وبين الميعثة التجارية . كها مارس العراقيون القدماء التجارة عن طريق عقود العمولة أو تعيين وكلاء ، حيث اذا لم يستطع التاجر الحضور بنفسه لبيع صفقته في مكان يختار وكيلا يحدد له كتابة مهمته ويجوله سلطة تحرير العقد وتثبيته بقسم .

أما فيها يخص التجارة مع الأقاليم البعيدة فان بعض التجار كان يكون نوعا من شركة المساهمة وكان يعهد ببلغ من المال لاستثماره تجاريا أو يسلم بضائعه لبيعها الى مرتحل تجاري يضع تحت تصرفه مواهبه وتجاربه ومهارته (٢١). وقد كان عقد الشركة معروفا لدى البابليين. وان الشركاء لم يكن يتحتم عليهم أن يكون أساس اشتراكهم رأس مال نقدي ، بل كثيرا ما كان هدفهم اقتراض المبلغ الملازم لتنفيذ مشروعاتهم مع تعهدهم متضامنين بالسداد ، وفي حالة حل الشركة كانت الأرباح والخسائر تقسم تبعا للأنصبة المتفق عليها وقت انشاء الشركة ، وتكون التصفية عامة وتتضمن جميع صافي الشركة ، وكان اعلان ذلك يتم أمام السلطة القضائية.

وهكذا يتضح أن السابليين اهتموا يتنظيم وادارة الشركات التجارية ، وانهم استخدموا بعض طرق استثمار رؤوس الأموال وانهم عرفوا كيف يوظفونها في شركة المضاربة عن طريق توسيط العملاء في الخارج ، وعن طريق انشاء المراكز التجارية وقد دلت الألواح التي تم العثور عليها هناك أن ثمة وثائق ورسائل تجارية تشير الى ادارة التجارة وتنظيم العلاقات التجارية وحركة القوافل وطرق السفر وتنظم عمليات التبادل وتنظم معاملات التمويل وطرق الحوالات التي كانت تتوسط المبادلات التجارية فتسهل علمل التحويل والرسائل المحولة مبالغ الأموال المنقولة فيها.

كما يلاحظ أن البابلين استخدموا المراسلات التجارية التي ظهرت بشكل ألواح من الطين تنقل عن طريق القوافل والبريد. وكانت تتضمن هذه المراسلات الرسائل التجارية والمستندات والوثائق المتعلقة بالتجارة مكتوبة بالخط المسماري وموقعية بالأختام الاسطوانية. ولقد استخدمت هذه الرسائل الخطية للبلالة على تسلم البضائع كها ظهرت بشكل حوالات ورسائل اعتماد بمنزلة صكوك الائتمان لدينا (۲۲).

ومن الجدير بالذكر أن التنظيم التجاري الذي سلكه سكان العراق القدامى كان له التأثير الكبير في الشعوب التي قدر لها أن تتعامل معهم من أمثال العبرانيين والاراميين كمعاملات البييع والشراء والمقاييس والمكاييل وقواعد التعاقد التجاري، ولا أدل من الاهتمام يالقطاع التجاري آنذاك والارتقاء به من قوانينه فشريعة حورابي احتوت على (۱۲) مادة من مجموع موادها البالغة (۲۸۲) خاصة بالقطاع التجاري. حيث نظمت شريعة حمورابي هذا القطاع خاصة بالقطاع التجاري. حيث نظمت شريعة حمورابي هذا القطاع ألتجارية وأجور الجزن وكالعقيوة

فقد اشترطت شريعة حموراي، مثلا بضرورة تنظيم عقيويه رضعية بين التيخلو وبين من يتعاملون معهم في مختلف المعاملون التجارية والا فقد كان يعتبر باطلا قانونا أي اتفاق تجاري غير مدعم بعقد رسمي وشهود (۲۲).

وفيها يخص نظام المشاركة التجارية نصت شريعة جورايي على أنه اذا قدم شخص ما نقودا لآخر على سبيل المشاركة فعليهما اعلان أرباحهما وخسائرهما أمام الاله واقتسامها بالتساري. واذا قدم تاجر نقودا الى وكيله للمتاجرة بها في رحلة تجارية على الوكيل استغمار تلك النقود فاذا حقق ذلك الوكيل ربحا عليه تدوين كل ذلك في سجلات خاصة يحتفظ بها. وان لم يحقق ربحا في رحلته فعليه أن يدفع للتاجر ضعف مبلغ النقود التي استلمها منه (٢٤٠). أما إذا حقق

⁽٢٠) نلاحظ هنا أن مصطلحKarum » أوKarum » هو نفس المصطلح المستخدم اليوم في عبارة الكار أو صاحب كار بمعنى صاحب مصلحة أو تجارة.

انظر: الدكتور مؤيد سعيد « مظاهر التنمية في عالم البوم والمؤشرات حول التنمية عبر التاريخ » مجلة النفط والتنمية ، السنة السادسة ، ١٩٨١ ، ص ٠ ﴿ .

⁽۲۱) ل. دیلابورث ، مصدر سابق ، ص ۱۲۹ .

⁽٢٢) الدكتور محمد على رضا الجاسم ، مصدر سايق ، ص ٢٨_ ٢٩ .

G. R. Driver and J. C. Miles (EDS), The Babylonion Laws, Vol I. Leganl Commentary, OXFORD, Clarendon Press, 1968, p. 234-235. (٢٣) نعتقد هنا أن المقصود هو ضياع فرصة المربع بسبب الاهمال أو عدم الأمانة في العمل ولا يقصد بذلك انه قد حقق خسارة.

غيبارة فعليه اعادة المال الذي استلمه من التاجر كاملا. واذا كان قد سبلب منه قطاع الطرق كل ما يحمله معه أثناء رحلته عليه أن يقسم بذلك أمام الاله وبذلك يتخلص من المسؤولية.

واذا قدم أحد التجار سلعا كالحبوب أو الصوف بدلا من النقود الي الوكيل للمتاجرة بها فعل الوكيل تسجيل أثمانها في سجلاته

ودفع تلك المبالغ الى التاجر مع استلام وصل مختوما عما سلمه فانه يتحمل مسؤولية المبالغ التي لم يستحصل بها وصلا .

مما تقدم يلاحظ أن العمليات التجارية في تاريخنا القديم قد نظمت بشكل قريب عها هو سائد في عصرنا هذا على الرغم من التطور الذي حصل على الشؤون التجارية والمصرفية حالياً.



الخاتمة

لعبت التجارة الخارجية دورا مهها في الاقتصاد العراقي القديم وبخاصة في العهد البابلي ، فقد أظهرت تنقيبات علماء الآثار أن سهل وادي الرافدين السفلي أو ما يسمى بمنطقة ببابل ببأنه كمان غنيا بالمنتجات الزراعية وفقيرا بالمعادن والأحجار الشمينة والأخشاب والعطور والتوابل ، مما شجع على قيام التجارة الخارجية ، اضافة الى توفر المواصلات البرية والنهرية وما يتميز فيمه العراق من موقع جغرافي استراتيجي حيوي حيث يتوسط بلدان البحر المتوسط ذات الحضارات العريقة وبلدان الخليج العربي وما وراءها من بلدان الشرق الأقصى .

ولأهية التجارة الخارجية في الاقتصاد العراقي المذاك اهتمت الدولة بتنظيمها ووضعت التشريعات المختلفة لذلك وعملت على حمايتها وازدهارها اضافة الى التدخل المباشر فيها حَيْثُ كَانَ هناك موظفون حكوميون يقومون بالنشاطات التجارية من استبراد وتصدير، مما يشير الى أن العصر البابلي القديم كان يحمل في بعض

جوانبه النهج الاشتراكي ومشاركة الدولة في النشاط الاقتصادي والتجارة الخارجية بشكل خاص .

1,47

j 😽

ان المتفحص لتجارة العراق الخارجية قنيا يلاحظ أوجه الشبه بتجارة العراق حديثا، حيث أن السلع الزراعية كانت تشكل معظم الصادرات العراقية والسلع المصنعة الزراعية والمعدنية المستوردة، ويلاحظ وجه التشابه من درجة اهتمام الدولة بهذه التجارة فكها هو الحال عليه الآن في العراق اهتم العراقيون القدماء بتنظيم التجارة الحارجية وكها أن التاجر كان يقوم بمعاملات تجارية تشابه المعاملات التي يقوم بها التاجر في الوقت الحاضر فهو اضافة الى كونه يقوم ببيع وشراء السلع التي يتعامل بها كان وكيلا للحكومة في بعض الصفقات التجارية وشريكا للعديد من الباعة ومحولا للبعض الآخر، اضافة الى أن تسوية الديون المترتبة على العملاء كانت تتم بوسائل التأن من سندات وحوالات مالية وصكوك، مشابهة لما هو مستعمل الآن من سندات وحوالات مالية وصكوك، استخدم الورق. وكانت المعادن قديما وسيلة قياسية لتقوم مقام استخدم الورق. وكانت المعادن قديما وسيلة قياسية لتقوم مقام التقود كها هو سائد في وقتنا الحاضر.

المصادر

١ ـ الدكتور محمد على رضا الجاسم « الائتمان والصيرفة في العراق القديم » مطبعة دار التضامن ، بغداد ، ١٩٦٤ .

٢ ـ برهان محمد نوري « تجارة العراق الخارجية في العصر البابلي القديم » مجلة النفط والتنمية / السنة السادسة / نيسان ـ مارس
 ١٩٨١ » .

٣ ـ الدكتور فاضل عبدالواحد والدكتور عامر سليمان « عادات وتقاليد الشعوب القديمة » بغداد ١٩٧٩ .

الدكتور طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الأول منشورات دار البيان / مطبعة الحوادث / بغداد ١٩٧٣ .

٥ ـ الدكتور فوزي رشيد « وسائط النقل المائية والبرية في العراق القديم » مجلة النفط والتنمية / السنة السادسة ، نيسان ـ مارس ١٩٨١ .

٦ ـ ول . ديورانت « قصة الحضارة » ترجمة محمد زيدان ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ ، الجزء الثاني .

٧ ـ فؤاد جميل « لمحات في الحياة الاقتصادية لدى سكان العراق
 القدامى » مجلة الاقتصاد ، العدد السابع ، تموز ١٩٧١ .

٨ _ إخلاص مرتضى حسن «دور الدولة في نمط الاقتصاد العراقي القديم وأهيته للنظم الاقتصادية اللاحقة مع اشارة خاصة الى عهد سلالة بابل الأولى » رسالة ماجستير في الاقتصاد ، جامعة بغداد ، كلية الادارة والاقتصاد ١٩٧٧ .

٩ ـ الدكتور رضا جواد الهاشمي « المقومات الاقتصادية لمجتمع الخليج العربي القديم » مجلة النفط والتنمية ، السنة السادسة ، نيسان ـ مارس ١٩٨١ .

١٠ ـ الدكتور مؤيد سعيد «مظاهر التنمية في عالم اليوم والمؤشرات حول العالم عبر التاريخ» مجلة النفط والتنمية، السنة السادسة ١٩٨٨.

11. W.F. Leemans, Foreign trade in old babylonion periods, Leiden, 1960.

12. W.W. Hallo and W.K. Simpson: The Ancient Near East, a History (Noy. 1971).

13. W.F. Leemans the old-BabyLonion His Business and his Sociail position Leidenm 95.



بحوث تازیخیت مترجمت

نحن لا ننسخ الماضي ولا نستنسخ عن الماضي وإنما نستلهم روحه بصيغة جديدة من التطور .

مدرسة ابن الجوزى في التدوين التأريخي

بقلم المستشرق المجري J. Somogyi ترجمة: د . جزيل عبد الجبار الجومرد كلية التربية ـ جامعة الموصل

بدأ علم التاريخ العربي مع تسجيل وجمع المعلومات عن بدايات الإسلام. وقد تركز الاهتمام الإسلامي بشكل رئيسي على موضوعين اثنين: ترجمة حياة الرسول محمد (ص) ـ سيرة الرسول مم الحروب الأولى للإسلام ـ المغازي. ودراسة كلا هذين الموضوعين بدأت في فترة مبكرة، فترة الأمويين الأوائل، وازدهرت بشكل متكامل في المناخ الديني لدى العباسيين.

شكّل الحديث معلومات كلا الموضوعين التاريخيين. كل جزء مفرد منه كان له إسناد _ يرجع في أصله إلى المخبّر الأول به ، والذي كان قد حصل عليه من تجربته الخاصة المباشرة . ومن هنا . فلا عجب أن كل مجموعة حديث ضخمة لها فصول خاصة في كل من الموضوعين ، والمغازي . وظهرت فيها بعد أعمال مستقلة في كل من الموضوعين ، بعد تأليف العناصر المفردة المختلفة للمعلومات التي لها صلة بهذه المواضيع . وقد كان الرمز والأنموذج لأدب السيرة هو عمل ابن هشام المواضيع . وقد كان الرمز والأنموذج لأدب السيرة هو عمل ابن هشام عمل الواقدى (ت ٢٠١/ ٢٠٧) .

هذه الأعمال خاصة أدت إلى ظهور طريقتين مختلفتين في علم التدوين التاريخي . فمن ناحية ، تطور أدب السيرة أولاً الى كتابة حياة صحابة الرسول ، ومن بعد إلى كتابة سير كل الشخصيات المهمة في التاريخ الإسلامي . ومن الناحية الأخرى ، فإن أدب المغازي تطور إلى السجل الحولي للأحداث . وهكذا ، فبالرجوع إلى فترة الأدب العربي لما بعد الكلاسيكية نجد أن هذين النمطين من التدوين التاريخي لم يعد لها ميادين خاصة واضحة التعريف .

وأعمال التاريخ العام، ككتاب ـ تاريخ الرسل والملوك ـ الكلاسيكي للطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، رغم احتفاظها بشكلها الحولي، فإن مادتها أيضاً قسمت إلى فصول طبقاً لفترات حكم الحكام، وفي حالات كثيرة، فإنها لا تحوي أكثر من التاريخ السلالي. ثم مرة أخرى، مجاميع التراجم المتعددة، والتي كان نموذجها كتاب الطبقات الكبير لابن سعد الزهري (ت ٢٣٠/ ٨٤٤) يحوي قدراً طيهاً من المادة التاريخية أيضاً.

ولمع طرور الزمن ، وبشكل مواز لهذين النمطين من التدوين التاريخي ، فإن غطأ ثالثاً ، هو إلى حدٍ ما مزيج من النمطين السابقين ، ظهر إلى الوجود . وكنتيجة للانتشار الجغرافي للإسلام ، فإن عدداً متزايداً من الدراسات الإقليمية أو المدينية كانت قد أنجزت لغرض تضمين تراجم كل العلماء والمشاهير الذين إما حيوا من قبل المدينة المعنية أو شغلوا منصباً وظيفياً فيها في عمل واحد . وبالطبع فإن هذا النمط الممتزج من التدوين التاريخي بدأ بتاريخ مكة . ولكنه امتد لاحقاً وبالتدريج إلى كل إقليم وبالخصوص إلى كل مدينة ذات أهمية . وخير الشواهد المعروفة جيداً لهذا النمط من التراث الدراسي هو ـ تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي (ت ٢٩٦/ ١٠٧٠) وتاريخ مدينة دمشق ـ لابن عساكر (ت ١٩٥/ ١١٧٥) .

وخلال الفترة الأخيرة من الحلافة العباسية برزت الحاجة إلى أعمال أكثر حداثة في التاريخ العام بالإضافة إلى تأليف أخرى إضافية في التراجم وبالنظر للمكانة الموثوقة لكتاب الطبري في تاريخ

⁽١) انظر بحثاً للكاتب بعنوان : « كتاب المنتظم لابن الجوزي » [بالاتكليزية] في الدورية البريطانيةJournal of the Royal Asiatic Society, London عدد سنة

القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام، فإنه لم يحصل إلا تلخيصه أو الإنسارة إليه عند الحديث عن هذه الفترة من قبل المؤرخين اللاحقين. وأكثر هؤلاء شهرة هو ابن الأثير (ت ١٣٣٠/ ١٣٣٠)، والذي احتوى في كتابه - الكامل في التاريخ - عمل الطبري لتاريخ ما يتجاوز الثلاثة قرون، ولذلك، فإن هذين العملين، سوية، هما مصدرينا الأكثر ثقة عن التساريخ العمام للقرون الستة الأولى للإسلام. ومن جهة أخرى، فإن أصغر المعاصرين لابن الأثير، وهم القفيطي (ت ١٤٦٢/ ١٢٤٨) مؤلف - تاريخ الحكاء - وابن أبي أصيبعة مؤلف كتاب - عيون الآنباء في طبقات الأطباء - ألفا مجاميع أصيبعة مؤلف كتاب - عيون الآنباء في طبقات الأطباء - ألفا مجاميع تراجم مفيدة، بقيت حتى وقتنا الحاضر، مصادر من الدرجة الأولى في تاريخ العلم للعصور الإسلامية.

ابن الجوزي وحفيده

منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي فصاعداً اتبع التأليف أكثر فأكثر الطريقة الغالبة في كل مجالات الكتابة العلب العربية . وتزايد عدد الموسوعيين بشكل سريع . لقد كتبوا التآليف الضخمة المتعددة الأجزاء في كل قرع من فروع المعرفة في عصرهم . وفي مجال التدوين التاريخي فإنهم أنشأوا طريقة جديدة في العرض . وذلك لجمع التاريخ العام والتراجم التاريخية في عمل واحد . ورائد هذه الطريقة الجديدة في التأريخ هو البغدادي المتنوع الثقافة ، والموسوعي ابن الجوزي (٢) (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) . من بين العدد الكبير من أعماله فإن أكثرها أهمية دون شك ، هو كتابه ـ المنتظم وملتقط الملتزم في أخبار الملوك والأمم . يتكون هذا الكتاب من ستة وملتقط الملتزم في أخبار الملوك والأمم . يتكون هذا الكتاب من ستة عشر مجلداً ، ويحتوي التاريخ الإسلامي العام مع التراجم التاريخية حتى سنة تتكون من التراجم التاريخية تتكون من

ملاحظات تتأبينية للشخصيات ذات الأهيسة والتي تعوفيت في السنوات موضوعة الحديث^(٢)،

ويشكمل عام ، فمان عرض الشاريخ العمام أقصر بكفير من الملاحظات التأبيئية مجتمعة في السنوات المعينة ، وبالنسبة للقرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام ، فإن كتاب ابن الجوزي ليس إلَّ مختصراً متماسكاً لحوليات الطبري . وحق بالنسبة للفترة المتماطرة فإنه يمكن استخدامه فقط سويةٌ مع كتاب _ الكامل في القاريخ _ لابن الأثير من أجل الحصول على مسح موثوق ومتكامل للتازيخ الإسلامي . وعلى أيسة حال ، نسإن ابن الجوزي أكثر تفصيلًا من سابقيه في نقطتين اثنتين إحداهما في الملاحظات المتعلقة بشرابم الخلفاء ، والتي أدخلت في سجل حوادث سنوات حكمهم والأخري لي التاريخ الإداري للخلافة بشكل عام. ولإقليم العراق بشكل خاص. إن ملاحظات التأبين الملحقة بالروايسة الناريخيسة العامية للسنوات العديدة أكثر تفصيلًا من تسجيلاته للتاريخ العام نفسه. وَعِدْهُ المَلاحظات تحمل عنوان ـ ذكر من تسويلي في هذه السنسة من الأكابر. إن هذه الملاحظات تشتمل على تراجم أنواع شق من الناس ، خِلْفَاء ، موظفین كبار ، علماء ، زمّاه . وقد جمعت تراجم ابن الْجُورَي بَشْكُل بالغ الاعتناء، وأُصَّلت بطريقة يصعب معها على القارىء أن يبعد عن نفسه الانطباع بأن مؤلفها كان غرضه كتابة تاريخ تراجم للخلافة (٤).

لقد إعتبر كتاب المنتظم لابن الجوزي عملاً معيارياً في التاريخ العام والسير التاريخية من قبل العديد من المؤلفين اللاحقين الذبن تبنوا طريقته في جمع الرواية التاريخية ومادة الوفيات في نفس المصنف.

أُشر ابن الجوزي في حفيده سبط ابن الجيوزي (ت ١٥٤هـ/ ١٢٦٧م) قبل أي شخص ِ آخر . فقد اقتفى السبط طريقة جده في

⁽٢) فيها يختص بحياته وتحليل مفصل لعمله انظر بحث الكاتب المشار اليه في الهامش السابق ، من ص ٤٩_٧١.

⁽٣) جزء ــ ٥ ــ القسم الثاني ــ الى الجزء العاشر طبعت سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م . من قبل دار الطباعة العثمانية ، حيدر آباد ، فهرست بالأسهاء لهذه الأجزاء نشر من قبل نفس الدار في سنة ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م .

⁽٤) ف. روز نثال ، A History of Muslim Historiography" F. Rosenthal " طبع في لايدن ، ١٩٥٧ ، ص ١٧٤

روزنثال في كتابه هذا يحمل فكرة ان «كتاب_المنتظم_ في الحقيقة وصل أسفل مستوى للتدوين التاريخي العربي يمكن أن يصله أي ممثل لهذا الحقل » من وجهة نظري [الكاتب] : القيمة الحقيقية لكتاب المنتظم هي في تراجمة التاريخية الفنية والتي جمعت بدقة واعتناه ، والتي يمكن اشتقاق حجم كبير من المعلومات المهمة للاستفادة منها في التاريخ العام أيضاً .

كتابة _ مرآة الزمان _ الذي جاء في أربعين مجلداً (٥). وبهذا العمل فقد أكمل كتاب _ المنتظم _ حتى سنة وفاته ، ووسعه بمواد اضافية غالباً ما كانت قد أهملت من قبل جده ، وسبط ابن الجوزي أكثر تقصيلاً من جده في الجزء المتعلق بما قبل الإسسلام من كتاب أما حب الاستطلاع الثقافي لديه فيمكن مقارنته بعب الاستطلاع الثقافي لدى المسعودي . وفيها مختص بالحسوليات الاسلامية فإن _ مرآة الزمان _ أكثر امتلاء من _ منتظم _ ابن الجوزي (١). ويتضع بأن الخصص السبط هو التاريخ المعلي السوري ، وخاصة تاريخ دمشق .

وهناك معاصر أقدم لسبط ابن الجوزي، وهو محمد بن أحد القادسي (ت ١٣٣هـ/ ١٣٣٥م)، والذي اقتبس منه القفطي في كتاب ـ المنتظم ـ كتابه ـ تاريخ الحكياء ـ إن محمداً هذا كان قد تمم كتاب ـ المنتظم ـ لابن الجوزي إلى أحداث سنة ٦٦هـ/ ١٢٢٠م (٧). ولكن يبدو أن هذا العمل التاريخي قد ضاع.

إن النظام الذي وضعه ابن الجوزي في كتابه _ المنتظم _ تبناه مؤرخون مشاهير من أمثال الذهبي (ت ٤٨هـ/ ١٩٤٧م) في كتابه _ تاريخ الإسلام (٨)، والكتبي (ت ٤٧١هـ/ ١٣٦٣م) في كتابه عيون التواريخ ، ثم ابن تغري بردي (ت ٤٧٨هـ/ ١٩٤٨م) في كتابه _ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . كل هذه الأعمال هي مؤلفات في السير ، بشكل يغلب حتى على كتاب _ المنتظم _ والتي غالباً ما يلحق بها مسوحات تاريخية عامة غير مجزية وفي الكثير من غالباً ما يلحق بها مسوحات تاريخية عامة غير مجزية وفي الكثير من المناسبات متحيزة ، وهي مفصلة فقط في الفترات التي سبقت حياة هؤلاء المؤلفين .

وعلى أية حال ، فبالإضافة إلى هذه الأسياء المعروفة جيداً ، كان ابن الساعي الذي تابع ابن الجوزي ، وإن كان غير واسع الشهرة عموماً . وهو أحد علماء بغداد ، مدينة ابن الجوزي ، والذي كان قد ولد لست سنوات سبقت وفاة مؤلف كتاب المنتظم .

ابن الساعي

هو الشيخ تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب بن الساعي الخازن البغدادي (٩). ولد في بغداد سنة ١٩٩هـ/ ١١٩٧م. وما نعرفه عن حياته ضئيل جداً. ويبدو أنه قضى معظم حياته في مدينته الأم يغداد _ وكان أميناً لمكتبة المدرسة المستنصرية، وقد توفي في علاه ما ١٢٧٦م عن واحد وثمانين عاماً. وقد كان مؤرخاً وقاضياً شافعياً، درس على ابن النجار (ت ١٤٣هـ/ ١٢٤٦م) وعلى علماء بغداديين آخرين.

لقد اعتبر ابن الساعي مؤرخاً ثقةً من قبل كل الذين ترجوا له . ولهذا فإنه مما يؤسف له حقاً أن كل أعمال ابن الساعي (١٠٠)، ما عدا واحداً فقط ، قد ضاعت . والمستثنى هنا هو مجلد واحد مما يبدو أنه أهم أعماله وذلك هو المجلد التاسع من كتابه _ الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير ، وهو عمل في التاريخ العام . اكتشف هذا العمل سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٤م من قبل مصطفى جواد والأب أنستاس ماري الكرملي من دير القديس إيلي St.Elie ، وقد حققاه ونشراه في بغداد في نفس السنة بواسطة المطبعة السريانية الكاثوليكية (١١).

 ⁽٥) قسمة الأخير يمتد إلى سنة ١٤٥هـ من سنة ١٩٥هـ ، وقد نشر كمصور عن المخطوط رقم ١٣٦٠ في مجموعة لاندبيرغ والعائدة الى جامعة بيل Yale University من قبل ج. د. جيويت G. R. Jewett . في شيكاغو ، ١٩٠٧م .

⁽٦) انظر ف. روزنثال ، المصدر السابق ، من ص ١٢٦_ ١٢٧.

⁽٧) نفس المصدر ، ص ٧٣.

⁽٨) أنظر بحثاً للكاتب بعنوان « تاريخ الاسلام للذهبي » [بالانكليزية] في الدورية البريطانية .

[:] G. Sarton "Introduction to the History of الجزء الثالث ، بالتيمور Journal of the Royal Asiatic Society London . وانظر أيضاً ف. روزنثال ، المصدر السابق ، من ص ١٣٠_١٣٠ . وانظر أيضاً ف. روزنثال ، المصدر السابق ، من ص ١٣٠_١٣٠ .

⁽٩) عن حياته انظر « الجامع المختصر » نشر د. مصطفى جواد والأب أنستاس ماري الكرملي ، بغداد ١٩٣٤ ، ص ت ... ن من المقدمة . انظر أيضاً : ك. بروكلمان ص ١٩٠٠ من المقدمة . انظر أيضاً : ك. بروكلمان ص ١٩٠٠ من المقدمة . انظر أيضاً : ك. بروكلمان ص ١٩٠ ـ ٥٩١ .

وانظر أيضاً؛ ف. روزنثال ، المصدر السابق ، من ص ٥١ _ ٥٢ .

⁽١٠) الجامع المختصر ، المصدر السابق ، إشارة الناشر ، من ص. ذ ـ ف.

⁽١١) نفس المصدر ، من ص. ژ ـ و .

إن عنوان الكتاب يشير وبشكل بارز إلى أن ابن الساعى تتبع الطريقة التي كان ابن الجوزي قد تبناها في كتاب المنتظم عن كثب. لقد كتب « مؤلفاً مختصراً بعنوان التاريخ » وذلك هو تسجيل للتاريخ العام و « التراجم الكبرى » وهو تدوين لوفيات الأشخاص ذوي الأهمية والذي حصلت وفاتهم في السنوات المحددة . وكما فعل ابن الجوزي من قبل ، فإن ابن الساعى قسم عمله إلى فصول تتعلق بالسنوات على التوالي ، ثم قسم كل فصل إلى ـ حوادث السنة وذكر من ترفي في هذه السنة من الأعيان . وتشبه صياغة العناوين القرعية ، في كتاب ابن الساعي تلك التي توجد في كتاب _ المنتظم _ لابن الجوزي .

وابن الساعي، كابن الجوزي، يسجل الأحداث السياسية الأكثر أهمية ، والتغيرات الطارئة على الوظائف العليا في بغداد ، والطواعين العظمى ، والأسعار المرتفعة التي تلت ، ثم تعداد المشهور من الرجال ممن أدى فريضة الحج في تلك السنة . ولكن بخلاف ابن الجوزي، فإن ابن الساعي قليل الشعبور بالمسؤولية من حيث الاقتباس من مصادره فيها يتعلق بالتاريخ العام . ويتبدى الشعور الكامل بالمسؤولية تجاه ذكر الوفيات.

وطبقاً لمعظم مصادرنا(١٠٢)، فإن هذا العمل لابن الساعى يتألف من (٢٥ مجلداً) ، ويمتد في مادته إلى أخبار سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ، وهي بالضبط السنة التي سقطت فيها بغداد بيد مغول هولاكوخان . وبذلك فإنه يغطى نفس الفترة التي يغطيها كتاب ـ مرآة الزمان ـ لسبط أبن الجوزي تقريباً، حيث ينتهى الكتاب الأخير بسنة ١٩٥٤هـ/ ١٢٥٦م . وباعتبارَ أن كتباب ـ المنتظم ـ يمتبد إلى سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٩ فإن ابن الساغى يكون قد أكمل عمل ابن الجوزي بأحداث ووفيات ٨٠ سنة أخرى .

والجزء التاسع ـ سابق الذكر ـ من عمل ابن الساعي يغطي تاريخ اثنتي عشرة سنة من ٥٩٢هـ/ ١١٩٨م إلى ٢٠٦هـ/ ١٢١٠م . وهذه الفترة تغطي جزءاً من الـ (٤٥ سنة) التي هي فترة خلافة الناصر لدين الله . ومن تاحية التاريخ السياسي فإن هذه الفترة تقع ضمن

فترة الانحلال والتشتت للخلافة العباسية . أما من ناحية التاريخ الثقاني فإن هذه الفترة تشتهر بكونها الفترة التي خلالها ذكر الصوفيون ولأول مرة ضمن الخطباء والقضاة والقراء .

ويقدم الجزء التاسع من كتاب _ الجامع المختصر _ هذا الشاهد على اتباع ابن الساعى لطريقة ابن الجوزي. فهو أيضاً قد رتب مادة موضوعه وفقاً لتتابع الأشهر خلال السنوات المتعاقبة . ويتميز ابن الساعى بخصوصية تميزه وهي أنه يحرر النصوص الكاملة لبعض الوثائق التي تتعلق بالتعيينات أو التوظيفات. والوثائق هي كيا

ص ١٩٣ ـ ١٩٩ : في سنة ١٠٣هـ وثيقة تقليد محمد بن محمد المختار وظيفة النقيب.

ص ۲۲۲ ـ ۲۲۲ : في سنة ۲۰۴هـ فتوى عبدالجبار .

ص ٢٣٣ _ ٢٣٧ : في سنة ١٠٤هـ وثيقة تعيين ضياء الدين أحد بن مسعود التركستاني في كرسى مشهد أبو حنيفة ومفتشية مؤسِّستها الدينية .

ص ٢٦٦ _ ٢٦٩ : في سنة ٦٠٥هـ الوثيقة التي تتضمن تعيين ابن هِيَّة في وظيفة رئيس اليهود.

ورغم أن ابن الساعي لا يشير بشكـل دقيق إلى أية مصـادر لرواياته للتاريخ العام ، فإن مقارنة مع كتاب ابن الأثير _ الكامل في التاريخ ـ ترينا بأن الأخير كان قد استخدم بحرية من قبل ابن الساعي. والكتاب الوحيد الذي نجد الإشارة إليه هـ كتاب ـ الاعتبار في أخبار الديار المصرية(١٣) _ لعبداللطيف البغدادي (ت ١٢٩هـ/ ١٢٣٢م) فيها يختص بمجاعة حدثت في مصر .

ومن بين الوفيات المسجلة التي أوردها ابن الساعي نذكر التالي : ص ٦١ - ٦٤ : العماد الكاتب

ص ٦٥ ـ ٦٧ : ابن الجوزي

ص ٦٨ _ ٦٩ : القاضي الفاضل

ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ : ابن الأثير الشيباني

ص ٣٠٦ ـ ٣٠٨: الفخر الرازي

⁽۱۲) نفس المصدر والصفحات.

⁽١٣) عنوانه الصحيح «كتاب الإقادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » .

إن بعض المصادر التي جاءت بعد ابن الساعي ، وفيات الأعيان ـ لابن خلكان (ت ١٨٦هـ/ ١٢٨٢م) و _ طبقات الشافعية الكبرى _ لعبدالوهاب السبكي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م) ، ترينا العديد من التشابهات مع وفيات ابن الساعي .

من المؤسف حقاً أن مجلداً واحداً فقط من _ الجامع المختصر _ لابن الساعي قد بقي على قيد الوجود ، وفيها لو حصل واكتشف الكتاب بكامله ، أو على الأقبل الأجزاء التي تتمم كتاب _ المنتظم _ لابن الجوزي ، فإن ذلك سيكون كسباً إيجابياً للدراسات العربية والإسلامية عموماً .

ابن الفُوطي

إن كتاب _ الجامع المختصر _ لابن الساعي تم إكماله من قبل تلميذه كمال الدين أبو الفضائل عبدالرزاق بن أحمد بن محمد بن الغُوطي (أو النُوطي) الشيباني (١٤٠). في سنة ١٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، السنة التي خرب فيها هولاكو بغداد ، وقوض الأسرة العباسية فيها ، كان ابن الفوطي آنئذ صبياً في الرابعة عشر من عمره ، أخذ أسيراً وأرسل إلى أذربيجان . وقد أطلق ناصر الدين الطوسي سراحه وأدخله في خدمته . بعد ذلك قضى ابن الفوطي حوالي الثلاثة عشر

عاماً في مُراغة كامين مكتبة لمرصدها ، بعد ذلك عاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م .

لقد كان ابن القوطي كاتباً غزير الإنتاج، ومؤلفاً للعديد من الأعمال التاريخية واللغوية، ضاعت جميعاً باستثناء عمل واحد، ومن جملة ما ضاع عمله الرئيسي المعنون - مختصر أخبار الخلفاء العباسيين - وهو تتمة كتاب شيخه - الجامع المختصر. وعمله الوحيد المتبقي - الحوادث الجامعة والتجارب الناقعة من المئة السابعة (١٠٥) هو سجل للعباسيين الأواخر وللفترة الأولى من السيطرة المغولية حتى سنة ٥٠٧ه - ١٣٠٥م. وفيه يثبت بأن الكاتب كان شاهد عيان للدمار الذي خلفه هولاكوخان، وأنه كان متعرفاً على عدد من القواد للدمار الذي خلفه هولاكوخان، وأنه كان متعرفاً على عدد من القواد المغول بشكل شخصي، وكان مؤرخاً حي الضمير لتجربته. وقد المغول بشكل شخصي، وكان مؤرخاً حي الضمير لتجربته. وقد المغول بشكل شخصي، والأنقاب، ولم يبق من هذا العمل الضخم الأسهاء والألقاب، ولم يبق من هذا العمل الضخم الأحواد فقط (١٦٠).

ولذلك للمان المؤسف أن عمله الرئيسي، تتمة _ الجمامع المختصر _ لابن الساعي، قد ضاع. ولابد أنه كان سجلاً صادقاً للخصور القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وهو القرن الذي فيه شهود العيان العرب المعروفون قليلون.

⁽١٤) انظر هامش (١١). وكذلك ج. سارتون ، المصدر السابق ، ص ٩٦٨ . انظر أيضاً : ك. بروكلمان ، المصدر السابق ، ملحق ـ ٢ ـ ، ص ٢٠٢ .

⁽١٥) جامع في بغداد ، سنة ١٩٣١هـ / ١٩٣٢م .

⁽١٦) يجوي هذا الجزء تراجم الحروف من ق ـ ع في نسخة بخط المؤلف محفوظة بدار الكتب الظاهرية بدمشق .

انظر أيضاً : ف. روزنثال ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

خلاصية

بدأ ابن الجوزي مدرسة جديدة في علم تدوين التاريخ العربي عن طريق جمع التاريخ العام والتراجم التاريخية في عمل واحد. وقد راجت طريقته هذه عندما تبناها متمموا كتابه - المنتظم، وهم، سبط ابن الجوزي، وابن الساعي، وابن الفوطي. ومن المحتمل جداً أن مدرسته هذه ضمت عدداً أكبر ممن ذكرنا من المؤرخين والذين يبدو بأن أعمالهم قد ضاعت (١٧).

الدارس العربي المعاصر يذهب للتقليسل من قيسة التدوين التاريخي العربي بسبب أنه لا يتكون إلا من حوليات مجموعة وهذا ينطبق على مدرسة ابن الجوزي أيضاً. فأعمال المؤرخين العرب في نتاج كد هائل ولكنها خالية من التفكير المستقبل، فيها رائحة القنديل ولكنها غير منارة بالروح. واستثناء ابن خلدون فيان المؤرخين العرب لم يكونوا مفكرين ذرانعيين أو دعاة تاريخ اجتماعي أو ثقاني. ولكن هل هم لهذا السبب أقل شأناً من مؤرخي العصور الوسطى الأوربية ؟ وهل كان الأخيرون أكثر من مجرد مدوني الحوليات للتاريخ السلالي الملكي أو الكنسي الديني ؟ كلا، إن علم التدوين التاريخي العربي في العصور الوسطى كان في ناحية معينة ،

دونا جدال ، متفوقاً على كتابة الحوليات الأوروبية المعاصرة له، وتلك هي جمع التراجم التاريخية ، هنالك العديد من التراجم لحكام أوروبيين أو سير ذاتية من القرون الوسطى ، ولكننا لا نعلم بوجود أي مجاميع تراجم مرتبة حولياً بهذه السعة وهذا الشمول ، أو معاجم تراجم جامعة متسعة كالذي قد بقي بالدرجة التي عليها في الأدب العربي .

إن القيمة الحقيقية لأعمال ابن الجوزي ومعدرسته يكن الإحساس بها تماماً في فصولهم المختصة بالتراجم بالدرجة الأولى. فهذه الفصول تكون مستودعاً للمعلومات، والتي منها يكن استقاء مادة ثمينة من قبل المؤلفين في الدراسات الإسلامية وطلاب التاريخ العام على حد سواء. من ناحية أخرى، وفي المرتبة الثانية، فإن هذه المصادر لا يمكن التقليل من قيمتها حتى من حيث المحتويات المتعلقة بالتاريخ العام. ورغم أنها غير كاملة في هذا الخصوص، إلا أنها لازالت تحوي قدراً عظيهاً من المعلومات التاريخية الثمينة أبضاً، والتي هي مناسبة للمقارنة ولإتمام المصادر الأخرى ذات الصلة الوثقى بالتدوين التاريخي العربي.

⁽١٧) كمثال . ابن البُذّري . انظر بحث الكاتب المشار اليه في هامش (٨) . ص ٨٥١ . ملاحظة : هذا البحث منشور في مجلة :

Acta orientaica (Academia Scientiarum Hungarica). 6. (1965). pp. 207-214.

"Iba Al-Jauzi's School of historisgraphy": بعنوان

معركة المدائن فصل من كتاب

« الكوت: موت جيش »

الكاتب الإنجليزي : رولاند ميللر ترجمة : فريد ضياء شكاره

مقدمة

لقد تناولت كتب كثيرة (حصار الكوت) بالبحث والتمحيص باعتباره من أهم الأحداث العسكرية التي وقعت في العراق خلال الحرب العالمية الأولى، لكن أياً من هذه الكتب لم يتناول بالتفصيل المعركة التي كانت السبب الأساس في الانسحاب البريطاني إلى الكوت والتحصن فيها وهنا يختلف رولاند ميللر عن بقية المؤلفين في أنه أول من تناول هذه المعركة التاريخيم بالتفصيل عبر الأيام الثلاثة التي دارت فيها وذلك في كتابه «الكوت: موت جيش».

إن المؤلف وهو كاتب انكليزي قد استعمل التسميات الفارسية لطاق المدائن تارة سماه طاق كسرى وتارة طيفون وهذا نهج ليس بغريب على الكتاب الانجليز الذي يظهرون في كل مناسبة ميلهم للأخذ بالتسميات الفارسية لتأصل معاداتهم للحق العربي والتاريخ العربي المجيد.

إن كلمة (الأعراب) حيثها وردت في البحث المترجم يقصد بها الكاتب أفراد البشائر العراقية والفلاحين العراقيين . وحيثها وردت كلمة العدو فهو يقد فيها القوات العثمانية وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في ترجمة تفاصيل هذه المعركة التاريخية ترجمة أمينة دون تصرف معتمداً على التوضيح الذي قدمته في هذه المقدمة وعلى نباهة القاريء العربي الذي يدرك أن كماتبهما يكتب من وجهمة نظر انكليزية .

لقد عرفت جيوش الامبراطورية البريطانية الخسارة الحربية أحيانا، لكنها لم تعرف الاستسلام إلا في العراق، حيث استسلم البريطانيون إلى العثمانيين بعد حصار طويسل في الكوت، وكان العامل الرئيسي لوقوع الجيش البريطاني في الحصار، هو معركة سلمان باك التي انكسر فيها البريطانيون واضطروا بعدها للانسحاب إلى الكوت.

وتبدأ قصة هذم المعركة بعد نزول البريطانيين في جنوب العراق أثناء الحرب العالمية الأولى ، واحتلالهم البصرة والقرنة ، فغي ١٧ تموز أثناء الحرب العالمية الأولى ، واحتلالهم البريطاني في الهند والمسؤول عن الحيطانية البيريطانية في العراق - إلى وزيسر الهند (في البوزارة البريطانية) أوستن تشاميران ، يطلب الموافلة على احتلال الكوت لأن احتلالها ضرورة استراتيجية ، تردد الوزير في باديء الأمر لكن الإلحاح عليه من قبل اللورد هاردنغ جعله يوافق في النهاية ، وفي ١٤ أيلول ١٩١٥ تقدم الميجر - جنرال (١١) تاوزند بفرقته السادسة (فرقة البونا) وإحتل شيخ سعد ، وتلاها في اليوم التالي بإحتلال المواقع العثمانية المحصنة في السن . في ٢٩ أيلول تم احتلال الكوت وقام العثمانية المحصنة في السن . في ٢٩ أيلول تم احتلال الكوت وقام طريق بغداد - الكوت - حيث قالت الصحف البريطانية أن سراباً قد حلى دون تدمير القوة العثمانية بكاملها . كان الجانبان متساويين في عدد القوات قبل هذا التقدم - ١٩٠٠ جندي يويطاني ، وضعف هذا عدد القوات قبل هذا التقدم - ١٩٠٠ جندي يويطاني ، وضعف هذا

١ ـ استخدمت أسهاء الرتب العسكرية البريطانية بالنسبة للجيش البريطاني ، وتبدأ هذه الرتب من لفتنانت (ملازم) لفتنانټ أول (ملازم أول) كابتن (نقيب) ميچر (رائد) لفتنانټ ـ كولونيل (مقدم) كولونيل (عقيد) بربجادير ـ جنر إل (عميد) ميچر ـ جنر إل (لواء) لفتنانټ ـ جنر إل (فريق) جنر إل (فريق أول) .

العدد من العثمانيين إضافة إلى فتع ١٥٠ ميلًا من النهر (دجلة) أمام الجيش البريطاني ، وقام الجنرال السير جون نكسون القائد العام للقوات البريطانية في العراق بنقل مقر قيادته إلى العزيزية في الرابع من تشرين الأول ١٩١٥ ، كها علت الأصوات البريطانية المطالبة بإحتلال بغداد .

في الثامن من تشرين الأول أبرق تشامبران يسأل نكسون عن حجم القوات الإضافية التي يحتاجها لاحتلال بغداد والاحتفاظ بها. أجاب نكسون بأنه لا يحتاج لأية قوات إضافية للتغلب على نور الدين باشا واحتلال بغداد، لكنه يحتاج إلى فرقة أخرى للاحتفاظ ببغداد وتثبيت الاحتلال البريطاني فيها.

في نفس الوقت أبرق وزير الدولة للشؤون الهندية إلى هاردنغ يخبره بأن مجلس الوزراء قد اقتنع بالفوائد العسكرية والسياسية لاحتلال بفداد ، وأن على هاردنغ بذل أقصى جهده لتوفير القوات الضرورية لذلك . في ٢١ تشرين الأول ١٩١٥ صدر تقرير لجنة العلاقات الوزارية ، الذي حدد عدد القوات المعادية في العراق بعدي عثماني وبعض العرب غير النظاميين ، واستبعد وصول نجدات عثمانية خلال الشهرين التاليين ، لكنه حذر من إحتمال قدرة العثمانيين في نهاية كانون الثاني ١٩٢٨ على تركير إحتمال قدرة العثمانيين في نهاية كانون الثاني ١٩٤٨ على تركير نكسون فرقتين هنديتين إضافيتين سيتم سحبها من فرنسا وإرسالها للحسون فرقتين هنديتين إضافيتين سيتم سحبها من فرنسا وإرسالها عرب العراق لهذا الاحتلال بفداد ، إلا أنه حذر من معارضة عرب العراق لهذا الاحتلال ، واقترح القضاء على هذه المعارضة بواسطة تأكيد بريطاني للقادة العرب بأن البريطانيين سوف ينسحبون بعد الحرب ، وسيتم إنشاء دولة عربية مستقلة في العراق .

كان صوت تاوزند من الأصوات القليلة التي ارتفعت لمعارضة قرار احتلال بغداد ، فقد كان تقديره للأمور يختلف عن تقدير نكسون . لقد قال قائد الفرقة السادسة أن احتلال بغداد يحتاج إلى فرقتين عسكريتين على الأقل بينها كانت فرقته تعاني من الإنهاك والمرض ، وقدر تاوزند عدد العدو الذي ينتظره في طيسفون (سلمان باك) بعشرين ألف جندي عثماني ، كها كان على وعي تام بمشكلة النقل النهري مشكلة ، فوسائط

النقل التي سيتم الاستيلاء عليها في بغداد كافية لجلب النجدان المطلوبة ، كما لا توجد حاجة لسفن مستشفيات فالأربعمائة أصابة في طيسفون (العدد من تقدير نكسون) يمكن إخلاؤها إلى بغداد .

عوامل أخرى بدأت تؤثر على الجدال الذي كان في أفضل أحواله جدالاً من جانب واحد فقط: فالإدارة البريطانية في الهند تريد إنهاء الحرب في العراق بأسرع مايمكن بسبب تدهور الحالة في البنجاب؛ أفغانستان بدأت تضطرب؛ وإيران - تحت إغراء الدعاية الألمائية والنداء العثماني للجهاد - بدت على وشك دخول الحرب ضد الحلفاء؛ في أوربا فشلت حملة غاليبولي؛ وأوشكت بلغاريا على الانضمام لقوى المحور واحتلال الضرب؛ كما تم إيقاف الهجوم البريطاني للفرنسي على جامبين بعد معارك دامية.

وهكذا أعطيت الموافقة النهائية لاحتلال بغداد في ٢٤ تشرين الأول ١٩١٥، رغم معارضة وزير الدولة للشؤون العربية اللورد كتشنر الملقب يه (فاتح الخرطوم)، وأعطي الوعد بإرسال فرقتين إضافيتين بأسرع مايكن ، ومع أن نكسون بكل تفاؤله قد أكد على الحاجة إلى فرقة إضافية خلال شهرين من الهجوم لصد أي هجوم عثماني مضاد ، فقد وعدت الإدارة البريطانية في الهند ، بتجميع لواء أو لواءين وإرسالها خلال الشهرين إذا ساءت الحالة .

في ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٥ بدأت تاوزند ـ رغم افتقاره للثقة ـ وفرقته السادسة ـ بمعداتها الناقصة ومعنوياتها الهابطة وإجهادها نتيجة المناخ الذي لايحتمل ـ التقدم الحذر إلى طيسفون (سلمان باك) وإلى واحدة من أعظم المآسي في تاريخ بريطانيا العسكري .

سلمان باك (طيسفون)

وفي طائرة من نوع (بي إي توسي) ذات المحركين انكمش الميجر هم . ل . ربلي في ثيابه نتيجة الهواء البارد لشتاء العراق . كانت الطائرة تحلق قوق السهل البيني الخالي والممتد عتى جبال البرز المغطاة بالثلوج التي تفصل العراق عن إيران . تحت الطائرة وإلى اليسار كانت مياه دجلة الصفراء تجري بين ضفافها المرتفعة نتيجة انحفاض المياه في هذا الوقت من السنة (موسم الصيهود) . كان

بوسع ريلي أن يرى عدداً من المهيلات البطيئة تتحرك شمالاً ضد التيار بفعل شد الملاحين للحبال بينها تتأرجع أشرعتها الكبيرة كلها استدارت المهيلة حول منعطف.

على مسافة من المهيلات ، كانت مجموعة من الزوارق البخارية الحديثة الراسية على الضفة اليسرى قرب مجموعة أكواخ طينية في اللج . كانت الزوارق وسائط نقل تاوزند النهرية وأمامها يمتد مخيم الفرقة السادسة البريطانية على بقعة كبيرة من الأرض . لوح الأشخاص المرتدون الخاكي ، بأيديهم وهز ريلي جناحي الطائرة رداً للتحية .

كان الوقت قبل الغروب بساعتين لكن الطلعات الاستكشافية كانت ضرورية. كانت تجري في الصباح الباكر أو العصر المتأخر تفادياً للسراب الذي كان يجعل الملاحظة الصحيحة صعبة في الأوقات الأخرى من اليوم. كانت مهمة ريلي التحقق من عدم وصول تعزيزات عثمانية إلى طيسفون من بغداد.

كان طاق المدائن _ بارتفاعه الذي يزيد على المائة قدم _ أمامه على بعد أربعة أميال إلى اليسار ، وسحب ريلي عصا القيادة لتبدأ الطَّائرة بالارتفاع وتتجنب المرور المنخفض فوق المعسكر العثماني كاعتدلت الطائرة بعد وصولها ٦٠٠٠ قدم . كان الاستطلاع الصباحي قد بين عدد الخيام العثمانية وأكد عدم وصول أية تعزيزات للعدو ، وقد قام ريلي بصفته قائد الطيران بفحص خرائط ورسوم السطيار الآخر، وتأكد من العدد ومن أنه لم يتغير منذ الاستطلاع الأسبق الذي جرى قبل عشرة أيام في ١٣ تشرين الشائي ١٩١٥ . في المخيم العثماني الشمالي صوب العرب والجنود النظاميون بنادقهم نحو الطائرة، لكن ريلي لم يلاحظهم لأنه رأى أمراً في منتهى الخطورة ، واستدار بطائرته ليقترب من المخيم . بدأ رصاص البنادق والرشاشات يخترق جانحه الأيســر إلا أن ريلي كــان يعرف أن من واجبــه التحقق مما شاهده . كانت هنالك عشرات بل منات من الخيام الجديدة . ريلي ترك فكرة الذهاب نحو بغداد وعكس اتجاهه، فبالرغم من كل تقارير الاستطلاعات السابقة فقد وصلت التعزيـزات العثمانيــة ، ونظراً لعدم وجود راديو أو لاسلكي في الطائرة ، فقد كتب ريلي ملاحظة وعين موقع التعزيزات الجديدة على الخارطة وقرر اختصاراً للوقت

إلقاءها من الطائرة عند مروره فوق المعسكر البريطاني . كان تقديره بأن حجم التعزيزات الجديدة لا يقل عن سبعة آلاف جندي .

فجأة حدث صوت وفرقعة حادة وخرج دخان أسود من المحرك وتناثر رذاذ الدهن على نظارات ريلي وانطفأ المحرك فقد أصيب برصاصة . أنزل ريلي الطائرة بانزلاق طويل مواز للأرض ، حتى حط بسلام على أرض معتدلة لاتتخللها السواقي والجدوال ، ثم بدأ المسير وبعد ثلاثة ساعات من السير قبض عليه الأعراب . (أبناء العشائر العربية) .

في مقر قيادته في اللج ، على ضفة دجلة اليسرى كان الميجر - جنرال جارلس فير تاوزند يتأمل الخارطة التي أمامه . كان واثقاً من صحتها لأن الاستطلاع الجوي الصباحي قد أكد له ذلك وأنه لاجديد في الموقف العثماني ، ومع هذا فقد طلب استطلاعاً آخر بإنجاه بغداد للتأكد من عدم وجود تعزيزات عثمانية آتية في الطريق لكن الطيار للتأكد من عدم وجود تعزيزات عثمانية آتية في الطريق لكن الطيار مماومات جديدة .

كانت المعلومات التي حصل عليها تاوزند من أركان حرب نكسون، تفيد بأن ١٣٠٠٠ جندي عثماني مع ٣٨ مدفع قد تحصنوا في طيسفون، وقد أكد استكشاف الصباح الجبوي صحة هذه المعلومات. أين هم الآن العشرين ألف جندي الذين توقعهم تاوزند ؟ رغم هذا فقد بقى بعض الشك عند تاوزند إلا أنه قرر إخبار جنوده بأن عدد العثمانيين في طيسفون يتراوح بين ١٠٠٠٠ و ٢٢٠٠٠ جندي . كانت قواته حوالي ١٢٠٠٠ مشاة و ٣٠ مدفعاً و ٢٦ رشاشة و ١٠٠ فارس (خيال)، وتوقع تاوزند أن معرفة جنوده بتفوقهم العددي على العدو سيرفع من معنوياتهم وخاصة معنويات العدد الكبير من الجنود المسلمين من شمال الهند .

لقد أسرع العثمانيون بالاستفادة من أهية سلمان باك الدينية لدى المسلمين ، فوزعوا ـ بواسطة التهريب ـ على الجنود الهنود في الجيش البريطاني منشورات تخبرهم بوجود ضريح سلمان ، الصحابي المعرفي ، في سلمان باك ، واتهمت المنشورات الجنود الهنود أيضاً بالقتال مع البريطانين الكفار ضد العثمانيين الذين هم إخوتهم في الإسلام ـ وهذا إثم عظيم بحدذاته ـ كما أنهم بريدون أن يضيفوا إثماً

أعظم بالقتال ضد إخوتهم المسلمين في مكان إسلامي مقدس مثل سلمان باك .

كان تأثير هذه المنشورات قوياً إلى درجة أفقدت تاوزند الثقة في جنوده المسلمين ، وعندما قتل أحد جنود البنجاب العشرين ضابط صف وجندي خفر الفوج وهرب إلى العدو ، أعاد تاوزند الفوج كله إلى العمارة ، تفادياً لحدوث أية مشاكل أخرى ، واستلم بدلاً منه فوج البنجاب السادس والستين الذي وصل طيسفون ذلك الصباح ؛ كها قام تاوزند بإصدار أوامر مشددة بمنع إستعمال إسم (سلمان باك) منعاً باتباً وتسمية المكان باسمه الفارسي القديم (طيسفون) في الأوامر التحريرية والشفوية والخرائط الحربية .

كان تاوزند قد قرر - حسب العرف العسكري - أن يشن هجومه ضد المواقع العثمانية الواقعة على ضفة دجلة اليسرى ، إلا أن نور الدين لم يكن خاملًا أثناء تلك الفترة ، فقد أعد ثلاثة خطوط دفاعية : أولها وأهمها عند ستة أميال من ضفة النهر باتجاه الشمال الشرقي ويتكون من ١٥ ربية ، تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة تتراوح بين ٠٠٠ و ٢٠٠ ياردة ، وتربطها خنادق (شقوق نار) متصلة إ وكانت الربايا والخنادق عميقة بحيث لايمكن قبيزها إلامن الأسلاك الشائكة المنصوبة أمامها عبلي مسافة ٤٠ ياردة ، ليكن في أقضى اليمين كانت هناك ربيتان على تلتين صغيرتين ، ويسبب ارتفاعها عن الأرض كانتا واطبحتين تمامياً ، وقد سماهما تــاوزند بــ (النقيطة الحيوية) أو (ين . ح .) . في منتصف خِط الدفاع العثماني الأول كانت هناك تلة كبيرة وغريبة الشكل، فقد كان شكلها بشبه حرف (L) الانكليزي إلا أن ذراعيها المهتدين للشرق والجنبوب كانا متساويين في الطول ((٠٠٠) ياردة تقريباً) والارتفاع (٤٠ ـ ٥٠ قدما) وعرض القاعدة (٢٥٠ قدما تقريباً) . كانت موقعاً أثرياً قديماً وقد سماها تاوزند (الجدار العالي) . إلى الشمال منها مباشرة كانت ربية محصنة فوق تلة يقع أمامها مبزل عميق ، وبسبب المبزل سميت الربية (الربية المائية).

ويعبر خط الدفاع العثماني الأول دجلة ، ويمتد غرباً بمحاذاة مجراها القديم ـ فقد كان النهر يصل إلى مسافة (١١) ميلاً من جنوب كصيبة قبل أن ينعطف شمالًا بزارية حادة نحو اللج ، وقد سبب هذا الانعطاف مشاكل كثيرة للملاحين والسفن ، فقام العثمانيمون في ١٩١٢ بحفر المجرى الجديد بين أقرب نقطتين في المنعطف وحولسوا مجرى النهر ـ وقد قام العثمانيون بإغراق عدد من الزوارق المصنوعة محلياً في النهر عندما ينحني أمام الخط الدفياعي. كانت البزوارق الغارقة مملوءة بالألغام . على بعد ميلين من الخط الأول وموازياً له كان خط الدفاع الثاني عتد خلف طاق كسرى مباشرة. كان الطاق يشرف على ميدان المعركة بأكمله . كان هذا الخط متكوناً من خنادق عميقة متصلة قتد عبر سلسلة من التلال الرملية الصغيرة ، مسافة عُ أو ٥ أميال ، وتنحني نهاية الخط الشمالية إلى الخلف باتجاه الخط الثالث الذي كان يمتد على ضفاف نهر ديالي ويبعد كثيراً عن الملط الثاني. كانت حلقة الوصل الوحيدة بين دفاعات العثمانيين عيل الصَّفة اليسرى ، ودفاعاتهم على الضفة اليمني هي جسر مصنوع من الزوارة) يقع خلف خط الدفاع الثاني وشمال غرب قرية سلمان باله . يجب التوطبيج هنا بأنه بالبرغم من وصفنا لسلمان باك وكصبهة ويستيان واللج على أنها قرى في الجزائط الحربية ، فبإنها لم تكن في الواقع سوى تجموعات من الأكواخ الطينية لاينزيد عيدد أكواخ المجموعة الواحدة عن سِنة أكواخ تقريباً .

لقد تحقق تخبين تاوزند الأول لقوة العدو بصورة مدهشة رغم جهل تاوزند نفسه بذلك ، فبوصول الفرقة (٥١) أصبحت قرة نور الدين الكلية (١٨٠٠) جندي مشاة و (٥٣) مدفع و(١٩) رشاشة و (٤٠٠) فارس إضافة إلى عدة آلاف من العرب الهجانة المنظمين في لواءين قبليين تحت قيادة ضباط عثماليين متقاعدين قبد أعيد لواءين قبليين تحت قيادة ضباط عثماليين متقاعدين قبد أعيد الواءين قبليين تحت قيادة ضباط عثماليين متقاعدين قبد أعيد والـ (٣٥) والـ (٣٨) والـ (٤٥)

٢ ـ يذكر باركر في كتابه (الحرب المنسية) أن القوات العِتمانية في سلمان باك كانت كما يلي : ـ

القائد العام: العقيد نور الدين باشا.

المبيموع الكِلَي ٢١٠٠٠ رجل و ٩١ بدفع و ٢٠ رشاشة .

لم تكن لنور الدين ثقة في نتيجة المعركة المقبلة ، فقد حطم تاوزند فرقتهه اله (٣٥) واله (٣٨) في الكوت ، ورغم إعادة تنظيمهما فقد كانت معنويات جنودها مشكوكا بها . كان بالإمكان الاعتماد على مقاومة الفرقتين الـ (٤٥) والـ (٥١) التي أبلت بـلاء حسناً ضد البروس في القفقاس ، لكن هيل ستكون تلك المقاومة كافية ؟ الاستخبارات العثمانية كانت غير كفوءة ، فلم تكن لدى القيادة العامة العثمانية أية تقديرا صحيحة عن قوة تاوزند، ولا تتوفر لديها طائرة واحدة في كل أنحاء العراق لاستخدامها في الاستطلاع الجوى، وكانت الاتصالات الهاتفية مع منواقع البرصد والبربايا المتقدمة ، تتعطل باستمرار بفضل الأعراب الذين اكتشفوا القيمة المادية لسلك التلفون النحاسى ـ رغم أنهم لم يكتشفوا أهيته بعد ـ فأخذوا يقطعونه حالما يمده المهندسون العثمانيون. كانت الخرائط قليلة لدى نور الدين ، وهذا أسر يثير المدهشة والاستغراب لأن العثمانيين قد حكموا العراق منذ ١٦٣٨ ، والواقع أن خرائط الميجر

ريلي كانت أحدث وأدق خرائط حصلت عليها القيادة العثمانية قبل المعركة ، وقد جعلت هذه الخرائط نور الدين ــ الذي كان متشائماً بطبيعته _ يغرق في الكآبة .

في الساعة الواحدة والنصف صباحاً أصدر تاوزند أوامره لمعركة اليوم التالي ، وقسم قوته إلى أربعة أرتال :

الرتل الأول

(۵/۱) (٤ مداقع)

آمر الرتل: ميجر - جنرال و . س . ديلامين

فوج دورست الثائي	لواء المشاة (١٦)
فوج البنادق (۱۰٤)	
قوج الغوركا (٧/٢)	الواء المختلط (٣٠)
فوج الينجاب (٦٦)	
فوج المهراتا (۱۱۷)	
(۸۲) (۲ مدافع)	بطارية مدافع الميدان الملكية

أ_ الفرقة الـ (٥١) قائدها المقيد محمد على . الكتيبة ٩ فوج من الكتيبة 12 كل كتبهة لها ثلاثة أقراج من أتراك الأناضول . كتيبة المدافع ٣/٤ (٣ مدافع جبلية)

> كوكية الحيالة. سرية الهندسة .

اسعاقين ميدانيين .

ب .. الغرقة الـ (٤٥)

الكتيهة ٣ ـ (٣ أقواج من أتراك الأناصول) .

الكتيبة ١٤١ ـ (٣ أفواج من العرب والأكراد) .

الكتيبة ١٤٢ ــ (٣ أفواج من العرب والأكراد) .

كوكبة الحيالة.

كتبية المدنعية (٢٧/٢) _ (٨ مدانع) .

سرية الهندسة .

إسماف مهداني واحد .

جـــ الفرقة الـ ٣٨ ـ قائدها المقدم خليل رشيد . الكتبية ١٦٢

بطارية هانتز هاوتزر

الكتيبة ١٨٣.

الكتية ٢٢٤

كل كتيبة تتكون من ثلاثة أفواج عربية .

كوكبة خيالة .

كتيبة مدافع ٢٨/١ - (٨ مدافع ميدان) .

سرية هندسة .

إسماق ميداني واحد .

د_ الفرقة الـ (٣٥) _ قائدها المقدم نامق بك

الكتيبة ١٠٣ (٣ أفواج)

الكتيبة ١٠٤_ (فوجان) .

الكتيبة ١٠٥ ــ (فوجان) .

كل الأفواج عربية . كوكبة خيالة .

كتيبة مدافع ١/٣٥- (٨ مدافع ميدائية) .

سرية هندسة .

إسعاف ميداني واحد .

إضافة إلى لواه هندسي ولواء مدافع ثقيلة (٧ مدافع) + ٢٦ مدفع شنايدر + مدافع جبلية + مدفع بريطاني تم الاستيلاء عليه في الأهواز) . وتثهم القوات العثمانية النظامية ألوية عشائرية تتألف من خمسة كتائب خيالة وكتيبتين هجانة .

نصف سرية الهندسة والألغام

الرتل الثاني

(YY)

مُر الرتل: يريجادير ـ جنرال و . ج . هاملتون

فوج نور فولك الثاني فوج راجبوت السابع

فوج المهراتا (۱۱۰)

فوج المشاة (١٢٠)

لواء المشاة (١٨)

بطارية مدافع الميدان الملكية (٦٣) (مدافع)

نصف سرية الهندسة والألغام (٢٢)

الرتل الثالث

آمر الرتل: بريجادير .. جنرال ف. أ. هوتون

لواء المشاة (١٧)

فوج المشاة الخفيف

(أوكسفورد ويكنفهام شاير)

فوج البنجاب (۲۲)

فوج المهراتا (۱۰۳)

فوج المشاة (١١٩)

بطارية مدافع الميدان الملكية (٧٦) (٦ مدافع)

بطارية مدافع الحرس الملكي الثقيلة (فصل واحد أي مدفعين؟

سرية الحندسة والألغام (١٧).

سرية الرواد (٤٨)

سرية وأحدة من فوج الحيالة (٢٣)

الرتل الطائر

آمر الرتل: ميجر جنرال سير جارلس س. ج. ميليز (حامل وسام فكتوريا للشجاعة)

بطارية مدافع الخيالة الملكية (٦ مدافع)

لواء الخيالة السادس

فوج لانسر السابع

فوج ألخيالة (١٦)

فوج الخيالة (٣٣)

بطارية رشاشة ماكسيم

بطارية الرشاشة المتحركة (مدرعتين ولوريين)

فوج البنجاب السابع (مجهز بعربات تسحبها البغال وكافية لنقل نصف الغوج في

وقت واحد) فوج البنجاب الـ (٧٦) (من اللواء ٣٠) .

تاوزند أوضح لأمراء أرتاله الأربعة بأن خطته لمعركة اليوم التالي تتبع مِن ناحية المبدأ الفقرة الثالثية من الفصل (١٠٢) من القسم الأول من «تعليمات خدمة الميدان لسنة ١٩١٤» والتي تنص على أن نــ

« بصورة عامة يمكن تحقيق النجاح في المعركة بحركة التفاف لقوات منفصلة على مقدمة وجناح العدو في نفس الوقت. في هذه الحالمة لايبقى لدى القائد العام سوى قوات احتياطية قليلة ، وقد لا يبقى لديه احتياطى على الإطلاق » .

وعلى هذا يكون الهجوم كها يلي: عند الفجر (حوالي الساعة المساعة المساعة المساعة المساعة العثماني لكي يوهم العدو بأن تقدمه هو الهجوم الرئيسي وعننذ العثماني لكي يوهم العدو بأرسال قواته الاحتياطية إلى المنطقة . في الساعة السابعة والنصف صباحاً سيكون رتل هوتون قد حقق النائع المرجوة ، ويبدأ رتل هاملتون (الرتل الثاني) بمهاجمة يسار العدو ومؤخرته ، وفي نفس الوقت يتقدم رتل ميليز (الرتل الطائر) ويهاجم خط افتدفاع العثماني الثاني وقوات العثمانيين الاحتياطية في خط افتدفاع العثماني ببدأ فيه رد فعل العدو ضد هاملتون ، ببدأ الرتل الأول بقيادة ويلامين بالهجوم على ربايا العدو في (ن . ج .) . ويكون هذا الهجوم هو الإشارة لجميع الأرتال للهجوم الكلي على مقدمة وأجنحة ومؤخرة العدو ثم تفتح جميع المدافع نيرانها على (ن .

وأوضع تاوزند أن هذه الخطة تشبه خطته التي أثبتت نجاحها في معسركة السن ، ولا تختلف عنها إلا في تفصيل واحد مهم وذلك لتشويش العدو ، فالضربة القاضية في هذه المعركة ستوجه من قبل الرتل الأول (ديلامين) بدلاً من الرتل الثاني كها حدث في السن .

كان الأسطول النهري يتكون من النزوارق المسلحة (فاير فلاي) و (كوميت) و (شيطان) و (سومانا) وسفن الشحن (الدوبات) المحملة بالمدافع الثقيلة (شوشان) و (محسودي) وكان على قطع الأسطول قصف مواقع العدو إلى الجنوب الغربي من

(الجدار العالي) ، كما تم منح قائد الأسطول (الكابتن و . نائز من البحرية الملكية) صلاحية مطاردة العدو أينها كان .

كان على الأرتال الأربعة أن تتحرك فوراً من اللج للتتخذ مواقعها، وكان على كل جندي أن يحمل معه أرزاق يوم واحد وما يستطيع حمله من الماء، وحددت مهمة طائرتي تاوزند الباقيتين طائرة شورت بحرية مكيفة وطائرة موريس فارمان بأخبار الميجر جنرال عن خط انسحاب العدو. هذه الخطة والتعليمات أرسلت برقياً إلى مطار العزيزية.

لقد أنهى تاوزند الإجتماع بنغمة متفائلة ، لكنه كان في شك من قدرته على الانتصار في معركة اليوم التالي ، لمعرفته بتفوق العدو العددي عليه رغم جهله بوصول الفرقة الـ (٥١) ، ولعلمه أن عدو يتميز بمعاركه الدفاعية . لقد حذرته خبرته بالأمور الحربية من كارثة ستحدث له في طيسفون ، وأن إحتمال حدوثها هو بنسبة ٥٠٪ ، وقد كانت خبرته النظرية والعملية بالأمور الحربية عظيمة حقاً .

لقد ولد الميجر ـ جنرال في لندن قبل أربعة وخسين عاماً من معركة طيسفون . كان والده موظفاً صغيراً في السكك الحديدية . لكن هذا لم يحجب كون تاوزند حفيداً للماركيز تاوزند الأولى قائد الجيش البريطاني في كوبيك بعد مقتل الجنرال جيمس ووَلفت في ١٧٦٩ . لقد ولد الصغير جارلس في ظروف مادية صعبة ، ولم يتمتع بسنواته الأولى ، فقد حاول أقاربه باستعرار إدخاله في البحرية الملكية لكند كان يعارض ذلك لإيمانه بأن مستقبله يكمن في الجيش ، وبعد جدال كثير مع أقاربه استطاع دخول الكلية الحرية البريطانية (ساندهيرست) ، وعند تخرجه نسب إلى مشاة البحرية الملكية الخفيفة في ١٨٨١ .

كان تاوزند من ضمن الرتل الذي ذهب إلى أعالي النيل لنجدة غوردون في الخرطوم في ١٨٨٥، واشترك في عمليات ومعارك الانسحاب عند فشل الرتل في مهمته، كها قام تاوزند وهوكابتن شاب بالدفاع عن قلعة غوبيس الواقعة قرب جترال في شمال الهند ضد القبائل المعادية ولمدة ثلاثة وأربعين يوماً. كان هذا الدفاع مثار الأعجاب، وتم ترفيع تاوزند إلى ميجر ومنحه لقب فارس (سير) من رتبة باث، وهذا تكريم قل أن يقوز به ضباط شاب.

خدم تاوزند مع كتشنر في السودان ، حيث رفع إلى رتبة (كولونيل) وإستقال من عمله في الجيش في ١٨٩٩ ليعود إلى الهند، لكن شوقه إلى مغامرات جديدة ، دفعه للتطوع في حرب جنوب أفريقيا ، إلا أن الظروف لم تلائمه هناك ، وعاد إلى لندن في أيلول 1٩٠٠ ونظم حياته كميجر في وحدة (الفيوزلاير) الملكية .

كان معظم زملائه يتذكرون أنه بطل جترال ، وكانت هذه الحقيقة تضايق رؤساءه إضافة إلى ضيقهم ببعض تصرفاته الأخرى . كان تاوزند قد تعلق بالمجتمع المسرحي وكانت له مواهب فذة في جذب الاهتمام والعزف على البانجـو كها كـان متحدثـاً لامعـاً. كـان باستطاعته رواية سيل من الأمثال والنكات بلغة فرنسية سليمة ، كها كان مقلداً ممتازاً للأصوات (يقال ان نكسون عندما سمع بأن قائد الفرقة السادسة قادر على تقليده (تقليد نكسون) بدقة متناهية انىزعج وبىدأ يراقب تاوزنىد بشىك منىذ ذلىك الحين) . قيادة (الفيوزلاير) انزعجت أيضاً من هذه التصرفات لكونها صادرة من ضابط كبير له مكانته ، وليس من ضابط صغير يمكن التسامح معه بشأنها / نتياجة لهذا تم نقل تاوزند إلى أحد أفواج الفيوزلاير في الهند . في ١٩٠٤ رفع إلى (كولونيل) مرة أخرى ، وفي نهاية السنة نفسها أصبح ملحقًا عسكريًا في باريس ، ثم حاكمًا عسكريًا لمستوطنة (نهر أورانج) في جنوب أفريقيا ، إلى أن تم ترفيعه إلى ميجر .. جنرال في ١٩١١ . بعد قضاء فترة قصيرة في انكلترا غادر إلى الهند ليترل قبادة لواءين هنديين. محاولاته المستمرة للحصول على ممركز قيمادي إ جبهة القتال تكللت بالنجاح في ١٩١٥ عند استلامه قيادة فرقة البونا السادسة في العراق. كانت نقطة ضعفه، هي تعلقه الأعمى بالعلوم العسكرية الفرنسية . كان يجب فوش ، وكان تدريب جنوده متأثراً بتدريب الكلية الفرنسية (سان سير) . كان من عادة ضباطه الذين يخاصمهم مؤقتاً أن يقولوا بأن قائدهم يمثل دور (نابليون) مرة أخرى ، ويقول بعضهم ان تاوزند قـد أخـذ عن القنصـل الأول (نابليون) بعض خواصه وتصرفاته .

في الساعات الأولى من يسوم ٢٢ تشرين الشاني ١٩١٥ بدأت التقارير الأولى عن قرب وقوع هجوم تصل نسور الدين. قالت التقارير بأن جنود العدو يقومون بعدد من المناورات على أقصى الجناح الهثماني الأيسر، وفي الساعة الخامسة صباحاً، تم إخبار

القائد العثماني العام بأن قوة للعدو تقدر بلواء مشاة وخيالة تتجه مباشرة إلى خط الدفاع الثالث على ديالى . لقد بذل أركان حرب نور الدين جهدهم للحيلولة دون إرساله الفرقة اله (٥١) إلى ديالى من كصيبة حيث كانت ترابط كقوة إحتياطية ، وذهب مكانها لواء الخيالة . كان نور الدين يشك في أن البريطانيين يحاولون تطويقه ، ولم يطمئن إلا بعد أن وصله تقرير آخر عن تحويل القوة البريطانية لإتجاهها واتجهت نحو كصيبة .

إستيقظ جنود تاوزند متصلبي العضلات من البرد والتعب ، فقد جعلت الريح القارسة النوم مستحيلاً رغم وصولهم مواضع هجومهم قبل ستة ساعات ، وأبصروا ضوء الفجر الخافت بعيون شبه مغمضة . كانت دجلة ومواضع العدو مغلفة بضباب كثيف لم يتبدد مع شروق الشمس في الساعة ٦,٣٠ صباحاً . أعادت صيحات العرفاء الرجال إلى وعيهم ، وبدأ رتل هوتوف بالانتشار في نسق طوله ١٥٠٠ ياردة ثم بدأ بالتقدم نحو «طاق كسرى « بحذر شديد لأن الرجال كانوا عاجزين عن الرؤية لمسافات بعيدة بسبب الضباب .

قبل الساعة ٧ صباحاً بلعظات ، فتحت مدفعية الأسطول النهري البريطاني نيرانها على ضفة النهر المقابلة لقرية بستان ١ لأن استطلاعاً جوياً سابقاً ، قد ذكر قيام العدو بإنشاء ربية جديدة هناك وفي الساعة ٧,١٥ بدأت مدفعية هوتون بقصف مواضع العدو الواقعة أمام الرتل الزاحف ، لكن العثمانيين لم يردوا على القصف بأى شكل كان .

بدأ الضباب يختفي في الساعة ٧,٤٠ صباحاً وإستطاع تاوزند من مقر قيادته الجديد في محل تجمع الرتل الثالث بعد مغادرة الرتل لد أن يتصل بها ملتون وديلامين .

كان هاملتون قد بدأ يقلق ، فرغم سماعه أصوات المدافع لم يستطع سماع طلقة بندقية واحدة ، فأرسل إلى تاوزند يسأله بـ

« لا أستطيع سماع بنادق هوتون . هل أتقدم ؟ »

كان الميجر ــ جنرال يعاني من نفس الحيرة فرغم قدرته على رؤية وسماع مدافع هوتون لم يسمع أي طلقة بندقية من المشاة الزاحفين

المغلفين بالضباب ، لكنه قرر عدم تـأخير عمليــة الالتفاف لفتــرة أطول ، فأمر هاملتون وميليز ــ على يمين هاملتون ــ بالتقدم .

في الساعة الشامنة صباحاً زال الضباب نهائياً وظهر الطاق العظيم مهيمناً على الصحراء . كان بوسع جنود هوتون الزاحفين رؤية جوانبه وزواياه واضحة تحت السهاء الزرقاء الصافية ، لكنهم لم يشاهدوا ـ حتى بعد اقترابهم ٢٠٠ ياردة من الطاق ـ أية علامة تدل على وجود العدو . كان المواضع العثمانية خالية من كل علامات الحياة لدرجة جعلت هوتون يشك في وجود أي شخص فيها . في الساعة ٨,٣٠ بدأت أرتال هاملتون وميلز بالتقدم ، وفي نفس الوقت أرسل هوتون ضابطاً وثلاثة جنود لاستكشاف الحنادق العثمانية .

أحتى الأربعة أجسامهم وهرولوا للأمام. عند وصولهم إلى مسافة خسين ياردة من الأسلاك الشائكة بدأوا بالزحف على أبديهم وركبهم بهدوء عبر أرض جرداء متشققة قد حرق العثمانيون أدغالها لكي لا تعيق نظرهم أو تصويبهم. فجأة فتحت رشاشة العدو نيرانها وقتلت الأربعة في وقت واحد.

كانت الخطة تقضي بمهاجمة هوتون للعدو عند تقدم ديلامين على (ن ج .) وليس قبل ذلك ، وهكذا أمر هوتون رجاله بحفر ملاجيء للم بعد أن تأكد من الوجود العثماني ، كانت أجهزته وخرائطه تخبره بأنه على بعد (٢٥٠٠) ياردة من الطاق .

الأحداث التي تلت ذلك بقت غامضة تماماً. عدد من الشهود المعتمد عليهم ومن ضمنهم تاوزند وديلامين عظنوا أنهم شاهدوا أعداداً كبيرة من جنود العدو تنسحب من الجناح العثماني الأيس، لكن العثمانيين نفوا فيها بعد قيامهم بمثل هذا الانسحاب. ديلامين أرسل إلى تاوزند عد

« العدو في تراجع كلي . هل يمكنني التقدم إلى (ن . ج .) ؟ »

أجاب تاوزند بالموافقة ، وكانت موافقته ناجمة عن إعتقاده بأن سبب تراجع العدو كان تقدم أرتال هاملتون وميليز . بدأ رتل ديلامين بالتقدم وأخذت المدافع البريسطانية تحفر الجناح الأيسسر العثماني بنيرانها .

كان التراجع العثماني مفاجأة لهوتون، لكنه رغم دهشته أمر

رجاله بالخروج من الملاجيء التي حفروها ومواصلة التقدم. كانت الأرض مغطاة بالسواقي والأخاديد التي يتراوح عمقها بين قدمين وثلاثة أقدام، وتقدم رتل هوتون مسافة (١٠٠) ياردة وأصبح على بعد (٩٠٠) ياردة من مواضع العدو قبل أن تفتح الأسلحة العثمانية (بنادق ورشاشات ومدفعية) نيرانها بدقة تصويب رهيبة.

ترك رتل هامتون وحلاته الطيبة وعتاده الاحتياطي وتقدم عبر سهل خال مكشوف تماماً مسافة تتراوح بين (١٢٠٠٠ ـ ١٥٠٠٠) ياردة قبل أن يصطدم بنار بنادق كثيفة صادرة من ملاجيء ضحلة مختفية داخل الأدغال المنخفضة . كان عدد جنود العدو (٢٠٠) جندي عثماني تقريباً استطاع رجال هاملتون قتل معظمهم ولاذ الباقون بالفرار . كان باستطاعة رجال هاملتون رؤية رتل ديلامين الباقون بالفرار . كان باستطاعة رجال هاملتون رؤية رتل ديلامين التي كانت في مقدمة الرتل (فوج نورفولك الثاني وفوج المهرات التي كانت في مقدمة الرتل (فوج نورفولك الثاني وفوج المهرات العثمانيون البالغ عددم (٤٠٠٠) جندي _ مقابل هاملتون الروح نورفولك الثاني وفوج المهرات العثمانيون البالغ عددم (٤٠٠٠) جندي _ مقابل هاملتون الروح نورفولك الثانيون البائع عددم (٢٥٠٠) حندي _ مقابل هاملتون الروح نورفولك الثانيون البائع عددم (٢٥٠٠) حندي _ مقابل هاملتون الروح نورفولك الثانية المهاني المهاني المهانية المهانية

على يمين رتل هاملتون وبعيداً عنه كان الرتل الطائر بقيادة ميليز يواجه مقاومة صعبة ، فقبل أن يتمكن من التقدم مسافة كبيرة هاجمه لواء الخيالة العراقي التابع للجيش العثماني ، وتركز الهجوم على الجناح الأيمن للرتل مهدداً مواصلات الرتل ووحدته الطبية ومركز إشاراته . تم صد الهجوم بدون صعوبة كبيرة ، لكن فوج البنجاب الربيل تعرض لنيران كثيفة من مشاة العدو بعد تقدمه ١٢٠٠ ياردة أخرى . دارت معركة ضارية واثبتت المقاومة العثمانية فعاليتها باجبارها البريطانيين على حفر ملاجيء في الأرض والتحصن بها . كانت الخسائر البريطانية كبيرة ومن ضمنها قائد الفوج ومساعده . إلى اليمين كان لواء الخيالة البريطاني يواجه قصفاً كثيفاً من المدفعية والبنادق العثمانية ، واضطر الفرسان بعد تعاظم خسائرهم إلى الترجل ومواصلة التقدم وهم يسحبون خيوهم المرعوبة وراءهم .

كانت الساعة قد تعدت التاسعة صباحاً بقليل عندما استلم ديلامين موافقة تاوزند على الهجوم على (ن.ح.)، وبدأ رتله التقدم

على جبهة عرضها ٦٠٠ ياردة تقريباً ، فتقدم الفوركا إلى الجانب السمالي من (ن.ح.) بينها تحرك فوج البنجاب الـ (٢٤) نحو اليمين . كانت المسافة بين نقطة بداية الهجوم و (ن.ح.) حوالي (٥٠٠٠) ياردة .

قطع رتل ديلامين ثلثي المسافة إلى (ن.ح.) بتقدم سريع قبل أن يلاقي قصفاً مدفعياً ثقيلاً ، فتغير التقدم السريع إلى تقدم متقطع بأن يقوم الرجال بركضة سريعة لمسافة (١٠٠) ياردة ثم يلقون بأنفسهم إلى الأرض ويستريحوا قليلاً قبل أن ينهضوا ويكرروا العملية . كان الركض يتم تحت غطاء ناري من الرشاشات البريطانية المنصوبة على عين ويسار التل ، ورغم تزايد الإصابات فقد حافظ الجنود على اندفاعهم حتى وصلوا الاسلاك الشائكة على مسافة (٤٠) ياردة من المنادق العثمانية . حدث قصف ناري كثيف وصيحة انتصار واندفع مشاة ديلامين عبر الأسلاك الشائكة ليحتلوا خنادق العدو . واندفع مشاة ديلامين عبر الأسلاك الشائكة ليحتلوا خنادق العدو . في الساعة العاشرة صباحاً كانت (ن.ح.) في أيدي البريطانيين بعد أن أمتلأت بالقتلى والجرحى ، وتبعثر العثمانيون الباقون هاربين

بعد احتلال المواقع العثمانية في (ن.ح.) بقيت جذوة القتال مشتعلة لدى عدد من جنود أفواج الفوركا والمهراتا والبنجاب فاتجهوا للجنوب مهاجين ربية عثمانية ، كانت تواصل إطلاق النار عليهم من اليسار ، واختفوا عن الأنظار داخل الخنادق العثمانية في الوقت الذي وصل فيه ديلامين إلى (ن.ح.) وهذا ما جعل ديلامين يعتقد حتى نهاية ذلك اليوم بأن اللواء المختلط (٣٠) بقيادة الكولونيل س.ه كليمو هو أقرى مما هو في الحقيقة . كان ديلامين قد شاهد هروب العثمانيين وأراد الاستفادة من فوضى الفرار فأمر كليمو بمطاردتهم حتى الخط الثاني ، فاندفع اللواء المختلط الثلاثين وراءهم رغم العدد الكبير من القناصين العثمانيين الذين واصلوا إطلاق الرصاص حتى وصل المهاجمون إلى مسافة (٢٠٠) ياردة منهم ، فنهضوا ولاذوا بالفرار .

في نفس الوقت كان رتل هوتون _ الذي توقف مؤقتاً بسبب نيران العدو الكثيفة _ قد واصل تقدمه رغم افتقاره إلى الغطاء الناري حيث توقفت مدافعه عن الضرب بسبب حدوث سراب _ العائق الأكبر لدقة التصويب _ وخوفا من إصابة الجنود البريطانيين . أي الساعة ١٠,٣٠ صباحاً كان اللواء (١٧) قد وصل الى مسافة ٧٠٠ ياردة من الخنادق العثمانية ، وبالرغم من تعرض الفوج (١١٩) إلى نار بنادق الآنفيلد الآتية من المواضع العثمانية في (الجدار العالي) فإن خسائر الفوج لم تكن كبيرة بعد .

اعتقد تاوزند أن هروب العثمانيين أمام ديلامين قد يدفع باقي قوات « العثمانيين » إلى التراجع غير المنظم نحو الخط الثالث على ديالى ، فقرر نقل مقر قيادته إلى (ن.ح.) ، وفي الساعة ١٠،٤٥ صباحاً امتطى الميجر – جنرال وأركان حربه خيوهم وانطلقوا عبر مسافة مكشوفة تبلغ الميلين نحو (ن.ح.) فانتهزت المدافع العثمانية الفرصة لترحب بهم بعدة قنابل دقيقة التصويب.

في تلك الأثناء كانت قوات كليمو المتقدمة قد وقعت تحت قصف كثيف ، وكان هدف كليمو الاستيلاء على ثمانية مدافع عثمانية ظاهرة على مسافة من (ن.ح.) وإلى الغرب منها. كانت معنويات جنود كيمو القوات العثمانية الاحتياطية ، وامتلأت الختادق بقتل العثمانيين وجرحاهم . بعد هذا اندفع الجنود نحو المسافع الي أصبحت مهجورة ـ لكنهم ما كادوا يستولون عليها حتى أجبرهم قصف مدفعي كثيف على مواصلة التقدم للتخلص من دقة تصويب المدافع العثمانية ، واستمر التقدم نصف ميل آخر قبل أن يضطروا للتوقف على مسافة من الخط الثاني بسبب كثافة النيران العثمانية .

كان باستطاعة تاوزند أن يرى عند وصوله (ن.ح.) أن المعركة لم تنته بعد، فقرر استدعاء رتل هوتون إلى (ن.ح.) ليدعم رتل ديلامين متوقعاً انسحاب العثمانيين الذي على يساره من تلقاء أنفسهم إذا استطاع عزلم عن بقية الجيش العثماني بهجوم كثيف في منطقة (ن.ح.) فأمر ضابط أركانه الأقدم وحسب تعبير تاوزند نفسه « بإرسال رسالة إلى هوتون ليجلب جناحه الأيسر ويتحرك الى (ن.ح. أ » أن نص هذا الأمر الذي أثار الاستغراب مجهول تماماً لأن هوتون مات في الكوت وجميع ضباط أركانه الذين شاهدوا الأمر قتلوا في سلمان باك . كان الأمر يعني تحريك رتل هوتون أمام أنظار العثمانيين المتخصصين بالخنادق وهذه الحركة ستكشف جناح الرتل العثمانيين المتخصصين بالخنادق وهذه الحركة ستكشف جناح الرتل لغطار الرشاشات والبنادق التي تبعد عنه مسافة (١٠٠٠) ياردة فقط . لم يكن أمام هوتون خيار غير إطاعة الأمر .

بدأ لواء المشاة الـ (١٧) حركته عبر سهيل خال من الغطاء الطبيعي تاركاً سرايا قليلة وفصائل رشاشات لتغطي حركته وتبقي رؤوس الأعداء تحت حافة الختادق بغطاء ناري سريع . كان يتحرك بزاوية قائمة مع اتجاه الهجوم ، وكانت ردة فعيل العثمانيين كيا خشيها هوتون . كل نوع من الأسلحة فتيح نيرانه على الجنود البريطانيين وهم يتحركون جانباً عبر الجبهة . البنادق والرشاشات وشظايا القنابل ألحقت خسائر فادحة بالرتبل الزاحف . بعض من شاهدوآ هذا الزحف تأثروا بهدوء الرجال الزاحفين تحت النار حاصة رجال فوج أوكسفورد ـ والبعض الآخر تذكروا الزحف برهبة حيث كان الجنود يتحركون وكأنهم نائمون . في النهاية وصل ما تبقى من اللواء الى ساقية منحت الجنود نوعاً من الغطاء ببعد (٢٠٠) ياردة عن شرق (الربية المائية).

راقب تاوزند وديلامين تدمير لواء المشاة الـ (١٧) بخيبة أمل فقد أصبحت خطورة الوضع إلى اليسار واضحة . لقد أوقف تقدم هوتون وتشتتت قواته وظهرت الصغوف القرية للقوات الاحتياطية العثمانية وهي تتقدم لمله الخنادق الخالية في جنوب (ن.ح.) ، أصبح من الضروري للبريطانيين احتلال (الربية المائية) أو أي ريبة أخرى في خط الدفاع العثماني الأول ، فأمر ديلامين مدفعيته بإيقاف نقدم جنود العدو وأرسل آخر قواته الاحتياطية ـ نصف فوج الدورسيت ونصف سرية الهندسة (٢٢) ـ لمساعدة هوتون على احتلال المتادق والربايا المتبقية .

بعد حصولهم على تلك الاستراحة القصيرة نهض رجال فوج أوكسفورد من ساقيتهم الضحلة وهجموا عبر المائة ياردة الأخيرة واقتحموا الأسلاك واحتلوا (الربية المائية) بعد تكدهم خسائر جسيمة. أما العثمانيون ـ الذين كانوا في الربية فكانت نهايتهم القتل أو الأسر.

كان تقدم كليمو واحتلاله (ن.ح.) قد أضعف العثمانيين أمام رتل هاملتون، وحين شاهدوا رفاقهم يفرون باتجاء الخط الثاني قرر الكثير منهم الانضمام إليهم في ذلك الفرار.

في الساعة (١١,٣٠) صباحاً حاول لواء الخيالة البريطاني _ إلى أقصى اليمين _ الالتفاف حول جناح العثمانيين ، إلا أن الهجروم

المضاد الذي شنته الفرقة العثمانية الـ (١٥) الآتية من كصيبة بالاشتراك مع لواء الخيالة العراقي جعل البريطانيين شبه محاصرين وأجبرهم على الانسحاب مسافة قصيرة. ساعد قصف المدفعية البريطانية لواء الخيالة على الاحتفاظ بمكانه بعض الوقت، لكن عندما حلت الساعة (١,٣٠) بعد الظهر كان اللواء قد انسحب تقريباً إلى نقطة تجمعه قبل الفجر.

قبل الظهر بوقت قليل وصلت نور الدين أخبار تدمير الفرقة الدول (60) وهي إحدى الفرقتين اللتين كان يعلق عليها الآمال . كانت الأخبار قد تأخرت في الوصول نتيجة تقطيع سلك التلفون من قبل مجموعة من أفراد العشائر اختفت الآن في التلال . أصدر نور الدين أوامره إلى قائد القوات الاحتياطية العثمانية (جهادبك) بالتقدم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الفرقة . تقدم جهاد بك بعد أن ترك سرية هندسة لتوقف أعداد الهاربين المتزايدة المتجهة إلى الخلف ، وكان هذا التقدم هو الذي أوقف كليمو على بعد (٨٠٠) ياردة من الخط العثماني الثاني . وفي تلك الأثناء تراجعت الفرقة العثمانية الد (٨٣) بعد هبوط معنوياتها نتيجة للخسائر الجسيمة التي حلت بها أثناء بعد هبوط معنوياتها نتيجة للخسائر الجسيمة التي حلت بها أثناء دفاعها عن (الربية المائية) وانسحبت إلى قرية (سلمان بك) .

في الساعة ١,٣٠ بعد الظهر كان خط الدفاع العثماني الأول بأكمله في أيدي البريطانيين . كان فوج البنجاب الـ (٧٦) لا يزال صامداً في موقعه ، لكن لواء الخيالة كان مجبراً على البقاء في نقطة تجمعه الأصلية نتيجة لضغط أعداد كبيرة من العثمانيين عليه ولم يكن هاملتون قادراً على مواصلة التقدم ، وقد أوقف زحف كليمو غاماً رغم استيلائه على المدافع العثمانية الثمانية . إلى الجنوب كان هوتون يجاول إعادة تشكيل لوائه الذي تناثر قاماً .

عند الظهر قام نكسون وهيئة أركانه بزيارة مفاجئة إلى (ن.ح.) تاوزند أخبره بأنه اعتقد في البداية أن كل شيء يسير سيراً حسناً ، لكنه يدرك الآن بأن هجوم جهاد بك قد قام به جنود جدد لم يشتركوا في المعركة منذ بدايتها ، وقد يكون هذا هو السبب في بقاء المقاومة العثمانية إلى ذلك الوقت . كان تاوزند لا يزال يعتقد بأن قوة عدوه هي أكثر بقليل من قوته نظراً لجهله بوصول التعزيزات العثمانية . كانت هناك صدمة أخرى تنتظر الميجر ـ جنرال فقد شاهد كليمو

جريحاً وسط تيار الجرحى المتدفق المحمول من أمامه. قبل الساعة الثانية عصراً بدأت قوة كليمو بالتراجع أمام هجوم جهاد بك العزوم. في البداية أخذ الجنود الهنود يتسئلون هاربين مع الجرخى، وعبثاً حاول فوج (دورسيت) أن يتير عزائم الهنود ، وفي النهاية بقي هذا القوج وحده . كانت النيران البريطانية التي تحاول صد المهاجين كثيفة لدرجة أن الدهن بدأ يغلي وتظهر فقاعاته على أخص البنادق ولم يعد بالإمكان لمس حديد البندقية . بدأ العتاد ينقص لأن جميع بغال الرتل قد قتلت أو جرحت جرت محاولات لنقل صناديق العتاد لثقيلة بواسطة الرجال ، لكن المسافة كانت بعيدة ، ولم يصل لمقيلة بواسطة الرجال ، لكن المسافة كانت بعيدة ، ولم يصل لمقاتلين منها سوى صناديق معدودة .

راقب تاورند هذه التطورات من خلال دخان المعركة وأيقن أنه بجب عمل شيء ما وبسرعة ، فأمر ديلامين بجمع ما يستطيع من الجنود وأن صاجم خط الدفاع العثماني الثاني وطلب ديلامين من هوتون إعادة الجنود الذين أعارهم إياه ، كما طلب منه التقدم بما يستطيع جعه من جنود ليدعمه (يدعم ديلامين) في المجوم المقبل نم جع أجنود الإشارة والمراسلين وكل جندي يبدو عاطلاً عن العمل وتنظيمهم في قوة يبلغ عددها (٦٠) رجلاً . أمر ديلامين القوة بالتقدم بحد أن أمر مدفعيته بالصعود إلى (ن.ح.) .

تحول نار البنادق العثمانية إلى سيل متواصل من الرصاص، وتزايدت خسائر القوة رغم أنها تجذب أي رجل تمربه إلى صفوفها. في النهاية وصل فوج الراجبوت السابع التابع لرتل هاملتون. حدثت مشاورات عاجلة ووافق قائد الراجبوت ـ الكولونيـل هـو. بار على الانضمام للهجوم على الخط العثماني الثاني الـذي كان يبعد (٣٠٠ ـ ٣٠٠) ياردة . حصل بعض التقدم إلا أن عدة صغوف من مشاة العثمانيين شوهدة تتقدم نحو (ن.ح.) و مدافع ديلامين وبدا واضحاً عدم جدوى مواصلة التقدم ، فأمـر ديلامين بار وفتوجه بالعودة إلى مواضعهم السابقة . كان هوتون أوفر خطاً من ذيلامين فقد استطاع جمع (٢٥٠) رجلاً ـ من ستة ألويـة مختلفة ـ لـدعم فقد استطاع جمع (٢٥٠) رجلاً ـ من ستة ألويـة مختلفة ـ لـدعم الضغط . قاد جنود هوتون البريطانيون الزحف عـبر أرض جرداء مكشوفة نحو العدو المتحصن في تلال رملية تبعد (٢٠٠٠) ياردة عن (ن.ح.) .

لم تتعرض القوة الزاحفة لأذى قبل وصولها إلى بعد (٣٠٠) ياردة من العدو الذي استقبلها استقبالاً حاراً جداً . توقف الصف البريطاني وقابل النار بمثلها لكن الزحف كان قد أوقف تماماً . ازدادت الحسائر على الأرض وبدأ الجنود يتلفتون وراءهم بحثاً عن تعزيزات تجعل الهجوم على الخط العثماني الثاني محكناً . لم تأت أية تعزيزات ، وبدأت الشمس تغرب . قاوم هوتون حتى حلول الليل ثم انسحب تحت جنع الظلام بعد أن فقد ضابطين من ضباطه البريطانيين الأربعة و (٢٠) جندياً . بين قتيل وجريع . من قوته الصغيرة .

على اليمين البريطاني كان فوج البنجاب الـ (٧٦) لا يزال صامداً أمام هجمات بعض قوات الفرقة الـ () العثمانية ، بينها ركزت معظم قوات الفرقة هجومها بالاشتراك مع لواء الخيالة العراقي على رتل ميليز الطائر . عند حلول العتمة أمر تاوزند ميليز بالانسحاب إلى (ن ح .) . في الساعة الخامسة مساءً قام رتبل هاملتون ـ بعد حفر مواضعه بالعمق الذي تسمح به الأرض خلال العصر . بمحاولة أخيرة للتقدم ، لكن بعد بداية التقدم يقليل وصل رسول يحمل أمراً من تاوزند بإيقاف التقدم والانسحاب إلى

قبل الغروب بقليل - أي حوالي الساعة الخامسة مسائد أدرك الور، ، رغها عنه ، عدم قدرته على مزيد من التقدم في ذلك اليوم ، فقرر جمع قواته ومواصلة الهجوم في الصباح التالي ، واستنتج من عدد قتلى العدو أمامه على أرض المعركة بأن العثمانيين سوف بنسحبون خلال الليل إلى خط دفاعهم الثالث على نهر ديالي . أمر ناوزند جنوده بتحصين مواضعهم في الخط العثماني الأول الذي استولوا عليه . كان على هوتون أن يمسك (ن.ح.) وميل واحد من الخنادق المستولى عليها باتجاه الجنوب ، وعلى جنود ديلامين مسك خط الحنادق الباقي المتد إلى النهر ، أما رجال هاملتون فكان عليهم إمساك اليمين .

ورغم عدم قيام العثمانيين بعرقلة تجميع البريطانيين في (ن.ح.) بأية وسيلة ، فقد كانوا قد أوقفوا القصف وانسحبوا إلى خطهم الدفاعي الثاني ، فقد بدأ تاوزند يدرك أن قواته ليست في حالة تسمح لها بالهجوم في اليوم التالي . كانت خسائره من المشاه فادحة ، فقد

خسر هوتون (۷۰۰) رجل، وخسر دیلامسین (۱۰۰۰) رجل، و خسر هاملتون (۹۰۰ ـ ۹۰۰) رجل. لحذا أجرى المیجر جنرال تعدیلاً في أوامره، فقرر أن يتخذ ـ بعد أن تستعيد قواته نوعاً من النظام . موضعاً مناسباً قرب النهر ليسهل على جنوده الحصول عبل الما، والطعام والعتاد وإخلاء الجرحي.

قي تلك الليلة خلق تاوزند كابوساً لنفسه ، فقد أمر بتجميع الجرحى في (ن.ح.) بدلاً من إخلائهم إلى الخلف كيا كان يتم خلال معارك النهار ، وأضيف الجرحى البريطانيون والحنود إلى قتل وجرحى العثمانيين الذين كانوا يملأون (ن.ح.) عندما احتلها ديلامين في الساعة العاشرة صهاماً . كانت طريقة الجيش الهندي التقليدية يتم في نقل الجرحى على نقالات أو سلال موضوعة على ظهر البغال قد الحتفت تماماً نتيجة للخسائر الجسيمة في الرجال والبغال ، فتم نقل الجرحى العاجزين عن السير الى (ن.ح.) على عربات اعتيادية لا ألجرحى العاجزين عن السير الى (ن.ح.) على عربات اعتيادية لا ألجرحى ، وأصبح الليل رهيباً بأنين الرجال وصراخهم . أم يكن الطعام الجرحى ، وأصبح الليل رهيباً بأنين الرجال وصراخهم . أم يكن الطعام والماء المخصص للجرحى كافياً ، أما الكادر الطبي الذي كان كافياً بالكاد للعناية بـ (٠٠٠) جريح فقد صار عليه الآن معالجة عشرة أمثال هذا العدد .

لقد قتل أو جرح (١٢٠) ضابطاً من مجموع (٣٧١) ضابطاً بريطانياً ، كها انخفض عدد الضباط الهنود من (٢٥٠) إلى (١١١) ضابطاً ، وأصيب (٤٢٠٠) جندي بين قتيـل وجريـح من مجموع (١٢٠٠٠) جندي تقريباً .

وبينها كان حصاد نتائج اليوم يجري في (ن.ح.) هبت ريح ليلبة قارسة على السهل المنبسط وتسللت إلى الخنادق المليئة بالجرس، كانت حكايات الجرحي رهيبة. عندما هوجت (الربية المائية) اكتشف الجرحي القادرون على الزحف الى المبذل المعاذي للربية أن العثمانيين كانوا قد توقفوا حركتهم وملأوا المبذل بالماء لوضع جرحي الجيش البريطاني في مواجهة اختيار صعب: رفع الرؤوس فوق الماء وتعريضها للرصاص العثماني أو إبقائها تحت الماء والغرق، وكاد بعض الجرحي الذين فقدوا وعيهم أن يغرقوا بالفعل لولا رفاقهم (من غير الجرحي) الذين أمسكوا بهم طيلة النهار، وخلال الساعات

الثلاث التي زقد فيها الجرعي في المبدّل قبل أن يقم الاستيلاء على خط الدفاع العثماني الأول ، تحول لون الماء إلى أحمر قرمزي . بعد المعنال تطهير الخط العثماني الأول من العثمانيين ثم رفع الجرحى من المبدّل إلى الضفة عيث بقوا راقدين عليها بملابسهم المبللة إلى أن وصلت إليهم فرق التقالات المجهدة ، أما الجمرحى القادرون عمل السيار فذهبوا يبخثون عن محظات تضميد الميدان القليلة ووجدوها مؤدهمة وغير قادرة على عواجهة الحالة ، وطوال الليل كانت جماعات تبعث في عبدان المعركة عن جرعي النهاز ، أما الأسلحة المتروكة لقد تبعث في عبدان المعركة عن جرعي النهاز ، أما الأسلحة المتروكة لقد كانت تحلف بالسير خلف القوات الزاحفة لجمع البنادق المتروكة والمواد الأخرى التي يمكن القوات الزاحفة لجمع البنادق المتروكة والمواد الأخرى التي يمكن الاستفادة عنها مرة أطرى ، وقد وصف آمر إحدى هذه المجموعات ، وهو ملازم من فوج أوكسفوره ، تجربته كما يل : ــ

لا عند بدء الهجوم سرت خلف لوائي (السابع عشر) إلا أن نيران العدو كانت كثيفة وعربائي كانت أهدافاً واضحة لمدافع العدو بحيث لم أستطع عمل شيء لوقت طويل ، رغم وجود الكثير ثما يجب عمله كان ميدان المعركة مليئاً بالقتل والجرحى وبالتجهيزات المتبائرة والبنادق المتروكة وبغال النقل الجريحة بحيث لم أعرف بمن أبداً. أمرت نصف بعموعتي بمواصلة عملهم في جميع التجهيزات والأسلحة أمرت نصف بعموعتي بمواصلة عملهم في جميع التجهيزات والأسلحة المتروكة في (الربية المائية) بينسها يقوم نصف المجموعة الآخر بمساعدة الجرحى الذين كان عددهم أكبر مما يستطيع كادر الأسعاف العناية به . »

خيم القلق والكآبة على نور الدين الذي كانت خسارته ١٥٠٠ رجل بين قتيل وجريح إضافة إلى ١٢٠٠ جندي وقعوا في أسر البريطانيين ، وهكذا أصدر أوامره بعد التاسعة صباحاً بقليل و وبعد دراسته التقارير المرسلة إلى مقر قيادته _ إلى قواته بالانسحاب إلى الخط الثاني في حالة عجزها عن استرجاع الخط الأول دون معركة ، كما قضى الليل كله يعيد تنظيم قواته المجهدة في فيلقين : الفيلق الثالث عشر يضم الفرقتين الـ (٣٥) والـ (٣٨) ، والفيلق الثامن عشر يضم الفرقتين الـ (٤٥) والـ (٣٨) .

خلال الليل أدرك تاوزند أن قواته _ رجالًا وحيوانات _ منهكة القوى وتعاني من البرد ونقص الطعام والماء . ألويته كانت مبعثرة ،

والرجال يجيمون عنا وهفاك بحثاً عن رفاقهم . كان يعرف أن نقل الجرحى إلى اللج - التي تبعد اثنا عشر ميلاً - سيتطلب استخدام جميع وسائط نقله . مع طلوع النهار ظهرت عوائق جديدة بوجه إعادة تنظيم القوات البريطانية لتصبع جيشاً مباشراً فعالاً ، فقد هبت رياح قوية وأثارت عواصف رملية حجبت الرؤية في جميع الاتجاهات ، ووضع لناوزند أن خطته لاستعرار الهجوم كان ميتوساً منها ، فقواته تحتاج إلى الطعام والماء والراحة وإعادة التنظيم ، فأمر بتركيز قواته في أحد أجزاء المط العثماني الأول وهو الجنزء الممتد من (الجدار في أحد أجزاء الملط العثماني الأول وهو الجنزء المتد من (الجدار ألعالي) إلى (الربية المائية) والانسحاب من بقية الخط ، كما أمر أسطوله النهري وسفن تجهيزاته أن تتقدم شمالا الى بستان .

وتجددت آمال تاوزند عند استلامه تقريراً كاذباً من طيار طائرة الاستطلاع يفيد بأن العثمانيين قد انسحبوا تماماً من خط دفاعهم الثاني إلى ديالي تاركين وراءهم قوة حراسة صغيرة لمؤخرتهم تتكون من فوج واحد أو فوجين ، كيا سحبوا جسرهم المكون من الزوارق إلى نقطة أبعد شمالاً . نتيجة لهذا التقرير بدأ تاوزند بأمل بإمكانية هجوم جديد وأمر لواء خيالته بالتقدم واحتلال التجهيزات المائية قرب الطاقة كيا أمر رتل هوتون بالبقاء في (ن.ح.) إلى أن يتم إخلاء جميع بجرحي كأن على المشاة في رتل ميليز الطائر أن ينضموا إلى علملتون الذي كان على المشاة في رتل ميليز الطائر أن ينضموا إلى بتحرك إلى (الجدار العالي) . كان على ديلامين أن يعيد تنظيم اللواء بتحرك إلى (الجدار العالي) . كان على ديلامين أن يعيد تنظيم اللواء بتحرك إلى (الجدار العالي) . كان على ديلامين أن يعيد تنظيم اللواء بتحرك إلى (البية المائية) ثم يتقدم فوجا الفوركا والبنجاب (٢٤)

تقدم لواء الخيالة باتجاه الطاق ووصل ضفة النهر وبدأ بإرواء خيوله . بعد الساعة العاشرة صباحاً بقليل تقدم الفوركا والبنجاب فيوله . بعد الساعة العاشرة صباحاً بقليل تقدم الفوركا والبنجاب مدافع الميدان (٨٢) ، وتم احتلال ربوة صغيرة تبعد (٢٠٠) باردة عن الطاق ، وسميت الربوة بـ (ربوة الفوركا) ، لكن بعد احتلالها قليل بدأت النيران العثمانية تنزل عليهم من خط الدفاع العثمانيون لثاني الذي يبعد عنهم حوالي (٢٠٠٠) ياردة ، كما فتح العثمانيون النار على لواء الخيالة وأجروه على التراجع من ضفة النهر إلى الجدار العالي » وجدوا « الجدار العالي » وجدوا جماً من الجنود يفحصون بفضول مدفعي هاون ضخمين . كان

لدفعان قديمين جداً ومصنوعين من القصدير ومزينين بزخارف منوعة ثقيلين لدرجة نبذ أية فكرة في أخذها كفنائم، لكن بالرغم من ركها في « الجدار العالي » فقد أظهرت الحوادث اللاحقة أن جنود الفرقة السادسة لم يستطيعوا نسيانها أبداً.

كان عدد كبير من الجرحي لا يبزال في (ن.ح.) عندما بدأت بطارية مدافع ميدان قريبة وبدون سبب واضح بإطلاق نيرانها على خط الدفاع العثماني الثاني، وجاء الرد العثماني سريعاً ودقيقاً وانفجرت عدة قنابل بين الجرحى، كما فتحت المدفعية العثمانية الواقعة على ضفة النهر نيرانها مانعة السفن البريطانية من الوصول إلى بستان، ومجبرة تاوزند على إدراك أن مقر قيادته يجب أن يبقى في اللج.

خلال الصباح علمت القيادة العثمانية بالانسحاب البريطاني الكامل من المنطقة الواقعة إلى شمال وغرب (ن.ح.)، وأدرك بور الدين للمرة الأولى أن عدوه قد تكبد خسائر فادحة وقد يكون بخاجة إلى إعادة تنظيم، فأمر قواته بالقيام بهجوم مضاد على خط الحنادق الذي خسره، وظهرت الدلائل الأولى للهجوم أمام البريطانيين في الناعة الرابعة مساء تقريباً. كان لواء هوصون (١٧) لا يزال في الساعة الرابعة مساء تقريباً. كان لواء هوصون (١٧) لا يزال في استخدام جميع وسائط النقل لنقلهم قبإن نصفهم كان لا يزال في استخدام جميع وسائط النقل لنقلهم قبإن نصفهم كان لا يزال في استخدام جميع وسائط النقل لنقلهم قبان نصفهم كان لا يزال في أرسل فوجين من اللواء (١٨) لتعزيز قوة ديلامين، كها أعاد فوج البنجاب الـ (٢٦) إلى هوتون في (ن.ح.)

في الساعة الخامسة مساءً انسحبت بطارية مدافع الميدان المرافقة للقوة الصغيرة في (ربوة الفوركا) إلى (الجدار العالي)، وقد رفع هذا الانسحاب من معنويات جنبود الفرقة العثمانية الـ (٣٥) الزاحفة نحو الربوة، لكن هذا الزحف توقف نتيجة نيران صادرة من الربوة.

عندما اتضحت خطورة الهجوم العثماني طلب تاوزند من جميع الجرحى في (ن.ح.) القادرين على السير أن يتوجهوا إلى اللج وحسب استبطاعة كل منهم، فتكون صف طويل من رجال ملفوفين بالضمادات يعرجون ويقفزون باتجاه اللج، وترك الجرحى العاجزين

راقدين في قاع الخنادق.

زحفت الفرقتان العثمانيتان الـ (٣٥) والـ (٣٨) ببطء ، أما الفرقة الـ (٤٥) فقد وصلت عند حلول العتمة إلى مسافة ٠٠٠ ياردة من (ن.ح.) ، إلا أن ساعتين مرّتا قبل فتح النيران الكثيفة على طول خط الهجوم العثماني . لم تكن قوة هوتون المقاتلة تزيد على المعروحين حول أحساد الجرحى المطروحين حول أقدامهم . استمرت الفرقة الـ (٤٥) بالهجوم حتى الساعة الثانية صباحاً وانسحبت يخيم عليها شعور بالإحباط تلركة أعداداً قليلة من الرجال على مسافة ٢٠٠ متر من المتنادق البريطانية . ربا كانت هذه الفرقة تنتظر وصول الفرقة الـ (٥١) لتقوم بهجوم كبير لكنها انتظرت عبثاً ، فالفرقة الـ (٥١) أضاعت طريقها وبقت تائهة حتى الساعة (٢,٣٠) صباحاً حيث وجدها مراسل من قائد الفيلق الثامن عشر وأمرها بالعودة إلى الخط الثاني ، لكن المراسل ـ لسوء الحظ ـ لم يبق ليدلها على الطريق ، ولم تصل الفرقة يجنودها المنهكين والحائرين يبق ليدلها على الطريق ، ولم تصل الفرقة يجنودها المنهكين والحائرين يبق ليدلها على الطريق ، ولم تصل الفرقة يجنودها المنهكين والحائرين

كان ضياع الغرقة الـ (٥١) من حسن حظ البريطانيين ، فقد كان هوتون يعاني من نقص ذخيرته لدرجة أن تاوزند اضطر إلى إرسال رتل من العربات إلى اللج لجلب مزيد من الذخيرة ، وقد وصلت الذخيرة بعد عناء شديد في الساعة الثالثة صباحاً إلى (ن.ح.) .

كانت قوة ديلامين المسندة بأفواج النورفولك والـ (١٢٠) من اللواء (١٨) تمسك أربعة ربايا والخنادق الممتدة إلى جنوب (ن.ح.)، وتعرض منتصف هذا الخط ـ وقد كانت تمسكه قوة أساسية من اللواء (١٦) ـ إلى هجوم عثماني عزوم من قبل قوة من الفرقة الـ (٥١) بقيادة جهاد بك . بدأ الماء المستخدم الأغطية تبريد الأسلحة ينفد لكن الجنود أبقوا الأسلحة تعمل باتباعهم التقليد الحربي العربق وتزويدهم الماء من مصادرهم الطبيعية . لقد قال أحد المدافعين : ـ

« لقد عادوا (يقصد العثمانيين) إلى الهجوم بنار كثيفة نـزلت علينا كعاصفة من جبال الهملايا . كان صوت البنادق مسموعاً فوق ضجيج المعركة كصوت آلاف السياط . »

في أحد المواقع شق العثمانيون طريقهم إلى داخل الخنادق إلى أن فوج الدورسيت أخرجهم بالقنابل.

لم يقترب الهجوم من الخط البريطاني المعتبد جنوب « البربية المائية »، وتذكر المصادر العثمانية أن الفرقة الـ (٣٨) قد تراجعت بمجرد إطلاق النار عليها ، لكن الأمر كان مختلفا قاماً في (ربوة الفوركا) . كان المدافعون الأربعمائية يصدون هجوماً بعد آخر بصعوبة بالغة . كانت الربوة الآن محاطبة قاماً بجنود الفرقة السراء وهم يهاجون المرة بعد (٣٥) العثمانية وكانت هتافاتهم تشق السباء وهم يهاجون المرة بعد الأخرى للقضاء على مقاومة الفوركا والبنجاب . لقيد كتب محمد أمين _ أحد أركان حرب نور الدين _ فيها بعد :-

لقد حاولت الـ (٣٥) ولساعات عديدة أن تتغلب على تلك القوة الصغيرة الباسلة الصامدة ، لكنها فشلت في تحقيق هدفها رغم فقدانها الكثير من الرجال في سبيل ذلك .

لقد قابلت في أوائل حزيران ١٩١٦ الكابتن س.هـ ستوك (قائد رشاشة ماكسيم) أحد أفراد تلك القوة الباسلة بعد أسره في كوت العمارة على ظهر السفينة (خليفة) التي كانت تنقله ومشات من رفاقه إلى بغداد . لقد قص علينا ذلك الضابط عند مرورنا بطيسفون ذكريات كثيرة عن القتال الذي دار في تلك الليلة بين قوته والفرقة الـ (٣٥) ، وحسب ادعائه فقد كانت قوته تتكون من ١٠٠ رجل من فوج البنجاب الـ (٢٤) و ٣٠٠ رجل من الفوركا وسرية رشاشة (ماكسيم) تحت قيادة ضابط شجاع جريء هو اللفتنانت كولونيل باول ، أي أن المجموع الكلي كان ٢٠٠ رجل وسرية رشاشة . لقد أجبرت نفسي على الاستماع بأدب إلى أسرار تلك الليلة من السير ستركلي متظاهراً بترفع لم أحسه في الواقع لأنني لم أستطع مغالبة شعور عميق بالاحترام لشهداء تلك القوة المضحية الباسلة من العدو والتي قضت الساعات العديدة وهي لا تزيد عن أربعمائة رجل في صد هجوم الآلاف من جنود الفرقة الـ (٣٥) ونجحت في النهاية بدحرهم المخط الدفاع الثاني . »

في الثالثة والنصف صباحاً تسلم نور الدين تقريرا آخر من تلك التقارير التي كانت مصممة ـ على ما يظهر ـ لبعث الكآبة في نقسه . كان التقرير هذه المرة من قائد الفيلق الثامن عشر ، وقد ورد فيه :ـ

« لقد فقدت الفرقة الـ (٥١) طريقها وأصبحت في وضع مكشوف بدون إسناد ، أما الفرقة الـ (٤٥) التي واصلت هجومها حتى غروب الشمس فقد انسحبت تحت جنع الظلام إلى الخط الثاني . لقد فقدت الاتصال بالفيلق الشالث عشر على يميني وبالفرقة الـ (١٥) على يساري . إن قائد الفرقة الـ (١٥) يعتبر التقدم مستحيلاً بدون تعزيزات جديدة ، وقد أخبر في أن قوة العدو الرئيسية تتمركز في دير بير (ن.ح.) . لقد استشهد جميع أمراء أفواج وسرايا الفرقة وتناقص عدد جنودها ، ويقوم ضباط الصف حالياً بقيادة نشكيلات الفرقة ، وبعبارة أخرى يمكنني القول بأن الفرقة الـ (١٥) نشكيلات الفرقة الـ (١٥) بالانسحاب إلى الخط الثاني ، وأقتسرح أن أمرت الفرقة الـ (١٥) بالانسحاب إلى الخط الثاني ، وأقتسرح أن نحاول وندافع عن الخط المذكور . »

كان نور الدين قد أصدر أوامره بالانسحاب إلى الخط الثاني قبل استلامه التقرير، وأمر لواء الخيالة العراقي بتغطية الانسحاب، كما أمر كو كنه من الخيالة أن تبقى بين التلال الرملية كقوة استطلاع على يسار الفرقة الـ (٥١).

لم يكن نور الدين يفتقر إلى المواسين. لقد وصف مقر قيادته في تلك الليلة بأنه كان في أعماق الياس والقنوط. كان يكن رؤية الإحباط والإنهاك على كل وجه، فلم يكن هناك أمل في صمود الحط الثاني في مثل هذه الظروف. كان القائد العثماني الذي يجهل حالة عدوه المتدهورة قد قرر أنه لم يبق أمامه سوى أحد طريقتين: الأول أن ينهي حالة الاشتباك مع العدو وينسحب إلى موقع أكثر أمانا كالخط الثالث على ديالي، أو أن ينتظر في مكانه في حالة استعداد للانسحاب ويأمل أن تتحسن الظروف. نور الدين اختار الطريق الثاني.

ليست هناك معلومات عن الإصابات البريطانية الناتجة عن الهجوم الليلي ، لكن يبدو أنها كانت خفيفة . التقارير الرسمية ليومي (٢٣) و (٢٤) تقول أن (٨٢) قد قتلوا أو جرحوا رغم أن قسماً من هذه الإصابات قد حدث في النهار قبل الهجوم الليلي .

وكان الهدوء سائداً عند طلوع فجر (٧٤) تشرين الثاني ١٩١٥ . كانت حالة الجرحي الراقدين في الحنادق مربعة ، ولم يبق ماء على الاطلاق للشرب أو غسل الجروح، أما العربات التي كانت قادمة بالمؤن من اللج فقد أعيدت من حيث أتت بسبب الهجوم العثماني، وعندما وصل الطعام أخيراً في الساعة الثامنة صباحاً كان قد مر على الجنود _ الأصحاء والجرحى _ ثلاث وستون ساعة دون طعام . كان صوت المساحي والكراكات عالياً ذلك الصباح حيث كان الجنود يحفرون قبوراً ضحلة للموتى .

بعد الظهر بدأ مرة أخرى نقل الجرحى إلى اللج. كانت العربات الخالية من النوابض والمسحوبة بالبغال تنقل الجرحى بمعدل ستمة جرحى لكل عربة _ ثلاثة راقدين وثلاثة جالسين _ مسافة عشرة أميال إلى النهر. كانت العجلات الحديدية ترسل صدمة بعد أخرى في أجسام الرجال الذين كانوا من المصابين بجراح خطيرة في الرأس أو المعدة أو الأطراف. لم تكن هناك حشيات أو أفرشة تخفف عنهم اهتزازات العربات. كانت العربة تهتز وتقفز فوق الأرض المتكسرة ، وكان عبور السواقي ـ التي لا تبعد الواحدة عن الأخرى أكثر من مئات الياردات ـ يتم بسرعة ، ونتهجة لـذلك كانتِ الأرضية الحديدية للعربة تىرتفع لتصدم رؤوس الجرحي بشدة وأصبحت البغال ــ الخيول في بعض الأحيان ــ الساحبة للعربات في حالة رعب بسبب صراخ الرجال ورائحة الدماء مما يتعالما غالبا تجزي محاولة الهرب. لم يستطع بعض الجرحي تحمل هذا العذاب ورمـوا أنفسهم من العربات . على طول الطريق كان الجرحي بلفافاتهم الملطخة بالدماء يترنحون ويزحقون ويضيقون من الازدحام الخانق . بعد ظهر الخامس والعشرين من تشرين الثاني أبرق تاوزند الى

« لقد صمد جنودنا رغم إرهاقهم صموداً رائعاً وصدوا هجمات العدو المنتالية طوال عصر أمس والليلة الماضية رغم زيادة جنود العدو نتيجة للنجدات التي وصلته . لقد تراجع العثمانيون الآن إلى الخط الثاني ، وقمت بتركيز قواتي على ضفة النهر حيث سينضم الى هوقون بعد إكمال عملية إخلاء الجرحى ، وبعدها سأنسحب الى اللج حيث أرابط بجانب سفني وأنتظر تسطور الأحداث . إن المنطق العسكري السليم يشير إلى ضرورة الانسحاب ، فخوضي معركة أخرى بألويتي التي تناقصت أعدادها الى ٩٠٠ رجل و ٧٠٠ رجل و

الأخرى] يعني الكارئة . إن لدي أسرى عثمانيين كانوا يقاتلون الروس في القفقاس وهم ينتمون إلى الفرقتين الجديدتين اللتين أتتا من الشمال نجدة للعدو . إنني أشعر بأسى وحزن عميق لاتخاذي قرار الانسحاب لكني لا أستطيع طلب المستحيل من رجالي . لقد أنهكت محاولة طرد أربعة فرق من مواقع محصنة قوى ضباطي وجنودي الذين أدوا واجبهم ببسالة » .

لم يكن أمام نكسون خيار غير الموافقة ، وبدأ البريطانيون انسحابهم ، لكن العجيب أن العثمانيين بدأوا بالانسحاب كذلك .

في مقر قيادة نور الدين دخل قائد إحدى جماعات العشائر الني كانت تفتش جنوب المنطقة بحثاً عن الأسلاب، وأخبر القائد العثماني العام بأن القوة البريطانية قد انسحبت مهزومة إلى اللج. نور الدين لم يصدق ما سمعه . قبل قليل كان يفكر في الانسحاب بجيش مهزوم وفي المحاكمة العسكرية التي سوف تتبع ذلك حتماً. والآن يريده هذا الشقى أن يصدق أنه قد ربح المعركة. نور الدبن اقتنع بأن المسألة كانت مؤامرة بريطانية ، فالعدو يريده أن يبقى في مكانه ليوجه إليه الضربة القاضية ، وهكذا اتهم نور الدين الأعرابي بالكذب والتجسس عليمه وأمر بمالقبض عليه لينشظر التعذيب والشُّعْقِ في الوقت المناسب؛ إلا أن تقارير أخرى بدأت بالوصول وكلها تؤيد كلام الأعرابي . بدأت آمال نور الدين تنتعش ، فأطلق سراح الأعرابي المستاء جداً وقدمت له الاعتذارات والوعود بالمكافأة المالية ، وبعد لحظات أعيد القبض عليه ، فقد وصل رسول من قائد المجموعة التي تركها لواء الخيالــة العراقي في المؤخرة بخبر تقــدم الأفسواج وبطاريسات المدافع البريسطانية التي كسانت تحمي الخط العثماني الأول المستولى عليه ، وان هدف التقدم هو محاولة تطوبق العثمانيين من الشمال . لا شك في أن ما رآه الضابط العثماني هو لواء خيالة ميليز الذي تحرك ليغطى الانسحاب السريطاني، لكن الرسالة اقنعت نور الدين بأن تقديره الأول للموقف كان صحيحاً وأن البريطانيين ـ بعد إرسال الأعرابي الجاسوس ـ يحاولون الآن قطع خط انسحابه ، فأصدر أمره بالانسحاب الفوري إلى ديالي ، وأرسل لواء الخيالة العراقى في محاولة لإيقاف التقدم البريطاني . بدأ الجيش العثماني بالانسحاب المنظم الذي تحول تدريجياً إلى فوضى نتيجة الفزع الذي ساد الجنود .

القدر تدخل مرة أخرى ، فقد رفعت مجموعة من الخيالة العثمانية لم بأمر الانسحاب تقريراً دورياً بانسحاب البريطانيين من (ن.ج.) وأن الخنادق العثمانية القديمة خالية إلا من العدد الكبير من أفراد العشائر الذين يبحثون عن ما يكن تحصيله من التجهيزات التي تركها البريطانيون المنسحبون ، نور الديث أرسل وهو لا يزال محتفظاً بحدره مجموعة استكشافية للتأكد من هذا التقرير ، وبعدها أصدر الأمر بعودة الجيش إلى الخط الثاني ، كها أمر بإعدام الضابط الذي أخبره بالتقدم البريطاني .

شاهدت طائرة استطلاع بريطانية جيش نور الدين وهر بعود إلى مواقعه السابقة ، وأرسلت تقريراً إلى تاوزند بتقدم رتلين عثمانيين كبيرين يقدران بثلاث فرق من جهة ديالي ، وإن أحد الرتلان يتقدم بحاذاة الطفة اليسرى بينها يبتعد الرتل الثاني عن النهر متجهاً إلى اليابسة . كانت حركة الرتل الثاني ناتجة عن فقدان الفرقة الـ (٥١) طريقها مرة أخرى ، وليست عن أمر أصدره نور الدين ،

في أثناء ذلك كان نكسون قد وصل العزيزية بعد رحلته النهرية على ظهر السفينة «ميليمار» وبدأ يعيد تفكيره بالأمير، فأريسل برقية إلى تاوزند يطلب منه البقاء في طيسفون إلى أن تصله برقية مفصلة بالشفرة ؛ وقد وصلت البرقية الثانية بعد الأولى بيوقت قصير، وكانت كما يلي : -

« لا أزيد انسحابك إلى اللج للأسباب العسكرية التالية: إن العدر لم يدرك وضعك في الوقت الحاضر، وهو خانف من هجومك عليه، وموقفك الحازم سيزيد من لحوفه، لكن انسحابك سينيهه إلى خطئه وسيستعبد لقته ويعود إلى مواقعه في طبسفون وقيد يقوم بهاجتك وتحريض العرب علينا في كل مكان: إن تحصين موقع في اللج ضروري لتأمين انسحابك إليه عنيد الحاجة وليكون غيطاء لقاعدتك المتقدمة، إلا أن الأسباب العسكرية التي ذكرتها تدفعني إلي اعتبار الانسحاب غير مرغوب به في الوقت الحاضر: لا يوجد من يقدر التضحيات التي قدمها جنودك اليواسل أكثر مني ، إلا أنه من يقدر المصحيات التي قدمها جنودك اليواسل أكثر مني ، إلا أنه من الشروري إبقاء روحهم المعنوية عالية . في الطريق إليك سرب من المسروري إبقاء روحهم المعنوية عالية . في الطريق إليك سرب من المسروري إبقاء وحهم المعنوية عالية . في الطريق إليك سرب من المسرة . مهمتنا الآن كيب الوقت . هناك جنود في اللج

ينتمون لأفاجك وبوسعك نقلهم إلى طيسفون ، الفؤوس والكراكات عكن تعريضها . تذكر أن القوة المعنوية تعادل خسة أضعاف القوة المسدية » .

لكن في الوقت الذي وصلت فيه برقيات لكسون كانت قوة تاوزند مقتنعاً بضرورة انسحابه الى تاوزند مقتنعاً بضرورة انسحابه الى اللج ، ولم تغير البرقيتان ولا وعود التعزيزات والكراكات والمساحي ولا كلام قائده العام عن النواحي النفسية من هذا الاقتناع ؛ فأبرق هيباً نكسون : ..

« لقد استلمت برقبتك هذا الصباح عند وصيولي إلى اللج مع الجيش . إنني المسك ببرقيق المؤرخة ٢٥ تشرين الغاني ، وأعتب أن بقائي في المدائن لحظة واحدة أكثر مما فعلت كان سيعتبر جنوناً بعد خسارتي ٢٣٠١ رجل - مجموع الخسائر - وتناقص عدد كل لواء إلى ما بساري فرج بريطاني كامل . في الساعة الرابعة عصر أمس شاهد طيراننا رقلين مخمانيين كبيرين ـ يقدر الواحد منها بـ ٥٠٠١ جندي -يتقدمان من الخنادق الدفاعية الواقعة على ديالي شمال كُصيبة ، وفي الساعة الخامسة مساة ظهر أحدها بتحرك بحاذاة النهير والآخر يتحرك من الهر ماتجاه اليابسة ، كما كان لواء خيالة عثماني يهدد بستان . ليس هناك شك في عدم قدرتي على الاشتباك مع هذه القوة في حالتي الحاضرة ؛ لذا انتظرت الظلام وانسحبت نحت جنجه الى اللج حيث أقوم الآن بتجصين مواضعي والاستقرار فيها . إن البقاء فِ المدائنِ هو حنونِ من وجهة النظرِ العسكرية . إنني أذكر موافقتك السابقة على انسحال إلى اللع ، وإنى أهنى، نفسي على أساليب المناورة الجيدة التي استطعت بها إنفاذ قواتي في أصعب ظروف يمكن تخيلها . ل كنت قد هوجت خلال عملية الانسحاب لحاصرني أحد الرتلين وقام الرتل الآخر بقطع إمداداتي ومهاجي، ولا بدأنك تعرف نتيجة ذلك . أنا أعرف حيداً . هنا أبقى وأحصن الضفة السنى . إن الطيران يقول بأن العدو قد أعاد احتلال الخط الثاني والمدائن، وسواصل التقدم، لكني لا أعتقد أن العدد سيخرج الي الأرض المُكشوفة أو مجاول الهجوم دون خنادقه المعبوبية. أرجو أن توافق على ما قمت يه ، فلا شيء ، كن تغيير رأبي بأن ما قبت يه هير الأفضل ».

وهكذا انتهت معركة سلمان باك . كانت معركة غير ضرورية ، وعندما انتهت لم يعرف أحد من هو الذي انتصر . كان يمكن لبعض التقارير الكاذبة أو الصحيحة في المراحل الأخيرة أن تغير النتيجة . مهما يكن الأمر فقد ظهرت حقيقة واضحة لا تقبل النقاش وهي أنه رغم كون التطورات العسكرية من القرن العشرين فإن الوسائل الطبية لم تكن كذلك . لقد أصبح إخلاء الجرحي من اللج مشكلة . إن تقدير نكسون (** عبريح) لم يكن شيئاً أمام العدد الحقيقي من الجرحي الذي لم تستطع السفينتان البخاريتان (بلوحس لبنج) و الموصل) استيعابه رغم عدم إعدادها كسفن مستشفيات . فيها بعد قال نكسون أمام لجنة (ما بين النهرين) التي تشكلت نتيجة الاستياء الشعبي للبحث في معاناة الجنود أثناء حرب العراق : ــ

« لم يكن أمامنا خيار سوى نقبل الجنود جنوباً مهما كانت معاناتهم ، أو تبركهم معرضين للموت والتعبيب من قبل أفراد العشائر قبل أن يستطيع الجنود العثمانيون النظاميون حمايتهم ...

في صباح ٢٨ تشرين الثاني غادر الجرحى اللج على ظهر السفن والسفن البخارية . كانوا متراصين على ظهر السفن لا يغطيهم سوى قماش خيمة في بعض الحالات وبدون غطاء في حالات أخرى زاد المطر الكثيف من آلامهم وبلل ملابسهم وبطانياتهم ، ولم تكن هناك أية وسيلة لتجفيفها . في ١٧ كانون الأول وبعد ثلاثة وعشرين يوماً

من المعركة وصل الجرحى الى البصرة . كانت الريح التي تهب من اتجاه السفن التي تنتظر في وسط النهر تفريغ الجرحى منها تحمل رائحة كريهة ناتجة عن ازدحام الجرحى على سطوح السفن في بسرك من القذارة . عند نقلهم الى سفينة المستشفى فاريلا أو الى مستشفيات البصرة كان العديد من الجرحى يحتضرون والكثير منهم قد ماتوا فعلاً . إن العديد من المحتضرين والموتى كانوا مصابين بجروح خفيفة نسبياً ، لكن أسلوب النقل على السفن قد أدى الى تدهور حالتهم الصحية وموتهم في حالات عديدة . رغم هذا أرسل نكسون برقية إلى الهند يقول فيها : ...

« الحالة العامة للجرحى مرضية . الترتيبات الطبية أدت عملها بامتياز في ظروف صعبة للغاية » . كانت خسائر العثمانيين كبيرة أيضاً ، فقد قالت المصادر العثمانية الرسمية أن عدد الخسائر في سلمان باك كان (٩٥٠٠) بين قتيل وجريح ، لكن هيئة أركان نور الدين ذكرت بأن هذا العدد يشمل أيضاً الأسرى النذبن وقعوا في أيلي البريطانيين والهاربين من الجيش (وقد كان هناك كثير منهم) . الفرقة الـ (٥١) خسرت ١٢٪ من قوتها ، والفرقة الـ (٥١) ٢٥٪ ، والفرقة الـ (٢٥) حسرت ٢٠٪ من قوتها ، والفرقة الـ (٣٥) ٢٥٪ ، والفرقة الـ (٢٥) عندو بيطانيين .

مصادر المؤلف

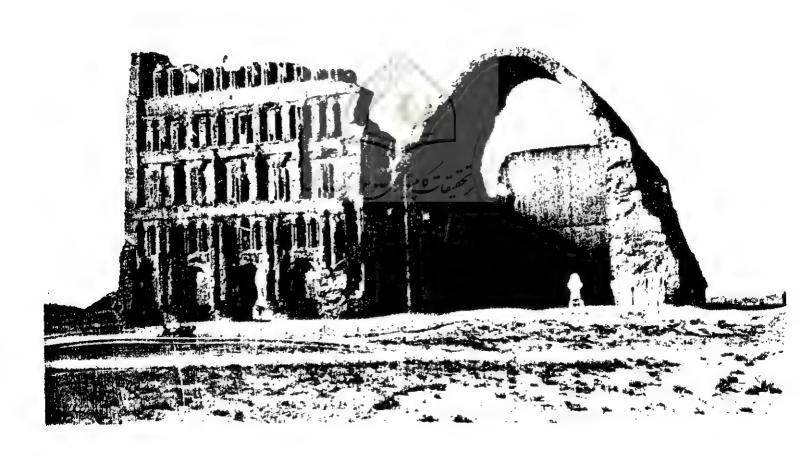
. (1410

حربي في العراق ـ الجنرال ج. ف. تاوزند .

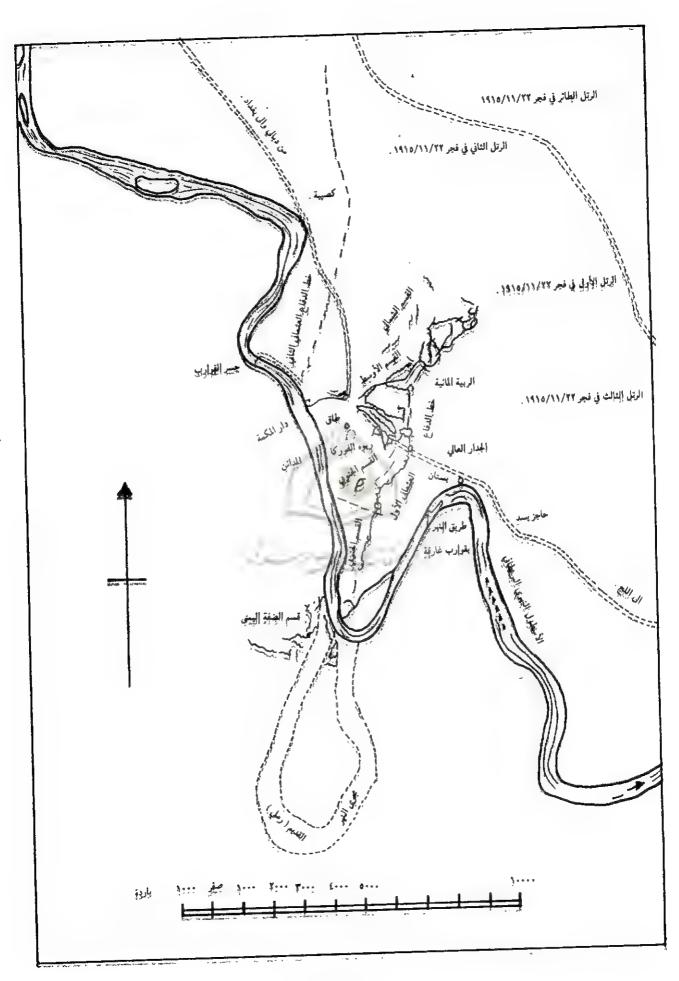
التاريخ الرسمي البريطاني للحرب العالمية الأولى .

دليــل الجيش العثماني (أصــدرته وزارة الــدفاع البــريطانيــة

حرب العراق ـ القائد م. مقبل بك (نشر في تركيا ١٩٣٣). الحرب المنسية (حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٨) ـ أ. ج. باركر .



طاق المدائن ـ حيث دارت المعركة في الأيام ٢٢ ـ ١٩١٥/١١/٢٥ والتي أدت الى انسحاب البريطانيين الى الكوت .



معركة طاق المدائن



一 はない 一年本の一年の



الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت

الأمين العام المساعد لاتحاد المؤرخين العرب.

السيرة العلمية والعملية

الاسسم : محمد عدنان سلامة البخيت .

مكان الولادة وتاريخها : ماحص / محافظة البلقاء ، ١٩٤١/١/١٥ .

الجنسية: أردني.

الحالة الاجتماعية : متزوج .

أولًا: المؤهلات العلمية:

١ = درجة البكالوريوس في الآداب (تاريخ) الجامعة الأمريكية
 ببيروت ، ١٩٦٣ .

٢ - دبلوم تربية ، الجامعة الأمريكية ببيروت ، ١٠٤٥ .

٣ ـ درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي ، الجامعة الأمريكية
 ببيروت ، د، اظ .

٤ ـ درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ، جامعة لندن ، ١٩٧٢ .

ثانياً: اللغات:

العربية ، الانكليزية ، التركية .

ثالثاً: الخبرات الأكاديمية:

١ ـ مساعد باحث بالجامعة الأمريكية ببيروت ، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦ .

٢ ـ معيد بقسم التاريخ / كلية الآداب، الجامعة الأردنية،
 ١٩٦٧ ـ ١٩٦٧.

٣ ملكوس بقسم التاريخ والآثار / كلية الآداب، الجامعة الأردنية. ١٩٧٨ _ ١٩٧٨.

المريكية ، للفصل الدراسي الثاني للعام الجامعي ١٩٧٧ / ١٩٧٨ .

٥ - أستاذ مساعد بقسم التاريخ / كلية الآداب ، المرامعة الأردنية ، ١٩٧٨ - ١٩٨٣ .

٦ ـ استاذ في قسم التاريخ / كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ،
 ايلول ١٩٨٣ .

رابعاً : مسؤوليات أكاديمية (داخل الجامعة الأردنية) :

١) أمين سر مركز الوثائق والمخطوطات ، ١٩٧٤_ ١٩٨١ .

٢) مدير مركز الوثائق والمخطوطات ، ١٩٨١ ــ الآن :

مخلال تلك المدة تمّ سفري رسمياً الى كل من الأماكن والمكتبات التالية واستطعت تصويسر الآلاف من الوثنائق والمخطوطات والسجلات التي ظهرت في فهارس خاصة بذلك ، ثم نشر البعض منها ولا يزال العمل جارياً لنشر الفهارس الباقية :

الولايات المتحدة الأمريكية : من مكتبات :

برنستون ، میتشیغان ، هارفارد ، بیل ، کولومبیا ، شیکاغو ، المکتبة الطبیة الأمریکیة ـ واشنطن ، مکتبة بیل الطبیة ، مکتبة نیویورك ، مکتبة نیویورك . شیکاغو ، متحف دیترویت .

كندا: جامعة ميغيل.

هولندا: ليدن.

المانيا : جامعة توبنجن ، جامعة هايبورغ .

الملكة المتحدة:

مكتبة بودليان ـ أكسفورد ، المتحف البريطاني .

ايرلندا: مكتبة تشستر بيتي .

الجمهورية التركية:

مكتبات: شهير علي ، فاتح ، داماد ابىراهيم ، أسعد أفنهذي ا أحمدية ، نور عثمانية ، بشير بويو ، عاطف أفندي ، بغدادلي وهبي ، كوبرللو ، لاللي ، السليمانية .

الكويت: معهد المخطوطات العربية.

الجمهورية العربية السورية .

المكتبة الأحدية _ حلب ، مركز الوثائق التاريخية _ دمشق ، المكتبة الظاهرية .

الجمهورية العراقية: المجمع العلمي العراقي .

جهورية مصر العربية ؛

معهد احياء المخطوطات العربية ، ودار الكتب المصرية .

المملكة المغربية :الخزائة العامة .. الرباط .

ايسسران : مكتبة جامعة طهران .

الهند: مكتبة بتنا.

فرنسيا: من المكتبات الفرنسية.

أسبانيا: من المكتبات الأسبانية.

وضعت وأشرفت على مشروع لتصوير المخطوطات العربية في المدن والقرى الفلسطينية .

ـ تم تصوير سجلات المحاكم الشرعية من كِافة المدن القلسطينية.

تم تصوير قيود الأوقاف من المدن الفلسطينية .

ـ تم تصوير سجلات المحاكم الشرعية وقيود الأرقاف في الضفة الشرقية من الأردن .

م أصدرت الجزء الأول من كشاف احصائي زمني لسجلات المحاكم الشرعية الأوقاف الاسلامية في بلاد الشام ، والعمل لا يزال جارياً لاصدار بقية الأجزاء من هذا الكشاف .

: (*

أ_عضو اللجنة التحضيرية لمؤتمر بلاد الشام ، ١٩٧٤ .

ن _ أمين سر اللجنة التحضيرية والمشرف على الاعداد لمؤتمر بلاد الشاع الثالث (فلسطين) ، ١٩٨٠ .

جمر مقرر الجنة متابعة عقد مؤقرات وندوات تاريخ بلاد الشام . 1940 ـ الآن ، منبثقة عن لجنة بلاد الشام .

ك د ـ مقرر لجنة نشر محاضر الندوة الثانية للمؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام الذي عقد ما بين ٢١ ـ ٢٦ آذار ١٩٨٥م. في الجامعة الأردنية.

٤) عضو مجلس كلية الآداب، ممثلًا لقسم التاريخ، ١٩٨٢ ١٩٨٣ .

 ۵) عضو في اللجنة المشكلة من قبل رئيس الجامعة الأردنية لدراسة مشروع انشاء مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية.

 ٢) عضو مجلس مركز الدراسات الاستراتيجية بالجامعة الأردنية من ١٩٨٢/١١/٢٢ ـ الآن .

٧) عميد البحث العلمي في الجامعة الأردنية من تاريخ
 ١٩٨٤/٢/٧ ـ الآن ـ

 ٨) مدير مركز الدراسات الاستراتيجية بالوكالة في الجامعة الأردنية من تاريخ ١٩٨٥/٦/٢٦ الآن .

٩) رئيس تحرير مجلة دراسات (علمية محكمة) التي تصدر عن الجامعة الأردنية / عمان - الأردن من ١٩٨٤/٢/٧ - الآن.

 ١٠ المسؤول الاداري عن مكتبة الجامعة الأردنية من ١٩٨٤/٢/٧ ـ الآن .

 ١١) رئيس لجنة البحث العلمي في الجامعة الأردئية من ١٩٨٤/٢/٧ ـ الآن.

١٢) رئيس لجنة ترجمة الفكر العلمي العالمي في الجامعة الأردئية
 من تموز ١٩٨٥ ــ الآن .

١٣) عضو لجنة عقد المؤتمرات والندوات في الجامعة الأردنية .

١٤) عضو لجنة اليوبيل الفضي للجامعة الأردنية .

١٥) عضو مجلس مركز البحوث والدراسات العثمانية بالجامعة الأردنية من تاريخ ١٩٨٤/٣/١٨ .

١٦) عضو مجلس مركز الاستشارات والخيدمات الفنية
 والدراسات اعتباراً من ١٩٨٤/٤/٢٢ .

 ١٧) عضو في مجلس الدراسات العليا بالجامعة الأردنية لمدة سنة بدءاً من ١٩٨٤/٩/١٦.

١٨) عضو في « لجنة الجامعة والمجتمع » في الجامعة الأردنية من
 ١٩٨٤/١٠/١٠ .

١٩) عضو لجنة « التقويم والتطوير للجامعة » في الجامعة الأردنية من ١٩٨٤/١٠/١٠ .

٢٠) عضو مجلس البحث العلمي في جامعة اليرموك اعتباراً من ١٩٨٥/١١/١٣ .

خامساً : الأبحاث العلمية المنشورة :

١ - « الأسرة الحارثية في مرج بني عامر ٨٨٥هـ / ١٤٤٠م - . ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م » . بحث القي في ندوة تاريخ العرب الحديث التي

عقدت بجامعة عين شمس في أيار ١٩٧٧ ، وسيصدر في كتاب .

٢ - « دراسة رسالة من السلطان العثماني بايزيد الثاني الى عبد المؤمن بن ابراهيم الحفصي سنة ١٩٩٦هـ / ١٤٩١م) ، صدرت في مجلة الدراسات التاريخية المغربية ، تونس ، العدد رقم (١٠) ، يناير ١٩٧٨ .

٣ ـ «أحداث بلاد طرابلس الشام سنة ١٠١٥هـ / ١٠١٦هـ ـ
 ١٦٠٧م / ١٦٠٧م) ، دراسة مستقاة من نص لمصطفى بن جمال الدين بن كرامة ، ونص للشيخ الحسين بن محمد البورياي ، « مجلة مجمع اللغة العربية الأردني » ، العدد الأول ، كانون الثاني ١٩٧٨ .

.. ٤

"Aleppo and the Ottoman Military in the 16th Century (two case studies)".

Al-Adhath Journal Published by the American University of Beirut, Lebanon, Vol. XXVII, 1978,1975.

قد من تاريخ حيفا العثمانية ـ دراسة في أحوال عمران الساحل الشامي » مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد الثاني ، ١٩٧٩ .

٦ - « جسوانب من تساريسخ بيسروت في العهسدين المملوكي
 والعثماني » ، دراسات عربية واسلامية مهداة الى احسان عباس ،
 تحرير وداد القاضى ، بيروت ١٩٨١ .

٧ - « المنازل المحاسنية في المرحلة الطرابلسية ، تأليف يحيى بن
 أبي الصف المحاسني » ، دراسة وتحقيق ، دار الآفاق ، بيـروت ،
 ١٩٨١ ـ

The Ottoman Province of Damascus in the

16th Century. Beirut, 1982.

The Christian Population of the Province of

Damascus in the SixteeNth Century".

نشر في كتاب:

Christian and Jews in the Ottoman Empire. 2 Vols.

Edited by Benjamin Braude and Bernard Lewis, Holms and Meir Publishers, N.Y. 1982.

١٠ « الأمير حسين بن الأمير فخر الدين المعني - حياته وآثاره » ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، العددان ٩ - ١٠ ، تشرين الأول ١٩٨٢ .

"Sidon in the Mamluk and Early Ottoman _ \\
Times".

مجلة الأبحاث ، الجامعة الأمريكية ببيروت ، ١٩٨٣ .

17 ـ « دور أسرة آل الحنش والمهام التي أوكلت اليها في ريف دمشق ٧٩٠هـ / ١٥٦٨م . ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان الثالث عشر والرابع عشر ، جامعة دمشق ، تشرين أول ١٩٨٣ ، نشرت باللغة الانكليزية .

۱۳ ـ « معان وجوارها ـ استعراض تـاريخي » ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، ۱۹۸۳ .

١٤ ـ فهارس المخطوطات المصورة بمركز الوثائق والمخطوطات ،
 المجلدان الخامس والسادس بالمشاركة مع السيد نوفان رجا الحمود ،
 مطبعة الجامعة الأردنية ، ١٩٨٣ .

10 _ مقالــة : "Ladjdjun" نشرت في الموسوعة الاسلامية ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

١٦ ـ الكشاف الاحصائي الزمني لسجلات المحاكم الشرعية في
 بلاد الشام ، مطبعة الجامعة الأردنية ، ١٩٨٤ .

١٧ ـ نهرس المخطوطات العربية المصورة ، الجزء الأول بالمشاركة مع السيد نوفان رجا الحمود ، مطبعة الجامعة الأردنية ،
 ١٩٨٥ .

سادساً : المؤتمرات والندوات العلمية التي شاركت بها مع بيان الأبحاث التي قدمتها :

١ ـ « حلقة حماية المخطوطات » ، عقدت في بغداد ما بين ٨ ـ ١ م المعدد المعدد المردنية (تقديم تقرير عن مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية) .

٢ ـ مؤتمر وزراء الثقافة العرب (ضمن الوفد الأردني) ، عقد في عمان في كانون أول ١٩٧٦م ، بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٣ ـ ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث ، عقدتها جامعة عين شمس
 ما بين ٧ ـ ١٢ مايو ١٩٧٧م .

قدمت بحثاً بعنوان « الأسرة الحارثية في مرج بني عامر » ، نشر في مجلة « الأبحاث » ـ الجامعة الأمريكية ببيروت ، مجلد ٢٨ ، ١٩٨٠ ، ص ٥٥ ـ ٧٩ .

٤ ـ ندوة دراسات البحر الأبيض المتوسط والعالم العربي ، عقدت
 في رودس ما بين ٣ ـ ١٩٧٧/١٠/٦ .

 ۵ ـ المؤتمر الأول لتاريخ تركيا الاجتماعي الاقتصادي ، عقد بدعوة من جامعة حاجي تبه بتركيا ما بين ١١ ـ ١٩٧٧/٧/١٤م ، قدمت بحثاً بعنوان :

"Aleppo and the Ottoman Military in the 16th Century".

مجلة الأبحاث الأمريكية ببيروت ، مجلد ٢٧ ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٣٨ ـ ٣٨ .

٦ ندوة عقدها معهد (Aspen) أسبن للدراسات الانسانية في السولايات المتحدة حول الاسلام والمستقبل ، ما بين ٦ ـ ١٩٧٨/٧/٢٣ م . .

٧ ـ ندوة عقدها مركز دراسات البحر الأبيض المتوسط والشرق
 الأوسط في أثينا حول:

"The Theory of Man in Islam and Orthodox Christianity".

عقدت في رودس عام ١٩٧٨م .

A = 1لمؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام (الجامعتين الأردنية ودمشق) ، ما بين YY تشرين الثاني YY كانون أول YY ما بين YY تشرين الثاني YY ما بين YY تشرين الثاني YY ما بين YY

9 ـ ندوة : « The Arab World in Transition » عقدت بعمان بالتعاون بين الأردن ومعهد (Aspen) آسين للدراسات الآنسانية ، ما بين 11 - 11 ما بين 11 - 11 نيسان 11 م

١٠ مؤقر « العلاقات العربية التركية ، قديا حديثا - ومستقبلا » ، عقد في جامعة خاجي تبه بأنقرة ما بين ١٨ - ١٩٧٩/٦/٢٢ م . اشتركت ببحث عنوانه : « العلاقات ألعربية التركية ـ اعادة نظر » ..

١١ ـ الندوة العالمية الأولى بمناسبة ذكرى الاستراء والمعراج التي عقدت بعمان تحت عنوان « الاسلام والتحديات المعاصرة » ، ما بين
 ٢٢ ـ ١٩٧٩/٦/٢٥ م .

۱۲ ـ ندوة عقدها مركز دراسات البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط ، حول : « Arab Thinking in Perspective » عقدت في رودس ما بين ۲ ـ ۱۹۷۹/۹/۹ م ، اشتركت ببحث عنوانه : « Arab Thinking Perspective »

١٣ ـ الندوة التي عقدت بمناسبة الاحتفال بالأسبوع الوطني للوثائق والمحفوظات. عقدتها مديرية المكتبات والوثائق الوطنية التابعة لوزارة الثقافة والشباب بعمان ما بين ١١ ـ ١٩٧٩/١٢/١٢.

١٤ مهرجان ذكرى جامع الزيتونة (أقدم جامعة إسلامية) عقدته
 كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين في تونس ما بين ١٥ ــ ١٩٧٩/١٢/٢٢

10 - « أسبوع الشيخ محمد عبدالوهاب » ، عقدته جامعة الاثام محمد بن سعود في الرياض في ١٩٨٠/٣/٨ م . البحث المقدم : « رؤية الشيخ محمد بن عبدالوهاب لمشاكل العالم الاسلامي » .

١٦ - المؤتمر الدولي الأول لتاريخ الأردن وآثاره ، عقد في جامعة اكسفورد ، ما بين ٢٥ - ٣١ آذار ١٩٨٠ م . الجهة الداعية دائرة الآثار العامة ـ عمان .

البحث المقدم : « -Jordan in Perspective-The Mam . « luk-ottoman Period

١٧ ـ المؤقر الاقليمي العربي ألرابع للمجلس الدولي للوثائق، ضمن
 الوفد الأردني، عقد المؤقر بعمان ما بين ٣١/٥ ـ ١٩٨٠/٦/٣٠.

١٨ ـ ندوة حول تاريخ تركيا الاقتصادي والاجتماعي عقدت في ستراسبورغ ما بين ١ ـ ١٩٨٠/٧/٥ بدعوة من اللجنة الدولية للدراسات العثمانية .

قدمت بحثا عنوانه : « صيدا في القرن السادس عشر »

19 ـ ندوة عقدها مركز البحر المتبوسط للدراسات العربية والاسلامية حول: « Islam and the Superpowers » عقدت في The » عنوانه: « ۱۹ م. شاركت ببحث عنوانه: « Role of Islam in the Future of the World ».

- ۲۰ ندوة عقدت في جامعة جورج تاون ـ ولشنطن ما بين ۱۹ ـ ، ۱۹ ندوة عقدت في جامعة جورج تاون ـ ولشنطن ما بين ۱۹ ـ ، ۱۹۸۱/۱/۲۲ م، بالاشتراك مع جمعية الشؤون الدولية بعسان، موضوعها : « American policy and Middle East Trends » .

٢١ - ألمؤتمر ألثاني للمكتبيين الأردنيين عقد بعمان بدعوة من جمعية المكتبات الأردنية ما بين آ - ٧/٤/١/٤/٧ م.

٢٢ ـ الندوة الثانية لمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج وكانت تحت
 عنوان: « الفكر الاسلامي والمجتمع الأردني» ، وذلك في حزيران
 ١٩٨١ م .

٣٣ - مؤقر الدراسات العثمانية عقدته جامعة مدريد المستقلة ما بين ١٩٨١ - ١٩٨١/٧/٤ م بدريد .

. « Tripoli — A Case Study » : البحث

٢٤ ندوة عقدها مركز البحر المتسوسط للدراسات العربية والاسلامية ، في رؤدس ،" حنول ! «The Middle East in the " ما بين ٣١ آب ٥ أيلؤل ١٩٨٣ م .

٢٥ ـ ندوة « الأقليات في الشرق العربي » ، بدعوة من المركز الأردني للدراسات والمعلومات في الجمعية العلمية الملكية ، ١٢ أيلول ١٩٨١ مَ **

٢٦ ـ ﴿ النَّدُوةَ السَّادُسُـةُ للمراكُّزُّ والهيئاتِ العلميـة » عقدت في

الدوحة ما بين ٢٤ ـ ١٩٨٢/٤/٢٩ م. بدعوة من مسركز السوئائق والأبحاث في دولة قطر.

٧٧ ـ الندوة الثالثة للفكر الاسلامي والمجتمع الأردني، شاركت بها وألقيت كلمة حول ذكرى الاسراء والمعراج، بعنوان: « هذه الأمة الاسلامية الى أين »، وذلك في المركز الثقافي الاسلامي بالجامعة الأردنية في حزيران ١٩٨٧م.

٧٨ - اجتماع لجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية في الكويت، الاشتراك في لجنة المخطوطات العربية والوثائق المنبثقة من اللجنة المستراك في المستراك عقد الاجتماع ما يمين ٣٣ - ١٩٨٢/١٠/٢٤ م في الكويت، لجنة التخطيط تابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - جامعة الدول العربية.

٢٩ ـ ندوة الشباب الأردني. عقدت في مدينة السلط ـ الأردن ـ
 تحت رعاية سمو الأمير حسن وذلك ما بين ١٩٨٢/١١/٥ واشتركت بورقة حول « السوية الثقافية والتربوية للشباب ».

۳۰ ـ مؤتمر في الجامعة الأمريكية ببيروت حول موطوع: و Land » . Tenure and Social Transformation in the Near East ما بين ١٤ ـ ١٨ شباط ١٩٨٣ م. اشتركت يبحث عنوانه دلا دور أسرة آل الحنش في البقاع منذ أواخر القرن الرابع عشر إلى أواخر القرن السادس عشر الميلادي » .

٣١ - المؤتمر الذهبي الخمسين (اليوبيل الذهبي) لمركز الشؤون الدولية . عقد في كانبيرا - استراليا - ما بين ٢٦ - ١٩٨٣/٨/٢٨ م . قدمت كلمة حول « اقتراحات لانقاذ المؤسسات الدولية من التآكل الداخل للنهوض بمهامها » .

٣٧ - الندوة التي دعا إليها السيد جيمي كارتر/ الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية حول الشرق الأوسط ما بين ١١/٥ - الولايات المتحدة في جامعة ايموري - اتلانتا بولاية جورجيا - أمريكا.

٣٣ ـ الندوة « أزمة الديمقراطية في الوطن العربي » عقدت سا بين الندوة « أزمة الديمقراطية في الماسول/ قبرص ، من قبل مركز

دراسات الوحدة العربية . شاركت بكلمة حول « تجربة الديقراطية في الأردن » .

٣٤ ـ الاجتماع الأول و للهيئة العربية المشتركة للتواث ؛ المشكلة من المدير العام للمنظمة العربية للتربية والفقافة والعلوم عن مديري مراكز التوثيق والمؤسسات والمعاهد المعنية بالتراث والموجودة في الدول العربية كافة .

٣٥ - المؤقس العالمي عن « الحيساة الاقتصاديسة للولايات العوبية ومصادر وثنائقها في العهد العنساني ، عقد بصوئس من ٢٠ .
 ١٩٨٤/١/٢٥ م .

٣٦ - الندوة التي عقدتها اللجنة الدولية للدراسات العقمانية في جامعة كمبردج في بريطانيا ما بين ٣ - ١٩٨٤/٧/٧ ، وقدمت بعنا عنوانه : « حماة في القرن السادس عشر » .

٣٧ ـ ندوة سالزبورغ التي عقدت في النمسا .. سالزبورغ ما بين ٧ .. ١٩٨٤/١٠/٢٠ . شاركت بها مرشعا من مؤسسة عبدالحميد شومان للبحوث والدراسات . شاركت ببحث حول « موقف الاسلام من كل من البهودية والنصرائية » .

٣٨ - تدوة « العلاقات العربيسة التركيسة » التي عقدت في مكتب ارتباط جامعة اليرموك بعمان ما بين ٢٥ ـ ٢٨ نيسان ١٩٨٥ م .

٣٩ ـ ندوة « آفاق التعباون العلمي لتنمية الاقليم العبربي لشمال البحر الأحر » عقدت في مدينة العقبة/ الأردن ما بين ٤ ـ ٥ أيبار ١٩٨٥ م .

٤٠ المؤقر السنوي الرابع للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت) . عقد بعمان ما بسين ٦٠ ١٩٨٥/٥/٩

٤١ ندوة « تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي » التي عقدها مركز
 دراسات الوحدة العربية يعمان ما بين ١٣ ـ ١٩٨٥/٥/١٦ م .

٤٢ ـ ندوة « يوم الأردن » التي عبدت في جامعة « لوفان الجديدة » في بلجيكا ما بسين ٣٣ ـ ١٩٨٥/٥/٢٤ م . شاركت بكلسة عنوانها : « ملاحظات حول مستقبل الأردن » .

سابِعاً : عَضُو في كُلُّ مِن المراكَّزُ واللَّجانَ والهِّيثَاتَ ... التَّالية :

١ عفضو في اللجنتين الأولى والشائية لعقد ندوتي الاستراء والمخراج وذلك بسطلب عن وزارة الأوقاف والشؤون والمفدسات الاسلامية التي دعت لعقد هاتمين الندونيين ، الأولى عام ١٩٧٩ ، والثانية عام ١٩٨١ م .

 لاح عضو اللجنة القعضيرية للمؤلم الغالث للعلاقات العربية التركية الذي عقد في مكتب ارتباط جامعة اليرسوك في نيسان ١٩٨٥ م ،

٣- عضو في « اللجنة العربية للدراسات العثمانية » المشكلة بتوصية من مؤتمر « الولايات العربية ومصادر وثائقها في العصر العثماني » الذي عقد بتونس ما بين ١٣ ــ ١٩٨٢/٩/١٨ م .

٤ - عضو في « لجنة اعادة كتابة تاريخ العرب » المشكلة من قبل
 وزارة الثقافة والارشاد القومي في سوريا منذ عام ١٩٧٧ م .

عضو اللجئة الدولية لكتابة تاريخ الدولة العثمانية مركزها
 في فرنسا .

٦ عضو في اللجنة التي تشرف على اعداد ملف ودينة الجليل
 المشكلة في وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسكارمية المسان عمان ـ الأردن .

٧ - عضو في لجنة « معهد اسلامي عالي في القدس » يتولى حفظ التراث الاسلامي فيها ، وجاء تشكيل اللجنة بناء على توصية « ندوة الفكر الاسلامي والمجتمع الأردني الثالثة » ، التي اتخدتها في الجتماعها في حزيران ١٩٨٢ م .

٨ عضو في مجلس مركز الدراسات الأردنية التبابع لجامعة اليرموك منذ ١٩٨٣/٩/١ م .

٩ عضو في الهيئة الاستشارية الخاصة « مؤسسة عبدالحميـ د شومان للبحوث والدراسات » .

١٠ عضو لجنة مرتكزات الثقافة الأردنية (مشكلة من قبل
 وزارة الثقافة والشباب عمان/ الأردن).

١١ عضو الهيئة الاستشارية لمدائرة الحاسب الالكتروني في الجمعية العلمية الملكية/ تشرين أول ١٩٨٤ م .

١٢ ــ الأمين المساعد لاتحاد المؤرخين العرب .

١٣ ساممثلا عن المؤرخين الأردنيين في إتحاد المؤرخين العرب من ١٩٨٤/٦/١٨ م .

١٤ ـ صاحب أمتياز لـ « المجلة العربية للدراسات التاريخية » .

١٥ عضو في هيئة تحرير مجلة الأبحاث التي تصدرها جامعة اليرموك.

١٦ عضو الهيئة الاستشارية لمجلة «مؤتسة » للبحوث
 والدراسات التي تصدرها جامعة مؤتة في الأردن .

١٧ ـ عضو هيئة تحرير في مجلة القدس الشريف التي يصدرها
 مكتب أمانة القدس بعمان ـ الأردن .

١٨ _ عضو في لجنة المحكمين لمجلة « Graeco-Arabica » التي تصدر أثينا _ اليونان بدءا من صدور المجلد الرابع في آذار ١٩٨٤ م .

١٩ مستشار « لمجلة العصور » التي تصدر عن دار المريخ
 بالسعودية .

· ¥ ـ عضو مجلس أمناء مجلة « الأفق العربي » .

٢١ ـ عضو في لجنة أصدقاء الـ « جوردان تايمز « .

٢٢ عضو في اللجنة المشكلة لـالاشراف عـلى متحف الحيـاة
 السياسية في الأردن من ١٩٨٤/١/١٤ م ـ الآن .

٣٣ ـ عضو مؤسس لمتحف البلقاء في مدينة السلط . شكلت هذه اللجنة من قبل محافظ البلقاء عام ١٩٧٩ م .

٢٤ ـ عضو في لجنة السياحة لمحافظة البلقاء ـ الأردن .

٢٥ عضو لجنة تسمية الشوارع لمدينة عمان (مشكلة من قبل أمانة العاصمة _ عمان/ الأردن) .

٢٦ ـ عضو في جمعية الشؤون الدولية بعمان ـ الأردن .

٢٧ - عضو في الهيئة الادارية المؤقتة لرابطة الصداقة الأردنية التركية (قرار من وزير الداخلية) من ١٣ أيلول ١٩٨٤ م .

٢٨ عضو مجلس أمناء مدرسة البكالوريا الدولية التابعة الى جمعية الهاشمية.

٢٩ عضو مجلس صندوق الحسين للتنمية الاجتماعية التاريخية ، عمان الأردن .

٣٠ ـ رئيس نادي ماحص الثقافي الاجتماعي السرياضي ومؤسسه .

ثامنا: المحاضرات:

١ ـ القاء محاضرات في جامعة البصرة عام ١٩٨٠ بدعوة من كلية
 الآداب في جامعة البصرة .

٢ ـ القاء محاضرات في جامعة الكويت بدعوة من الجامعة عام
 ١٩٨٠ م .

٣_ ساهب في القاء عدد من المحاضرات على طلبة كلية
 الاقتصاد والتجارة حول الادارة في التاريخ الاسلامي (العهدين المملوكي والعثماني) عام ١٩٨٧ م .

٤ - محاضرة حول « احصاءات السكان في العهد العثمائي » حبن حلقات البحث التي يقيمها قسم الدراسات السكانية في كلية الآداب وذلك عام ١٩٨٢ م .

تاسعا: رسائل الماجستير:

أ ـ أشرفت منفردا على رسائل لطلبة من قسم التاريخ وفقاً لما يلي :

١ - « مملكة غزة في العهد المملوكي » للطالب محمود عطاالله ومنح الدرجة عام ١٩٨٠ ونال جائزة صاحب الجلالة الملك الحسين في حفل التخريج لذلك العام .

٢ ـ « حركات العسكر في بلاد الشام » للطالب توفان الحمود،
 ومنح الدرجة عام ١٩٨١ ، نشرت الرسالة دار الآفاق ـ بيروت .

٣ - « مملكة صفد في العهد المملوكي » للطالب طه ثلجي الطراونة ، منح الدرجة عام ١٩٨١ ونال جائزة صاحب الجلالة الملك الحسين لذلك العام . نشرت الرسالة دار الآفاق ـ بيروت .

٤ ـ « القدس في القرن الثامن عشر » للطالب سلامة صالح النعيمات
 منح الدرجة عام ١٩٨٣ .

ب _ أشرف حاليا على رسائل ماجستير لطلبة من قسم التاريخ
 وفقا لما يلى :

القدس في القرن السادس عشر » للطالب محمد سليم أبو . يعقوب .

٢ - « حلب في القرن السابع عشر » للطالب عيسى الفرحان .



•

.

•

ı

1



الندوة الفكرية بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنصرية

اعداد : لجنة الدفاع عن القرار ٣٣٧٩ بالتعاون مع مركز الدراسات الفلسطينية في دمشق

عقدت في الفترة ٢٣ ، ٢٤ آذار/ ١٩٨٧ بدمشق ، عقر الحماد الكتاب العرب ، الندوة الفكرية عناسبة اليوم العمالي لمناهضة العنصرية التي اقامتها لجنة(١) الدفاع عن القرار ٣٣٣٧٩) بالتعاون مع مركز الدراسات الفلسطينية بدمشق ،

وقد قدمت في الندوة عدة بحوث ومداخلات (سيأتي ذكرها) وحضرها عدد من المفكرين والكتباب والصحفيين والاعلاميين، وقامت وكالة الأنباء الفلسطينية/ وقا/ بتغطيتها^(١٦)، وقد وجهت الندوة في ختام أعماها النداء التالي، البذي تلاه السيد د، جابي مليمان مدير مركز الدراسات آنف الذكر، وفيها يلي نص النداء ند

عقدت في دمشق يومي ٢٣ .. ١٩٨٧/٣/٢٤ ندوة فكرية حول الطبيعة العنصرية للصهيونية ومصير قرار الأمم المتحدة رقم /٣٣٧٩/ وذلك عناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنصرية والتعبيز العنصري، وفي ختام أعمال الندوة وجه المشاركون فيها النداء التالي إلى الأوساط المنية عربها ودولها:

إننا نفس غالبا اجتماع شعوب العالم عبلى إدانة الصهيبونية ، بوصفها شكلا من أشكال العنصرية والتمييز العنصري من خلال قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٢٣٧٩) الصادر بقارسيخ الرار الجمعية العامة للأمم المتحدة وقم (٢٣٧٩) الصادر بقارسيخ المية هذا القرار في أنه القرار الأول

(١) تتكون لجنة الدفاع عن القرار ٣٣٧٩ الذي الخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة بشاريخ ١٩٧٥/١١/١٠ هن السيادة :

د. جورج جبور ـ د. غازي حسين ـ د. عبد الحسين شعبان ـ سعيد سيف ـ صابر بمي الدين وعبد الحادي النشياش . (٢) نص القرار ٣٣٧٩ : ان الجمعية العامة ، اذ تشير الى قرارها ١٩٠٥ (د ـ ١٨) المؤرخ في ٢٠ تغيين الثناني (توفيع) ١٩٦٧ ؛ الذي أصدرت فيه اعلان الأمم المنتحدة للقضاء على جميع أشكال التعبيز العنصري وبوجه خاص الى تأكيدها « ان أي مذهب يقوم على التفرقة الهنصرية أو التفوق العنصري يذهب خاطيء علمها وصبيجوب أدبياً وطالم وخطر اجتماعياً والى إعرابها عن القلق الشديد ازاء » مظاهر التعميم التي لا تؤال ملحوظة في بعض مناطق العالم ؛ ويعضها مفردهن من يعيض المجكومات

بواسطة ندايير تشريعية أو أدارية أو غيرها . وإذ نشير أيضاً ، الى أن الجمعية العامة قد أدانت في قرارها ٣١٥١ (د ـ ٢٨) المؤرخ في ١٤ كانون الأول (ديسيجر) ١٩٧٣ ، في جيلة أيور التيجالف الآتيم بين العنصرية

بافريقها الجنوبية والصهبونية . واذ تحيط علماً باعلان المكسيك بشأن مساواة المرأة وأسهامها في الانماء والبيلم ، ١٩٧٥ ، المعلن من قبل المؤتمر العالمي للبينة البولية للمرأة ، الذي عقيد في مكسيكو في المفترة من ٢٩ حزيران (يونيو) الى ٢ قوز (يوليو) ١٩٧٥ ، والذي أعلن المهذأ القائل بأن ٥ التيمان والسلم الدوليين بتطلبان تحقيق التجرد والاستقلال التيموب وجقها في تقريم الجديد ، والاحتلال الأجنبي ، والصهبونية ، والفصل العنصري (ابارتابد) ، والتيمبيز العنصري بجميع أشكاله ، وكذلك الإعتراف بكرامة الشهدوب وجقها في تقريم

راذ نحيط علماً ، أيضاً ، بالقرار ٧٧ (ه ــ ١٣) الذي أتخذه مجلس رؤساء دول وحكومات بينظمة الوجزة الأفريقية في دورته العادية الثانية عيشرة المبقودة في كيبيالا في الفترة من ٨٧ قمرز (يوليو) الى آب (أغسطس) ١٩٧٥ ، والذي رأى أن النظام العنصري الحاكم في فليسطين المحتيلة والنظامين العنصريين الحاكيبين في زمبابوي وأقريقيا الجنوبية نرجع الى أصل استعماري مشترك ، وتشكل كياناً كلياً ، ولما هيكل عنصري واحد ، وتبتبط ارتباط عينوياً في سياستها الراصة الي اعدار كوامة الانسبان وجرمته » . واذ تميط علماً أيضاً ، بالاعلان السياسي واستراتيجية تدعيم السلم والأمن الدوليين وتدعيم التتطامن والميساعدة المنبادلة بين دول عدم الانحياز المنعقد بليها ، في الفترة من ٢٥ الى ٣٠ آب (أغسطس) ١٩٧٩ ، واللذين أدانا الصهيونية بأقصي شدة بوصفها تهديداً للسلم والأمن العالمين وطلما الى جميع المبدان مقاومة هذه الأبديولوجية العنصرية الأمهريائية .

تقرر أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري .

⁽۳) ملحق / رفا / دمشق الصادر يوم ۲۸/۳/۲۸ .

والوحيد الذي يتعامل مع الصهيونية على أنها أيديولوجية عنصرية معادية للتحرر والتقدم. وهو يكتسب أهية خاصة من بين مجموع قرارات الأمم المتحدة التي صدرت بشأن القضية الفلسطينية منذ العام ١٩٤٨.

إن التكييف القانوني الكامل للقرار (٣٣٧٩) من قبل المجتمع الدولي يعنى بالضرورة وضع « الشرعية الدولية » التي حصل عليها الكيان الصهيوني موضع تساؤل من الرأي العام العالمي ، وبالتالي تعريض عضويته في الأمم للالغاء بوصفه كيانا عنصريا يتعارض قيامه أصلا مع الاعراف والقوانين الدولية التي قامت على أساسها شرعية الأمم المتحدة .

اننا نعتبر هذا القرار خطوة تضامنية هامة من قبل المجتمع الدولي مع النضال العادل الذي تخوضه الأمة العربية وفي طلبعتها الشعب الفلسطيني ضد الصهيونية منذ أكثر من مائة عام، لأنه القرار الدولي الأول الذي يدين الصهيونية صراحة ويعتبرها شكلاً من أشكال العصنصرية التي هي جرية دولية بشعة . كما يعلى هذا القرار أن الصهاينة هم مجرمون وليسوا ضحايا الجرائم الفاشية والعتصرية فالضحية كان وما يزال الشعب الفلسطيني والعربي والذي يارس ضده كل صنوف القهر والتمييز والتغييب المادي والروحي من قبل الاستعمار الصهيوني الاستيطاني والمراكز الاميريالية التي تمده بأسباب الدعم والقوة .

اننا نطالب الجهات العربية المعنية ببيدًل كل جهد ممكن على الصعيد العالمي من أجل الدفاع عن القرار (٣٣٧٩) والوقوف في وجه محاولات الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني للتأثير على الرأي العام في بعض الدول الأوروبية والأفريقية والأسيوية وغيرها، من أجل محاربة القرار والغائه، مما يحتم ضرورة القيام بحملة عالمية للدفاع عن القرار ومحاولة تصعيده، من قبل الحضور العربي في الأمم المتحدة، لكي تتوحد معالجة الهيئة الدولية للايديولوجيتين العنصريتين الصهيونية والابارتيد.

وفي هذا الصدد نحيي قرار قمة هاراري عام ١٩٨٦ بالقرن دائها بين الصهيونية والابارتيد، كها نحيي القمة الاسلامية المنعقدة بالكويت في يناير ١٩٨٧، بخصوص التأكيد على القرار (٣٣٧٩)

ونتطلع قدما الى الخطوات التي ستقوم يها قمة المؤتمر الاسلامي، تنفيذا لقرارها هذا . وكذلك فإننا نقدر تقديرا عاليا جهود الجمهورية العربية السورية في المحافل الدولية ، لناحية التأكيد الدائم على القرار (٣٣٧٩) وخاصة في قمة عدم الانحياز في نشودهي والقمة الاسلامية في الكويت ، كما نطالب جامعة الدول العربية بتحمل مسؤولياتها وقيادة العمل على مختلف الصعد دعها للقرار (٣٣٧٩) وتصديا لمحاولات الغائه وقد أوصى المشاركون في هذه الندوة بما يلي :

أولا: اعتبار يوم ١٠/٢٩/ من كل عام « ذكرى مذبحة كفر قاسم » يوماً عربيا لمناهضة التمييز العنصرى .

ثانيا: إحياء يوم ١٩٧٥/١١/١٠ يوم صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٣٣٧٩) من خلال عقد الندوات والمحاضرات على الصعيدين العربي والدولي، عبر إصدار دورية سنوية في هذه المناسبة، من قبل جهة عربية مختصة تسجل وتوثق المارسات العنصرية للكيان الصهيوني بحق أهلنا في الأراضي العربية المحتلة في فلسطين والجولان.

ثالثا: إيلاء الاهتمام الكافي من قبل الجهات العربية المختصة ، ومن ضمنها وزارات الخارجية ، بالاعلام الصادر عن الأمم المتحدة ، بحيث تكون «عنصرية الصهيونية » بندا حاضرا في هذا الاعلام ، ويشكل خاص في الندوات التي تشظمها لجان الأمم المتحدة المتخصصة حول فلسطين مثل لجنة تمكين الشعب الفلسطيني من عمارسة حقوقه الثابتة وغير القابلة للتصرف .

رابعا: مناشدة المكتب التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بانشاء برنامج دائم لدراسة العنصرية الصهيونية والاستعمار الاستيطاني.

خامسا: مطالبة المنظمات والاتحادات المهنية العربية بأن تنص في نشاطاتها ومتابعاتها الدولية على ضرورة مناهضة الصهيونية ودعم القرار (٣٣٧٩).

سادسا: ضرورة إيلاء ظاهرة الاستعمار الاستيطاني الأهمية التي تستحقها من قبل الجامعات ووزارات التعليم الصالي ومراكز

البحوث العلمية العربية وذلك من خلال تضمين تلك الظاهرة في مناهج التعليم الجامعية ورصد الجوائز التشجيعية لأفضل البحوث في هذا المجال من قبل الهيئات العربية المختصة.

سابعا: دعوة لتشكيل محكمة باسم « محكمة القدس الدولية العليا » لمحاكمة مجرمي الحرب الصهاينة تضم قضاة وحقوقيين، إضافة إلى شخصيات اجتماعية من مشاهير الفكر والفن والأدب والسياسة في بلدائهم والعالم.

ثامنا : ضرورة عقد هذه الندوة سنويا في مثل هذا الوقت من كل عام وطباعة أعمال هذه الندوة والعمل على نشرها وتعميمها .

هذا وقد شكر الأخوة الحضور اتحاد الكتاب العرب على ما قدمه من تسهيلات من أجل عقد هذه الندوة داعين إلى عقد مثل هـذه الندوة في كل عام بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنصرية والتمييز العنصري .

وكان السيد د . جورج جبور قد افتتح الندوة ببحث عنوانـه/ حول مصير وأهمية القرار ٣٣٧٩ وضرورة خوض معـركتـهـ بكـنل اتساع العالم وعمق الفكر/ جاء فيه :

إن اسرائيل تقول في كل ما تقول من وثائق عن نفسها انها وليدة الصهيونية .. وبالرغم من أن القرار ٣٣٧٩ لم يقل إن اسرائيل غير شرعية ، لكن القانون الدولي العربي ، لو وجد مثل هذا القانون يستطيع أن يستنتج هذا المضمون وان يوجه له الأنظار . ومن هنا يأتي سعى « اسرائيل » المستمر لالغاء هذا القرار بالذات (الذي يساوي الصهيونية بالعنصرية) فيها لا تضايقها مئات القرارات التي تتخذ ضدها سنويا في هذه المارسة أو تلك . والقرار ٣٣٧٩ يعني اقرار الأمم المتحدة (العالمية) ـ التي أخذت منذ الستينات تضم دول العالم المستقلة في أفريقيا وآسيا وسواها ـ ضد قرار الأمم المتحدة (الأوروبية) بتقسيم فلسطين الذي اتخذته ١٩٤٧ .

وعليه ، فان أهمية القرار ، في كونه يضع وجود/ اسرائيل/ موضع شك شرعي ، قانوني ، وإن لم تطرح القرار ذلك بشكل مباشر ، وهو ما يقصده د . فايز صايغ الذي صاغ القرار على هذه الشمولية والعمومية .

ودلل على أهمية القرار، المؤتمر الذي عقدته اسرائيل يوم الجمعة ٢٠ آذار ١٩٨٧ في الأمم المتحدة تحت عنوان (اسرائيل الصهيونية والأمم المتحدة)، ذلك المؤتمر الذي حضرته نحو ٨٠٠ شخصية وسبقته تظاهرة خارج مقر الأمم المتحدة للتنديد بالقرار، تقدمها المندوب الامريكي لدى المنظمة الدولية وولتز، والمندوبة الأمريكية السابقة لدى الأمم المتحدة وباتريك مونيهان الممثل الأمريكي لدى المنظمة الدولية عند صدور القرار (٣٣٧٩).

وقد وجه ريغان برقية الى المؤتمر أكد فيها أن الولايات المتحدة لا تعترف ولا تلتزم أبدا ولن تشارك في هذا العمل السيء الصيت (القرار) (٣٣٧٩) . فيها هدد المندوب الأمريكي (وولتز) من أن بسلاده ستنسحب من الأمم المتحدة في حال الغاء عضوية « اسرائيل » .

(مما يشير الى توقعات وتخوفات اسرائيلية _ أمريكية ، من أن يشيم القرار ٣٣٧٩ « اسرائيل » ويؤدي بالتالي الى طردها من الأمم المتحدة)].

وميز د . جبور بين نظريتين متناقضتين ازاء الصهيونية ، نظرة إسرائيكية عموما أوربية غربية ، ونظرة اسلامية عربية ، اشتراكية ، أفرو آسيوية . وفيها يتعلق بالنظرية الثانية فقد كان آخر نموذج دولي له ، قرار القمة الاسلامية الأخيرة المنعقدة في الكويت .

وقال ان معركة القرار ٣٣٧٩، معركة بكل اتساع العالم، فقد أعلن برلمان استراليا بالاجاع - عثلا - انه لا يوافق على هذا القرار وطلب من الحكومة الاسترالية بدل كل جهد دولي لالغائبه (٨٧/٢/٢٧) وأرسل المندوب الأصريكي في الأمم المتحدة الى الأمين العام رسالة تضمنت ثلاثة مطالب منها طلب ادراج قرار الكونغرس الأمريكي بادانة القرار ٣٣٧٩ « باعتباره واحدا من أحلك اللحظات في تاريخ الأمم المتحدة ».

وأعرب د . جورج عن اعتقاده بانه في دفاعنا عن القرار ٣٣٧٩ « ينبغي علينا أن نتكلم بلغة الأمم المتحدة ، تلك اللغة التي تخلق منذ أربعين عاما ثقافة عالمية مشتركة » .

وأبرزه ، جبور كيف استطاع الفكر الافريقي في جعل ذكرى العلارة « شاربفيل » بوما يحتفل به العالم ، ساعتباره بوم مناهضة العنصرية .

وفي شهر أبار ١٩٧١ ، اتخذ بجلس السلم العالمي قرارا بالاحتفال سنويا بذكري كفر قاسم كيوم عالمي لادانة العنصرية الصهيونية ، لكن الدول العربية لا تحتفل بيا حثنا العالم على الاحتفال به وتساءل ؛ كيف بحتفل العالم لحسابنا عالا نحتفل فيه نحن أنفستا .

وفيها بنبغي عمله قال ان الجهات الافريقية غير الرسيبية هي المؤهلة أكثر من غيرها أن تقول بان الصهيونية شكل من أشكال المهنوبية ثم تأتي بعدها الحكومات الافريقية ، ثم الجيئات الدولية المتقدمية كمجلس السلم العالمي ، ثم الجهات الاشتراكبية غير الرسمية ثم الدول القائدة في العالم الاشتراكي . وعلى الصعيد العربي لابد من أثارة الموضوع في اجتماعات الجامعة العربية ، الإصدار قرار عربي يتبني مفهوم الاستعمار الاستبطاني .

وخلص إلى القول بانه لبس من ثبية سبب بحمانا على البالي من قدرتنا باقباع البهام بحقيقة الصهيونية من حيث هي واقبيا أخطر الديولوجية استعمار استيطاني في وقتنا الراهن، ولابد من أجَل فالك من عقد الجلقات الدراسية وترججة الكتب حول عنصرية الصهيونيية باللغات الأجنبية وتنفيذ توجهات سابقة بتدريس مادة الاستعمار الإستيطاني المقارن في الجامعات العربية.

بعد ذلك قدم د . غازي حسين بحثا مطولا بعنوان (الطبيعة العنصرية للجهيونية) وتتضمن العناوين الجانبية التالية :

- ـ الأمم المتحدة والعنصرية
- ـ ردود الفيل على القرار ٣٣٧٩
 - ـ مفهوم العنصرية
- ظهرر العنصرية في أوروبا وتأثيرها على الصهاينة
 - العنصرية في التعاليم اليهودية
 - العنصرية الصهيونية ومقاومة الاندماج

- التعاون بين العنصرية الصهيونية واللاسامية

وقد انتقد الباجث الحيال العرب القراد ٣٣٧٩ تعميقا وترسيخا في المؤقرات الدولية ، فيها عملت الصهيونية والامبريالية العالميتين على ، الفاء القراد ، (متفقا في ذلك مع ما طرحه و ، جبور في هذا الصدد) ،

وفيها يلي أهم النقاط التي أكد عليها الباجث , نستنتجها من خلال سطور يحثه ، وان لم يوردها بهذا الترتيب أو التركيز ؛

١ - أسبقية العنصرية البهودية على العنصرية الأوروبية وعلى الصهيونية كحركة سيساسية منطعة ، فقد أكد (احماد عام) منلا - ؛ أن المهودية سبقت النيتشوية (٤) ، بعدة قوون ، بفكرة الرجل اليهودي المتغوق ، الرجل النقي ، الذي هو غاية في حد ذاته والذي خلق العالم من أجله .

٢- رفضت الصهيونية اندماع البهود في مجتمعاتهم باعتبار أن الاندماج خطر على الصهيونية بيل دفي « اسرائيسل » أكدت على « العبل المعربي » والسوق المهودية ، ومقاطعة المنتجات العربية ، وحدى العبل بكافة أشكال التمييز لتفريغ الأرض من سكانها .

المحاوات الصهيونية مع اللاسامية والنازية (أورد الباحث حقائق عديدة لتأكيد ذلك) وكشف علاقاتها بالاستعمار .. لقد حرضت الصهيونية وعملت لأجل اضطهاد اليهود في كل مكان واغلاق الأبواب في وجوعهم ، الا باب فلسطين لخلق كيانهم العنصري الاستبطاني في فلسطين .

علاقة اسرائيل والصهيونية المتصلة والشريكة بالامبربالية العالمية والثيورة المضادة عسوما وضطام الامبرباليين في جسوب افريقيا.

□□ أيا بحث د . عبدالحسين شعبان فقيد كان بعنبوان (في اشكالية العلاقة بين العنصرية والصهبونية . سيناريبو (محكة القدس الدولية العليا) بين الحكم والواقع) .

أوضح الباحث عنصرية الصهيونية سواء من خلال والرة المعارف

(٤) « النينشوية » نسبة الى فريدريك نيتشه ١٨٤٤ ـ ١٩٠٠ الذي طور نظرية النخبة ووضع الأسس النظرية للِيَلِزِية ، وقِد تأثرِ بأفِكَارِه كل مين * موسى هيس » اليهودي الألماني الصهيوني المرتد عن الماركسية . و (هربرت سبسر) واستغل بافكاره « هرسل » و « أجاد عام » .

البريطانية لماهية العنصرية .. أو من خلال الايديولوجيا التي تطرحها الصهيونية ذاتها مثل « اللامكانية » فكرة اللاسامية وسواها .

وتحسدت عن جانب من قسرارات الأمم المتحدة المتخذة ضد الصهيونية والق توجت بالقرار ٣٣٧٩

وحاول حسب المادة السادسة من نبطام محكمة «نبورغبرغ» العسكرية تحديد أنواع الجرائم المرتكبة من قبل اسرائيل ضد السلم المعالمي وعلى أرض فلسطين ، التي يمكن توجيهها لها . ثم أتى عبل الوثائق التي يمكن بموجبها احالة «اسرائيل» الى القضاء الدولي وعددها (۲۵) وثيقة نورد منها :

١ - قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٤٦ بالمصادقة على نظام محكمة نورمبرغ.

- ٢ .. الأعلان العالمي لحقوق الانسان لعام ١٩٤٨
- ٣ ـ اتفاقيات جنيف الأربعة وملاحقها (لعام ٤٩)
 - ٤ ـ اتفاقات لاهاي لعام ١٨٩٩ و ١٩٠٧
- الأعلان العالمي لتصفية الاستعمار لعام ١٩٦٠.
 - ٦ قرارات مؤقر القمة الاسلامية الخمسة
 - ٧ .. ميغال منظمة الوحدة الافريقية .

اضافة (بالطبع) للرار الجمعية العامـة موضـوع الندوة رقم 8777 لعام ١٩٧٥ وسوى ذلك .

أما الجرائم التي يمكن محاكمة اسرائيل دوليا بموجبها فهي :

- ١ الجرائم الموجهة ضد السلم والأمن الدوليين
 - ٢ ـ جرائم الحرب
 - ٣ ـ الجرائم الموجهة ضد الانسانية
 - 4 جرائم ابادة الجنس البشري

واقتسرح تشكيل (محكمة القدس المدولية العليما) للنظر في الدعوى واصدار الحكم العادل بحق مجرمي الحرب الصهاينة باسم شعوب الأرض كافة .

والجهات التي يمكن أن تمثلها هيئة المحكمة فهي (٢٠) جهة .. منها :

ـ مجموعة دول عدم الانحياز

- ـ محكمة العدل الدولية
 - _ هيئة ألأمم المتحدة
- ـ مجلس السلم العالمي
- منظمة العفو الدولية
- ـ جمعية حقوق الانسان

وعدد من ممثلي الحركات الديمقراطية والمعادية للحرب وللعنصرية ويكون المدعى العام: الرأي العام التقدمي، وصاحب الدعنوى م.ت.ف.

والمتهم: الطغمة الاسرائيلية الحاكمة.

ويكون للمحكمة نظام خاص وتنبثق عنها هيئة مختصة تأخذ بعين الاعتبار نظام محكمة نورفبرغ وغيرها من قرارات الأمم المتحدة.

□□ بحث عبدالهادي النشاس وكان موضوعه (عنوان الصهيونية والنازية) تضمن مقارنة مستفيضة بين الصهيونية والنازية الالمانية

ولاحظ البالث أنتجميع القرارات التي أصدرتها الشرطة السياسية الألمانية تصب في دائرة التضييق على البهود الاندماجيين وبفتح جميع الأبواب أمام اليهود والصهابنة خدمة للأهداف المشتركة، بما في ذلك حرية عقد الاجتماعات العامة، واقامة الجمعيات والألعاب الرياضية، والقيام بأعمال التدريب المهني والزراعي والحرفي استعدادا للهجرة الى فلسطين، وجع التبرعات لصالح المستوطنات الجديدة فيها الغ ... وخلص الباحث الى ان تطابق الفكرة النازية وما استتبعه من تطابق في السلوك والممارسة، يؤكد حقيقة ثابتة، ينبغي أن تكون واضحة في السلوك والممارسة، يؤكد حقيقة ثابتة، ينبغي أن تكون واضحة كل الوضوح، وهي أن لا مكان لتفاهم أو حل سياسي مع الكيان الصهيوني، وأن مواجهته تنطلب حشد كل الامكانيات العربية والفلسطينية وصولا إلى اجتثاثه نهائيا.

□□ قدمت في الندوة عدة مداخلات، ومنها مداخلة (فابر سارة) بعنوان «تطبيقات العنصرية الصهيونية وممارستها في مرتفعات الجولان السورية المحتلة » تحدث أولا عن التطبيقات العنصرية الصهيونية في فلسطين المحتلة ، سواء المحتل منها عام ١٩٤٨ او عام ١٩٦٧ مجملا الاتجاهات العامة لهذا السياسة العنصرية

في ثلاثة محاور ه*ي* :

- ١ السياسة المتعلقة بالأرض
- ٢ _ السياسة المتعلقة بالسكان
- ٣ ـ السياسة المطبقة على الصعد الأخرى المختلفة .

فعلى الصعيد الأول ، تقوم اسرائيل بالاستيلاء على الأرض العربية بكل السبل والأساليب انطلاقا من أسلوب القوة المسلحة وانتهاء بالاشكالات القانونية وغير القانونية فتم الاستيلاء على معظم أراضي فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، وعلى أكثر من ثلثي أراضي الضفة الغربية المحتلة وأكثر من ثلث أراضي القطاع ، وثلاثة أرباع اراضي المرتفعات السورية المحتلة ..

وعلى الصعيد الثاني فقد تم طرد أكثر من مليون فلسطيني عام ١٩٤٨ ومن ثم طرد مئات الآلاف من فلسطيني الضفة وغزة .. اضافة لعمليات الابعاد منذ عام ١٩٦٧ ، وخلق وقائع عديدة جديدة تدفع السكان الفلسطينيين لمغادرة أراضيهم .

وعلى الصعيد الثالث، تركز السلطات الاسرائيلية على تحقيق التبعية الاقتصادية والمهنية على الموارد الطبيعية ولا سيا آلياه ووضعها في خدمة المستوطنات اليهودية واستغلال قواً للعمل العربية في المشروعات الاسرائيلية في شروط عمل متدنية وقاسية والتضييق على المؤسسات الاقتصادية العربية ومحاسبة المؤسسات الوطنية الطابع للفلسطينيين من جامعات ومعاهد ومدارس ومؤسسات بحث وصحافة، والتدخل في مناهج الدراسة والتعليم وفي الأعمال الادارية للمؤسسات التعليمية الفلسطينية، أيضاً يتم التدخل في الانتخابات البلدية ووقفها.

أما على صعيد الممارسات الصهيونية العنصرية في مرتفعات الجولان، فقد مهد أما بنبذة تاريخية لأطماع الصهيونية التاريخية في المرتفعات ثم حدد هذه الممارسات بصعدها المختلفة: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية والتعليمية...

فعلى الصعيد السياسي ؛ تم طرد ١٣٠ ألف سوري عام ١٩٦٧ وجرى تدمير نحو ٣٠٠ تجمع سكاني سوري في الجولان ولم يبق منها سوى خس قرى ، وكلفت السلطات « الاسرائيلية » محكمة طبريا والمحكمة المركزية في الناصرة باجراء المحاكمات للمواطنين

السوريين طبقا لـ « القانون السوري » وعينت مجالس محلية ومذهبية بأوامر عسكرية خلافالرغبات السكان السوريين .. ومنعت تأليف أي جعيات خيرية وانسانية .. وفرضت على الفوق الرياضية السورية الانتساب الى « الحستدروت » . وتم الحكم بالسجن لمد طويلة وأعدم آخرون بالقائهم في حقول الالغام ، بتهمة التجسس لصالع سورية ، فضلا عن الاعتقال المؤقت وفرض الاقامة الجبرية والفصل من العمل .

وعلى الصعيد الاقتصادي: تدمير المزارع والحقول في الجولان وتحويلها من أرض زراعية الى مواقع عسكرية ومستوطنات وحرمان العرب السوريين من الوصول الى اراضيهم في جبل الشيخ ومنع الرعاة من الوصول لمراعيهم .. وثم اعتصاب المياه الجوفية في مناطق اليعفوري والمشيرفة ورأس بوسعيد والاستيلاء على مياه بركة (ران) شمال الجولان ، ومنع مياه الشرب من الوصول الى القرى العربية ، كها منعت تصدير المحاصيل الزراعية الا بشروط المياسية ومنها وصف الانتاج الزراعي العربي بأنه « انتاج اسرائيلي » وفرضت ضريبة الدخل والأمن على المواطنين العرب السوريين وحجزت على أملاك رافضى دفع هذه الضريبة .

وعلى الصعيد الاجتماعي: منعت السكان العرب السوريين من اجراء مقابلات شخصية مع ذويهم واقربائهم الذين يعيشون في سورية ، كيا منعتهم من السفر الى أي بلد عسري ، وقطعت الاتصالات الهاتفية مع خارج المنطقة ومنعت دخول الصحف العربية الصادرة في فلسطين المحتلة ، وقطعت التيار الكهربائي ، ومنعت السكان من اقامة مساكن لهم خارج قراهم .

وعلى الصعيد الثقافي والتعليمي: فرضت مناهج التعليم الاسرائيلية وابعدت أعدادا من المعلمين والأساتذة، وأضافت مادة « التراث الدرزي » لمناهج التعليم.

مداخلة د . غازي حسين ، بعنوان « محاكمة الصهيونية كمجرمي حرب » صنفت فيها ـ انطلاقا من القانون الدولي ـ الجرائم التي ارتكبتها القوات الصهيونية في لبنان ، الى ثلاثة أنواع :

- ١ ـ جرائم ضد السلام
 - ۲ _ جرائم حرب

٣ ـ جرائم ضد الانسانية

وعرض لقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بمثل هذا النوع من الجرائم .. كما عرض لبعض ارتكابات الصهيونية في لبنان اثناء وبعد الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٧ .. بما في ذلك مجازر صبرا وشاتيلا ، واقامة معسكر أنصار ، وتدمير المستشفيات في صور وقصفها لمستشفيات بيروت والمراكز الثقافية والمدارس ودور العبادة .

□□ مداخلة مصطفى الولي «مركز الدراسات الفلسطينية » بعنوان (نحو تبرسيخ وعي علمي للكيمان الصهيموني (تناولت الأفكار الأساسية التالية :

١ - تقوم الأيديولوجية الصهيونية على تزييف التاريخ ، وتدمج
 في ذلك ما بين عنصرية عرقية ودينية لليهود .. فيها أثبت علم
 الاجتماع والسياسة بكل فروعة ومدارسه بطلان مزاعم أمة مودية
 تهاوت كل مرتكزاتها الايديولوجية .

٢ - وجدت الامبريائية في الصهيونية أداة لتحقيق استراتيجيتها على صعيد الوطن العربي في السيطرة والهيمنة وأداة لتعميق التجزئة في المنطقة العربية . ولأجل استعرار النهب والتحكم يبالتروائن والأسواق وكي تحقق (اسرائيل) آلية كهذه ، تبرز المؤسسة العسكرية كعمود فقري لكل العمليات المرتبطة بمصير الدولة ووظائفها ومبررات استعرارها .

وعلى النقيض من نموذج الدولة القومية التي يتميز بثبات الأرض والسكان وتبدل بنية السلطة السياسية فان « اسرائيل » تستند الى ثبات بنية الدولة . ومتحركين في الأرض والسكان .

وعليمه كنتيجة أيضا ـ لا يمكن استمرار (اسرائيسل) دون الارتباط بالامبريالية ودون استمرار وظيفتها العدوانية في الاطار العام لهذه الاستراتيجية .

٤ - أن التركيز على عنصرية اليهودية وتعبيرها المعاصر: الصهيونية ، موضوعيا أمر مشروع وضروري ودقيق علميا ، لكنا في الحديث عن عنصرية الصهيونية وكشف جوانب رجعيتها (من حيث كونها ضد خط التاريخ الصاعد) ، ينبغي أن لا يكون الحماس

له ، على حساب عنصريات أخرى في العالم ، كعنصرية الابارتيد في جنوب القارة الافريقية .

بل أن المطلوب تطوير الدراسات المقارنة في مجال الاستعمار الاستيطاني العنصري، وبخاصة بين تجربتيه الأساسيتين: جنوب أفريقيا واسرائيل، ذلك الجانب الذي طوره وناضل لأجل تدريسه في الجامعات العربية كمقرر فيها .. د . جورج جبور

ان تذكير العالم بمثل تلك الدراسات المقارنة ، وربطها بكافة أشكال التمييز العنصري والاستيطاني والنازي والفاشي الأخرى ، الراهن منها والحديث والقديم .. أمر ضروري ، لتقريب وتوصيل وتفهم مدى الخطر الناجم الذي تحمله العنصرية الصهيونية للعالم أجمع .

٥ - ان اقناع العالم بعنصرية الصهيونية وترادفها مع عنصرية ونوب افريقيا ، ينبغي أن يقاربه ويتزامن معه طرديا ، نضال عربي مراخلي بما لا يسمح لأي شكل من أشكال الاستغلال والتشويه ، بما في ذلك تزوير التاريخ ، وخلق النزاعات الاقليمية والاقلياتية في هذا القطر العربي أو ذاك .

كما يمكن أن يدخل في الحسابات أيضا ، امكانية اعادة استيعاب اليهود العرب ممن جذبتهم الصهيونية ، ويرغبون الآن في العودة الى أوطانهم في اطار خطة شاملة مدروسة .

ان استقبال مثل أولئك ليس فقط تفريغ للمجتمع الصهيوني سن العنصر البشري، وكشف لعنصريته وهشاشة بنائه الداخلي، وانما أيضا دليل عملي على الطبيعة المتحضرة الانسانية، البعيدة للعرب عن العنصرية. لكن هذه المقولة لا تكون ناجحة بأي حال في وضع العجز العربي والتشرذم، وكها سبق وأشرت، فان المنطق الذي يكون في العالم، هو منطق يستند الى أساس موضوعي من القوة والمصالح.

□ مداخلة (سعدي مدلل) كان موضوعها :

(حقيقة ومدى التداخل بين الصهيونية واسرائيل)

وجاء فيها أن أصواتا في اسرائيل ترتفع من مواقع متباينة ، تدعو

الى احياء الحركة الصهيونية شريطة أن لا تأخذ دور التنظيم السياسي او تحل محل «الدولة» كمحور استقطاب للولاء اليهودي، خصوصا فيها يتعلق (عمواطني هذه الدولة وحاملي جنسيتها).

ومن خلفية الجدل « الاسرائيلي » الدائر ، خلص الى استنتاجين هما :

١ ـ اتساع القناعة لدى مستوطئي فلسطين المحتلة من اليهود
 « مواطنو اسرائيل » بافلاس الصهيونية وتراجع تأثيرها ازاء اليهود
 كنداء وكنظام .

٧ - ان الصهيونية تعمل ككنيسة علمانية في خدمة الدولة ، وتعني برعاية فكر اجتماعي وتوجهه نحو خلق نشاطات روحية ودينية في المستوطنات وفي المدن ، ولا بأس في أن تتولى هذه الكنيسة نحت رعاية الدولة ووفق مصالحها الدور الذي كانت تتولاه في السابق أجهزتها في الخارج (جباية الأموال وتشجيع الهجرة) .

وحذر من تلافي هذا الفصل بين الصهيونية كعقيدة وحركة عن اسرائيل مع الجهد السياسي الهادف الى التنصل من الصهيونية بعد قرار ادانتها . (موضوع الندوة) عام ١٩٨٥ .



الوث النق والمخطوطات



الدليل العام للتوثيق والدراسات الجمالية

اعداد : دائرة الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة والإعلام/بغداد

١) تعريف عام بالقسم:

أ_يضطلع القسم بجمع المصادر والمراجع والوثائق في اطار الفن التشكيلي والنقد الفني التشكيلي وهذا هو الشق الأول. فهو من هذه الناحية ذو هوية لصيانة الوثائق وحفظها كممتلكات مكتبية في نفس الوقت حيث تعتبر هي والمحتويات الاخرى مجالا للبحث والدراسة. أما موضوعها فهو الفنون التشكيلية (كالرسم والنحت والسيراميك والمعمار والفنون التطبيقية والفلكلور وفنون التصبيم ثم النقد الفني التشكيلي).

ويتم التوثيق بكافة الوسائل والقنوات الملائمة كالتدوين المطبوع من الصحف والمجلات والوثائق مثل الرسائيل والكتيب الرسمية وما الى ذلك . وكذلك ما يتعلق بالمعارض الفنية واعلامها (مثل الملصقات ودليل المعرض الفني الخ ..) و (التدوين السمعي أي التسجيلات الصوتية) و (التدوين البصرى مثل الصور الفوتغرافية والشفافيات / السلايدات والصور المطبوعة) و (التدوين السينمائي « فديوتيب ») .

ب_أما الشق الثاني فهو العمل على توظيف هذه المصادر والوثائق _ بشكل دراسات جالية وبحوث عامة الغرض مها جميعا اكتشاف الشخصية الحضارية والقومية للفن العراقي خاصة والفن العربي عامة . وتزويد الفنائين والنقاد ومن يهمهم الأمر كمؤلفين أو صحفيين بما يستندون اليه من البحث والابداع ، ومن أجل تطوير العمل الفني والنقد التشكيلي والمعرفة الفنية عموما .

ان شكل هذه الدراسات يتم على توعين هما :-

أ_الدراسات التوثيقية بالاساس.

ب _ الدراسات الاخرى تاريخية كانت أم حضارية ، أو سواها وخاصة الدراسات الجمالية (الاستاتيكية) .

كها من المكن ان تتنوع هذه الدراسات عموماً ما بين (المعرض الوثائقي الفني) أو الوثائقي فحسب والدراسات الاخرى كبحوث في شتي حقول المعرفة ذات الصلة بالفن التشكيلي ، سواء انجزت من قبل موظفين في القسم او المتفرغين للبحث .

جـ وهناك شق ثالث يكون بثابة نقطة التقاء ما بين كلا الشقين واللذين يكبل الثاني منها الاول وهذا هو ما يتعلق (بالمعرض التوثيقي) من جهة و (النشرة الفصلية) من جهة أخرى. فعن طريقها معايتم الجمع ما بين الغرض التوثيقي والدراسي، هذا بالاضافة الى عنصر ثالث هو (التنسيق) مع المراكز الثقافية والمؤسسات الفنية التشكيلية. وذلك من أجل تزويدها بالمعلومات اللازمة لانجاز البحث في مجال الفنون التشكيلية على مستوى الدراسات الجامعية أو المتخصصة.

٢) أهداف عامة :

من خلال هذه البنية المتكاملة ما بين التوثيق والدراسة (أو التأليف ضمنا) يستهدف القسم تحقيق ما يلي :ـ

١ ـ اعداد مكتبة وثائقية تشتمل على :

أ ــ المدونات والمطبوعات من الوثائق والصحف والمجلات (ما يتعلق بأنباء الفن والفنانين والمقالات المنشورة في هذا الموضوع) والملصقات وأدلة المعارض وحتى الكتب.

ب ـ التسجيلات الصوتية في شكل حوار أو حديث يتم من قبل

الفنانين أو النقاد وكذلك خلال المؤتمرات التشكيلية أو المعارض الفنية ومع هواة جمع الأعمال الفنية وكمل من له عملاقة بمالفن التشكيلي .

جد الرقوق السينمائية والتسجيلات السينمائية (فيديو كاسيت).

د ـ الصور الغوتوغرافية والشفافيات (سلايدات) .

٢ ـ تفطية المؤتمرات الفنية والمعارض والمهرجانات وكمل
 المناسبات التشكيلية الممكنة وما يتعلق برعاية الدولة للفن والنقد
 التشكيلي وعن طريق كافة القنوات والوسائل.

٣ ـ انجاز بحوث ودراسات ذات صفات توثيقية وفي هذه الحالة
 تصبح هذه المنجزات بثنابة منجزات مكملة للتوثيق نفسه .

٤ ـ تقديم المعونة اللازمة للمتغرغين من الباحثين (أي من غير موظفي القسم) وخاصة في ما يتعلق بالكشف عن الشخصية المضاربة والعربي.

٥ ـ انجاز بحوث أو دراسات ذات صفات تأليفية من آيل بعض المتخصصين من موظفي القسم. سواء عن طريق (النشرة الفصلية للقسم) أو عن طريق تأليف كتب تطبع باسم القسم .

التنسيق مع الدوائر والمراكز والاقسام ذات العلاقة بقسم التوثيق والدراسات الجمالية ـ وأهم هذه المؤسسات هي تلك التي تجد في اطار وزارة الثقافة والاعلام خاصة المراكز والملحقيات الثقافية والصحفية خارج القطر وذلك بخصوص :

أ-جمع المعلومات الوثائقية والوثاثق.

ب ـ ايصال نتائج الدراسات والبحوث الى الجهات ذات العلاقة بالقسم .

جـ - تسهيل متطلبات الدراسات الفنية التشكيلية .

 ٧ - أصدار نشرة فصلية (من الممكن تطويرها الى مجلة) خاصة بالتوثيق والدراسات الجمالية .

٨ - التنسيق مع قاعمة الواسطي (التابعة لدائرة الفنون

التشكيلية) بصورة مباشرة لغرض إلجاز المعارض اللنية التوليقية أو الموثقة .

٣) الوسائل والأجهزة :

يعتمد هذا القسم على استخدام أحدث الونسائل والعطوق في البحث والتأليف والتوثيق ، وعلى استخدام أحدث الأجهزة المكن توقيرها وفي جيما كها يلي ،

أ- اتباع الطرق العلمية والموضوعية في البحث .

ب ـ استخدام أجهزة للتوثيق المطبوع مثل يـ

١_ جهاز الكتروني لتنظيم الملغات .

۲ـ جهاز طبع رونیو حدیث .

٣- جهاز المايكروقيلم لتصوير الوثائق والكتب،

جــ استخدام اجهزة للتوثيق السمعى والبصري مغل يــ

١- جهاز لاعادة طبع السلايدات

٢ جهاز حفظ الشفافيات والأفلام (ثلاجة خاصة)

د ـ استخدام أجهزة في المحاضرات الممكن تنظيمها مثل سـ

المجهاز (أوفرهيد) لعرض الرسوم اللورية .

٢ـ جهاز عرض الشفافيات (اتوماتيكي) .

٣ جهاز عرض الافلام السينمانية (١٦ ملم)

٤ جهاز عرض التسجيلات السينمائية (فيديو)

هـ اعداد غرفة مظلمة مزودة بكافة الاجهيزة للتصوير الفوتوغرافي والميكروفلم

و ـ ستوديو للتصوير السمعي والبصري (فيديو)

ز ـ غرفة خاصة لحفظ الوثائق والوثائق المطبوعة .

ح ـ قاعة للمطالعة .

ط ـ غرفة للتسجيل الصوتي والانصات.

ي - أجهزة مختلفة للتوثيق كالكاميرا التصويرية والسينمائية وكاميرا فيديو الخ

1. 11 10 11 11

الهيكل التنظيمي « الكوادر »

١ مديرية القسم والسكرتارية

ط شعبة الوثائق والتوثيق المطبوع

أ_تنظيم المكتبات

ب ـ جمع الوثائق من الصحف والمجلات

جــ الترجمة عن اللغات الاجنبية في بعض الوثائق

د ـ تفريغ الحوارات المسجلة واعدادها

٣ شعبة التوثيق السمعي - البصري

أ ـ التصوير السينمائي والتسجيل السينمائي

ب ـ التصوير الفوتوغرافي والسلايدات

جــ التسجيل السمعى

٤ ـ شعبة التحرير والتأليف

أرالنشرة الفصلية

ب ـ الدراسات التوثيقية

جـ الابحاث

٥ المتفرغ الباحث

٦ _ المتحف الوثائقي الدائم لحفظ المستمسكات الوثائقية.

الموظفون :

١- رئيس القسم للاشراف العام

٢_ كاتب لحفظ وثائق القسم

٣ منظم مكتبات _ يقوم بمهمة رئاسة شعبة التوثيق المطبوع

کا۔ مترجم

0_ مفرغ حوار

٦_ جامع وثانق

٧_ سينمائي _ يقوم بمهمة رئاسة شعبة التوثيق السمعي _

البصري

٨ مصور فوتوغرافي ـ أو مساعد سينمائي

٩ـ موظف للتسجيل السمعي ـ يشترك هو ومفرغ الحوار في
 تنظيم الحوارات

١٠ـ باحث توثيقي ـ ومحرر في النشرة

١١_ رئيس تحرير النشرة الفصلية _ يقوم بالمهمة رئيس القسم

١٢ باحث في الدراسة الجمالية ومحسرر في النشرة
 متفرغ أوأكثر في الدراسة الجمالية
 ١٣ ـ فراش

٦) برنامج العمل واستراتيجيته

ا _ يتوقف العمل في القسم على برنامج عام هو البرنامج السنوي الذي لابد أن يعقد على منطقية (التنسيق) بين توفير المصادر واستخدامها وعلى (التكامل) ما بين الفعاليات المطبوعة والسمعية والمنجزة كمشاريع . ومن هنا فان استخدام مناهج معينة للبحث يظل شرطاً _ اساسيا في العمل ومن هذه المناهج المتبعة ما يلى -

أ ـ المنهج العلمي ـ أي الذي يعتمد فيه الباحث والموثق على جمها والتأليف فيها بينها .

رب رالمنهج المقارن ـ أي استخدام المقارنة بين اثنين او أكثر من الطواهر لأكتشاف نقاط الالتقاء فيها بينها .

جـ المنهج البنيوي - وهو الذي ياخذ بنظر الاعتبار ادراك العلاقة بين (الدال) و (المدلول) فالعلاقة هنا هي (الدلالة) التي تتضع من خلال الربط ما بين الدال والمدلول (وفي حالة فعاليات القسم بين عملية التوثيق وعملية التأليف)أو بالاحرى أن البحث العام لتوثيق ودراسات معا يعتمد على ادراك العلاقة الجدلية بينها مع العلم أن كلا من التوثيق لذاته والدراسة (أو البحث أو التأليف) أو بالاحرى أن البحث العام كتوثيق ودراسات معا يعتمد على ادراك العلاقة الجدلية بينها مع العلم أن كلا من التوثيق لذاته والدراسة (أو البحث أو التأليف) لذاته ينطوى على معنى الدال والمدلول كل على حدة .

د ـ المنهج الاركبولوجي ـ أو هو المنهج الذي لا يكتفي بالمعنى السطحي للمدلول (بالاعتماد على الدالات السطحية) بل يتفلغل في أعماق ـ الدالات للوصول الى المعنى الداخلي (وهذا المنهج مستمد من التنقيبات التي تكتشف (الموقع) بالتغلل فيه من سطحه الظاهري حتى مستوى سطح البحر) .

ان الغاية من التوثيق والدراسات هو الكشف عن جمالية (استاتيكية) الفن العراقي والعربي أو ظهور ملامح الخلف الحضرية في السلف. ومثل هذا التحقيق يجد مجاله في كل الحقول العلمية ذات العلاقة بالفن التشكيلي فضلا عن الحقل الفلسفي. فتاريخ الفن والاثنولوجيا والجغرافيا والفلسفة كل هذه المجالات الثقافية تستطيع أن تساهم في اكتشاف الملامح الحضارية والجمالية للفن التشكيلي العراقي والعربي.

٢ ـ اما استراتيجية العمل (الخطة السنوية والخطط الاخرى) فانها تعتمد على استخدام الصيغ المتكاملة ما بين التوثيق والدراسة ولضمان النتائج بحيث يتقدم فيه التوثيق أحيانا الدراسة أو تتقدم فيه الدراسة في حين آخر التوثيق .

٣- ففي حالة المعرض التوثيقي مشلا تتم أول الأمر الدراسة التوثيقية لاعداد المنهج ودليل المعرض بحيث يوثق فيه الفنيان وأعماله الفنية بصورة كاملة ثم تعرض الأعمال ومن ثم لوثق من جديد توثيقا سمعيا - بصريا فتصور اللوحات والمعرض نفسه تصويرا سينمائيا تسجيليا (فيديو) أو بشكل سلايدات وما الى فللدومكذا يأتى التوثيق الآن بعد المعرض.

ب _ وفي حالة _ النشرة الفصلية _ مشلا تفرغ التسجيلات السمعية اولا وتلخص الملفات وربحا تعمل من جديد بعض الاستبيانات لكي تعد للنشر في النشرة بشكل دراسات توثيقية . فالدراسة هنا تأتي بعد التوثيق .

جـ أما في حالة _ الدراسات الميدانية _ والمسح الميداني التوثيقي فان نتائج الدراسة تأتي بعد تنفيذ المشروع وربما انطوى العمل في هذه الحالة الاخيرة على نظام الفرقة الواحدة أى تنفيذ الاعمال بشتي الصيغ في آن واحد (تصوير فيديو _ تصوير فوتوغرافي _ تسجيل حوار _ توزيع استبيانات أو أسئلة الخ ..)

ان استراتيجية العمل هنا تأخذ بنظر الاعتبار اختبار الوسيلة الأكثر ضمانا للحصول على النتائج الايجابية بالنسبة لنوع العمل.

٧) الوحدات الثقافية

ماعدا (المكتبة الوثائقية) و (الدراسة) و (الدراسة الميدانية)

التي تؤلف وحدات طبيعية للعمل . فان الوحدات المشخصة الاخرى كقنوات ضرورية هي ما يلي :..

أ ـ المتحف التوثيقي : ـ ويتألف من قاعة خاصة وخزانات لعرض الممتلكات الوثائقية التي تخص الفنانين والنقاد أما محسوبات هذا المعرض فمن المفروض ان تتألف مما يلي : ـ

١ _ الرسائل الشخصية للقنان او مذكراته وما الى ذلك .

٢ ـ مسودات مؤلفاته التنظيرية (مخطوطاته ودفاتره) .

٣ ـ بعض الاشياء الخاصة به مما تصلح للتوثيق .

٤ ـ المراسلات الرسمية.

٥ ـ الصور الفوتوغرافية.

٦ ـ الصوت والصورة المسجلة سمعيا ـ بصريا (أفلام سينها ـ فيديو ـ صور فوتوغرافية الخ ...) .

(مثال : توجد لدينا ممتلكات مختلطة بالتوثيق المطبوع في الوقت الراهن)

أما شروط المتحف المثالية فكها يلي :ــ

١ ـ تكييف المتحف مناخيا لكي يجافظ على المعروضات من التلف.

٢ ـ اخضاع الوثائق لعملية صيانة وحفظ قبل اختزانها .

٣ ـ تزويد المتحف بالوسائل التكنيكية التي تساعد الباحث أو
 الزائر على التعرف على الوثائق (مثل السلايدات وأجهزة عرض سلايدات وما إلى ذلك) .

٤ ـ تكون الممتلكات على نوعين (مخزونه) و (معروضه في معرض) .

۵ ـ يشتمل المتحف او يلحق به قاعة عرض أو قاعة محاضرات وأجهزة متنوعة .

٦ ـ يكون المعرض الوثائقي السنوي بالمعرض الفني الوثائقي من
 المشاريع المتعلقة بالمتحف .

ب ـ النشرة الفصلية (أو المجلة)

وهي وحدة متكاملة من حيث التنسيق بين نتائج الدراسات ولسان حال القسم من الناحية الثقافية والاعلامية بحيث تنشر فيها

كل الفعاليات التي تضمن استمرار العمل واستفادة المتهمين به . وتعتمد النشرة على ما يلى تــ

١ - هيئة التحرير - باشراف مدير القسم وعضوية كل من
 المسؤول عن شعبة التوثيق والدراسات والدارسين (الباحث التوثيقى - الباحث الجمالي) .

٢ ـ تتألف مواد النشرة الاساسية من نوعين :

 أ ـ الحقول الدائمة وهي التي تستمر في كل الاعداد بصورة منتظمة وهذه الحقول هي :

الحوارات المسجلة بعد تفريغها كتابة ويستحسن نشرها بأقل
 تعديل ممكن من صيغتها اللغوية .

٢ - التقاويم التاريخية للتراجم الشخصية (
 للفنانين أو النقاد التشكيليين .

٣ ـ الفهارس الضرورية لاستمرار الدراسات العلمية الفنية
 كدراسات اكاديمية سواء داخل العراق (اكاديمية الفنون (معهد الفنون) أو خارجها (المبعوثون) .

٤ ـ يمكن استحداث مواضيع توثيقية أخرى .

ب _ الحقول المؤقتة (الأخرى) _ وهي دراسات جمالية او اثنولوجية تعتمد على التوثيق أو على ما ينجزه المتفرغون. وربما ضمن هذه الحقول ما يلى :_

- ١ ـ الدراسة الجمالية أو الاثنولوجية .
- ٢ ـ مقالات أو فصول مؤلفة مما يؤلفه المتفرغ في القسم.
 - ٣ ـ نقد للكتب الفنية خاصة من الناحية التوثيقية .
 - ٤ ـ الاخبار الفنية المحلية والعربية والعالمية .
- ٣ ـ كما يتم التنسيق ما بين القسم ومديرية الثقافة الفنية في
 الدائرة بخصوص الطبع وما الى ذلك .
- ع ـ و في حالة عدم امكانية استقلال النشرة يخصص لها ملف في
 المجلة التى تصدرها الدائرة وباسمها .
- ٥ ـ تنسيق شعبة التوثيق والدارسات مع باقي الشعب وتتعاون
 فيا بينها لاخراج ـ النشرة بحلة قشيبة ـ

جــ المعرض أو المعارض الوثائقية

وتتألف الوحدة الثقافية لهذه المعارض من أبعاد المشروع نفسه . وهو الذي يقوم بتنظيم المعارض الفنية التوثيقية لضمان (دينميكية) البحث وتعتمد هذه المعارض على ما يلي :

١ ـ يؤخذ بنظر الاعتبار التنسيق مع مدير المعارض ومديرة القاعة (قاعة الواسطي) واعتبار القاعة مختصة بالتوثيق الفني عموما.

٢ - يحرض القسم على اقامة المعرض الوثائقي السنوي والمعارض
 الفصلية الفنية كجزء من الخطة العامة .

٣ ـ يراعي عند اختبار الأعمال ما يلي ــ

أ ـ اختيار الأعمال بدقة وفي حالة المعرض الفني من معرض
 اللوحات في المتحف الوطني أو مجموعات الهواة .

د _ يفاتح بعض المعنيين للحصول على الوثائق لانجاز المعارض تدثيقية _____

٨) المرافق التي يشتمل عليها القسم أو التي يشغلها

١ - الادارة وأماكن عمل الموظفين في غرف مهيئة لطبيعة
 منجزاتهم :

أ ـ مكتب مدير القسم

ب ـ مكتب الكاتب (ذاتية القسم)

ج ـ جناح التوثيق والتوثيق المطبوع

ذ ـ جناح التوثيق السمعي والبصري

٢ ـ المكتبة الوثائقية (قاعة لحفظ الوثائق)

٣ ـ المكتبة (قاعة للكتب)

٤ ـ استوديو السمعي ـ البصري .

١١ـ غرفة للتسجيل السمعي والانصات

٢ ـ غرفة للاستوديو السينمائي والتسجيلي

٣ ـ الغرفة المظلمة للتصوير الفوتوغرافي .

٥ _ قاعة للمطالعة والتأليف مفصولة عن قاعة المكتبة الوثائق .

٦ _ متحف لحفظ الممتلكات الوثائقية .

٧ ـ قاعة عرض لتنظيم المعارض الوثائقية أو الوثائقية .. الفنية .

٨ ـ مخزن عام للقسم.

٩ _ كافتريا (إن أمكن)

١٠) الدراسات التوثيقية / الخطط التفصيلية

الموضوع / خطة العمل السنوية

(١) النشرة الفصلية

وتتألف الحقول الدائمة فيها على مما يلي :-

أ_ تفريغ الحوارات التسجيلية لكي تنشر بكاملها في النشرة .

ب استخلاص (البياغارفيا) للفنانين وحسب السنوات فهو أشبه بالتقويم التاريخي من هذه الناحية . وهذا الموضوع يعتمد على دراسة الباحث للملفات وتدوين تقرير (خطة عمل) يستكمل من خلالها الالمام بالموضوع من كافة اطرافه . فهو يعتمد على كتابة استبيان جديد يوزع على الفنانين والنقاد وعلى دراسة الملفات ثم على أمكانية عمل مقابلات مع الفنانين يسجل فيها البايوغرافي التفصيلي من جديد .

جـ مذا بالاضافة الى حقول أخرى تستحدث في المستقبل.

د ـ الاخبار الفنية المحلية وتستخلص من الجرائد والمجلات (في المكتبة الوثائقية) .

هـ ـ الاخبار العالمية وتستخلص من المجلات العربية والعالمية (في المكتبة الوثائقية) .

و ـ خلاصات ونقود على الكتب والمؤلفات في الفن التشكيلي .

ملاحظة : يتولى العمل ثلاث موظفين

١ ـ الاول للحوارات

٢ _ الثاني _ لعمل الباياغرافيا والببلوغرافيا .

٣ _ الثالث _ للاخبار الفنية والعالمية والعربية .

٤ ـ النقد الفني يظل بتكليف لاحد النقاد وقد يقوم بـ ه مديـر
 التوثيق والدراسات نفسه أن كان فاقدأ .

أما الحقول الاخرى فتستحدث من انتاج الدراسات المتفرقة في القسم حول جمالية الفن العراقي (يستكتب فيها مؤلفون مختلفون يكلفون بعدت دراسات معينة كها يلى :

أ _ في علاقة علم الآثار بالفنون التشكيلية ب _ في علاقة العلوم الاخرى بالفن التشكيلي ج _ في علاقة الفن بالتراث .

(٢) ـ المعرض التوثيقي (قاعة الواسطي)

ويعتبر هذا المعرض خاصا بالممتلكات التوثيقية فقط ويقام بصورة دورية مرة في العام الواحدة .

(٣) المعارض الفنية _ الوثائقية _ وهي بمعدل معارض فصلية تقام كل ثلاثة شهور وذلك نظرا للمدة التي تستغرق في عمل الدليل التوثيقي لكل معرض بصورة تفصيلية . ويؤخذ بنظر الاعتبار في هذا الدليل انجاز ما يلي :

آرِ الْبَالِوغراني التفصيلي عن الفنان

باً ـ التفاصيل الكاملة عن اللوحات الفنية التي يتم اختيارها للمعرض

القسم بكافة شعبة (المكتبة الوثائقية ـ التصوير والسينها)

(٤) يتم الاتصال ببعض المتخصصين (من المتفرغين خاصة) وقد يستحصل لهم التفرغ لهذا الغرض وذلك بقصد انجاز دراسات جمالية عامة في المواضيع التالية مثلا :-

١ _ علم الآثار والفنون التشكيلية

٢ _ النقد الفني التشكيلي

٣ ـ تاريخ الفن العراقي

٤ _ الفن التشكيلي والتراث

٥ _ جمالية الخط العربي

٦ _ الفنون التطبيقية المعاصرة في العراق

٧ ـ الفنون الحرفية مابين الماضي والحاشر في العراق

٨ ـ تطور الفلكلور التشكيلي في العراق

٩_ القيم الجمالية في الفكر العربي المعاصر وعلاقتها بالفكر
 العربي عبر التاريخ .

(٥) عمل دراسات على التوثيق السمعي ـ البصري ويشكِل افلام تسجيلية (فيديو كاسيت) منها النشرة الفصلية السمعية ـ البصرية . لتغطية المنجزات الفنية وسواها .

التوثيق السمعي والبصري

الموضوع: الخطة السنوية

تتألف فعاليات هذه الشعبة من ثلاث قنوات كها يلي نــ

١ ـ القناة السمعية ـ البصرية معا (أي التسجيل السينمائي على الكاسيت (فيديو) و (التسجيل على الشريط)

٢ ـ القناة السمعية فقط ـ أي التسجيل على الكاسيت

٣ ـ القناة البصرية فقط ـ أي التصوير الفوتوغرافي وعسل الشفافيات (السلايدات) وبالنسبة للخطة السنوية لهذا العام فان بالمستطاع انجاز ما يلى :..

٢ ـ عمل أفلام تـوثيقية لبعض الفنانين العـراقيين (خاصة الطاعنين في السنة .

٣ ـ نقل بعض الحوادث التوثيقية من أفلام سينمائية الى أفلام
 تسجيلية (فيديو كاسيت) ويتم ذلك في الأستوديو .

٤ ـ عمل تسجيلات صوتية (كاسيت) بزيارة بعض الفنانين
 والنقاد التشكيليين (بمعدل ١٠ تسجيلات في السنة) .

٥ - استكمال التوثيق السينمائي (فيديو) على المعارض الفنية والمهرجانات والمناسبات الفنية المختلفة .

٦ عمل الصور الفوتوغرافية والسلابدات (في حالة امكانية شراء الخامات) بمعدل (٥٠) فلم تصويرا و (٥٠) فلم سلابدات في العام .

التوثيق المدون المطبوع

الموظوع: خطة العمل السنوية

١ - استكمال المسح الميدائي في محافظات القطر بمعدل مسحين في السنة ويسبب الظروف الراهنة يقتصر على المحافظات القريبة من بغداد مثل (ديالى والحلمة) .

 ٢ ـ أستكمال توثيق المطبوعات من الصحف والمجلات ويؤخذ
 بنظر الاعتبار الحصول على أخبار ومادة التوثيقيق من صحف ومجلات عالمية أن امكن .

" - استملاك بعض الوثائق من الفنانين والنقاد والتشكيليين (خاصة الرسائل والصور الفوتوغرافية والتخطيطات والكتب المرسعية المطبوعة مثلا) ويتعلق هذا المنجز الاخير بمشروع عمل متحف دائم للتوثيق ضمن القسم.

٤ ـ توثيق الملصقات وأدلة المعارض كها هو في السابق .

٥ ـ توثيق الصحف والمجلات الأجنبية بعد ترجمتها الى اللغية العربية .

عرعن المحنب والرسائل مجامعيت; وتقدها

4





•

1

•

•

تاريخ المنازعات والحروب بين العراق وايران

تأليف: شاكر صابر الضابط

عرض: معتز صهحي عبد الحميد

تصدرت هذا الكتاب الضخم مقدمتان احداها للدكتور حسين امين الأمين العام السابق لاتحاد المؤرخين العرب والأخرى للدكتور سامي سعيد الاحد أستاذ التاريخ القديم في كلية الآداب ومن خلال هاتين المقدمتين ندرك الأهبية التاريخية التي ينطوي عليها هذا الكتاب.

لقد سبق للاستاذ المؤلف أن أصدر سنة ١٩٦٦ كتابا تناول فيه مشاكل الحدود مع ايران، ولعل أول بحث علمي يضبع أمام العراقيين مكامن الخطر، وينبههم على مواطن الشر ليشمر واعت ساعد الجد واليقظة، وليبادروا ـ ومن ورائهم العرب ـ الى تعبشة الجهود وتوحيد الصف والهدف مها كلف ذلك من تكاليف.

ان تاريخ الاعتداءات الفارسية على العراق قديم جداً وهناك اشارة تاريخية تشير الى أن ملك كيش حمل على بلاد عيلام سنة ٣٢٠٠ ه. م. للرد على اعتداءاتهم والتي قيزت بسمات بارزة حصرها المؤلف في بعض فصول الكتاب وأجملتها المقدمة الثانية وفق هذا البيان :-

١ أن الحضارة الفارسية ظلت معتمدة على الحضارات العراقية
 القديمة .

٢ _ العراقيون عاشوا أصحاب رغبة دائمة في العيش بسلام مع جيرانهم الايرانيين .

٣ ـ افتقار المقاتل الفارسي الى المقدرة القتالية وتعطشه الى سفك الدماء ونشر التخريب .

٤ ـ حرص الايرانيين الدائم على التدخل في شؤون العراق.

٥ ـ انتهاز حكام ايران وشاهاتها أي اضطراب داخلي في العراق
 لهاجمته وتخريب المدن وقتل أبناء المدن الحدودية .

٦ حسن المعاملة التي أبداها الحكام العراقيون لبلاد عيلام وما جاورها من بلاد فارس واهتمامهم بمعابد آلهتهم وتعمير مدنهم واسبالخ الترعة الانسانية على معاملاتهم معهم.

٧ - تعاون الايرانيين الوثيق ـ وبصورة دائمة مع الأقليات الحاقدة في البلد التداء من يهود السبي البابلي ومروراً بحقب التاريخ والى يومنا هذا .

٨ عدم توقف الايرانيين في حقدهم على العراقيم عدد عدد في الوقت الذي كان فيه العراقيون يضربون أطيب الامثلة في المزعة الانسانية والتسامح وروح الجوار.

* الباب الأول *

في الحقيقة أن المؤلف الفاضل قسم كتابة الواسع هذا الى ثلاثة أبواب وبعد ذلك عمد الى تقسيم كل باب الى عدة فصول ، ورغم تشبعها وغزارة المعلومات وكثرة المصادر التي حشدها المؤلف بين يدي بحثه فقد استطاع أن يمسك بخيوط المواضيع وأن يتوصل مع القارىء الى نتائج حاسمة ايجابية تتسم بالدقة والأصانة وهدوء التفكير .

ولقد ضمت فصول هذا الباب موجزاً لتاريخ الفرس يليه موجزاً في تاريخ عرب العراق والموجات الثلاث التي نزحت من الجزيرة العربية

من شمالها الشرقي خلال الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد كانت أولى هذه الموجات الثلاث جماعة مسلم صاحب مدينة كيش (تل الاميجر) قرب المسيب ، والموجه الثانية موجهة الاكديين ، أما الثالثة فقد عرضها المؤرخون باسم سلالة الأولى وقد جاءت قبيلتها من أعالي الخابور وانحدرت الى الجنوب حتى مدينة بابل .

واستعرض هذا الباب ابتداء الحروب التي اعتادت (فارس) شنها على أراضي العراق منطلقة من الروح التوسعية الاستعمارية لدى حكامها ، فقبل سقوط بابل جرت عدة مجابهات ، وبعد سقوط بابل كانت هناك وقائع تاريخية نادرة امتدت حتى ظهور الاسلام وانتشار دعوة الدين الحنيف ، ثم معركة القادسية الحالدة التي كانت من المعارك الحاسمة في تاريخ هذه المنطقة العربية ، وقد جاءت لتزيل التسلط الفارسي الأجنبي وتخمد نيران المجوس والى الأبد في ديار الرافدين . وعلى اثر الانتصار الساحق قلت الهزائم على اشياع هرمز وكسرى ورستم فها قامت للوثنية قائمة بعد ذلك التاريخ ، ودخلت راية التوحيد بلاد فارس واستقرت شعوبها تحت ميزان العدل راية التوحيد بلاد فارس واستقرت شعوبها تحت ميزان العدل والبابكية والمزدكية والمانوية والتيارات السوداء الاخرى ؟ ...

بالطبع لا ... فلقد عادت أفاعي الجحيم لتتآمر على السيادة العربية بشكل حركات باطنية غامضة لا تقل سوداوية وحقداً عن الماسونية في العصر الحديث ، عادت لتهدم الاسلام من داخلل قلاعة بخلق الفتن ونشر الطوائف وابتداع الأفكار الخبيثه ، ومحاولة تفسير آيات الكتاب الكريم تفسيراً باطنيا يبعد بنصوصه عن مدلوفا الشرعى .

ومن الأديان التي شرحها الباحث مما ساد في بلاد ايران قروناً طوالاً (الديصانية) وهي تنسب إلى مؤسسها ابن ديصان الذي دعا الى تثنية القوى في الوجود: النور والظلام وملتقى أتباعه في خراسان. و (المرقبونية) نسبة الى واضعها الذي دعا هو الآخر الى اعتناق العقيدة الثنائية مضيفاً اليها فيها بعد قوة ثالثة هي التي منزجت وكونت هاتين القوتين، كها ظهرت عقيدة الطبيعيين ومبدأ التناسخ وفكرة الحلول وعقائد الدهريين والزنديقية والخرمدينية والزروائية الى غيرها مما لا يقع تحت حصر وتقييد.

* الباب الثاني *

وقد تناول فيه مجملاً للعلاقات التي سادت بين الفرس والعرب حيث أن الفرس كانوا على تماس دائم مع العرب لمصلحتهم التجارية ، وقد كانت تجارتهم تجري عبر الجزيرة العربية بمعونة عرب امارة الحيرة ، وكانت لهذه الامارة واجبات اخرى منها منع هجمات وغارات عرب الجزيرة من التوغل الى سواد العراق وكان لملوك الحيرة أجر لقيامهم بتأمين سلامة القوافل التجارية ، وهم يرافقون القافلة مع اتباعهم عند عبورها الجزيرة ، كما أن الفرس كانوا يدفعون الجزية الى بعض العشائر العربية في الجزيرة لأجل عدم تعرضهم الى الجزية الى بعض العشائر العربية في الجزيرة لأجل عدم تعرضهم الى هذه القوافل وهذه الجزية تدفع بواسطة ملوك الحيرة ايضاً ..

كان ملوك الحيرة على منزلة من السمعة والرفعة لدى الفرس والعرب في آن واحد وإن كانوا تحت نفوذ الفرس ولا يقصد منه أن هؤلاء الملوك قد نبذوا عاداتهم وتقاليدهم العربية الحميدة وسجاياهم القومية السطيبة، بل كانوا يحفظون التوازن بين العرب والإمبر طورية الساسانية، هذه المنزلة والرفعة هي التي مكنت العمان بن المنذر من اقناع رؤساء بعض العشائر العربية بالوقوف معه بوجه الفرس فيها اذا غدر كسرى به كعادته في الغدر. وفعلاً برت معركة فاصلة بين الطرفين سميت بمعركة ذي قار. وهذه المعركة لها مغزاها الخاص فهي معركة بين الحق والباطل، بين المعركة لما الخلق المحركة في الغدر. والغرب والفرس.

* الباب الثالث *

تناول الشعوبية الفارسية التي استهدفت ازالة المجد العربي ومحو الحضارة العربية من خارطة تاريخ الانسان، والتي استهدفت رد الدعوى الاسلامية وحسر تيارها لحساب الشعوبية السوداء، كما تناول أهم الحركات المسلحة التي سعت للنيل من القيادات العربية كثورة الراوندية ومحاولة قتل الخليفة العربي أبي جعفر المنصور وثورة استاذ سيس وتمرد الازارقة وثورة المختار الثقفي اضافة الى الثورات التي اتشحت بالمسوح الدينية السوداء كحركة الحمزية وثورات المقتعة والخرمية والزنج والقرامطة والخرمية والبابكية

وفي الحقيقة فان الشعور القومي الفارسي كان موجوداً لدى كل فارسي أكان قد أسلم او لم يسلم منذ فتح القادسية ، كيا أن كرههم للعرب وحبزم لرجوع الحكم الى الفرس كان من أمنيات هؤلاء الفرس ، وهناك من الفرس من لا يزال على دينه القديم وان كانت دولتهم قد زالت أو أسلموا ، ولكن لم يستقر الايان في ضميرهم ، فهم بسعون الى احياء دين زرادشت ورجوعه كدين للأمة والدولة الفارسية مرة ثانية .

ولقد حظيت الشعوبية باهتمام كبير من لدن المؤخرين القدامي والمعاصرين ومجمل القول فيها أنها : الحركات السرية التي تتظاهر بالاسلام ، أو الاتجاهات التي تحاول نسف الاسلام والحضارة العربية العربية من الداخل ، ثم ان الجهود التي بذلت لمسخ التراث العربي او لتشويه دور العرب في التاريخ ، يقول الدكتور عبد الله سلوم : الشعوبية العنصرية ابتدأت دعوتها بالتستر بالاسلام ـ وقد استغل أتباعها آيات القرآن استغلالاً خبيثاً ووضعوا آراءهم ومعتقداتهم على أساس تأويل الآيات تأويلا يتفق وميوهم السياسية ومعتقداتهم الدينية وبذلك يمكن القول بأن الاسلام أثار تحدياً وحقداً لدى الشعوبيين ، كها أثار وعيهم وقدم مادة خصبة في النزاع بين العروبة والشعوبية .

فالشعوبية إذاً حركة فكرية اجتماعية قامت بها جماعات غير عربية بهدف ضرب الكيان العربي من خلال ثقافته وأرثه الحضاري، وذلك بالتقليل من شأن اللغة العربية ومهاجمة التراث العربي الاسلامي والتشكيك بدور العربي التاريخي، والاستهزاء بالقبم والمثل العربية والسجايا غير العربية واحياء الثقافات الأعجمية.

ولقد بدأ المتقفون الأعاجم بمحاولات جديدة للحفاظ على لغتهم من الضياع باذلين أمام ذلك كل غال ونفيس سالكين الى مأربهم الخطوات التالية :ـ

١ ـ ترجمة التراث الفارسي الأدبي الى العربية.

٢ ـ التأكيد على التاريخ والثقافة الفارسية .

٣ - اظهار الأدب الفارسي عظهر المتفوق على آداب العرب.

٤ ـ وضع مؤلفات جديدة تظهر أهية العجم وتشيد بدورهم الحضارى.

ق - الطعن والعادات والتقاليد العربية ومحاولية الانتقاص من الشخصيات العربية .

الطعن في قادة الفتح العربي ونقلة الحديث النبوي الشريف .

إ _ التشكيك بالسنة النبوية تمهيداً للتشكيك بالقرآن الكريم.

الطعن بنزاهة رواة الحديث البنوي الذين نقلوا الاحاديث التي رد فيها فضل العرب.



الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري

تألیف: الدکتور یحیی بو عزیز عرض: کفاح کاظم الخزعلی

لم يكن هذا الكتاب، الا امتداداً لسلسة البحوث التي عكف الاستاذ الدكتور يحيى بو عزيز على انجازها والتي تتعلق بتاريخ الثورة الجزائرية بقيادة الامير عبد القادر الجزائري خلال القرن التاسع عشر.

في مقدمته للكتاب، يؤكد مؤلفه أهمية موضوعه هذا، يقوله: «رغم ما كتب عن الأمير عبد القادر، وما تشر عنه من كتب ودراسات، باللغة الوطنية والأجنبية، فإن جوانب كثيرة من حياته ونشاطاته العسكرية والسياسية والدبلوماسية، ما تزال بحاجة الى دراسة، بسبب كثرة اتصالاته، وسعتها، وتنوعها، مع جهات كثيرة، وفي أصقاع متعددة من العالم، مما لم يسمح للكتاب والباحثين أن يطلعوا عليها كلها ويقيموها. وتأكد هذا الرأي وتدعم بالدراسات، والموضوعات الجديدة التي نشرت عنه بعد استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ حتى في العالم الجديد الأمريكي».

ضم هذا الكتاب بين دفتيه خمسة أقسام، وبلغ عدد صفحاته ثلاثمائة وست وستون صفحة من الحجم المتوسط، وأصدرته الدار العربية للكتاب في تونس عام ١٩٨٣.

تناول القسم الأول من كتابه الذي كان عنوانه (الأمير الفتى)، نشأته ومكوناته الاولى واستقاءه العلم من منبعين رئيسيين ، الاول في الجزائر والثاني من المراكز او الحلقات الدراسية في المشرق العربي أثناء ذهابه لاداء فريضة الحج . كها يتطرق الى الاحتلال الفرنسى للقطر الجزائري عام ١٨٣٠ وتأثير ذلك على شخصية الأمير عبد القادر وتحديد موقفه ازاء الاحتلال الاجنبي لوطنه ، فيعرض لنا السجل التاريخي هذا القائد العربي في مقاومته للاحتلال الفرنسي .

وخصص الباحث القسم الثاني (الأمير البطل)، في توضيع شخصيته ودهاؤه وشجاعته من خلال ذكر الشواهد التاريخية التي تعزز ذلك ، فيستعرض لنا دور الأمير عبد القادر في تشكيل جهازه الاداري وتنظيمه بمعاونه مجلس أعلى عرف بمجلس الشورى ضم أحد عشر عضواً من كبار العلماء والاعيان ، كما أوجد مناصب الوزارات التي عرفت (بالشظارات) ومنها الداخلية والخارجية والمالية والاوقاف والحربية . ولما كان نشاط الامير عبد القادر يتركز في وهران قسمها ادارياً الى ثمان مقاطعات لكل منها مسؤول اداري .

البالغ عدده خسة عشر الفا وثلاثمائة جندي الى ثلاث اقسام، الخيالة ، المشاة ، المدفعية وجعل لكل صنف رئيسا ، وفي هذا القسم، قدم لنا الباحث احصائية مفصلة وبالارقام حول عدد قواته في مختلف الصنوف ، كها أوضح لنا الباحث مدى اهتمام الامير عبد القادر بتشييد الحصول والمعاقل واقامة المصانع والمبائي وانشاء السدود وترميم القلاع وبناء المدارس والقرى .

ويحدثنا الباحث في القسم الثالث (الأمير العالم) عن المنابع التي استقى الامير عبد القادر معارفة منها ، فدرس كتب العلم والفلسفة وتعمق في دراسة الفقه والحديث والفلك والجغرافية والتاريخ وفنون البلاغة واللغة والأصول وعلم الكلام ولم تشغله ظروفه السياسية والحربية عن مواصلته التدريس في المراكز والحلقات العلمية ، وله العديد من المؤلفات ، أورد ذكرها الباحث في هذا القسم وناقش ما ورد فيها من أفكار . كما يسلط الباحث الضوء على دور الأمير عبد القادر أثناء مقاومته للاحتلال الأجنبي من مدينة وهران في تأسيس العديد من المدارس والمعاهد العالية والمكتبات ، واتهاع نظام معين العديد من المدارس والمعاهد العالية والمكتبات ، واتهاع نظام معين في الامتحانات لمعرفة المتفوقين ومنحهم الجوائز المشجعة فهم

وفي القسم الرابع ، الذي عنونه (الأمير الشياعر) قيدم لنا مقاطع من قصائد الامير عبد القادر التي تصور واقع الوطن والشعب وتعطي صورة واضحة عن قوة شخصية وبسالة جيشه الفتي ، وتجسيمه لمظاهر تلك الوقائع الحربية التي خاضها ضد الاحتلال الاجنبي .

وفي القسم الخامس (الامير الديلوماسي) الندي يعتبر أكبر فصوله حجهاً حيث بلغ عدد صفحاته مائه وأربع وستون ، ضمت ملفاً

هاماً لنشاط الأمير عبد القادر الدبلوماسي من خلال الرسائل والوثائق التي استطاع الباحث العثور عليها بعـد فترة من البحث والتنقيب في دور المخططات . وهي تتناول مراسلاته مع البريطانيين عن طريق قناصلهم في طنجة ومدريد واقتراحه عليهم في استثمار ميناء تنسى مقابل الحصول على الاسلحة والذخائر الحربية ، والشير تفسه اقترحه على الحكومة الامريكية ، ويصل الباحث الى نتيجة من خلال هذه المراسلات تتعلق بتفهم الأمير عبد القادر للصراع الدولي القائم آنذاك بين الدول الاستعمارية وبشكل خاص فرنسا وبريطانيا وسعيه للاستفادة منه الى أبعد حد في كفاحة ، كما حاول الاتصال بالاسبان، مستغلُّ رغبتهم في الدخول في حلبة الصراع والتنافس الاستعماري مع فرنسا في اقليم الريف المغربي والمنطقة الوهرانية الجزائرية ، ولكن هذه الرغبة لم تتخذ اطارها الفعلي وذلك لكون اسبانيا في هذه الفترة لم تكن عملك القوات العسكرية الكافية ، لذا كان موقها متردداً واتخذت أسلوب المماطلة في علاقتها مع الأمير عيد القادر ، ويستعرض الباحث هذه المراسلات التي بلغ ملفها ثلاث وعشرين رسالة امتدت خلال الفترة بين شهرين نيسان وأبلول من عام ١٨٤٧ . كما تناول القسم نفسه علاقات الأمير عبد القادر مع القوط المتجاورة وبشكل خاص علاقاته مع تونس التي توضع موقفه من الأحداث السياسية في تونس وعلاقته بباياتهـا وموقفهم من ثورته من خلال اعتماده على الرسائل الوثائقية بين الامير عبد القادر وبايات تونس .

ويختم الباحث كتابه بتقديم قائمة بالمراجع العربية والفرنسية وعدد من الصور المعاصرة لفترة الامير عبد القادر.

لباس الحرب عند المقاتل العربي حتى نهاية العصر العباسي

تأليف: ابراهيم سرحان الشمري عرض: رفاد جاسم السامرائي

احتلت الأمة العربية مكانة حضارية مرموقة بين حضارات الأمم الأخرى منذ نشأتها كقوة لها وزنها السياسي والعسكري ابان القرن الثامن ق.م. فكان يحسب لها حساب عند الأمم العريقة المعاصرة لها والتي استسوطنت العراق القديم وسوريا كالبابلية والأشورية والأرامية وتجلى ذلك بالدخول مع تلك الأمم في صراعات وأحلاف.

لقد أفصحت الدراسات والتنقيبات الحديثة التي أجريت في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية في السنوات الأخيرة من هذا القرن عن حضارة أصيلة دحضت كل ما تجني به بعض المستشرقين الجاقدين والكتاب الشعوبيين على العرب وحضارتهم. ولا شك فان من مجمل المنجزات الحضارية التي برع بها العرب هي الأسلحة بمختلف أصنافها. فقد أستأثر هذا الجانب الحضاري بحب العرب منذ أقدم العصور فكانوا بفخرون بمعداتهم الحربية ويقدسونها لأنهم يصدون مها أعداءهم.

وكانت أحاديث السلاح من الأحاديث المألوفة في مجالسهم وهذا ما نراه مجسداً في أشعارهم وأقوالهم المأثورة التي امتلأت بها بطون الكتب الأدبية والتأريخية القديمة.

لقد عرف العرب أنواعاً مختلفة من الأسلحة الهجومية والدفاعية وكان من ضمن تلك الأسلحة الدفاعية التي استعان بها العرب قابلة في حروبهم الملابس الحربية الواقية ، أي المصنوعة من مواد قابلة على رد أسلحة العدو وحماية مرتديها كالجلود والمعادن والتي غلب عليها الحديد.

كما لم يقتصر العرب على ارتداء تلك الملابس في الحرب بل خرجوا

أحياناً الى ساحات الموغى بملابسهم الاعتيبادية المصنوعة من الأقمشة المتيسرة لديهم.

ولا بد أن نشير الى أن الملابس الواقية كانت تشكل دوراً مهماً في محياة المقاتل فهي حصنة وحاجز الموت عنه ، أما بالنسبة للملابس غير الواقية أي الاعتيادية فلم يكن لها دور في الحماية والوقاية .

أما بخصوص مواضيع الرسالة فقسمت على ستة فصول ، مُهد للقصل الأول بدراسة أوضاع العرب السياسية والعسكرية ، وبداية ظهور أولى الزعامات العربية التي صار لها وزنها السياسي وتأسيسهم لبعض الحواضر والممالك المهمة في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية ، وكذلك ذكر بعض التسميات الاجمالية للملابس الحربية .

ومما لا شك فيه فان العرب كانوا على معرفة ودراية بالملابس الحربية واستعانوا بها منذ نشأتهم وظهورهم على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الأمم العريقة وظهر ذلك جلياً من خلال مصورات العرب التي جاءتنا من مخلفات الأمم الأخرى كالأسوريين مشلاً في شكل منحوتات وأختام اسطوانية اضافة الى ما نقلته الينا المدونات التاريخية والشعر الجاهلي . وتناول الباحث في هذا الفصل ملابس الرأس وخصصه لدراسة البيضة التي تعرف حديثاً بالخوذة ، وذلك من حيث تسميتها وأهيتها عند العرب وأشكالها وأجزائها وبعض الاضافات والمواد الداخلية في عملية الصنع وبعض المواد المرنة التي توضع تحتها لحماية الداخلية في عملية الصنع وبعض المواد المرنة التي توضع تحتها لحماية مرتديها من أذى صلابة الحديد المصنوعة منه . ويبدو أن هناك أسباباً

ومبررات لتسميتها بالبيضة وقد انصبت هذه الأسباب على لنونها وشكلها ومنها تشبيهها ببيضة الطائر (بيضة النعامة). وأطلقت العرب على البيضة عدة تسميات وربما أن كل تسمية تخص نوعاً معيناً من البيض يختلف من ناحية الشكل والصناعة ومنها الخيضعة والزنبعة والعرمة.

وعرف العرب أشكالاً مختلفة من البيض وكان الشائع منها الشكل البيضوي والمخروطي والمستدير أو نصف الكروي وللبيضة أجزاء مختلفة تشكل منها بدن البيضة وأجزاء أخرى أضيفت الى بدنها بعد اتمام صناعتها.

وصنعت العرب بيضتها بطريقتين الأولى تشكيل بدلها بتجميع عدة صفائح وتثبت هذه الصفائح بعضها الى بعض بمسامير أو باللحام، أما الطريقة الثانية فهي طريقة السبك، أي صهر الحديد المطلوب لصناعة بدن البيضة وصبه في قالب عمل لهذا الغرض.

أما الفصل الثالث فقد كرس لدراسة لباس آخر من ملابس الرأس هو المغفر، أو الغفارة وهي لفظة مشتقة من الفعل غفر، يغفر، غفراً، أي ستر الشيء فكل الشيء سترته فقد غفرته. وعرقة اللغويين بأنه زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس،

فالمغفر من الألبسة الوقائية التي استعانت بها العرب في الحرب ويلبس تحت البيضة أحياناً زيادة في حماية الرأس وتحسباً في حالات سقوط البيضة عن رأس المقاتل نتيجة الحركة والمناورة أو خشية تصدع البيضة بضربة سيف قوية أو ما شابه ذلك فيقوم المغفر عندئذ مقام البيضة في حماية الرأس، وهو لباس وقائي ثانوي أي كبطانة زردته تحت البيضة تمتع ضربات الأسلحة من الوصول الى رأس المقاتل فتقلل من أذاها.

وخصص الفصل الرابع لدراسة ملابس البدن، وكرس للدرع بشكل عام. وقد استعانت العرب بنوعين من الدروع، الدرع الأولى هي المصنوعة من الجلود، أما الثانية فهي المصنوعة من الحديد، والأخيرة كانت تشمل على أنواع مختلفة منها الطويلة «السابقة» والقصيرة «البتراء» والواسعة واللينة وغيرها. وان لكل نوع من هذه الدروع أسهاء تميزها من حيث الطول أو القصر أو الليونة أو السعة كذلك وجود أسهاء تخص مادة الصنع أو طريقة

الصناعة . إضافة الى هذا فان هناك اسهاء تنسب الى أماكن صناعتها أو الى أسهاء صناعها . وهناك طريقتين لصناعة الدروع منها الدرع المصنوع من صفائح الحديد ، والثانية المنسوجة من حلقات صغيرة من الحديد أيضاً وهو ما يسمى بالزرد .

وقد اعتنى العرب بدروعهم عناية فائقة لأهيتها فهي وقاية الفارس وحاجز الموت عنه ووسيلته في الدفاع عن نفسه . فأهتموا بأدامتها وتنظيفها واستخدموا من أجل ذلك مادة عرفت عند أهل اللغة « الكسرة » وهي البعر وقيل الكرسدقين وتراب يدق ثم تجلى به الدروع .

كذلك استعانوا بالزيت في تنظيف وازالة صدأ الحديد العالق فيها وطليها بطبقة منه تعمل كعازل من تأثير الرطوبة والهواء وتجعل الزرد أكثر ليونة ومرونة .

واهتم العرب أيضاً بحفظ دروعهم ولم يتركوها عرضة للعوامل الطّبيعية خشية الصدأ أو التلف واتخذوا من أجل ذلك أغلفة خاصة لحنظها عرفت بالجربان ومفردها جراب.

ولا شك أن الجربان كانت تصنع من الجلد على هيئة حقيبة .

أمِا الفصل الخامس فقد خصص لدراسة ملابس الأطراف المعدنية من حيث أولى استخداماتها عند العرب في الحرب وأهيتها في الحماية أضافة الى أنواعها فمنها ملابس خاصة للسواعد وأخرى للكف وملابس خاصة للقدم والساق.

حصل العرب على واقيات الأطراف لأول مرة إبان وبعد معركة القادسية ، ومع ذلك لم يكن الفرس وحدهم على دراية بها ، فمن المعروف أن الروم البيزنطيين كانت لهم دراية مماثلة بهذا الضرب من الألبسة الوقائية .

عرف العرب المواقيات في العصر الراشدي لكثرة الحروب والمعارك الأخرى التي خاضوها إبان معارك الفتح والتحرير العربي الاسلامي لأقاليم المشرق والمغرب واحتكاكهم المباشر بجيوش الأمم الأخرى المتمثلة بالفرس والروم ، حيث وجدوا أعداءهم يحصنون أطراقهم بالحديد . ولا شك فإن المقاتلين العرب قد غنموا من جملة ما غنموا سواعد وسيقان حديدية كثيرة سواء كان ذلك من الفرس أو الروم البيزنطيين .

ومن الطبيعي أن يقبل العرب على استعمال واقيات الساعد والساق والتي ثبت لهم فائدتها في المعارك خاصة منذ العصر الأموي .

لقد ازداد اهتمام العرب المسلمون بهذا اللباس من الناحية الفنية حتى أنهم أخذوا يزينوها بالمعادن الثمينة كالذهب مثلاً وذلك عن طريق الطلاء أو التكفيت . أما يشأن صناعة السواعد فإن الزرادين المتخصصين في هذه الصناعة كانوا يقومون بطرق المعدن الذي يعرض ثم يدار فيجعل بيضة أو ساعداً أو نحوه .

وفي الفصل السادس استعرض الباحث مجمل الملابس الاعتيادية غير المعدنية التي كان يرتديها المقاتل تحت أو فوق لامته الحربية أو يخرج بها بمفردها الى سوح القتال دون الملابس الأخرى .

وتصنع هذه الملابس من الصوف أو القطن أو غير ذلك وتعتبر مكملة للملابس الواقية أو تقي أضرار الملابس المصنوعة من الحديد على بدن مرتديها.

ومن هذه الملابس ، ملابس الرأس وإن من أهمها عند الحسرب وأكثرها شيوعاً هي العمامة والتي عرفها ابن سيره بأنها (اللباس المذي يملات على الرأس تكويراً وتسمى في بعض الأحيكان بد «العصابة »).

وقد استعان العرب بها كلباس مساعد يعتمر بها تحت البيضة لتخفف من أضرارها على رأس المقاتل وتعمل كوسادة أسفل البيضة . وظلت العمامة قيد الاستعمال على مر العصور . واضافة الى العمامة فقد استعانت العرب بالقلنسوة مستقلة دون البيضة أو المغفر ، وللقلنسوة أهبيتها الوقائية خاصة تلك المصنوعة من نسيج سميك محبوك مثل اللباد أو القماش المحشو أو الفراء المبطن وإن كانت لا تصل الى مرتبة البيضة المعدنية إلا أنها تساعد على اتقاء أو تخفيف ضربات السيف أو قد لا تنفذ من خلالها عضال السهام .

ومن الملابس الأخرى ، ملابس البدن ، إذ بات من الضروري أن ترتدي المقاتلة العرب لباساً مساعداً يعمل كبطانة تقلل من أذى قاس الدرع المباشر على الجسد ، فقد لجاوا الى ارتداء أدراعهم فوق ملابسهم الاعتيادية المتيسرة عندهم آنذاك ومن بين تلك الملابس القميص ، وكذلك الشليل ، جع أشلة وهي الغلالة التي تلبس تحت الدرع من ثوب أو غيره . واستخدم القباء كلباس حربي يرتدى تحت الدرع يعمل كبطانة كها هو الحال بالنسبة للقميص . ومن الملابس الأخرى التي ارتداها العرب الإزار أو المنزر والسروال وثمة لباس أخر كانت العرب ترتديه هو البرنس والدراعة .



•

.

مخطوطات التأريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي

تأليف: أسامة ناصر النقشبندي ظمياء محمد عباس عرض: نافع منجل الراجحي كلية الآداب ـ جامعة صلاح الدين

تهيد:

تُعدُّ فهرسة المخطوطات من أدقَ الفنوز المكتبية عملاً ، وأجلُها قدراً ، ذلك ؛ لأنها تكشف عن خبابا كنرز العلم والمعرفة التي تقادم العهد على لبثها حبيسة في الخزائن والأقبية : مجهولة المعالم والمزايا ، مخبأ جوهرها ، مكتوما خبرها ، لا يُنتقع بها ، غير مصونة عن الاهمال والنسبان ؛ لفقدان الدليل ، وانعدام محجة السبيل .

ويجيء الفهرس فينير مسالك السالكين، ويأخذ بأيدي القاصدين الى خير مورد وأصفى مشرب، لينهلوا من ينابيع تراثنا المجيد الخالد.

ونقول: « الفنون » ، لأن الفهرسة فن تنظيمي ـ فضلًا عن كونها علماً من العلوم المكتبية الهامة ـ يقدم للباحث معلومات وافية موجزة عن المخطوط الذي يبغي التعرف عليه ، ويعنى به من أجل تحقيقه ونشره ، أو دراسته وتحقيقه ، كها في حالة الرسائل الجامعية ، أو الدراسة وحدها: كلَّ حسب مهمته وغرضه المحدد .

وعندما يكون المُقهرس دقيقاً في عمله ، مُحققاً لما بين يديه من معلومات تخص المخطوط ومؤلفه في فإنه بذلك النهج سوف يوصل الباحثين من أقصر المسافات وأيسر الطرق الى ما يعتزمون تحقيقه أو دراسته من مخطوطات هذا العلم أو ذاك .

وتلك مهمة لا تتأتى إلا لمن خبر أساليب التأليف. والتصنيف عند مُلُفُ هُمُو الأمة : ابتداء من عنوان الكتاب ، ومروراً بمقدمته فأبوابه وفصوله وملاحثه ، وانتهاء بخاتمته ، ولمن علم سُنن الشراح والمحشين ولمححين ، وفهم رموزهم ومختصراتهم وما يصطلحون عليه في كل

ومثل ذلك يصدق على المعرفة بأنواع الخط، وطرق النساخين في الكتابة، وتوعيات الورق. فهذه أهم وسائل مفهرسي المخطوطات وخبراتها.

إن تلك المعرفة التي ذكرناها ، لابد أن تكون وراءها خبرة طويلة ودربة ومراس ومتابعة . وكلها ازدادت هذه الأمور عتقاً كلها أثمرت عطاء أصيلا متقنا . وأينعت ثمراً جنياً يقتطفه المحققون الذين علموا . يقيناً . مقدار جهد المفهرس وقيمة عمله . ذلك ! لأنهم هم الذين أبلوا جدة الأيام يمحصون الكلمة ، والحرف ، بل الحركة . ويقلبون النظر مراراً وتكراراً في عبارة زاغت عن القصد نتيجة لسهو ناسخ أو عدوان آفة ... ويعملون الفكر ، ويراجعون المصادر أملاً في تقويم المعوج ، والتقاط الساقط ، وإدراك ما ندً عن قلم الناسخ ... أولئك الذين أفنوا جل بريق أبصارهم ، واستفزوا بصائرهم ؛ لكي يخرجوا ما بين أيديهم من المخطوطات محققاً تحقيقاً علمياً متقناً ... ومن قبل جهدوا في جمع النسخ ، وتوثيق عنوان الكتاب واسم مؤلفه .. أولئك

هم الذين يقدرون جهد مفهرسي المخطوطات ، فيغتبطون بعملهم ، ويسرون لمعرفة كل جديد عن تلك الذخائر المخبأة .

وسوف نتلمس المعالم الواضحة لما قدمنا القول فيه ، حينها نقلب صفحات فهرس « مخطوطات التاريخ والتراجم والسير » الذي صدر عن دار الحرية للطباعة ببغداد ، سنة ١٩٨٢م . بد (٦٢٤) ستمائة وأربع وعشرين صفحة ؛ بضمنها نماذج مصوَّرة لصفحات منتقيات من واحد وعشرين مخطوطاً فريداً .

نبذة في محتوى الكتاب:

ينبلج هذا الفهرس مسفراً عن غرة (٩٧١) تسعمائة وواحد وسبعين مخطوطاً ، تتوزع على (٦٤٦) ستمائة وستة وأربعين عنواناً . ذلك أن قسهاً من هذه العناوين قد توافرت له أكثر من نسخة : إما اثنتان ، أو ثلاث ، أو أربع ... فمن تلك مثلاً : « دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن الباخرزي ، المتوفي سنة ٢٦٥هـ » فهذا بأوبغ نسخ . وقد توافرت ست نسخ من « إيضاح الاشتباه في أسهاد الرواه لممال الدين الحسن بن يوسف ... ابن المطهر الحلي ، التسوقي سنة ٢٧٠هـ » . وأما « ذات الشفا في سير النبي والخلفا ـ لشمس الدين محمد بن محمد بن محمد ... العمري الجزري ، المتوفي سنة ٣٨٨ في أموفقية . المقتون نسخة .

وإذا ما تأملنا المعلومات المذكورة بشأن ما طبع _ محققاً وغير محقق من تلك المخطوطات _ فإننا نجد أن (٣٦٠) ثلاثمائة وستين مخطوطاً لم يُطبع بعد . ثم إن عدداً قليلاً ، ثما هو مطبوع ، كان قد طبع على الحجر ، أو نُشر منذ زمن بعيد فأصبع أشبه بالمخطوط ؛ لندرة وجوده ، وعدم تحقيقه . وعليه فإن التصدي لنشره _ محققاً _ أمر مطلوب ومشروع لمن ينهض به .

أما عن أعمار تلك المخطوطات فقد جاء في مقدمة الفهرس (ص ٧) أنها « تنبوعت بين قديم يعبق بروائح القرون الهجرية الأولى ، وحديث قريب العهد بنا ... » . ومن ذلك القديم ـ مثلاً ـ « طبقات الفقهاء ـ لأبي اسحق أبراهيم بن علي الفيروز آبادي ، المتوفي سنة ٢٧٤هـ » . قإن هذه النسخة قد كتبها عمر بن أحمد بن منصور سنة ٤٥٠هـ . أي بعد وقاة المؤلف بأربع وسبعين سنة . وعليها مقابلة . تُنظر (ص ٢٧١) .

خصوصية المضمون:

لقد علمنا أن تلك المخطوطات هي في التاريخ والتراجم والسير، بشكل عام. أما إذا نظرنا إليها من حيث خصوصية مضامينها فإننا نرى أن كتب التاريخ تشمل التاريخ العام، قدياً وحديثاً، وسنذكر بعضاً منها لاحقاً. ونوع آخر يؤرخ لمدينة من المدن، مثل: «تاريخ واسط ـ لأسلم بن سهـل الواسطيّ، المتوفي سنـة ٢٩٢هـ» (ص ٩٥). وثالث يتناول تاريخ الامارات العربية، مثل: «تاريخ امارات العرب ـ لسليمان بن صالح الدخيل النجديّ، المتوفى سنة امارات العرب ـ لسليمان بن صالح الدخيل النجديّ، المتوفى سنة عامل: «تاريخ الديانات، مثل: «تاريخ الديانة اليزيدية ـ لدوًاف بن اسحق الموصلي». مثل: «تاريخ الديانة اليزيدية ـ لدوًاف بن اسحق الموصلي». المؤرخون.

فأما كتب التراجم فقسم منها يتسرجم لأعيان المجتمع العربي الاسلامي ، بصرف النظر عن المكانة الاجتماعية أو العلم الذي برعوا فيه والأعمال التي مارسوها . ومن غير تقييد بحقبة ما . وإنا يترقف أولئك المؤلفون عند أعتاب العصر الذين هم فيه ، ذاكرين مشاهير الأعلام من الرجال والنساء ، لا يتقدم بعضهم بعضاً إلا كما يتقدم الألف على الباء ، والجيم على الحاء ... الخ . ومنها « وفيات الأعيان ـ لابن خلكان » ، وغيره .

وهناك نوع من التراجم تناول مؤلفوها حقبة محددة ، مثل « إنسان العيون في مشاهير سادس القرون لم يعلم المؤلف » (ص ٥٢) ، كما ترجم غيره لمشاهير قرونٍ أُخر : السابع ، والشاني عشر ، والشالث عشر . (ص ١٦٠ ، ١٧٥) .

وقد خصَّ مؤلفون آخرون جهرة من الناس لمعوا بعلم من العلوم ، أو عُرفوا بفنٍ من الفنون . فمن هذا الضرب كتب الطبقات ، أمثال : «مختصر طبقات الأطباء _ مجهول المؤلف » « وطبقات الشافعية _ لأبي بكر الكوراني الحسيني ، المتوفى سنة ١٠١٤هـ » « وطبقات الشعسراء _ لعبدالله بن المعتز ، المتوفى سنة ٢٩٦هـ » « وطبقات المجتهدين _ لابن كمال باشا ، المتوفى سنة ٩٤٠هـ » . وسوى ذلك تُنظر الصفحات (٢٦٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٢) .

وتحظى كتب الأنساب بعدد غير قليل من مخطوطات التراجم.

وهي أيضاً تتنوع في معطياتها ؛ إذ يوجد ما يتطرق الى أنساب العرب عامة ، كما يوجد الذي يُعنى بنسب قبيلة ، أو أسرة من الأسر ، أو فرد من الأفراد ، أو عشائر إقليم بعينه . فمنها المشجرات وغير المشجرات . تنظر الصفحات (٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٢ ، ٤٢٠ ، ٤٤٠) .

وإلى جانب ذلك وجدت الكتب التي تتحدث عن مصنفات العلماء ، مثل : « الإسفار عن علوم الأسفار _ لجميل بن مصطفى العظم الدمشقيّ ، المتموفى سنة ١٣٥٢هـ » « وكشف الطنون عن أسامي الكتب والفنون » _ لحاج خليفة ، المتموفى سنة ١٠٧١هـ » وغيرهما . (ص ٣٣ _ ٣٣١) .

وأما كتب السَّير فهذه هي الأخرى قد تباينت أقلام مؤلفيها . فهنالك السَّير الدينية ، مثل : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولها عناوين مختلفة ، وقصص الأنبياء عليهم السلام ، وسير الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

وتمثل سير الفقهاء ، والعلماء ، ومشايخ الصوفية ، وغير هؤلاء جانباً من السير الفردية التي كتبت بأقلام آخرين جاءوا بعد أولئك في مختلف العصور .

ورافقت هذا وذاك السير الشعبية ، مثل : «سيرة ذات الهمة » (ص ٢٤٧) . وكذلك وجدت السيرة الذاتية ، وهي التي يكتبها المرء متحدثاً عن نفسه ، ومن هذا الضرب : « سيرة عبدالحميد الآلوسي » (ص ١٦٢) .

كما أننا لا نعدم السيرة التاريخية المشوبة بنفس أسطوري ، وهي تسرد لنا قصص وأخبار البطولات الفردية والجماعية وما يرافقها من حكايات ونوادر حصلت لرجال ونساء من شخصيات هذه السّير .

ويطالعنا في مواضع هذا الفهرس ما ليس بنثر ، وإنما قصيدة أو أرجوزة . وهنالك أكثر من كتاب تاريخي ماهو إلا شرح لقصيدة في التاريخ . وهذا نمط مألوف وفيه كتب مشهورة يعرفها من له اهتمام بالتاريخ والأدب .

وجدير بنا في هذا المقام أن نذكر قسماً من المخطوطات التي نشعر أنها حرية بعناية المحققين وبرِّهم إيَّاها ؛ لكي تنعم بالنور بعد ظهورها

من غيهب طال مكثها فيه . لتحدثنا بأخبار القرون الخالية _ بعيدها وقريبها _ فتزيد معارفنا بشتى مناحي الحياة التي كان عليها المجتمع العربي الاسلامي على مر العصور . فربما تكشف هذه عن حقائق لم تسفر عنها الكتب المطبوعة . وهي على كل حال تكشف لنا قدرة مؤلفيها وفكرهم وغزارة علمهم .

١ أحاسن المحاسن ـ لأبي اسحق ابراهيم بن أحمد ... ابن معالي برهان الدين الرَّقي ، المتموفى سنة ٧٠٣هـ . وهمو مختصر لكتماب « صفوة الصفوة » لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ . (ص ١٤) .

٢ ـ أخبار بغداد وما جاورها من البلاد ـ لمحمود شكري الآلوسي
 البغدادي ، المتوفى سنة ١٣٤٢هـ .

يتألف هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء: الأول في تاريخ العراق منذ وجله المسلمون، والثاني: في تراجم رجال بغداد في القرنسين الثاني عشر والثالث سمي عشر والثالث عشر الهجريين وسمي المسك الأذفر، والثالث سمي مساجد بغداد. (ص ١٦ ـ ٢٠).

٣ ـ أخبار الدول وآثـار الأول ـ لأبي العباس أحمـد بن يوسف
 إلدمنشقي الشهير اللقرماني ، المتوفى سنة ١٠١٩هـ .

طبع على الحجر سنة ١٢٨٢هـ ، وطبع بهامش الكامل لابن الأثير سنة ١٢٩٠هـ . (ص ٢٠) .

٤ ـ تماريخ دول الأعيمان ـ لشهاب المدين أحمد بن محمد ..
 المعروف بابن أبي عذيبة أو بمابن زوجة أبي عاذيبة ، المتموق سنة ٨٥٦هـ .

وهو شرح لقصيدة نظم الجمان في ذكر من سلف من الزمان التي نسبت لعبدالرجمن البسطامي ، المتوفى سنسة ٨٤٣هـ . (ص ٨٧ ـ ٨٧) .

۵ ـ دلائل النبوّة ـ لعماد الدين اسماعيل بن عمر ... المعروف بابن كثیر الدمشقي ، المتونی سنة ۷۷٤هـ . (ص ۱۸۰) .

٦ ـ الذهب المتقوش في محاسن الحبوش ـ لأبي المعالي علاء الدين محمد بن عبدالباقي البخاري المكي ، كان حيا سنة ٩٩١هـ .
 (ص ١٩٦) .

٧ ـ ذيل مطالع السعود ـ لمحمود بن سلطان ... الشاوي الحميري ، المتوفى سنة ١٣٥٨هـ .

وهو كتاب في تاريخ بغداد منذ أيام على رضا والي بغداد ومن وليها بعده ، وأخبار أصحاب المناصب العسكرية والادارية ، وما وقع من الحوادث حتى سنة ١٩٢٣م . (ص ١٩٨) .

٨ ـ ذيل ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ لعسر الدين
 عبدالرحيم بن الحسين .. ابن ابراهيم العراقي ، المتوفى سنة ٨٠٦هـ .

وهذه النسخة بخط ابن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة ٨٥٢هـ . وقد أضاف زيادات من عنده ، واستدرك عليها . وانتهى منها سنة ٨٣٩هـ .

٩ ـ روح الروح فيها حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح
 ـ لعيسى بن لطف الله ... الحسيني اليمني الزيدي ، المتوفى سنة
 ١٠٤٨ ـ .

وهو كتاب في تاريخ اليمن ابتداء من سنة ٩٠١ ـ ١٠٢٩ ـ أفي آخر الكتاب ذيل عليه لولد المؤلف جمال الدين صلاح بن عيسى انتهى فيه الى سنة ١٠٧٩ هـ (ص ٢٢٠) .

١٠ ـ روضة الأخبار عن العالم والآثار ـ لحسين بن جعفر
 الموسوي ، المشهور بالمنجم البغدادي ، المولود سنة ١٧٤٩هـ .

وضعه المؤلف بعد عودته من الحبج سنة ١٢٩٩هـ. ويُعد هذا الكتاب موسوعة في الجغرافية والتاريخ والآثار وعلم الأجناس وما يتعلق بهذه المواضيع ... (ص ٤٢٣).

١١ ـ روضة المتنزهين وأنس الحاضرين ـ لتاج الدين أبي المفاخر
 عبدالغفور بن لقمان ... البراقيني ، المتوفى سنة ١٩٦٧هـ .

وهو كتاب في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين وأهل الشورى رضي الله عنهم . (ص ٢٢٥) .

١٢ ـ سبك الذهب في علم النسب ـ لجمال الدين أحمد بن علي ...
 الحسني ، المتوفى سنة ٨٢٩هـ .

وهر في نسب بني هاشم ومن يتصل بهذا النسب الى فترة قريبة من عهد المؤلف . (ص ٢٣٧) .

١٣ ـ طبقات الحنفية ـ لعلي بن أمرالله بن الحنائي ، المتوفى سنة ١٠ ـ ١٧٩هـ .

رتب هذا الكتاب على (٢١) طبقة في ذكر أصحاب الامام أبي حنيفة النعمان . (ص ٢٦٦) .

١٤ عيمون أخبار الأعيمان ممن مضى من سالف العصمور والأزمان (تاريخ الغرابي) ـ لأحمد بن عبدالله الغرابي المؤرّخ البغدادي ، وهو أول مؤرّخ بغدادي في العهد العثماني ، توفي سنة ١٠٠٢هـ.

وهو كتاب في تاريخ العرب والأمم الأخرى ، وفي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخبار الخلفاء في مختلف العصور الى عصر المؤلف . وقد أضيفت إليه حوادث السنوات من ١١٠٥ ــ ١١١٨هـ .

كتبت هذه النسخة عن نسخة دار الكتب المصرية. وقد اقتنى فنبغ المؤلف المؤلف . وقد المؤ

الأربعة عبد الحاسن المجتمعة في مناقب الخلفاء الأربعة عبد العبد الرجن بن عبد السلام ... الصفوري ، المتوفى سنة ١٨٩٤هـ . (ص ٣٥٥) .

ولا يتسع المجال لذكر جميع الكتب المهمة التي تحتاج الى النشر . ومنها مؤلفات الآلوسي . وقد يرى غيرنا أن مالم نـذكره هـو أولى بالنشر مما عرضنا لذكره .

منهج المفهرسين:

ونخلص من ذلك الى إيضاح المنهج الذي اتبع في اعداد هذا الفهرس. وأول ما نلاحظه هو ترتيب أسهاء المخطوطات ترتيباً هجائياً، وإعطاؤها أرقاماً تسلسلية تخص عدد المخطوطات التي احتواها الفهرس، أي جميع النسخ (من ١ ـ ٩٧١).

وقد ذكر الى جانب عنوان المخطوط اسم مؤلفه كاملًا ، وتاريخ وفاته بالتقويمين الهجري والميلادي . ويلي ذلك نبذة مقتطفة من أول المخطوط . ويأتي بعدها وصف المخطوط والتعريف بمادته .

ويدل ذلك العمل على دراسة متفحصة لاستخلاص المعلومات المطلوب تدوينها . ويعتمد هذا الجانب على خبرة المفهرس وحذفه في انتقاء ما يُراد . إذ ليس بوسعه قراءة المخطوط كاملاً . فعندما يكون المخطوط سالماً من النقصان والآفات ، واضح العنوان ذائع الشهرة فإن هذا يوفر جهداً غير قليل للمفهرس . أما تلك التي ترد غفلاً من العنوان أو اسم المؤلف ، أو التي يعتورها النقص والاضطراب ... فهي التي تتطلب التدقيق والمعاودة .. وقد يستغرق العمل على أحدها ساعات أو أياماً ، لا يُكتفى خلالها بقراءة النص وحده بل يجب أحدها ساعات أو أياماً ، لا يُكتفى خلالها بقراءة النص وحده بل يجب المخطوطات والمطبوعات من أجل الوقوف على ما يرشد الى تسمية المخطوطات والمطبوعات من أجل الوقوف على ما يرشد الى تسمية الكتاب أو مؤلفه ، أو الترجيح بأنه لفلان . وربًا ينتهي الأمر – بعد بذل الجهد – إلى السكوت عبًا سلف ؛ لعدم العثور على الدَّالة .

وأحياناً يذكر الكتاب باسم غير الذي دوِّن على المخطوط. فيشار الى هذا الاختلاف، بعد توثيق العنوان واسم المؤلف. ومن أمثلة ذلك: « الأساس في مناقب بني العباس ـ للسيوطي » (ص ٠٠٠). وكذلك « ارشاد السلوك (السالكين) فقد نسب الى أبي الفتح الواسطي، المتوفى سنة ١٨٥هـ » وجاء ذلك في ديباجة الكتاب و واعتمده مُفهرس خزانة يعقوب سركيس. بيد أن المُفهرسين توصلا الى غير ذلك حيث قالا: « وحسب تحقيقنا أن مؤلف الكتاب هو شخص آخر غير الواسطي حيث ذكر المؤلف وفيات بعض الأعلام شخص آخر غير الواسطي حيث ذكر المؤلف وفيات بعض الأعلام محصورة بين سنة ١٢٠٤هـ/ ١٢٧٧م وسنة ١٧٦هـ/ ١٢٧٧م . كما ذكر المستنصر بالله وترحم عليه . فلا يمكن أن يكون مؤلف هذا الكتاب هو الواسطي المتوفى سنة ١٨٥هـ/ ١١٨٤م ». (ص ٢٦) .

وفضلاً عن ذلك فقد ذكرا نوع الخط، وألوان المداد، والنزخارف، والتذهيب، ونحو ذلك من فنون تحلية المخطوط وتزيينه. ثم ذكرا اسم الناسخ وسنة النسخ، عندما يوجد ذلك مدوناً في النسخة الموصوفة. وبعكس هذا يُعطى لزمن كتابتها تاريخ تقريبي، حيث تُعزى الى عصر من العصور، كأن يُقال: « ترقى الى القرن كذا ». اعتماداً على نوع الخط وطريقة الكتابة ... ورموز ومختصرات الأقدمين من المؤلفين والنساخ. وهي كثيرة لا يتسع المجال لايرادها.

ولم يغفلا ذكر الحواشي والسروح ، والاختام ، والنمليكات ، والقراءات ، والسماعات ، والاجازات ، والوقفيات ، والمقابلات ، وتقاريض العلماء . وكل شيء يمكن أن يضفي على المخطوط وضوحاً ، ويزيده تعريفاً . لكي يبدو ناصعاً بارز السمات لمن يطلبه . ناهيك عن ذكر النقص والاضطراب إن وجدا ، ووصف النسخة بأنها خزائنية جيدة نفيسة ، عندما تكون كذلك .

ويلي تلك المعلومات رقم المخطوط. وهو الرقم الذي يشير الى تسلسله في الخزانات، وبه يُستخرج من مخبئه. والى جانب هذا دُونت القياسات (عدد الصفحات، الأبعاد، عدد السطور في كل صفحة). ثم يأتي سرد الكتب والفهارس والدوريات التي ذكرت الكتاب مخطوطاً كان أم مطبوعاً. فإذا كان مطبوعاً يشار الى سنة الطبع ومكانه، وهل هو محقق أم لا. وكذلك يُذكر إن كان مطبوعاً على الحجر.

وعي ثم تُذكر النسخ الأخرى ، وتوصف وصفاً مقتضباً ، يعقبه الرقم والقيائهات .

قول في المجاميع الخطية :

ومن مزايا هذا الفهرس أنه موضوع لا توجد فيه مجاميع. وهي غط من التأليف شاع استخدامه في القرون المتأخرة. فقد جعل العلماء والمهتمون بالكتب يضمون عدة مواضيع بين دفتي مجلد واحد. ويبدو لي أن استخدام هذا النمط كان يرمي الى تيسير الاطلاع على جملة مواضيع ضمن مجلد يسهل حمله وتداوله . وربا كان ذلك مرتبطأ بالحركة التعليمية التي تعتمد تعدد المفردات الدراسية آنئذ.

والذي يعنينا هو اتباع المنهج الموضوعي، حيث فُرُقت تلك المجاميع على الموضوعات. وأعطي كل موضوع رقباً يشير الى ترتيبه حيث كان موقعه من المجموع. لذلك نجد أن رقم المجموع وبعده خط مائل يليه رقم الموضوع المذكور عنوانه في الفهرس، هكذا (١/٩٢٩٥ أو ١/٧٨٧٠ ... الخ) فالرقم الذي يسبق الخط يتكرر في عدة فهارس: الأدب، اللغة، الطب، التاريخ ... حسب المواضيع التي اكتنفها المجموع الذي يحمل ذلك الرقم.

وعندما يطلب الباحث موضوعاً ما يُؤتى بالمجموع وقد فُتح عند صفحة عنوان موضوعه بموجب الوريقة التي وضعت في ذلك المكان والتي يحمل طرفها الظاهر رقم الموضوع المطلوب.

وتذكرنا هذه المجاميع بضرب آخر من التآليف مشترك الفائدة ، كما هو الحال بالنسبة لطبقات الشعراء ، ودمية القصر وغيرها . فإن مثل هذه المخطوطات ترد في فهرس الأدب ؛ لأن قسماً من مادتها (الشعر والنثر) هو من صميم الأدب . أما القسم الآخر المتعلق بتراجم الأدباء ومن اتصلوا بهم فهو يدخل في موضوع التراجم . لذلك فهي تذكر ضمن فهرسنا هذا (التاريخ والتراجم والسير) لاحتوائها على فوائد من هذا النوع ، وهي تحمل رقباً واحداً حيثها ذُكرت .

إن اتباع هذا المنهج سوف يتجلى عن فهارس متكاملة يعاضد بعضها بعضاً ، ويصبح قسم المخطوطات ـ بعد ذلك ـ قد جعل خزائنه تحت أنظار المتطلعين بأفندتهم الى كنوز التراث العربي المشرق بكل أنواع المعرفة .

وإقاماً للفائدة وتيسيراً لمهمة الباحثين فقد زُوِّد الكتاب بأربعة فهارس ، كل منها مرتب على حروف المعجم . استخدمت فيها أرقام تسلسل المخطوطات في هذا الفهرس بدلًا من أَرْقَالُمْ صفحاتِ الكتاب ، وهي :

١ ـ فهرس الأعلام: وقد اشتمل على أسياء الأعلام الذين ذكروا
 في هذا الفهرس من مؤلفي تلك المخطوطات ونُسَّاخها وممتلكيها,
 وغيرهم.

٢ ــ فهرس عناوين المخطوطات التي ذكرت في هذا الفهرس .

٣ _ فهرس الأمكنة والبقاع .

٤ - فهرس أوائل المخطوطات: وقد تضّمن أوائل (٣٣٣) ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين مخطوطاً. وهو استخدام غير مسبوق بنظير. ومَزيَّته أنه يفيد المفهرسين والمحققين في مقابلة أوائل ما بأيديهم من مخطوطات على هذه الأوائل ليتسنى لهم الاهتداء الى ما يتعلن بمخطوطاتهم، من حيث العنوان، والمؤلف، والمضمون ... مما تضمنه هذا الفهرس من كتب سبق وصفها وتوثيقها. فقد تدل المقابلة على نسخ آخر أو تكشف الغموض الذي يلف نسخة ذهب عنوانها وجُهل مؤلفها ... وكذلك تغيد في عمليات البرجمة، إذ يمكن أن يقوم الجهاز المُفذّى بمثل هذه المعلومات بفرز ماهو متفق من الأوائل التي تذكرها فهارال المخطوطات في العالم.

وقد ختم الفهرس بنماذج مصورة لصفحات منتقيات من واحد وعشرين مخطوطاً فريداً. من نشاطات وتشكيلات لاتجاد العلمية



.

•

.

الاستاذ الدكتور النجار ينتخب عضواً دائهاً في الاتحاد العالمي للمؤرخين

تقديراً لاسهاماته العديدة في مجال حركة المؤرخين العرب وحركة التاريخ العربي فقد انتخب مؤخراً الاستاذ المدكتور مصطفى عبدالقادر النجار الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب عضواً دائهاً في الاتحاد العالمي للمؤرخين ومقره الولايات المتحدة .

وبانتخابه يكون النجار أول مؤرخ عربي يحصل على عضوية الاتحاد العالمي للمؤرخين لعام ١٩٨٧ .

لقد تلقت هيئة تحرير مجلة المؤرخ العربي هذا النبأ الهام بسرور كبير كونه اعتراف عالمي بالمكانة الرفيعة للمؤرخين العرب بصورة عامة وللاستاذ الدكتور النجار بصورة خاصة وهي تغتنم هذه الفرصة لترفع الى سيادته خالص التهاني القلبية للمكانة التي احتلها بجدارة ونتيجة لجده وكفاحه الطويل خدمة لقضايا الأمة العربي ولتاريخها المشرق المجيد متمنين له ولاتحاد المؤرخين العرب المزيد من التوفيق والنجاحات المتواصلة .

هيئة تحرير مجلة المؤرخ العربي بغداد في السادس عشر من تموز ١٩٧٨

أ_تشكيلات الاتحاد في مجال النشر:

أولاً: الهيئة العربية العليا لكتابة تاريخ الأمة العربية:

مشروع كتابة تاريخ بلاد الشام ممثل ١ _ الدكتور محمد عدنان البخيت الملكة الاردنية الهاشمية مشروع كتاب التاريخ العثماني ٢ _ الدكتور عبدالجليل التميمي ممثل الجمهورية التونسية كتابة تاريخ الجزيرة العربية ٣ _ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري ممثل الملكة العربية السعودية لجنة كتابة تاريخ العرب ٤ _ الدكتور نبيه عاقل ممثل الجمهورية العربية السورية هيئة كتابة تاريخ الأمة عثل ٥ _ الدكتور سلمان سعدون البدر كرولة الكويت ٦ _ الدكتور صالح أحمد العلى هيئة كتابة تاريخ الأمة العربية ممثل الجمهورية العراقية مؤتمر تاريخ الأمة العربي ٧ _ الدكتور محيى الطاهر الجراري تمثل

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

ثانياً : لجنة تعضيد المنشورات التاريخية :

١ _ الدكتور فاضل عبدالواحد (رئيساً)

٢ _ الدكتور حسن فاضل زعين

٣ ـ الدكتورة رجاء حسني الخطاب

٤ ـ الدكتور صباح أبراهيم الشيخلي

٥ _ الدكتور عبدالأمير عبد دكسن

٦ ـ الدكتور فاروق عمر فوزي

٧ _ الدكتور هاشم صالح التكريتي

٨ ـ الدكتور يحيى الشاهرلي

٩ ـ الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني (مقرراً)

ثالثاً: اللجنة الاستشارية للمنشورات التأريخية

الملكة الاردنية الهاشمية

دولة الامارات العربية المتحدة

دولة البحرين

الجمهورية التونسية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جمهورية جيبوتي

الملكة العربية السعودية

جهورية السودان الديقراطية

الجمهورية العربية السورية

الجمهورية العراقية

سلطنة عمان

فلسطين

دولة قطر

دولة الكويت

الجمهورية اللبنانية

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

جهورية مصر العربية

جهورية موريتانيا الاسلامية

الملكة المغربية

الجمهورية العربية اليمنية

جمهورية اليمن الديمقراطية

١ ـ الدكتور محمد عبده حتامله

۲ ـ الدكتور سلطان القاسمي

۳ ـ الدكتور سعيد خليل هاشم

٤ _ الدكتور محمد الهادي الشريف

٥ ـ الدكتور محمد البشير شنبتي

٦ - السيد سعيد أحمد ورسمه

٧ _ الدكتور يوسف الثقفي

٨ _ الدكتور أحمد ابراهيم ذياب

٩ ـ الدكتور أحمد سعد الدين طربين

١٠ ـ الدكتور خضر جاسم الدوري

١١ ـ الاستاذ على أحمد الشنفرى

١٢ _ السيد أحمد العناني

١٣ _ السيد سلطان جاسم جابر

۱٤ ـ الدكتور عبدالمالك التميمي

١٥ ـ الدكتور عمر عبدالسلام تدمري

١٦ ـ السيد عبدالله على ابراهيم

۱۷ ـ الدكتور محمود متولى

١٨ ـ الدكتور محمد المختار ولد السعد

١٩ ـ الدكتور عبدالهادي التازي

٢٠ ـ الدكتور عبدالله حسن الشيبه

٢١ _ السيده اسمهان عقلان

النشاطات المقبلة لاتحاد المؤرخين العرب في ميدان المؤتمرات والندوات

التفاصيـــــل	المكان	الزمان	بيان المؤتمر
يعقد بمناسبـة مرور ٨٠٠ عـام على المعـركة ، حيث شعرت الصهيونية بمأزق تــاريخي كبير تعــاني منه ،	تکریت ـ بغداد	۱ ــ ۲ تموز ۱۹۸۷	۱ ــ مؤنمر حطين التأريخي بمناسبة مــرور ۸۰۰ سنة
ولذلك عمدت الى تشويه صورة ذلك التأريخ ، وتبنت عقد مؤتمر حول معركة حطين وهو أمر في غاية التحدي			على المعركة
للتأريخ وللمؤرخين العرب، فتحرك الاتحاد من أجل احباط تلك المحاولة اللئيمة فأصدر بيانا للمؤرخين	138		
العرب والمسلمين يدعوهم فيه الى مقاطعة المؤتمر المزمع عقده في فلسطين المحتلة ، وقسرر الاتحاد عقد عدة			
مؤتمرات عن معركة حطين في بغداد ، والقاهرة ، وعمان ، ودمشق ، وصنعاء ، والرباط ، ولندن لاحياء	نبدو	86	
ذكرى هذه المعركة الخالدة التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الفزاة الافرنج الصليبيين،			
ولتفويت الفرصة على الكيان الصهيوني ولمنعه مستقبلا من التمادي في عقد مثل هذه المؤتمرات.			
يشارك اتحاد المؤرخين العرب في احياء الذكرى (٢٥)	الرباط	٦ ـ ١٨ تشـرين الثاني/	i
لوفاة الزعيم المغربي محمد الخامس وأبسراز دوره في مكافحة الاستعمار الفرنسي وتحرير المغرب.		19.84	الخامس في مقاومة الاستعمار
ويعقد هذا المؤتمر بالتعاون مع جمعية رباط الفتح بالرباط في المملكة المغربية .			
الكيميائيين واتحاد الكيميائيين العرب والمجسع العلمي العراقي ومركز احياء التراث العلمي بجامعة			
بغداد .			

		,	1	
تعقد الندوة من أجل توضيع وإبراز التراث الفكري العسربي في ميدان الكيمياء وأثر العسرب في إغناء الحضارة ألانسانية في هذا الميدان وذلك بالتعاون مع نقابة	پغداد	تشرين الثاني ۱۹۸۷ المدة يومين	٣- التراث الكيميائي العربي وأثره في إغناء الحضارة الانسانية	
ان من أهم أهداف هذه الندوة هو: تثبيت فهم علمي عربية لكتابة تأريخ الامة العربية وتنقية التأريخ العربي من جميع تشويهات الشعوبية والاقليمية الضيقة ودراسة الاتجاهات العالمية الحديثة		۱۵ ـ ۱۷/ كانون الأول ۱۹۸۷	 ٤ - الندوة القومية لكتابة تأريخ الامة العربية تحت شعار (نحو مدرسة عربي لكتابة 	
في دراسة التأريخ للافادة منها في اعادة كتابة التأريخ العربية العربية العربية وتطويره، تأصيل الرواية التأريخية العربية وتوثيقها ودراستها والتأكيد على دراسة الجوانب الفكرية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية	25		التأريخ)	
والحضارية في التأريخ وعدم الاقتصار على الجانب السياسي وحده ، تبادل الرأي حول الكتابة التأريخية في الوطن العربي وتقييم مختلف التجارب القطرية من منظور غربي شمولي واجراء حوار علمي مفتوح حول مشاكل دراسة التأريخ العربي ومستقبله وتوحيد				
لمصطلحات التأريخية في توثيق دراسة التأريخ لعربي هذا بالاضافة الى محاولة ايجاد مدرسة عربية كتاب كتاب التأريخ وليس الاعتماد على كتاب لستشرقين الذين قاموا بتحوير كثير من المفاهيم				
عربية . يث ستعقد الندوة بالاشتراك مع هيئة كتابة التأريخ . القطر العراقي ، وكانت هناك ندوات سابقة حول تابة تأريخ الأمة عقدت في كل من بغداد عام ١٩٧١	> غ ک			
لكويت عام ١٩٧٤ والدوحة عام ١٩٧٧ وليبيا عام ١٩٧٧ وسوريا عام ١٩٨٦ وستتضمن محاور الندوة:) منهج كتابة التأريخ العربي (٢) استجلاء الظواهر يجابية في التأريخ القومي (٣) دراسات متخصصة	(A)			
ل اعادة كتابة بعض جوانب تأريخ الامة العربية) الآفاق المستقبلية للدراسات التأريخية . ٣٣٥				***************************************

1	!		
ان المحاور التي ستلقى في المؤتمر هي العملاقات	القاهرة	شباط/ ۱۹۸۸	٥ ـ مؤتمر أيران والشرق
الايرانية مع الدول المحيطة بها بشكل خاص ودول			الأوسط رؤية تأريخية
الشرق الأوسط الأخرى بشكل عام مع التركيز على			
الخليقة التأريخية لتلك العلاقات وأثرها على الحاضر			
والمستقبل مع القاء الضوء على الأطماع الفارسية عبر			
التأريخ ومعاداتها للقوميات المجاورة للامبراطورية			
الفارسية .			
وسيعقد المؤتمر بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق			
الأوسط/ جامعة عين شمس .			
فكرة المؤتمر تهدف الى التصدي للصهيونية ومحاولاتها	صنعاء	حزيران/ ١٩٨٨	٦ _ دور المؤرخين العرب
في تشويه التأريخ العربي الاسلامي وطمس التراث			في التصدي للمحاولات
الثقاني العربي وتدارس الخطر الصهيوني لايصال			الصهيمونية لتشويه
العرب والمسلمين الى هدفهم وهو تحرير القدس.	13/2		التأريخ العربي
وسيعقد المؤتمر بالاشتراك مع جامعة صنعاء والجمعية	17 100		الاسلامي
الفلسطينية للتأريخ والآثار .			ਸ਼
يهدف المؤتمر الى معالجة السلبيات في المناهج التأريخية	السولايبات المتحدة	1144	٧ ـ مؤتمر صورة العـرب
الأمريكية التي اكتبظت بالمفاهيم المعادية للقضية	الأمريكية		والاسلام في المناهـج
العربية وعرض العقيدة الاسلامية بصورة مشوهمة			التأريخية الأمريكية
ومخـالفة للحقيقـة ولا تخلو من الاستهانـة والاساءة			
وتجريد الاسلام من الخصائص الروحية والأخلاقية	İ		
التي تتصف بها الديانات السماوية التوحيدية ، تجاهل	•		
الجوانب الايجابية في الحضارة العـربية وفضـل هذه			
الحضارة على الحضارة الانسانية ، عرض النزاع العربي			
الاسرائيلي من وجهة نظر متميزة لاسرائيل ومعادية			
للصرب واعتبار العرب مسؤولين عن الارهاب	ĺ		
الدولي، تضليل التـــلاميذ وشحن نفــوسهم بالحفـــد			
والبغضاء للعرب والعداء للاسلام والمسلمين لسذلك			
فمن الضروري اعادة النبظر في المناهج المدرسيـة			1
الاوربية .			
وسيعقد المؤتمر بالتعاون مع احدى الجامعات			
الأمريكية .			
'			

ايانا من المؤرخين العرب بضرورة حماية المواقع الأثرية والمحافظة عليها من زحف العمران وعبث الانسان، والعمل على الاستفادة علميا من تلك الكنوز الرائعة، ولأهمية هذا التراث العربي فقد قام الاتحاد بحملة اعلامية عربية وعالمية لبعث وانقاذ المعالم الأثرية، وقد دعا الأوساط العربية والعالمية	مأرب	19,49	۸ مؤقسر انقاذ آئسارمأرب
المتخصصة لتبني مشروع دولي لانقاذ مأرب، ولهذا فقد تبنى الاتحاد وبالاتفاق مع الأوساط العلمية اليمنية فكرة اقامة مؤتمر انقاذ سد مأرب وذلك بقيام حملة اعلامية وثقافية على المستويات كافة وسوف يقوم الاتحاد بدعوة جميع الهيئات والمنظمات والجمعيات التأريخية العربية، والدولية والمؤسسات الآثارية للاشتراك في هذا المؤتمر، وسوف يكون لهذا المؤتمر بداية جادة لمؤتمرات عربية ـ دولية لانقاذ آثار مدن أخرى عربية واسلامية.			
وهذه الندوة تخص المناهج التأريخية في الوطن العربي والسبل لتقريب الصلة بين تلك المناهج بما ينسجم مع الأهداف العامة المقترحة وفق الرؤية القومية للتأريخ العربي ويتم فيها أيضا تبادل الآراء بخصوص مشاكل دراسة التأريخ العربي ومستقبله وتوحيد المصطلحات التأريخية المدونة في المناهج التي تدرس للطلاب بمختلف المراحل الدراسية ابتداء بالدراسة الابتدائية مرورا بالمتوسطة والاعدادية وانتهاء بالكليات . وسيعقد المؤتم بالاشتراك مع معهد التدريب والتطوير التربوي بوزارة التربية العراقية ومنظمة اليونسكو .	الجزائر	14.4	 ٩ - موقسر المناهيج التأريخية في التعليم العام العربي
حيث تكشف هده الندوة عن حقيقة الدس والتشويه الغربي لمبادى، وقيم الاسلام والرد عليها ودحضها وهي مهمة دينية وقضية تاريخية علمية ورسالة	اکستر	19.49	10 ـ صـورة العـرب والاسـلام في المنـاهــج التأريخية البريطانية

انسانية بل ومسؤولية خطيرة لأن الاسلام شوهت كثير من مفاهيمه وتعاليمه وقيمه السمحاء خلال محاولات التزوير والتحوير والطعن في تلك المفاهيم والقيم والتي تبنتها جهات معروفة بعدائها للتــأريخ العربي الاسلامي وسوف توضح في هذه الندوة أو المؤتر حقيقة الدس والتشويه لأعداء العرب والاسلام وتصويب صورة العرب والاسلام في الكتب الدراسية المقررة لتلاميذ المدارس في الدولة البريطانية وبخاصة ما يتعلق بالجوانب الروحية والانسانية في حياة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وتسوكيد الخصال القيادية للرسول وقدرته العسكرية والقتالية وما يتحلى به من صفات عالية وأخلاق رفيعة . الهدف من المؤتمر تطوير المناهج التأريخية في أقسام ١١ ـ مؤتمسر المتساهسج الاردن 199-التأريخ في الجامعات العربية ، ورقدها بكل ما يستجد التأريخية في الجامعات في مجالات التخصص، والافادة من الخبرات العربية العبربية (البواقيع والعالمية لتحقيق هذا الهدف. وسيتم عقده بالاشتراك والطموح) مع الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية. يتناول المؤتمر دراسة صورة العبرب والاسلام في ١٢ ـ مؤتمر صورة العرب 199. باريس المناهج التأريخية الفرنسية لاعادة النظر في الكتب والاسلام في المشاهب المدرسية التي ضمت صورة مشوهة عن تأريخ العرب التأريخية الفرنسية والاسلام لتصويب ما ورد فيها من جانب وتعزيــز التفاهم بين الشعوب العربية والاسلامية من جانب آخر والشعوب الغربية أيضا ، اعادة النظر في عدد الصفحات التي خصصت للتأريخ العربي والاسلامي . تسود معظم الكتب أخطاء متعمدة أو غير متعمدة ويكثر تزوير الأحداث والوقائع فيها ، ثم أن عسرض الوقائع والأحداث في الكتب الاوربية جاءت بشكل مغرض يبدو وكأنه يسعى الى هدف مسبق ، متميز ومجدد الغرض من الندوة تبادل الآراء ووجهات النظر وتصحيح ما جماء فيها ملف ومنزورا وبعيمدا عن

وسيعقد بالتعاون مع احدى الجامعات الفرنسية .

			ı	1
بية وتمر يية ص ق	سيكرس اتحاد المؤرخين العرب طاقاته من أجل محور الاسلام وسوف يتصدى لـ لاتجاهات المعاد للاسلام للرد عليها وتفنيد ادعاءاتها ، حيث ان الم يعقد من قبل الجمعية الدولية للعلوم التأريخ وسيشارك اتحاد المؤرخين العرب بالمحور الخاء بالاسلام ، وقد دعا كافة الجمعيات التأريخية الوطن العربي لتبني هذا المحور والمساهة فيه واعد البحوث اللازمة حوله .	مدرید	1	۱۳ - مؤتمر الاسلام واليهودية والمسيحية عبر التأريخ
بن ت ت ت	يعقد المؤتمر بسبب قلة المعلومات الواردة في الكتراس والمانية عن العقيدة الاسلامية والمسلم وعن دور العرب الفعال في إغناء الحضارة الانساني وتجاهل الجوانب الايجابية في الحضارة العربي وبيان السرعة التي تمت بها الفتوحات الاسلامية دور تحليل أسبابها وتوكيد العداء بين الاسلام والمسيحية وخطر المسلمين على أوربا، ومن ثم الخلط بين العرب والمسلمين من أتراك وفرس وهنود وغيرهم والتشويه للحقائق التأريخية ومنها على سبيل المشال بأن دور العوائق التأريخية ومنها على سبيل المشال بأن دور نقل علوم الأمم الأخرى (اليونان والرومان والمنود والفرس) وأنه افتقر الى الخلق والابداع والعكس هو والفرس) وأنه افتقر الى الخلق والابداع والعكس هو الفرس الغرب من بناة الحضارة . المحيح لأن العرب من بناة الحضارة . والغرس من اقامة مثل هذا المؤتمر اعادة النظر في الخرس من اقامة مثل هذا المؤتمر اعادة النظر في المسلمين فيها .	هامبورك	1441	التأريخية الألمانية .

مجلة « المؤرخ العربي » في ثوبها الجديد

الى المؤرخين العرب وقراء التاريخ العربي في كل مكان :

لقد صدرت الأعداد الجديدة من مجلتكم ، مجلة المؤرخ العربي بحجمها الجديد ، وهي تعبر عن صوت التاريخ العربي ، والتي يتبناها كل العرب من المحيط الأطلسي الى الخليج العربي ، فساهم أيها الأخ الكريم بتسجيل اشتراكك بها ، واطلب أعدادها الفصلية ، فحصولك عليها يعنى حصولك على مكتبة تاريخية عربية متكاملة حيث يتألف العدد الواحد من عشرين بحثاً اضافة الى الأبواب الثابتة :

وقد تم طبع الأعداد الجديدة على الوجه التالي :

- ١ _ العدد (٣٢) على نفقة الجمهورية العراقية .
- ٢ _ العدد (٣٣) على نفقة شيخ الشارقة الدكتور سلطان بن محمد القاسمي .
 - ٣ ـ العدد (٣٤) على نفقة الشيخ جعفر القاسمي/ رأس الخيمة .
 - ٤ _ العدد (٣٥) على نفقة المملكة المغربية . `
 - ٥ _ العدد (٣٦) على نفقة جامعة الامارات العربية المتحدة لل العين .
 - ٦ ـ العدد (٣٧) على نفقة إمارة الشارقة .
 - ٧ ـ العدد (٣٨) على نفقة وزارة الاعلام في دولة الكويت .

فالى الأخوة العرب الذين قدموا الدعم المادي لاتحاد المؤرخين العرب نوجه باسم التاريخ العربي تحياتنا وتقديرنا لهم ونتمنى لهم التقدم والنجاح .

« التوثيق الاعلامي »

- * مجلة فصلية تصدر عن مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي بغداد .
 - پ رئيس تحريرها الدكتور جاسم محمد جرجيس .
- * تعني بتوثيق أحداث منطقة الخليج العربي التي تتوسع دائرة الضوء حولها باستمرار لازدياد أهيتها العالمية بأهمية الأحداث الخطيرة التي تتوالى على مسرحها .
 - * تتبوب المجلة بأربعة أبواب ، البحوث والمقالات والتقارير والمحور التوثيقي وعرض الكتب .
 - * تتضمن ملفاً بالأخبار والأحداث في أقطار الخليج العربي والتي لا يستغني عنها كل باحث له اهتمام بهذه المنطقة .
 - * يكن مراسلتها على العنوان التالي :

مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي

بغداد ص . ب ۵۰۲۳

الجمهورية العراقية

المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات

- * تصدر عن المعهد للتوثيق في تونس.
- * يصدر منها عدد واحد في كل سنة .
- * مديرها المسؤول الدكتور عبدالجليل التميمي.
- * تعني بالبحوث المتخصصة في علوم المكتبات والمعلومات والأرشيف.
- تنشر بحوثها باللغات العربية والفرنسية والانكليزية داخل غلاف واحد.
- * تضم هيئة تحريرها نخبة من الباحثين ينتمون الى الجامعات العربية في المغرب العربي والى منظمة اليونسكو .
 - * ترسل المجلة على العنوان الآتي :

المعهد الأعلى للتوثيق

ص . ب 600

تونس

الجمهورية التونسية .

مجلة معهد المخطوطات العربية

- * مجلة متخصصة محكمة بصدور هامعهد المخطوطات العربية بالكويت.
 - تصدر مرتين سنوياً في حزيران وكانون أول .
 - برئيس تحريرها الدكتور خالد عبدالكريم جعة .
- * تنشر الدراسات والبحوث والنصوص المحققة والفهارس والتقارير المتعلقة بالتراث العربي المخطوط والمطبوع .
 - * يتضمن كل عدد البحوث وتعريف بالمخطوطات ونقد الكتب.
 - * الاشتراك السنوي في المجلة في دولة الكويت ديناران كويتيان وفي خارج الكويت عشرة دولارات أمريكية .
 - * تنشر بحوثها باللغة العربية فقط.
 - * تصدر المجلة باشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للجامعة العربية .
 - * تراسل المجلة على العنوان الآتي :

معهد المخطوطات العربية

ص . ب ۲٦٨٩٧

الصفاة _ الكويت

« سرتا »

- * مجلة تاريخية اجتماعية تصدر دورياً عن معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة .
 - * جمع محكمة يشرف على اصدارها لجنة من متخصصين جامعيين.
 - * تعنى بدراسة تاريخ المغرب العربي بصورة خاصة والوطن العربي بصورة عامة .
 - * تنشر موضوعاتها باللغتين العربية والفرنسية داخل غلاف واحد.
- * تعطى اهتماماً خاصاً بالبحوث التي تتعلق بنضال الشعب العربي في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي .
 - * تراسل على العنوان الآتى:

مجلة المجمع العلمي العراقي

- * مجلة تصدر أربع مرات في السنة .
- برئيس تحريرها الدكتور صالح أحد العليم رئيس المجمع العلمي العراقي .
- * تعنى بالبحوث والمقالات الشاملة التي تلقى الضوء على التراث العلمي العربي ودوره في بناء الحضارة الانسانية من جميع الوجوه .
 - * تتكون المجلة من بابين أساسيين هما البحوث والمقالات وعرض الكتب أ
 - * بحوثها متنوعة ولا يستغني عنها المهتمون والمتخصصون لتتبع الحركة العلمية والفكرية.
 - سعر النسخة دينار ونصف ويمكن مراسلتها على العنوان الآتي .
 الجمهورية العراقية _ بغداد _ الوزيرية _ ص . ب ٤٠٢٣ .

« الباحث العربي »

مجلة فصلية يصدرها مركز الدراسات العربية في لندن .

رئيس التحرير: عبدالمجيد فريد

- تعنى بدراسة ومناقشة القضايا الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية .
 - * وتعنى المجلة بالدراسات المستقبلية حول أهمية القضايا بها .

تقدم المجلة في كل عدد مجموعة من الزوايا الثابتة وتشمل:

- ١ ـ الشنون العربية في الوثائق البريطانية .
- ٢ ـ القضية العربية في المؤسسات الاوربية.
- ٣ ـ عرض لأحد مراكز الدراسات أو المؤسسات الثقافية العربية والأجنبية .
 - ٤ ـ ماذا قدمت دور النشر العربية والأجنبية حول القضايا العربية .
- ** المجلة تصدر باللغتين العربية والانجليزية داخل غلاف واحد تباع بالمكتبات الرئيسية في العواصم العربية والأجنبية .

العربي

- * مجلة ثقافية مصورة تصدر شهرياً عن وزارة الثقافة والاعلام بدولة الكويت.
 - * رئيس تحريرها الدكتور محمد الرميحي .
- * بحوث المجلة متنوعة وهي موجهة لكل العرب داخل الوطن العربي أو خارجه حافلة بالصور الملونة .
- * عنوان المجلة ص. ب ٧٤٨ الصفاة ـ الرمز البريدي 13008 الكويت وتبعث كافة المراسلات الى السيد رئيس التحرير.
 - * ثمن النسخة ٢٥٠ فلساً كويتياً والاشتراك ٤ د.ك للعالم العربي و ٦ د.ك للخارج .

مجلة سرتا

معهد العلوم الاجتماعية

جامعة قسنطينة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

« الوثيقة » مجلة دولرية نصف سلويلة

- * تصدر عن مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين .
- * رئيس تحريرها الشيخ عبدالعزيز خالد آل خليفة .
- * تعني بدراسة التاريخ القديم والمعاصر لدولة البحرين بصورة خاصة والوطن العربي بصورة عامة .
 - * تصدر المجلة باللغتين العربية والانكليزية داخل غلاف واحد.
 - تعطي أهمية كبيرة للوثائق وتفرد لها باباً خاصاً.
 - * بالامكان ارسال البحوث والمقالات للمجلة على العنوان الآتي :

مركز الوثائق التاريخية ص . ب ٢٨٨٨٢

دولة البحرين

« الأمن القومي »

- * مجلة علمية فكرية فصلية تصدرها كلية الأمن القومي .
 - * رئيس تحريرها الاساة الدكتور فاضل البراك.
- * لها أبواب ثابتة تنضمن البحوث وعرض الكتب والتقارير .
- * تعنى المجلة بالبحوث المتعلقة بالأمن القومي من جميع الجوانب من منطلق أكاديمي علمي .

* تخضع البحوث المنشورة فيها للتحكيم من قبل متخصصين ، وما ينشر فيها معتمد في الترقيات العلمية للباحثين الذين ينتمون الى الجامعات ومراكز البحث العلمي .

* تتم المراسلات على العنوان الآتي :
 الجمهورية العراقية

بغداد _ المنصور _ ص . ب ۲۰۱۸

« الدارة »

- * مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز في الرياض بالمملكة العربية السعودية.
 - * رئيس تحريرها الاستاذ محمد ححين زيدان.
 - * مدير تحريرها الشيخ عبدالله حمد الحقيل.
 - * تنشر بحوثها باللغة العربية فقط.
- * تتبنى البحوث المتعلقة بتاريخ وتراث المملكة العربية السعودية بالدرجة الاولى وشبه الجزيرة العربية والوطن العربي والعالم الاسلامي بالدرجة الثانية .
- * الاشتراك السنوي في المجلة ١٥ ريالًا داخل المملكة العربية السعودية أو ما بعادها في البلاد العربية ، و ٦ دولارات خارج البلاد العربية .
 - * تتم مراسلة المجلة على العنوان الآتي :

المملكة العربية السعودية

ص . ب ۲۹۶۵ ـ ریاض ۱۱٤٦۱

مجلة المستقبل العربي

- * مجلة شهرية تعني بقضايا الوحدة العربية ومشكلات المجتمع العربي.
- * لا تفرض المجلة شروطاً مسبقة على مساهمة المثقفين سوى قناعتهم بالوحدة العربية .
- * لا تتخذ المجلة أي مواقف سياسية مباشرة ولا تساهم في النشاط السياسي وليس لها أي ارتباط بحكومة أو محور أو تحالف.
 - * تكتب المراسلات باسم المستقبل العربي بناية (سادات تناور) ص . ب ١٦٠٠١ ١١٣ بيروت ـ لبنان .
- * تدفع الاشتراكات مقدماً بشيك على أحد المصارف أو بتحويل على العنوان : حساب مركز دراسات الوحدة العربية رقم ١٣٥١٣٠٠ بنك بيروت للتجارة (بالدولار) .

« المنهل »

- * مجلة شهرية للآداب والثقافة تصدر في جدة ـ المملكة العربية السعودية .
- * رئيس تحريرها السيد نبيه عبدالقدوس ، يرجع تاريخ تأسيسها الى عام ١٣٥٥هـ ١٩٣٧م .
 - * سعر النسخة ٨ ريالات سعودية والاشتراك السنوي ١٠٠ ريال .
- * صدر آخر عدد لها وهو العدد ٤٥٥ في ذي الحجة ١٤٠٧ الموافق يوليو ـ تموز ١٩٧٨ ويحتوي على كشاف ببلوغرافي للموضوعات لعام ١٤٠٧هــــ ٨٦ ـ ١٩٨٧م .





.

.

.

.

بحۇث باللغة الائتكليرت

•

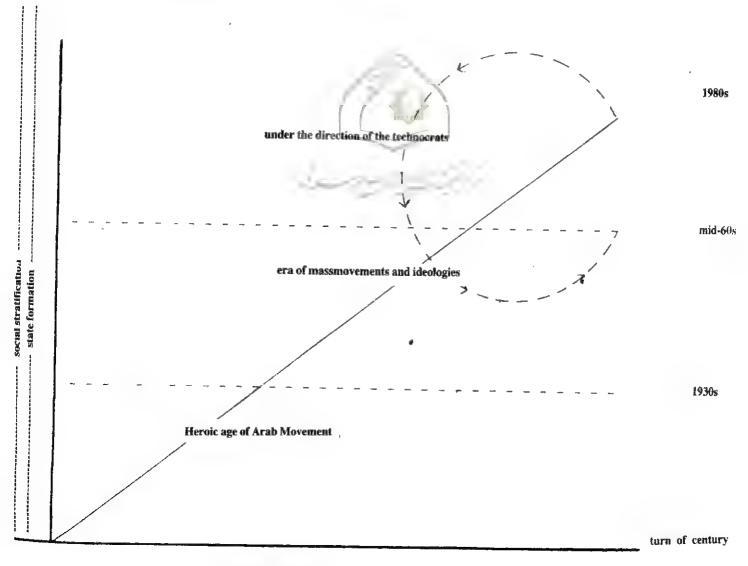
with its cultural dependence on the West. He makes the Western inspired ideologies of nationalism and baathism responsible for the wider fragmentation of Arab-Islamic culture and he scorns the military leaders as a modern variant of the old-style and despicable mamluks. Kisk's pleading is for a social revolution on authentic Arab-Islamic lines, which should not allow for western categories of social order and political power.

Although Kisk has recently written extensively and in a benevolent way on the role of Islam in Saudi Arabia, his appeal nevertheless seems to me to differ markedly both from the conservative and the more

utopian variants of socalled Islamic revival in Saudi Arabia and Iran respectively. Whether the mobilisation of Islamic values, as spearheaded by the Muslim brotherhood will ultimately prove more constructive or else turn out to be merely a catalyser for the kind of nihilism as claimed by Sadiq al-'Azm or for a new fascism, as condemned by Farag Fauda, the moving spirit of the neo-Wafd in Egypt, remains open to conjecture.

It seems to me that the Middle East — and not the Middle East alone — is owing to the world economic depression and the devastating impact of international politics once more caught in a vicious circle.

Structural profiles and historical turning-points. The 20th Century Arab M.E.



Fertile Crescent Arab Peninsula Nile Valley Shiites a greater share in power. However, the above pattern no longer seems to fit the actual conflagration. The Shiites themselves are split in various groupings. Besides the Amal and the Hizbollahi, there also is still the traditional notable faction led by Adel Osseiran of Saida. So what is the explanation for the failure of reaching a new National Pact or a new 'contract social'.

A comprehensive answer will certainly have to take into account the Palestinian factor as well as factors of regional and international politics. When I neglect them here, this does by no means imply, that I consider them to be less important. But I do believe, that there is an aspect of the civil war, that has so far been grossly over- looked. Indeed, I venture to argue, that the traditional intercommunal strife has increasingly become eroded or penetrated by a much deeper going social stratification of Lebanese society on socio-economic lines. In short, the current stalemate in the Lebanon, is indicative of a Bona-partistic stage in the social conflict. In other words, while the traditional zu'ama system is no longer strong enough, to wield power indiscriminately, the new trans-confessional social formations are not yet strong enough, to take over.

It is also indicative of this Bonapartistic stage that ideologies seem to come to the fore again. This time, however, there is a distinct utopian and also nihilistic content.

I hesitate to interprete this phenomenon as the dawning of a new period in the 20th century Arab Middle East. Rather than calling it a "renaissance of Islam," "Islamic fundamentalism" or else "Islamism" — as the prominent American historian Nikki Keddie has suggested — I prefer to take it as a symptom of a current crisis of political culture in the Middle East.

However, I must concede, that the term "political culture" is a very ambiguous one in the Arab Islamic context. Some historians or sociologists prefer the term "cultural identity," which I regard, however, as even less adequate to the real things at stake.

Again, I think we have to evaluate this current crisis in a longer historical perspective. It is part of the tragedy of the Arab Middle East, that the socalled 'reform Islam,' which started with Afghani and Mohammed Abduh in the 19th Century never really managed to bring about a viable political

culture, based on a synthesis between theocratic Islam and secular positivism. There was no way of life and statecraft comparable with the achievements of the classical Arab-Islamic epochs. The processes of socio economic change, of modernization as well as of state formation and nation-building had all been enforced by world market forces and Western hegemony. No matter how destructive this may have been, I do think that the socalled erosion of cultural identity nevertheless also implied the chances of a new creativity, of challenge and response. The challenge does not by itself bring about crisis. A crisis in its negative connotation only comes about, when the set-backs prevail and when a kind of backward orientation sets in, which fixes at quasi rudimentary rituals of a distant past.

As concerns the current crisis of political culture in the Middle East, one must differentiate however. This is hardly been done by contemporary Western orientlism and political journalism. They tend to present the socalled 'resurgence of Islam' as a monolithic thing and they even put an Arab crown on Khumaini style Islamism.

In contrast, Sadiq al-'Azm, the well known and committed Syrian philosopher, has urgently appealed, that Islamic Fundamentalism in the Arab East and particularly on the Peninsula and in the Nile Valley must be distinguished from the Iranianshiite fundamentalism. He assesses the former as an expression of helplessness, frustration and even nihilism in the younger generation. The reason for this is that all previous experiments like reform Islam, liberalism, nationalism and socialism have failed. One might add, that owing to the current economic depression, the eclipse of the era of the technocrats seems to be imminent as well. In a way, one might view the Lebanese crisis as a kind of battleground, where all these ideologies are engaged in an all-out showdown - for the Lebanon has always been a microcosm of the Arab world at large.

Sadiq al-'Azm is, however, not the sole representative of current political thought in the Arab Middle East. In the Nile Valley there is the voice of Muhammad Galal Kisk, born in Assiut, a shronghold of Islamic fundamentalism in Egypt. Kisk, who is very close to the Muslim Brotherhood and who is a propagandist rather than a philosopher, explains the political weakness of the Arab world

the multi-ethnic-confessional complexion of some of its parts. This so-called mosaicmodel, which also underlies the concept of "orinetal despotism" has long been cherished by trditional Orientalism. It also often serves political purposes. Accordingly, Arab society is structured vertically by confessional - and settlement community, by tribe and extended family. As such it is presented as prone to stagnation, unable for a social stratification along the lines of political economy, incapable of integration, and nation-building. In other words, as Middle Eastern society is presented as reproducing its own stagnation, the control over the area is claimed as indispensable for the vital interests of others.

For a ceritical social scientist, such a view of Arab Middle Eastern society is no longer sustainable in the light of social processes in the 20th Century. The mosaic model — apart from its political purposes — does not really grasp new social formations. At best it is a phemenology of superficialities.

From these preliminary remarks — and what has been said before — one can correctly deduce, that the present violent conflicts and wars in the Middle East are generated and sustained by factors of international politics, regional power struggle as well as new social stratification.

This assessment is, of course, a very general one; it also says nothing about the cumulative effects or of what really triggered of the course of events. While the last question will remain open to conjecture and debate until the archives of the decision makers in the corridors of power are available for the historian, the generalities can, I think, be expressed in more precise, albeit abstrct terms.

Granted that this is my own fascination by what in the mid- 70s an official of the Pentagon (the American Defence Ministry) has suggested as a way to understand the Middle Eastern conflicts and what made them interdependent. He rejected the simplifying balance of power approach and instead suggested as a true symbol one of those "mobiles" which Alexander Calder, an Englishman, had first constructed. In this "mobile" different weights, arranged in multifold asymetical balance, move in circles, seemingly by themselves. According to this official, who happened to be nobody less than

Robert Ellsworth; the then Under-Secretary-of-State for International Security, the three main weights were the Soviet Union, the democracies of the industrial West and the oil-producing states in the Arab-Persian Gulf region; the three essential balances were the oil policy, the Arab Israeli conflict and the East-West detente.

It is within these larger configuration of international political and economic factors, that the current conflicts and wars in the Middle East have to be analysed. Surprisingly or not, what this American perspective of the Middle East neglects, is the domestic factors such as social stratification processes, if not class struggle like in Lebanon or among the ranks of the Palestinians.

time does not allow me to deal with the major Middle Eastern conflicts here. Therefore I shall confine myself to a few comments on the socalled civil war in Lebanon, which to me illustrates the significance of the cumulative effects of domestic and international conflict factors.

At first sight it may be called an irony of history, that the Lebanon lost its model-character for a democratic or pluralistic solution of the Palestine problem under the very impact of the Near East conflict. Still on the 14th November 1974 the Lebanese President Franjiya had suggested the Lebanon as a model for conflict solution at the UN General Assembly in New York. A few months later, however, Lebanon was torn by civil strife.

While there is still no definitive evidence, what and who exactly triggered off the war, the historian of course, knows, that Lebanon could hardly commend itself as a model for conflict solution. As is wellknown, Lebanese history has over the centuries been marked by recurrent social and political unrest and violence. From it one can abstract a conflict pattern, which on surface seems to consist of powershifts between the various confessional communities. Under this historical perspective, the current turmoil in the Lebanon might be interpreted as a power shift from the Maronites to the Shiites, just as in the 18th and early 19th Century the once predominant Druze community had lost out to the Maronites.

From this angle, the logical solution of the current crisis would seem to be an amendment of the unwritten National Pact of 1943, affording the totally unprepared to deal with the monetary aspects of this balancing act, which is better known under the name of petrodollar recylcing.

Meanwhile, under the impact of the new world economic depression of the late 70s and 80s the problems of petrodollar recycling have been reduced and been replaced by a no less difficult set of problems for the oil producing states, namely the integration of their down-stream investments and infant petrochemical industries into the world market - and that is to say - on a bsis of nondiscrimination. The recent tariff-war between the GCC (Gulf Cooperation Council) and EEC (European Economic Community) is an indiction of the problems ahead. Assessments, as one can hear them in the industrial West, that nuclear energy is something for the North and oil something for the South or for the Third World, provide no solution but rather an exacerbation of the global North-South conflict.

As I am not an economist nor a futurologist I do not like to go into further detail here. However, as an economic historian, who has closely studied the implications, which the extraordinary economic problems of the 30s and 40s have had for society and rule in the Middle East, I am convinced, that the current economic difficulties together with the principal obstacles of long term planning constitute a vital challenge to the legitimacy of political power, which in the last twenty years has come to rest on the performance of the new technocratic elite. It is the technocratic elite, that has become an essential component in state-formation.

Many historians and political scientist in the West keep stressing the role of the military in state-formation and politics in the Middle East. I myself, however, do not consider them a category by themselves, but rather an aspect of the technocratic regimes. Surely this point is open to debate, in particular, if one compares different historical periods. Indeed, for a better understanding of inter-Arab politics it might be more revealing to draw up a scenario, in which Baathism, which has survived Nasserism, and the financial oligarchies on the Peninsula and in the Gulf are seen in contest with each other. It is th technocrats rather than the ideologies that have provided those regimes so far with an astonishingly long stability. This applies, in

particular, to the Fertile Crsecent countris Iraq and Syria.

However, is there not a contradiction between what has so far been said about the era of the technocrats and the actual course of events? If one talks about progressive state-formation, social stratification, economic planning, regime stability etc. how is one to explain such counter-acting forces as express themselves in the long-drawn out wars in the Lebanon and between Iraq and Iran, or else in th resurgence of Islamism, but also of ethnoconfessional provincialism or regionalism?

For the historian, the fact, that dissimilar things happen at the same time, must not necessarily be a contradiction. By profession, the historian has always been facinated by what in German is called — and that is very diffcult to translate accurately — die Gleichzeitigkeit des Ungleichzeitigen'. It is history in the making. It constitutes the uniqueness of an event or of an epoch — and the historian is out for this. Events would be contradictory only, if they violated laws. But Iwas of history or in history are anathema to the true historian. Of course, Marxists would fundamentally disagree on this point.

But how do I assess the current tragic events 4 First, I should like to make two preliminary remarks, which are essential for my approach:

First: compared with Europe, which alone in the first half of the 20th Century has caused two world wars, the Middle East by itself could be regarded as a relatively peaceful region. But Europe has not only caused two world wars, but it also was unable to live in peace with its Jewish communitis. It created the Palestine problem and thereby has imposed upon the Middle East a succession of devastating wars. Since these wars have been sperimposed with the so-called East-West conflict (communism versus capitalism), they have assumed dimensions of global crisis. Until today, the Near East conflict or the Palestine problem proper is a kind of matrix for all other wars in the reigon.

Second: in the West it has become fashionable to prsent the Arab Middle East as a region ridden with permanent conflict because of

socialism, of Baathism and of the Free Officers Movement had instead began to spread. They compensated for the lack of an urgently required new 'contract social' and they were instrumental mainly in disciplining the masses. The rivalry between Baathism and Nasserism, which led to the socalled Arab Cold War in the 50s and 60s reflected the unsolved social and national questions in the Arab countries. More, the ideology of pan-Arabism was given priority to compensate for the dilemma. Indeed pan-Arabism in its Nasserist shape seems to me to have reflected last but not least the specific Egyptian dilemma of development without growth. In other words, Egypt can solve the social and economic repercussions of its demographic explosion only outside its territory.

While this may be Egypt's perennial problem, the era of mass movements and ideologies certainly has left a burden-some heritage of its own. It did not produce a constitution on a power sharing basis, that would have been concomitant with the unfolding of social classes or class differentiation. In other words the new social formtions were politically arrested. Paradoxically, the imperial democracies of the West, foremost the USA, had a hand in this as well. The American promotion of the military elite after the 2nd world war, as can be witnessed in Syria, in Egypt and in Iraq, sprang from three motives:

- 1. In replacing the British, who had struck alliances with the traditional elites, the new hegemonial American power had to raise its own counter parts.
- 2. In its containment policy towards the Soviet Union and against communism at large, American Middle East policy embarked upon a counter-revolutionary strategy, which precluded democratic experiments.
- 3. In pursuance of this policy, the United States adhered to the model, which had been set by Ataturk's benevolent dictatorship. Th new military elite, last not least because of its social origin, was considered to be capable of combining modernization with the maintenance of law and order. Democracy was considered to be something, that outside the West still had to be taught, but not practised.

I now come to the third and last palse in may periodization and interpretation of the Arab history in the 20th Century. I have called it the Middle East under the direction of the technocrats. This may be the more controversial part of my overall interpretation.

To avoid any misunderstanding, this period should not be mixed up with a higher or rational stage of development for instance as in the sense of Auguste Comte's three-stage-law of the development of mankind. On the whole, my periodization therefore does not imply a linear development. The era of the technocrats, of the planning ministries and bureaucracies resulted from a fundamental change of the economy, society and rulership in the Arab world in the 1970s and 1980s. Compared with the previous changes in the 30s and 40s, ther was now a nex quality and also an unprecendented totality. At the bottom of it lay the evolution of the Arab Oil economy, as it took shape in the Organisation of Arab Oil Exporting Countries (OAPEC(. The financial and socio-economic effets of that oil economy were by no means confined to the oil rich Arab countries on the Gulf. Have- nots like Jordan, the Lebbanon and Jemen also felt the impact of the oil economy - largely by the export of labour and workers' remittances. However, it is not the new wealth and new consumption patterns, nor the new industries, which brought about the regimes of the technocrats. In my view the latter were largely the result of what I call over-sized economies. Oil development in countries such as Iraq, Kuwait or Saudi Arabia was not home-grown. It was imposed by the multinational oil companies and the huge demands in the world energy market ever since the end of the 2nd world war. Oil development was not geared to the development of local society and economy. The socio-economic development of the Arab oil sttes rather lagged behind. Good examples for this state of affairs in the first half of the 20th Century are Iraq egypt.

The incongruity between socio-economic development needs and actual oil output and export was hidden by the low oil-price. Once the oil price was raised dramatically, as happened in 1973, the immediate task of the planning ministries and technocrats was to harmonize the urgently needed socio-economic and agrarian as well as industrial development of their countries with the forces and demands of the world oil market. As we all know, both the oil producing and the oil consuming states at first were

30s and it ends with the decline or demise of Nasserism in the wake of the civil war in Yemen in the mid-60s.

The essential characteristics of this period maybe described as follows: an almost sudden impoverishment of the agrarian masses due to the sharp decline of the grain prices on the world market as well as to credit contraction. The erosion of the world prices of grain soon also entailed the prices of cotton, dates and olives. The migration from the country-side to the cities created an urban proletariate and social protest movements. The severe competition from Japanese textile goods and synthetics, their dumping practices threatened the infant textile industries in Syria-Lebanon and Iraq. Strikes by textile workers, transport — and port-workers were a common feature in the Fertile Crescent countries. Because of their mandatory status and subjection to an Open Door policy, these states could not protect their own products by raising customs tariffs. Only Egypt/was capable of doing so. On the Peninsula, the effects of the world economic depression led to a dramatic decline of the pilgrimage, the bulk of which used to come from the agrarian population of Muslim India and Indonesia. They no longer could afford the travel expenses to Mekka. It was against this background that prince Faisal toured European capitals like Rome, Brussels, London, Berlin and Moscow to negotiate urgently needed loans. The shrinkage of Abdul 'Aziz budget possibly also played an indirect role in the revolt of the ikhwan against him. Their resumption of looting and raiding across the borders with Iraq and Jordan may be an indication for this.

In countries like Egypt and Iraq the state responded to the economic crisis by a quest for import substitution. At the same time land reform measures and a welfare programme for the impoverished masses were neglected. The socialist movement began to spread. In Iraq we see the emergence of the Ahali group, which propagated a kind of secular Arab — Islamic brand of socialism, called sabiyya. By striking and alliance with the military (think of the Bakr-Sidqi-putsch in 1936), it set a precedent for things to come. In Egypt the social protest movement led to a radicalisation of the labour movement

and to an expansion of the Muslim Brotherhood as well as to a sever antagonism between both movements.

Summarily it can be stated, that a new kind of dischotomy developed between the toiling masses an the one side and the new bourgeoisy or state elite on th other side. This dichotomy or gap between the social classes dramatically windened during and in the wake of the 2nd world war.

To illustrate this fact I refer to Egypt's minister of finance, Makram Ubaid Pasha, when, in May 1945, he opened the debate on the new state budget. In his speech he drew a glooming picture of the conditins, under which the majority of the Egyptian population lived. The war had widened the gap between the social classes instead of narrowing it, as had happened in Britain and other European countries. He contrasted the cost-of-living index with the stagnation of the income of the rural and urban working class. Surely, he was also aware of the huge war profits, that had been accused by the landlord class and the small industrial bourgeoisy. I cannot go into detail here. However as concerns the interesting point about the diverse socio-economic effects of the 2nd world war on the Middle East and Europe, let me give you one exmaple. On the basis of the year 1939 the cost-of-living index in Egypt had by 1944/45 risen from 100 to 292. In Iraq and in Syria-Lebanon it had risen even more. In contrast, in Britain the cost-of-living index had risen from 100 to 131 only.

Unlike the depression years of the early 30s, the 2nd world war period did not allow for strikes, mass protests and revolutionary action. Local hunger revolts and political agitation could be quickly repressed by the allied powers, who had subjected the entire Middle East to a rigorous war-economy administration. By it the Arab countries reached food self-sufficiency and even produced a surplus for the allied forces, while the local population was kept on a bare subsistence level.

It was only after the war, that the pent-up social protest began to explode and ushered in an era of reovlutions, starting with the July 1952 revolution in Egypt.

As the socio-economic impacts of the depression years and of the 2nd world war on Middle Eastern societies had not produced new and solid political structures, the ideologies of Marxist and Islamic Austrian Customs Union and its connection with the ideas of a Greater Germany. Furthermore the Balkanization of the Middle East looked anachronistic last not least, because of the failure of the so-called "concert diplomacy of European powers" and its replacement by the League of Nations, which set the parth for international government rather than for sovereign statelets.

State-formation in the heroic age of the Arab Movement was also the major event on the Arab Peninsula, although it here had a different connotation. Partly motivated by the Al Saud's dynastic ambitions, partly instigated by the religious zeal of the ikhwan movement, the Saudi state-formation was rather a process of expansion and integration. The Al Saud with the help of the British had by 1932 achieved within their own realm, what the European powers had denied to the General Syrian Congress and the Hasimite Federation scheme in the Fertile Crescent.

State-formation was also a major event in the Nile Valley. Here it was part and parcel of an anti-imperialist strategy, which had its roots in the Urabi Movement of the 1880s and which after the 1st. world war was continued by the Wafd and Egypts national bourgeoisy. The wellknown fact that Britain and Egypt were at logger heads over the future of the condominium over the Sudan, and the ultimate failure of the Egyptian inspired movement for the unity of the Nile Valley show that state formation in the Nile Valley was — like in the Fertile Crescent still subject to an alien policy of divide and rule.

State-formation — and more could be said about it — no doubt was the major event in this heroic age of the 20th Century Arab world. But the other two main processes i.e. the unfolding of social classes and the search for legitimacy of political power were also at work, although still less prominently.

As concerns the social classes, in the Fertile Crescent, as Samir Amin has shown the Ottoman-Arab administrative elite — the so-called notables — were already at the turn of the century gradually replaced by a trade oriented as well as agrarian based new bourgeoisy. The European commercial penetration of the Middle East, the rise of the coastal cities and the land reforms in the wake of the

Tanzimat period in the 19th Century (think of Midhat Pasha in Mesopotamia) had engendered the emergence of a new merchant and landlord class. In the Nile Valley we can witness the emergency of a new elite 'that fought for an Egyptian national economy with an independent financial and industrial base. Their focal point was the Misr Bank group, led and inspired by Talaat Harb and later-on by Abdel Wahhab. On the Peninsula, the settlement policy of Abdul-Aziz as well as the contractual nature of his dynastic rule also had implications for a new social stratification and differentiation—although much more research is needed in order to be more precise.

As concerns our third and last major event: the search for legitimacy of political power, as see it at work in all three theatres of action under observation here. For the sake of brevity I only enumerate: Hussein bin Ali's ambition for an Arab Caliphate; Rasid Rida's performance as president of the General Syrian Congress; Abdul Aziz's exhortations of the ikhwan movement on strictly Wahhabi lines and his Islamic consultations at Mekka in 1926; the emergence of the Muslim Brotherhood in Egypt in 1928 and of the Muslim Young Men's Association at about the same time.

These latter events led European orientalists at the time to speak about a renaissance of Islam. Think of Gibb's book: Whither Islam, Oxford 1932. One may see in this an interesting parallel to present day events.

(II)

I conclude here my outline and comments regarding the heroic age of the Arab movement and I come to the second period, which I have called the era of mass movements and ideologies.

Of course, it could be argued, that the heroic age well extends into the 40s and 50s — if not the 80s — of this century (think of the Rashid Ali Gailani Movement in Iraq in 1941; of certain aspects of Nasserism; of the strategies of OPEC countries; of the Iraq-Iran war). No doubt, there are many overlappings. Nevetheless the era of massmovements and ideologies is clearly distinct before the middle of this century. It sets in with the local socio-economic and political impact of the World Econoomic Depression of the late 1920s and early

It goes without saying, that in such a comprehensive perspective — which is appropriate to the emergence of a world-wide communication system and a world society — the Arab history of the 20th Century can no longer be treated as an isolated phenomenon or an autistic event. Of course, there are specific and genuine internal developments and events in the Arab world, but largely due to the relentless expansion of a capitalist world system, they share components which also apply to the world at large.

From this broader perspective the Arab history of the 20th Century shows up three major processes or events:

- the formation of nation-states (sometimes they appear as states without a nation e.g. Sudan, Lebanon)
- the unfolding of social and, in particular, the emergence of a middle class.
- the search or contest for legitimacy of political power or of the public sector.

As these processes are in each Arab country inextricably interwoven with varying regional forces and alliances as well as with world events, the 20th Century Arab world is marked by an extraordinary complexity and poli-centrism. In contrast, the 19th Century Middle East was largely a bi-polar world, that can be analysed from the opposite angles of Istanbul and Qahira.

Nevertheless, in dealing with the 20th Century Middle East, the historian may abstract three major theatres of action. They are:

- 1. The Fertile Crescent
- 2. The Arab Peninsula
- 3. The Nile Valley

If we locate the above mentioned three major processes of 20th Century Arab history (state formation, unfolding of social classes, search for political legitimacy (in these three centres, we arrive at the following periodization and interpretation of Arab history in the 20th Century. There is first:

1. The heroic age of the Arab Movement, it is followed by

- 2. The era of mass-movements and ideologies, and it is succeeded by what I call
- 3. The Middle East under the direction of the technocrats

I shall now elaborate and comment on each of these periods:

(I)

The heroic age of the Arab Movement covers the period from the turn of the century to the 1930 or so. I call it heroic, because it is characterized by Arab self-maintenance and struggle under the strenuous conditions of the Young Turk autocracy, of the defeat and partition of the Ottoman Empire, of the European mandate-colonialism and overall Anglo-French imperial dominance. The term 'heroic' is meant also to refer to the still predominant role of so-called "great persons" such as the Hasemite kings, the Arab-Ottoman officers, Abdul Aziz Al Saud on the Arab Peninsula and Sa'd Zaghlul in the Nile Valley.

Throughout this heroic age the above mentioned three major processes were at work, although with different connotations. Partly their roots can be traced back far into the 19th and 18th Century.

As concerns state-formation, the events in the Fertile Crescent were intrinsically linked up with the European imperial policies of divide and rule. In abstract terms the results were as follows:

The natural and by history and migration traditional South-North axis of the Arab World was by 45° turned into West-East axis, which was alien to Arab heritage and which primarily served Europe's commercial and imperial interests. Think of the railway and pipeline concessions and constructions. The age-old links of the Peninsula and of Egypt with the Fertile Crescent were separated by the British controlled Hasimite Kingdoms and the newly established Jewish or Zionist national home in Palestine. The Fertile Crescent itself and, in particular Greater Syria, were subjected to a policy of Balkanization, which spread the germs for many conflicts and wars to follow. This Balkanization was implemented at a time, when petty nation-states were becoming obsolete because world trade and industrialization required larger economic units. Think for instance of the Danube-Federation scheme or the German-

The Arab Middle East in the 20th Century: HISTORICAL TURNING POINTS AND STRUCTURAL PROFILES

The history of the Middle East in the 20th century is not a mere chronological continuation of the history of the 19th century. Apart from the fundamental changes of the political map in the course of the 1st world war, the 20th century — in contrast to previous centuries — is still an unfinished epoch. This concerns not only its overall and specific characterization and distinction, but, strictly speaking, has also implications for the methodology of the researcher on contemporary history.

As is well known, any historical research on the 20th century is faced with the 30- and sometimes 50 years rule on state archives. This implies, that whereas the first half of this century can by and large be studied on the basis of hard facts and documentary evidence, the second half of the current century is less open to archival and historical research. For this period, the insights and judgements of the historian remain largely hypothetical. Real empirical research tends to become determined, if not replaced by judgement from hindsight. Often the historian turns to ideological or teleological interpretations. Historical facts and processes are manipulated to fit pre-conceived ideas or so-called laws in history.

In view of such problems, one might indeed doubt, that a historian of the 20th Century can reliably speak about historical turning points and structural profiles.

At least, his findings and interpretations remain open to debate and possibly to revision. Therefore I myself consider my presentation as a suggestion, of how the Arab history of the 20th Century might be interpreted. For the sake of a wider and joint

discussion it might prove stimulating, I hope, that this suggestion comes from an outside observor, who is eager to learn from your comments. Since the various phases or sub-periods of 20th Century Arab history, as they are described and interpreted here, ultimately lead into an open future - or end in a still unfinished age, I shall take special precaution, not to argue from hind-sight, as is nowadays often done in the West. In other words, my periodization and interpretation will not be determined by the current antagonisms between socalled Islamic fundamentalism and secular Arabism. From hind-sight one might indeed argue and also find evidence, that this struggle has been one of the perennial issues of 20th Century Arab history. Nor shall I speak in terms of Arab or Islamic socialism, as is often done in order to bridge the gap. This would be an ideological compensation and as such preclude historical analysis in depth.

Nevertheless the dynamics between Arabism and Islamism will be dealt with lateron, although rather as a specific feature of what I call the current crisis of political culture in the Arab world, which again might be part of a more global crisis.

The structural profiles and historical turning points as I see them in a global perspective of the contemporary Arab world are primarily shaped by the fundamental socio-economic and socio-cultural changes of the last eighty years or so as well as by their impact on the inter-relationship between society and political power respectively. It is a matter of fact, that this interrelationship has always and sometimes dramatically been affected by factors of world economy and international politics.

expanded its area of interest further to include Southeast Asian countries as well, such as Indonesia, Malaysia and Burunei. This apparently was at least partially due to the continuing oil glut. Also, the Institute's membership list has grown to include 105 member firms.

Organization Name

Kokusaidaigaku Chutokenkyujo (The Institute of Middle Eastern Studies, International University of Japan.

Date Established

1985 (May 1)

Address

Yamato-machi, Minami-Uonuma-gun Niigata 972

Officers

Director: Toshio KURODA

Sponsor (s)

International University of Japan

Categories

Basic research, translation

Budget

? ? ? ?

Objectives

To facilitate basic research through the use of primary

resources.

Activities

For this purpose, it seeks to purchase primary resource materials and encourage translation. It also publishes a journal and a newsletter.

Researchers (N)

? ? ? ?

Research Associates

? ? ? ?

Comments

The Institute is found within the University, where graduate students sent from firms for advanced studies in the region take part in Institute activities. It was created to overcome the problem of conducting original research on the region in view of the fact that Japan is so far behind the West in Study of the region.

of special interest in depth, and 6) KENKYUCHOSA-HOKOKUDHO (Research Monograph Series), an occasional monograph series on various topics such as one on the Palestinian problem.

researchers (N)

28 (18 from enterprises and 10 professional researchers). One of the Institute members is stationed in Cairo and three at its Kuwait branch office.

Research Associates

? ? ? ?

Comments

The Institute was initially sponsored by the Economic Planning Agency but on July 7, 1976 it wa&s joined by the Ministry of International Trade and Industry, after which time both government agencies jointly promoted the development of the Institute. It was initially staffed by only 11 persons, of whom three were from government and enterprise. By 1984, there were 38 persons in the Institute. Of 38, 19 were from government and enterprise, e.g., 3 from the Economic Planning Agency, 2 from Tokyo Electric, one each from other enterprises such as the Bank of Japan, the Japan Development Bank, Fuji Bank, Súmitomo Bank, Arabian Oil, C. Ito Trading Company and Maruzen Oil. In 1980, the Institute established an overseas office in Kuwait, where three persons are regularly stationed. The number of enterprises supporting the institute at the outset numbered about 30. The Institute was supported by 70 different enterprises by 1984. The Institute covers three linguistic areas: Arabic, Persian and Turkish. Thus in terms of geography it is concerned with the region stretching from Afghanistan in the east to Morocco in the west and Turkey in the north to Sudan in the south. Furthermore, the Institute does include non-West Asian areas, such as the oil-producing countries of Mexico and Nigeria, as priority demands. All Institute members are divided roughly into three groups: politics, energy (oil), and economics, and each one of them is expected to become familiar with one or two countries. From April of 1984, the Institute added an information management group in charge of data collection and management. (The above comments are taken largely from Shigeki Koyama's postscript to a recently published book entitled "Chutojyosei to sekiyuno shorai" (The Middle East Trends and the Future of Oil) published by Toyokeizai shinposha in 1984, pp. 419-420. Since then in 1985, the Institute has

Organization Name

Chutokeizai kenkyujo (The Economic Research Institute for the Middle East/Renamed in 1985: The Japanese

Institute of Middle Eastern Economies)

Date Established

1974 (September 10)

Address

25 Ichiban-cho, Chiyoda-ku, Tokyo 102. Telephone: (3)

264-3141 (2,3,4)

Officers

Chairman: Kiyoshi TSUCHIYA, President: Yukio

MIYAKE

Sponsor (s)

Economic Planning Agency and the Ministry of International Trade and Industry. It should be noted that the JIMEE is entirely a separate organization from the

Institute of Developing Economies.

Categories

Research

Budget

240,000,000 yen (1985)

Objectives

The primary objective is to assist business concerns in the region through "basic and comprehensive research."

Activities

Periodically, the Institute analyzes news, trends, and situational factors in order to provide reports for member companies interested in ascertaining risk factors involved in business activities. Its most recent and significant large-scale study is entitled CHUTOSHOKOKU NO SHIHAI TO SEISAKUKETTEIKATEI NO KENKYU (Ruling Structures and Policymaking Process in the Middle East), which took the Institute a year and half to complete. Its regular periodical publications include: 1) CHUTOKEIZAI NYUZU (Middle East Economic News), a monthly journal on economic and political news, 2) KIKAN CHUTOKEIZAIKENKYUJOHO (The Quarterly Journal of the Economic Research Institute for the Middle East), a quarterly journal reporting on happenings of the Middle East in depth, containing book reviews, chronicles, etc, 3) KANTORI RIPOTO (Country Report), an occasional publication focusing on a particular country examining its political vability and economic risk, 4) Special issues on significant events in th region, 5) CHUTOKEIZAICHOSA SHIRIZU (The Middle East Research Series), a series of reports on topics Date Established

1973

(October 20)

Address

No. 33 Mori Bldg., 8th Floor, 8-21 Toranomon 3-schome,

Minato-ku, Tokyo 105, Telephone: (3) 438-1811

Officers

Chairman: Keizo TAMAKI, President: Kokichi TAKA-

HASHI

Sponsor (s)

The founding members consist of mostly businesses, including banks and organized business (zaikai) leaders, including those from "keidanren," "doyukai," and "Nihonshokokaigi") concerned with West Asia. The Center was established under the guidance of the Ministry

of International Trade and Industry.

Categoeis

Business Promotional Activities

Budget

317,000,000 yen (1985-1986)

Objectives

317,000,000 yen (April, 1985-March, 1986)" to cooperate with West Asian countries in the development of their economies and trades, thereby promoting coopertion

between Japan and West Asian countries."

Activities

Are designed to cooperate with West Asia in its efforts to develop its economy, to suply information needed for the development of West Asian economies and to assist those interested in doing business in the region. It holds conferences, conducts research activities, lecture series, and sends trade missions. It publishes a monthly bulletin entitled "Chutokyoryoku Senta Nyusu" (The Bulletin of Japan Cooperation Centre for the Middle East).

Researchers (N)

8 (All sent by enterprises at their expenses.)

Research Associates

0

Comments

The center is established primarily to assist businesses interested in West Asia. It appears to be interested in activities directly relevant to its clients' business concerns. Scholarly activities in the Institute are considered at a minimum.

Categories	Research, Training
Budget	? ? ?
Objectives	 To conduct research on Asia and Africa, especially with respect to its languages and cultures. To compile and publish dictionaries and other materials designed to facilitate Japanese acquisition of Asian and African languages. To train language specialists.
Activities	 Research, including a special project on the use of computers in foreign language acquisiton and translation. Language training, Field work abroad, Library, Publications. It publishes AJIA-AFURIKAGENGO BUNKA KENK-YU (JOURNAL OF ASIAN AND AFRICAN STUDIES) and another periodical, AJIA-AFURIKAGENGO BUNKA KENKYUJYO TSUSHIN (The Institute Bulletin). Other publications include language textbooks, dictionaries, and research monographs and books.
Reserchers (N)	45 (1977)
Research Associates	There are a few foreign visiting research associates at the Institute. Some research associates at the Institute are from the Institute of Developing Economies.
Comments	An outside observer will note that the Institute may be one of the most independent research institutes in the nation, striving to promote excellence in the study nation, striving to promote excellence in the study of Asian and African languages and cultures. It is unique in that this Institute is the only one among many which calls West Asia what it is, viz., West Asia. Second, its emphasis on the language

Organization Name

Chuto Kyoryoku Senta (Japan Cooperation Center for the Middle East)

West Asia, along with the Oriental Library.

dimension in learning about West Asia is commendable and perspective - no doubt this is a most academic and futuristic-oriented institute, dedicated to the study of

tute as a non-governmental entity was incorported to meet a national need to understand Asian economies better through the cooperation of government agencies, financial/economic sectors, and scholars. The Institute continues to rely on government agencies for 89% of its funds, which suggests the dominant role the government (mostly the MITI) seems to be playing in the operation of the Institute. Perhaps the role the government is playing in the Institute is both a weakness as well as its strength. making the Institute's management a challenging task indeed. The Institute's AJIKENNYUSU (Monthly Bulletin) focused on West Asia in its March 1986 issue (No. 66). The special issue suggests that the West Asia Section move toward more comprehensive and integrative research of West Asia as a resut of the West Asia Section's success in obtaining additional funding for this purpose in 1986. Takeshi Hayashi reports in the issue that there is an emerging need for the Institute to specialize within West Asian studies, Currently, he continues his research, one of the themes of his team of scholars being the ethnicity problem which relates closely to nation building. Such a study as this requires teamwork with scholars and businesses with the experience of living in the region, the cooperation of well-trained librarians, effective leadership, and efficient clerical help. The Institute is not directly related to the Japanese Institute of Middle Eastern Economies, although the MITI plays a part in the operation of both institutes. The Institute of Developing Economies is considered to be more acadamic and systematic in its approach to the region than the Japanese Institute of Middle Eastern Economies.

Organization Name

Ajia-Afurikagengo bunka kenkyujo, Tokyo Gaikokugo Daigaku (Institute for the Study of Languages and Cultures of Asia and Africa, Tokyo University of Foreign Studies)

Date Established

1964 (April 1)

Address

4-51-21 Nishighara, Kita-ku, Tokyo 114

Officers

? ? ?

Sponsor (s)

Tokyo University of Foreign Studies (National University)

length. The 1984 Publication Catalogue reports that the Institute has published 243 research volumes, 324 boo s on West Asia, 116 economic cooperation studies, 13 indigenous enterprise studies, 8 overseas investment studies, 65 Asian economy books, 45 statistical reports, 5 Southeast Asian trade materials, 28 translation series 7 research report series, 30 reference materials, and 5 bibiliographic series (889 books: 1960-1984). The Institute's English language books include the following: 9 research report series, 8 symposium proceedings, 19 occasional papers, 12 special report series, and 45 statistical date series (93 books: 1960-1984). Of 982 books published from 1960 to 1984, 16 were on West Asia in general, 1 on Afghanistan, 1 on Saudi Arabia, 6 on Iran, 2 on Iraq, 1 on Syria, 2 on Turkey, 1 on Lebanon, and 4 on Egypt. 34 out of 982 books, or 3.5 %, focused on West Asia. The Institute's Annual Report (AJIA KZAIKEKY-OJYO NENPO, Showa 59-60) reporting on its activities of 1984-85 and published on June 20 1985 indicates a heightened interest in West Asia in recent years (since 1980). For example, its trend analysis division started to include West Asia as an area for trend risk analysis. More articles are included in its periodicals. Of 27 scholars sent abroad for various study missions as of March 31, 1985 (each one is sent abroad for a two-year period), 5 were West Asian specialists sent to Cairo, London, Turkey, Jersualem, and Sana'a (North Yemen). There were 21 researchers in the 1983-4 Japanese fiscal year period (March 1983-March 1984) from overseas, including one Chinese scholar who specialized in the Gulf region.

Researchers (N)

Approximately 10 specialized on West Asia.

Research Associates

2 2 2

Comments

Although Japan's relations with Asia have been close historically and geographically, there was a need to understand the Asian economy better in order to provide a basis for economic cooperation with Asian countries which led to the formation of the Institute. In order for Japan to make mutually beneficial decisions, I the need to obtain independent and reliable empirical data was of prime improtance. Companies operating in Asia have been conducting studies on their own. However, their effrots were often duplicated and inadequate. The insti-

ducted by either active or retired foreign service officers, ambassadors and West Asian visitors, including scholars and journalists.

Organization Name

Ajiakeizai kenkyujo (The Institute of Developing Economies) (West Asia is an area covered by the Institute)

Date Established

1958

Address

42 Honmura-cho, Ichigaya, Shinjuku-ku, Tokyo 162

Officers

Chairman: Miyohei SHINOHARA, President: Hisatoshi MORISAKI

Sponsor (s)

Initially incorporated in 1958. Incorporated in 1960 under the jurisdiction of the Ministry of International Trade and Industry.

Categories

Economic research

Budget

3,082,518,000 yen (1984-5) (2,756,480,000 yen from the government of Japan: 89 //)

Objectives

To gather basic/comprehensive data on Asian economies and increase understanding of the region in order to expand Japan.s economy, which depends heavily on overseas trade, and to cooperte with and assist the development of Asian economies.

Activities

Conducting research, gathering data, sponsoring lectures and seminars, maintaining a library, and publishing periodicals and books. Publications include the following periodicals: AJIAKEIZAI (Asian Economy) (monthly, about 106 pages in length), AJIAKEIZAISHIRYOGEP-PO (Montly Report on Asian Economic Data), (monthly, about 80 pages in length), AJIA TORENDO (Asian Trends) (Quarterly, 90 pages in length), AJIA-CHUTO DOKONENKAN, (Asian and Middle East Trends Annual), (Annual publication about 750 pages in length), and AJIKEN NYUSU. (Institute Bulletin), (Monthly News on the Institute's activities, about 32 pages in

Address

Mori Building No. 15, 8-10-2, Toranomon Minatoku, Tokyo 105 Telephone: (3)-591-0955/591-0958

Officers

Chairman: Tatsuzo MIZUKAMI, Presdident: Yoshiro NAKAYAMA, Director: Nobuo ASAI

Sponsor (s)

Research Group and Ministry of Foreign Affairs

Categories

Research, Education and Friendship

Budget

About 70 million yen

Objectives

To promote research activities and disseminate results for the purpose of improving relations with West Asian countries, including North Africa.

Activiteis

Conduct research, collect data, maintain library resources, sponsor lectures, seminars, and conferences, and publish journals and books. Publications: CHUTO KENKYU (Journal of the Middle Eastern Studies) (bimontly), CHUTOSEIJI-KEIZAI NYUSU (The Middle Institute News) (bi-weekly), CHUTO-KITA-AFURIKA NENKAN (The Middle East and North African Annual), CHUTOKAN-TORIJYOHO (The Middle Eastern Country Report) (bi-weekly on eight major countries in the region — Saudi Arabia, Egypt, Algeria, Kuwait, iran, Iraq, UAR, and Oman).

Researchers (N)

5 (Sen-in kenkyuin)

Research Associates

8 (Ken-nin kenkyuin)

Comments

It started in the wake of the Suez Crisis in 1956, as a study group of Middle East and North African university specialists. Its members wrote reports for the Ministry of Foreign Affairs and others. Demand for such studies resulted in the establishment of the Middle East Institute of Japan, founded by the Ministry of Foreign Affairs on October 3, 1960. Although some original research projects are carried out through contracts and publication activities, most seminars, discussions and lectures are con-

Organization Name The Toyo Bunko (The Oriental Library)

Date Established 1924

Address 28-21 Hon-komagome 2-chome, Bunkyo-ku, Tokyo 113

Officers Director General: Kazuo Enoki

Sponsor (s) ???

Categories Library, Research

Budget 150,000,000 yen

Objectives To build and maintain library resources, conduct

research, and publish relevant materials on the

Orient.

Activities Maintains a library and publishes about 10

books/reports per year. Recently, it compiled its collection of Arabic language materials. The 678-page volume was published in March 1986. It represents efforts made to collect Arabic/Islamic materials of the past 27 years. The current revised volume took the Library three years to complete under the able leadership of Professor Tsugitaka Sato. Its emphasis is on Central Asia, China, and

Islam.

Researchers (N) 3 (Senmon kenkyuin) (Full time)

Reserch Associates 60 (Ken-nin kenkyuin) (Part-time)

Comments Of the 63 researchers at the Library, about 10 are

specialized on West Asia. What appears to be significant about the Library is members are part-time researchers who have full-time positions with

universities and other institutions.

with universities and other institutions.

Organization Name Chuto Chosakai (The Middle East Institute of

Japan)

Date Established 1956

Shiba, Shiro. EJIMPUTO KINSEISHI (MODERN EGYPTIAN HISTORY).

Tokyo: Hachio shoten, 1889.

Shillony, Ben-Ami. "Japan and ISrael: A Special Relations," Ronald Morse, ed.

JAPAN AND THE MIDDLE EAST ALLIANCE POLITICS.

pp. 81-92 Washington, D.C.: University Press of America, 1986.

Shimizu, Jyohei, Yuzo Itagaki, Takatsugu Sato, eds. . .

ISURAMU JITEN (ISLAMIC LEXICON).

Tokyo: Heibonsha 1982.

Shimoda, Jyohei, Yuzo Itagaki, Takatsugu Sato.

ISURAMU JITEN (ISLAMIC LEXICON).

Tokyo: Heibonsha, 1982.

Tamura, Hideiji. ARABUGAIKO 55-NEN, GE (MY 55-YEARS OF ARAB DIPLOMACY, Vol. 2).

Tokyo: Keiso Shobo, 1983.

Yoshitsu, Michael M. . CAUGHT IN THE MIDDLE EAST.

Lexington, Massachusetts: Lexington Books, 1984.



Kanafani, Ghassen. Translated by Toshio Kuroda and Mustumei Ntuahara, TAIYO NO OTOKOTACHI/HAIHANI MODOTE

(MEN IN THE SUN/UPON MY RETURN TO HAIFA.

Tokyo: Kawaide Shobo Shinsha, 1978.

Kataoka, Kunio. "Narrow Options for a Pro-Arab Shift: Japan's REsponse to the Arab Oil Strategy in 1973m".
ANNALS OF JAPAN ASSOCIATION FOR MIDDLE EAST STUDIES.
No. 1, pp. 106-149 (1986).

Kokuritsu minzoku, hakubutsukan.

SHINPOJIAM: WAGAKUNI NI OKERU CHUTOCHIEKIKENKYU NI KANSURU GENJO TO TENBO — HOKOKU TO TORON NO KIROKU (SHO) (A SYMPOSIUM ON THE PRESENT STATUS AND THE PROSPECTS OF THE MIDDLE EAST STUDIES IN OUR COUNTRY: EXCEPTS FROM REPORTS AND DISCUSSIONS.

Tokyo: Kokuritsu minzokugaku hakubutsukan, 1979.

Kokusai koriyukikin (The Japan Foundation),.

CHUTO TO NO TAIWA — BUNKAKORIU O MEGUTTE (DIALOGUE ON THE MIDDLE EAST CONCERNING THE CULTURE EXHANGE).

Tokyo: The Japane Foundation, 1977.

Koyama, Shigeki. "Atogaki" (Poststript), Chutokeiwai Kenkyujo

(The Economic Research Institute for the Middle East) ed.

CHUTOJOSEI TO SEKIYU NO SHORAI (THE CURRENT TRENDS IN THE MIDDLE EAST AND THE FUTURE OF OIL.

pp. 419-420 Tokyo: Toyokeizaishinpo-sha, 1984,

Kuroda, Yasumasa. "-Al-rua al-Yabania Lilalam Al-Arabi: Tabiatehq waafaqhah"

(Japanese Perception of the Arab World: Their Nature and Scope), AL MUSTAQBAL AL-ARABI (THE ARAB FUTURE).

No. 82, pp. 74-93 (December, 1985).

MUSTAQBAL AL-ARABI (THE ARAB FUTURE).

NOo. 82, pp. 74-93 (December, 1985).

Kuroeda, Yasumasa. "The Oil Crsis and Japan's New Middle East Policy,"

ANNALS OF JAPAN ASSOCIATION FOR MIDDLE EAST STUDIES.

Vol. 1 pp. 150187 (1986).

Kurofda, Yasumasa, Fereidun Fesharaki, and Wendy Schultz.

(1986).

Maejima, Shinji. "Isuramu kenkyu buumu kotohajime"

(The Beginning of 'isramic Boom), Nihonarabukankei kokusaikyodokenkyu kokunai-iinakai (Japan-Arab Joint International STudy, Domestic Committee, NIHON TO ARABU (JAPAN AND THE ARABS). pp. 3-21 (1980).

Miki, Wataru et. al.. ISURAMUSEKAINO HITO (PEOPLE IN THE ISLAMIC WORLD).

Tokyo: Toyokeizaishipo-sha, 1984.

Murata, Ryohei. CHUTO TO IU SEKAI (THE WORLD CALLED THE MIDDLE EAST).

Tokyo: Sekai no ugoki-sha, 1981.

Odaka, Masao. ARABU TO ARUITE 30-NEW (30-YEARS WITH TEH ARABS).

Tokyo: Kobundo, 1982.

Said, Edward W., ORIENTALISM.

New York: Vintage Books, 1979.

6. REFERENCES

Kuroda and Asai - Friday July 18 1986. 11:12 am

- Asai, Nobou. "Seisakushiko ni tsuymoi to Jaykuten" (Strength and Weakness in Policy-Oriented Studies), CHUTOTSUHO (MIDDLE EAST BULETIN). pp. 26-30 (January 1984).
- Asai, Nobuo. CHUTO ENOSHIKAKU (VIEWS TOWARDS THE MIDDLE EAST). Tokyo: Nihonhoso shuppqnkqi, (1986).
- Congressional Quarterly,. THE MIDDLE EAST, Sixth Edition. Washington, D.C.: Congressional Quarterly, Inc. 1986.
- Findley, Paul. "Congressional Opinion on U.S. Middle East Policy," AMERICAN-ARAB AFFAIRS. 16, PP. 4/8 (Spring, 1986).
- Green, Stephen. TAKING SIDES: AMERICA'S SECRET REALTIONS WITH A MILITANT ISREL. New York: William Morrow and Company, 1984.
- Hachoioshi, Makoto. "Kin, Gen-sei" (Modern/Contemporary Period), SHIGAKU ZASSHI (THE JOUR-NAL OF HISTORY). Vol. 92, No. 5, pp. 264-266 (1983).
- Haleh, Tawfic. AL-RIJAL FI AL-SHEM (TAIYO NO OTOKOTACHI) (MEN IN THE SUN) (Movie). Syria, 1971.
- Hamid, Riaf Abbas. "Arabic Studies in Japan", Shigeki Majima ed. A STUDY OF ARAB-JAPANESE MUTUAL IMAGES.

PP. 62/71 (1980). Tokyo: Japan National Committee for the Study of Arab-Japanese Relations.

- Hayashi, Takeshi. "Ajiken no chotokenkyu" (Middle East Studies at the Institute of Developing Economies), Ajiken Nyusu (The Institute of Developing Economies News). No. 66, pp. 2-3 (March 1986).
- Hirokawa, Ryuichi. "Kabe o tataku-otokotachi" (Men Who Knock the Wall), SEKAI (THE ZORLD) pp. 188-300 (January, 1986).
- Ikeda, Osamu. "Arabic Teaching in Japan", Shinji Maeda, ed. A STUDY ON ARAB-JAPANESE MUTUAL IMAGES.
 - pp. 75-81 Tokyo: Japan National Committee for the Study of Arab-Japanese relations, 1980.
- Itagaki, Yuzo. "Japan's Discovery of the Arab World; Basis of Cognizance and Future, Shinji Maejima, ed. A STUDY ON ARAB-JAPANESE MUTUAL IMAGES. pp. 55-61 Tokyo: Japan National Committee for the Study of Arab-Japanese reltions, 1980.
- Itagaki, Yuzo. "Perception of Different Cultures: The Islamic Civilization and Japan, The Japan Foundation. THE ISLAMIC WORLD AND AJAPAN: IN PURSUIT OF MUTUAL UNDERSTANDING. pp. 139-150 Tokyo: The Japan Foudnation, 1981.
- stani, Kuzo. "Isuramu jidai" (Islamic Period), SHIGAKU ZASSHI (THE JOURNAL OF HISTORY). Vol. 91, No. 5, pp. 279-282 (1982).

financing of its naval forces by a Jewish financier in New York (Ben-Ami Shilloni (1986). But, of course, then, Arabs as well as Jews were jsut beginning to wake up to modern nationalism. Arabs who admired the Japanese include such authors as Hafez Ibrahim, an Egyptian poet who depicts the dedication of "Japanese maidens" who accompanied their compatriot soldiers to the front as nurses in th Russo-Japanese war. Mustapha Kamel wrote a book on Japan to awaken the Egyptians to their nationalism as well (Murata (1981) p. 339, Odaka (1982) pp. 154-155).

- 6. There were only 15 publications on West Asia in 1950. By 1973, it rose to 193, or 13 times. For more detail, see Kuroda, (1985) p. 88.
- 7. For more detailed information on major organized research efforts in Japan, see Appendix. The list contained in the Appendix does not include research associations, but only reserch institutes/centers. We do not claim this list to be exhaustive, but only illustrative of the nature and scope of organized research activities on West Asia in Japan.
- 8. On how Japan faced the first energy crisis, see Katakura (1986), Kuroda (1986) and Yoshitsu (1984).
- 9. This portion of the pressent analysis relies heavily on Professor Takatsugu Sto's letter to Kuroda dated, April 9, 1986.
- 10. For more detail, see Findley (1986). For Asais' observtion of the status of West Asian studies in the United States, see Asai (1984).
- 11. Kanafani (translated into Japanese by Toshio Kuroda) (1978). "Men In The Sun", a story of Palestinian struggle for freedom, is a moving novel designed to wake up Palestinians to their rights and the articulation of their interests, difficult as it may be. The alternative is the annihilation of Paletine in the hot sun. Although attempts were made by Japanese to translate these and other Arab authors in the 1970's, their works did not sell well in Japan.
- 12. Kanafani's "Men in the Sun" was made into a movie by Tawfic Saleh, (1971) who changed the ending slightly from the original text to show that in fact men "in the sun" did hit the wall like crazy to let

the world know of their suffering, while some people in the world live in air-conditioned comfort. The film, made in Syria in 1971, was shown in Japan in 1985. The dying cries of the Palestinians went unheeded by the noise of the air conditioner which muffled their voices — powerful and thought-provoking ending that critically views the entire world for its systematic efforts to supress oppresed people. For an excellent commentry on this, see Hirokawa (1985).

Hirokawa, who heads the Palestinian and Jewish Study Committee, Japan, writes eloquently of Kanafani's novel and Saleh's movie, with equal compassion for the oppressed, in his article published in an intellectually influential journal (1986). The Palestinian driver who discovers three of his compatriots dead in the heated water-tank truck cries out, "Why didn't you knock the wall? Why? Why?" The voice echoes through the desert — WHY? WHY?... That is how the novel ends.

In 1971, when the novel was made into a movie directed by an Egyptian, Tawfic Saleh, some parts were modified, Perhaps the most crucial modification was made in the ending. The camera focuses on the water truck under the hot sun. The audience hears the noise of the three men frantically knocking the wall. The camera quickly leaves the scene to focus on the Immigration Office, where an air conditiner is running at maximum capacity to make the life of those who are inside comfortable. Alas, the noisy air conditioner muffles their cry for help. The world operates in a manner that makes it impossible for the Palestinians' voice to be heard. Saleh's ending may be prompted by the events of the early 1970's when Palestinian commandoes began jetline hijackings. The oppressed speak up, but the system has ubiquitously erected the thick wall so we may live in comfort. Yet even the West Asian desert sun cannot liminate the voice of the Palestinians. Kanafani was assassinaed, but his spirit lives on. However, the tragedy is tht the walls are getting thicker and thicker and the noise of air conditioner is getting louder and louder as recent events in the region attest. The words of Ambassador Donald McHenry echo the existence of the wall, so thick that the United States, a superpower, "is unable to pursue its own national interests in tht region."

ing noise muffling the voice crying out for justice in the wilderness as depicted by Tawfic Saleh in his movie version of Kanafani's "Men in the Sun". (12) In this sense, Japan may even be in a better poisition than many Arab states that do not allow the academic and political freedom needed to develop West Asian studies, debased by Western Orientalism.

We have pointed out areas of improvement that can be made to make West Asian studies in Japan a world-class area study. A last, but not the least point to be made here is a need to make the study of West Asia not simply more contemporary-oriented as business sectors would like to have it, but more future-oriented. Which may help to increase the number of students interested in West Asia. We need to teach the next generation of West Asian scholars not simply what the past wa slike nd what the present is like but what the future ought to be and is going to be like, for if we do not take part in th shaping of the future of the world, someone else will shape it for us. We need to teach what is relevant and useful to our students when they become professionally active. Let's we may be misunderstood it should be noted that so-called basic research needs to be emphasized withough any doubt, but tht is not enough for the next generation.

5. NOTES

The present paper is a joint product of the two of us. Asai provided much of the materils and notes used by Kuroda to draft the paper in English. Asai derived his notes largely from his encounters with many individuals in Japan and abroad, plus two written sources: Kokuritsu-minzokugaku hakubutsukan (National Museum of Ethnic Studies) ed., "Shinpojiam: wagakuniniokeru chutochiekikenkyu ni kansuru genjo to tenbo -- hokoku to toron no kiroku" (sho). (A symposium on the Present Status and the Prospects of the Middle East Studies in Our Country: Excepts from Reports and Discussions." (1979). Kokusai koryukikin (The Japan Foundation). CHUTO TO NO TAIWA - BUNK-AKORYU O MEGUTTE (DIALOGUE ON THE MIDDLE EAST CONCERNING THE CULTU-RAL EXCHANGE). Tokyo: Kokusai koryukikin (The Japan Foundation), (1977). Kuroda wishes to express his gratitude to Yuzo Itagaki and Takatsugu Sato of the University of Tokyo, Manabu Shimizu of the Institute of Developing Economies stationed in Cairo, and Yoshiki Hatanaka of the Japanese Institute of Middle Eastern Economies without burdening them with any responsibility for any part of the present article.

- 1. As cited in Maeda (1982) pp. 12-3. A slight modification was made in the English translation, without changing the meaning of the original Japanese text.
- 2. From where we are located in Hawaii and Tokyo, the loction of the region with which we are concerned makes more sense if we were to call the region West Asia rather than the Near East or the Middle East, a term developed by ethnocentric Europeans. We realize that the term is not used widely, but it is used by some, including some Japanese engged in West Asian research. In order to freshly review the status of Middle East studies, we have decided to employ the term 'West Asia,' at the insistence of one of the authors, Kuroda, with Asai's approval. In this frame of reference, Japan and China will be considered East Asia and Arab countries West Asia - a very simple and understandable concept to those without the burden of traditional learning. Asai reminds Kuroda that the Maghrib is an integral part of the Arb culture. Are we not being ethnocentric in our own way by calling North Africa a part of West Asia? Kuroda recognizes the limitation of the West Asian concept, but he concludes that its benefits outweigh its limitations.
- 3. Few Japanese paid attention to West Asia in earlier years. Nevertheless, Shiro Shiba describes what he learned from Arabi Pasha, an Egyptian nationalist in exile in Ceylon. Upon his return in 1888, he and Kanjo Tani, the minister of agriculture and commerce, helped to eliminate unequal treaties with foreign powers (Hamid (1980) p. 63 and Shiba, (1889).
- 4. The data for this are derived from figures in the Congressional Quarterly, 1986, p. 100. By comparison, non-Communist oil consumption as a whole increased 4.5 times, while that of the U.S. only multiplied 2.5 times, and European members of the OECD, 12 times during the same 25-year period.
- 5. There were Arabs who saluted the Japanese victory over Tzarist Russia. It is ironic that the Japanese victory was made possible through the

research work. Their works are largely derived from two sources: Western language matrials and direct reports from their own research staff in West Asia, plus other Japanese language materials. The Japanese, from Prime Minister Nakasone on down, have been talking about the need for Japan to be internationalized. We agree this internationalization ought to be extended to include West Asian studies.

Furthermore, as in the case of other countries, businessmen, reporters, and diplomats often take condescending views toward scholars for their narrow views who in turn look down on businessmen, journalists, and diplomats for their shallowness. This problem is not unique to Japan to be sure, but it certainly stunts the study of West Asia as an area. What we need to keep in mind is that most scholars of West Asian studies in Japan today represent the first generation of West Asian scholars, whose original field of training was not West Asia. They became interested in West Asia for a number of reasons. Many West Asian scholars in Japan today were businessmen, bankers, diplomats, and journalists.

Third a large number of scholars specialized in West Asia are historians, archeologists and other interested in Ancient and Medieval West Asia. Many of these scholars are members of the Japan Orientalist Association. As anticipated, they often and perhaps rightly take a dim view of some of the studies motivated by short-sighted economic interest. Some of them even go so far as to state that there was no need for the formation of the Japan Association for Middle East Studies in 1985. Although an increasingly large number of books on contemporary West Asia are published in Japanese. there has been relatively little work done on policy analysis Asai (1984). It took an American political scientist specialized in Japanese foreign policy to publish the first book on Japanese foreign policy toward West Asia (Yoshitsu (1984)). A constraint in this regard is the Japanese government, which does not release needed government documents for policy analysis. Perhaps what Japan at the nationa level needs is a freedom of informtion act such as the one enacted in the United States and of which such authors as Stephen Green have made extensive use in proving American Asian policymaking (Green 1982)).

Fourth, unlike the Unied States, Japan is relatively free from any political pressure group in formulating its West Asian policy as well as in promoting its West Asian studies. Such is not the case in the superpower United States, where a former U.S. ambassador to the United Nations, Donald McHenry, revealed to former Congressman Paul Findley, "Unfortunately, because of the lobby (Israeli), the United States is unable to pursue its own national interests in that region (West Asia)." (10)

However contraining the pressures that exist in the field of West Asian studies in Japan, it must be at a minimum, in relation to what exists in the United States, where the government reportedly cannot pursue its own national interest. It is our view that Japan is in a position to develop world-class West Asian Scholarship with minimum political pressure and maximum freedom, if and only if it is willing to fund West Asian studies, for there is no wall such as the one Ghassan Kanafani so poignantly describes in his "Men in the Sun".(11). Japan should take advantage of this absence of domestic political pressure. The only enemy Japan has to fight is apathy. The University of Tokyo, which has a West Asian programme has only a few West Asian specialists and a few majors in the West Asian field.

CONCLUSION

Kuroda and Asai

In Summary, we may be justified in generalizing that Japan started late in its study of West Asia and still has a long way to go to develop West Asian studies. However, it has its own advantages in two ways. First, it really had no tradition of "Orientalism" from which the West had suffered. Second it lacks domestic pressure against pursuing whatever West Asian specialists desire in their pursuit of knowledge.

Japan did pursue knowledge of Islam in the name of bringing a new imperialistic order to Asia. Following the war, it shed its military, political, and territorial dimensions. However, economic interest continues to dominate in affecting the nature and direction of West Asian studies to some extent, a phenomenon to which we do not object as long as certain conditions are met. There is no air condition-

Tokyo Bunko just published a catalogue of all books in Arabic contained in its library. It contains a 687-page list of books. The Toyo Bunko has the largest collection of books in Arabic in Japan. A similar version of books in Turkish was published a few years ago. In 1982, an Islamic lexicon was edited by Jyohei Shimada, Yuzo Itagaki, and Takatsugu Sato and published by Heibonsha (1982). The lexicon was written by approximately 100 contributors. ISURAMUSEKAINO HITOBITO (People in the Islamic World), edited by Wataru Miki and others at the Tokyo Univesity of Foreign Studies, consists of four volumes (1984). The project took over ten years to complete. These books are indicative of the level of Japanese scholarship on Islam, which has come a long way in a relatively short period of time in relation to the West.

Japanese scholars are begining to produce original articles of high quality that can be introduced to West Asian studies at large in the world today if they are written in English.(9) Toshihiko Izutsu, a noted authority on Islamic thought recognized for his scholarship, is one of the few shcolars who/lectured on Islam in the West if not the only one at such places as McGill University. In the field of-history, Koshi Morimoto's study of taxation history during the Umayyad and Abbasid dynasties, Takatsugu Sato's study of farming communities under the Mamluks and others by im, Yuzo Nagata's study of the Ottoman era, and Hiroshi Kato's study of farming communities in 19th century Egypt. Even in the field of West Asian history, where there are many studies, comparatively speaking, the field remains only unevenly devloped. There are hardly any historians interested in the history of Arab society under the Ottoman Empire, for example.

Let us enumerate what we consider problems and constraints facing West Asian studies in Japan.

First, there is a need for more independent academic study of West Asia. As noted earlier, West Asian studies in pre-war Japan were dominated by imperialism, while following the war, Japan's West Asian studies was led by economic concerns. Japanese pre-war imperialism was characterized as a replica of Western colonialism with its military, political, territorial, and economic expansionsim. Japan dropped all forms of imperialistic domination, except in the realm of economic expansionsim after

the war. Of course, we see no wrong in economic expansionism as long as it also promotes the indigenous economic development of host countries in the tradition of democracy. Thus, we see nothing wrong with Japanese corportion promoting West Asian studies as long as such studies equally promote the interest of all parties concerned. In fact we would even go so far as to say that the exchange of ideas between businessmen and scholars constitutes an important contributing basis in the development of creative culture as the Ancient Greeks had proved long ago when they learned to use two of the most abstract constructs of the day, namely, money and written language from the ancient Syro-Palestinian travelers and businessmen. Having said that, we regret to note the decline in support of the Japan Cooperation Center for the Middle East as Japan faced the oil glut and the decline in the price of oil.

A serious constraint operating to discourage the business sector from providing more funds to the scholarly community for its needed research activities is the Japanese tax structure, which does not allow deductions to those who contribute to non-profit scholarly organizations. A tax reform in this regard is needed for West Asian studies to grow.

Second, a related point to be made at this juncture is the closed nature of Japanese society, which discourges persons moving in and out of the scholarly community. Not only did Japanese national universities prohibit foreign professors to be tenured faculty till a few years ago, but none of the institutes for West Asian studies had any West Asian as a regular researcher, a fact which struck one of the co-authors of the present paper, Kuroda. Of course, he was used to area studies centers in the United States, where indigenous scholars from abrod worked together with American colleagues. What Kuroda saw was that non-Japanese scholars were visitors only. This phenomenon is also manifested in the lack of citations from original West Asian language materials in works published by the organized research institutions. Their publications have reached the point where they can no longer drastically improve quality without scholars with West Asian language skills and West Asian scholars themselves on their regular research staff. Historians in this regard are more advanced than those who deal with the present and the future of West Asian in their

3. OBSERVATIONS AND ASSESSMENTS

We are in basic agreement with Raouf Abbas Hanne (1980), who categorized West Asian specialists in Japan into three groups by observing the state of Arab studies in the 1970's: 1) Western "Orientalist," 2) Japanese Islamic specialist, and 3) Modern West Asian specialist. The first group of scholars consists of those who not only depend on Western scholarship for information but also their entire orientation as well, without much attention paid to indigenous scholarly works in the region. The second group of scholars approaches the study of West Asia almost exclusively through the Islamic dimension. Some of these scholars are Buddhists interested in Islam for the purpose of comparing their religion with that of Islam. The last group, whose number seems to be on the increase, shows their rejectin of the "Orientalist" tradition without totally disregarding Western scholarship but demonstrates a willingness to expose themselves to indigenous scholarship in West Asia.

There have been reactions against Western scholarship and its "Orientalist" tradition (Itani (1982) p. 279), such as from the newly established Institute of Middle Eastern Studies at the International University of Japan, which has launched a series of translation projects from Arabic to Japanese. Obviously, no scholars do or should disregard Western scholarship altogether and embrace everything written by West Asians.

A cursory review of the contents of the first issue of the ANNALS OF JAPAN ASSOCIATION FOR MIDDLE EAST STUDIES indicates a clear trend toward the "Modern West Asian specialist" approach. Four out of nine articles were written by non-Japanese authors — an Egyptian scholar, an Abu Dhabi diplomat, a Muslim scholar, and an American scholar of Japanese origin. Languages used in the volume were Arabic, English, Japanese, and Russian, suggesting a multi-lingual international orientation unobserved in American journals specialized in West Asia. A great majority of the articles and research notes dealt with contemporary topics.

The formation of the Japan Association for Middle East Studies was welcome news to those concerned with the development of West Asian studies in Japan. Its bylaws explicitly state its intention to go beyond the ethnocentric "orientalism" of the West in its pursuit of knowledge through interdisciplinary cooperation among scholars from various disciplies such as engineering and science in addition to the traditional area studies' familiar disciplines of humanities and social science. Such a forward orientation should be saluted, for we are convinced that the future area study should incorporate all disciplines, including future studies, as should any discipline designed to fully understand any geographic area of the world.

A few trends to be observed here. Aside from the increased volume of works on West Asian studies done in recent years, there has also been an increase in the number of Japanese tourists whose destination is West Asia in general and Egypt and Turkey in particular. It used to be that most tourists stopped by West Asia either on their way to or from Europe. Mass media now cover more news on West Asia then ever before, as far as quantity is concerned, without any doubt, but there is little in the way of investigative Journalism delving into depth analysis of problems facing West Asia.

Are the Japanese masses interested in West Asia? First, the salience of West Asia in the minds of the Japanese masses probably reflects current events (Kuroda (1985) pp. 81-82). Second, the nature of interest seems to be structured in such a manner that what the masses desire to know is limited to an introductory level knowledge of West Asia, and not a scholarly level, as expected in any natin. For example, while most scholarly books or West Asis sell a few thousands copies over a period of severl years, Asia's introductory book on West Asia entitled "Chuto eno Shikaku" (Views toward the Middle East), written for the masses, sold 40,000 copies in its first month of publication (Asia, 1986). The book was written as a textbook for an educational television programme for Japan Broadcasting Corportion. He lectured on West Asia 12 times over the government television station from April through June. The size of the audience was around one million per lecture, which was considered large.

There are a couple of positive occurrences to be noted here at this time. First, there have been severl large comprehensive sutides on Islam in the last several years. They had taken a number of years to complete because of their size. For instance, the researchers, about 20 in all, are from corporations. It is by far the largest research institute on West Asia in Japan. A cursory review of some of their publications indicates a relatively high level of scholarship, especially when one considers the fact these researchers represent the first generation of West Asian specialists in Japan and that they came from various occupational backgrounds prior to their specializing in West Asia. An increasingly large number of them are learning West Asian languages as well.

Despite the increased efforts made to understand West Asia, a number of areas remained behind in catching up with the dynamics of changing West Asia. Nowhere in the region was such a lack of knowlege demonstrated than in Iran, when Mitsui, in cooperation with other concerns and the government, had inititated a large scale petrochemical project in cooperation with Iran. The U.S., which depended heavily on the CIA and the SAVAK, of course, was equally kept misinformed, as were the Japanese, who may have received the same intelligence reports. In 1978, then-Prime Minister Takeo Fukuda visited Teheran, where he met with the Shah of Iran. A most significant event that impressed the prime minister was his encoutner with anti-Shah demonstration on his way to see the Shah. He was struck by the magnitude and seriousness of the anti-Shah feelings among Iranians, as well as his own ignorance of th situation in Iran. Of course, his ignorance meant that his government was equally in the dark about the dynamic of Iranian power relations. He lamented the lack of Japanese understanding of West Asia and instructed his officials to improve the quality of West Asian studies in Japan. Subsequently, a mission consisting largely of scholars was sent to the region to make appropriate recommendations to rectify this regretful state of affairs. One of the outcoms of the mission was a proposal to establish a national institute for the study of West Asia. The Ministry of Education, in its proposed budget for 1979-1980, incorporated the proposal necessary to develop such a center or institute. Unfortunately, however, it happened to coincide with the administration's reform efforts to cut the budget for just about every item, which resulted in the indefinite postponement of the project.

All is not lost, however, for there have been some new and positive developments designed to promote the study of West Asia. For example, since then the University of Tokyo and instituted an Islamic study programme, the International University of Japan had inititated the Institute of Middle Eastern Studies, and several universities began to teach courses on West Asia. And most importantly, the Japan Association for Middle Eastern Studies was formed in 1985, and its first annual was published in March of 1986. Also in 1984, SEINAN AJIA KENKYU (The Journal of West and South Asian Studies), renewed its publication after 13 years of doldrums.

For those interested in an annual review of historical works on West Asia and North Africa, SHIGAKU ZASSHI (The Journal of History), edited at the University of Tokyo, contains an annual review of all major historical works published each year related to Islam, West Asia and North Africa. It is an excellent source of information for those who desire a quick review and trend analysis of Japanese scholarships on West Asian history. The annual review on West Asia started in its review of works published in 1975 with its Vol. 85, No. 5. As noted by Makoto Hachioshi in his review of 1982, it reflects the growth of Japanese scholarship of West Asia in both quantity and quality (Hachioshi, 1982, pp. 831). Certainly, Kuroda's quantitive analysis of the quantity of publications on West Asia coincides with Hachio's observation (Kuroda (1985) p. 88). Hachioshi continues on to state that published works on contemporary West Asia relfect the nature of recent events such as the rise of Islam in the region.

Those interested in Japan's West Asian studies but who do not read Japanese will find at least nine periodicals in Western languages: ANNALS OF JAPAN ASSOCIATION FOR MIDDLE EAST STUDIES, BOOKS AND ARTICLES ON ORIENTAL SUBJECTS, BULLETIN OF THE SOCIETY FOR NEAR EASTERN STUDIES ON JAPAN, JOURNAL OF ASIAN AND AFRICAN STUDIES, MEDITERRANEUS, MEMOIRS OF THE RESEARCH DEPARTMENT OF THE TOYO BUNKO, MIDDLE EAST STUDIES, ORIENT, and THE WORLD OF ISLAM (Kuroda (1985) p. 87).

Institute of Developing Economies. Containing a section on West Asia, it was established in 1958 under the jurisdiction of the Ministry of International Trade and Industry (hereafter referred to as MITI). Both of these institutes appear to have been prompted by the Japanese government's need for knowledge in the region. However, the former has a different origin in relation to the latter in that it originally started as a university professors' study group concerned with West Asia and North Africa. The organization's development was a direct consequence of Nasser's successful effort to nationalize the Suez Canal in 1956. Some of its members, e.g., the late Hajime Kobayashi, did research for the Ministry of Foreign Affairs' which led to the formation of the Middle East Institute of Japan in 1960 (Tamura (1983) pp. 263-264).

Writing in 1986, Takeshi Hayashi a recently retired (March 1986). Head of the West Asia section of the Institute of Developing Economies, comments on the need of each different institute in Japan to find its niche within West Asian studies. He defines what he considers the Institute's study of West Asia as being a discipline tht does not belong to any established discipline (1986) p. 3.). One of the current themes of its study is "ethnicity," which cuts across many disciplines, and which has bearing on a number of problems that face West Asian countries.

Another institute that came into existence during this period is the Institute of the Study of Languages and Cultures of Asia and Africa at the Tokyo (National) University of Foreign Studies. The Institute incorporates West Asia and North Africa in its scope of research activities, including Arabic, Farsi, and Turkish. It is the only institute which uses the term 'West Asia' to refer to the Middle East. Although the emphasis is on languages, the Institute goes beyond the linguistic subject to include cultural studies as well. The nature of the research is rather general, with special emphasis being placed on language.

In short the formation of organized research activities on West Asia remained rleatively inactive, despite Japan's significantly increased dependence on West Asia as its primary energy source.

2.3 Post-Energy Crisis Period (1975-

Japan was force to face reality in the wake of the first energy crisis as predicted by King Faisal, who coordinated an uncommon unity among Arab nations in the fall of 1973. A harbinger of the crisis was OPEC's decision to raise its oil prices in September, 1973, followed by the outbreak of the fourth Arab-Israeli war in October. As the Arab oil embargo went into effect, Japan, along with Western Europe, shifted its foreign policy toward the protracted crisis in the region.

What took place following the first energy crisis is a spectacular rise in the publication of articles and books on West Asia. Figure 1 demonstrates the dramatic surge of publications from 1973 (193 items) to 1974 (246) and 1975 (389). The number of Muslims also increased melodramatically — ten times from the first to the second energy crisis.

The Japan Cooperation Center for the Middle East, coming into existence on October 20, 1973 in the midst of the October War, could not have picked a better time to have its opening ceremonies. The Center had MITI's blessings, but Zaikai leaders such as Sohei Nakayama were the ones who really wanted to have this center established. Consequently, its emphasis is assisting enterprises in th region through orientation seminars and discussions with West Asian visitors.

Awakened by the energy crisis, MITI, in cooperation with the Economic Planning Agency as represented by Shigeki Koyama and other interested parties represented by Kiyoshi Tsuchiya, a noted economist-commentator, established the Economic Research Institute for the Middle East on September 10, 1974 (Koyama (1984) pp. 419-420. Tamura (1983) pp. 263-264). The Institute changed its English name to the Japanese Institute of Middle Eastern Economies in 1985. The Institute seems to have been designed to be more academic than the Japan Cooperation Center for the Middle East, but not as much as the Institute of Developing Economies. The Institute's study is more basic and comprehensive in nature than that of the Japan Cooperation Center for the Middle East. The number of researchers ranges from about 30 to 40 and includes people from the Economic Planning Agency and MITI. The largest portion of the

5. 1939 : "Toa 'kenkyujo, Kaikyo Han" (The Islamic Group, The East Asian Institute) (Ikeda (1980) p. 78 Itagaki (1981) p. 143). No other details available. (We hope to rectify the lack of information on these items in due time. One relevant source that needs to be consulted is an article written in 1942 by Shiro Nohara, who critically reviewed the status of Arabic/Islamic studies in a manner that is exmeplary of any scholar who strives for independent and critical thinking, particularly in the middle of the national emergency which certainly was facing Japan in 1942. Professor Yuzo Itagaki makes a reference to his article in (Itagaki (1981) "Perception of Different Cultures: The Islamic Civilization and Japan," THE ISLAMIC WORLD The Japan Foundation)).

6. ? "Kaikyohan" (Islamic Study Group (Ministry of Foreign Affairs))
was established with in the Ministry of Foreign Affairs. It published a journal "Kaikyo Jijo" (The Islamic Affairs) (Itagaki (1981) o. 143).

7. 1940: "Toa Keizai Chosakyoku" (The Research Bureau of East Asian Economic Affairs) came into being within the Manchurian Railway Company to study Chinese Muslims in particular. (Itagaki (1981) p. 143 Ikeda (1980) p. 78).

8. ? :'Taiheiyo Kyokai'' (The Institute for the Pacific Region Studies) (Itagaki (1981) p. 143).

No other details available.

The establishment of "Kaikyo-ken Kenkyujo" (Institute of Islamic Studies) in 1938 was indicative of Japan's territorial expansion in not only China but Southeast Asia as well. Perhaps there was a need for the military to understand what Islam was all about prior to its aggression against Asian neighbours, many of whom were followers of Islam. A more obvious case in point was the development of the

Islamic research section within the "Mantetsu Toa Keizai Chosa-Kyoku" (Manchurian Railway East Asian Economic Research Division) in 1940. Thus, it appears as if Japan's research interest in West Asia was primarily motivated by its desire to understand Islam so that it can control its believers more effectively. However let us add hastily that the Japanaese efforts to understand West Asia and Islam were not totally derived from their colonial interest. The teaching of Arabic language at the college initiated in 1925 at the Osaka Foreign Language College (Now called the Osaka University of Foreign Studies), for example had less to do with Japan's pre-war colonialism than the research institutes that sprung up as Japan's imperialism grew in strength.

2.2 Post-WW II Period (1945-1973)

As was noted earlier in this volume, the level of research activities on West Asia plummeted to that of the late 19th century of a few works per year following the end of World War II. It did however start to rise again, once Japan's industrial recovery was achieved, and the rapid economic development period begun in Japan from the mid-1950's. This period also coincided with Japan's decision to switch its primary energy source from coal to oil (Fesharaki, Kuroda, and Schultz (1986). The level of research and publication took as did Japan's economy, however not at the rate of japan's appetite for oil, which increased 165 times, as noted earlier, from 1950 to 1973, but was much less impressive - less than 13 times during the same period.(6) Perhaps this is indicative of the fact that Japan took it for granted that oil is cheap and abundant as a successful result of the seven sisters' selling oil to japan as needed.

Although small in scale, at least one research institute specialized in West Asian Studies, and another institute with a West Asian section came into existence during his rapid economic growth period in Japan's post-WWII history. The former is the Middle East Institute of Japan. Sponsored by the Ministry of Foreign Affairs, it emerged in the wake of the Suez crisis in 1956 (7). The Ministry of Foreign Affairs' contribution accounts for only a few percent of the current budget. The other is the

- (1) the Pre-WWII Period
- (2) the Post-WWII Period and
- (3) the Post-Energy Crisis Period.

The level of interest in West Asia increased gradually from the late 19th century to the 20's. Then there is a surge in the level of interest shown by the Japanese as Japan started its road to WWII. Then, there is a sudden drop in 1945 in particular when the war ended. After the end of WWII, another sudden surge occurred as Japan's economy grew rapidly in the mid-50's or about the time of the Suez Crisis. Japan consumed 31,000 barrels of oil per day in 1950. By 1975, Japan's oil consumption jumped 165 times to 5,123,000 barrels per day! (Congressional Qaurterly (1985) p. 100) Then after the first energy crisis, the consumption of oil in Japan declined while its publications on West Asia doubled.

2.1 Pre-WWII Period

During this first period of contact with West Asia, Japan gradually began to demonstrate interest in West Asia and Islam, led by its national/colonial interest in areas where there were Muslim populations, such as China. In other words, Japanese interest in West Asia and Islam was motivated by the expansionist/imperialistic tradition of the Occident a la Edward W. Said's Orientalism (1979), notwithstanding some Arab nationalists' admiration of Japan's victory over Tzarist Russia in 1905.(5)

To be more specific, Japan was strategically interested in three West Asian countries, viz., Iran, Turkey, and Egypt. At least one of the reasons for Japan's interest in the first two nations lay in the collection and analysis of information to be gathered on the Soviet Union, which has contigeous boundaries with the two nations. Egypt was of strategic importance to Japan because of its position in the Arab world and the Suez Canal. Another reason for Japan's interest was the existence of al-Azhar University in Cairo, the center of Islamic learning.

Let us list the development of organized research efforts prior to the end of WWII to see how and for what reasons they evolved:

1. 1932: "Isuramu Bunka Kenkyujo" (The Institute of Islamic Studies)

developed by Professor Hajime KOBAYASHI. The first and last issue of a journal by the name of "Isuramu Bunka" was edited and published by him in November of 1932 (Maejima (1980) p. 11).

2. 1937: "Isuramu Bunka Kyokai" (The Islamic Cultural Association)

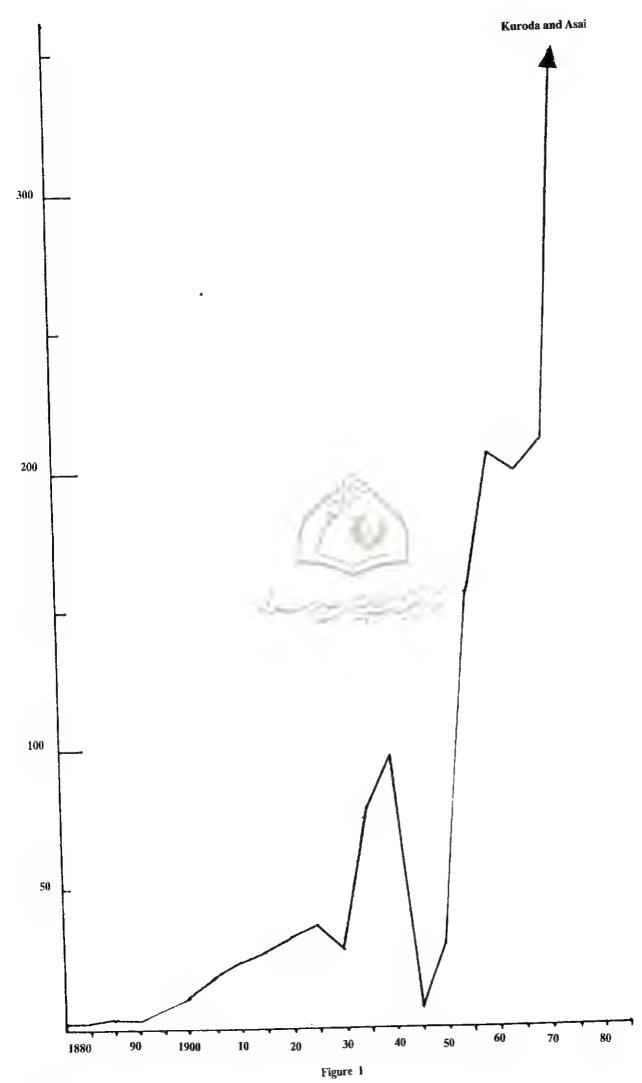
Came into being as a result of the above Institute's decision to change its name and publish a new quarterly journal, "Isuramu" (Islam), which lasted for a couple of years (Maejima (1980) p. 13).

3. 1938: "Kaikyoken Kenkyujo" (The Institute of Islamic World Studies)

was irganized with Professor Koji Okubo (Turkish specialist) as its president Professor Hajime Kobayashi (Arab specialist) as its research director and Mr. Toshio Matsuda as head of its research material section. It began to publication of its journal "Isuramuken" (The Islamic World), in July 1938. The journal contained war articles, suggesting the impact of the rise of militarism (Maejima (1980) pp. 15-16).

4. 1939: "Dai-Nippon Kaikyo Kyokai" (The Association for Greater Japan Islam).

was organized and began publishing "Kaikyo Sekai" (The Islamic World) in April of 1939. The organization contained military officers and its first issue of the journal included an opening statement which clearly stated its intent to follow the war-time government objective of using the knowledge for the advancement of Japan's cause toward the establishment of a new Asian order devoid of the Western colonial influence (Maejima(1980) p. 13). However it ought to be noted that the journal was not totally controlled by the military and its jingoists but contained some sincere Japanese Muslim interest in their religious pursuit of knowledge.



WEST ASIAN STUDIES IN JAPAN *

Yasumasa Kuroda

The University of Hawaii at Manoa U.S.A.

Nobuo Asai

The Middle East Institute of Japan Tokyo

1. Introduction

The level of Japanese understanding of West Asia is symbolized by a passage out of the first textbook that dealt with West Asia, published toward the end of the 19th century. Although Japan may be considered behind the West in the study of West Asia, we must keep in mind that Japan came a long way in understanding what West Asia is all about in the past one hundred years while the West has had a long history of contacts with West Asia from the time of the Ancient Greeks and Romans. In fact, the West owes much of the foundation of its civilization to the Orient.

The purpose of the present paper is to described and evaluate the status of West Asian studies in Japan in such a manner that will critically evalute its accomplishments as well as enhance the future of West Asian studies in Japan in particular and in the world in general.(2)

What follows is a brief history of West Asian studies in Japan, followed by our evaluation of the status of Japanese efforts to understans their fellow Asian who have been so near in some ways and yet so far in some other ways. The Appendix at the end of the paper is provided to describe major research organizations that specialize in West Asia.

2. West Asian Studies in Historical Perspective

Notwithstanding the sporadic contacts Japan has had with West Asia since the 8th century, it was not until the door to Japan was opened in 1868 that Japan made any meaningful contacts with the region. Even then, Japan's eyes were so focused on the West from which it was to learn that only a few Japanese had paid enough attention to learn from West Asia, much of which has experienced Western as well as Eastern colonialism in the recent part. (3)

Figure 1 entitled "Publications on West Asia by Year," is constructed to suggest the extent of Japan's demonstrated interest in West Asia, as manifested in the volume of publications consisting of articles, monographs dictionaries, and books on West Asia(4). The period covered in the figure stretches over a hundred years from 1875 through 1979. In the 1870's through the 1880's, only a few (no more than four per year) articles and books dealing with West Asia were published. By 1979 the total number of articles and books published reached 451 in one year.

A glance at the figure allows us to divide the period following the Meiji Restoration into three periods:

^{*} The paper is prepared for delivery at an international conference on "The State of the Art of Middle Eastern Studies," held at the University of Calgary, Alberta, Canada on August 1-3, 1986.

- Representing the Committee of writing up the History of the Nation. Iraq.
- g. Dr. M.T. Al-Jarrary.
 Representing the conference for writing up the Arab Nation History. Libya.
- 2. The Committee for Supporting and subsidizing Historical Publications:
- 1. Dr. F. Abdul Wahid. Chairman
- 2. Dr. H.F. Za'ain
- 3. Dr. R.H. Al-Khatab
- 4. Dr. S.T. Al-Sheikhly
- 5. Dr. F.O. Fawzi
- 6. Dr. H. Al-Tikriti
- 7. Dr. Y. Al-Shahiri
- 8. Dr. M.J.H. Al-Mesh hedani (Secretary).



PUBLICATIONS OF THE UNION OF ARAB HISTORIANS

(A) The Union of Arab Historians has issued the following works:

- "Bussorah (Al-Basrah) Diaries."
 Dr. M.A. Al-Najar & A.M. Ameen
- 2. "A.J. Toynbee: A Presentation Volume". in English & Arabic.

Dr. H. Al-Takriti & Dr. A. Susa

- 3. "The Zionist Movement in Tunis in the Period 1911-1927."
 - Mr. Al-Taimomy Beirut 1979.
- 4. "The Start of the Abadhian Movement" Dr. A. Khlaifat Amman 1978.
- 5. "The Aspects of the Scientific Renaissance in Iraq in the Fourth & Fifth Centuries of Af-Hijra".
 - Dr. M.H. Al-Zubaidy Beirut 1980.
- "Jawahir Al-Mulook Fi Madayih Al-Mulook" A
 Collection written by the Poet Hilal Ibn Sa'eed
 Ibn Araba Al-Omani
 - Dr. D. Saloom Beirut 1979.
- 7. "The Arab Tribes in the East during the Al-Amawi Reign".

Dr. N. Hasan — Beirut 1980.

- 8. "Arab Civilization as a Substitute for Greek Civilization."
 - Dr. S.S. Al-Ahmed Beirut 1980.
- 9. "The Prince Maslama Ibn Abdul Malik Ibn Marwan."
 - Dr. A.M. Al-Adhamy. (Beirut 1980).
- 10. "Introduction to the Study of the Resources of Omani History."
 - Dr. Faruk A. Fawzy (Baghdad 1979).
- 11. "Introduction to the Jazre Languages" Dr. S.S. Al-Ahmed (Baghdad 1981).
- 12. "Studies in the Convention of Arab Nation Frontiers 1847-1980.
 - Dr. M.A. Al Najar (Beirut 1981).
- 13. "Palestine: Its History and Civilization". Dr. A.A. Garbia (Beirut 1981).
- "The Book of Al-Masudy as a Historian" Mr. A. Al-Azawi (Baghdad 1983).

15. "Introduction to Mysticism and its Reality".

Al-Imam Abdul Rahman Al-Salamy

verified by

Dr. H. Ameen.

"Index to the Arab Historian Journal"
 Dr. M. J.H. Al-Mesh Hedani (Baghdad 1984).

(B) The Union Journal

The Union has issued a scientific journal concerned with history entitled:

'The Arab Historian'

It contains many original and scientific works of the Arab historians and researchers. The Union also intends to develop the journal and make it more convenient for advanced studies and scientific trends. Thirty two volumes have already been issued 33, 34, 35, 36, 37 and 38 are forthcoming and still in print.

THE UNION'S ACTIVITIES

The Union has formed the following committees:

- 1. The Higher Committee for writing up the History of Arab Nation.
 - a. Dr. M.A. Al-Bukheet.
 Representing the project of the writing up of Al-Sham History — Jordan.
 - b. Dr. A.A. Al-Timeemi.
 Representing the project of the writing up of the Ottoman History — Tunis.
 - C. Dr. A.A. Al-Ansary.
 Representing the project of the writing up the Arab Peninsula history. Saudi Arabia.
 - d. Dr. N. Aaqil.
 Representative of the project of the writing up of Arab History Syria.
 - e. Dr. S.S. Al-Badri.

 Representing the project of writing up the History of the Nation. Kuwait.
 - f. Dr. S.A. Al-Ali.

14. The foreign trade in the Babylonian era. Dr. Taqi Abid Salim & Salah Nuaman Isa College of Management and economies Al Mustansiriya University.

Translated Historical papers:

- 15. Ibn Al-Jawzi School in the wriring of history. By the Hungarian Arabist Somogui. Translated By Dr. Jazeel Abdul Jabbar Al-Jomerd College of Education, University of Mosul.
- Al-Madain Battle
 By the English writer Ronald Miller Translated
 By Fareed Dhia Sharara.
- AHistorian Biography
 Dr. Mohammed Adnan Al-Bukheet.
- The Symposium of this issue
 The Intellectual symposium on the international day of antiracism.

 Prepared by the committee of defending the resolution No. 3379 in collaboration with the centre of Palestinian Studies in Damascus.

Documentation and manuscripts
 The General Guide for the Documentation of fine arts editedly by the department of the plastics arts — Ministry of culture and Information — Baghdad.

Book and Thesis Review:

Muataz M. Abdul Hameed.

- The History of the Conflicts and wars between Iraq and Iran.
 By Shakir Sabir Al-Dhabut. Reviewed by
- Prince Abdul Qadir, the Pioneer of the Algerian
 Struggle
 By Yahya Bu Aziz, Reviewed by Kifah Al-Khazali.
- The war uniform of the Arab fighter till the end of the Abassid era
 By Ibrahim Sarhan Al-Shumari, Reviewed by Rafah Jassim Al-Samaraai
- The Manuscripts of history, translations and Biographies
 By Usama Nasir Al-Naqshabandi & Dhamiaa Mohammed Abbass.
 Reviewed by Nafi Minjal Shaheen.

CONTENTS

IN ENGLISH

- The Arab Middle East in the 20th Century; historical turning points and structural profiles; By: Helmut Melcher, University of Hamborg.

IN ARABIC

Papers on Modern and Contempory History:

- Lights on the National Consciousness in Kuwaft and the relative British fears in (1936-1953)
 Dr. Najat Abul Qadir Al-Jassim Al-Qinaai College of Arts, Kuwait University.
- The Arab Army and Establishment of the Emirate of East of Jordon
 Dr. Saad Abu Dayya
 College of Arts, Al-Yarmouk University.
- On the libral government.
 Dr. Abdul Razaq Al-Zubaidi
 The Institute for National and Socialislie Studies Al-Mustansirya University
- The Jews of Eygpt.
 Adel Hamid Al-Jadir
 Center of Palestinian Studies
 University of Baghdad.

Papers on the Arab and Islamic History:

 The administrative system in Al-Maghrib and Al-Andalus during the reign of Al-Murabuteen Dr. Salch Mohammed Abu Diyak College of Arts, — Al-Yarmouk University

- The Arab Presence in Kanem in Middle Sudan till the seventh Higri Century
 Dr. Sabah I. Al-Sheikhli College of Arts University of Baghdad
- The Style of the academic historian
 Dr Hussein Ali Al-Daqooqi
 College oif Education, University of Baghdad.
- The hygienie state during the age of early Islam.
 A study of Al-Sinna Al-Mutahara.
 Dr Ghanim Abdulla Khalaf
 College of Arts, University of Mosul.
- The Military Mail in the Abassid age.
 Dr. Khalid Jassim Al-Janabi
 College of Arts, University of Baghdad.
- 10. The political relations between the Ayyobiyeen and Al-Muwahadeen in the Far Maghrib.

 Dr. Rasheed Abdulla Al-Jumaili

 College of Arts, Al-Mustansiriya University.
- The Economic Activities of the port of Aden during the 5th and sixth Hijri Centuries.
 Dr. Mohammed Kareem Ibrahim Centre of Gulf Studies University of Basral.
- The religious and literary aspects of the works of the Arab Scientist
 Khalid Bin Yazeed, Fadhil Khaleel Ibrahim University of Cardif, U.K.

Papers on Ancient History and Archaeology:

The historical roots of Kuwait in ancient history.
 Dr. Maymoona Khalifa Al-Athbi Al Sabah
 College of Arts, University of Kuwait.



p

Consultative Committee of the Journal of The Arab Historian

1.	Dr. Yousif Gawanma	Jordon
2.	Dr. Aisha — Sayyar	United Arab Emirates
3.	Dr. Abdul Latif Al-Rumaihi	Bahrain
4.	Dr. Mohammad Al-Baji Bin Mami	Tunisia
5.	Mr. Mohammad Twaili	Algeria
6.	Mr. Mohammad Abdulla Rerash	Jibouti
7.	Dr. Abdulla Al-Uthaimeen	Saudi Arabia
8.	Mr. Amer Mohammad Sami Al-Hajari	Uman
9.	Dr. Yousif Fadhul Hassan	Sudan
10.	Dr. Layla Al-Sabbagh	Syria
11.	Dr. Farouk Omer Fawzi	Iraq
12.	Dr. Khayria Qasmiya	Palestine
13.	Dr. Mustafa Aqil	Qatar
14.	Dr. Najat Abdul Qadir Al-Qinaai	Kuwait
٤		
15.	Dr. Ibrahim Baithoon	Lebanon
16.	Dr. Najah Al-Qabisi	Libya
17.	Dr. Farouk Othman Abatha	Egypt
18.	Mr. Walad Al-Sheikh Seedi Mohammad	Mouritania
19.	Mr. Abdul Wahab Bin Mansour	Morocco
20.	Dr. Hussein Abdullah Al-Omeri	North Yemen
21.	Dr. Saleh Yasra	South Yemen

EDITORIAL BOARD

- 1. Prof. Dr. Mustafa A. Q. Al-Najjar

 General Secretary of the Union of Arab Historians

 Editor-in-chief
- 2. Dr. Mohammed J.H. Al-Mashhadani Deputy Editor-in-Chief
- 3. Dr. Hussein M. Al-Kahwati Editorial Manager
- 4. Dr. Zeki Majeed Hassan Foreign Editor.
- 5. Osama Nasir Al-Naqshabandi Editorial Secretary
- 6. Dr. Nazar A.L. Hadeethi Member
- 7. Dr. Abdul Munim Rashad Member
- 8. Dr. Jihad Saleh Al-Omar Member
- 9. Raja Abdul Razaq.

Annual Subscription

	Inside Iraq	Outrside Iraq
Governmental and Semi-governmental offices	50 dinars	150 dollars
2. Historians	20 dinars	60 dollars
3. Students of history	10 dinars	30 dollars

All correspondence: to Editor-in-Chief

P.O. Box: 4085 Baghdad-Iraq

Union of Arab Historians

Tel: 4448006



Requirements of Publications

- 1. Papers should be truly academic.
- 2. Papers should be compatible with the aims of the Union.
- 3. Papers should not exceed 50 pages.
- 4. Papers should be original and not sent elsewhere.
- 5. Papers could cover any area in history and written either in Arabic or in English.
- 6. Titles should be typed on a separate sheet, with the name (s) of authors in full.

- 7. Papers should be typed in two copies on every other line, and properly numbered.
- 8. In case the paper is delivered at a conference, this should be foot noted.
- Foot-notes should be unified and correctly numbered.
- 10. All papers are referred before being accepted.
- 11. Papers are alphabetically ordeved.
- 12. Address and name of authors should be clearly written in English.



L

The Arab Historian

Al-Muarrikh Al-Arabi

Journal of Arab Historians A quarterly issued by the Union of Arab Historians

Office of the General Secretary

Iraq — Baghdad P.O. Box 4 4085

Cable: MOARKHEEN Baghdad

No. 35 1988 (1409 A.H) Fourteenth year.

الجيش العربي وتأسيس امارة شرق الأردن

د . سعد أبو دية كلية الآداب ـ جامعة اليرموك

مقسدمة:

يتناول هذا البحث المرحلة التي سبقت قيام الامارة والتي تلت استسلام جيوش الدولة العثمانية وظهور عهد جديد بسيطرة قوات الحلفاء على المنطقة .

ويبين أيضا الطروف السابقة لقدوم الأمير عبدالله وتشابع الأحداث في شرق الأردن ودور الجيش في هذه المرحلة ويسلط الضوء على الدبلوماسية التي اتبعها الجيش في نشر الأمن.

وكانت تلك مهمة شاقة تطلبت من الجيش نوعـا معينا من الدبلوماسية .

ويبين هذا البحث الظروف التي ظهرت فيها نواة الجيش العربي . ويغطي جانبا هاما من نشوء إمارة شرق الأردن إذ لا يمكن أن نتحدث عن تأسيس الجيش بدون الحديث عن نشوء الإمارة وأي حديث عن تأسيس الجيش هو عرض للأحداث التي ظهرت قبل تأسيس الإمارة .

الجيش قبل ظهور الإمارة

من أبرز مزايا الجيش العربي التي تجعله يتفرد بين غيره من جيوش العالم أنه قد بدأ عمله قبل تأسيس الإمارة ، وأنه اضطلع بالمهام الجسام وقام بدور بارز في تأسيس الإمارة . وبعد قيام الإمارة أصبح أداتها في تحقيق الأمن والاستقرار .

إن نظرة لظروف البيئة المحيطة بشرق الأردن تعكس لنا حقيقة الانجازات التي حققها الجيش بعد سنوات قليلة من قيامه.

عند تأسيس الجيش كانت البلاد غير مستقرة داخليا والطامعون بخيراتها كثيرون ، كانت الصهيونية تتحرك بكل قوة ، وكانت فرنسا وبريطانيا طامعتين باقتسام المنطقة .

في خضم تلك الظروف كان لابد من توطيد الأمن في هذه البقعة
 والدقاع عن حدود شرق الأردن من غارات وغزوات خارجية .

وفي سليل تحقيق ذلك فإن الجيش العربي سار في طريق محدد ودبلوماسية معينة لتحقيق الهدف الأول المتعلق بالأمن والاستقرار داخل المدن

وستوضح الصفحات اللاحقة هذه الدبلوماسية التي اتبعها الجيش في تحقيق الأهداف التي ارتبطت بالأمن والاستقرار في مدن شرق الاردن . ويمكن أن نطلق على هذه الدبلوماسية التي حقق بها الجيش أهدافه (دبلوماسية المدن) . حيث إن الجيش اتبع اجراءات معينة استطاع أن يشق طريقه بها وتغلب بواسطتها على ما يعترضه من مصاعب داخلية وخارجية . واستطاع بواسطة تلك الدبلوماسية أن يوطد الأمن والاستقرار .

أنيطت مهام تحقيق الأمن والاستقرار بقوة الأمن . والواقع أننا لن نستطيع أن نتحدث عن هذه الدبلوماسية بدون الإلمام بتاريخ تأسيس إمارة شرق الاردن . صحيح أن هذا ليس مجالنا إذ أن هناك دراسات عديدة تتحدث عن الموضوع بحيث يسطبق عليها قبول الشاعر « هل غادر الشعراء من متردم » غير أن مجالنا سيرتكز على تأسيس الجيش العربي في إطار تأسيس إمارة شرق الاردن .

الظروف السابقة لقيام إمارة شرق الاردن

مرت شرق الاردن بظروف معينة قبل قيام الإمارة على النحو التالي:

* في ١٩١٨/١٠/٥ شكل الأمير فيصل حكومة عسكرية في دمشق عهد برئاستها إلى الركابي^(١). في هذه الفترة كانت شرق الاردن تتبع الإدارة العسكرية في دمشق.

 # في ۱۹۱۸/۱۰/۳۱ استسلمت القوات العثمانية للحلفاء
 راعتبرت شرق الاردن منطقة عدو مدارة من الحلفاء.

* في ۱۹۱۸/۱۱/۷ صدر تصريح فرنسي بريطاني تقام على أساسه حكومات وإدارات قسومية . وبدأت تظهر نوايا الحلفاء الحقيقية تجاه العرب حيث نزلت الأعلام العربية من المدن العربية في طرابلس وبيروت بناء على أوامر فرنسية بريطانية . احتج الأمير فيصل غير أن « اللنبي » أكد له بأنها اجراءات مؤقتة (٢٠).

الوضع العسكري

في كانون ثاني ١٩١٩ حلَّ جند بريطانيون محلَّ الجِنود الأستراليين الموجودين في شرق الاردن ثم استبدلوا بمشاة وفرسان هنود . خلال تلك الفترة كانت شرق الاردن تتبع الحكومة الفيصلية في الشام تحت إمرة الحاكم العسكري العام في دمشق رضا الركابي وكان في شرق الاردن قائد عسكريا عاما للقوات في المنطقة الممتدة من البلقاء وحتى تبوك . وفي عمان تولى رشيد المدفعي قيادة الفرقة الثانية . وفي باقي المقاطعات كان هناك حكام عسكريون ، وكانت هناك قوات

عسكرية لفرض الأمن والنظام (مشلا في الكرك) كان عبدالله الدليمي حاكها عسكريا ومتصرفا عاما .

وساعد شيوخ البلاد بتوطيد الأمن كها حصل في الكرك عندما كان رفيفان المجالي يقوم بمهمة الجيش وتوطيد الأمن الخارجي ويتولى حسين الطراونه مهمة الأمن وتوطيد الأمن الداخل^(٣) وبعد ذلك تم تأسيس ديوان الشورى الحربي في دمشق الذي أعاد تنظيم الجيش العربي وسرّح جيش الثورة وأصبح رشيد المدفعي محل جعفر العسكري حاكها عسكريا عاما .

وفيها بعد نقلت قيادة الفرقة إلى درعا وبقي لواء عسكري بقيادة القائمقام عبداللطيف، نوري في عمان ، أما في الكرك فقد بقيت كتيبة مشاة من ذلك اللواء تساندها بطارية مدفعية (٤).

في ١٥ أيلول ١٩١٩ ألغيت التشكيلات العثمانية للمناطق وبرزت ثمانية ألوية ثلاثة منها في شرق الاردن ارتبطت مع الحاكم العسكري العام. وفي اليوم ذاته قاطعت بريطانيا وفرنسا تقرير اللجنة الصادر عن لجنة (كنج كرين) King Crane والتي كانت قد طافت بالمنطقة العربية خلال حزيران وقوز وأصدرت تقريسها في طافت بالمنطقة العربية خلال حزيران وقوز وأصدرت تقريسها في نص عليه الاتفاق وضع شرق الاردن تحت الانتداب البريطاني ضمن أمور أخرى (6).

التجنيد الإجباري في الحكومة الفيصلية

في ١٩١٩/١٢/٢١ أقسرت الحكومية الفيصلية نبطام التجنيب

⁽١) الركابي : علي رضا الركابي من الذين أيدّوا الشريف حسين للقيام بالثورة . تولى مناصب عالية في الجيش العثماني . ثم تولم رئاسة الوزراء في المهد الفيدلي في الشام رقي شرق الأردن أصبح رئيساً للمستشارين . يلاحظ القاريء لمذكرات عودة القسوس أو خير الدين الزركلي أنه كان بأخذ جانباً كبيراً في عدبتهم

⁽٢) سليمان موسى ، المراسلات التاريخية ١٩١٩ الثورة العربية الكبرى ج ٢ (عِمان ١٩٧٩) ص ١٢ .

واللبني هو : الفيلد مارشال السير ادموند اللنبي (١٨٦١ ـ ١٩٣٦) كان متدوباً سامياً في مصر من عام ١٩١٧ وحتى ١٩١٩م ثم رئيساً لأركان الحملة المصربة انظر تراجم الشخصيات البريطانية التي ظهرت في الحرب وبعدها في كتاب :

⁽٣) انظر متيب الماضي ، تاريخ الأردن في القرن العشرين (عمان : ١٩٥٩) ص ٨٣.

C. J. Jarvis, Arab Command The Biography F Lieutenant colonel F.G. peake pasha (London: Hutchinson & co.) PP. 65-66.

⁽٤) المصدر نفسه ص ٨٥، جعفر العسكري (١٨٨٥ ــ ١٩٣٦) قائد عسكري عراقي خريج المدرسة الحربية في الأستانة شارك في الثور: العربية الكيرى ولازم الملت فبصل وفي سوريا أصبح كبير المرافقين له وغادر سوريا معه . وفي العراق أصبح رئيساً للوزراء مرتين وقتل عام ١٩٣٦ في ثورة بكر صدقي (الاعلام ٢ : ١٢٥ ، . خ.ر الدين الزركلي ، الاعلام الجزء الثاني ص ١٢٥ .

⁽٥) على محافظة ، تاريخ الأردن المعاصر عن الامارة (١٩٢١ ـ ١٩٤٦) (عمان : ١٩٧٣) ص ١٢ ، ١٣ .

الإجباري لمواجهة المواقف الفرنسية البريطانية الطامعة بالبلاد . كان إقبال الناس على التجنيد ضعيفا لخبرتهم السابقة من العهد العثماني حول هذا الموضوع (٢١).

في ١٩٢٠/٣/٨ عقد المؤتمر السوري ونادى باستقلال سوريا البطبيعية ونبدد باتفاقيتي سايكس بيكنو ووعند بلفنور ورفض الانتداب البريطاني والفرنسي .

ني ١٩٢٠/٥/٥ طعنت دول الحلقاء العرب طعنة ثالثة بقرارات سان ربمو SAN REMO التي وضعت شرق الاردن تحت الانتداب البريطاني .

انسحاب الإنجليز من شرق الاردن

بدأت الامور تتازم وانسحب الانجليز من سوريا وتقدم الفرنسيون ليحلوا مكانهم وشكل فيصل في سوريا حكومة (تؤيد إعلان الحرب على فرنسا) برئاسة هاشم الاتاسي (٨). وفي ١٤ تموز Gouraud (٩) بعث غورو (٩) Gouraud إنذاراً إلى الملك فيصل طالبه فيه بإلغاء التجنيد الإجباري وتسريح المجندين فورا . هاج الشعب في سوريا وعندما بدأت الحكومة تنفيذ ذليك رفض الشعب إنذار غورو ، وبالرغم من أن الحكومة قبلت الانذار ، فإن غورو هاجم

دمشق ووقعت معركة ميسلون واستشهد فيها وزير الحربية وسقط (۲۰۰۰) ألفا شهيد وجريح (۱۰۰).

في ٢٨ تموز ١٩٢٠ غادر الملك فيصل سوريا إلى المنفى في ايطاليا وتردى الوضع في شرق الاردن أمنيا واداريا وأصبحت شرق الاردن بلا قوة بريطانية أو قوة تابعة للحكومة الفيصلية(١١١).

أصبح وضع الاردن في غـاية الغمـوض ما هـو مستقبله ؟ من سيحكمه ؟ ما هي حدوده ؟

غموض الموقف في شرق الاردن وأهداف هربرت صموئيل

بعد سقوط دمشق بفترة وجيزة بدت البلاد في حالة من الغموض سيطرب على مستقبلها من سيحكمها وما هو مصيرها ؟

وهنا أُخْذَ « هربرت صموثيل »(١٢٠) المندوب السامي في فلسطين يسعى جاهدا لتجقيق أحد الهدفين :

١) ضم شرق الاردن لفلسطين.

إ) وضع شرق الاردن تحت الإدارة البريطانية مباشرة على صورة من الصور.

⁽٦) الماضي : مصدر سابق ص ٩٠.

⁽٧) أما أساس تسمية الاتفاقية بهذا الاسم فهو نسبة للموقعين عليها وهما : ..

١ ـ مارك سايكس ، عضو مجلس العموم الهريطاني عام ١٩١١ وممثل بريطانيا في مفاوضاتها مع فرنسا حول تقسيم الشرق الأوسط عام ١٩١٣ ومستشار مدني في وزارة الخارجية البريطانية لشؤون الشرق الأدنى . بدأ مارك حياته عسكرياً . توفي في عام ١٩١٩ عن ٤٠ عاماً .

حورج ببكو: كان قنصلاً عاماً لفرنسا خلال عام ١٩١٣/١٥ رافق الجنرال اللنبي في فلسطين عام ١٩١٧ وأصبح مندوباً سامياً لفرنسا في مفاوضاتها مع بريطانيا
 Sami Hadawi, The bitter Harvest palestine 1941- () ، - 1941 (N. Y the new world press. 1967).

⁽¹⁾ Jarvis, op. cit, P. 78.

مروي جارفس بان بريطانيا سحبت قواتها من شرق الأردن بسيب الغموض في وزارة الحرب البريطانية بالنسية لجغرافية شرق الأردن وسوريا ولقد سبب انسحاب القوات البريطانية تردي الأمن وبقيت بلاد شرق الأردن في وضع صعب جداً .

⁽٩) هو Gouraud General Henry) قائداً للقوات السورية ومندوباً سامياً ١٩٢٠ _ ١٩٢٢ في سوريا ثم حاكماً عسكرياً في باريس خلال ٢٣ _١٩٣٧ (اجع .306 والجع .306 Kliemar, op. cit p. 306

⁽١٠) محافظة ، مصدر سابق ص ١٤ ، غندما دخل غورو دمشق قال عبارته المشهورة على قبر صلاح الدين : ــ (ها قد عدنا يا صلاح الدين) ، أثار ذلك حفيظة الشاعر سعروف الرصافي وقال قصيدة منها :

رويسدك غيورو أيهما الجسنسرال لقد آلمتنا من خيطابيك أقيوال

اسير ظبيان ، الملك عبد الله كيا عرفته (عمان : ١٩٦٧) ص ٨ .

⁽¹⁾ Jarvis, op. cit P P. 63-64(\\\

١٧٠) هربرت صمونيل (١٨٧٠ ـ ١٩٦٣) كان مندوباً سامياً على فلسطين خلال الأعوام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٥ ثم رئيساً لحزب البرلمانيين الأحرار خلال الأعوام ١٩٣١ ـ ١٩٣٥.

وحاول صموئيل إقناع بريطانيا بأن أهالي شرق الاردن يطالبون بحكم بريطاني . وبين « صموئيل » للحكومة البريطانيا بأنها لن تكبد نفقات إذا احتلت شرق الاردن لأن شرق الاردن غنية بمواردها الزراعية التي تغطي النفقات العامة في فلسطين . كها بين بأن المنطقة يمكن أن تدار بعد قليل من المعاونين وبتنظيم عشائري تحت إشراف حاكمين بريطانيين (١٣).

وتوقع صموئيل إمكانية تأسيس (قوة شرطة) من أبناء القبائل في شرق الاردن تحت إمرة ضباط إنجليز. ويستدل من برقيته التي وجهها لوزير خارجية بريطانيا «كرزون» بأن البلاد ليست بحاجة إلا لعدد قليل من الجنود لأن القبائل في شرق الاردن ترغب بشكل مؤكد بالحكم البريطاني.

بيد أن وزير خارجية بريطانيا لم يتجاوب مع (صموئيل) فيها رمى إليه وبين له أن الاحتلال سوف يعطي نفس الصورة التي أعطاها الاحتلال الفرنسي لسوريا^(١٤).

واقترح وزير خارجية بريطانيا ما يلي :

١) إرسال ضباط سياسيين ذوي كفاءة للكرك والسلط بدون
 حراسات عسكرية . وتقتصر واجبات الضباط على ؛

أ _ المساعدة في تشكيل هيئات بلدية وادارية .

ب ـ تشجيع الحكم الذاتي المحلي وإعطاء الشورى للأهلين (١٥). وظهر الحذر البريطاني من زيادة النفقات .

وفي سبيل المساعدة الإدارية لشرق الاردن التقى المندوب السامي البريطاني صموئيل بزعاء شرق الاردن في ٢١ آب ١٩٢٠ وحضر الاجتماع وجهاء شرق الاردن (باستثناء وجهاء أربد وعجلون الذين لم يحضروا بسبب خصومات بينهم وبين عشائر البلقاء) وفي خطاب صموئيل ركز على موضوع الأمن ومساعدة ضباط بريطانيين

لأهل البلاد في تنظيم أمور الدفاع وتنظيم الدرك المحلي للمحافظة على الأمن والنظام وتنشيط التجارة مع فلسطين(١٦١).

وركز صموئيل على موضوع عدم نزع السلاح وعدم التجنيد الإجباري وعدم نقل الأسلحة من فلسطين (١٧).

ولقد أبقى صموئيل ضابطين سياسيين هما كامب وبرانتون واثنى عشر شرطيا من شرطة فلسطين في السلط وطالب صموئيل بإرسال ضباط سياسيين حيث ستعطى لهم تعليمات بأن يعتمدوا على قواتهم الخاصة وعدم طلب مساعدات بريطانية وإذا تعرضوا لمضايقات أو اضطرابات فعليهم الانسحاب(١٨).

ولقد وافقت بريطانيا على إرسال أربعة ضباط سياسيين وكانت بريطانيا تتحرك في إطار استراتيجية عدم زيادة مسؤولياتها المالية . وفي برقية كرزون إلى صموئيل فإنه يبين ذلك ونص البرقية كها يلي :

« لا رغبة لحكومة جلالته في زيادة مسؤولياتها وتوسيعها في المناطق العربية ويجب أن تصر على الالتزام بالمساعدة المحدودة جدا التي ناستطيع تقديمها إلى إدارة محلية في شرقي الاردن «(١٩).

الحكومات المحلية والضباط البريطانيون في شرق الاردن

وبعد زيارة هربرت صموئيل تمّ تعيين ضباط إنجليـز في إطار توفير النفقات لأكبر قدر ممكن وهم:

الميجر سمرست Brunton الكابتن برئتون Peake الكابتن بيك Camp

⁽١٣) سليمان موسى ، تأسيس الامارة الأردنية ١٩٢١ _ ١٩٢٥ (حزيران / ١٩٧١) ص ١٨ ، ١٩ .

⁽۱٤) المصدر نفسه ص ۲۲ ـ

⁽١٥) المصدر نقسه.

⁽١٦) المصدر نقسه ص ٧٧.

F. O. 371 13748 884. وثيقة الدين الزركلي ، عامان في عمان (القاهرة ١٩٢٦) ص ٣٨ ـ ٢٠ راجع وثيقة .48 884 المان

⁽۱۸) الموسى (۱۹۷۱) ص ۲۹ .

⁽١٩١) المصدر نقسه.

في ١٩٢٠/٩/٢ إلتقى زعهاء عجلون وأربد مع سمرست نائبا عن المندوب السامي وقدموا له مطالبهم ووافق على تأسيس حكومة في شرق الاردن لا علاقة لها بحكومة فلسطين واستعدت بريطانيا لتقديم السلاح لقاء الثمن ورأى سمرست ضرورة التنسيق مع الكرك والسلط بخصوص تأسيس جيش مشترك (٢٠).

وبعد ذلك تشكلت حكومة في أربد برئاسة القائمقام على خلقي الشرايري وانشقت حكومات أخرى بسعي من المعتمد البريطاني وقامت حكومات هي :

- ١) حكومة دير يوسف برئاسة كليب الشريدة .
 - ٢) حكومة عجلون برئاسة راشد الخزاعي.
 - ٣) حكومة الوسطية برئاسة ناجي العزام .
- ٤) حكومة الرمثا برئاسة ناصر الفواز الزعبي .
 - ٥) حكومة جرش برئاسة محمد علي المغربي .

ولقد اعتمد «سمرست» سياسة فرق تسد إذ سيطر على الوضع بدون أن يكون لديه موظفون أو رمال أو رجال شرطة ويقلول «بيك» بأن الأمر بدا ساحرا جدا (٢١). والحقيقة أن هذا يتوافق عاما مع سياسة بريطانيا في كبح جماح النفقات. ولقد يسر المعتملة وقل الآخرون الأمر لقيام حكومات محلية، فقامت حكومة موآب في الكرك وكان الضابط البريطاني هناك الرائد كلينفك Klinfik وحل معلم بعد ذلك « اليك كيركبرايد» الذي انتخبه مجلس شيوخ حكومة موآب الوطنية موآب الوطنية رئيسا للمجلس واستمرت حكومة موآب الوطنية حق آذار ٢٢١ (٢٢) في حين استمرت حكمات الشمال الآنفة الذكر حتى آذار ١٩٢١ (٢٢).

تعليق على وضع الحكومات السابقة

تميزت الأوضاع في عهد تلك الحكومات بما يلي :

۱) هي ليست دولا بمعنى الدول وبأركانها الثلاثة
 حكومة ـ شعب ـ اقليم

كانت السلطة فيها ضعيفة جدا ولم تفرض أي من تلك الحكومات موآب والسلط وأربد سلطانها على العشائر القوية(٢٤).

٢) لم تدعم بريطانيا هذه الحكومات إذ أن اهتمام بريطانيا كان
 منصبا على إنشاء إدارة مدنية في فلسطين واعتبرت منطقة شرق
 الاردن ثانوية (٢٥).

٣) كان وضع القوات العسكرية على النحو التالي :

أ ـ في السلط وأربد كانت هناك قوة درك محلية تعاني من نقص في عددها وعتادها وكانت هناك قوة شرطة صغيرة أسست في السلط وعمان ومأدبا.

كانت هناك قوة احتياط مركزها عمان أفرادها من الشركس وغيرهم من أهل المنطقة وقد تم تدريبهم وتجهيزهم وكان غرضهم الرئيسي الدفاع عن المدينة وسكانها وسميت هذه القوة بقوة دعم الحكومة: Force behind the Goveronment.

وكانت تحت سيطرة حكومة السلط وطلبت حكومة أربد وموآب الاستعانة بها^(٢٦).

جد فكرت بريطانيا بإرسال قوة عسكرية محدودة لتوحيد الحكومات السابقة واعتقدت بأن الأمر سيكون مرغوبا فيد (٢٧) وبدأ

Public Record office f. o. 371 5290 271, NOV. 10th, 1920. (\cdot \cdot)

⁽۲۱) بيك هو فردريك بيك ۱۸۸۲_ - ۱۹۷۰ المفتش لقوات الدرك العام في الأردن عام ۱۹۲۱ ومدير الأمن العام عام ۱۹۲۳، ساهم في تأسيس الجيش العربي عام ۱۹۲۲، حل محله كلوب في عام ۱۹۳۹ انظر . 1909. Klieman, op, cit, P. 309 انظر محافظة مصدر سابق ص ۱۹۷) مصدر سابق ص ۳۲، وانظر أيضاً . Jarvis, op. 66

Aleck kirkbride. A Crackle of Thorns (London : 1956) P-27. (٢٢)

اليك كيركبرايد : من الضباط الذين عينهم هربرت صموثيل في شرق الأردن في الفترة التي تلت العهد الفيصلي عمل في الكرك في عهد الحكومة الموآبية له مؤلفات عديدة عن الأردن منها (خشخشة الأشواك ، من الأجنحة) .

⁽۲۳) محافظة ، مصدر سابق ص ۱۸ .

Kirbride, op. cit, P. 24. (Yt)

Ibid. P. 19. (40)

Report Submitted to sir H Samuel, by the civilsecertary F. o. 371 5290-271. (٢٦)

Ibid. (YY)

الاتجاه في زيادة قوة الاحتياط في عمان لتتمكن من :

١ ـ صد هجمات البدو .

٢ ـ ولتصبح احتياطا عاما لقوات الدرك المحلية في أرجاء المنطقة
 افة .

وبدا أن أمر قوة الاحتياط من السكان المواطنين أمر ضروري حتى لو أرسلت القوة البريطانية لأن الإنجليز لن يتدخلوا ببساطة في شؤون السكان في الأمور ذات الطابع المحلي(٢٨).

أما من حيث نفقات هذه القوة وهذا ما يشغل بال بريطانيا فإن تحسن مستوى الدرك وتقدمه سيترتب عليه زيادة الواردات وأن الموضوعين يرتبطان ببعضها البعض وأن العلاقة بينها طردية (۲۹).

وخير من وصف حالة الاردن في عهد تلك الحكومات المحلية هو خير الدين الزركلي يقول ...

« ولكن الفروق كانت كبيرة بين كل بلد أو قرية وأخزى فقانون مندني ونظام عسكتري وقضاء عشائري وشيرع وعرف واستبداد وشورى كلها شبكة واحدة وقعت في أسرها منطقة شرق الاردن المنكودة الحظ »(٣٠).

القوة السيارة

في أيلول ١٩٢٠ قام الضابط البريطاني (برنتون) بتأسيس قوة سيارة (٢٠ ويبدو أن القوة عديمة الفعالية ، إذ أن آراء « بيك » تدل على أن الأمن في عمان عندما دخلها كان معدوما وأن الوضع كها وصفه تمثل بما يلي :

١ ـ شاهد اثنين يتشاجران بالسيوف في وسط عمان أمام الشرطي المناوب الذي لم يحرك ساكنا.

٢ ــ الشرطة معزولة عن الشعب وبعضها لم يتسلم راتبه منــذ شهور وأن بها كل مساوىء عهد الأتراك(٣٢).

لا شك أن ذلك ظهر واضحا منذ أن عين هربرت صموئيل الضباط البريطانيين الذبن اعتمدوا على قوتهم الذاتية فقط ويروي «كير كبرايد» عندما ذهب إلى الكرك بأنه كان الإنجليزي الوحيد هناك وأنه لا حول له ولا طول وأنه بعيد في منطقة معزولة وأن المواصلات غير متوفرة (٢٣).

وكانت السياسة البريطانية تقتضي ذلك وأن على الضباط البريطانيين أن يتدبروا أمرهم بأنفسهم وأن لا يطلبوا أي مساعدة من حكومة الانتداب وإذا حصلت اضطرابات فوق استطاعتهم فإن عليهم الانسحاب (٣٤).

دبلوماسية المدن

بدا واضحا أن الاولويات ترتكز على الأمن بالدرجة الاولى بخاصة انه لم يكن هناك تهديد على الحدود يستدعي تغيير هذه الاولويات كانت المدن تعاني من مشاكل مدنية تعيق الادارة عن انجاز أعمالها. ولذلك بدلامن الضروري أن يتحقق الامن في المدن اولا وكان لا بد أن يتم ذلك في نطاق دبلوماسية معينة تستطع ان تحقق النجاح والاهداف المرجوة. ولقد تم ذلك في نطاق دبلوماسية اعتمدت على هذه الامور د.

ا توفير النفقات : هذه من الامور التي اخذت بالاعتبار موضوع توفير النفقات . وفي سبيل تحقيق ذلك تم الاعتماد على السكان المحليين تحت قيادة ضباط بريطانيين . وتم استدعاء (بيك) قائد قوة الهجانة في مصر لبناء قوة الدرك في الاردن . (٣٥)

Ibid. (TA)

Ibid. (XA)

⁽٣٠) الزركلي ــ هو خير الدين محمود الزركلي الدمشقي (١٨٩٣ ــ ١٩٧٥) في سنة ١٩٢١ انتدبه الملك حسين لمساعدة الأمير عبد الله وهر في طريقه لشرق الأردن وأصبح مفتشاً للمعارف ثم رئيساً لديوان الحكومة ، استقر في السعودية وأصبح سفيراً لها في أكثر من بلد (الاعلام ١٠ : ٢٥٧ ـ ٢٥٩) . وانظر الزركلي ، مصدر سابق ص ٤١ .

⁽۳۱) محافظة مصدر سابق ص ۱۸ .

Javis, op. cit, p. 68. (٣٢)

Kirbride, op. cit, p. 18. (٣٣)

⁽٣٤) برقية (هربت صموتيل) رقم ٢٠٧ في سليمان موسى (٧١) ، مرجع سابق ص ٣٠ .

⁽٣٥) الموسى (٧١)، مصدر سابق ص ٢٩. . Paul cope Land, the land and people (Phila : cipp incof 1965) P. 78. . ١٩ تم الاستدعاء بناء على رغبة (هربرت صموئيل) .

٢) عدن اثارة الحساسيات :

ان تشكيل قوة من أبناء المدن سيمنع اثارة ردود الفعل عند السكان المحليين لأن هناك أمورا ذات طابع محلي لن يستطيع اجنبي التدخل فيها.

وقد تم التركيز على المزارعين وكان (بيك) يخشى كثيرا أن تقع القوة في يد البدو بخاصة اذا غادرت بريطانيا المنطقة. وهذا الأمر دفع (بيك) لتحقيق معادلة معينة تتعلق بالتركيز على المزارعين للدفاع عن المدن وان لا تصل القوة الى يد البدو أو شيوخهم وانه بدأ يقلق عندما جاء كلوب (بعد عشر سنوات لاحقة) اذ عكس الآية واخذ يقوي البادية وبدا أن الجيش في المدن أصبح قوة شرطة بدلا من قوة عسكرية . (٢٦)

ولقد شارك لورانس (۳۷) _ الذي جاء للاردن بناء على توصية نشرشل بدراسة الوضع _ بيك رأيه بضرورة الاعتماد على المزارعين ولقد أثرت هذه السياسة على موقف البدو .(۲۸)

ولكن مشكلة تجنيد المزارعين أثارت حساسية قدية من التجنيد الذي أعاد للأذهان سياسة العثمانيين السابقة في التجنيد (٢٩)

٣) هيبة الجيش:

لن يتحقق الأمن وتنفذ القوانين ما لم يكن هناك هيبة للجيش في نفوس الآخرين من المواطنين وهذا يتطلب مظهرا لاثقا للجيش وسلاحا. وهذا يرتبط باقبال المواطنين على التجنيد وهناك عوائق نقف في طريق تجنيد المواطنيين هي بــ

١ - التخوف من التجرية العثمانية ، وسبقت الاشمارة للموضوع .

٢ ـ اذا تمت الاستعانة بفلسطين فان ذلك أمر تكتنف صعوبتان هما يـ

أ ـ فلسطين تابعة لمصر عسكريا وان عدد الجيش فيها غير محدود وكانت هناك مطالبة بالاستقلال عن مصر عسكريا⁽¹⁾ ولا شك اذن فان اعتماد (بيك) على فلسطين سيتناقض مع ما يريده بالاعتماد على السكان المحليين(⁽¹⁾ اذ أن اعتماده على فلسطين سيقوده للاستعانة بمصر نفسها.

ب) ظهر في فلسطين نفسها اتجاه بالاعتماد على الشرطة بدلا من التجنيد الاجباري، ومن جهة ثانية ظهر أن هناك من يغضل الدفع نقدا بدلا من التجنيد وظهرت مقالات في صحف فلسطين تندد بالجُبندية وموضوع تأسيس جيش وطني وذكر كاتب المقال بأن هذا هو السبب الذي أثار كراهية الناس ضد العثمانيين .(٤٢)

جـ) يضاف لما تقدم عدم وجود خطوط مواصلات جيدة دأخل شرق الاردن وبين الاردن وفلسطين وقد استمر الأمر فترة حتى بعد ظهور الامارة مثلا عندما امتنع (بعض البدو) في الاردن عن دفع الضرائب فان ظرف صعوبة المواصلات بخاصة في فصل الشتاء حال دون اتصال الحكومة معهم لتسوية الأمر .(٢٦)

د) وبالرغم من كل ما تقدم فان (بيك) استعان في فترة لاحقة بد (۲۵۰) عربيا من فلسطين ولكن تجربته مع كثير منهم لم نكن جيدة اذ اضطر ذات مرة لفصل عشرات منهم دفعة واحدة . (٤٤٠) واثبتت الأحداث بعد ذلك بأن الاعتماد على المحليين أمر في منتهى

Jarvis, op. cit, p. 77. (٣١)

⁽٣٧) لورانس (توماس ادوارد) من أكثر الشخصيات البريطانية التي ارتبط اسمها بالعرب لدرجة سمي فيها لورانس العرب. وهو أيضاً من أكثر الشخصيات البريطانية التي كتب عنها بأقلام مختلفة عربية وأجنبية . وهناك مؤلف أردني كتب عنه هو الأستاذ (سليمان موسى) . شارك لورانس في الحرب العالمية الأولى وكان له دور معين في الصحراء العربية ولكنه أعطى نفسه دوراً أكثر مما عمل وللورانس مؤلفان حول الثورة هما : ثورة في الصحراء وأعمدة الحكمة السبعة .

Ibid, p. 87. (۲۸)

Ibid. (YN)

Jarvis, op. cit, p. 76. ، ۱٩ . ٢١/١/١٢ صحيفة فلسطين ٢١/١/١٢

⁽٤٢) صحيفة فلسطان ١٩٢٢/٤/٩.

⁽٤٣) صحيفة فلسطين ١٩٢١/٩/٢٥.

^(££) تصادف أن كانوا (£٠) عسكرياً من مدينة نابلس بسبب تضامنهم مع زميل سجين رفض (بيك) الافراج عنه قبل العيد . Javis, op. cit, p. 87,88

الأهبة ليست للأسباب المتعلقة بالحساسية فقط ولكن لأمور أخرى نرتبط بضمان تعاون المحليين الذين كانوا يعتقدون بأن بريطانيا تمهد لاحتلال البلاد وان ضعف الجيش أمر مقصود بحد ذاته .(10)

نواة الجيش العربي :-

بعد سقوط دمشق وانهيار الحكم الفيصلي ظهرت ثماني حكومات في شرق الاردن. زار هربرت صموئيل السلط وقابل أهالي المنطقة وعين ضباطا انجليز كان (بيك) من أبرز الضباط الذين عينهم هربرت صموئيل واستمر وجوده بعد ذلك لمدة (عقدين من الزمن) في شرق الاردن. وقد أسندت لبيك مهمة تشكيل قوة (البوليس) لضمان الأمن. ولقد لاحظ بيك بأن الوضع الأمني في شرق الاردن سيء جدا ويستعرض (بيك) حادثة تعكس الفوضي في شرق الأردن. تتلخص الحادثة بأنه عندما قام (بيك) بجولة في عمان شاهد اثنين يتبارزان في الشارع العام وأن احدها قتل الآخر دون ان يتحرك الشرطى المكلف بالمحافظة على الأمن.

لاحظ أن الحادث تم أمام رجل الامن ، وأن الشرطة بشكل عام معزولة عن الشعب ، وأن بها كل مساوىء العهد التوكي وقد نكون معذورة لأن بعضا منها لم يتلق راتبا منذ شهور . (٤٦)

ولقد تصرف (بيك) بشكل ايجابي وفوري وسافر لفلسطين وطلب من هربرت صموئيل الموافقة على تجنيد (١٠٠) نفر وخسة ضباط.

وفي تشرين الأول عام ١٩٢٠ تأسست نواة الجيش العربي من ذلك العدد على النحو التالي بـ

خمسة ضباط

خمس وسبعون فارسا خمس وعشرون قوة سيارة .

ولقد تمت زيادة العدد بعد شهرين الى (١٥٧) عسكريسا (بواقع ضابطين وخمسين شخصا آخر) . أما من حيث الانفاق فقد تولت حكومة فلسطين الصرف على هذه القوة . (٤٧٠) خلال الأسابيع الاولى اثبتت القوة عدم جدواها في تحقيق هيبة الجيش التي كان يريدها (بيك) ذلك أن هذه القوة لأسباب عديدة ذكرناها سابقا كانت عديمة التأثير وأن مثقال الفايز اعتقل ذات مرة بيك باشا وأن القوة المؤلفة من ١٠٠ نفر لم تحقق الهيبة التي كان يرجوها بيك . (٨٥٠)

كانت أوضاع البلد سيئة جدا ولقد اثبتت الحكومات المحلية عدم جدواها وبعضها مثل حكومة الكرك أصبح عبنا على (بيك) في عمان. ونظرا لأن بريطانيا كانت تسعى بأن تغطي هذه الحكومات نفقاتها بنفسها من وارداتها الغنية على النحو الذي لا حظناه سابقا فأن البيك) فكر بإرسال قوة (درك) للكرك من أجل جباية الطرائب وفرض السلطة. وفي البداية كان تفكير بيك منصبا على الاستعانة بالدرك من فلسطين ولكن هذا يتعارض مع ما تريده بريكانيا باختماد الضباط على أنفسهم فقط ومن جهة أخرى فان (بيك) كان يعتمد على نفسه حتى لا تبدو الامور وكأنها أخفقت في شرق الأردن ولأن هذا دليل على الفشل في نظره .(٤٩)

تمت زيادة القوة الموجودة في شرق الأردن وأصبح عددها (١٥٧) عسكريا وأرسلت في ١٩٢٠/١٢/٩ الى الكبرك وذهب (بيك ٪ ينفسه على رأس هذه القوة . (منه)

وهكذا فان الضباط الانجليز أثبتوا عدم مقدرتهم على تحقيق

Ibid. pp. 86-88. (Lt)

Ibid. pp. 66, 68, 79. (£%)

Ibid. pp. 66-68. (LY)

Ibid. pp. 74, 85-86-88. (LA)

ملاحظة : _ كان الجيش بستخدم الملابس البريطانية والمسدسات الألمانية بسبب قلة النفقات وطبعاً فان هيبة الجيش ترتبط بمظهره واناقته العسكرية و هندامه وسلاحه أيضاً وهذا ما لم يكن متوفراً لبيك ، بالاضافة الى الجنود غير المحليين وهذا يؤثر على موقفهم وتأثيرهم على السكان .

⁽٤٩) Jarvis, op. cit, p. 76 (٤٩) ، كان الضياط الانجليز يعتمدون على سياسة فرق تسد على نحو لاحظناه في حكومة سمرست في عجلون .

⁽٠٠) Public Record office E 16222/13556/44 هناك الشارة بان القوة المكونة من ٣٥ فرداً بقيادة القاتد ابراهيم حقي انظر الماضي ص (٣٨) كان كير كبرابد قدذهب المقدس ولم يعد حتى حصل على وعد بدعمه في الكرك وعاد في ١٩٢٠/١١/٢١ الى الكرك ثم لحق به (بيك) وكان الأمير عبد الله قد وصل معان في يوم عودة كبراكبرابد للكرك.

سياسة بريطانيا العليا بضرورة الاعتماد على أنفسهم فقط وادارة البلاد بطريقة فرق تسد .

الوضع قبيل مجىء الأمير عبدالله

بدأ الموقف قبيل ظهور الأمير عبد الله في معان كما يلي نــ

١ ـ منذ مطلع شهر تشرين الثاني /١٩٢٠ كانت هناك اشاعات عن قدوم أبناء الحسين ابن علي ولقد أثر ذلك على مواقف المكومات المحلية في الكرك وعجلون والسلط وعمان. ترددت اشاعات بان أبناء الشريف قادمون من الجنوب وانهم على اتصال مع شيوخ القبائل ولقد أثر هذا على الاستقرار في البلاد من جهة ، يضاف لذلك أن عاملا آخر كان يؤثر على الاستقرار يرتبط بالضرائب وصعوبة جمها.

٢ في ٢٦ /تشرين ثاني وصل الشريف محمد علي بديوي الى
 عمان بالقطار ومعه خمسون رجلا مسلحا وترددت أنباء بأن القوة
 المرافقة للأمير عبد الله الذي وصل الى معان في ٢١ ـ ١١ ـ ١٩٢٠
 كانت تبلغ ١٥٠٠ رجل

أبلغ الممثلون الانجليز السكان المحليين بضرورة ابتصادهم عن الانضمام لأبناء الشريف الحسين بن علي .

زاد قلق الحكومة البريطانية بوجود الأمير عبد الله بن الحسين في معان ووصول ممثله لعمان بالرغم أن نواياه كانت موجهة أصلا للفرنسيين ولا تحمل نوايا عدوانية لبريطانيا .(٥١) الأمير عبد الله في معان

وصل الأمير عبد الله معان يوم ١٩٢٠/١١/٢١ ـ ١١ ربيع الاول /١٣٣٩ هـ ويقول الأمير بأنه استأذن المغفور لـه الشريف حسين بأن يتحمل تبعات الحركة شخصيا وعن سبب قدومه كتب الأمير ــ

«ثم حدثت حوادث الشام وخرقت فرنسا حرمة الحق والعهد بهجومها على سوريا وبالتسبب بخروج الملك فيصل منها. ثم حدث

ما حدث للوزراء السوريين الموالين لفرنسا في درعبا وطلب أهل الاخلاص من المشتغلين في القضية العربية في سوريا ارسمال من ينسوب عن الملك فيصمل من الشخصيمات الملكيمة في البيت الهاشمي »(٥٢)

وبعد أسبوعين أرسل الأمير عبد الله من معان رسالة الى السوريين أعلن فيها أن غايت الوحيدة نصرة سوريا ثم اجلاء المعتدين ودعا الامير ضباط الجيش السوري ومجنديه للحضور لمعان كها دعا أعضاء المؤتمر السوري ثم كتب للنواحي باسم ملك سوريا وفي ٢/أذار/١٩٢١ وصل الأمير عبد الله عمان ووصف الأمير عبد الله الموقف فيها بعد:

« وبعد أيام جرى احتلال المنطقة الاردنية بكاملها وكانت تصدر الأوامر عني في عمان وكان الناس في فترة لا يزور أحد أحداً فالبلقاء للبلقاء وعجلون ولواؤها لعجلون وأهله ، والكرك ألطفيلة كذلك فجمعنا كل هذه النواحي ووحدناها وزال الخلاف بينها » .(٥٠)

خلال هذه الفترة التي قضاها الأمير في معان فان الشريف على الحارثي استقر في عصان وحاول تجنيد جنود من قبوة الاحتياط (مقابل 10 جنيها شهريا) وكان الموقف يتأزم ويؤدي لمواجهة بين الن كيركبرايد والحارثي حيث ان كيركبرايد قد كتب لحكومته معبرا عن ثقته بقوته الصغيرة في مواجهة واخراج على الحارثي والجيش الشريفي من عمان .(٥٤)

وتوجه الشريف الى السلط وأخذ يعمل ويتصرف بصفته نائبا عن الملك في سوريا (الأمير عبد الله).

تطور الاحداث:

وبعد ذلك سارت الأمور على النحو التالي بـــ

١ كثفت بريطانيا نشاطاتها لمنع مواجهة فرنسية عربية
 باعتبار أن منطقة شرق الأردن منطقة نفوذ بريطانية وبالرغم من

^{. (}٥١) Public Record office E 16222/13556/44 م تلخيص الأحداث في شرق الأردن .

⁽٥٢) أمين أبو الشعر، مذكرات الملك عبد الله (عمان : ١٩٦٥) ، نص الرسالة ص ١٥٣ ، ١٥٤ . ١٥٥ .

⁽۵۳) المصدر نفسه ص ۱۵۹. . Public Record office F.O. 371 5290 271 Dec.

²⁰ th, 1920. (01)

اعتبارها ان منطقة شرق الأردن منطقة نفوذ فانها ما كانت لتسأل لو ضربت فرنسا القوات العربية .^(٥٥)

٢) في ٢٣/كانون الاول/١٩٢٠ تلقى الأمير فيصل تعليمات
 من الملك حسين بأن بتباحث مع بريطانيا حول القضايا التي تهم
 الحجاز وبريطانيا .

٣) في ١٩٢١/٢/١٤ ظهرت دائرة الشرق الأسط في بريطانيا تابعة لوزارة المستعمرات اذ انتقلت مسؤولية المناطق الخاضعة للانتداب من عهدة وزارة الجارجية الى عهدة وزارة المستعمرات . ضمت الدائرة المذكورة (لورانس ، يونغ ، بولارد ، ماينز ترهاجن) واستهدفت توجيه السياسة البريطانية في الشرق الأوسط ومن أبرز

اعمالها مؤتمر الشرق الأوسط الذي عقد خلال الفترة من ٣/١٢-١٩٢١/٣/٢٤ وتم فيه التوصل لأمور هامه منها الاتفاق مع الأمير عبد الله على حكم البلاد(٥٦)

٤) في ٢٨/آذار اجتمع الأمير عبد الله مع ونستون تشرتشل
 في القدس وفي ٣٠/آذار انتهت المفاوضات الى اتفاقية (مدتها ستة شهور) حيث تضمئت :-

« اقامة حكومة وطنية في شرق الأردن برئاسة الأمير عبد الله وتساعدها بريطانيا ماديا وتسترشد برأى مندوب بريطاني مقيم في عمان »(٥٨)



^{&#}x27;(٥٥) انظر برقية رقم ١٣٠٨ في كتاب الموسى (٧١) مصدر سابق ص ٧٠.

⁽٥٦) محافظة مصدر سابق ص ٣٢ ، ٢٣ ــ والموسى (٧١) ص ٧٣ .

هيزبرت يونج : عمل في العراق خلال الأعوام ١٩١٥ ـ ١٩١٧ ثم في الخارجية البريطانية ثم دائرة الشرق الأوسط بالقاهرة . وعمل فيها يعد سفيراً في بغداد وحاكهاً ليناسالاند ورودبسيا وترينداد

ريدربولارَدْ : (١٨٨٥ ـ ؟) كان حاكماً في بغداد ثم عمل في دائرة الشرق الأوسط مع لورانس ويونغ أصبح قنصلاً في جدة ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥ ثم سفيراً في طهران (١٩٣٩ ـ ١٩٣٠) انظر . ١٩٨٨) انظر . Klieman, op. cit, pp. 311, 304

⁽٥٧) ونستون تشرشل : _ (١٨٧٤ _ ١٩٦٥) كان وزيراً للمستعمرات البريطانية خلال الأعوام ١٩٢٢/٢١ ثم رئيساً لوزراء بريطانيا فيها بعد خلال الأعوام ١٩٤٠ _ ١٩٤٥ ثم رئيساً لوزراء بريطانيا فيها بعد خلال الأعوام ١٩٤٠ _ ١٩٤٥ ثم يعتبر تشرتشل من أبرز السياسيين البريطاني في مطلع العشرينات المتازت بالواقعية .

⁽۵۸) محافظة ص ۲٤.

خاتمـــة

تطرق الفصل على النحو البذي لاحظه القبارى، لموضوع ظهور الجيش العربي وظروف نشأته ويلاحظ بان الجيش قام في ظل ظروف صعبة للغاية ، وأن الامكانات ضعيفة .

ولقد قام الجيش بدور كبير في محاولة توطيد الأمن داخل المدن اذ أن احداث الحدود لم تكن قـد ظهـرَت. ولقـد واجهت الجيش مصاعب جمة ارتبطت بما يلي :ـ

ا) نوعية الجنود : كان هذا انموضوع في غاية الأهمية اذ ان الجنود المحليين كانوا أكثر فاعلبة وتأثيرا ولكن هناك مشكلة تتعلق بتحضير هؤلاء المحليين الانضمام للجيش . أما اذا كان الجنود غير محليين فان الأمسر سينعكس على حساسيات المحليين تجاه هؤلاء الغرباء .

٢) مسألة النفقات: برزت مشكلة تتعلق بنفقات الجيش ونظرا لأنه لم يكن هناك ادارة مستقرة بعد فان الجيش واجع المشكلة المالية وكان عليه أن يقوم بدور معاكس بأن يساعد الادارة على انجاز أعمالها لتتمكن من جباية الضرائب وكانت مشكلة في غاية الصعوبة.

٣) مسألة هيبة الجيش: يلاحظ أن هذه المسألة سببت ارباكا
 للجيش في البداية وانه لم يكن (لبيك) هيبة وقد وقعت له حوادث
 معينة عكست هيبة القوة السيارة التي يقودها (بيك).

وبقيت قيادة (بيك) مركزة على القوة العددية ولم تستطيع تحقيق قوة نوعية حتى جاء الأمير عبد الله وبدأت الادارة تتأسس في شرق الاردن وكان لوجود الأمير عبد الله تأثير كبير في سد الثغرات، وتحقيق القوة النوعية للجيش. ومنذ قدوم الأمير عبد الله لشرق الاردن وتأسيس الامارة فان القوة النوعية ارتبطت بوجوده.

وباختصار يمكن القول بأن الجيش سار على دبلوماسية معينة لتحقيق الأهداف المرتبطة بالأمن والاستقرار وان الانجازات الحصرت في مدينة عمان فقط تقريبا اي أن دبلوماسية الجيش لم تتعد حدود عمان وذلك لامكانات الجيش الضعيفة وضعف الموارد ورغية بريطانيا في كبح جماح النفقات.

ولا يفوتنا القول بأن من أهم الأسباب هو غياب القيادة عن شرق الأردن وعدم الاستقرار اذ أن مصير شرق الأردن كان غامضا على نحو ما لا حظناه في مراسلات (صموئيل وكرزون) ومن أبرز سمات دبلوماسية المدن التي سار عليها الجيش في هذه الفترة هي التقرب من المزارعين والاعتماد عليهم في نواة الجيش وهذا ما كان يدور في ذهن (بيك) دائها . ويمكن اعتبار تلك السمة من أبرز السمات التي سارت عليها دبلوماسية المدن في تلك الفترة لأنها تحقق عدة فوائد فهي توفر في النفقات ومن جهة ثانية توفر كثيرا من المشاكل .

مراجع

أ) المراجع العربية *** د**وریات : * كتب : ـ صحيفة فلسطين اعداد ١٩٢٢/١/١٢ 1941/6/4 ١) أمن ابر الشعر ، مذكرات الملك عبد الله (عمان - ١٩٦٥) 1911/9/10 ٢) تيسير ظبيان ، الملك عبد الله كيا عرفته (عمان - ١٩٦٧) ٣) خبر الدين الزركلي . عامان في عمان (القاهرة ١٩٢٦) ب) المراجع الأجنبية الاعبلام. (1 وثائق وزارة الخارجية البريطانية. ٥) سليمان الموسى ، تأسيس الامارة الاردنيه (١٩٢١) **Documents** (جزيران : ١٩٧١) 1) F.O. 371 5290 271 المراسلات الامبارة الاردنيه (١٩٢١-(7 NOV 10th, 1920 ١٩٢٥ الكبرى ج ٢ (عمان : ١٩٧٥) **REPORT Submitted to** ٧) على محافظة ، تاريخ الاردن المعاصر : عهد الاستارة Sir H. Samuel by the Civil Secretary. 2) F.O. 371 5290 271 1947 (عمان : ١٩٤٣) DEC. 20th, 1920 ٨) منيب الماضي ، سليمان موسى ، تاريخ الاردن في القرن العشرين ?) Public Record. office E 1/8162222 / 13556/44 (عمان: ١٩٥٩)



The Arab Historian

Al-Muarrikh Al-Arabi

Journal of Arab Historians
A quarterly issued by the Union of Arab Historians



Office of the General Secretary

Iraq — Baghdad P.O. Box: 4085

Cable: MOARKHEEN Baghdad

No. 35 1988 (1409 A.H) Fourteenth year.